الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

تم تخله قلماط

على عة

- فقته وسعة حرجى حا غرروزى

مجلد اول

طبع بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ٨٦ ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الله يلهم المرء ما لا يعلم ويذهب به الى حيث لا يدري وينظر اليه ويتخلى عنه وهو لاه عن كل ذلك باعمال العالم على الاطوار التي وجد فيها . فكرت لدى الفراغ من قصة فيروز شاه ان اتبعها بقصة من بابها كثيرة الحوادث لا تكون اقل منها مقاما في العقول بحيث تستوجب مسرورية المطالعين وميلهم اليها بالرغبة التي كانت لهم في تلك واذا الهمت الى كتابة قصة الامير حمزة البهلوان المعروف بحمزة العرب وهي في مصاف القصص الشهيرة الكبيرة جمعت في حوادثها بين الشجاعة والاقدام والحكمة والاداب والعمارة والغرام الى غير ذلك مما يرغب فيه الخاص والعام وبعد قسمتها الى اربعة مجلدات كل مجلد ستة اجزاء وكل جزء منها ثمانية واربعين صفحة كصفحات هذا الجزء ونسقه كما وقد اعتنيت بها الاعتناء الكافي وضمنت لها من الاشعار ما تستوجبه حوادثها وابطالها وتطلبه وقائعها وذكر فتياتها ولي ثقة كبرى مما عودني عليه مشتركو رواياتي من الميل والرغبة الى طلب الاشتراك بانهم يدومون على مثل

الجميل ولا زالوا يرون مني السعي في خدمتهم والجد في كتابة ما

يرضيهم سائلاً منهم المعذرة عن كل قصور يقع مني او خطاء

يحدث في هذا الكتاب لعلمهم ان العصمة لله وحده

طالباً منه تعالى اولاً واخراً مساعدتي

على كل مشروع اتخذته واتخذه

على الدوام فهو السميع

المجيب

من قصة الامير حمزة البهلوان

كانت دولة الفرس من الدول العظيمة في قديم الايام ملكت زمنًا طويلاً واتسع ملكها شرقا وغربا شمالاً وجنوبا وكانت العرب تطيعها وتودي لها الجزية في كل عام يجمعها ملك العرب وهو النعمان بن المنذر بن النعمان احد ملوك الحيرة ويرسلها الى الملك الاكبر اي ملك الاعجام والديالمة وكان يقيم في المدائن اسم عاصمة المملكة وقد اطلق على كل ملك ملك على تخت هذه الممالك كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان وذلك ان تاجه يجمع من كل انواع الحجارة الكريمة الكبيرة القدر الغالية الثمن حتى ضرب بها المثل بين الناس منذ تلك الايام الى ما بعدها وكانت سائر ملوك الارض تحسدهُ عليهِ وتتمناهُ لها والايوان كان عاليًا جدًا حتى قيل ان قنطرتهُ مرتفعة ارتفاعا لا يطوي تحت دائرة العقل اي ان الغيم يلحق بها وكثير مرات ما يمرُّ من تحتها وفي نصف هذه القنطرة حلقة من الذهب كبيرة ضخمة جدًا بقيت بعد زمن الاكاسرة زمانًا طويلاً معلقة باعلى تلك القنطرة . واما مذهب العجم كان في تلك الايام المجوسية والنار فيعبدونها ويسجدون لها دون الواحد الجبار ويعيدون لها ويجتمعون عندها اثناء المواسم ويقدم الهدايا الى المرازبة الموكلين بخدمتها والقائمين حولها يشعلونها على الدوام الليل والنهار . وكان الملك عليها في زمن روايتنا هذه احد اولئك الاكاسرة وقد اشتهر بالحلم والرقة والدعة وعدهُ وزيران عاقلان احدها اسمهُ بزرجمهر وهذا كان يعبد الله تعالى وكان من الحكمة والتعقل والاداب على جانب عظيم يندر وجود مثلهِ في زمانهِ اعطاه الله ما لم يعطهِ لغيره من ابناء جنسهِ الانساني وقد سمي بهذا الاسم عدة وزراء لدولة الفرس وثانيهما اسمهُ بختك بن قرقيش من اشراف البلاد واعيانها محبوبًا من الرعايا ورجال المملكة والملك . وكان كرسي الملك يجمع تسعمائة الف نفس من العجم ما عدا الغرباء الذين كانوا على الدوام يتقاطرون الى المدينة افواجًا افواجًا لعرض دعاويهم واشغالهم للملك الاكبر وقيل ان الفًا من الحجاب يقفون بين يديهِ مشهرين السيوف من حين وجوده في ديوانهِ الى حين خروجهِ فيسير بين يديهِ الف غيرهم وعند وجوده بقصر منامتهِ يحرس بابهُ الف ايضًا وقيل ايضًا ان السرير الذي كان يجلس عليهِ في ايوانهِ من الذهب الابريز الخالص يبلغ ثقلهُ عشرين قنطارًا وجميع ما حواليهِ من الكراسي المعدة لرجال دولتهِ ووزرائهِ هو من الذهب ايضًا وبالاختصار ان الملك كسرى

انوشروان كان اغنى ملوك العالم وكان يحب الرفعة والزخرفة والعظمة حتى وصل الى درجة تفوق العقل الانساني

ففي احد الايام دخل سرير منامتهِ وهو يفكر بما وصلت اليهِ دولتهُ وما نالهُ من الحكم وطاعة العباد لهُ وبعد ان استغرق في نومهِ حلم حلماً قبيحاً استيقظ مرعوباً منهُ وخائفاً واقام اكثر من ساعتين قلقاً مضطرباً الى ان عادتهُ سنة الكرى ثانية وما لبث ان راى نفس الحلم وشاهد ماشاهدهُ اولاً فاستيقظ ثانياً مضطرباً اضطراباً عظيماً اكثر من الاول ولم يعد ياخذه نوم قط وهو ينتظر قدوم النهار ليخرج الى ديوانه ويتخلص من اوهام تلك الليلة وليعرض على وزيره بزرجمهر تفسير هذا الحلم لعلمهِ بما هو عليهِ من سعة المعارف والاطلاع على ظواهر الامور وخفاياها فصلاً عن معرفتهِ بلغات العالم اجمع. وعند اتيان النهار واشراق شمسهِ لامعة على اليابسة لبس ثيابهُ وخرج بموكبهِ حسب عادتهِ غير ان الناس كانت تتعجب من خروجهِ في مثل هذا الوقت ولا احد يعلم السبب وبقي سائراً الى ان دخل الايوان وجلس على سريره في صدره وبعث الى حاشيتهِ وبطانتهِ من اهل المناصب والمراتب في ديوانهِ فجاءوا واحداً بعد واحد وعند وصول كل واحد منهم يسجد للملك ويرجع الى كرسيهِ وما منهم من يجسر ان يسال الملك عن حالهِ بل كانوا ينتظرون مجيء وزيره الى ان وصل بختك بن قرقش وبعد ان استقر الى جانبهِ قال لهُ احييت النار سيدنا الملك وخدمتهُ السعادة ورافقهُ الاقبال افدنا عن حالك واجز بامرك وما السبب الى غيظك واضطرابك وكدرك الذي نراهُ يعلو وجهك مع ان البلاد بامان الاطمئنان وما من احد لا من العمال ولا من المجاورين خرج علينا وصحتك جيدة. قال اعلم اني رايت حلماً كدرني واقلقني وبقيت منهُ حتى هذه الساعة مضطرباً لا ارى راحة من نفسي وعلى هذا ثبت عندي ان لا بد لذلك من سبب عظيم واني احب ان استفسر من وزيري بزرجمهر عن هذ الحلم وتعبيره. فقال بختك ان شاء سيدي الملك اخبرني بهذا الحلم واطلعني عليهِ. قال رايت نفسي جالساً في ايواني هذا على سريري الخاص منفرداً عن حاشيتي اشعر بجوع عظيم وتضور جسيم واذ قدّم اليّ مائدة من الذهب عليها صحن من العاج منقوش بالنقوش الفارسية وداخل الصحن المذكور وزة كبيرة مقلوة بالسمن تنبعث منها رائحة شهية تاقت اليها نفسي كل التوق وحركني جوعي الى ان اتناول من تلك الوزة واسد رمقي واذا بكلب هائل المنظر قصير القوائم كبير الراس مدلى الوبر الى حد الارض هجم عليّ ونبح فيّ وكشر بانيابهِ فجفلت منهُ ورجعت الى الوراء وبعد ذلك تقدم من الوزة فاخذها في فمهِ واراد الخروج من ايواني وانا اتحرق واتالم واتململ والجوع ياخذ بي ويزيدني ضعفاً ولا اقدر على استخلاص طعامي من فم الكلب. ومن ثم رايت اسداً عظيماً قد دخل من الباب قبل ان يخرج الكلب منه وحالما وصل اليهِ ضربهُ بيده

القاه ميتاً وتناول الوزة من فمه واعادها اليَّ دون ان يلحق بها كرم . فاستيقظت بعد ذلك من نومي مرعوباً لا اعرف ما القصد من هذا المنام ولا بد من سبب له . فقال بختك لا يرهب سيدي من هذا المنام ولا يخاف فما هو الا من قبيل الاوهام وقد يحدث ذلك كثيرًا للانام ومن المعلوم ان المرء يرى على الدوام مثل هذه الاحلام التي تحدث من قبيل الطعام او من اسباب اخرى لكنها لا تكون ذات نتيجة ولا تدل على امر قط يوجب اضطراب سيدي الملك وتكديره . قال كيف لا وقد رايت الحلم مرتين بنفس المعنى والحالة ولو لم يكن له دليل قبيح لما تكرر ولما كنت ارى في داخلي كدرًا عظيما لا يدرك واحسبان اطردهُ فلا اقدر كانت نفسي تحدثني بوقوع امر يكون علينا في المستقبل وبالاً واني اعرف جيداً ان هذا الحلم لا يفكهُ ويعبره الا بزرجمهر فهو خبير بعلوم العالم وتفاسير اغماضها واما انت فلا معرفة لك بمثل هكذا امر

وبينما الملك والوزير بختك يتخابران بذلك ورجال المملكة يسمعون ما كان من امر الملك واذا ببزرجمهر الوزير قد اقبل ودخل الديوان فوقف له الجميع اعتبارًا واحترامًا وتلقاه كسرى بالترحاب وكأن همّاً سقط عن قلبه باتيانه وحال جلوس الوزير قال له الملك انت تعلم ايها الوزير العاقل الحكيم اني اصطفيتك لي على سواك واتخذتك مدبرًا لجميع احوالي وفوضت اليك الراي الاول واطلقت لك الحرية بامر العبادة وما ذلك الا لمعرفتي بخلاصك واعتقادي بانك صادق القول لا تخفي عني شيئاً ولا ترضى الا ما هو صالحي وصالح بلادي ومملكتي . فقال له ما انا الا عبد مجبول بنعمتكم مغروس بالتفاتكم واكرامكم واني على الامانة لدولتكم ما زلت حيًا وما زلت قادرًا على الوفاء واني الساعة انتظر امركم بما تريدونهُ وتامرون به . قال رايت في الليلة الماضية حلما هائلاً راعني جدًّا واقلقني باضطراب عظيم ولا ارتاح من هذه الحالة التي انا واقع بها الا اذا اظهرت لي تفسير هذا الحلم واخبرتني بنتاجه وما يكون منهُ . ثم ان كسرى انوشروان قص على وزيره المنام الذي تقدم ذكرهُ وقال له فسر تفسيرًا واضحًا ولا تخف عني شيئاً قط واني اشهد عليَّ الجميع صاغياً لك راضياً عنك مهما كان التفسير قبيحًا والعاقبة رديئة حيث نكون على بصيرة ونقدر ان نعرف الطريق التي نقينا اذا كان ثم ضيق او كدر او قحط او حروب او ما شاكل ذلك

ولما سمع الوزير من الملك حلمهُ امعن به واطرق الى الارض برهة وهو يسال الله توضيح الحقيقة واظهار الخفايا وبعد ان بان له كل ما يدل عليه ذاك الحلم وعرف بمساعدة الله سبحانهُ تعالى ما يكون على البلاد رفع راسهُ فقال اعلم يامولاي ان الله سبحانهُ وتعالى وهو الاله الذي نعبدهُ يدبر الكون بمعرفته ويدرب العباد بعنايته لا تاخذهُ سنة الكرى ولا يغفل قط عن امر وقد سبق ان كلم انبياءهُ وغيرهم في ايام بني اسرائيل وملوك الفرس والماديين الذين

تسلطوا عليهم باحلام واظهر لهم ما يريد وما يقصد قبل بزمان كي يعلم الانسان عظم قدرتهِ ومقدرتهِ وما وصلت اليهِ الوهيتهُ ولذلك قصد في هذه المرة ان يظهر لكم ما سيكون على دولتكم وما ياتي عليها قبل بسنين واعوام . فالمائدة التي رايتها وقد قدمت اليك من الذهب الوهاج هي مدينتك وعاصمة مملكتك هذه التي نقيم بها نحن والصحن والوزة التي عليهِ هما خزينتك وسريرك الجالس عليهِ الان والكلب الذي اختطف الوزة هو فارس يظهر في حصن خيبر يطرق بلادك بالعساكر والاجناد والاسد الذي نظرتهُ هو فارس يظهر في بلاد الحجاز عظيم القدر والشان ومعنى هذ الحلم ان الفارس الخيبري يقصد بلادك بعساكرهِ واجناده فيدوخها ويتملكها ويحاصر هذه المدينة وبعد حروب بيننا وبينهُ يملك الكرسي ويطردك من بلادك ويملك عليها وبعد ذلك ياتي الفارس الذي اخبرتك عنهُ من برية الحجاز فيستخلص لك ملكك ويرجعك الى سريرك ويقتل عدوك وهذا الذي رايتهُ وتبينتهُ

وكان الوزير بزرجمهر قد راى علاوة على ما تقدم فلم يقبل ان يخبر بهِ كسرى حرصاً على اراتهِ تعالى لانهُ راى ان الفرس قد اصبحت على شيخوخة الحياة وان الفارس الذي يظهر من الحجاز يرفع نير الفرس عن العرب ويهدم معابد النيران ويقع بينهُ وبين الدولة الكسروية حروب قوية تفضي بهم الى الخراب والدمار ويشر دين الله وعبادتهُ بين عبدة الاوثان وناكري الحق سبحانهُ وتعالى . ولما سمع الملك كسرى من وزيره هذا الكلام وقع في ذهنهِ موقع التصديق وعرف من نفسهِ ان ذلك يمكن وقوعهُ لا بل يتاكد وقوعهُ ولذلك قال لهُ هل يمكنك ان تعرف ايها الوزير العاقل ان كان الفارس العربي الذي اشرت اليهِ قد ظهر ووجد في الحجاز او لم يظهر الى عالم الوجود . قال ان ذلك لا اعرفهُ ياسيدي ولم يظهر لي هذا وما عرفتهُ اخبرتك بهِ . قال الا تعرف في اي مكان من الحجاز يظهر هذا الرجل الذي ان لك انهُ يخلص بلادك من الاعداء . قال نعم انهُ يظهر في مكة وهي البلد الذي تاتي اليهِ العرب في كل عام قياماً بواجبات الزيارة

فامر كسرى في الحال ان تحضر الهدايا الثمينة من جواهر وذهب وامتعة فارسية من كل ما غلا ثمناً وخف حملاً وعرضهُ على وزيره بزرجمهر وقال لهُ اريد منك ان تذهب الى مكة منذ اليوم وتنظر لي مقر هذا الفارس ومن من يلد واذا كان ولد فاين وجودهُ فادفع هذه الهدايا الى ابيهِ ودعهُ ان يربي الغلام على نفقتي ويعتني بهِ ويخصهُ بدولة الفرس ويجعل لهُ كل الاسباب النافعة لحياتهِ تحت طاعتهِ حتى اذا وصلنا الى الزمان الذي اشرت اليهِ يكون في طاعتنا وتحت امرنا فنرسل اليهِ ونستدعيهِ حالاً . فاجاب الوزير امر سيدهِ وركب في نفس ذاك اليوم واخذ معهُ الهدايا والتحف وسار قاصداً بلاد العرب ومعهُ جماعة من قوم الفرس يسيرون

بخدمتهِ وهو مسرور جداً بمسيره الى مكة اولاً لزيارة بيت الله الحرام وثانياً ليرى ويشاهد الذي دلت عليهِ الدلائل بانهُ يكون سعيداً جداً ويملك البلاد ويخلص العرب من ظلم الفرس ويذل الدولة الكسروية ويهدم معابد النيران ويصبح لهُ شان واي شان . وبقي الوزير سائراً حتى وصل الى الحيرة فخرج لملاقاتهِ الملك النعمان وترحب به مدة ايام وسالهُ عن سبب اتيانهِ فاخبره بانهُ يقصد مكة المكرمة . وبعد ان اقام ثلاثة ايام في ضيافة النعمان سار الى مكة مع من معهُ حتى وصلها واذ ذاك بعث رسولها يخبر حاكمها وكان اسمهُ ابراهيم يخاف الله ويتقي جانبهُ عائش على التقوى والعبادة فلما سمع بقدوم بزرجمهر وزير الملك الاكبر خرج بجماعتهِ الى خارج المدينة ولاقاهُ بالترحيب والاكرام وهو لا يعرف الغاية التي جاء لاجلها وزاد لهُ بالتعظيم والاكرام لعلمهِ انهُ من رجال الله وعباده الاتقياء مشهور بالذكاء والاداب والمعارف وانهُ ايضاً وزير الملك كسرى ملك العرب والعجم والترك والديلم ورجع بهِ الى المدينة محمولاً على التاهل والاكرام ولما استقر بهِ المقام وارتاح من اتعاب السفر وانتهت مدة الضيافة المعروفة عند العرب اجتمع الوزير بالامير ابراهيم وقال لهُ هل ان امراتك حامل قال نعم وهي في الشهر الاخير . قال اني بالهامهِ تعالى انيت لاخبرك انها تاتي بولد ذكر كانهُ القمر يرتفع مقامهُ ويعلو شانهُ ويخرج اشجع من كل من حمل القنا ونقل الحسام وركب الجواد . ثم انهُ حكى لهُ ما كان من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان . ففرح الامير ابراهيم بهذه البشارة وسر منها جداً لا سيما عندما علم ان ولدهُ هذا يكون سبب خلاص العرب من العجم وسبب تدمير معابد النيران وقلع آثار الكفار

وبقي الوزير بزرجمهر في المدينة المنورة نحواً من خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر بينما كان مقيماً في ديوان الامير ابراهيم بين عربهِ وقومهِ جاء المبشرون يبشرون الامير بولادة زوجتهِ وان الذي ولدتهُ ذكر فكاد يطير من الفرح حيث ان هذا الولد هو البكر وحيث انهُ سمع عنهُ قبل وجوده في عالم الوجود من الوزير بزرجمهر وكذلك الوزير فرح وعرف ان هذا الغلام هو الذي دلت عليهِ الدلائل وراهُ كسرى في حلمهِ ولذلك خلع على المبشرين الخلع السنية ومثلهُ الامير ابراهيم فانهُ غمرهم بالعطاء واطلق العبيد منهم وجعل ذاك اليوم يوم شكر لله سبحانهُ وتعالى طول ذاك النهار وفي اليوم الثاني اجتمع في ديوانهِ واقام بالافراح وجاء اهل قبيلتهِ يهنئونهُ بالمولود وانتظروا الاتيان بهِ الى الديوان بحسب العادة المألوفة عندهم وهي ان يؤتى بالغلام الى ابيهِ ويعرض عليهِ بين رجال قبيلتهِ وقومهِ ليراهُ الجميع . ولم يكن الا القليل حتى جيء بالغلام محمولاً على ايدي العبيد وقدم الى ابيهِ اولاً فاخذه ونظر في وجههِ وقد تعجب من كبر جسمهِ وحسن طلعتهِ وبهاء جبهتهِ لانهُ كان بديع الصورة جداً لا يوجد اجمل منهُ في رجال زمانهِ وبعد

ان قبلهٔ قدمهٔ للوزير بزرجمهر فاخذه وامعن النظر في وجهه وجعل يسبح الله سبحانهٔ وتعالى على ما يخلق وما يفعل وتاكد كل التاكيد سعادة ذاك الغلام وحسن استقبالهِ وثبت عنده انهٔ هو الاسد الذي راه سيده في حلمِهِ ثم التفت الى الامير ابراهيم وقال لهٔ اوصيك ايها الامير الكريم على مسمع من جميع رجال قومك بالاعتناء بهذا الغلام وبتربيتهِ تربية جيدة وتهذيبهِ وتعليمهِ كل العلوم لانهٔ هو نفسهٔ صاحب السيف والقلم والبند والعلم والذكر الحميد الذي يشتهر بين العرب والعجم . واني ما اتيت هذه البلاد الا لاجل رويتهِ والبحث عنهٔ ليكون على اسم الدولة الكسروية فكل ما اتيت بهِ من قبل الملك الاكبر هو على اسمهِ ولاجل نفقتهِ . فقال الامير ان هذا ولدي وملزوم بالاعتناء بهِ ولا سيما انك اخبرتني بمستقبل حياتهِ بما اعطيت من الحكمة والعلم والتقاوة فسمهِ بالاسم الذي تريده . قال ان اسمهٔ حمزة

وكان يعرف بزرجمهر ان ذاك اليوم يوم سعيد وان كل مولود يلد بهِ يكون سعيدًا فامر ان يوتى بكل ذكر ولد في نفس ذاك اليوم في تلك المدينة الى الديوان وبالقضاء والقدر والتدبيرات الالهية كان ولد في اليوم نفسهِ ثمانمائة غلام ذكر فاتي بالجميع الى بين يدي الوزير فجعل يسمي كل واحد باسمهِ ويدفع لابيهِ الاموال ليربيهٔ على نفقة الملك كسرى ويكتب اسمهٔ عنهٔ ويوصي بهِ حتى فرغ من الجميع وبالصدفة والعناية كان احد عبيد الامير ابراهيم متزوجًا بجارية سوداء وكانت حامل وهي في الشهر السابع اي لم يتم حملها بعد فلما راى ان الوزير يدفع الاموال الى آباء الاولاد لاجل ان يربوهم على نفقة الملك كسرى ويكتبوا من رجالهِ من ذلك اليوم لعب بهِ الطمع واخذهُ الحسد فركض الى زوجتهِ وقال لها ان الوزير يدفع الاموال لمن يلدون اليوم فلدي الان عساكِ تاتي بذكر فيكون لنا الخير العظيم فقالت لهٔ ليس الان وقت ولادتي وكيف يمكن ان الد اليوم والله لم يسمح بعد فحنق منها واخذ دقر الباب وضربها بهِ على ظهرها وهي تصيح وهو يضربها ويعذبها حتى سقط الولد واذا هو ذكر اسود فاسرع في الحال وقطع سرتهٔ ولفهٔ بخرقة عتيقة والدم يغطي كل جسده واسرع الى الوزير بزرجمهر وكان احد جيرانهِ قد سبقهٔ واخبر الامير ابراهيم بما وقع بينهٔ وبين زوجتهِ وكيف انهٔ تركها مغمى عليها ملوثة بالدماء معذبة بالاوجاع . فلما وصل امر الامير ابراهيم ان يوخذ الغلام منهٔ ويضرب الضرب الوجيع وقال لهٔ الا تخاف الله وتتقي جانبهٔ كيف تفعل هكذا افعال . فامر الوزير ان يقدم اليهِ الولد فقدم ونظر في وجههِ متمعنًا وفي الحال امر ان يطلق العبد وقال للامير ان ذلك من الله سبحانهٔ وتعالى ليكتب هذا الغلام من رفاق ابنك حمزة ويكون لهٔ ساعدًا قويًا عند ضيقاتهِ ويخلصهٔ على الدوام عند وقوعهِ في الشدائد والمصاعب فخذهُ وربهِ مع ابنك واعتنِ بهِ كل الاعتناء فهو عصا ابنك يتوكأ عليها في حياتهِ وبمناجة في كل اوقاتهِ وكان وجه هذا

الغلام صغيرًا مستديرًا واعينهُ ايضًا صغيرة جدًا مستديرة كانها الثقوب ويديهِ ورجليهِ صغيرة دقيقة جدًا اشبه بالحيطان لانهُ لم يكن كامل البنية فاجاب الامير طلب الوزير ودفع الغلام الى المراضع ليكرن على الدوام مع ولده وقد سماهُ عمر وهو عمر العيار ويكون عيار الامير حمزة كما ياتي معنا ان شاء الله

وبعد ان انتهى الوزير من كل عملهِ ولم يرَ بعد من وجوب لاقامتهِ في مكة المطهرة ركب بقومهِ وودع الامير ابراهيم ورجال قبيلتهِ وخرج من هناك قاصدًا بلاده اي المدائن وبقي سائرًا مدة ايام وقد مرَّ على الحيرة ونزل ضيفًا على النعمان عدة ايام وقد اخبره بما كان لهُ في مكة. وعند وصولهِ الى بلاد الاعجام دخل على الملك كسرى وبشرهُ بكل خير وسعادة وتوفيق وحكى لهُ عن النجاح الذي صادفهُ وقال لهُ ان وصولي الى مكة كان قبل ولادة هذا المولود الذي كان نقصد ان نتوصل اليهِ فاقمت الى ان ولد ورايتهُ ورايت ما اعطي من الله من الحسن البديع وما كتب على جبينهِ من الاقبال والسعادة وبعد ان رايتهُ قيدت اسمهُ من رجالك وتبعة دولتك وسميتهُ حمزة العرب واردت ان اكتب كل ذكر يلد في ذاك اليوم من رجالنا واذا انا بثمانمائة غلام ولد في نفس ذاك اليوم وهذا من عجائب الدهر والايام ان يلد في مدينة صغيرة يوم واحد ثمانمائة ذكر دون ان تلد انثى واحدة فعرفت ان توفيق حمزة سبب ذلك ليكون اولئك المولودين من رجالهِ واخصائهِ يركبون بين يديهِ ويسعدون بسعده . قال ففرح كسرى بما سمعهُ من وزيره وانعم عليهِ مزيد الانعام وشكرهُ الشكر الجزيل على اهتمامهِ بامر دولتهِ ودفع المصائب عنها قبل سنين واعوام واقام بعد ذلك مرتاح البال تتقلب عليهِ الليالي والايام وشغل عما تقدم بما اعتاد عليهِ من البذخ واللهو وغير ذلك

واما ما كان من الامير ابراهيم امير مكة فانهُ اقام على الاعتناء بولدهِ وهو مسرور على الدوام بما سمعهُ من الوزير من ان ابنهُ يكون السبب في خلاص العرب من الاعجام وبعزز الدولة العربية ويبيد الدولة الكسروية وكان يعتني ايضًا بتربية عمر ابن العيار لعلمهِ انهُ سيكون بخدمة ولده ونافعًا لهُ كما اشار بزرجمهر الى ان مضى على حمزة اربعة اعوام وكان الذي يراه يظنهُ ابن عشرة اعوام لامتلاء جسمهِ وطول قامتهِ ونمو الهيبة والوقار اللذين كانا يلمحان على الدوام فوق جبينهِ وبعد تجاوزه سن الاربع سنوات دفعهُ الى معلمين ومهذبين يتعلم العلوم ويتربى التربية الجيدة الحسنة على التقوى اولاً وعبادة الله وثانيًا على التهذيب وتعليم العلوم النافعة واخذ في ان يندرج في العمر ويعي على نفسهِ يومًا بعد يوم وكلما تقدم بالعمر تقدم بالمعرفة والادراك وعمر ابن العيار كان لا يفارقهُ مطلقًا وهو يدعوه باخيهِ وقد احب بعضهما حبًا عظيمًا ولم يقدر احدهما على مفارقة الاخر بل يبذل كل جهده لاجل مراضاتهِ وراحتهِ وكان عمر سريع

الجري لدقة ساقيهِ وهزال جسمهِ وكان قوي العصب تولع من حين صغره بالركض والقفز من المحلات العالية حتى اعتاد عليها وصار افة من افات الزمان وما وصل سنهُ الى العشرة اعوام حتى صار يحسب من اسرع العيارين واشدهم وقد تعلم رمي النبال حتى اصبحت نبلتهُ لا تخطىء مطلقًا وكان يسطو على البساتين ويتعدى على الاولاد في الشوارع والازقة والناس تشكوهُ الى حمزة كونهُ يبقى معهُ على الدوام وهو لا يلتفت الى شكاويهم لصغر سنهِ وهم لا يخبرون بذلك الامير ابراهيم خوفًا منهُ الى ان كان ذات يومًا فاتى بالقريب من بستان نظر داخلهُ شجرة رمان كبيرة الثمن فاعجبتهُ وقال لا بد ان اخذ لاخي حمزة منها واقدم لهُ من هذا الثمر لانهُ لذيذ وحالما تصور في ذهنهِ هذا التصور ضرب رجليهِ بالارض فارتفع الى اعلى الحائط ووضع يديهِ عليهِ وقلب فجاء في الداخل كانهُ العفريت غير ملتفت الى صاحب البستان وركض الى شجرة الرمان فتسلقها وجعل يقطف من ثمرها ويضع في عبهِ وبينما هو على مثل ذلك واذا بصاحب البستان قد وقف تحت الشجرة وراهُ فوقها فصاح بهِ وقال لهُ ويلك ياعبد السوء اني في كل يوم اجيء لبستاني فارى الاشجار مكسرة والاثمار منهوبة ولا اعرف من الذي يفعل ذلك حتى رايتك الان ولا بد من ضربك والانتقام منك على ضرري . فقال لهُ اني ما اتيت بستانك الا هذه المرة فقط . فقال لهُ اتيت كثيرًا فانزل من الشجرة والا صعدت اليك ورميتك من اعلاها فقفز باسرع من البرق من اعلى الشجرة الى الارض والرمان يلىء عبهُ وقبل ان يتمكن الرجل من الدنو منهُ اخذ قبضة رمل من الارض واحكمها الى وجههِ فوقعت في عينيهِ حتى كادت تعميه وفرَّ هاربًا من امامهِ ونجا بنفسهِ

وبقي الرجل يتوجع ويتمرمر من فعل عمر وهو يتمنى ان يكون قد قبض عليهِ ليقتلهُ وصرف اكثر من ساعة ينفض الرمل من عينيهِ ويغسلها ولما صار يقدر على النظر الى الطريق سار الى ديوان الامير ابراهيم ودخل عليهِ وهو على تلك الحالة وشكى الغلام عمرو وما فعل معهُ وانهُ لم يكفهِ تكسير اشجاره وسرقة اثماره حتى رمى الرمل بعينيهِ فكاد يذهب بصره فاغتاظ الامير عند سماعه هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وامر ان يوتى بعمر في الحال فسار خلفهُ احد العبيد وكان عمر وصل الى اخيه حمزة ودفع اليهِ الرمان فقال لهُ من اين هذا فحكى لهُ قصتهُ مع الرجل ولم يخف عنهُ شيئًا فلم يسع حمزة الا الضحك واخيرًا لامهُ على ذلك وقال لهُ ان مال الناس محفوظ وليس من حقنا التعدي عليهِ وقد اوصيتك مرارًا بان لا تتعدى على احد فقال لهُ اني اريد ان اطيعك لكني رايت هذا الثمر الشهي فتاقت نفسي الى ان اطعمك منهُ واذا لم احضر لك منهُ لا يرتاح بالي ولا يطيعني قلبي وفي تلك الساعة وصل اليهِ رسول ابيهِ وقال لهُ ان اباك ارسلني لاخذ لهُ عمر فعرف حمزة سبب ذلك وانهُ كان بطلب من الرجل صاحب البستان ولذلك

نهض هو معهُ وسار وعمر بين يديهِ الى ان دخل على ابيهِ وقبل يديهِ ثم تقدم عمر واراد ان يقبل يديهِ ايضاً فمنعهُ وقال لهُ كيف تتعدى على اموال الناس وتقرب مني ثم امر خمسة من العبيد ان يهجموا عليهِ ويلقوهُ الى الارض ويضربوهُ خمسين صوطاً فاحاط بهِ العبيد وحاولوا التمكن منهُ فلم يقدروا وهو يدافع عن نفسهِ وقد صاح مستجيراً باخيهِ حمزة. ففي الحال لعبت بهِ النخوة واخذتهُ المروءة ولم يفكر بابيهِ فانقض على العبيد واخذ واحداً بين يديهِ ورفعهُ الى فوق راسهِ وضرب بهِ الباقين فوقع على اثنين اماتهما ومات هو ايضاً. فلما راى ذلك الامير ابراهيم لعب بهِ الغضب من فعل ابنهِ وتكدر مزيد الكدر وصاح بهِ اتخرق حرمتي ولا تراعي تجلتي فوحى حمزة على فعلهِ وسكت ولم يجب بكلمة فاراد اباه ان يودبهُ فقام اليهِ السادات ومنعوهُ وسالوهُ فيه وهم يتعجبون من عملهِ مع صغر سنهِ وتقدم حمزة من ابيهِ وسالهُ السماح وقال لهُ ان الحدة قد فعلت بي ذلك وانا اعلم ان عمر مظلوم بضربه لانهُ لم يقصد سرقة الرمان الا لاجلي وحكى لهُ السبب الذي حملهُ على النزول الى البستان وانهُ كان في وسع الرجل بعد ان عرفهُ ان يسكت عنهُ لعلمهِ بانهُ اخي وياتي اليَّ فامنعهُ من العود ثانية الى البستان ولا سيما انهُ قاصر وما على القاصر من حرج. وفي الحال اصلح السادات امر الرجل وارجعوهُ من الديوان واستعطفوا بخاطر الامير على ولده وعمر فسمح عنهما وارجعهما الى مكان اقامتهما وامر ان تدفن العبيد الثلاثة الذين ماتوا من حمزة فدفنوا

وبعد ذلك بيوم اي في اليوم الثاني اتفق سادات المدينة وجاءوا الى الامير ابراهيم وسلموا عليهِ وجلسوا بين يديهِ وبعد ان استقر بهم الجلوس قالوا لهُ اعلم ايها الامير اننا لا نزال نتذكر كلام الوزير بزرجمهر وما اشار اليهِ من امر ابنك الامير حمزة وقد ثبت عندنا ذلك بما رايناهُ منهُ في الامس فهو وان كان لا يبلغ سن العشر سنوات فقد فعل فعلاً لا تفعلهُ الجبابرة ولذلك ترانا الان باتفاق وقد جئنا اليك لنعرض عليك ذلك ونسالك ان تعلم ابنك فنون القتال وتعوده على ركوب الخيل لكي يتم ما سبق بارادته تعالى وقيل عنهُ وهو انهُ يخلص العرب من العجم ويرفع عنهم ذاك النير الذي تحملوهُ زماناً طويلاً. فقال لهم لقد اصبتم بذلك واني كنت افكر فيهِ على الدوام واحب ان ابقيهُ الى ان يبلغ سن الخامسة عشر من العمر الا ان ما فعلهُ بالامس كافٍ ليظهر لي قوتهُ ووجوب تعليمهِ. ثم امر ان ينصب ميدان في خارج البلد من سادات القبيلة وفرسانها ويجيء اليهِ كل من اراد فخرج الكبير والصغير وذهب الجميع الى هناك اي الى الساحة التي عينها الامير وبعد ذلك حضر حمزة ومعهُ عمر العيار ولما صار امام ابيهِ قبل يديهِ وسالهُ ماذا يريد. قال لهُ اعلم ياولدي ان اعداءنا كثيرون ومن صفات العرب ان يتعلموا فنون القتال اذ ما من مهنة لهم غير هذه ولا سيما روساء القبائل وساداتها لانهم

يلتزمون بالدفاع عن القبيلة لدى الغارة ومن كان اشد باسًا كان له على الدوام الفوز والنجاح ولذلك قد عينت هذا المكان يقام فيهِ كل يوم سوق طراد ولعب وفي قصدي ان نتعلم فنون الحرب وتتخرج بها عسى ان الله يرزقنا على يديك فرجًا ننتظرهُ . فاظهر حمزة فرحهُ من ابيهِ وقال له هذا الذي اريده وطالما كانت نفسي تتوق اليهِ

ثم امر الامير ابراهيم ان يقدم الى ولده جواد من خيولهِ فقدم له وركب عليهِ واطلق له العنان فكان على ظهره كقطعة من حديد واخذت الفرسان تحتاط بهِ من كل مكان وتركض امامهُ بخيولها فيتاثرها ثم ينطلق امامها فتتاثره وهو كانهُ الاسد الكاسر وصرفوا ذاك النهار على تلك الحالة واليوم الثاني الى مدة شهر حتى تعلم كامل فنون اللعب على الخيل حتى كان ينزل الى الارض باسرع من البرق ويعود الى ظهر الجواد وهو غائر لا يقف قط ويختفي تحت بطنهِ وعنقهِ ويستتر بهِ من كل جهاتهِ وهو راكض ففاق بذلك على كل من ركب جواد ومن ثم انعكف يتعلم فنون السلاح والقتال بها وما مضت مدة الا واتقن كل ذلك واصبح في اعلى درجة وبسالـة ولم يعد يصعب عليهِ باب من ابواب القتال وتعلم الجميع واخيرًا امر الامير ابراهيم ذات يوم ان ينصب ميدان يتالف من سائر فرسانهِ لامتحان ولده فاجتمع خلق كثير في ذاك الميدان من شبان وغلمان وشيوخ ونساء وبعضهم للفرجة وحينئذٍ اقبل الامير حمزة وهو فوق جواده كانهُ البرج الحصين ضارب على وجههِ لثامًا لا يظهر من تحتهِ الا عيناه وهي تقدح كانهما الجمر وعلى راسهِ خوذة من الحديد ومدجج بالسلاح من راسهِ الى وسطهِ ينقل رمحًا من الزان مسنون الاسنان وسيفًا عريضًا يضرب على جنبهِ . وبين يديهِ عمر كانهُ النار ذات الشرر يسبق بمسيره الخيول ولما وصل الى ذاك الميدان تقدم من ابيهِ فقبل يديهِ وقال له اني اسالك امرًا يا ابي ولا اريد ان تمنعني عنهُ قال ماذا تريد . قال اريد منك ان تامر فرسانك وابطالك باجمعها لتكون في جهة واحدة واكون انا وحدي في الجهة الثانية فمن اصابتهُ جريدتي خرج من الميدان ومن اصابتني جريدتهُ كان له عليَّ حق التقدم وبعد ان يفرغ الجميع نعود الى الضرب بالرماح فمن علمت عليهِ او وصل رمحي اليهِ انعزل من الميدان فاستعظم الامير ابراهيم هذا الطلب وقال له ان ذلك يغيظ قومنا وانك لا تقدر على ما تقول ويصعب على كل امير وفارس ان يقاتل وحده مئات مع انك لم تقاتل قبل الان ولا حنكتك الوقائع والاهوال . فقال ان قومنا اذا راوا ما راوا مني يسرون وسوف تنظر بعينيك ما افعل امامك فاجابهُ ابوهُ الى سوالهِ وامر ان ينفرد ابنهُ الى جهة واحدة وجميع الفرسان الى ثانية وهكذا كان وما مضت الا دقائق قليلة حتى قام سوق اللعب ودار حذف الجريد وجعل الامير حمزة يضرب بجريدتهِ فيصيب بها الرجال وكلما رمى بجريدتهِ واصابت رجلاً يختطف عمر فيلتقطها قبل ان تصل الى

الارض ويبعدها اليهِ باسرع من لمح البصر والفرسان تنحدر اليهِ من كل مكان وترميهِ بعصيها فيضيعها بمعرفتهِ فتتخطاهُ ولا تصيبهُ وبقي على مثل ذلك وهو يصيب الرجال وعمر يقمز كالغزال ويدخل من تحت بطون الخيول ويسرع الجري من جهة الى جهة لا يدع جريدة اخيهِ تلحق الارض الى ان صار نصف النهار واذا بهِ قد اصاب جميع الفرسان واعتزل الجميع من الميدان وقد اخذتهم الدهشة والانبهات وكبر باعينهم جدًّا وذهبت بهم ذواهب العجب وحينئذٍ القى جريدتهُ من يده وتناول رمحهُ فاقلع منهُ السنان وطلب براز الفرسان ان يبرز اليهِ الجميع بوقت واحد

وكان ابوهُ قد اندهش مما شاهد منهُ وعمّ قلبهُ فرحًا ولذلك امر ان تنزل اليهِ الفرسان وتجيب طلبهُ فيما يريد فصاحوا وهجموا عليهِ من كل مكان فالتقاهم بثبات عزم وقوة جنان وجعل يطعنهم برمحهِ فيصيبهم ويعزلهم من الميدان وما احد منهم قدر ان يتمكن منهُ بضربة او يصل اليهِ بطعنة لانهُ كان ينحذف الى الارض ويقمز الى ظهر الجواد باسرع من البرق ويضيع طعن الرماح في الهواء وعمر يدور من حواليهِ كاللولب ويسبق الجواد على الدوام ويجفل خيول الفرسان وما انقضى النهار حتى كان فرغ من الجميع واذ ذاك نزل عن جواده وتقدم من ابيهِ وقبل يديهِ فاخذه الى صدره وقبلهُ وهو يذرف دموع الفرح ويشكر الله على ما كان من ولده وتوسم فيهِ الخير وصح عنده ما كان قال لهُ بزرجمهر ورجع من الميدان مسرورًا فرحانًا ينتظر الزمان المناسب لاشهار ولده وانفاذ مقاصده وما بعثهُ الله لاجلهِ وكذلك كل فرسان القبيلة من الكبير الى الصغير فانهم احبوا الامير حمزة وتمنوا ان يكونوا على الدوام بين يديهِ وقالوا لبعضهم ان كان وهو ابن اثنا عشرة سنة يفعل هذه الفعال فكم بالحري اذا بلغ مبالغ الرجال . وكان الثمانمائة غلام الذين ولدوا يوم ولادتهِ تعلموا الحرب والطعن والضرب بحسب ما كان اوصى الوزير اباءهم فحضروا الميدان مع من حضر في ذاك اليوم وما منهم الا من احب ان يخدم الامير حمزة ويتقرب منهُ ويحوز على رضاه

ومن ذلك الحين اخذ الامير حمزة يخرج للصيد والقنص مع عمر العيار ويتوسع في البراري والادغال وقد اخذه بذلك ولع عظيم حتى صار في كل يوم يخرج ولا يتاخر يومًا واحدًا وهو ياتي على الدوام بالوحوش والغزلان وكلما وقع في طريقهِ قتلهُ وجاء بهِ او مسكهُ للفرجة وعرضهُ على ابيهِ فاتفق ذات يوم انهُ خرج وبين يديهِ اخوه عمر منطلق كالشهاب واوسع في القفار وبعد عن الديار لان الوحوش كانت قد جفلت منهُ وبعدت والتجئت الى الكهوف والمغائر وفيما هو على ذلك راى اسدًا رابضًا في تلك الناحية واعينهُ تقدح شرار النار ولما راه عمر قال لاخيهِ ارجع بنا ولا تعرض نفسك بالخطر للتقدم الى الامام والا هجم علينا الاسد وافترسنا فصاح فيهِ

وقال لهُ ويلك يا وجه القرد اتخاف من هر البرية وتريد ايضًا ان تخيفني منهُ فما الاسد لديَّ الا كالارانب التي اصطادها في كل يوم. ثم انهُ نزل عن جواده واخذ سيفهُ بيدهِ وتقدم الى جهة الاسد يطلب قتالهُ . فلما راهُ الاسد وقد جاء اليهِ مشهرًا السيف لعب بهِ الحنق فوثب واقفًا وقد هرَّ هريرًا قويًا وكشر بانيابهِ ولاح بذنبهِ ونفخ بانفهِ وانقض على الامير حمزة وفي نيتهِ ان يفترسهُ ويجعلهُ قوتهُ في ذاك اليوم فلم يمكنهُ من ذلك ولا ترك لهُ مجالاً لنوال غايتهِ او للتوصل منهُ بل اسرع اليهِ بضربة حسام وقعت على ام راسهِ شقتهُ الى كتفهِ فوقع الى الارض قتيلاً يتخبط بدمهِ وبعد ذلك دنا منهُ وكان يسمع ان من ياكل قلب السبع يقسى قلبه فيصير كقلبهِ ولذلك شقهُ الى بطنهِ وبرك ياكل من قلبهِ وعمر ينظر ويتعجب وتقدم فاطعمهُ من لحم الاسد وقال لهُ كل منهُ يشتد قلبك ويقسى فقال لهُ والله العظيم ان عملك هذا يستحق الفخر لان يندر من يقتل اسدًا او يجسر ان يقف امام اسد من بني الانسان . ثم تقدم بعد ذلك واخذ ياكل من جسمهِ ومن قلبهِ مع حمزة حتى امتلأ بطناهما وشبعا ومن ثم رجعا الى جهة المدينة وفيما هما على الطريق قال حمزة لعمر اذا وصلت المدينة لا تخبر قومنا بقتل الاسد لئلا يضحكوا علينا ويظنوا باني اباهي بقتل كلاب البر وذلك عار عند العرب فوعده عمر بان لا يخبر احدًا بذلك . ولما وصلوا الى المدينة جعل عمر يخبر من راهُ ان اخاهُ قتل اسدًا في المكان الفلاني والناس تتعجب منهُ ومن عملهِ ولم يهن على حمزة ذلك فلام عمرًا عليهِ فقال لهُ ان مثل هذا الامر لا يمكن اخفاؤُهُ . ووصل الخبر الى الامير ابراهيم فاستدعى بولده وعمر وسالهما عن قتل الاسد فحكى لهُ عمر كل ما وقع لهما في البرية فتعجب من ذلك ولام حمزة وقال لهُ لا عدت تخرج الى البر خوفًا من ان تلتقي ذات مرة باسد لا تقدر عليهِ او تقع في تهلكة اخرى . فقال لهُ سادات قومهِ لا تخف عليهِ ايها الامير فان الله اعطاهُ هذه البسالة والشجاعة ليس فقط لروح الانسان بل لكل طاغ وباغ ولو لم يكن الله يقصد هلاك هذا الاسد لما بعث اليهِ بابنك . ولا سيما ان الله وعده بطول العمر وبالفوز على الاعداء كما اشار في قديم الايام الوزير بزرجمهر اي انهُ يكبح دولة الفرس ويخلص العرب من هذا النير الثقيل الذي حملناهُ زمانًا طويلاً . فعرف الامير صدق قولهم وتاكد ان ابنهُ يبقى الى زمان طويل بمساعدة الله تعالى ويكون لهُ الاسم الاول في ايامهِ

وبقي الامير حمزة يخرج الى الصيد مع عمر في كل يوم لانهُ كان كما تقدم تولع بهِ وصار لا يقدر ان يرجع عن هذه المهنة قط لشدة ولوعهِ فذهب ذات يوم مع اخيهِ عمر وسارا في طريق غير الطريق الذي كانا يسيران فيهِ قبلاً وبعد ان بعدا بهِ وقد حمي البر واشتد الحر طلبا الماء لشدة العطش فلم يريا قط عين ماء ولا نبعًا يسيل منهُ الماء وطافا في كل الجهات فلم يقدرا حتى اشتد العطش على الامير حمزة وكادت تنقع مرارتهُ فصاح بعمر وقال لهُ ويلك من اين

تجد الماء الان فاني هالك لا محالة ولا طاقة لي على الصبر فاني اشعر ان بجوفي لهيب نار وهو كالاسفنجة فنقطة ماء تحييني . فقال له اني اجيئك بالماء بعد قليل فاذهب انت الى تحت شجرة واستتر بظلها من حرا الشمس وانتظرني الى ان اعود اليك بالماء . ثم انه اطلق ساقيه للريح وباسرع من البرق غاب عن العيان وسار حمزة الى تحت شجرة كبيرة هناك وقبل ان يصل اليها لاح له فارس عن بعد يتقدم الى جهته وهو راكب فوق جواد ابيض كالثلج وتحته قربة من الماء فتاقت نفسه الى شربة ماء فسار الى جهة الفارس وفي نيته ان يطلب منه الماء فاذا امتنع اخذ بالغصب عنه وعند وصوله اليه وجده بلحية بيضاء كالثلج يتدفق منها النور وعليه من الهيبة والوقار والعظمة والجلال ما لم يره في غيره من البشر ومع انه اخذ بذلك المنظر المهيب لم يتاخر عن طلب الماء لاحياء نفسه فصاح بذاك الفارس وقال له اني عطشان واريد شربة ماء اما بالرضا واما بالغصب . فاجابه الفارس برواق وهدو وفصاحة لسان وعذوبة كلام وقال له قف مكانك فهذا الماء هو لك واعرف من امامك . فزاد اعجابه مما سمع ولم يجسر ان يتحرك من مكانه ولا سيما عند سماعه ان هذا الماء هو لك . فقال من انت ياسيدي ومن اين عرفت اني عطشان حتى جئتني بالماء . قال له اعلم اني انا الخضر الاخضر ابو العباس (عليه السلام) اعرف ما حدث وما يحدث فاقرب اولاً من هذه القربة واشرب فماؤها لذيذ جداً وبعد ان تروي عطاشك احدثك بحديث ذي شان جئتك لاخبرك به الان فارتاح حمزة عند سماعه ان الذي يكلمه هو الامام الاعظم فاطاع قوله ونزل عن جواده وتقدم فشرب من القربة واكتفى ورجع الى الوراء ووقف بادب وقال له اسمح لي عما صدر مني وكن ساعدي ومعيني في حياتي وغوثي عند ضيقتي . فقال له اني مجيبك باذن الله تعالى على الدوام وقد اتيتك الان لاخبرك انك انت هو الرجل الذي يرتفع به شان العرب في هذه الايام ويتخلصون من مظالم الفرس على يديك وتذل الدولة الكسروية الى اخر الايام لان الله لا يحب ان تذل هذه الامة لمقاصد له فيها وسوف يعززها ويكرمها ويرفع مقامها فيما ياتي بعدي من الايام . لكن في البداية تكون معيناً لكسرى وترفع عنه الشدة . ثم ان الخضر حكى لحمزة عن حلم كسرى وما يكون منه وكيف يخرج عليه فارس خيبري يتسلط على بلاده فياتي هو ويخلص له البلاد منه ويعيده الى كرسي ملكه

وبعد ان اخبره بكل ما يكون له في حياته قال له ارجع الان الى ابيك واطلب منه ان يسلمك الذين ولدوا يوم ولادتك وهم ثمانمائة غلام فاجعلهم رجالك الاخصاء واعتني بهم وعلمهم بنفسك كل فنون الحرب التي تنفعهم واجعل قيامهم وقعودهم بين يديك فهم وجدوا لاجل هذه الغاية واذا غزوت قبيلة عاصية او قاتلت ملكاً على غير دين الله فيكونون رفاقك . واخذ

الخضر يزيد له في حال حياتهِ وحمزة مطرق الى الارض الى ان فرغ فاراد حمزة ان يقبل ايديهِ ويدنو منهُ فغاب عن عينيهِ ولم يعد له اثرًا وضاعت رائحة البخور من بعده بما يشرح الصدر وبقي حمزة مبهوتًا واقفًا فرحًا من نفسهِ وبينما هو كذلك واذا باخيهِ عمر قد اقبل يركض حاملاً وعاء ماء على عاتقهِ فوجده على تلك الحالة فظنهُ يفعل ذلك من العطش فدفع اليهِ الماء وقال له خذ فاشرب وارو عطاشك . فقال له لا حاجة لي بعد للماء فان الله بعث لي ماء لذيذًا كل من يشرب منهُ لا يعطش الى الابد . قال من اين لك الماء وانت باقٍ مكانك لا تخطو خطوة واحدة فحكى له ما كان بينهُ وبين الخضر عليهِ السلام وكيف حضر عليهِ وسقاهُ الماء . فتعجب عمر من ذلك واندهش وقال ان كان هذا الغوث وعدك بالمساعدة فانك لا تخشَ مكدرًا فهو قادر على اغاثتك ومعونتك في كل حياتك

ثم انهما رجعا الى المدينة وقلباهما موعبان فرحًا ومسرة وانتبه حمزة الى نفسهِ اكثر فاكثر وعمد الى ترك الصيد والاعتناء بالذين اخبره عنهم الخضر ان يتخذهم اخصاء له وعند دخولهِ الى المدينة جاء الى ابيهِ وهو في ديوانهِ وطلب اليهِ ان يسلمهُ الثمانمائة غلام الذين ولدوا يوم ولادتهِ ليكونوا عنده فسالهُ ابوهُ عن السبب فاعاد عليهِ القصة بتمامها من الاول الى الاخر وما دار بينهُ وبين الامام الاعظم وكيف وعده بالمساعدة والاغاثة ففرح ابيهِ بهِ وتعجب من محبة الله سبحانهُ وتعالى لولده ولرجاله وكيف انهُ يريد ان يجعل الفرج للعرب على ايديهم وردع ملوك الفرس وغيرهم من كبار ملوك العالم بواسطة ولده هذا الحقير الذي لا يجمع تحت رايته الاشرذمة قليلة . وفي الحال احضر الشبان المذكورين وكانوا لا يزالون مردانًا اي لم ينبت الشعر قط بوجوههم ودفعهم اليهِ فاخذهم الى خاصتهِ وعقد لنفسه عليهم وجعل يمتحنهم في ميدان الحرب والطعان ويدربهم على الثبات ومن كان منهم ناقص المعرفة اثناء القتال مال اليهِ وعلمهُ ما يحتاجهُ حتى خرّج الجميع ابطالاً اشداء وراى عمر فعل اخيهِ حمزة وكيف انهُ اتخذ لنفسه جندًا وقام عليهم فارسًا اراد هو ايضًا ان يجاريهُ بذلك فانتخب لنفسه هو ايضًا اربعين غلامًا وجعل يعلمهم العيارة والزندقة وابواب الحيل والخداع وضرب المال وكل ما هو من هذا الباب . ومن ذلك الحين بدا الامير حمزة ان يقصد القبائل وينزل على الغدران والمناهل فمن تعرض له او طمع بهِ قتلهُ وسبى قومهُ ونهب رجالهُ حتى انتشر صيتهُ وطار بين العرب وانتقل من مكان الى مكان فصار ا ركب وسار وحدهُ في البراري وصادفهُ عشرة الاف فارس يعرجون عنهُ ولا يتعرضون له اذا عرفوهُ وتاكدوا انهُ الامير حمزة ابن الامير ابراهيم خوفًا من سطوتهِ وباسهِ وعلمًا منهم انهُ من اشراف العرب وساداتهم اصحاب البيت الحرام

وفي ذات يوم خرج على حسب عوائده وطرق رجال قبيلة من قبائل العرب كانت قد

تعدت على بعض قومهِ يقال لهم بنو الاجدل فغار عليهم ونهب القبيلة برمتها واخذ ما وصلت اليهِ يده من النوق والاغنام وعاد كاسبًا منصورًا بعد غيابهِ عن مكة عدة ايام وحالما وصل الى ضواحيها وجد خيامًا مضروبة هناك وعندها جماعة من الجند يظهر ان بعضهم من العرب وبعضهم من العجم فارسل اخاهُ عمرًا في الحال ان يكتشف لهُ خبرهم وما الداعي لنزولهم في ذلك المكان . فانطلق عمر اليهم وعاد في الحال وقال لهُ ان سكان هذه الخيام هم من العرب والاعجام وقد جاءوا حسب العادة لاجل ان يجبوا الاموال ويرفعوها الى كسرى فالعرب من جماعة النعمان بن المنذر والاعجام هم جماعة كسرى انوشروان . فقال الامير حمزة اني اسمع بذلك على الدوام واعجب كيف ان الاعجام يجسرون على المجيء الى بلاد العرب والعرب هم اشد باسًا واقوى مراسًا معتادون على الحروب وملاقاة الاهوال بخلاف الاعجام اصحاب البذخ والتلهي والزينة فما هم الا اشبه بالنساء صفة وقلبًا . فقال عمر اعلم ان العجم كثير والعدد اكثر من العرب وكلهم يجتمعون الى ملك واحد لا تتفرق كلمتهم ولا يقوم منهم قوم على قوم ولا قبيلة على قبيلة كما تفعل العرب الذين دابهم على الدوام التفرق فيغيرون على بعضهم ومن ذلك لا تقوم لهم قائمة لا سيما وان ملكهم النعمان منقاد لامر كسرى انوشروان متفق معهُ على دينهِ . فقال حمزة وما دين النعمان ملك العرب . قال كان من عباد الله ولا يزال انما يجاري الاعجام فيكرم النار ويقدم لها مزيد الاعتبار . فلما سمع الامير حمزة كلام عمر لعب بهِ الغيظ والغضب وقال لاخيهِ هيا بنا نكبس هولاء الاعراب والاعجام ونوقع بهم ونمنعهم مدة ثانية ان يعودوا الى الاتيان الينا او يخطر لهم ان يجبوا مالاً منا لاننا احرار لا نقبل الاذلال وتانف انفسنا الا الطاعة لله سبحانهُ وتعالى واذا اغاظ عملي هذا كسرى ملك الاعجام او النعمان ملك العربان سرت اليهما وقتلتهما وخربت بلادهما ولا اخشى باس احد . فاجاب عمر سوالهُ وفي الحال هجم على الخيام المقيمة فيها الاعجام واوقع السيف فيمن هناك وكانوا آمنين من طوارق الحدثان لا يخطر بفكرهم عملاً مثل هذا العمل حتى راوا الامير حمزة وقد انحط عليهم بجماعتهِ واخذ يقتل ويذبح فيهم وقد اعمى بصائرهم فاضطربوا وارتاعوا ونهضوا الى خيولهم وهم يودون النجاة والخلاص وكان الفائز منهم من قدر ان يصل الى جواده ويركبهُ فارًّا بنفسهِ من وجه الامير حمزة ودام ذلك الى الليل ومن ثم رجع الامير حمزة بعد ان قتل فيهم مقتلة عظيمة والباقون طلبوا الفرار وبعدوا عن تلك الديار ثم انهُ جمع الاسلاب والخيول والخيام وكل الاموال التي كانت فيها وقد جمعت من العرب لترسل الى كسرى ودخل المدينة فرحانًا بعملهِ وبكثرة الاموال التي اغتنمها . ثم انهُ اعطى منها لجماعتهِ كل واحد نصيبهُ واخذ هو الباقي ابقاهُ عنده . وبلغ الخبر الامير ابراهيم وسادات مكة ما كان من امر حمزة فاغتاظوا وحسبوا حساب النعمان والملك كسرى وقالوا لا

بد من انهما يبعثا الينا بالعساكر والرجال بسبب ما كان منا على رجالهما ثم ان الامير ابراهيم دعا بولده ولامهُ على فعلهِ وقال لهُ لا ريب انك جلبت الينا شرًّا عظيما ورميتنا بويل واي ويل وعندي ان من الاوفق ان ابعثك الى النعمان تعتذر اليهِ وترجع اموال كسرى وتزيدها ترضية لهُ واظهر لهُ جهلك قومهُ وانكم ما عرفتوهم قط

فقال حمزة اني اعجب منك يا ابي كيف ان الخوف يتسلط عليك ويضعف لك قلبك اتدفع الجزية وعندك رجال وابطال وابنك حمزة لا يخاف احدًا في هذه الدنيا واني غير مكتف بما فعلت وقد اقسمت الاقسام العظيمة اني لا بد من ان اسير الى الملك النعمان واخرب الحيرة واذبحهُ ذبح الاغنام كيف انهُ يطيع للاعجام ويترك عبادة الله والاصنام ويعبد النار المحرقة مع انهُ عربي ومن الواجب عليهِ ان يكون مع العرب ويسحبها كلها على الاعجام ليقلع منهم الآثار ويمنع ابناء جنسهِ من الذل ودفع الجزية لقوم لا يفرقون بين الحلال والحرام وبعد ان افعل ما افعلهُ في الملك النعمان اسير الى المدائن واخرب الايوان على راس كسرى انوشروان واهدم معابد النيران وادع الجميع اذلاء بسيفي مطيعين لامري عابدين لله سبحانهُ وتعالى. فقال لهُ ابوه ياولدي انك تتكلم عن جهل وعدم معرفة اتظن ان الملك النعمان قليل الانصار والاعوان الا تعلم انهُ ملك ملوك العرب وصاحب الراية الكبرى بينهم او بالحرب لا تعلم ما هو كسرى انوشروان او تظنهُ من بعض روساء القبائل الذين نقصدهم ونقاتلهم وتسلب منهم اموالهم وليس عندهم من الرجال الا خمسمائة او الف رجل على الاكثر فع الى نفسك واعلم ان الملك كسرى اكبر ملوك هذا الزمان يملك ما لا يعلمهُ غير الله سبحانهُ وتعالى ومن المقرر ان عدد عساكره لا ينقص عن الكرات والملايين فمن نحن ومن منا يذكر لدى ذكر الملك كسرى فالتبصر بالعواقب افضل لنا وملافاة امرنا قبل الوقوع بورطة وبلية خير من ان نقع بعظائم الامور فقال لهُ حمزة ان ما فعلتهُ فعلتهُ لا اندم عليهِ قط وما قلتهُ من مسيري الى الملك النعمان واجباره على ترك عبادة النيران لا بد منهُ فلا تطمع نفسك برجوعي عن عملي فاجلس انت على تختك وكن براحة فاذا سئلت فقل ابني حمزة فعل ما فعل ودعهم ياتون اليَّ ويرون ما يسرهم مني. فلما راى سادات مكة اصرار حمزة على قولهِ وشاهدوا غيظ ابيهِ منهُ قالوا لهُ اعلم ايها الامير ان ابنك هو من رجال كسرى وكذلك الذين معهُ وهم يعيشون على حسابهِ فاذا سئلت عما كان من هذا الامر وكيف اوقع بجماعة الملوك فقل لهم ان هذا لا علم لي بهِ وان الذي فعلهُ قومكم ولا ريب ان كسرى يسامح حمزة على فعلهِ لعلمهِ انهُ بحاجة اليهِ كما اخبره بزرجمهر ولا يرضى بقصاصهِ الى ان ينفذ المقدر فاترك ابنك على زعمهِ فعسى ان الله قصد انفاذ غاياتهِ وخلاصنا من الذل كما اخبر وزير كسرى انوشروان. فسكت عند ذلك الامير ابراهيم وسال الله نهاية

الحال على اتم منوال وبات ينتظر ما يكون من امر الاعجام والملك النعمان عند وصول الاخبار اليهما بما وقع من حمزة على قومهما ومالهما

واما الامير حمزة فانهُ بقي مصرًّا على عزمهِ بالمسير الى الحيرة ومحاربة الملك النعمان وارجاعه عن عبادة النار الى عبادة الديان واعلم بذلك قومهُ وقال لهم كونوا على استعداد لنرحل بعد قليل من الايام فاجابوا سوالهُ وقالوا نحن لك وبين يديك فاين سرت بنا سرنا ومن قاتلت بنا قاتلنا ولا نبخل بارواحنا عليك قط فشكرهم على ذلك واقام مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن ركب على مثل هذه النية فجاء اليهِ ابوه وسادات قومهِ وجعلوا ينصحونهُ ويلومونهُ على فعلهِ ويحذرونهُ من شر عملهِ وردائة عاقبتهِ وهو يصرُّ ويمتنع الا السفر الى الحيرة واتمام ما عزم عليهِ. وراى ابوه منهُ المكابرة فلم يقدر على ردعهِ فسلمهُ لله ودعا لهُ بالنجاح وفي ظنهِ انهُ لا يحصل على النجاح التام ولا بد من ان الملك النعمان يقبض عليهِ ويجازيهِ على عملهِ. وركب حمزة وخرج من مكة المطهرة وركب لركوبهِ سائر رجالهِ وهم الثمانمائة فارس كلهم شبان مردان من سنهِ وسار بين يديهِ عمر العيار كانهُ عفريت من عفاريت السيد سليمان ينطلق في ذاك البر فيغيب عن الابصار ثم يعود باسرع من هبوب الرياح الى ان بعدوا عن تلك البلاد وتبطنوا البراري والقفار والسهول والاوعار والامير حمزة يتمنى ان يصل الى الحيرة ليدهمها بغتة ويوقع فيها ولا يمسك الا الملك النعمان مسك الايدي ويجازيهِ على فعلهِ. وفيما هو سائر على تلك الحالة واذا باخيهِ عمر قد جاء اليهِ وقال لهُ عرج بنا يا اخي عن هذه الطريق ولا ترم بنفسك الى الخطر فاني رايت اسدًا هائل المنظر كبير الجثة لا اظن انهُ يوجد اعظم منهُ قد انحدر من الجبل ووقف في الطريق يمنع مرورنا واخاف ان لا تصادف معهُ نجاحًا فيفترسك ونوقع نحن من بعدك باليأس. فقال لهُ ويلك يا عمر اتحب ان تمتحني بهذا الكلام او تخوفني فيهِ اما رايت فعلي بالاسد قبل اليوم وانت تعلم انهُ لو اجتمعت اليَّ الوف من الاساد وقصدت افتراسي لما مكنت واحدًا منها من نفسي بل كنت اهلكتها عن بكرة ابيها فما الاسود عندي الا اشبه بهررة البرية وسوف ترى بعينيك ما يكون من هذا الاسد الذي اشرت اليهِ وحكيت عنهُ. وبقي الامير حمزة سائرًا على طريقهِ الى ان التقى بالاسد وهو رابض في نصف الطريق واعينهُ تقدح كشاهيب نار ولما راى الامير وقد اقبل في الاول وقع على قوائمهِ ورفع بذنبهِ الى اعلى ظهرهِ ثم ضرب بهِ على جانبيهِ وكشر على انيابهِ واخرج اظافرهُ وفي عزمهِ ان ينحط على الامير فيضربهُ بيديهِ بسحقة تحتهما ثم ينهشهُ وياكل لحمهُ ويرمش عظمهُ. غير ان الامير كان يتقدم اليهِ بتأنٍ وثبات وقد نزل عن الجواد ومشى على الارض وبيده الحسام والاسد صابر عليهِ الى ان قرب وصار بجانبهِ واذا بالاسد قد بعث بصوت قوي جفلت منهُ الخيول وارتاعت الفرسان وانحط

دفعة واحدة على الامير حمزة فاجابهُ بصوت اشد من صوتهِ واسرع بضربة حسام على راس الاسد ضربة صادرة من يد بطل ابطال ذاك الزمان فوقعت بين عيني الاسد شقت راسهُ الى نصفين وشطرتهُ الى شطرين فوقع الاسد الى الارض قتيلاً في الحال وقد تعجب رجالهُ من فعلهِ وما ابداهُ في قتال الاسد وكيف انهُ قتلهُ بضربة واحدة وزاد حبهم لهُ وولوعهم بهِ واراد الامير ان يتقدم من الاسد وينتزع قلبهُ ويأكلهُ واذا بهِ سمع صوتاً عن بعد فمال بنظرهِ واذا بهِ يرى فارساً منحدراً من الجبل وهو يسرع الى نحوهِ فصبر عليهِ الى ان قرب منهُ ووصل اليهِ فراهُ من الفرسان وتحته جواد من الخيول الحسان متقلد بسائر انواع السلاح . فقال لهُ ما تريد ولاي سبب جئت . قال جئت لانتقم منك واعجل من هذه الدنيا مرتحلك حيث قد قتلت انيسي ورفيقي ومن الفت عليهِ زماناً طويلاً . ثم انهُ صدمهُ صدمة قوية فالتقاه الامير حمزة بهمة وحمية واخذا في القتال والاتساع بالمجال . وسلوك طريق الاهوال . وهما يتطاعنان بالرماح الطوال ويتضاربان بالسيوف الصقال . وبهمهان كاسود الدحال . وداما على مثل تلك الحال مقدار ساعة من الزمان وفرسان مكة تنظر وترى واذا بها قد رات فارس الجبل قد قام في ركابهِ وضرب الامير حمزة ضربة بحسامهِ ضيعها بمعرفتهِ وشدة خبرتهِ وبعد ذلك اخذه الغيظ والحنق فصاح بصوت ارتجت منهُ تلك السهول والوديان وقد ضايق خصمهُ ولاصقهُ ومد يده الى جلباب درعهِ واقتلعهُ من بحر سرجهِ واصبح بيده كالعصفور واراد ان يضرب بهِ الارض فصاح مستجيراً بهِ وطلب منهِ الامان وان يعفو عنهُ فشفق عليهِ والقاه بتأنٍ الى الارض وقال لهُ ويلك احكِ لي قصتك وما سبب سكناك في هذه البرية وكيف يكون الاسد رفيقك وانيسك مع اني لم اسمع قط ان الانسان يالف الاسود ويقيم معها في البراري والكهوف ويترك معاشرة ابناء جنسهِ ورجال قومهِ

فقال الفارس اعلم اني ما تركت الناس الا لامر عظيم وطلبت نفسي البعد عن الناس والانفراد بين الوهاد وذلك اني من رجال الحيرة ومن قوم الملك النعمان وكان لي عنده مقام وعلو شان اخدمهُ كباقي الفرسان وانا عائش بنعمة ورضاء لا اهتم بامر قط الى ان علقت بحب بنتهِ وطلبت نفسي زواجها وهي بنت جميلة المنظر بديعة الجمال قد اعتادت ركوب الخيل والغارات في النهار والليل ولذلك قد دعاها ابوها بالقناصة حيث كان يندر وجود مثلها بين ابناء جنسها ومع ما هي عليهِ من هذه الصفات الحسنة كانت كاذبة خادعة وكنت اتمنى رضاها وارغب في كل ما يمكنني من خدمتها وانا اكتم امري عنها وعن ابيها انتظر الزمان المناسب الى ان كان ذات يوم ونحن قائمون في المدينة واذا باحد الفرسان قد جاء الملك النعمان واخبره انهُ راى العساكر والفرسان في خارج المدينة وهي بعدد الجراد المنتشر فاضطربنا جميعنا ولم

نعلم ما السبب وبينما نحن كذلك واذا برسول قد دخل على الملك النعمان يحمل كتاباً فدفعهُ اليهِ وبعد ان قراهُ . قال اعلموا ان هذا الكتاب من الامير غشام احد امراء العراق وهو بطل من الابطال لا يوجد لهُ قرين في هذا الزمان وقد ذكر لي انهُ سمع ان لي بنت اسمها القناصة فجاء يطلبها وهو يخطبها مني ويذكر لي ان امتنعت ولم اجب سوالهُ اخذها بالرغم عني اي بقوة السيف والسنان فما قولكم في ذلك فقالوا لهُ اسال بنتك اولاً فاذا قبلت بهِ اعطيناهُ اياها واذا امتنعت دافعنا وارجعنا هذا الامير بالخيبة او اننا طاولناه لبينما نكاتب العرب ونجمع العساكر وكانت رجال الملك النعمان تتكلم بذلك وانا ضائع العقل فاقد الحيل من ان يتم ما قالوهُ وترضى القناصة بالامير غشام فالتزم ان اموت شوقاً ووجداً وهياماً . وفي الحال دعاها ابوها اليهِ فحضرت وهي اشبه بالغزال الشارد تحجل بخلخالها ملثمة بلثام لا يبان منها غير عينيها فلما رايتها كدت اقع الى الارض وجعل قلبي يخفق هلعاً واشتد بي حبها اشتداداً عظيماً وانا لا اعرف ماذا تجيب وكنت انتظر انها ان اجابت بالقبول اقتل ذاتي في الحال واريح نفسي من عذاب البعد عنها . ولم يكن في وسعي ان اطلبها من ابيها زوجة لي لانهُ ملك من الملوك الكبار وانا فارس من بعض فرسانهِ واحسب من خدامهِ ولا يمكني ذلك الا اذا ساعدتني الايام ورفعت من شاني او رضيت هي بي ووافقتني على ما انا بهِ

ولما سالها ابوها عن الامير غشام واخبرها بغايتهِ قالت لهُ اني لا ارضى بهِ مطلقاً كونهُ جاء متهدداً وفي ظنهِ انهُ يقتنص القناصة ويذلها واني اقسم بحياتك ان لا بد لي ان القاه في وسط الميدان فاما ان ياخذني رغماً عني ويجبرني الى ان اكون زوجة لهُ بالغصب لا بالرضا واما اني اقتلهُ وارجع قومهُ بالخيبة ولا اكون عرضة لتهديده ويكون ابي الملك النعمان ملك العرب وعامل الملك كسرى انوشروان ونخاف الامير غشام وقومهُ . فسرَّني ما سمعتهُ منها وقلت في نفسي انها اصابت وان الدهر سيساعدني في هذه المرة فاذا لم تقتل الامير غشام قتلتهُ انا واخذتها بخاطرها ورضاها واكون قد فعلت جميلاً معها ومع ابيها ويعرف اني كفوًا لها . فقال النعمان لبنتهِ اني اعرف انك لست من رجالهِ فهو آفة من الافات قد انتشر صيتهُ في كل الجهات وخافتهُ الابطال والسادات ولا سيما ان رجالنا غير مجتمعين وليس عندنا من العساكر ما يكفي للدفاع ومن الصواب وعده ومماطلتهُ الى ان نكاتب العرب فتاتينا الفرسان من كل مكان واذ ذاك نخاصمهُ وندفعهُ عنا . قالت ان الامر لا يحتاج الى كل ما تقول واني اعرف من نفسي اني قادرة عليهِ ومع ذلك فاكتب اليهِ ان يلتقيني غداً في الميدان فاذا اسرني لهُ الحق ان ياخذني زوجة واذا اسرتهُ رجع بالخيبة وتركني واخبره ان ابنتي آلت على نفسها ان لا تتزوج الا بمن يقدر عليها في وسط الميدان ويأسرها على مرأى من سائر الفرسان . قال اخاف ان ياسرك وياخذك بالرغم

عنا فتكونين بذلك كسيبة وهذا عار عند العرب فاذا كان كذلك ارى من الموافق ان نزفك عليهِ بالرضا والاختيار. قالت اني افضل الموت على ذلك ولا بد من قتالهِ واني اعتقد اني قادرة على كجهِ وارجاعهِ بالخيبة وقتلهِ وسوف ترى بعينيك من امري وامرهِ

فلما سمع ابوها كلامها لم يسعهُ الى الاجابة وعرف ان بنتهُ لا تقدر على الامير غشام الا انهُ علق امالهُ بالصدفة وقال في نفسهِ ربما تتمكن منهُ وتقتلهُ ولذلك سمح لها وانا اقرأ على وجههِ غايتهُ وارجو ان يوافقها الى ان انتهى الامر وكتب كتابًا الى الامير غشام يخبره بما كان من امر ابنتهِ وانها لا ترضى ان تتزوج بهِ ما لم يكن اشد منها باسًا واقدر في ساحة الطراد ويقول لهُ في اخر الكلام ان يبكر في الغد الى الميدان ليلتقيها هناك ويبارزها وتنفصل الحال بينهما ولما كان اليوم الثاني خرجت الى جوادي وركبتهُ وتقلدت بعدتي وانا لا اعرف ما تنتهي اليهِ حال القناصة في ذاك اليوم واتمنى ان تخلص من هذا الطالب الجديد لتبقى لي في القبيلة فاتوصل بعد ذلك اليها بمساعدة الصدف وما استقر بي الوقوف في ذاك المقام الا وجاء الملك النعمان ومعهُ جماعة من الابطال والفرسان واعيان قومهِ العظام ومن ثم جاءت القناصة وهي غائصة بالحديد من راسها الى ارجلها وتحتها جواد من خيول ابيها الجياد وكان قد مضى قسم من النهار واذا بالامير غشام قد اقبل من الجهة الثانية ومن خلفهِ عساكرهُ وابطالهُ وهي تتقدم كانها الجراد المنتشر. وفي الحال اسرع الى وسط الساحة وصال وجال ولعب برمحهِ العسال حتى حارت منهُ الفرسان والابطال. ثم طلب الى الملك النعمان ان يبعث ببنتهِ القناصة كما اشار لتلتقيهُ في ساحة المجال فاسرعت اليهِ وانقضت عليهِ وقام بينهما سوق الحرب واختلف الطعن والضرب. وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان. كانهما اسدان يزأران او كبشان يتناطحا. والفرسان تنظر اليهما بالعيان من كل ناحية ومكان. ولم تكن القناصة من رجال الامير غشام. ولا من يلتقيهِ في ساحة الحرب والصدام. الا انهُ كان يطاولها ويجاولها ولا يريد ان يقهرها في الحال. فدام معها الى قرب الزوال. وعند ذلك صاح فيها وهجم عليها واقتلعها من ظهر جوادها ورجع بها الى قومهِ وقد وقع الرعب بقلب الجميع والخوف على القناصة من قانصها ولحق بي من الغيظ والحنق ما لم يلحق مخلوق قبلي وتمنيت ان يكون بقية نور من نور ذاك النهار لاسرع الى خلاصها غير اني وقفت مرتبكًا وقد عاد الملك النعمان حزينًا على ابنتهِ الى الابيات ورجع معهُ جميع السادات ليفكرن بامر غشام وهل يدومون معهُ على القتال او يسالمونهُ ويزوجونهُ بالقناصة اما انا فلم ارجع قط وبقيت واقفًا في مكاني مبهوتًا حائرًا لا اعلم ماذا افعل وبماذا اتصرف ولبثت الى ان مضى ربع الليل واذ ذاك خطر في ذهني ان اسير الى صيوان الامير غشام واخاطر بنفسي عساي اقدر على خلاص القناصة واكون بذلك قد فعلت جميلاً معها واسالها باستحقاق زواجها ولا

اظن انها تمتنع ولا ابوها يمتنع عن اجابة طلبي بعد ان يعرف بعظم عملي ومخاطرتي بنفسي وهلاك عدوهِ

ولما قوي براسي هذا الخاطر ربطت بجوادي في ناحية وسرت تحت الظلام مستترًا بهِ الى ان اختلطت بالعراقيين جماعة الامير غشام وتوصلت بالقضاء والقدر الى صيوان الامير غشام فوجدت عنده حارسًا من قومهِ فضربتهُ بسيفي على حين غفلة ارديتهُ قتيلاً ودخلت الصيوان فوجدت الامير نائمًا على سريرهِ والى الارض القناصة وهي مقيدة فاسرعت اليهِ وضربتهُ بسيفي فقتلتهُ واسرعت اليها فحللت وثاقها وكانت قد راتني وعرفت اني من قومها ففرحت مزيد الفرح بي وفي الحال قلت لها اتبعيني لنخرج من بين الاعداء اولاً فاسرعت خلفي وخرجنا من بينهم والليل يسترنا ولم يرنا احد ولما امنا على انفسنـــا دنت مني وجعلت تشكرني على فعلي وقالت لي ما الذي حملك على هذا الفعل وان ترمي بنفسك في طريق المخاطر والاهوال لاجلي فقلت لها عن السبب وشرحت لها ما وقع بقلبي من حبها واني فضلت الموت على ان اراها بيد الاعداء ثم رميت نفسي بين يديها وقلت لها ارجوك ياسيدتي ان لا تضيعي لي تعبًا ولا تنسي عملي معك واريد منك ان تعيديني وعدًا صادقًا على الحب والولاء والمودة واني اكون لك على الدوام امينًا صادقًا مطيعًا والا فاني اموت واخسر عقلي فاجابت قولي ووعدتني ان لا تتزوج باحد غيري ولا ترضى لها بعلاً صغيرًا او كبيرًا الا انا . فاطمان لكلامها بالي وهدأ روعي وعلقت نفسي بالمحال وسرت معها الى ان اوصلتها الى بيتها وتركتها على امل ان تاتي في اليوم الثاني الى ديوان ابيها لتعرض عليهِ واقعة الحال وسرت انا الى محلي و قلبي يكاد يطير فرحًا انتظر اليوم الاتي لاعرض على النعمان ما كان من امري وامر الامير غشام وكان بكل عهدي ان القناصة تعرض امري على ابيها وتشكر مني وتخبره بما عملتهُ معها من المعروف وكيف خلصتها ورميت بنفسي الى الخطر من اجلها وصرفت تلك الليلة اردد بفكري ما يكون من امري وامرها وانا على اتم يقين من زواجها

ولما كان صباح اليوم الثاني خرجت الى حضرة النعمان فوجدتهُ قد بكر الى ديوانهِ واجتمع عنده الخاص والعام من رجالهِ ووزرائهِ لاجل ان يدبروا امرهم ويكاتبوا العرب ويسعوا بخلاص القناصة وبينما نحن جالسون وانا انظر الى الباب منتظرًا قدومها لفض هذا المشكل واذا بها قد اقبلت وحالما راها ابوها والجميع اندهشوا وتعجبوا من هذا الامر وما منهم الا من اسرع اليها وهنأها بالسلامة وشكر الله على خلاصها وبعد ان دنت من ابيها وسلمت عليهِ وقبلت يديهِ سالها عن سبب خلاصها وكان بزعمي انها تجيبهُ بالصدق وتخبره بمافعلتهُ معها قالت لهُ اعلم اني ما سلمت نفسي اسيرة الى الامير غشام الا وفي ظني ان احتال عليهِ واقتلهُ وذلك اني

حاربتهُ كل النهار فوجدتهُ فارساً صنديداً وعرفت ان بقيت على المكابرة نعود الى الحرب في اليوم الثاني وربما طال المطال الى اكثر من ذلك فطمعت بتعجيل الوقت وعليهِ فقد سلمتهُ نفسي كاسيرة فطمع بي ولما اخذني الى صيوانهِ اراد ان يتهددني فقلت لهُ لا حق لك بهذا وما انا الا راضية بك لانك من فرسان هذا الزمان المعدودين واني كنت احب ان لا اتزوج الا بمن يفوقني بسالة حتى رايت منك ما رايت وهكذا كان الشرط بينك وبين ابي ولا يحق لك ان تعاملني كسبية استحوزت عليها اثناء القتال بل كامراة قبلت من كل خاطرها ان تكون لك زوجة امينة واني ارى من الواجب اللازم ان تذهب في الغد الى ابي وانا معك وتسالهُ زواجي وهو يجيبك عليهِ فتاخذني على الشرف والناموس وتحسم القتال بينك وبينهُ ويكون ذلك البق بمقامك واحفظ لعرضي . فاعجبهُ كلامي هذا وصدقهُ كل التصديق وقام الحيّ وفك وثاقي وقال لي ابقي الليلة عندي وفي الصباح ذهبت بك الى ابيك مكرمة معززة واعدتك اليهِ وقدمت لهُ كل ما يليق بمقامهِ من التعظيم والاكرام . فصبرت عليهِ الى ان نام مطمئناً فقمت الى سيفهِ اخذتهُ واتيت الى سريره فضربتهُ ضربة واحدة فصلت راسهُ عن جسدهِ وخرجت من الصيوان تحت الظلام لا يعلم بي احد ولاجل التوفيق وتمام النجاح لم يرني احد ونجوت من بينهم واتيت الى بيتي وهذا الذي كان من امري

وكانت تتكلم وانا ارتجف وقلبي كاد ينشق من الغيظ حيث جاء الامر على خلاف ما احب وانتظر ولم تذكر اسمي قط ولا تذكرت معروفي لها ولما لم يسعني الاخفاء قلت لابيها انها لم تحكِ الصدق ياسيدي وقد قصدت اخفاء الحقيقة والحال على خلاف ما قالت . ثم شرحت لهُ الواقعة بتمامها وما كان من مسيري اليها وخلاصها وقلت لهُ ان السبب الوحيد الذي حملني عليهِ هو الحب والغرام وقد وعدتني عليهِ ووعدتني ايضاً انها تذكر معروفي معها وجميلي امامك وتسالك مجاراتي واني اعجب كيف انها نكرت كل ما تقدم ذكرهُ وحكت غير الحقيقة مما لا يدخل العقل الانساني . فنظرت اليّ نظرة المحتقر الغضوب وقالت لابيها ما هذا الا كذاب منافق يطمع نفسهُ بي ويريد التحرش بما لا ينالهُ ومن هو لاقبل بهِ مع اني امتنعت عن الملوك الكبار والامراء العظام . فاردت ان اتكلم فمنعني النعمان ووبخني ولامني على ما صدر مني فقلت لهُ اني لا اخاف الحق وان ما قلتهُ صحيحاً وانها تريد ان تجعلني كاذباً وانا اعرف بنفسي ما عملت ولا اريد منك الا الاعتراف بمعروفي واجبار بنتك على زواجي كوني اشتريتها من العدو وخلصتها لنفسي . فلم يهن كلامي هذا على النعمان فطردني من ديوانهِ وامرني ان اخرج من المدينة ولا اعود اليها ابداً فالتزمت الى الخروج والغضب يفعل بي اشدهُ .وقد غاب عني وعيي وضاع عقلي وبعد ان بعدت عن القبيلة بعث في اثري مائة فارس من فرسانهِ يقصدون

قتلي فاوقعت بهم وشتتت شملهم وسرت الى هذه البرية وقد اخذ عقلي في ان يجتمع الى بعضهِ ووعيت الى نفسي وجعلت الومها على ما ابدت وقلت كان الاحرى بي ان اصبر على مضضي ولا بد للزمان من مساعدتي ولا ريب ان القناصة تشكرمني وتمدحني اذا راتني سكت عن كلامها ووافقتها عليهِ ولم اعترضها قط وتعلم ان سبب ذلك حبي لها . وجعلت اذم الطيش والحدة حيث رميت بنفسي الى وهدةِ الغضب وقدتها الى سبيل البعد والجفا ولا اعلم بعد ذلك ماذا جرى على قوم غشام ولكني اظن انهم لا بد في اليوم التالي يتفرقون اذا راوا اميرهم قتيلاً لانهم ما جاءوا الا لاجل زواجهِ وهم يعلمون ان العرب لا تترك النعمان وان كسرى يمدهُ بالعساكر والجنود ولهذا فضلت البعد وانا اخاف سطوتهُ وما من معين او مساعد يشتد بهِ ازري لاتمكن من مقاصدي فالتزمت الى الانفراد في احدى الجبال اعيش كما تعيش الوحوش وفي اثنا ذلك اعترضني هذا الاسد الذي قتلتهُ فتجاولت واياه وقتاً ليس بقليل الى ان تغلبت عليهِ اخيرًا وتمكنت منهُ بضربة دبوس على راسهِ وقع منها الى الارض فاسرعت الى سيفي واردت ان اجز رقبتهُ فوجدتهُ ذليلاً حقيرًا ورايت الدمع يسيل من عينيهِ فشفقت عليهِ واغمدت سيفي ومسحت الادمعة من عينيهِ فكانهُ شعر بمعروفي وعرف عفوي عنهُ فنهض وهو يلوح بذنبهِ واظهر كل طاعة وذل بين يديَّ فاعجبني جدًّا ومن ذلك الوقت الفتهُ وصار لا يفارقني دقيقة وربطت هذه الطريق وصرت عند قدوم المارة منها كثيرًا كانوا او قليلاً اطلقت عليهم الاسد فيبددهم واسير اليهم واحضر اسلابهم واغنم ما معهم ودامت هذه الحالة حالتي والاسد رفيقي الى ان فرقت بيننا انت ومع كل هذه الايام لم تفتر محبة القناصة من قلبي ولا سلوتها قط ساعة واحدة ولا اعرف الطرق الموديّة الى نوال المراد

فلما سمع الامير حمزة كلامهُ تعجب منهُ جدًّا فقال لهُ ما اسمك قال اسمي مخلوف . قال اعلم اني ذاهب الى مدينة النعمان للانتقام منهُ على كفرهِ وعبادتهِ النار وطاعتهِ للاعجام واريدك في الحال ان تذهب معي وتدخل في عداد قومي واني اعدك وعدًا صادقًا اني لا بد من ان ازوجك بالقناصة هذه بالرغم عن ابيها وانولك مرادك منها شفقة مني عليك . فلما سمع مخلوف كلام الامير حمزة فرح بهِ غاية الفرح وسر منهُ مزيد السرور وقال لهُ اني منذ هذه الساعة وعلى الدوام اكون في ركابك وبين يديك وهل الاقي سيدًا وسندًا مثلك يعينني ويساعد ضعفي ويقربني من مقصدي ويقهر لي عدوي . فزاد لهُ الامير في وعده . ومن ثم ساروا من هناك وحمزة يقصد جهة بلاد النعمان ومخلوف يسير امامهم كدالول على الطريق وقلبهُ معلق بالحيرة واصبح يرجح نوال مراده وثبت في ظنهِ ان الامير حمزة يقدر وحده ان يلقى عساكر الحيرة باجمعهم وينزل بهم المصاب والبلاء

ثم طلب الامير حمزة أن يسير امام رجالهِ لوحده واوصاهم ان يتساثروه و بين يديهِ عمر ومخلوف فقط وهو منفرد بهما واوسع بالبروتوغل في تلك الجنسات الى ان وصل الى طريق ضيق ينتهي منهُ الى جبل عالٍ فاراد الدخول بذاك الطريق واذا به يرى اربعة اشخاص من الاعجام الى جانب من الطريق فبعث اخاه عمر يأتيه بهم فسار اليهم واحضرهم بين يديهِ فراهم حفاة عراة موثوقين بالحبال ولما راوه بكوا وناحوا على انفسهم وطلبوا منهُ الامان وقالوا لهُ كفانا ما نحن فيهِ من العذاب فليس معنا ما يسد رمقنا ونحن الان نموت جوعًا فاتركنا نتدبر الى حالنا . فقال لهم لا تخافوا فاني لا اقصد لكم ضرًّا ولست ممن يضر بالناس او ينزعهم ما يملكون لا سيما واني ارى من حالتكم انكم منهوبون مسلحون بل انا ممن ينفع ويغيث فاخبروني بامركم ومن الذي فعل معكم هذه الافعال لانتقم لكم منهُ واجازيهُ على فعلهِ وارجع لكم ما فقد منكم . ثم امر اخاه عمران يفك وثاقهم ويدفع اليهم ما يسدون بهِ رمقهم ففعل واكلوا واستراحوا وشكروا من مجابرة الامير حمزة لهم ثم ان احدهم تقدم منهُ ليشرح لهُ حالهم فقال لهُ اعلم ايها الاسد الغشمشم والسيد المعظم اننا من الاعجام قوم كسرى انوشروان وقد تعودنا على معاطاة التجارة منذ قديم الزمان نحمل البضائع من بلاد الى بلاد فنتجر فيها ونربح الاموال وقد اتخذنا هذه المهنة سببًا لمعيشتنا ومنذ قديم الزمان ونحن ننتقل من بلاد الى بلاد دون ان يلحق بنا ضرر او اذى الى ان كان هذه المرة حملنا بضائعنا واتينا بلاد اليمن فبعناها كلها وربحنا فيها ارباحًا عظيمة ومن ثم قصدنا الرجوع الى بلادنا فاخترنا المرور على الحيرة ومنها الى المدائن لظننا انها اكثر امانًا واطمئنانًا وداومنا السير حتى وصلنا الى هذه الجهة اي الى خلف هذا الجبل فصادف مرورنا عند طريق واسع ونحن مسرورون كل السرور وما من مانع نراه في طريق يحول دون الوصول الى غايتنا من سرعة العودة الى بلادنا وفيما نحن كذلك واذا خرج علينا فارس طويل القامة عريض الاكتاف واسع الصدر مدجج بالسلاح الى قمة راسهِ ومن خلفهِ اربعون فارسًا كلهم مسلحون فايقنا بالفناء وثبت لدينا انهم من قطعة الطرق . ومن ثم تقدم منا كبيرهم هذا وسالنا عن حالنا فاردنا ان نوهمهُ عساه ان يتركنا فقلنا لهُ اننا من جماعة الملك كسرى انوشروان وقد طفنا البلاد وسلكنا المدائن والعواصم والملوك تكرمنا اكرامًا لهُ وترسل لهُ معنا الاموال وما معنا الان هو من اموالهِ نحملها لهُ . فما كان منهُ الا انهُ نزع منا كل ما معنا وفعل بنا ما ترى وقال انطلقوا الى ملككم واخبروه بما جرى عليكم وقولوا لهُ ان الذي فعل معنا هذه الافعال هو اصفران الدربندي صاحب الحصن واسالوه ان كان يقدر ان يخلص اموالهُ من يدي وان شاء فليبعث بكل جنوده ورجالهِ لاجعلهم غنيمة لي واربهُ ما نفعل بهم . فلم نقدر على المكابرة ونحن لا نصدق بالنجاة منهُ وكان بعهدنا ان لا يعفو عنا حتى راباهُ تركنا ولو قتلنا لما

منعه أحد

فلما سمع الامير حمزة كلامهم زاد بهِ الغيظ من اصفران الدر بندي وحدثتهُ نفسهُ ان يخلص لهم اموالهم ويفعل معهم جميلاً اولاً لكونهم مظلومين ومنهوبين وثانياً ليشيع صيتهُ بين الاعجام ويعرف بهِ الملك كسرى لعلمهِ ان هولاء لا بد لهم من ان يسيروا الى بلادهم ويخبروا بما جرى لهم ويصل خبرهم الى ملكهم ولذلك قال لهم سيروا امامي وكونوا بامان وراحة ودلوني على الذي فعل معكم هذه الافعال لانتقم لكم منهُ واعيد عليكم اموالكم وكل ما فقد منكم وازيدكم فوقها من مالهِ وما اراه عنده. فقالوا لهُ اننا ما صدقنا ان فزنا بانفسنا منهُ وبعدنا عنهُ فاذا عدنا اليهِ اهلكنا ولا يبقي علينا قط لا سيما وانهُ فارس صنديد وقومهُ اربعون فارساً وانت غلام ولا نظنك تقدر عليهِ ولا تخاطر بنفسك من اجلنا فعرج عن هذه الطريق ولا تتعرض لهُ. فقال لهم سوف ترون ما يحل بعدوكم وما يكون من امرهِ فلا بد من خلاص لاموالكم وارجاعها معكم الى بلادكم وان كنتم تخافون على انفسكم منهُ فقفوا عن بعد وانظروا ما يجرى بيننا واذا كان معهُ مائة الف لا احسب لهم حساباً بمعونتهِ تعالى. ثم سار في الطريق نفسهِ وساروا هم من خلفهِ وفي كل ظنهم انهُ لا يقدر على خلاص اموالهم الا ان حبهم لارجاع ما فقد منهم جعلهم ان يعلقوا الامل بذلك وقالوا لبعضهم ربما يكون ذلك صحيح فيرجع الينا ما خسرناه وفقد منا ولا زالوا سائرين خلفهُ الى ان اكتشفوا قلعة الدر بندي عن بعد فقالوا لهُ ان هذه القلعة هي مقرهُ ومحل اقامتهِ ولا بد انهُ اذ ذاك يخرج اليك ونحن لا نقدر على ان نراه ونظهر لهُ بل نبقى مختفين في مكان لا يرانا منهُ لا هو ولا احد من قومهِ حتى اذا استظهرت عليهِ ظهرنا والا نكون رجعنا من حيث اتينا وما علم بنا احد فعذرهم الامير حمزة وعرف ان الجبن يفعل باهلهِ اكثر من ذلك وان خوفهم من اصفران يحملهم على اكثر من ذلك وعليهِ فقد تركهم في مكانهم ونقدم هو الى الامام وبين يديهِ اخوهُ عمر والامير مخلوف وداوموا المسير وعمر يقول لهُ اصبر الى حين وصول رجالنا لان ليس من الصواب ان نقاتل وانت وحيد وربما اصبت بامر لم يكن لنا في حساب فقال لهُ ويلك اتظنني ارجو مساعدة احد بامر اريده وسوف ترى ما يكون مني ومن اصفران الدر بندي هذا وقومهُ. ثم امر مخلوفاً ان لا يباشر القتال بل يبقى متفرجاً وناظراً فاجابهُ الى سوالهِ واطاع امرهُ

وكان صاحب هذه القلعة وهو الاصفران المذكور يحسب من ابطال ذاك الزمان قد اتخذ تلك القلعة مكاناً ومكث فيها واتخذ لنفسهِ اربعين صاحباً من الفرسان المعدودين يركبون لركوبهِ ويسيرون تحت امره اينما سار وقد قطع تلك الطريق ومنع عنها المارة فما ترك قافلة الا وانتزع ما تحمل ولا شرذمة من العساكر الا وانزل بها الويل والعذاب فانتشر صيتهُ في

سائر الجهات وهابتهُ اصحاب التجارة وما عاد احد منهم يقدر على المرور من تلك الناحية خوفًا على مالهِ او روحهِ الا الذين لا علم لهم بهِ او الذين سمعوا بهِ ولم يعرفوا مكان اقامتهِ في تلك الناحية وقد رفعت عليهِ شكاوٍ كثيرة الى الملك كسرى والملك النعمان فيرسلان اليهِ بالعساكر بقصد اذلالهِ ومنع تعديهِ عن ابناء السبيل فيفرق تلك العساكر ويبددها ولا يقدر احد ان يتمكن منهُ لمتانة مركزه وقوة باسهِ ومحبة اصحابهِ لهُ ودام هذا العمل عملهِ وهو يذهب في اكثر الاحيان الى غير طرقات لما راى ان تلك الطريق قد خاف المرور منها القوافل والتجار وصار يسطو على كل من يقع بهِ حتى جمع اموالاً غزيرة في تلك القلعة وصار يحسب اغنى من ملوك ذاك الزمان وامرائها الاعيان

وكان في ذاك اليوم الذي جاء فيهِ الامير حمزة جالسًا في القلعة بين اصحابهِ مسرورًا بما وصلت اليهِ يدهِ من اموال تجار الاعجام لانها كانت كثيرة وذات قيمة وفيما هو على مثل ذلك اذ سمع صوت الامير حمزة يناديهِ من اسفل القلعة فطل من الشباك ونظر الى الامير حمزة فاستصغرهُ واحتقرهُ وقال لهُ ماذا تريد ومن تطلب وما معك . قال ليس معي الا هذا السيف الذي اعددتهُ لقطع راسك ونزع روحك من صدرك واراحة الناس منك ومن قومك فانزل حالاً ولا تطل الكلام فلما سمع الاصفران كلام الامير حمزة لعب بهِ الغيظ والغضب وكان بظنهِ ان يرسل لهُ احد اصحابهِ ينهي امرهُ الا ان الحدة وما لحق بهِ جعلهُ ان ينزل بنفسهِ ليشفي غليل فوادهِ منهُ ويبرد ظماء كبده من قتلهِ ويعتاض عن اهانتهِ بموتهِ . ومن ثم ركب جواده وتقدم منهُ وقد نظر اليهِ نظرة المختبر عند التقرب منهُ فعرف ان للشجاعة دليل عظيم على جبهتهِ تشهد لهُ ولا تشهد عليهِ . فقال لهُ من انت ايها الغلام اخبرني الصحيح قبل ان اعدمك الحياة عساي اشفق عليك واعفو عنك واريح نفسي من قتالك واكتفي بنزع جوادك وما عليك ومن الذي رماك عندي وبعثك اليَّ لتلقي بنفسك الى المخاطر والاهوال . قال اما انا فما من وسيلة لتعرفني الان . واما سبب مجيئي فهو اني اتيت منتصرًا للاعجام الذين سلبتهم اموالهم وثيابهم وتركتهم عبرة للناس وقد رايتهم على تلك الحالة فحزنت عليهم فارجع اليهم اموالهم وعدني بالامتناع عن التعدي على عباد الله والرجوع عن مثل هذه المظالم وعليهِ تركت قتالك وعفوت عنك والا وقعت بشر عملك ولا تظن انك تخلص من يدي او تقدر على الفرار او تحدثك نفسك بالغلبة اذا رايت مني صغر سني واغتررت بكبر جسمك وراسك

قال فلم يجبهُ الدربندي بشيء بل استل الحسام وانقض عليهِ انقضاض آساد الاجام . فالتقاه الامير حمزة كما تلتقي الارض الجافة وابل الغمام . واخذ معهُ بالعراك والصدام . والافتراق والالتحام . والسعي خلف شرب كاس الحمام . وهما يصيحان باصوات الرعود ويزأران

زئير الاسود ويتقاتلان قتال الفهود وفي تلك الساعة وصلت جماعة الامير حمزة الى محل القتال وشاهدت اميرها على تلك الحال فوقفت تنتظر ما يكون من امرها وهي متيقنة انهُ يفوز على خصمهِ وينال منهُ غاية المراد وكذلك وقف جماعة اصفران وهم الاربعون فارسًا ينتظرون ما يكون من اميرهم ومقاتلهِ وقد راوا ما راوا من شدة بطشهِ وسرعة قتالهِ فتاكدوا انهم كانوا على خلاف اليقين . هذا والضرب مختلف الوقوع بين الامير حمزة والاصفران والطعن متصل بينهما بكل خفة واتقان وداما على مثل هذا الشان يتقلبان على ساحات ذاك الميدان ويوسعان فيهما بالطول والعرض ثم ينقضان الى ان فات الظهر بثلاث ساعات وعند ذلك اسرع الاصفران الى الامير حمزة بطعنة ظن بفكره انها مصيبة ورماه بها من قلب مجروح فغطس الامير تحت بطن الجواد اضاعها بمعرفتهِ وكثرة خبرتهِ ثم اعتدل على ظهر جواده وقد اشتد بهِ الحنق وتكدر من التطويل والاهمال فصاح بصوت اكثر ارتفاعًا من اصوات الصواعق مال منهُ الجبل من جهة الى ثانية واهتز من اربع اركانهِ وانحلت عزائم الاصفران وضعفت قوتهُ وراى من نفسهِ الغلبة واراد ان يشهر سيفهُ فلم تطعهُ يده فنظر منهُ الامير حمزة ما حل بهِ ووقع فيهِ فقرب منهُ ومد يده وانتشلهُ من ظهر جواده والقاه الى اخيهِ عمر وقال لهُ شد وثاقهُ لبينما ابدد رفاقهُ . فصاح بهِ الاصفران العفو يا امير حمزة البهلوان فاني وقبعك وخصيصك على طول الزمان واخدم ركابك اين سرت وفي اي مكان ولا تعاملني بغير الرحمة والرفق فما انت ممن ظلم بل ممن رحم

فتعجب الامير عند ذكر اسمهِ وقال لهُ من اين تعرفني اني الامير حمزة وانا لم اذكر امامك اسمي ولا بحت بهِ قط . قال اعلم ياسيدي اني قصدت ذات يوم التوسع في البراري والقفار وذاك من مدة سنوات فصادف مروري على مغارة في لحف جبل فاردت ان انزوي اليها واستظل فيها من شدة حرارة الشمس في ذاك النهار فرايت فيها حبيسًا قد طال شعره وابيض وهرم حتى كاد يعجز عن القيام . فسلمت عليهِ واخذتني هيبتهُ كل ماخذ لانهُ من عباد الله ووجههُ كان يطفح بالانوار فلم يسعني الا اعتباره بالرغم عني وعندما سمع صوتي قال لي ادخل يا اصفران فاني موعود بك انك تاتي اليَّ وتاوي جسمي التراب لان يومي قد جاء ولم يبقَ في العمر مطمع واني مشتاق الى ملاقاة وجه ربي وعما قليل ينتهي شوقي فزادت حيرتي منهُ واعتبارهُ عندي وقلت لهُ من اين عرفتني ومن اخبرك بي قال ان ربي اعطاني من سابق المعرفة ما امكني ان اعرف بهِ ما لا يعرفهُ غيري رحمة منهُ لي وفوق كل ذلك فان الوحي جاءني في ليل الامس وحكاني عن ان الله يدعوني وانهُ لما كان لا يرغب باهانة جثتي التي تحمل نفسي سيسخر لي في الغد رجلاً يدعى اصفران الدربندي صاحب الحصن فيمر من هنا ويشتد عليهِ الحر ويلتزم الى

الا لتجاء الى هذه المغارة وهو الذي يدفن جسمك التراب . فلما سمعت كلامهُ فرحت بهِ وقلت لهُ هل لك ان تجيبني ياسيدي عن سوال اريد اسالك اياهُ . قال ماذا تريد ياولدي قلت اني منذ نشئت نشأت على حب القتال فخرجت فارساً معدوداً ومن حين وعيت الى هذه الدنيا وانا اقاتل الفرسان واغير على القبائل حتى القيت الرعب في قلوب الملوك الكبار وهابتني اعاظمها مثل كسرى والنعمان ولم بكجني احد قط فهل ياترى يقدر عليَّ احد فيما بعد او يوجد لي في زماني من يقدر على قتالي والثبات امامي . فقال لي لا تغتر بنفسك ياولدي فاني اخبرك خبراً اكيداً انهُ ولد من اعوام قليلة غلام سعيد في مكة المطهرة اسمهُ الامير حمزة ابن الامير ابراهيم وهذا هو الذي يكيدك ويذلك وتكون من اتباعهِ فيما بعد ويكون لك معهُ وفي خدمتهِ الشرف الاكبر وهذا الذي اخبرك عنهُ وهو الذي يخلص العرب من العجم ويمتلك المدن والبلدان وينتشر صيتهُ من مكان الى مكان وتهابهُ جبابرة الزمان فاذا رايتهُ فاقرهِ مني السلام والتحيات واياك من ان تكابر في قتالهِ او تحدثك نفسك بالطمع بهِ . وما انتهى الحبيس من كلامهِ حتى فارقت روحه جسده فدفنتهُ التراب وخرجت من المغارة واذا الريح قد بردت فرجعت الى قلعتي وانا افكر بما سمعت وكنت على الدوام انتظر وقوعي بالرجل الذي اخبرني عنهُ الحبيس وهو انت الى ان شرفت الان ووطئت هذه الارض وجرى لي معك ما جرى وقد سالتك عن اسمك فلم تخبرني ولو اخبرتني بهِ لسلمت نفسي اليك منذ الاول ولا امكني ان اجسر على المقاومة لاني متصور في ذهني كل التصور ان الامير حمزة ابن الامير ابراهيم ياسرني واكون من رجالهِ بل كنت اسلمك بنفسي وارمي عليك سلام رجل الله

فلما سمع الامير حمزة كلام اصفران الدربندي تعجب مزيد العجب اطرق الى الارض صاغياً ساكتاً مدة خمس دقائق يفكر بما سمع . ثم رفع راسهُ وامر عمران يترك اسيرهُ وقال لهُ انت منذ هذه الساعة دخلت في رفقتي وانك مقدم على رجالي كونك مستحق لمثل هذا واشكر الله الذي علمني ما لا اعلم وعرف بي الناس قبل ان اعرف . واني اريد منك الان قبل كل شيء ان ترجع اموال الاعجام التي سلبتها منهم وكان المذكورون لما راوا فعال الامير حمزة فرحوا فرحاً لا يوصف وجاءوا الى بين رجالهِ واصبحوا ينتظرون الفرج بارجاع اموالهم اليهم . فقال لهُ اصفران الا تعرف ياسيدي ان الاعجام هي بالفعل من أعداء العرب وانها تسلب اموالها على الدوام بالرغم عنها اي ان ملك الاعجام ياخذ الجزية منها فكيف بعد ان وصلت اموالهم الينا نرجعها ولا سيما هم من عبدة النار لا يعرفون عبادة الله . قال اني اعرف ذلك لكن سلب الاموال على هذه الطريقة لا ترضي الله تعالى وعليهِ فاني اريد ان ارجع اموال هولاء الاعجام لسببين اولاً لكوني وعدتهم بها وجئت لاجلها وثانياً لتصل اخباري الى بلاد العجم

ويعرفون بما عملت مع قومهم ويصل امري الى بزرجمهر الوزير لانهُ ينتظر ظهوري ويسرهُ امرتي فقال لهُ ان الاموال جميعها داخل القلعة وهي كلها تحت امرك واذا شئت لتقيم فيها ثلاثة ايام بضيافتي ومن ثم اسلمك وديعة سلمها لي الحبيس لاسلمك اياها وهي ستة معاضيد من الذهب واحدة لك وخمسة لخمسة اولاد يلدون لك تحفظ عليها الى حين ظهورهم فقال وما نفع هذه المعاضيد وما هو القصد منها . قال ان القصد منها بحسب ما اخبرني الحبيس ان لابسها يحفظ من الشر والغدر فلا تنفذ فيهِ المكائد ويشتد ساعده فاذا مسك قطعة من الحديد بين اصابعهِ وشد عليها اذابها وهي محفوظة عندي منذ ذلك الزمان الى اليوم فزاد فرح الامير حمزة بما سمعهُ وتاقت نفسهُ الى استلام ما وضع امانة لهُ وسار مع الامير ومن خلفهِ رجالهُ الى داخل القلعة بعد ان ربطوا خيولهم خارجها واحتفل لهم الدربندي بوليمة فاخرة واكرمهم مزيد الاكرام وسقاهم من صافي الخمور ونحر لهم النحور وقدم لهم العلوفات ودفع كل الاموال التي في القلعة الى الامير حمزة ووضعها بين يديهِ فدعا الاعجام وامرهم ان ياخذوا اموالهم فاخذوها واضاف لهم فوقها ما جعلهم مسرورين وفرحين فشكروهُ وساروا يثنون عليهِ ويشكرونهُ . ثم اقام الامير حمزة مدة ثلاثة ايام في تلك القلعة وفي اليوم الرابع طلب الرحيل الى الحيرة وسال اصفران بالركوب فاجابهُ وحمل كل ما في القلعة من الاموال والجواهر والذخائر ونحوها ودفع المعاضيد الى الامير حمزة فاخذها وتعجب منها لما راى عليها من الاسماء المكتوبة ولم يعرف ان يقرأ منها الا اسم الله فقط فلبس واحدًا منها وابقى الباقي الى حين الحاجة وركب من فوق جوادهِ وركب قومهُ والامير اصفران وساروا جميعًا عن تلك الناحية يقصدون طريق الحيرة والامير حمزة مسرور غاية السرور بما وصل اليهِ ومتعجب من عناية الله بهِ وبما اعطي من السعادة والمجد وكيف ان الفرسان والابطال المشهورين يذلون لديهِ ويقصدون خدمتهُ وينضمون الى رجالهِ ليقاتلوا بين يديهِ ولما تبطن القفار وقوى بهِ الاستذكار انشد وقال

ربيت على حب التفاخر والمجدِ وابديت في نيل المنى والعلا جهدي
واصبحت الايام تاتي مطيعة اليَّ ومولى القوم عندي كالعبد
انا حمزة العليا اذا انتسب الاولى يباهون عند السبق بالاب والجد
انا الرجل المحكى عليَّ بانني خلقت وافلاك العلا خدمت سعدي
اليك ابا نعمان اسري وهمتي اشد لدى الهيجا من الصارم الهندي
وفي كفي اليمنى مهندة لقد ابرّت بان الموت مصدره عندي
تفلق هامات الطغاة بحدها ويضمد جرح اللائذين بذا الجد
فسوف ترى مني بشوشًا وعابسًا شفوقًا على المظلوم قاسٍ على الضد

اهش اذا حل العفاة بساحتي كما هشت الاباء للابن في المهد
واعبس ان كان الطغاة توهموا خلاصًا وارهابًا وذي عادة الاسد

وقد سرّ اصفران الدربندي من شعره ونظامهِ وفصاحة كلامهِ وعرف ان قيامهُ بين يديهِ ياتيهِ بمنفعة عظيمة وانهُ هو نفس الرجل الذي اشار اليهِ الحبيس في كلامهِ وانهُ يفعل الافعال العجيبة في ايامهِ وفي اهل زمانهِ . وبقوا سائرين على تلك الحالة عدة ايام حتى قربوا من بلاد النعمان ودخلوا حدود اراضيهِ فانتشر الخبر بين الخاص والعام ان الامير حمزة دخل الحدود الى ان وصل الى الملك النعمان وذلك من سكان الضياع والقرى التي كان يمر بها الامير حمزة مع جماعتهِ

وكان النعمان بلغهُ ما فعل الامير حمزة برجالهِ ورجال كسرى وذلك ان المنهزمين بقيوا في هزيمتهم حتى دخلوا الى النعمان واخبروهُ بكل ما جرى وكان وكيف ان الامير حمزة بن الامير ابراهيم نزع منهم الاموال التي كانوا جلبوها من العرب وكيف انهُ اوقع بهم وقتل جماعة منهم ولولم يطلبوا الهرب والفرار لما نجوا من بين يديهِ فغضب من ذلك مزيد الغضب واراد ان يجمع العساكر ويبعثها الى مكة فاعترض عليهِ وزيره وقال لهُ اعلم ياسيدي ان من الصواب ان تعلم بذلك الملك كسرى وتدع رجالهُ المنهزمين يسيرون اليهِ ويخبرونهُ بما كان من الامير حمزة لانك ان سرت انت الى مكة اثرت بالعرب فتنة لا تنقضي الا بهلاك العرب وتدوم وتسعر نارها حتى تتصل بالكبير والصغير والبعيد والقريب كون العرب لا تتخلى عن مكة وتدافع عن عيالها المالكة الشريفة ولا سيما ان هذا الامير حمزة من رجال كسرى ولا خفاك ما جاء بهِ الوزير بزرجمهر من مدة اعوام ومسيره الى بيت الله الحرام لاجل هذا الغلام الذي سيكون لهُ في زمانهِ احاديث عجيبة تنتشر من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وربما مسيرك يغيظ الملك كسرى انوشروان قال لقد اصبت بذلك ومن الصواب ان ابعث بتحرير الى الملك كسرى اطلعهُ على كل ما جرى واخبره بواقعة الحال وادعهُ ان يصدر اليّ امرهُ فيما يريد وابقى على الانتظار

وكتب من تلك الساعة كتابًا الى الملك الاكبر يشرح لهُ ما كان من الامير حمزة ويستخبر منهُ عما يريد ان يفعل بهِ . وبعث الكتاب مع رسول من قومهِ سيرهُ مع جماعة الاعجام المنهزمين وبقي هو على تلك الحالة عدة ايام الى ان بلغهُ الخبر بقدوم الامير حمزة وجماعتهِ الى بلاده وان مجيئهُ بصفة عدوانية فاضطرب وكان ما يشيع عنهُ من الاخبار وما حكاه الوزير بزرجمهر قد جعل كل من سمع بهِ يحسب لهُ حسابًا ويخافهُ جدًا . وكان النعمان ينتظر بذلك اوامر كسرى سيده لعلمهِ انهُ ينتظر بلوغ هذا الغلام الذي سيمنع عنهُ غارات الاعداء ويقتل لهُ عدوًا يتسلط

على بلاده كل ذلك مما يلقي الاوهام في قلبهِ . فجمع النعمان رجال قومهِ واستشارهم فيما يفعل فقالوا لهُ ان الامير حمزة ما جاء بلادنا الا بقصد العداوة ولا بد من امر مهم وقع لهُ ومن الصواب مطاولتهُ الى حين وصول الاخبار الينا من الملك كسرى . وكانت القناصة بنت النعمان موجودة في الديوان فقالت لابيها اعلم يا ابي ان هذا الامير ما جاء الينا الا ليوقع بنا ويخرب بلادنا ويفعل ما لا يفعلهُ الا العدو الالد ولذلك ارى من اللازم ردعهُ واكفاء شرهِ من الاول قبل ان يوصل شرهُ الينا واني اتعهد لكم بذلك واعدكم الوعد الصادق اني اسير اليهِ واتيكم بهِ اسيرًا او افعل بهِ ما فعلت بالامير غشام قبل ان يصل الى ضواحي المدينة ويقاتلنا بين البيوت . فقال لها ابوها ما هذا الكلام الا من قبيل الجهالة والاوهام فانك لا تقدرين على الثبات بين يدي الامير حمزة وهو وان كان غلامًا الا انهُ شديد العزم والحيل وقد دلت عليهِ الدلائل قبل وجوده في هذا العالم . قالت سوف ترى ما يكون وتعلم ان بنتك القناصة فضلاً عما هي عليهِ من شدة الحيل والبسالة هي صاحبة مكر وخداع عند القتال لا يقدر عليها اشد الرجال ولا بد لي من انفاذ ما خطر بفكري كيف كان الحال . فلما سمع النعمان كلامها سكت عنها فنهضت في الحال واخذت معها جماعة من البنات كانت اتخذتهن كرفاق وقت الغزو والقتال وسارت من المدينة لتلاقي الامير حمزة بعيدًا عن الحيرة وفي كل نيتها انها توقع بالامير حمزة وتحتال عليهِ اذا لم تقدر عليهِ بالبراز فتاسرهُ او تقتلهُ .

وكان الامير حمزة يتقدم بجماعتهِ ومعهُ اصعران الدربندي صاحب الحصن ومخلوف صاحب القناصة التي تقدم معنا ذكرهُ ونفوا في مسيرهم الى ان بقي بينهم وبين مدينة النعمان مسافة ١٢ ساعة تمام فنزل في تلك الارض وامر قومهُ ان ينزلوا ليرتاحوا ويأكلوا الطعام ويباتوا تلك الليلة وفي صباح اليوم الثاني يسير فيمسي عند المدينة فباتوا وصرفوا الوقت على الراحة والاطمئنان وقبل المساء تبينوا القناصة ومن معها من البنات وقد وصلت وضربت خيامها في تلك الارض وكان حمزة يجهلها ولا يعرف من هي ولم يهتم مزيد اهتمام بهذا الامر لانهُ راى شرذمة قليلة لا تزيد عن المائتين نفس لكنهُ تعجب كيف انهم اقاموا في ناحية ثانية كمن يقصد الحرب والقتال فدعا اليهِ مخلوفًا وسالهُ عن اولئك القوم هل هم من جماعة النعمان او من احدى طوائف العربان . فقال لهُ لا خفاك ياسيدي ان هذه هي القناصة بنت النعمان ولا ريب ان خبرنا وصل الى ابيها وعرفت هي بهِ فاخذت المسالة على نفسها وتعهدت لهُ بانها تنهي الامر وحدها وما ذلك الا من تشامخها بنفسها واعتمادها على الحيل والخداع فجاءت بجماعتها البنات اللاتي تراهن امامك . فغضب حمزة من ذلك وصعب عليهِ كيف انهُ يقاتل البنات وهن خلقن لا للقتال وقتالهُ لهنَّ عار عليهِ غير انهُ توجع في داخلهِ من عمل القناصة وقال لمخلوف لا بد لي من

تاديب هذه الجاهلة وتربيتها لتعلم حدود نفسها ولا تجسر ثانيــة على التعرض للفرسان . قال انت تعلم ياسيدي ما كان بيني وبينها وقد اخبرتك بهِ جليًا وارجوك ان تسمح لي ان ابرز لها في الغد اذا كانت جاءت لاجل القتال واني احب ان اخذها اسيرة واريد ان اقهرها واتغلب عليها لتكون اسيرتي ولي حق ان ادعي عليها باني اسرتها وملكتها في الميدان . وكان الامير حمزة يعلم بقوة باسهِ وانهُ من الابطال فتركهُ على ما اراد . وبعد ذلك وصل اليهِ كتاب من القناصة توعده بهِ الى الحرب في الصباح وانها جاءت لقتالهِ وردعهِ حيث بلغ ابوها خبرهُ وعرف بقدومهِ فبعثها اليهِ لاجل هذه الغاية . فاجابها عليها جوابًا لطيفًا وقال لها بهِ ان ترجع الى ابيها والا تلاقي في الغد ما لا يخطر لها ببال

قال وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير مخلوف قبل الجميع لانهُ كان طول ليلتهِ فرحانًا مسرورًا ينتظر النهار لينزل الى الميدان ويقنص القناصة وياخذها اسيرة ويرغمها على الزواج بهِ لان بواقي حبها كانت باقية في داخلهِ فلم تقلع قط وما صدق ان راى ضوء النهار حتى سبق الجميع فركب جوادهُ وبرز الى ساحة الميدان وجعل يلعب على جوادهِ كانهُ السرحان ومن ثم صارت تنهض الرجال وتركب خيولها وتقصد الميدان واذا بالقناصة قد ركبت مع باقي البنات وبرزت الى ساحة القتال ولما تاكدتهُ ارتاعت وجفلت وقالت لهُ ويلك اهل انت باقٍ بقيد الحيــاة وانا اظنك هلكت وانقرضت ومضت عليك الايام واني كنت اريد براز الامير حمزة وقتالهِ لاريهُ قيمة نفسهِ غير اني الان ارغب ان اذيقك العذاب واميتك شر ميتة حيث كذبتني عند ابي وبين قومي واردت ان تظهر الفضل لك وتهينني . فقال لها ما فعلت ذلك الا بعد ان انكرتني بالكلية وما ذكرت لي اسمًا قط لا قبل ولا بعد فعرفت خباثة نيتك واحداث وعدك ثم انهُ هجم عليها فالتقتهُ واخذا بالدفاع والقتال وهما باشد عداوة يتقاتلان وكل منهم لغاية وشان هي تطلب هلاكهُ واذلالهُ وفناء عمرهِ وهو يطلب اسرها والحصول عليها وزواجها بالرضا او بالغصب وداما على مثل تلك الحال يتقلبان في ساحة المجال مدة من الزمان حتى ضاق الامر على القناصة ورات من نفسها انها مغلوبة مع الامير مخلوف فارادت ان تعمد الى الحيلة ولذلك عادت الى الوراء وقالت لهُ تمهل قليلاً في قتالي فان الحر قد ضايقني واريد تخفيف ما عليَّ من الحديد وكن بذلك منصفًا فقال لها افعلي ما بدالك فانك اصبحت في حوزتي ولا عاد لك خلاص من يدي

واذ ذاك زاحت لثامها فبان عن وجهها الفتان يضيء كالبدر في الاشراق ثم اخذت منديلاً ورفعت الطاسة عن راسها ومسحت بهِ وجهها وراسها واسدلت شعرها فوق اكتافها الى ظهر جوادها حتى كاد يصل الى الارض وهي تظهر التافف والتضجر والمضايقة من الحر وضيقة النفس

من شدة العرق واخيرًا فكت ازرار صدريتها وما تحتها من الثياب حتى باب فسحة صدرها والعرق يسيل كالجاري ويتجدول في اسفل ذاك الوادي الواقع بين جبلي تلك الفسحة . فلما راى مخلوف ما راى اشتد به الوجد والهيام وضاع عقلة وتاه في محاسنها اي تيهان ولم يعد يقدر ان يتمالك نفسة او يثبت في ظهر الجواد . ولما رات منة ذلك صاحت بهِ وانحدرت عليهِ كانها الاسد الفائز وهي عالمة بشدة حبهِ وعشقهِ ومما حل بهِ من عظم ما راى ونظر ورفعت الدبوس في يدها وضربتة بهِ فلم يمد يده الى المدافعة ولا تستر منها بل قبل ان تصل الضربة اليهِ وقع من هوائها الى الارض خلف جواده فضحكت منة وارادت ان تسرع اليهِ وتكمل عليهِ وترتاح منة واذا بالامير حمزة قد صاح بصوت كالرعد القاصف وهجم عليها هجوم الاسد الكاسر وقد خاف على الامير مخلوف وعرف ان العشق اضعفة حتى بعد فوزه حل بهِ ما حل وهو يتالم من خداعها وحيلتها ولما وصل اليها انحط عليها انحطاط الصواعق وصاح بها واخذ معها بالقتال والصدام فرات منة انهُ كالجبل الراسي وانها لا تقدر ان تثبت امامة اكثر من نصف ساعة فيهلكها ويميتها فارادت ان تعمد الى حيلة ثانية تتخلص بها منة ولذلك قالت لهُ مهلاً ياسيدي فقال لها اني لست ممن يوخذ بالحيل والخداع فسلمي اليَّ نفسك في الحال والا انزلت بك الوبال وتركتك عبرة تضرب بها الامثال في سائر الاجيال . ثم زاد عليها في القتال فانبهرت من عملهِ ولم ترَ اوفق من التسليم والطاعة وطلب الامان فامنها على نفسها وان تسلم اليهِ اسيرة فقادها الى قومهِ وكان مخلوف قد علم بنفسة وقام وهو مرضوض من تلك الوقعة انما كان العشق يضيع لاحوالهِ فلا يعرف يمينة من شمالهِ ولما راها وقد سلمت الى الامير وقادها الى قومهِ فرح مزيد الفرح وامل الفوز والنجاح وانهُ ياخذها تلك الليلة عروسًا لهُ ويشفي فوءاده منها . واما باقي البنات اللاتي كن معها فانهن رجعن الى الوراء وانهزمن في الحال فلم يتبعهن احد ورجعن ليخبرن الملك النعمان

واما الامير حمزة فانهُ امر ان تقام الافراح في الحال ويعمل عرس للامير مخلوف لانهُ وعده واقسم لهُ انهُ لا بد ان يزوجهُ بها ولذلك دعاها اليهِ وقال لها اعلمي انك اصبحت الان في قبضة يدي واني اريد ازفك على مخلوف فهو اصبح من رجالي ومقدم بينهم ومن الصواب ان تصغي وتطيعي واني لا ارجع عن هذا العزم قط حيث ما نويت امرًا الا فعلتهُ وقد حتمت ذلك واريد اجريهُ في هذه الليلة فسكتت ولم تبدِ خطابًا وعلمت انها وقعت وان لا خلاص لها الاَّ بالصبر واستعمال الحيلة عسى ان الصدف تساعدها وتبعدها عن مخلوف وبقي الفرح قائمًا الى الليل وبالليل اخذ مخلوف زوجتهُ الى نفسهِ ودخل بها صيوانهُ واراد ان يقرب منها فقالت لهُ تمهل الان اتريد ان تغتصبني غصبًا فانا رضيتك زوجًا لي لكني لا ارضى ان البس العار على

نفسي واجعل نفسي معيرة عند الكبير والصغير فيقال اني تزوجت بالرغم عني وسبيت واغتصبت وانت تعلم اني بنت الملك النعمان ملك ملوك العربان واذا كان الامير حمزة لا يعرف عظم مقدرة ابي وجاهه وقوة سلطانه فانت تعرف ذلك وتعلم مقامه عند الملك كسرى انوشروان فاذا فعلت قبيحاً لا يصبر عليك ابي بل يجازيك على عملك فمن الصواب ان تصبر وتبقيني عندك الى ان ينتهي الامر وتاخذني بخاطر ابي ورضاه وتزف زفافاً ملوكياً على رؤوس الاشهاد . قال لها قد كفاني ما لقيت منك قبلاً وانا لا اصدق ان احصل عليك وافوز بك واما من جهة العار فقد عرف الجميع اني تزوجتك فاذا كان ثم عار لا ينفي بعد حيث لا يظن احد الا انك زوجتي وانفردت بك وصرت مالكاً لك فلا تطمعي نفسك بالحال . فجعلت تحاولهُ وتخدعهُ وتظنهُ يقبل منها وهو لا يقبل ولا يرضى ان يضيع وقتاً حصل عليهِ بعد معاناة اهوال وصعوبات وكانت الطبيعة لا تسلم معهُ باجابة طلبها وما يعهده فيها من الكذب جعلهُ ان لا يامنها ويخافها وبالاختصار انهُ اتاها بالرغم عنها فصبرت عليهِ ولم ترَ ان حالتها اصبحت توجبها الى البقاء معهُ والقرب منهُ كونهُ اصبح زوجها قولاً وفعلاً والا لا مطمع لغيره بها غير ان مزاياها والحنق كانا اكبر وسيلة لاضمار الانتقام في قلبها وقد اظهرت رضاها منهُ وابدت لهُ حبها ومن ثم قصدت ان تنام واظهرت التعب والملال فتركها وجعلت نفسها نائمة ونام هو الى جانبها وبقيت صابرة عليهِ الى ان تاكدت انهُ نام وغرق بحر الغفلة فنهضت الى سيفهِ فاخذتهُ وضربتهُ بهِ على عنقهِ فصلتهُ عن جسده واخذت الراس وخرجت من الصيوان وذهبت من ذاك المكان تحت اجنحة الظلام حتى بعدت عن الخيام وامنت على نفسها وارتاح بالها من جهة الامير مخلوف وهي تريد ان تخفي حالها ولا تدع احداً يعلم ما حل بها خوفاً من الافتضاح وكانت تخاف ايضاً من الايام لا تخفي امرها فتظهر الحقيقة من حملها وبقيت سائرة الى المدينة

وكان الامير حمزة نام تلك الليلة مرتاحاً وما عنده علم بما جرى الا انهُ عند الصباح نهض من فراشهِ فلاح لهُ هذا الخاطر وتذكر ما كان من امر غشام والقصة التي حكتها لابيها فخاف ان تفعل امراً مضراً بحليفهِ مخلوف ولما خطر لهُ هذا الخاطر تكدر منهُ ونهض حالاً وسار الى صيوان مخلوف وناداهُ ليخرج اليهِ فلم يسمع صوتاً فخفق قلبهُ عليهِ وعلم انهُ ربما يكون قتل فدخل الصيوان حالاً وعند دخولهِ وجد مخلوفاً مقتولاً والدماء تسيل في الارض فغاب وعيهُ وكاد يعمى بصره ولم يعد يعلم ما امامهُ وصاح باخيهِ عمر وقال لهُ ويلك اسرع الى جوادي واتني بهِ وبعدة جلادي فاني ارغب ان اتبع هذه الخبيثة الخادعة ولا انام الليلة ان لم انتقم منها لانها قتلت مخلوفاً وغشتني فاسرع عمر وجاءه بكل ما طلب فركب في الحال وانطلق باسرع من لمح البصر ولما راى اصفران الدر بندي ركوبهُ وعلم الحقيقة ركب هو ايضاً وركب الثمانمائة فارس

مع كبيرهم وكان يدعى الامير عقيل وانطلقوا في اثره الا انهُ كان قد غاب عن بصرهم لسرعة جريهِ وشدة حنقهِ وبقي سائرًا وعمر يقفز بين يديهِ ويركض فيسبق الجواد باميال ثم يقف الى ان يصل اليهِ وما فات ظهر النهار الاَّ وجاء المدينة وبقي سائرًا والغضب يفعل بهِ ولا احد يعرفهُ او يفكر انهُ الامير حمزة وبقي في مسيره الى ان وصل الى ديوان الملك النعمان فنزل عن جوادهِ واوقف عمر عندهُ واوصاه بالمحافظة عليهِ الى ان يخرج من الديوان . وبقي داخلاً حتى الصدر فراى النعمان جالسًا مع اعيان قومهِ وبنتهُ واقفة امامهُ وبيدها راس مخلوف وهي تقول لهُ لقد قتلت اليوم بالحيلة مخلوفًا ولا بد في الغد من قتل الامير حمزة

قال الراوي وكان لما رجع البنات الى الملك النعمان واخبرنهُ بما حل على بنتهِ وانها اخذت اسيرة تكدر مزيد الكدر واغتاظ وقال لا بد من ان يقع عليها سوء وقد حذرتها فلم تحذر ولا رجعت عن غايتها وهي تظن ان كل فارس لاقتهُ تقدر عليهِ ثم امر ان تعدد العساكر في الحال ليلاقي الامير حمزة وقد انشغل فكرهُ كل الانشغال وقال لوزيره اننا تهاملنا في امر حمزة حتى وصل الينا واسر بنتي قال ليس كان من الصواب ان تذهب بنتك اليهِ وكنا نطاولهُ بالقتال الى حين ياتينا خبر من الملك كسرى او الى حين يجتمع عندنا بعض الفرسان الذين يقفون امامهُ في الميدان والان يمكننا في الغد ان نجمع العساكر الموجودة في المدينة ونذهب اليهِ او نصبر عليهِ الى ان ياتي بجماعتهِ فنحاربهُ ونقبض عليهِ ونبقيهِ عندنا مدة ايام الى ان نرى ما يكون من امرهِ ثم امر ان تتعدد العساكر وتخرج الى خارج المدينة في اليوم الاتي . ولما كان الغد عند النهار وهو في ديوانهِ بحسب عادتهِ يريد ان يعلم ما جرى على بنتهِ مع الامير حمزة ويبعث بالاوامر الى النواحي لتجتمع بعض العساكر عنده مع فرسانها واذا ببنتهِ قد دخلت عليهِ حاملة راس مخلوف فلما راها وقف ملهوفًا وهناها بالسلامة وسالها عن سبب خلاصها فقالت لهُ اتسالني وانت تعلم اني القناصة وان لا احد يقدر على كيدي واني اكيد كل سيد مجيد وفارس صنديد . فقال لها وراس من هذا الذي تحملينهُ قالت هذا راس الامير مخلوف فان الامير حمزة اسرني برضاي وفي ظنهِ انهُ يزفني على مخلوف فاجبتهُ وعمل العرس لانهُ كان وعد مخلوفًا في الطريق وجاء معهُ لاجل هذه الغاية وبعد العرس اتيت صيوان مخلوف وقلت لهُ ان من اللازم ان اصلح بينك وبين ابي وتعود الى بلادك وتبعد عن الغرباء فانقاد اليَّ ووعدني ان يجي معي في نصف الليل بينما يكون نام الامير حمزة وجماعتهُ وامن لي واخذ ينزع عنهُ ثيابهُ لينام فحاولت حصولي على سيفهِ وضربتهُ بهِ ضربة واحدة القيتهُ قتيلاً ثم نزعت راسهُ عن جسده وصبرت الى ان مضى قسم من الليل فخرجت ولا احد يعلم بي وبقيت سائرة الى ان وصلت الى هنا وهذا توفيق عظيم ولي امل كبير اني كما اتيتك اليوم براس مخلوف هذا المتعدي الخارج اتيك براس

وصادف مجيء الامير حمزة في تلك الساعة ودخوله الى الديوان وقد سمع الكلام الاخير فهاج بهِ الغضب ورأى القناصة فزاد بهِ هياجهُ وتذكر اعمالها القبيحة فلم يطق الاَّ الانتقام منها فصاح بها وقال لها ويلك ايتها الخبيثة اتجسرين على قتل مخلوف زوجك وبعلك وتعدين اباك بقتلي ثم ضربها بالسيف على وسطها فقطعها الى نصفين القاها الى الارض قتيلة وصاح بابيها وقال لهُ اني احترم دواوين الملوك فلا اقتلك تعدياً في ديوانك ثم خرج من الديوان فاعترضهُ الحجاب وارادوا الوقوع بهِ فضرب بهم بسيفهِ البتار حتى فتحوا لهُ الطريق فصار في فسحة الدار واذا بالعساكر القائمة هناك قد هجمت عليهِ وفي نيتها ان تقبض عليهِ او تعدمهُ الحياة فالتقاها بقوة عزم وثبات جنان وارسل سيفهُ الى صدرها فمددها على تلك الفسحة وطير رؤوسها عن اجسادها وباقل من نصف ساعة قتل نحو خمسة عشر رجلاً حتى توصل الى الباب واذا بعمر واقف عنده بالجواد فعلا ظهره واراد الرجوع الى الوراء واذا بالعساكر قد اقبلت من كل مكان لان الملك النعمان لما رأى ما حل بابنتهِ وشاهد افعال الامير حمزة وقع بهِ الغيظ والحنق ولكنهُ لم يقدر ان يفعل شيئاً في الحال خوفاً من ان يحمل عليهِ فيقتلهُ وليس من يقدر على الدفاع والممانعة اذ ذاك فالتزم الى الخروج من باب اخر في ظهر المكان واسرع الى جواده فركبهُ وجعل يجمع العساكر ويامرها بالتقدم الى نحو الامير حمزة ويحثها على الهجوم عليهِ ولما رأتهُ الطليعة طمعت بهِ لانفراده فاعترضتهُ وقومت اسنتها وجاءت نحوه فصاح بها صياح الابطال وانحط عليها انحطاط البواشق على اضعف الحجال . واخذ يجول فيهم ذات اليمين وذات الشمال . ويمددهم على تلك الرمال ويتقدم الى الامام كلما انقشعت العساكر واتسع لهُ المجال . وهي تزيد على الدوام وتجمع من كل مكان وتسرع من كل ناحية وهو صابر صبر صناديد الرجال بفرح بما اصيب بهِ من اتساع دائرة المجال وكان اخوه عمر يحمي ظهرهُ ولا يترك احداً يصل اليهِ وهو كفرخ من فروخ الجان يطعن بطون الخيول فتقع رجالها على الارض فيطعنها بالخنجر في صدرها

وفي تلك الساعة وصل اصفران الدربندي وجماعة الامير حمزة وشاهدوا ما هو واقع في المدينة فدخلوا وجاءوا مكان القتال وصاحوا وحملوا للمحاماة عن اميرهم وسيدهم فاشتدت الحرب وحميت نار الطعن والضرب وقامت القيامة وحلت الندامة وقلت السلامة واصفران الدربندي يسطو سطوة الاساد ويفعل افعال الابطال الشداد . والامير عقيل انزل على القوم البلاء والتنكيل والعذاب الوبيل ودامت الحرب الى قرب الزوال وحينئذٍ تفرقت عساكر النعمان في كل جهة ومكان متعوذة بالنار ذات الدخان من عظم ما رأت من قتال هولاء

الفرسان . الذي كل واحد منهم يعد بقبيلة من قبائل العربان . ولا سيما الامير حمزة بن ابراهيم صاحب الفعل العظيم والباس الجسيم . وكان الامير حمزة قد وصل الى الملك النعمان وهو طالب الهرب فانقض عليهِ ومسكهُ وسلمهُ الى اخيهِ عمر وعند ذلك رجع الامير حمزة من ساحة القتال وهو مغموس بالدم من راسهِ الى قدمهِ فاغتسل ونزع ثيابهُ ودخل ديوان النعمان وجلس مكانهُ وجمع اليهِ كل قومهِ وامران يوتى بالنعمان الى بين يديهِ فاحضر وهو ذليل حقير بعد ان كان عزيزًا كريمًا مهابًا من الكبير والصغير . وعند وقوفهِ بين يديهِ قال لاخيهِ عمر اقطع رقبة هذا الطاغي ولا تدعني اراه بعد الان لانهُ مخاتل وخداع فتقدم عمر منهُ واراد ان ينفذ فيهِ امر اخيهِ فاستجار بهِ الملك النعمان وقال ما هو الذنب الذي فعلتهُ حتى وجب عليَّ القتل واذا قتلتني ترمي نفسك بورطة ويلة لان العراق برمتها تاتي لثاري والملك كسرى يغيظهُ ذلك وارى من الصواب ان تطلقني وتتخذني لك نصيرًا ومعينًا فما انا الا عربي الاصل من جنسك وابوك كنت على الدوام اعظمهُ واكرمهُ واعتبره اعتبار اشراف العرب واسيادهم العظام ولا افعل شيئًا بين العرب الا بارادتهِ واطلاعهِ كونهُ الحاكم والمالك في بيت الله الحرام . فقال حمزة ان ما تزعمهُ من مجيء العرب والعجم اليَّ فهذا لا اخافهُ قط ولا احسب حسابهُ لاني بمساعدتهِ تعالى اقدر على الغلبة عليهم واما سوالك عن الذنب الذي فعلتهُ فهو ان اباءك واجدادك كانوا يعبدون الله ويكرمون مكة المطهرة وياتون اليها في كل عام فوافقت انت كسرى ورجعت عن ما كان عليهِ اسلافك وملت الى عبادة النيران وهذا الذنب وحده كافٍ لموتك وتطلب ان اتخذك معينًا وساعدًا فلو كنت ممن يعبد الله لفعلت ذلك ولكنك ممن يخالفهُ ولو لم تكن عربيًا لما سرت اليك قبل ان ارى منك الشر وارى الان ان من اللازم انقيادك اليَّ بما اطلبهُ منك والا لا مناص لك من الموت وهو ان تعبد الله تعالى . فقال هذا اريده واتمناه وماتركت طريقة ابائي واجدادي الا كرهًا عني واجابة لطلب كسرى انوشروان . قال لا تخف احدًا وان كان كسرى يعترضك بامر فاني اسير اليهِ واخرب الايوان على راسهِ واقيم بين العجم والعرب الحروب الهائلة ولي ثقة كبرى بالنصر والظفر . فقال النعمان اني اعدك يا حمزة من هذه الساعة اني اعود الى عبادتهِ تعالى ومهما جرى يجرى لان نفسي على الدوام مضطربة من عبادة النيران وضميري متعوب من البعد عن الله سبحانهُ وتعالى خائفًا من عذاب يومهِ الاخير مع ان اسلافي كانوا يعبدون الله مع انهم كانوا من عمال كسرى غير انهُ لم يطلب منهم ترك عبادتهم كما ترى مني وما كان قصد كسرى بذلك ان يعم عبادة النيران بين العربان

فلما سمع الامير حمزة كلامهُ وانهُ يرجع الى الله سبحانهُ وتعالى نهض اليهِ بنفسهِ وفك وثاقهُ وسالهُ ان يجلس على كرسيهِ وصافح كل منهما الاخر واعتذر اليهِ ودعا الملك النعمان كل رجال

قومهِ الاعيان واصلحهم مع الامير حمزة وعرفهم ما كان بينهُ وبين الامير وكيف انهُ مال الى عبادتهِ تعالى ورجع اليها وترك النيران ففرح الجميع وقالوا اننا بعذاب الضمير على الدوام وما لنا من يرضى بغير عبادتهِ تعالى . وشكروا الامير حمزة على عملهِ ومدحوهُ كل المدح على خدمتهِ سبحانهُ وعلا واعد النعمان مكانًا للامير حمزة وقومهِ وامران تعد لهم الولائم وتذبح الذبائح وانصرف تلك الليلة وفي الصباح عاد الامير حمزة الى الديوان فوجد الولائم قائمة والعلائف تعدد والحاصل ان الامير حمزة بقي خمسة عشر يومًا عند النعمان وفي كل يوم يزيد لهُ بالاكرام والاحتفال وفي اليوم السادس عشر قال حمزة للنعمان اني اريد ان اذهب الي المدائن وانظر حالة كسرى انوشروان فان كان على الوفاق معنا سالمناهُ وان كان يخاصمنا حاربناه وانزلنا بهِ الويل والعبر

فقال النعمان اني لا اشور عليك الان بالمسير الى بلاد الاعجام لان كسرى كثير الجنود والاعوان وبلاده واسعة جدًا لا يكاد ملك من ملوك العالم يقارنهُ او يعادلهُ مالاً ورجالاً فاذا سرنا اليهِ لا نكفل النجاح ولا خفاك ان العجم كثيرة الحروب وعلى الدوام تطلب مساعدة العرب ويسالني ملكها المسير اليهِ بعساكر العرب فاذا سرتُ سرتَ انت معي لا سيما وان الوزير بزرجمهر قد اخبرني ان كسرى يحتاج اليك ويرضى فيك ولا بد من ان تجلو العدو عن بلاده ذات يوم وقد راى حلمًا من نحو ١٨ سنة تقريبًا ففسرهُ لهُ هذا الوزير من ان عدوًا يخرج عليهِ من حصن خيبر ويملك المدائن فتطرد لهُ هذا العدو وتعيد اليهِ بلاده وهذا لا بد منهُ فاذهب الان الى بلادك واقم عند ابيك الى حين يحتاجك فيرسل يستنجدك ويدعوك اليهِ فتنال بذلك الشرف والفخار ويكون لك عنده العظمة والاعتبار ويرى من نفسهِ انهُ محتاج الى الانقياد اليك ارهابًا بك وتجميلك معهُ . فقال حمزة لقــد اصبت بذلك وهذا قد سمعتهُ مرارًا واخبرني بهِ الخضر عليهِ السلام ولا بد لي من القيام في مكة الى حين احتياج كسرى لي فيرسل من يستدعيني لنصرتهِ فانصرهُ واري بعد ذلك ما يفعلهُ الله سبحانهُ وتعالى ولا يلزم ان اعاند القدرة فان الوقت لم يات بعد وقد سبق الوعد ان ادخل بلاد العجم على هذه الطريقة لا على غيرها . واقام بعد ذلك يومًا واحدًا وبعده ركب بجماعتهِ وودع الملك النعمان وسار من ذلك المكان يقصد بلاده والاوطان وقد خرج النعمان لوداعهِ الى خارج المدينة ومن ثم رجع الى الحيرة وسار حمزة على طريق بلاده

قال وبعد ان سار الامير حمزة الى بلاده ورجع النعمان مسرورًا بمصاحبة الامير حمزة ورجوعهِ الى عبادة الله على يده الا انهُ حسب حساب كسرى انوشروان وفكر انهُ لا بد ان يغضب اذا عرف بذلك وبقي نحو ثلاثة ايام يتردد بهذا الشان وفي اليوم الرابع خطر لهُ ان

يذهب الى المدائن الى بلاد العجم ويدخل على كسرى ويرى ما هناك من الاخبار عن الامير حمزة وعن العرب ولا بد ان يكون الملك كسرى قد وصل اليهِ خبر حمزة من رجالهِ ومن المكتوب الذي بعثهُ لهُ وعما فعل مع رجالهِ وسلب اموالهِ. ولما قوي بهِ هذا الخاطر استعد للذهاب فاحضر موكبهُ الخاص وركب بجماعتهِ من الحيرة وسار قاصداً بلاد العجم وبقي في مسيره الى ان وصل الى المدائن مقر الملك كسرى انوشروان وكرسي حكمهِ. وكان كما تقدم لا يقدر احد ان يدخل على الملك كسرى الا بالاذن وبعد مقاساة اهوال وعذاب وصعوبات لكثرة الحجاب والاعوان وطوائف الخدمة المقيمين في ايوانهِ فلما وصل الى المدائن كان عند الغروب فذهب الى القصر المعد لنزول الضيوف من العمال والامراء والملوك الى اليوم الثاني وفيهِ نهض عندما عرف ان الملك كسرى قد خرج الى ديوانهِ وجاء الباب الخارجي واستاذن بالدخول مع حاجب الباب فجاء الى كسرى وعرض عليهِ استئذان الملك النعمان فقال لهُ دعهُ يدخل فما جاءنا هذه الايام الا لحاجة وغاية مهمة. ولما وصل الاذن الى النعمان دخل وصعد الايوان وجاء الديوان ووقف بين يدي كسرى واظهر خضوعهُ وطاعتهُ فاذن لهُ بالجلوس فجلس ثم قال لهُ اعرض حاجتك يا نعمان فما تريد وما السبب الذي دعاك الى المجيء اليَّ دون ان استدعيك او ابعث اليك برسول وقد تركت ملكك وبلادك. قال اعلم ايها الملك الاعظم والسيد الغشمشم ان فارساً من مكة قد خرج عليَّ وجاء بلادي وقتل رجالي ونهب اموالي واحرمني بنتي القناصة وقد بعثت اليك بكتاب عن ذلك ولم اعلم ماذا حصل من عظمتك. فاضطرب الملك كسرى من هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وقال ما اسم هذا الفارس قال الامير حمزة ابن الامير ابراهيم. فقال لا بد لي من خراب مكة وقتل هذا الامير وهدم كل معابد العرب لانهم بعملهم هذا قد اخترقوا حرمتي ولم يراعوا عاملي عليهم وكان كسرى قد غاب عن ذهنهِ ما كان من نحو عشرين سنة تقريباً من امر الحلم ولم يعد يعي اليهِ قط والمكتوب الذي بعثهُ النعمان اخذه الوزير بزرجمهر ولم يعرضهُ على كسرى. ولما راى بزرجمهر حالة الملك وانهُ يرغب في مساعدة النعمان بذلك وان يرسل الى مكة العساكر والاجناد قال لهُ اعلم يا سيدي ان الملك النعمان قد بعث اليك بكتاب يخبرك بعمل هذا الامير وفعلهِ وقد جاءت ايضاً رجالك الذين كانوا مع رجال النعمان واخبروا ان الامير حمزة هذا قتل منهم جانباً وسلبهم الاموال واعادهم خاسرين فكتمت عنك هذا الخبر قال وكيف لم تطلعني عليهِ بوقتهِ لابعث من ياتيني بهذا الكلب العربي الذي اشرت اليهِ بانهُ يدعى الامير حمزة لاقتلهُ على باب المدائن اعتباراً لغيره. قال اني اخفيت ذلك لما ثبت عندي ان هذا الامير هو من رجال الملك كسرى ومن اقرب الناس اليهِ واحبهم عنده

.فزاد عجب كسرى بذلك وقال ما معنى هذا الكلام واي علاقة بيني وبين اجلاف العرب ومن هو الذي تزعمهُ انهُ اعز الناس عندي . قال هذا ياسيدي الاسد الذي رايتهُ في حلمك منذ زمان طويل وبعثتني لاجلهِ الى مكة لا كتبهُ من قومك وهو تربى على مالك الخاص وعاش تحت الاسم الذي دعوتهُ اياه وقد بلغني ايضًا انهُ فعل جميلاً مع جماعة من تجار الاعجام كان سلبهم اصفران الدربندي صاحب الحصن ونزع منهم كل مالهم حتى ثيابهم فخلصها لهم بعد اسر اصفران وجعلهِ من رجالهِ على اننا طالما سمعنا بتعديهِ وامرنا النعمان ان يبعث اليهِ بالعساكر فلم نستفد شيئًا . فلما سمع كسرى ذلك صفق من الفرح وقال هذا الذي اخبرتني عنهُ انهُ يخلص ملكي من عدوي الذي يخرج على بلادي قال نعم هذا هو ياسيدي وقد ظهر للوجود واخذت افعالهُ تنمو وتزيد وتشيع حتى خافتهُ اكثر العرب وانتشر بين العجم . ثم ان كسرى امر ان يخلع على النعمان الخلع السنية ويغمر بالاموال والعطايا جزاء على وصول هذا الخبر اليهِ فتكدر الوزير بختك بن قرقيش من ذلك وقال لكسرى لقد نسيت ياسيدي حالة العرب وما هم عليهِ من الهمجية وعدم الامانة فاذا اكرمتهم لا تامن جانبهم وكان هذا الوزير ردي الطباع حسود طماع بخيل مبغض لا يحب احدًا فغاظ كلامهُ هذا الملك النعمان الا انهُ صبر عليهِ لمعرفتهِ بان منزلة العرب عند الاعجام منزلة العبد الذليل عند السيد البخيل الكثير الكبر ولتجرف غير ان كسرى لم يعتبر كلام وزيره في هذا المعنى وان راه من الصالح والنافع لنفسهِ غير انهُ سبق فعطى . ثم ان النعمان ودع الملك كسرى وخرج من عنده مغتاظًا من كلام الوزير بختك وسار بعد ان ودع الوزير بزرجمهر وهو يسال الله في نفسهِ ان يكون خلاص العرب من العجم بوقت قريب عن يد الامير حمزة فيستخلصونهُ من الظلم والذل ويرتفع عنهم هذا النير الثقيل الذي تحملوهُ زمانًا طويلاً

وبعد ان مضى على ذلك مدة ايام وانشغل كل بنفسهِ وبملكهِ ونحو ذلك بلغ الملك كسرى ان خارتين صاحب حصن خيبر قد خرج بعساكرهِ وعددها اربعمائة الف فارس من الفرسان المنتخبين ودخل حدود البلاد وهو يظلم وينهب ويقتل ولا يراعي حرمة احد قط وانهُ يقصد التقدم الى جهة المدائن ليستولي عليها ويجلس عوضًا عنهُ على كرسي العجم ليجعل نفسهُ كسرى الجديد فاغتاظ من ذلك وتكدر مزيد الكدر من خروج هذا الرجل عليهِ الا انهُ لم يعتبره حق الاعتبار وترجح لهُ انهُ يجمع عليهِ العساكر العجمية وغيرها ويودبهُ على فعلهِ وكان الذي جعلهُ ان لا يحسب لهُ حسابًا قلة رجالهِ الذين تقدم ان عددهم اربعمائة الف . ومن ثم امر ان تجمع العساكر وتكون على اهبة القتال قبل وصول هذا العاتي الخارج وفوض امر ذلك وتدبيره الى وزيره بختك فاخذ في تجيش الجيوش وتعدد المؤن وتهيئة كل ما يلزم للحرب والقتال من البلاد

و بعد ان انتهى كل ذلك اجتمع بختك بكسرى وقال له لقد تم امرك ولم يبق من حاجة لا كثر وقد اجتمع عندنا نحو تسعمائة الف فارس من الفرسان والابطال وهولاء اكثر من جيوش خارتين باضعاف

فقال له اذن اريد منك ان تذهب بهم الى ملاقاة خارتين وتحاربه على بعد عن المدائن قبل ان يصل الينا فلم يوافق هذا الامر بختك وخاف من وقوعه بين يدي خارتين وان يفتك به. فقال لكسرى ليس من الصواب ياسيدي ان نلاقيه عن بعد من هذه المدينة بل من الصواب ان تبقى العساكر خارج المدينة حتى اذا وصل دافعت عنها وارجعته بالخيبة والا اذا تفرقت عساكرنا وهي بعيدة فلا نعود نقدر على التجمع والدفاع عن المدينة قبل وصوله اليها. فاستحسن كسرى قوله وامر ان تقيم العساكر خارج البلد وتنصب خيامها في ضواحيها واقامت على ذلك الانتظار مدة ١٢ يوماً الى ان بلغ كسرى ان خارتين المذكور قد قرب من المدائن ولم يبق بينه وبين جيوشه الا مدة يوم وانه امتلك كل العواصم التي مرَّ بها وعند ذلك امر العساكر ان تستعد للقتال وتحضر لملاقاة الهاجمين وفرق عليهم المؤن والذخائر وبقيت على الاستعداد الى ان كان صباح اليوم الثاني وفيه طلت عساكر خارتين واقبلت الى جهة العاصمة وهي منتشرة كالجراد في الوهاد ولما صارت مقابل عساكر الاعجام ضربت خيامها وقامت بقية ذاك النهار الى ان كان اليوم الثاني ركب خارتين فوق جواد عالٍ كانه الجبل بالارتفاع وعلى عاتقه عمد من الحديد وتقدم امام عساكره فتبينه جماعة الاعجام واذا به قبيح المنظر جداً براس كبير اصلع وعيون مستديرة صغيرة في وجه كبير مجعد مسترسل شعر الراس الى الاكتاف وبظهره حدبة تعلو رقبته وصدر واطٍ وقامة معوجة وكان مع كل ذلك من الابطال المعدودين ولما راته عساكر الاعجام قد ركب بقومه ركبت وتقدمت باذن بختك بن قرقيش الى ملاقاته ورفعت الرايات النيرانية والبيارق الكسروية ولم يكن الا القليل حتى هجمت العساكر على بعضها هجوم الاساد. واشتعلت فيما بينها نيران الحرب والطراد. واهتزت من ركض خيولها تلك البراري والوهاد. وكان يوماً عظيم الاحوال. كثير الاهوال. انقلبت فيه على بعضها الجبال. ومالت من عظم اصوات المتقاتلين الاكام والتلال. وزهقت نفوس الابطال. من كثرة الغبار وضيق المجال. وكان خارتين صاحب حصن خيبر. يزأر كما يزأر الاسد الغضنفر ويسطو سطوة الليث القسور. ويبدد الرجال. ويمددها على وجه الرمال. وهي تنفر من امامه كما تنفر الجمال من امام البواشق. وترتجف بين يديه كما ترتجف الارض عند وقوع الصواعق. هذا والحرب قائمة على قدم وساق. والفرسان تدخل ابواب المحاق. ساعية وراء العدم تنظر الفناء في اي جهة فتنقض عليه. وتصافحه مصافحة الام ولدها عند غيابه عنها ووصولها اليه.

وفرسان العجم تتاخر وفرسان خيبر تتقدم وقد اشتدت همتها بما فعلهُ مقدمها خارتين الليث الغشمشم ولم يكن من يقدر ان يلقاه في جيوش الفرس ورجال العجم وعساكر الديلم ولذلك سطا سطوة الجبابرة وفعل العجائب والاهوال الى ان جاء الزوال. وضربت طبول الانفصال وحينئذٍ رجع الفريقان الى الخيام على اصعب ما يكون من التعب والملال ولا احد منهم يصدق ان يرجع بسلام

وعندما رجعت الاعجام الى خيامها دخل بختك الوزير المدينة واجتمع بالملك كسرى وباقي الوزراء فقال لهُ كسرى اني اخاف ان عساكري تفشل في هذه المرة ويلحق بنا الويل ونصاب بمصيبة وقد تبينت اليوم ولاحظت ان عساكري لم تاتِ بالمقصود بل تاخرت ولحق بها النقص وكان بودي منذ الاول ان ارسل الى الملك النعمان واستدعي جماعة العربان للحضور والقتال معنا فمنعتني ووعدتني بالنصر والظفر. فقال لهُ كن ياسيدي بامان واطمئنان فان جيوشنا كثيرة ولا بد ان يكون الفوز لنا ولا حاجة لاتيان العرب لانهم اذا حضروا معنا حرباً وانتصرنا بها ينسبون النصر لهم وبسببهم وعليهِ فلا اريد وصولهم الينا وحضورهم معنا واكره مساعدتهم ولا احب ان يتفاخروا علينا وينظروا الينا الاَّ نظر العبيد الى الاسياد فيبقون عمرهم على الذل والطاعة. فتاثر الوزير بزرجمهر من كلام بختك وعرف ان في هذه المرة لا بد من كسرة العجم وتاخرهم واحتياجهم الى مساعدة العرب ولا سيما الامير حمزة فهو وحده الذي يقتل خارتين ويكون ذلك سبب وصولهِ الى كسرى والتصرف بهِ ولذلك قال لبختك ان امتناعنا عن العرب ودعوتهم لقتالنا من باب الخطاء والغلط لانهم من عمالنا وملزومون بخدمتنا اثناء القتال والدفاع عنا وعن بلادنا كما اننا نحن نحامي عنهم ونلحظهم وننظر اليهم بمراعاة ونكرمهم فاذا كنا لا نستدعيهم وقت القتال فلا يكونون من اتباعنا ورجالنا غير ان الوقت الان قد فات ولا تفيدنا شيئاً دعوة العرب والاوفق ان ننظر فيما نفوز بهِ عساكرنا وننجو من قبضة خارتين هذا ورجالهِ. فقال بختك ان امر القتال مناط بي مفوض الي ولا يمكن ان نتاخر ببركة النيران وعنايتها وكيف وعدد عساكرنا يفوق عساكر خيبر ونحن قادرون على الدوام الى زيادتها بخلاف الاعداء. فلم يبدِ كسرى اذ ذاك قولاً وصبر ينتظر ما يكون من امر عساكره مع الخيبريين

واما خارتين فانهُ عند المساء امر ان تنقل خيامهُ الى الامام وقد سرَّ بما وقع لهُ من النجاح في ذاك اليوم وامل بالفوز العظيم واوصى كل عساكره وابطالهُ ان لا احد يدعوه منذ ذلك الحين الا بالملك كسرى ملك العجم والعرب والديلم وسيد ملوك الزمان ويعدهم بالنجاح والعطايا وانهم يحكمون على تلك المدن ويكون لهم المقام الاول على سكان تلك البلاد وصبر طول تلك

الليلة الى ان اشرق صباح اليوم الثاني فنهض الى جواده فركبهُ وتقلد بسلاحهِ وارخى شعرهُ على اكتافهِ الى ظهر جواده وتقدم في اول عساكره وطبولة تضرب بما يشبه الصواعق فركب بختك بن قرقيش وامر عساكر العجم ان تركب فركبت وتقدمت الى ساحة الميدان طالبة القتال ولم يكن الا القليل حتى اشتبك القومان وقام قائم الحرب والطعان . وانتشرت الفرسان في ذلك المكان . وبقي القتال على اشد ما يكون من الدوران الى ان كان المساء ضربت طبول الانفصال وقد حل في ذاك اليوم بالاعجام اعظم مما حل بالاول وتاخروا الى الوراء وقتل منهم مقتلة عظيمة

ودام الامر على مثل ذلك والقتال يعمل مدة عشرة ايام حتى لجأ الفرس الى المدينة وتاخروا كل التاخير وتبدد شملهم كل مبدد وثبت عند كسرى ان العدو لا بد ان يدخل بلاده في اليوم التالي او الذي بعدهُ ولذلك طلب من وزيره بزرجمهران يسعى لهُ بطريقة تقيهِ وتخلصهُ فقال لهُ الان ما من وسيلة لنجاتنا من هذا الطاغي وعندي من الصواب اولاً ان نبعث في هذه الليلة باولادنا وعيالنا وكل ما يتعلق بنا الى مدينة طهران لنحفظها بها من الاعداء ونكون على امان من جهتها وبعد ذلك نسير نحن وهناك ننظر في امر خلاصنا لان الخبير بين سيدخلون المدينة في الغد ويمتلكونها وحينئذٍ نتركها نحن موقتاً ومن ثم نعود اليها وسوف ترى بعينيك ما يكون من امر العرب الذين تتم النصرة لنا على ايديهم فاستصوب كسرى هذا الراي وامر ان ترسل الحريم والعيال الى طهران اي حريم الامراء والاعيان والوزراء وحريمهُ مع ما هو عزيز عندهم وثمين ليكون محفوظاً فلا تنهبهُ قوم خارتين ولا يصير عليهِ امر من الامور . وصرفوا تلك الليلة على ما تقدم وفي اليوم التالي نهض خارتين وهو مومل بالفوز والنجاح وهجم على بقية عساكر الاعجام وضربها بقومهِ ضرباً اليماً موجعاً فبددها وما جاء اخر ذاك النهار حتى ضايق المدينة كل المضايقة وانزل بها الويل والعبر فالتزم كسرى ان يتركها ويسير عنها من جهة ثانية برجالهِ وابطالهِ الاخصاء قاصداً مدينة طهران

وبعد ذلك سلمت المدينة الى خارتين فدخلها منتصراً فائزاً وتملكها بقوة سيفهِ وقبض على كل عاصٍ فيها ونهب اموالها وذهب الى الايوان الاكبر وجلس على تخت الملك كسرى واعتز بنفسهِ وقال لرجالهِ الان صح ما كنت ازعمهُ واقولهُ من ان عرش كسرى سيكون لي اي اني ساسمى بهذا الاسم واكون انا المالك على العرب والعجم وكل ما يملكهُ كسرى فتهابني الملوك وتخشاني الابطال حيث اعلم من نفسي ان لا فارس بين فرسان هذا الزمان يقدر ان يلقاني في ميدان او يثبت امامي ساعة من الزمان فهناهُ الجميع بما وصل اليهِ وشكروهُ على شجاعتهِ واطنبوا في مدحهِ وسالوهُ ان ينظر في احوالهم ويقدمهم على اهل البلاد . قال لهم هذا لا بد منهُ لان من الاصابة

ان تكونوا انتم الحكام والولاة والمالكين على الاعجام حتى لا تقوم لهم قائمة فيما بعد غير ان هذا سيكون بالتتابع ومرادي ان ابعث في الغد الى سائر عمال الملك كسرى وادعوهم ان ياتوا اليّ فمن جاء طائعاً كان له النجاح والتوفيق فابقيته وصبرت عليهِ الى ان اعزله عزلاً ومن امتنع واظهر العصيان قلعت اثاره وخربت دياره. ونام تلك الليلة الى ان كان الغد وفي ذاك اليوم اخذ فكتب الكتب الى كل نواحي بلاد فارس والعرب الى داخل المدائن حتى ما ترك بلداً الا ودعا عاملها ان يحضر اليهِ واعلمه بما فعل في العجم وكيف انه استولى على الكبير والصغير في المدائن وطرد الملك كسرى ووزراءهُ ويتهددهم بان كل من امتنع عن الحضور بعث اليهِ بالعساكر وانزل بهِ العبر وسمى حالهُ كسرى الخيبري او كسرى الجديد. وبعد ان ارسل الرسل بالمكاتيب جعل ينتظر وصول المرسل اليهم فلم يقدم عليهِ احد ولا وصل منهم اليهِ احد ولاجاءه خبر من احد ولذلك وقع بالغيظ والكدر كيف انه لم يطع من احدٍ واراد ان يذهب بالعساكر الى تلك العمال غير انه راى نفسهُ انه في ذلك الوقت غير قادر على المسير وترك المدائن خوفاً من ان يستغنم كسرى فرصة غيابهِ ويرجع الى تلك البلاد فيكون ضيع تلك النصرة واذهبها سدًى فبقي في المدينة على ما تقدم وفي نفسهِ الشر لكل اولئك العمال ولا سيما الملك النعمان ملك العرب الذي كان ينتظر وصوله قبل الجميع لانهُ كان يخاف العرب ان تجمع عليهِ لعلمهِ ان فرسانها كثيرة وابطالها مشهورة

قال فهذا ما كان منهُ واما ما كان من الملك كسرى انوشروان وقومهِ الذين هربوا معهُ فانهم داموا في مسيرهم الى ان وصلوا الى طهران وهي احدى مدائن كسرى انوشروان قريبة من عاصمتهِ عامرة حصينة فدخلوها وهم ملهوفون خائفون مكدرون لضياع بلادهم وغلبتهم من العدو الالد وبعد ان استقر بهم المقر وارتاحوا من التعب اجتمع كسرى بوزيرهِ ينظر في امر خلاص بلاده واذ ذاك قال بختك لكسرى لقد جال بفكري كلام كنت قد سمعتهُ منذ سنين وترددت في صحتهِ حتى تبين لنا كذبهُ الان وعدم صحتهِ . فقال كسرى وما هو هذا الكلام . قال ان وزيرك بزرجمهر قال ان رجلاً من العرب يخلص بلادك من الاعداء وبردها اليك ويساعدك عند وقوع مثل هذه الاهوال ومما ظهر الان انه لم يصب في قولهِ وان ما يزعمهُ لم يقع بعين الفعل . قال صدقت فلم ارَ صحة لذلك مع اني سمعت بهذا الرجل العربي من الملك النعمان. ثم التفت الى بزرجمهر وكان يسمع كلام بختك بن قرقيش ويضحك منهُ بكدر لعلمهِ انهُ صادر عن فؤاد مجبول بالحسد والبغض والتهكم وقال لهُ اي وزيري بزرجمهر ابن هذا الذي اشرت اليهِ فقد احتجنا الى مساعدتهِ ولم ياتِ لمساعدتنا مع اننا صرفنا عليهِ الاموال وخسرنا الخسائر الباهظة وربيناه على حسابنا

قال اني لم اغلط في قولي ولا اخطئت ولا نطقت الا بالصواب وبعين الحقيقة فان الامير حمزة هو الان في مكة بلاد ابيهِ واجدادهِ لا يعلم ماذا جرى علينا ولا ما كان من امر خارتين والمدائن وهو ينتظر اشارة منا لياتي ويخلص البلاد وهذا اقولهُ ولا اخشى فيهِ لومة لائم انهُ كان من الله الهي الذي اعبدهُ انا ويعبده هذا الامير منذ عشرين سنة وقد وقع عليك وانت في الحلم لتسبق معرفتهُ وتستدرك نفسك ولا تسلم بلادك للاعداء الذين مثل خارتين صاحب حصن خيبر. قال كسرى اننا نحن الذين اخطأْنا بحق انفسنا وتهاملنا بارسال وراء هذا الامير الذي تزعم انهُ يكون العلة الوحيدة لخلاص بلادي وارى الان من اللازم ان تذهب انت بنفسك وتدخل بلاد العرب وتجمع الجيوش منها ومن كل نواحيها وتاتي معها بهذا الفارس المدعو بحمزة العرب لخلاصنا وخلاص بلادنا واكون انا قد جمعت العساكر من سائر نواحي بلادي فاسير من هنا لدى وصول العرب ونخلص المدائن ونهلك هذا الطاغي الذي قد جاءنا فقم الان وخذ ما تقدر تاخذه من هذه البلاد هدية للامير حمزة ولابيهِ ولا تدع باباً من ابواب الفرج الاَّ وافتحهُ والا انتقل ملكنا لغيرنا وطردنا من البلاد واصبحنا لا نملك الا ما علينا

فاستحسن الوزير كلامهُ وقال اني في هذه الليلة استعد لذلك وعند الصباح اكون في الطريق كي لا يضيع معنا الوقت. ثم انهُ قام على الاستعداد كل باقي النهار والليل وقبل الصباح اخذ جماعة من الاعجام ليكونوا برفقتهِ وسار عن طهران على طريق الحيرة حتى وصلها بعد ايام فدخل على الملك النعمان وسلم عليهِ فلاقاه وترحب بهِ وعرض عليهِ مكاتيب خارتين وانهُ يدعوهُ للطاعة والانقياد وانهُ يسير اليهِ في الحال واخبره كيف لم يجبهُ ولا التفت الى كلامهِ وانهُ اخذ في ان يجمع الجيوش العربية ليسير بها الى قتال الخيبريين. فشكرهُ بزرجمهر وقال لهُ لا يجب ان تسير الا والامير حمزة في مقدمة الجيوش لانهُ هو وحده الذي عليهِ المعوَّل والذي كتب لهُ من السعادة ما لم يكتب قط على غيره وهانذا قد ابتدات ايام سعادتهِ ووصل الى بداية المنتظر فابقَ انت على عملك واجمع جيوشك وانتظرني الى ان اعود اليك بالامير حمزة فتسير معهُ لاني ذاهب الى مكة المطهرة الى الامير ابراهيم وارجع من هناك بهِ وبجماعتهِ وبعد ان اقام ثلاثة ايام عند الملك النعمان ذهب من هناك يقصد بيت الله الحرام الى ان وصل اليهِ وعرف بهِ الامير ابراهيم فخرج اليهِ وسلم عليهِ وترحب بهِ ومعهُ الامير حمزة. فلما راه بزرجمهر نزل عن جواده وتقدم اليهِ فقبلهُ وقد راى على وجههِ علائم الشجاعة والسعادة والاقبال والتوفيق فصح عنده كل ما كان يظنهُ من اجلهِ وبعد رجوعهم الى الخيام قال لهُ الوزير اعلم يا حمزة اني ما جئت الا لاجلك لاذهب بك الى كسرى انوشروان نقتل لهُ عدوهُ وتفرج عن بلادهِ. ثم ان الوزير حكى للامير ابراهيم وولده الامير حمزة كل ما كان من امر خارتين وكسرى

وكيف انهُ استولى على عاصمة المملكة وجلس على كرسي العجم وفي ظنهِ انهُ يتملك البلاد ويكون الحاكم بالعباد وكيف ان كسرى بعث اليهِ بالهدايا والتحف يرجوهُ المسير الى خلاص بلاده . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام اشتد بهِ الغيظ والحنق ولعبت براسهِ النخوة العربية فقال وحق البيت والصفا لا بد لي من المسير الى هذا الخيبري وذبحهِ ذبح الاغنام وتشتيت عساكرهِ ولو كانوا بعدد الرمال كل ذلك اكراماً لك ولاتيانك اليَّ مع اني من اضعف الناس قدراً فصيرت لي مقاماً عند الملوك الكبار وذكرتني عند كسرى حتى يرى من نفسهِ انهُ محتاج الى مساعدتي وعليهِ فلا ابخل بروحي في سبيل انت وعدتني لاسلكهُ واسير فيهِ . فتعجب الوزير من كلامهِ وفصاحة لسانهِ وقال لهُ سوف يكون لك المقام الاول في زمانك وتسود على كل قائم وقاعد ولست انا الذي رفعت مقامك وذكرتك عند الملك كسرى بل ان الله سبحانهُ وتعالى اظهر لهُ ذلك قبل وجودك في الوجود وسخرني لاخبر بهِ واسعى بتربيتك على حساب الملك كسرى لتكون من رجالهِ وتخلص لهُ بلاده ومن ثم يكون لك بعد ذلك الحظ الاوفر والسعد الاعظم وينتشر صيتك في الافاق وتطيعك العواصم والمدائن فهذا لا بد منهُ . ففرح الامير حمزة بكل ما سمعهُ من نوال الحظ الاوفر والسعد الاعظم

وبعد ذلك قام الوزير الى البيت فطاف حولهُ ثلاث مرات ثم سجد للات والعزى وادى الفروض المتوجبة على العرب التي كانت في ذاك العصر. ثم رجع الى بيت الامير ابراهيم فاقام عنده في ضيافتهِ مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع سالهُ ان يتاهب للسفر فاجابهُ وامر اصفران الدربندي ان يستعد وجماعتهُ وامر ايضاً الامير عقيل ان يستعد مع الثمانمائة فارس اخصائهِ ورجالهِ وهو فرحان بنفسهِ كل الفرح يكاد يطير شعاعاً اولاً لحبهِ بخوض مثل هذه المعمعة ورغبتهِ بالحرب والقتال وثانياً ليري الفرس شجاعة العرب ويدعوهم الى الاعتراف بانهم اشد منهم باساً واعلى مقاماً ولا سيما ليري كسرى افعالهُ وشدة قتالهِ وهو يقول في نفسهِ لو لم يكن كسرى يحبني حبًّا عظيماً لما ارسل خلفي من يدعوني اليهِ وهو اكبر رجل في مملكتهِ اي وزيرهُ بزرجمهر ويستنجدني لمثل هذه المهمة . وبقي على مثل ذلك الى اليوم التالي وفيهِ نهض الامير الى ابيهِ فقبل يديهِ وطلب رضاه ودعاه وسالهُ مداومة الادعية لهُ ودخل البيت فسال الله المساعدة والتوفيق في بلاد العجم وما يكون لهُ فيها وركب جوادهُ وصاح باخيهِ عمران يركب بين يديهِ فاجابهُ وقد حمل كنانتهُ

قد انتهى الجزء الاول من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء الثاني عما قريب ان شاء الله

الجزء الثاني

من قصة الامير حمزة البهلوان

وقسيهُ وتمنطق بوسطهِ بنطاق من الجلد ملآنٌ من الخناجر معلقة بهِ وشد على رجليهِ طماق من الجلد الاحمر الى حد ساقيهِ ووضع على راسهِ طاسة صغيرة من الفولاذ مدورة ربطها بسلسلة رفيعة من النحاس الى تحت ذقنهِ وانطلق وباسرع من لمح البصر غاب عن العيان ثم ظهر كما يظهر البرق في اللمعان ثم اختفى باسرع من طرفة عين حتى تعجب الوزير منهُ ومن عملهِ وكاد لا يصدق انهُ من الانس وقد تذكر عمل ابيهِ وكيف انهُ ضرب امهُ لتلد في ذاك اليوم الذي ولدت بهِ ام حمزة وغيرها من العربان طمعاً بالمال وما كان ذلك الا لسعادة الامير حمزة . ثم بعد ذلك تقدم الوزير فودع الامير ابراهيم وكان قد خرج لوداعهم فاوصاه بولده وان يكون لهُ ركناً فاجابهُ ووعده بكل خير ثم تقدم حمزة فقبل يدي ابيهِ فقبلهُ وبكى على فراقهِ واوصاه ايضاً بالالتفات الى نفسهِ والى الشرف العربي ومراعاتهِ وقيام ناموس الطوائف العربية . فاجاب الامير حمزة قول ابيهِ بالرضا والقبول والطاعة وبكى عند وداعهِ وسار كل واحد منهم في سبيلهِ فرجع الاب بقومهِ الى مكة وسار الامير مع بزرجمهر وحولهُ جماعتهُ ورفاقه واخوه عمر يعلو الاكام والجبال ويبحث الطرق والمغائر ويعود الى بين يدي اخيهِ باسرع من لحظة عين وداوموا المسير مدة ايام حتى وصلوا الى الحيرة وعرف الملك النعمان بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وكان قد جمع العساكر والرجال واقام بانتظار الامير حمزة ورجوع الوزير الى ان بلغهُ اتيانهما فخرج وترحب بهما وسلم على الامير حمزة مزيد السلام ودخل بهِ وبجماعتهِ المدينة وعمل لهم الولائم الفاخرة واضافهم كعادة العرب مدة ثلاثة ايام ثم طلب منهم الوزير بزرجمهر ان يسيروا معهُ الى طهران ليجتمعوا بالملك كسرى ويسيروا معاً الى مقاتلة خارتين

فقال حمزة واي فضل للعرب اذا قاتلت مع العجم اليس انهم باقون على العظمة والكبر فاذا فزنا نسبوا هذا الفوز لهم وضيعونا حقوقنا واني اريد ان اذهب بنفسي مع جماعتي الاخصاء الذين جئت بهم من مكة فقط واني بمعونتهِ تعالى اقدر ان اقتل خارتين وابيد قومهُ . فقال بزرجمهر لا تسلك سبل الغلط يا ولدي لان خارتين فارس صنديد ولا سيما معهُ من ابطال خيبر اربعمائة الف نفس وبهم تغلب على جيوش العجم وعددهم تسعمائة الف نفس ولذلك ارى من الصواب ان تسير الى كسرى وتقاتلوا معاً ولا تضيعوا الفرصة . فقال اقسم بالرب العظيم رب

زمزم والحطيم اني لا اقاتل قط مع العجم ولا احب ان اضيع تعب العرب بكبرهم وعظمتهم فتبسم الوزير من كلامهِ وقال لهُ لقد اصبت ياولدي فانك تقدر على ما تقول فقط اريد منك ان تصحب معك الملك النعمان برجالهِ وما تجمع عنده من العساكر وما في ذلك من عار قط لانك تكون انت القائد والامير عليهم ويكونون تحت امرتك وافعل ذلك اكرامًا لخاطري . قال هذا افعلهُ ولا امتنع عنهُ لا لكوني محتاج اليهِ وقت الحرب والقتال لكن ليقال ان العرب اهل غزوات وحروب ويكون لهم على العجم التقدم ويكسبون من الفخر ما اكسبهُ واقاسمهم السعادة وارفع لهم ناموسهم وشرفهم وامنع عبدة النار الاختلاط بعبدة الله ورجالهِ

فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح بهِ وقال في نفسهِ الحق بيده ومن كان مثلهُ لا خوف عليهِ لانهُ يعبد الله ويكرمهُ ويطيعهُ ومن يحب الله لا يتركهُ ولا يتخلى عنهُ . وبعد ذلك اخذ الملك النعمان يامر الجيوش التي تجمعت بالركوب كل قبيلة بقبيلتها وكل طائفة بطائفتها وكان عددها كلها نحو خمسين الف فارس من كل مدرع ولابس وليث عابس . ولما انتهى الجميع وركب كل واحد جواده ركب الامير حمزة كانهُ طود من الاطواد او اسد من الاساد ومن خلفهِ اخوتهُ بالسن والى جانبهِ الملك النعمان بن المنذر والى الجانب الاخر اصفران الدربندي وما مضى الا ساعات قليلة حتى تحركت ركابهم في تلك الارض واذ ذاك تقدم الوزير من الامير حمزة فودعهُ ودعا لهُ بالتوفيق والنجاح وودع النعمان وسائر الامراء وسار من هناك في طريق طهران وسار حمزة في طريق المدائن يسير مسير البرق وهو يتوق كل التوق الى مشاهدة خارتين هذا والاجتماع بهِ في ساحة القتال ونفسهُ تطلب ان يخوض معامع الوغى ويحضر الوقائع العظام واكثر سروره بارتفاع اسمهِ وعلو منزلتهِ وقيادتهِ للعرب تحت امرتهِ والمسير بهم الى قتال الخيبريين وسوقهم الى اي مكان اراد وهم على طاعتهِ واكرامهِ ولما تمادى بهِ السير وتذكر ما سيكون لهُ عند كسرى من المقام والاعتبار وعلو المنزلة ورفعة الشان وكيف انهُ مع صغر سنهِ قد فاق سواه واعطاه الله ما لم يعطهِ لغيره من ابناء زمانهِ وذلك انهُ سبق فوعد بهِ الملك كسرى انهُ يخلص لهُ بلاده الى غير ذلك ولهذا انشد وقال

سوف تلقى مني العداة وبالا ... وترى في حربي امورًا ثقالا
فاخوض الوغى بسيف صقيل ... وبرمح يقصر الاجالا
فانا المقدام الذي قيل عني ... يوم طعن القنا اصون العيالا
وانا حمزة القتال ولي عز ... مٌ شديدٌ بهِ ادك الجبالا
وابيد الطغاة بالسيف قسرًا ... واسرُّ العفاة انسًا ومالا
قام لي فوق كوكب السعد بيتٌ ... شيدتهُ يد الاله تعالى

شيدته فعزَّ فوق دعامٍ ونسامى بالمجد اصلاً وحالا
وزهى رونقًا يفوق سواه وتباهى سعادة وجمالا
ودنت تسجد الاسود لديهِ فانا قد عودتها الاذلالا

ولما انتهى الامير حمزة من ابياتهِ تعجب الملك النعمان من فصاحة لسانهِ ومن ميلهِ الى الفخار واجتهاده الى ركوب الاخطار وزاد اليهِ ميلاً وحبًّا وعرف ان نجمهُ سيعلو في افق المجد الى ان يدرك اعلى شاو وان سيكون لهُ في زمانهِ شان واي شان . وبقي سائرًا الى جانبهِ على الحالة المتقدم ذكرها مدة الطريق الى ان قربوا من المدائن وتبينوا عاصمة الفرس وهي عامرة مشيدة البنيان تظهر للرائي عن بعد كانها قطعة واحدة كثيرة الالوان لعظم قصورها ولقربها من بعضها ولكثرة زخرفتها . واذ ذاك امر الملك النعمان بالنزول في تلك الارض وقال للامير حمزة لا يجب ان نتقدم اكثر مما تقدمنا بحيث تخرج الينا عساكر خارتين فتقيم في الفسحة التي امامنا فاجابهُ الى سوالهِ واقامت العرب في تلك الارض وقد ضربت خيامها وسرحت خيولها وانتشرت منتظرة ما يكون من امرها مع الخيبريين . وبعد ان استقر بهم الجلوس سال الملك النعمان الامير حمزة ان يكتب كتابًا الى خارتين يتهدده بهِ فكتب اليهِ

اعلم ايها الخيبري الطاغي المتكبر الذي ظن بنفسهِ فوق ما هو اني قبل ان خلقت سبق ذكري الى الملك كسرى واني ساقتل لهُ عدوًّا عظيمًا يتسلط على بلاده وهو ان الملك كسرى راى من مدة عشرين سنة حلمًا انهُ كان في ايوانهِ وامامهُ مائدة عليها وزة قدمت اليهِ لياكلها وهو جائع جدًّا وقبل ان يمدد لها يدًا جاءهُ كلب شنيع الخلقة هائل المنظر طويل الشعر اختطف الوزة من امامهِ وهو لا يقدر يمنعهُ وقبل ان خرج ذاك الكلب من الديوان ظهر عليهِ اسد فضربهُ بيده سحقهُ سحقًا ونزع منهُ الوزة وارجعها الى كسرى فاستيقظ مرعوبًا وعرض حلمهُ هذا على وزرائهِ ففسروه لهُ بما معناهُ ان الكلب هو انت وانك تظهر على بلاده وتطرده من ملكهِ وتستولي على تخت حكمهِ ومن ثم ياتي الاسد وهو انا فاختطف روحك من صدرك واعيد اليهِ ملكهُ وها قد اتيت اليك لاقوم بما كان من ذاك الحلم فاخرج اليَّ في الحال بجميع رجالك وابطالك لابيدك وابيدهم دفعة واحدة واذا امتنعت عن الخروج دخلت المدينة وقتلتك في نصف الديوان ويكون ذلك اكبر عار عليك تهان بهِ مدى الزمان وتحدث بهِ الناس جيلاً بعد جيل وهذا اخر ما اكتبهُ اليك وسيجمعنا الميدان والسلام

ثم طوى الكتاب بعد ان وقع عليهِ وختمهُ وسلمهُ الى اخيهِ عمر وامره بان يسير بهِ الى خارتين ويعود منهُ بالجواب فاخذهُ وسار نحو المدينة وكان خارتين قد عرف بوصول الملك النعمان وهو في ديوانهِ برجال الحرب فظن انهُ جاء لتقديم الطاعة وقادتهُ فروض العامل على موليهِ

فقال لمن حواليهِ كنت اظن بالملك النعمان العصاوة والعناد وانا متكدر من عملهِ كيف لم يحضر لمبايعتي كما اني متكدر من غيره من ولاة البلاد حتى رايتهُ الان قد جاء بقومهِ ولا بد من ان ارقيهُ وارفع منزلتهُ واغمره بالعطاء لان العرب ممن يجب ان يراعون لكثرتهم وشجاعتهم . وفيما هم على مثل ذلك واذا بعمر قد دخل عليهِ بكتاب اخيهِ ولما صار امامهُ ونظر اليهِ ضحك منهُ حتى استلقى على قفاه وقد راى من هيئتهِ كل عجيبة ثم سالهُ عن غرضه فدفع اليهِ الكتاب وحملق عينيهِ فيهِ وكشر على نابهِ حتى زاد منهُ تعجبًا ثم فض الكتاب وقراه وعرف رموزه ومعناه فاضطرب في بعضهِ وارغى وازبد وقام وقعد وقال لعمر من هذا الذي يقال لهُ حمزة وقد تجاسر وكتب مثل هذا الكتاب وهو بدوي لا اصل لهُ ولا نسب ويريد ان يتعرض لي ويجعل لنفسهِ مقامًا بين الناس فلا بد لي من قتلهِ مجازاة لهُ على تعديهِ حيث دعاني بالكلب ودعا نفسهُ بالاسد . قال ان كنت لا تعرفهُ فسوف تعرفهُ اذا اجتمعت بهِ في ساحة الميدان ورايت منهُ شدة باسهِ وخبرتهِ بمعرفة الطعان ومن المقرر الثابت انهُ لا بد ان يقتلك ويرجع البلاد الى كسرى فاكتب لهُ الجواب لاسير بهِ اليهِ لانهُ قائم على الانتظار ان كنت تخرج اليهِ او مخافةً فلا تخرج . فقال لهُ انهُ لا يستحق عندي كتابًا ولا بد ان اخرج اليهِ في الغد واقتلهُ واقتل الملك النعمان وكل من جاء لاجل هذه الغاية واقيم حاكمًا على العرب من قبلي اختاره واصطفيهِ فاذهب وبلغهُ ان يلاقيني في الغد الى الساحة لاذهب بعمرهِ واري فرسان العرب والعجم وكل من يكون حاضرًا ما يحل بهِ وبكل من يجسر ان يلقاني في ميدان او يعصاني في شان . فخرج عمر من الديوان وهو يتعجب من قباحة منظر هذا الرجل وضخامة جسمهِ وطول شعرهِ وشعر عينيهِ وحاجبيهِ

ولما صار امام اخيهِ حمزة اخبره بما كان من امر خارتين وما راى منهُ من قباحة المنظر مع انهُ كان يلبس تاجًا كملك العجم . فقال حمزة لا بد لي من قتلهِ في الغد او ما بعد الغد ونزع هذا التاج عن راسهِ . وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحالة ينتظرون خروج الخيبريين الى ان كان الصباح وفيهِ نهض الامير حمزة من منامهِ وخرج من صيوانهِ فراى ابواب المدينة قد فتحت واخذت العساكر تخرج منها افواجًا افواجًا وتنتشر في تلك الارض وتضرب خيامها ودامت على ذلك طول النهار حتى سدت ذاك المكان وملاتهُ من الشرق الى الغرب فانبهر الملك النعمان من كثرتها ووقعت الرعبة في ركبهِ وخاف من الفشل والخيبة والتشتيت . وقال للامير حمزة ان عساكر خارتين كثيرة ولا بد ان يوقع الرعب في قلوب رجالنا منها وقد كان بفكرنا ان نستنجد الملك كسرى ونسالهُ ان يبعث الينا بالعساكر فخالفت ولم ترضَ والان ارى شدة احتياجنا الى ذلك لان بغير الكثرة لا نتغلب على هولاء العساكر . فقال لهُ الامير

حمزة اني كنت احب ان لا تاتي انت ايضاً ولا اصحب معي غير رجالي واني اعرف اني اقدر ان اكبح بهم خارتين ورجالهُ وليس هو فقط بل اقدر ان اغلب بهم ملوك الارض قاطبة لانهم فرسان وابطال خلقوا للحرب والقتال كل واحد منهم يلقى الالف والالفين والثلاثة الاف واذا كنت قد وهمت من ذلك فارجع بقومك ودعني اقضي الامر بنفسي فذاك احب لديَّ وافضل عندي وقد اخبرتك اني لا احب ان اخلط عباد النيران بعباد الله ورجالهِ فلا يختلط العرب بالعجم ولا سيما اني لو جئت بعساكر العجم لبقي قدر العرب منحطاً وظن رجال كسرى ان النصر كان بسبب مساعدتهم لنا وانضمامهم الينا واني اعرف انك لا تزال موهوماً وخائفاً الى حين ترى بعينيك حالة الخيبريين وما يحل بهم وبقائدهم خارتين فسكت النعمان واصبح ينتظر ما يكون من امر الامير حمزة والاعداء وراى ان كلامهُ بالصواب وان الفرس قوم معودون على الكبر والعظمة ينظرون على الدوام الى العرب بعين الذل والاحتقار ولا يسلمون قط بشجاعة احد منهم

قال وانقضى ذلك النهار دون حرب ولا نزال الى ان كان اليوم الثاني ضربت الطبول واسرعت الرجال من كل ناحية الى خيولها فاسرجتها واعتلت فوقها وتقدمت الى ساحة الميدان وكانت العرب مترددة في امر الامير حمزة لا يترجح في عقلها انهُ يقدر على الاتيان بالمطلوب او يمكنهُ قتل خارتين ولذلك كانت قلوبها خائفة تنتظر ان ترى قتالهُ لتعرف عظم مقدرتهِ لانها لم تكن شاهدتهُ في حرب ولا في قتال واما الامير حمزة فجمع رجالهُ الاخصاء وقومهُ وامرهم ان ينقضوا في كل مكان ينقض هو فيهِ فيحمون ظهرهُ ويقاتلون كقتالهِ وقال لهم اعلموا ان المعول في هذه المهمة عليكم والرجا بكم فاذا تاخرتم انتم تاخروا جماعة النعمان واذا تقدمتم تقدموا واشتدت ظهورهم . فقال لهُ اصفران الدربندي اني اعلم اننا نحن وحدنا نكفي لقتال هولاء الخيبريين مهما كانوا كثيرين ولا حاجة لنا بالعرب وقوم النعمان وسوف ترى بعينيك ما يكون لنا واذا شئت فاسمح لي ان اقاتل هذا اليوم وحدي برجالي وعند اخر النهار تظهر الحقيقة ويعلم الملك النعمان ان اربعين من خدامك ورجالك لاقوا اربعمائة الف وعادوا منصورين ظافرين فمدحهُ حمزة وعرف انهُ يقدر على ما يقول لعلمهِ ببسالتهِ وشجاعتهِ . وبينما هو على مثل ذلك واذا بعساكر خارتين قد صاحت وهجمت هجمة واحدة واندفعت كانها السيول عند اشتداد الرياح . فالتقتها العرب ملتقى اسود البطاح . واخذت معها بالمحاربة والكفاح . وحمل الامير حمزة البهلوان . بما اعطي من قوة القلب والجنان . وباقل من نصف ساعة اختلط الخيبريون بالعرب . واشتد لهيب تلك الحرب واضطرب . وعلا الصياح من كل فارس . وهمهم كل بطل مداعس . حتى خيل للرائي ان يوم القيامة قد حلَّ . وان نذير السلامة قد انقرض واضمحل . فزهقت النفوس

وقطعت الروؤس . وعملت السيوف على تفريق الحتوف . فقسمتها على الرجال . وفرقتها على الابطال . فاصبحوا شارًا لضربات الاجال . وعصفت فيهم رياح الاقدار . فذهبت بهم الى عالم الفناء والبوار . وقصرت ما لهم من الاعمار . وكان الامير حمزة راى الى ازدحام العساكر . ففرح منهُ القلب وسر الخاطر . وغاص في بحار تلك الواقعة وانقض على الخيبريين انقضاض الصاعقة . ومحقهم بصمصامته الماحقة . وفرقهم تفريق الرياح اذا ضربت بالرماد . وشرّدهم بين تلك البراري والوهاد . ومن خلفهِ اصفران الدربندي وبقية رجالهِ الاجواد . يزأرون كما تزأر الاساد . وينتزعون الارواح من الاجساد . ولما راى النعمان حمزة وفعالهُ . ورات العرب حربهُ وشاهدت اعمالهُ . اشتدت ظهورها وثبت عندها انهُ بطل لا كالابطال . وقيل لا تقاس بهِ الاقيال . ودامت الحرب على مثل تلك الحال . الى ان قرب الزوال . فضربت طبول الانفصال . ورجع حمزة برجالهِ والدماء تغطي جسمهُ وهو كانهُ الليث الخارج من الغاب فتلقاه الملك النعمان بالاحضان وقبلهُ ما بين عينيهِ وشكرهُ كل الشكر واثنى عليهِ . وقال لهُ بالحقيقة انك فارس هذا الزمان . ومنشئ شرف العربان . فلله درك من فارس أوحد وبطل امجد . فقال لهُ حمزة اني اقاتل لاحياء شرف بني جنسي وارفاع مقامهم الى اوج الفخار وكان بودي ان اقضي الامر في هذا النهار غير ان كثرة الاعداء خانتني واحيت من امال الاعداء بطول البقاء ولا سيما انهم يعلقون املهم بخارتين لعلهم انهُ من افرس فرسان هذا الزمان فما دام حيًّا لا تنقطع منهم الامال . وعندي لو بارزتهُ في هذا النهار وقتلتهُ لتفرق قومهُ وطلبوا البراري والقفار . فقال لهُ النعمان اني ارى انهُ ليس في برازك لهُ من فائدة ومن الموافق ان تبقى الحرب على ما هي فلا تمضي الا ايام قليلة حتى تضعف شوكتهم ويفلون واذ ذاك يفر خارتين ويترك هذه الديار والا اذا حل بك امر او تغلب عليك انقلبت الحال علينا وتفرقنا في كل قطر وسبسب . فقال حمزة اني لا ازال اراك خائفًا من خارتين وليكن موكدًا عندك انهُ لم يبقَ من عمرهِ غير هذه الليلة وفي اليوم الاتي يمسي تحت حوافر الخيل فكن مطمان البال فاني موعود من الخضر عليهِ السلام اني اكون متوفق الاعمال في كل الاحوال وافوز على كل عدو ومناضل وهذه اول مرة سلكت فيها سبيل الفخار وطلبت ميادين القتال فلا اظن اني اكبح واصاب بما تزعم ولا يمكن لمن وعدني بالسعادة ان يخلف وعده وحاشا الله من ذلك

وبات حمزة تلك الليلة ينتظر اليوم التالي وهو متيقن كل اليقين انهُ سيقتل خارتين وينهي امرهُ دفعة واحدة ويري النعمان فعالهُ وما وصل اليهِ من الاقبال وقوة الباس وعند الصباح المنتظر نهض من فراشهِ الى سلاحهِ فافرغهُ عليهِ وخرج الى جواده فركبهُ وكان قومهُ قد جاءوا خيولهم ايضًا فركبوها وتقدموا معهُ الى ساحة القتال بينما كان كل من العسكرين

يتعدد ويتقدم على الترتيب والانتظام وقبل ان تم وقوف القومين على ما اعتاد عليهِ اهل تلك الازمنة عند القتال سقط الامير حمزة الى وسط الميدان كانهُ اسد من الاساد وهو مضيق اللثام على كتفهِ الرمح اللهذام وفي وسطهِ السيف الصمصام وعلى جسده من الحديد ما يثقل حملهُ على كل بطل همام

ثم انهُ صال وجال ولعب على اربعة اركان المجال حتى تحيرت منهُ عقول الرجال واندهشت من اعمالهِ الفرسان والابطال. وفيما هو على مثل تلك الحال. صدمهُ خارتين صدمة تتعتع الجبال. وهو كانهُ الغول في قباحة منظرهِ. وطول اظافره وشعره. وقال لحمزة انت هو حمزة صاحب الكتاب الذي ارسل اليَّ وانت الذي يقال عنهُ انهُ سيقتل خارتين ويبدد رجالهُ. قال نعم انا هو الاسد وانت الكلب ومن المعروف الثابت عند الناس وفي العقول ان الاسد يبطش بالكلب واي نسبة بين الكلب والاسد وفي هذا اليوم تنظر فرسان هذا الميدان ما يحل بك ويصل اليك اي يرون يوم مصرعك وانقضاء اجلك ويشاهدونك وانت مداس من جوادي بعد ان يسلك سيفي في جسمك مسلكًا واسعًا. فلعب الغيظ بقلب خارتين عند سماعه كلام حمزة وتمزقت احشاءهُ ولم يعرف بما يجيبهُ ولذلك امتشق حسامهُ وضرب بهِ حمزة فالتقاه بقوة زنده وعظم مقدرته وشدة باسهِ واخذ معهُ في القتال والطعن بالرماح الطوال. والضرب بالسيوف الصقال. وشخصت اليهما الابصار. واحدقت بهما اعين النظار. وما فيهم الا من انتظر النهاية بينهما بقلة الاصطبار. وقد علا فوقهما الغبار. واجتمع عليهما بقوة التيار. وسبح جواداهما بالعرق كما تسبح الاسماك بالابحار. وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان. كانهما جبلان يلتطمان. او اسدان يتناطحان. ودامت بينهما الحال على مثل هذا الشان. نحو خمس ساعات من الزمان. وقد خافت العرب على حمزة من خارتين لما راتهُ كانهُ الجبل الراسي لا يتزعزع من مكانهِ وهو يهدر كفحول الجمال وضرباتهُ تسبق نزول القضا ولعلمهم ان الامير حمزة صغير السن لم يحضر في ميادين القتال ولا قاتل مثل هذه الابطال. ودعت لله المتعال ان يخلصهُ من هذه الحال. واذ ذاك سمعوا صيحة عظيمة ارتجت منها السهول وجفلت الخيول. ومالت اليها الانظار والعقول. وكان الصائح الامير حمزة قد انحط على خصمهِ انحطاط الصواعق. وضربهُ بمتين عزمهِ بسيفه الماحق فوقع على عاتقهِ الايمن فقطعهُ وخرج السيف من تحت ابطهِ الايسر فمال خارتين عن ظهر جواده كانهُ طود من الاطواد يتخبط بدمهِ وقد ذهبت روحهُ من جسده وكانت عموم الفرسان تنظر الى تلك الضربة فلما رات العرب ان اميرها قد قتل خارتين فرحت غاية الفرح واملت الفوز والنجاح وثبت عند الملك النعمان ما كان يتردد في ثبوتهِ ولذلك امر رجال العرب ان تحمل حملة واحدة لما راى الامير حمزة وقد خاض ذاك العباب

واغمد بالفرسان سيفه القرضاب . وبين يديه عمر كانة النشاب . يدور حول جواده كالدولاب وحمل ايضاً اصفران الدربندي والامير عقيل وباقي الثمانمائة فارس اخصاء الامير . واشتبك القتال بين القومين وصاح على رؤوسها غراب البين . وقصرت الاعمار . وحل على الخيبريين الدمار . وايقنوا بالهلاك والبوار . وهم يقاتلون مدافعة عن الارواح . قاطعين الرجاء من الفوز والنجاح . وقد ظنوا انهم يلجئون الى المدينة للخلاص من قتال العرب غير انه قد خاب ظنهم حيث ان العجم من سكان المدينة كانوا بانتظار النهاية حتى راوا عن بعد وتاكدوا ان خارتين قد قتل فتجمعوا وحملوا السلاح ووقفوا عند الابواب لمنع الخيبريين من الدخول وعند ما راوهم وقد اقبلوا صاحوا بهم ووضعوا فيهم السيف وقلوبهم محروقة من اعمالهم فوقعوا بين عدوين كل منهم يطلب هلاكهم وفناءهم فلم يروا اوفق من الهرب والفرار . والبعد عن تلك الديار . طمعاً بالنجاة واملاً بالحياة . فشردوا يميناً وشمالاً وانتشروا متفرقين ما بين عشرة وعشرين والامير حمزة يضرب فيهم وقد اشفى غليله واهلك قسماً كبيراً ومثله كانت تفعل رجاله حتى ما جاء اخر النهار الا وهم بعيدون عن تلك الديار وقد امتلات الارض من قتلاهم وسبغت بادميتهم تلك الساحة حتى لم يعد يرىٰ وجه الارض وبعد ذلك اجتمع الامير حمزة بالنعمان فقبله ما بين الاعيان وشكرهُ على فعلهِ وقال له بالحقيقة انك فارس الزمان الاوحد وبطله الامجد وليس لك ثانٍ وما شاهدته اليوم من قتالك وحربك ونزالك لم اره قط من غيرك ولا بد ان يحلك كسرى محل الاسياد العظام ويجعل لك عنده ارفع منزلة واعلى مقام فقال اني لا اطلب المنزلة لنفسي ولا اريد من كسرى الا ان يعترف بفضل العرب وبسالتهم لاني لا احتاج الى التفاتهِ ما زلت قادراً ان انشئ الشرف لنفسي واقيم لي في صدر هذا الزمان مركزاً حسناً فاذا لم يعترف كسرى بفضل العرب الزمته الى ذلك بقوة سيفي الاحدب وشدة باسي وما اعطاني الله من قوة الجنان .

ثم انه بعد ذلك جاء الامير حمزة الى نحو ابواب المدينة فتلقاهُ اهلها بالترحاب والاكرام وقدموا له مزيد الاعتبار والاحترام وادخلوهُ المدينة بالفرح والسرور ونظر الامير الى اخيهِ عمر فوجده يحمل راس خارتين وكان عند نهاية القتال اسرع الى وسط الميدان وقطعه وجاء بهِ . فقال له لما هذا وما هو السبب الذي دعاك لحملهِ . قال لا خفاك يا اخي اني اعلم انك لا بد ان تبعثني الى كسرى لابشرهُ هذه البشارة فاذا كان معي الراس وراه كان فرحه اعظم فاحصل منه على انعام زائد واموال غزيرة مقابلة لمثل هذه البشارة ولا خفاك ان جماعتي من العيارين الذين اصطفيتهم لنفسي يحبون المال ودائماً يسألوني دفع معيناتهم وانا حتى الان لا مال عندي ولذلك اريد ان احصل على الاموال الغزيرة ولي ثقة كبرى بان من الان وصاعداً يحصل لي

كل ما اطلبهُ وارجوهِ بمساعدتك . فوعده حمزة بكل جميل ودخل وإياه المدينة ومعهما الملك النعمان وبعض الامراء ودخلوا قصر الملك كسرى ناموا بهِ تلك الليلة وفي الصباح جاءوا الايوان وصعدوا عليهِ ونظر حمزة الى كثرة الاموال التي كان جمعها خارتين وابقاها في الخزائن مع الاموال التي كان جاء بها من بلاده والتي نهبها في اثناء اتيانهِ الى المدائن فاذا هي شيء كثير يكاد لا يحصاه العقل ويضيع عنده واذ ذاك قال لهُ الملك النعمان ان هذا المال هو من مالنا ولنا الحق بالتصرف فيهِ ومن الواجب ان ناخذه لانهُ من مال خارتين وقد قتلناه واصبح مالهُ مباحًا لنا وما من مانع يمنعنا عنهُ . فقال حمزة هذا لا اوافق عليهِ ولا اريده فهو الان في قبضة الملك كسرى وصار ملكهُ لاننا نحن نقاتل عنهُ ولهُ وكل ما يقع بايدينا فهو من مالهِ دون ذلك فان انعم علينا كان خيرًا والا فاننا في غنى عن ذلك وما قلت لك ذلك الا لاظهر للفرس عفة نفوس العرب ولكي لا يقال عنهم انهم لصوص وطاعون . فانتبه النعمان الى كلامهِ ووعاه وعرف ان الحق بيده وان الله قد جمع بهِ كل خصال حميدة وجملهُ باحسن الصفات وابهاها . وبعد ذلك كتب الامير حمزة كتابًا الى الملك كسرى يخبره بهِ ما كان من امره وامر خارتين ودفعهُ الى اخيهِ عمر وقال لهُ خذ هذا الكتاب واعجل بهِ الى طهران وادخل على كسرى فادفعهُ اليهِ واقرِ مني السلام الى الوزير بزرجمهر واسالهُ ان يرضى عليَّ ويدعو لي واخبره باني مشتاق الى تقبيل ايديهِ . ففرح عمر بهذه الرسالة وقال في نفسهِ لا بد لي من ان احصل في هذه المرة على الاموال الغزيرة والانعامات الكثيرة وانال كل ما اتمناه واقدر بعد ذلك ان انعم على اصحابي والعيارين الذين اتخذتهم لنفسي وودع اخاه والملك النعمان وخرج فرحانًا مسرورًا وطول الطريق يفكر بما سيحصل عليهِ وينالهُ وكلما سار برهة يردد في عقلهِ مقدار ما ياخذ ومقدار ما يعطي الى ان وصل الى طهران وهي البلاد التي اقام فيها الملك كسرى كما تقدم معنا

قال وكان الوزير بزرجمهر بعد ان ودع الامير حمزة بقي سائرًا الى ان وصل الى طهران وهو مسرور من الامير موكد بنجاحهِ ولما دخل على كسرى قال لهُ بشرني ايها الوزير النصوح العاقل الخبير . قال قد جاء الامر على احب ما نريد وان الفارس الذي نحن نرتجي منهُ نصرًا قد وجدناهُ فجاء الحيرة ومنها سار الى المدائن مع الملك النعمان وفرسان العرب . قال لقد اخطات وكان من اللازم ان ياتي الينا ونجتمع بهِ اولاً ومن ثم نسيرهُ بالعساكر لاني اخاف ان رجال العرب لا ياتون بالمطلوب ولا سيما ان قوم خارتين كثيرون واشداء . قال بزرجمهر اني عرضت عليهِ ذلك فلم يقبل ولم يرضَ ان يقاتل الا وحده مع جماعتهِ وقال لي ما من حاجة لتنازل الملك الاكبر وازعاجهِ بمثل هذا الامر واني سانهي لهُ الامر على احب ما يريد ويختار . ففرح كسرى وقال لا بد لنا من مكافاتهِ اذا تم لنا المطلوب وخلص لنا بلادنا . فقال بختك

ابن قرقيش ان العرب اجلاف ولا اظن انهم ياتون بالنصر واذا توفقوا الى ذلك لا نعود نقدر على مرضاتهم فيطمعون فينا ومن عمل هذا الامير حمزة يظهر ذلك لانهُ لا يريد ان نشترك معهُ بهذه القتال لغاية خبيثة منهُ دلت عليها قرائن الاحوال فقال بزرجمهر لو كان كما تقول لما سعى في خدمتنا وجاء يقاتل عن بلادنا واوطاننا وخاطر بنفسهِ من اجلنا ولا سيما فانهُ يعرف نفسهُ انهُ من رجال كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان وما اراد بذلك الا تخفيف الثقلة عن العجم وكيف كان الحال فهو يظهر طاعتهُ ويرغب في خدمة دولتنا على انهُ من المقرر ان العرب هم عمالنا واننا عند الاقتضاء نطلب اليهم القتال معنا كباقي اتباعنا ولا يجب ان نظن بهم غير ما استحقوهُ ما زالوا مطيعين لنا مجيبين لاوامرنا . فقال كسرى ان كان حمزة يقتل عدوي ويخلص لي بلادي يكون قد استحق ليس فقط المدح والثناء بل الانعام وعلو المرتبة وسوف اكافيهِ على عملهِ هذا بكل جميل واحسان وكان بختك كما تقدم ردي القلب حاسد لا يرضى في غير مصلحتهِ فكدرهُ كلام بزرجمهر واضمر الشر للامير حمزة عند سنوح الفرصة وترك ذلك الى وقته

وبقي كسرى في طهران ينتظر خبرًا من قبل حمزة ويرغب في ان يعرف ماذا جرى على بلاده وعلى خارتين فيها ومضى عليهِ مدة ايام الى ان وصل عمر العيار بكتاب اخيهِ فدخل المدينة وجاء الديوان وهو محتنك باعيان المدينة ووزراء كسرى وكلهم من حواليهِ وهو في وسطهم ولما راهم عمر اراد ان يسبق بالبشارة مكتوب اخيهِ فصاح وهو في الباب بصوت استدعى انتباه الملك والجميع ومالوا باعناقهم اليهِ وقال ابشر ايها الملك العظيم والسيد الجسيم الذي ملكت العرب والعجم واتصل حكمك الى كثير من الامم ان عدوك خارتين قتلهُ فارس هذا الزمان . وزهرة الفخر وعلو الشان . من ذل بين يديهِ كل جبار عنيد . وفارس صنديد . الذي تفخر الملوك اذا تشرفت بلثم يديهِ . ورضيت السعادة ان تكون على الدوام حواليهِ . وهو الامير حمزة العرب وتاج المجد والنسب . وقد اعاد البلاد اليك ورد ملكك عليك . وقد بعثني لابشرك بذلك . واشرح لك ما لحق باعداك من المهالك . وهاك راس خارتين . صاحب حصن خيبر اللعين . ثم ان عمر رمى بالراس في الوسط وهو على هيئتهِ الكئيبة فجفل منهُ الجميع وقد انبهر كسرى مما سمع ولم يعد يعرف بماذا يجيب وصاح صياح الفرح وصفق بيديهِ وقال لوزيره بزرجمهر لقد تم وعدك ايها الامين الصادق وانتهى ما اشرت اليهِ وعادت بلادي اليَّ ولم يفتني ما كنت ارجوهُ ثم قام ودنا من الراس فرفسهُ برجلهِ وقال هذا راس الكلب الذي رايتهُ في حلمي قد قتل من الذي اعاد اليَّ الوزة . وبعد ذلك تقدم عمر وسلم الكتاب الى الملك كسرى فدفعهُ الى وزيره بزرجمهر ليقراه عليهِ فقراه واذا بهِ

من الامير حمزة عابد الرحمان . ومبيد اهل الكفر والطغيان . ورافع شرف العربان . الى الملك كسرى انوشروان . صاحب التاج والايوان

اني لما كنت قد ربيت على نعمتك ونشأت تحت عنايتك وهمتك وكان من الواجب عليّ خدمتك والقتال عن بلادك والدفاع عن حصونك وتاجك كي لا يطمع عدو بك ولهذا السبب سرت بامر حضرة وزيرك بزرجمهر الى المدائن والتقيت بعدوك الخبيث خارتين فبارزتهُ في الميدان وبساعات قليلة انهيت امرهُ وبددت شمل رجاله وفرقتهم في كل قطر وناد لا يعرفون في طريقهم بينهم من شمالهم حتى اذا كان المساء دخلت المدينة محفوفاً بالنصر المجيد وقد اجليت الاعداء عنها تاركين اموالهم وغنائمهم ولم ياخذوا معهم غير ارواحهم وهم غير امنين عليها عدا عن الذين قتلوا وملئت الارض من جثثهم وقد بعثت اليك مع عياري عمر وهو ايضاً من رجالك راس خارتين لتدوسهُ برجلك وتحقق موتهُ واني باقٍ في المدينة على انتظارك حتى تاتي وتستلم كرسيك واموال عدوك فانها باقية على ما هي لم يمد احد اليها يداً ولا زالت عساكر العرب قائمة خارج البلد لم تدخل قط الا اذا امرتها انت والسلام مني اليك

فلما سمع الملك كسرى ما كل الكتاب فرح بالامير حمزة وقال لقومهِ لا بد لنا من الذهاب والرجوع الى المدائن لنشاهد الامير حمزة وننعم عليهِ هناك ونكافيهُ على معروفهِ بما استحقهُ فعلهُ هذا ثم ان كسرى قال لوزيره بزرجهر اخبر عمر هذا العيار الذي جاءنا بالبشارة ان لا مال عندي هنا لاعطيهُ وانعم عليهِ مكافاة على بشارتهِ اياي ولكن عند عودي الى المدينة ازيد من عطاه واغمرهُ بالاموال وكان عمر قائماً على الانتظار وان يسمع امر كسرى بدفع البشارة لهُ الى ان بلغهُ الوزير كلامهُ فتكدر من ذلك وخاف ان يذهب عليهِ تعبهُ بلا جدوى ولا نتيجة ولا ينالهُ بارة الفرد الا ان الوزير طمنهُ ووعده بكل جميل واحسان واكد لهُ انهُ يحمل كسرى على الانعام عليهِ عند وصولهِ الى خزينتهِ . وبعد ذلك امر كسرى عمران يسير مع الوزير بزرجمهر امامهُ وكتب كتاباً الى حمزة يقول لهُ فيهِ انهُ آتٍ اليهِ على اثر وزيره وانهُ لا تمضي ايام الا ويكون في المدينة . وابدى منهُ كل مسرة وحبور ووعده بكل جميل عند وصولهِ اليهِ . ومن ثم امر الوزير ان يركب الى المدائن وقال لهُ سر امامي الى المدائن واقرِ حمزة مني السلام واخبرهُ اني بعد ايام اكون عنده بحيث تسير بين يديّ عيالي واعياني الذين جاءوا معي وحال وصولك احتفل باكرامهِ واحسن معاملتهُ وقم بكل ما يليق بشانهِ . فاجاب الوزير امر سيده وركب وسار الى المدائن وبين يديهِ عمر وهو يقول لهُ اني اخاف ان يصل كسرى الى المدائن وينسى ان يدفع لي اجرة سيري اليهِ وبشارتي لهُ فيضيع تعبي سدًى ولا بد لي عند وصولي الى جماعتي يطالبوني بنصيبهم من انعام كسرى فاذا قلت لهم انهُ لم يعطني شيئاً يضحكون مني ولا يصدقون ان خزينة

طهران فارغة لا مال فيها

فقال لهُ كن براحة لا يضيع عليك بشارتك وانهُ لو شاء ان يعطيك قليلاً لامكنهُ ان ياخذ من خزينة ايران او من اموالهِ الخاصة غير انهُ يعرف ان مثل هذه البشارة تحتاج لاموال تعادلها فاخر ذلك الى حين وصولهِ الى بلاده وكرسي حكمهِ فيزيد من عطاك ويجعلك راضياً منهُ وليس كسرى ببخيل ليمنع عنك اموالهُ . قال اني اخاف ان يكون ساذج القلب فيلعب بهِ الوزير بختك ويمنعهُ عن غاية يريدها . قال هذا فيهِ صحيح وقد يلعب فيهِ الوزير بختك بحسب مشتهاه عندما يخلو لهُ الجو وهو نظنهُ اميناً على مصلحتهِ ولا يعلم ما هو عليهِ من رداءة الاعمال وخباثة الافكار وتركيب اساليب الخداع والكذب الذي لا طائل تحتهُ غير ان كسرى يركن لي ويعرف مني اماتني لهُ فاذا منعهُ بختك عن ان يدفع اجرة بشارتك جعلتهُ ان يعطيك قياماً بوعده فكن مستريحاً . وداما على المسير و بزرجمهر يشتاق ان يصل الى المدينة ويرى الامير حمزة ليهنئهُ بهذا النصر المجيد ويبشرهُ بحسن الاستقبال وبالسعادة حتى وصلا اليها ودخلاها

قال وكان الامير حمزة بعد مسير اخيهِ عمر اقام بين رجالهِ خارج البلد فيدخل مع الملك النعمان الى المدينة يقيم فيها ساعات ليتفرج عليها او يقيم في ديوانها ثم يعود الى بين رجالهِ وقد امن المدينة واعاد اليها الراحة والسلام وجمع كل اموال خارتين وما تركهُ لى الخزينة والى مخازن المملكة لم يترك احداً يمد يده الى حاجة تساوي بارة كي يعرف كسرى ان العرب كرام النفوس لا كما يظنون بهم من البربرة والدناءة . وفي ذات يوم وهو اليوم الدي جاء بهِ بزرجمهر دخل حمزة ومعهُ الملك النعمان واصفران الدربندي والامير عقيل الى ديوان كسرى فوجدوا كرسيهُ تتلألأ بلمعان البرق لعظم ما عليها من الجواهر وهي من الذهب الخالص منقوشة بالنقش المختلف من صنعة الفرس . فقال الملك النعمان للامير حمزة ارتفع الى هذه الكرسي واجلس عليها فانت على استحقاق من ذلك . قال لا اطمع لنفسي ان اجلس على هذه الكرسي ذات يوم ولا اريد ان اشغل نفسي عن خدمة ابناء جنسي والقيام بينهم غير اني اجلس على سبيل التجربة فقط لارى كيف يكون حال الجالس عليها . ثم انهُ انتهض بخفة وسرعة الى الكرسي وجلس عليها فغرق الى وسطهِ لانها كانت مشدودة بالمخمل الثمين محشوة بريش النعام الابيض فانسرَّ وشعر بليونة وقال للنعمان هنيئاً لكسرى فانهُ يتنعم بجلوسهِ على كرسيهِ الناعم . فقال لهُ النعمان اني اريد ان اسالك امراً فهل ترضاه وتقبل بهِ ولا ترجعني عنهُ وتحرمني منهُ . قال اني لا امنعك من امر تريده وذمة العرب فامرني بما تشاء . قال اني اريد منك ان تجرب التاج على راسك لارى في جلوسك على هذه الكرسي كم تزيد على كسرى بهاء وعظمة وكم يوجد فرق بينك وبينهُ . فقال لهُ اني كنت لا احب ان اجرب بمثل هذا الامر كون لا يلبس التاج الا من دخل خطة الملوك وانا

لا حق لي بالدخول في هذا الباب وما انا الا بدوي ابن امير اقيم على قبيلة صغيرة حقيرة غير اني لا أريد ان احرمك من امر تريده فاجيبك الى سوالك . قال اننا جميعنا نعترف بشرفك وعلو حسبك ونسبك فما انت الا ابن امير مكة المكرمة اعلى العرب شرفًا واكرمهم امًّا وابًا وما الملوك الا دونك في المرتبة والمنزلة وعلاوة على ذلك فان سيفك سينتصب حكمًا في زمانك فتخضع لهُ الملوك وتذل لهُ السادات العظام وبعد قليل من الوقت يعترف لك اكبر ملوك العالم وهو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان الذي كان سبب رجوعهِ الى كرسيهِ انت ولولاك لما عاد ثانية الى بلادهِ ولا فرح بان راى التاج على راسهِ بل بقي مطرودًا مهانًا وانتهت هذه الدولة بهِ

وفي الحال دعا النعمان ببعض خدمة الايوان وامرهُ ان ياتي بتاج من تيجان كسرى الذي كان يلبسهُ خارتين فاتي بهِ وهو مرصع بالجواهر الكريمة وكل حجر بهِ كالكوكب يضيءُ ويلمع وكان كسرى قد اصحب هذا التاج الكبير الذي يلبسهُ وقت الاعياد والزين وفي الاحتفالات الرسمية وهو لا يثمن بثمن يساوي بلاد كسرى باجمعها قيمة وابقى ما لهُ من التيجان في قصرهِ . فلبس الامير حمزة التاج على راسهِ فزاد بهاء وكان جميل الصورة ابيض الوجه ناعم الخد موردهُ اشقر الشاربين صغيرهما لان الشعر قد بدا يخط في وجههِ فانبهر النعمان منهُ وقال لهُ انهُ يليق بك واليق من كسرى مهابة وفيما الامير حمزة على مثل ذلك مع الملك النعمان واذا بالوزير بزرجمهر قد دخل وراى الامير حمزة على تلك الحالة فهجم عليهِ واحتضنهُ وقال لهُ لم ارَ ابهى منظرًا ولا اجمل بحياتي من هذا المنظر ابهج فنزع حالاً التاج عن راسهِ وقال لهُ لا تواخذني ياسيدي فاني فعلت ذلك تجربة بطلب الملك النعمان . قال لا باس منهُ فانت ابهى من كسرى واليق منهُ تحتهُ على كرسيهِ ولا بد ان تنظر كيف ان الدهر اوصلك الى ان تجلس على مثل هذا التخت ثم تتخلى عنهُ لصاحبهِ الذي وجوده عليهِ يكون منك وبك . ثم سلم النعمان على الوزير وقبل حمزة يده فشكرهُ الوزير على كل ما فعل وبلغهُ رسالة كسرى ووعده انهُ آتٍ على اثرهِ لاجل ان يراهُ ويقدم لهُ مديحهُ وشكرهُ . ثم سالهُ اذا كان اكرم قومهُ من مال خارتين قال كلاً ياسيدي فاني لم ادع احدًا يمدد يدًا الى عقال واحد لان المال وكل الاسلاب حفظت تحت خاطر كسرى انوشروان فان شاء وهب منها شيئًا وان شاء اخذها لنفسهِ فما نحن ممن يطمع باموال ولا نريد ان نخرج عن طرق الاداب . فقال بزرجمهر وهو يتعجب من حسن صفاتهِ وكرامة ذاتهِ لقد اصبت ياولدي غير ان كسرى لا يفكر بهذا الامر ويعرف ان هذا المال اغتنمتموهُ من سيوفكم فهو من حقكم وما من معترض عليهِ وفيهِ ولا بد لهُ عند اتيانهِ الى هذه المدينة ان يكافيكم ويقسم عليكم غنائمكم ويجازيك على جميلك ومعروفك ومفاداتك بنفسك

لاجل بلاده وهو عارف اكيداً انك تحسب من رجاله ولك الحق عليهِ والقيام بنعمتهِ

ثم ان بزرجمهر عمل لهم وليمة فاخرة واكرمهم غاية الاكرام الى ان قرب مجيء كسرى فسال النعمان الامير حمزة ان يقيموا في الخيام حتى اذا جاءوا لا يرونهُ بل يكونون في معسكرهم فيدعوهم اليهِ او ياتي هو بنفسهِ اذا عرف حق الجميل فاستحسن الامير حمزة ذلك وخرج مع النعمان الى خيامهم واقاموا فيها مسرورين بتقدم العرب واجتماعهم بكسرى بعد قليل . وفي اليوم التالي لمجيئهم تقدمت الاخبار بقدوم كسرى فخرجت الرجال من سكان المدينة والنساء وكل انسان لملاقاة ملكهم ولتهنئتهِ بعوده سالماً الى بلاده بعد ان سار مطروداً عنها قاطعاً الرجاء من النجاح فيها ولما التقوا بهِ اظهروا كل فرحهم وابدوا لهُ من حسن الملتقى ما يستدعيهِ ذاك المقام واعادوا عليهِ كل ما كان من امر خارتين اثناء تملكهِ على البلاد وبعد ان دخل المدينة وجلس على كرسيهِ في ديوانهِ وحولهُ الوزراء والاعيان سال عن الامير حمزة فقال لهُ بزرجمهر انهُ لم يدخل المدينة الا عدة مرات فقط دون ان يراه احد من قومك بل كان ياتي هذا الديوان وهو خالٍ من الحكام فيتفرج عليهِ ومن ثم يعود . قال ولما ذلك قال انهُ لم يقبل مفارقة قومهِ ولا رضي ان يتناول واحدة من اموال خارتين بل ابقاها كلها في الخزائن الى حين مجيئك لتراها كما هي وما ذلك الا من عزة نفس العرب وعفة جانبهم فضحك بختك من كلامهِ وقال من اين للعرب مثل هذه اللغة وهم مشهورون بالسلب والنهب والسبي يعيشون من السرقات والشحاذة لا يعرفون غير ذلك . فقال لهُ بزرجمهر ان عملهم لا يحسب من قبيل السرقة اذا غار بعضهم على البعض واكتسب مالهُ بقوة السيف على ان حفظ الزمام والمروءة عندهم فلا يضيعون حرمة الجار ولا يتعدون الا على العدو ويحسنون اكرام الضيوف الى غير ذلك ولنا شاهد عمل الامير حمزة وقومهُ واني اعرف اكيداً انهُ لو اخذ مال خارتين بل مال المدينة باجمعهِ لما غاظ ذلك سيدي الملك بل كان يسرُّ منهُ لعلمه انهُ يستحق الاكرام والانعام . فقال كسرى نعم انهُ لهُ الفضل الاكبر والمعروف الذي يكافى باعظم الاشياء واثمنها

وفيما هم على مثل ذلك واذا بالامير عمر العيار قد دخل الديوان لانهُ كان قد عرف بقدوم كسرى فصبر عليهِ الى ان استقر بهِ المقام واجتمع في ديوانهِ فلبس ثوباً اسود قصيراً ضيق الصدر والاكمام واسع الوسط علق بهِ على دائرهِ من الاجراس شيئاً كثيراً ولبس على راسهِ قبعة طويلة معلق بها كثير من الاجراس ايضاً وفي وسطهِ منطقة من الجلد الاحمر المنقوش بالنقش الرفيع وسار الى ان جاء الديوان فلما راهُ كسرى عرفهُ حق المعرفة انهُ الامير عمر فنظر اليهِ واذا بهِ راه قد قفز الى سلسلة معلقة في باب الديوان وقلب من فوقها ثم رمى بنفسهِ الى الارض وسلم على كسرى فرد عليهِ السلام ومن ثم عاد فقفز الى نافذة عالية في حائط الايوان ورجع عائداً الى

الارض وهو يقلب بالهواء و يلعب العاباً عجيبة مضحكة حتى ضحك منهُ الملك كسرى وجميع الموجودين

وبعد ذلك قال لهُ الوزير بزرجمهر قد كفى ياعمر فقد سرَّ منك حضرة الملك وأعجب من اعمالك . قال اني اريد ان يفي لي بوعدهِ فانهُ ممن وفى واني ممن يوفى لهُ ولا اريد ان اضيع حقاً وعدني بهِ . قال كسرى ماذا يقول فحكى لهُ بزرجمهر عن كلام عمر فقال لهُ لقد اصاب فاني وعدتهُ بذلك ولا بد من القيام بالوعد لان لهُ علينا ثمن البشارة وامر ان يدفع لهُ الف دينار فبلغهُ الوزير ذلك فضحك منهُ وقال لهُ هذا المبلغ لا يكفي في جنب عذابي الى طهران وركضي وراء بوالهِ لا سيما وان لي جماعة يبلغ عددهم اربعون عياراً فماذا ياترى ينال الواحد منهم . فشرح الوزير لكسرى كلامهُ فضحك منهُ وامر لهُ بعشرة الاف دينار فاخذها وودع الوزير وكسرى وقمز من نافذة من اعلى الايوان الى الارض وانطلق من هناك والجميع يتعجبون من خفة عملهِ وسرعة جريهِ وعياقتهِ وبقي سائراً الى ان دخل بين معسكرهم ووصل الى اصحابهِ فقال لهم اتبعوني فقد جئتكم بالمطلوب وسينال كل واحد منكم قسمهُ وسار امامهم فانطلقوا حواليهِ حتى جاء اكمة صغيرة فصعد عليها وابقى جماعتهُ في اسفلها فجعل ينثر الذهب من فوق فيقع الى الاسفل فيزدحمون عليهِ ويتضاربون لالتقاطهِ وهو يضحك الضحك الشديد مسروراً من عملهِ هذا الى ان فرغ الذهب من يدهِ فحزن جداً على فراغهِ وتمنى بان يكون باقٍ معهُ شيء ينثرهُ ثم نزل عن الاكمة وسار وسار جماعتهُ من خلفهِ وما منهم الا من اصابهُ المال الكثير الا هو فقد رجع صفر اليدين ولما دخل بين الخيام جاء الى اخيهِ فسالهُ عن سبب غيابهِ فحكى لهُ ما كان منهُ عند كسرى وكيف انعم عليهِ بعشرة الاف دينار فتكدر الامير حمزة من ذلك وقال لهُ لما هذا العمل فانهُ مهين بشان العرب ويظن الاعجام اننا شحاذون نقصد اخذ المال منهم بالخداع والحيلة وهذا مما لا يرضيني فاياك من العود اليهِ ثانياً وعندي ان تذهب بالمال الى الوزير بزرجمهر وتخبره ان يعيدهُ الى كسرى فاننا في غنى عنهُ وما من حاجة لنا فيهِ لانهُ لم يكن على سبيل الانعام عليك منهُ بل انت طلبتهُ على سبيل السوال منهُ . قال لم يبقَ معي من الذهب ولا واحد . قال اين ذهبت بهِ قال انفقتهُ في سبيلهِ ثم حكى لهُ ما كان منهُ ومن اصحابهِ فضحك حمزة وتركهُ واوصاه ان لا يعود ثانية الى مثل هذا العمل

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من كسرى انوشروان فانهُ اقام في المدينة الى اليوم التالي بقصد الراحة وفيهِ خرج من قصر منامتهِ وصعد ايوانهُ العالي ودخل الديوان وجلس في صدره على كرسيهِ المرصع وجاءهُ ارباب مجلسهِ كل على رتبتهِ واذ ذاك قال لبزرجمهر اني لا اريد ان اصبر ايها الوزير الامين عن مشاهدة الامير حمزة اكثر مما صبرت واريدك ان تذهب

اليه الان وتدعوه عن لساني ان ياتي اليّ لاراه واقيم بما هو لائق به وبشانه . فاجاب الوزير امر سيده وخرج بالزينة الفاخرة واصحب معهُ جماعة من اعيان بلاده وجاء خيام الامير حمزة فخرج اليه ولاقاه وقبل يديه وسلم عليه ودخل واياه صيوان الملك النعمان فترحب بهما وجلسا عنده واذ ذاك بلغ الوزير الامير حمزة دعوة كسرى وانهُ بعثهُ اليه لياتيهُ به . فقال لهُ حمزة اني لا اضيع لك تعبًا ومن الواجب ان اسير بخدمتك الى ديوان الملك كسرى حتى اراه واسلم عليه . فقال الملك النعمان ان ذلك لا يوافق وقد يحصل منهُ سبب وربما تخرب لاجله المدائن ويقع ما ليس في الحساب . فقال حمزة وكيف ذلك . قال اعلم ان العجم متكبرون لا يعاملون العرب الا معاملة الهزء والسخرية فاذا دخلنا المدينة على مثل دعوة الملك او اذا جلسنا في ديوانهِ فلا بد من ان احدهم يضحك علينا ومنا واني اعرف ذلك وقد وقع معي مرارًا فاصبر عليه حتى ان صغيرهم كان يضحك عليّ كاني موضوع للهزء الا انك اذا شاهدت انت ذلك ووقع عليك او على احد اتباعك لا تصبر عليه فتلتزم الى اشهار السلاح ويقع بيننا وبين الاعجام ما يكدرنا ويغيظنا ويغيظ الملك ايضًا فاذا شاء الملك كسرى ومنع قومهُ من استعمال هذه العادة التي اعتادوا عليها ومن تجاسر عليها قتلناهُ فلا يطالبنا احد بدمهِ دخلنا والا فاننا لا نرى كسرى ولا نريد مواجهتهُ وقد حان الزمان الموافق لقيام شرفنا ومنع ذلنا من هذه الطائفة التي احتقرت عباد الله وكرمت عباد النيران من ابناء جنسهم . فسلم لهُ بزرجمهر بذلك وقال لهُ لقد اصبت به ومن الواجب ان تسعوا في كل ما به راحة العرب ورفع شانهم . فقال الامير حمزة لما كنت تعرف ذلك ياسيدي فلما اتيت الينا قبل ان نقرر هذه الحالة . قال ان مولاي الملك امرني ولا اقدر على مخالفة امره والا فيغضب مني وحيث قد ابديتم ذلك فاني ابلغهُ اياه

ومن ثم رجع الوزير عائدًا الى المدينة فدخلها وقدم الى كسرى فسالهُ عن الامير حمزة فاخبره بكل ما كان من امره وامر النعمان وقال لهُ ان هذا الامير حر الضمير لا يقدر ان يصبر على اهانتهِ فاذا راى سببًا يحط من شرفهِ جرّد سيفهُ وفعل العجائب في من اهانهُ وبذلك خاف من ان يبدِ من قومنا سوء معاملة بحقهِ فيلتزم الى نقض محبتنا ومن ثم تنقلب بيننا وبينهُ الاحوال فيكون عدوًّا لنا بعد ان كان صديقًا ونلتزم عوض ان نعاملهُ بالاكرام ان نمنع شرّهُ . فقال الملك كسرى لقد اصاب في هذا فاذا وقع من احد في حقهِ ما يغيظهُ جازيته بالقتل ولذلك اريد منك ان تبعث مناديًا ينادي بكل اسواق المدينة وشوارعها ان من لا يبدي الاستحسان من اعمال الامير حمزة او احد اتباعهِ او من يظهر سوء ادب او ضحك من قبيل الهزء والاستخفاف يكون دمهُ مباح فاذا لم يقتلهُ حمزة يقتلهُ الملك . ففعل بزرجمهر كل ما اوصاه به الملك حتى بلغ

الخبر الكبير والصغير . وبعد ان انتهى من كل هذه الامور بعث الوزير برسلهِ الى الملك النعمان والامير حمزة يخبرهما بما كان من امر كسرى وكيف نشر اعلانهُ بكل المدينة ولذلك ما من باس من اتيانهما الى داخل المدينة اجابة لدعوة كسرى انوشروان

وشاع في كل البلد ان الامير حمزة سيدخل المدينة باحتفال مع رجالهِ لاجل دعوة الملك فجاءت الناس افواجاً نساء ورجالاً وما ذلك الا كون المنادي كان وسيلة لتشويقهم الى الفرجة في تلك المرة مع انهُ دخل قبل ذلك دون ان يفكر احد بالاتيان اليهِ الاَّ الاعيان فقط ولا سيما في تلك المرة لما راوا ان الملك قد بعث وزيره بختك ليلاقي الامير عند ابواب المدينة وهو بالملابس الرسمية المذهبة ومعهُ جماعة من ديوان الملك وان تصف العساكر على الطرقات وهي على غاية الانتظام والاحتشام كل ذلك بتدبير الوزير بزرجمهر ليعرف الخاص والعام محبة كسرى للامير وقد بين لهُ ان كل ما عملهُ معهُ لا يعادل عملهُ وهو بارجاع بلاده اليهِ . فلما بلغ النعمان والامير حمزة كلام الوزير نهضا وركب كلٌ منهما جواده واخذ اتباعه وركب اصفران الدربندي والامير عقيل ووزراء النعمان وامراء القبائل الذين كانوا معهُ في محاربة خارتين ونقدموا الى ابواب المدينة وعند دخولهم وجدوا تلك الزينة والابهة فانبهر حمزة وقال للنعمان لما كل هذا الشيء فما من موجب لهُ فان كسرى يريد ان يفرّج الناس علينا كاننا العوبة ومن الموافق ان ندخل دون ان يعلم بنا احد . قال هذا مما يزيد في عظمتك ويظهر حب الملك لك لانهُ يريد ان يلاقيك ملاقاة الملوك الكبار وها قد بعث وزيره الاكبر بختك لملاقاتك . قال وهل عند كسرى وزير مقدم غير بزرجمهر . قال عنده وزير اخر اسمهُ بختك وهو الذي ستراهُ الان غير انهُ يبغض العرب جداً ويتمنى لهم الهلاك والقلعان ولولا وجود بزرجمهر عند كسرى لكان سعى منذ زمان بهلاكنا . قال اذاً لا بد من كبحهِ واذلالهِ واريهُ كيف يبغض العرب . وفي تلك الاثناء وصلوا الى امام الوزير فترجل النعمان وترجل الوزير وسلما على بعضهما ففعل الامير حمزة كذلك وكان بختك متكدراً من هذه الحالة كل التكدير ولم يسبق لهُ ان ضحك بوجه النعمان مرة واحدة فكيف هذه المرة اجبر بامر سيده ان يبدي للعرب الآتين كل اعتبار واحترام الا انهُ كان قد اضمر الشر في المستقبل للامير حمزة . ومع ان طالع الامير كان محبوباً وكل من يراه يسر منهُ ويعشقهُ اولاً لجمالهِ وثانياً لشجاعتهِ كان بختك بعكس ذلك فانهُ حالما وقع نظره عليهِ جفل قلبهُ منهُ وزاد لهُ بغضاً ولم يرَ بدّاً من السعي في هلاكهِ وكان ذلك منهُ مزية اعتاد عليها اوجدتها بهِ دواعي الحسد الخبيث . وبعد ان سلم كل من النعمان ومن معهُ على الوزير بالاشارة لانهُ كان لا يعرف اللغة العربية وهم لا يعرفون الفارسية مشوا جميعاً الى جهة الايوان والناس تزدحم من اليمين والشمال والنساء قد تسلقن السطوح

وصعدن على الجدران يتفرجون على الامير حمزة الذي خلص لهم بلادهم وكيف ان ملكهم ادخلهُ بالزينة والعظمة

قال وكان من العادة ان لا يدخل احد على كسرى وهو في ديوانهِ لابسًا سلاحًا بل من الواجب عليهِ ان ينزع سلاحهُ في الخارج ويبقيهِ عند الحجاب الى حين خروجهِ اعتبارًا للملك وحرصًا على حياتهِ من ان يغدر بهِ احد من اصحاب الغايات والمفاسد او يحصل من ذلك خلل في ناموسهِ وشرف عظمتهِ. فعندما وصل حمزة الى باب الديوان اراد ان يدخل بسلاحهِ فمد الوزير بختك يده لينتزع منهُ السيف دون ان يكلمهُ فجفل الامير من ذلك وامتنع عن تسليم السيف وقال في بالهِ لا بد من ان تكون غاية الفرس رديئة يريدون ان ياخذوا سلاحنا ليبطشوا بنا وقد اخبرني النعمان باحتقارهم العرب. ثم مد بختك يده ثانية لياخذ السيف واشار اليهِ ان يسلمهُ اياه فزاد حنق الامير وتكدر من عملهِ وصاح اني لا اسلم سيفي لاحد قط ثم رفع يده وضرب الوزير كفًا على صفحة خده من قلب محروق منهُ سمع لهُ صوت وعوى بختك كما تعوي الكلاب ووقعت اضراسهُ واسنانهُ وسال الدم من فمهِ وتالم جدًّا وفي الحال وضع يديهِ على خده ودخل متالمًا متوجعًا. واما الامير حمزة فانهُ صاح في الحجاب وقال كل من يدنو منكم اليَّ اعدمتهُ الحياة وتركتهُ ممددًا على الارض ونظر الى الملك النعمان فراه قد نزع سيفهُ فصاح بهِ وقال لهُ البس سيفك فلا تنزعهُ فان الفرس يقصدون لنا شرًّا. فقال لهُ ان هذه من العوائد عندهم ان لا يدخل احد بسيفهِ وسلاحهِ الى بين يدي الملك قال انا لا اعرف هذه العادة ولا بيني وبين كسرى شرط عليها فان اعجبهُ ان ادخل بسيفي دخلت والا رجعت من حيث اتيت وسمع كسرى من الداخل الصياح وراى وزيره بختك على تلك الحالة فانبهر وخاف ان يكون احد اغاظ الامير فسال عن الخبر فقيل لهُ ان حمزة لا يدخل الا بسيفهِ وقد اراد الوزير نزع السيف منهُ فضربهُ على وجههِ صفعة كادت تعدمهُ الحياة وقد ذهبت بثلث عمرهِ واضاعت منهُ اسنانهُ. فالتفت الى وزيره بزرجمهر وقال لهُ اسرع الى الامير وادخلهُ بسلاحهِ ومن معهُ فما من خوف منهم والا اوقع بالعساكر وجرى بينهُ وبين العجم امر مكدر فجاء الوزير الى خارج الايوان فوجد حمزة عند الباب والناس قد تفرقوا من حواليهِ وخافوا منهُ كل الخوف فدنا منهُ الوزير وقال لهُ ادخل ياحمزة بسيفك ولا تلم احدًا سواي لاني نسيت ان اخبرك بذلك او اخذ الاذن لك بالدخول فلا يعترضك احد. قال انا لا افارق سيفي قط ولو وقع الشرط بيني وبينكم منذ الاول ما دخلت هذه البلاد وما اخذ السلاح الا دليل على سوء الظن وان بقصد الملك او رجالهِ ان يجردونا من سلاحنا ثم يهجموا علينا فيقتلونا. فمسكهُ الوزير من يدهِ وادخلهُ وهو يقول لهُ حسنًا جازيت بختك فهو يستحق اكثر من ذلك. فقال لهُ اكد ياسيدي انهُ حالما

وقعت عيني عليهِ جفل قلبي منهُ وكنت اريد ان اقتلهُ في الحال غير اني عرفت ان كسرى يحبهُ وقد قدمهُ عليك فلم ارضَ ان اغيظهُ لكن لا بد من قتلهِ

ولما دخل على كسرى وشاهدهُ وهو على تلك الهيئة والجمال وقعت محبتهُ في قلبهِ وصبر اليهِ الى ان قرب منهُ وقبل يديهِ فنزل لهُ قليلاً عن عرشهِ وقبلهُ وشكرهُ على فعلهِ وامر ان يقدم لهُ كرسي الى جانبهِ فجلس وهو مسرور من معاملة كسرى لهُ ثم التفت الى يمينهِ فراى الوزير بختك جالسًا وقد ربط حنكهُ بمنديل وقد سمن وورم فعرف انهُ لا بد ان يكون متكدرًا منهُ غير انهُ لم يبدِ امرًا ولا اعتذر اليهِ بل اعرض عنهُ الى الملك كسرى وقال لهُ لا تواخذني ياسيدي حيث قد ضربت الوزير بختك لانهُ قصد ان ينفذ عظمتهُ فيَّ واراد أن يجعلني ذليلاً حتى تصورت ان نيتك عليَّ غير سليمة ومرادكم اخذ سلاحي لتوقعوا بي وهذا الامر اجهلهُ انا وليس معروف عندنا نحن العرب وقد راى مجازاتهِ على سوء تدبيره لانهُ كان من اللازم ان يدخل عليك ويستاذن لي منك كما اذنت لي مع وزيرك بزرجمهر ومن المعلوم عندك اني لا احب ان ادع احدًا يتعدى عليَّ لاني ربيت على نعمتك وقبل ان خلقت دعيت من رجالك فما الداعي يا ترى لاهانتي .

فقال لهُ كسرى لا باس ايها الامير اذا غلط وزيري واخطا فهو محب لك لا يقصد اهانتك ولا بد من اصلاح الامر بينك وبينهُ . فلم يبدِ بختك ولا كلمة بل بقي صابرًا على دهرهِ ينتظر سنوح الفرصة لينتقم من الامير حمزة ويعجل عليهِ اخذًا بثارهِ . ومن ثم قدم للامير حمزة وجماعتهُ الشراب واستعاد الملك كسرى منهُ حديث حربهِ مع خارتين وكيف قتلهُ فاعاد عليهِ ذلك الى ان مضى قسم من النهار

ثم ان كسرى سال الامير حمزة اذا كان يرغب في الاكل لتقدم لهم موائد الطعام فقال لهُ نعم اني جائع وكذلك جماعتي واريد ان ابقى بقية النهار الى المساء هنا . فامر في الحال ان تمد الموائد للغذاء ودعي الامير حمزة وجماعتهُ واعيان الفرس والملك كسرى لياكلوا على تلك الموائد فنهضوا اليهِ ونظر الامير حمزة الى ما على المائدة فوجد صحونًا من الذهب تضيء مثل الكوكب وهي تلمع وعليها من المآكل الفاخرة ما لم يذقهُ قط من طيور مقمرة بالسمن محشوة بالسنوبر ودجاج وغير ذلك من السكارج واللحومات والكبيبات وكلها موضوعة بتلك الصحون وعند كل صحن فوطة من الحرير المزركش وملعقة وشوكة من الذهب مما تاكلهُ اهل الحضارة ولدى جلوس الاعجام على المائدة اخذ كل واحد منهم ملعقة وشوكة وبدأ بالاكل وبقي حمزة جالسًا لم يمدد يدًا الى المائدة . فطلب كسرى من بزرجمهر ان يسالهُ لما لا ياكل فسالهُ فقال لهُ اني ربيت على عادة العرب ولا اريد ان آكل بغير عادتي وانتم تاكلون هنا بالواسطة اي تجعلون بين يديكم وفمكم واسطة ونحن لا نحب الواسطة وعندي اذا شئتم اكلنا بايدينا دون ان يظهر

مكدر منكم عند اكلنا والا فاننا لا ناكل معكم قط فبلغ الوزير كسرى كلامهُ فقال لهُ لا باس فاني اعرف ان البدو ياكلون بايديهم وهذا امر اعتادوا عليهِ وهو من الامور التي لا يلتفت اليها وكل انسان ياكل بحسب مشتهاه

وحينئذٍ شمر الامير حمزة عن ساعده ومد يده الى الخبز فمزقهُ وادار بيده اللقمة ولفها بما في الصحن من الطعام وفعلت العرب مثلهُ واخذت الايدي تنزل وتطلع ودار معمل الاكل واشتغل فيهِ الامير حمزة بجد واجتهاد وبقي ذلك الى ان فرغ الجميع من الطعام فرفعت الصحون ووضعت غيرها من الحلويات من كامل الاشكال المصطلح عليها عند العجم من افخر الماكل واعظمها فاكلوا الحلوى واكتفوا منها ثم نهضوا ورجعوا الى مراكزهم وقدمت لهم القهوة فشربوها وبعد ذلك قال كسرى اني اريد ان اقدم للامير حق انعابهِ وان كان ليس من شيء يقوم بحق واجبهِ . ثم امر ان يقدم الى العرب كل واحد ثوب عربي ثمين وان يقدم الى الملك النعمان ثوب ايضاً والى الامير حمزة فقدمت الثياب المذكورة وكان ثوب الامير حمزة من اغلى الثياب واعظمها وابهاها قد خصهُ بهِ تفضيلاً لهُ على سواه ولما راى اصفران الدربندي ان انعام كسرى قد وصل اليهِ وانهُ جلس بين يديهِ نهض اليهِ وقبل يديهِ وشكره على انعامهِ وطلب منهُ المسامحة عما كان بديهِ في اول حياتهِ قبل ان اجتمع بالامير حمزة من قطع الطرقات والتعدي على اصحابهِ فسال الملك كسرى عنهُ ومن هو وماذا يريد فقال لهُ بزرجمهر هذا هو اصفران الدربندي الذي كان يربط الطرقات ويتعدى على اهل السبيل فقد لاقاه الامير حمزة في الطريق وحاربهُ واسرهُ فصالحهُ على ان يكون من رجالهِ ومن قومهِ ويعيش بقية عمرهِ في ركابهِ والان يعتذر اليك عما سبق منهُ ويسالك المسامحة والعفو عنهُ . فقال اني اسامحهُ اكراماً لخاطر الامير حمزة لانهُ من رجالهِ ومساعديهِ

وبعد ان بقي العرب عند كسرى كل النهار طلبوا اليهِ الاذن بالذهاب والرجوع الى خيامهم فقال الوزيره بزرجمهر ان يخبر حمزة ليبقى بالمدينة وينام مع جماعتهِ في قصر خصوصي يعده لهم افضل من قيامهم في الفلاة . فقال لهُ حمزة اننا لا نرغب ان ننام الا في خيامنا فهي افضل عندنا من القصور الشامخة التي تبتنونها وتتكلفون عليها . ثم انهُ ودع الملك كسرى وخرج من الديوان وتبعهُ قومهُ ولما وصلوا الى الخيام قال النعمان للامير حمزة اني سررت جداً في هذا اليوم لان كسرى غير مسراه مع العرب وعاملهم معاملة اللين والرقة واللطف وابدى لك ما يرفع من قدرهم ويعلي شانهم بخلاف الاول فاني كنت احضر على الدوام في كل سنة الى بين يدي كسرى فكنت اعامل بالاهانة والاذلال وعدم الاكتراث ليس فقط من كسرى بل من جميع قومهِ لاحتقارهم العرب وحطهم من شانهم وما ذلك الاَّ اكراماً لك وخوفاً من تكدير

خاطرك . قال حمزة لا بد ان تنقلب الايام فنعامل الاعجام نفس المعاملة التي كانوا يعاملون بها العرب لان الله سبحانهُ وتعالى يرضى على العرب لطاعتهم لهُ ولا يقبل بان يبقوا اذلاء عند عباد النيران

ثم ان النعمان دخل الى صيوانه لينام وذهب الامير حمزة الى صيوانهِ فدخلهُ واقام الامير عمر عند بابهِ للمحافظة عليهِ الى ان مضى قسم من الليل وعمر لا ينام ولا ياخذه هدو بل كان كالشيطان الرجيم ينطلق من جهة الى ثانية طائفًا حول الصيوان وفيما هو كذلك اذ لاح لهُ شبح يتقدم الى جهة الصيوان فانقض عليهِ كالبرق وقبض على عنقهِ وقال لهُ من انت فقال لهُ اتركني فاني عربي مثلك قال هو انك عربي لكن لبستك لبس الاعجام قال اني خادم عند ستي مهردكار بنت كسرى انوشروان وقد دعتني هذه الليلة واعطتني كتابًا لسيدي الامير حمزة وبعضًا من طعامها امرتني ان اقدمهُ اليهِ واعرض عليهِ كتابها واجئ اليها بالجواب واني خادم عند ابيها من عدة سنوات اعرف اللغة الفارسية جيدًا وهي اوصتني كل الوصية ان اقصد عمر العيار واتوقع عليهِ من قبلها وادعوهُ لمساعدتها عند اخيهِ حمزة . فقال لهُ لقد وصلت فانا هو عمر واني اساعدها بكل ما تريده بشرط ان لا تقلل لي من المال الذي يقع بيدها لان عندي اربعون عيارًا واريد على الدوام ان ابذل لهم الاموال ليثروا ويعرفوا حبي لهم . قال ان ذلك يكون لك على الدوام . فقال لهُ اعطني الكتاب وما جئت بهِ وانتظرني لاحضرك امام الامير حمزة فاعطاهُ الكتاب ووعاء الذي فيهِ الاكل الفاخر وخاتم من الذهب عليهِ فص من الجوهر الثمين وقال لهُ اوصل كل ذلك الى سيدي الامير حمزة فاخذها منهُ ودخل داخل الصيوان ودنا من سرير الامير حمزة وصاح عند راسهِ يدعوه فاستيقظ مرعوبًا وقال لهُ ماذا جرى ولما جئت اليَّ في مثل هذا الوقت . قال ليس الان وقت نوم بل انهض وتيقظ وتبصر . قال ماذا تعني اهل وقع امر مكدر قال لا بل وقع امر مفرح جدًا وهو ان رسولاً جاء من قبل مهردكار بنت الملك كسرى يحمل كتابًا لك وخاتمًا من الماس ووعاء بهِ اطعمة وهو ينتظر في الخارج للجواب . فخفق قلب الامير حمزة وشعر عند سماعهِ اسم مهردكار بنت كسرى شعورًا غير اعتيادي ولم يكن راها ولا سمع بها ولا عرف بوجودها ولا يعرف مثل هذه الاميال ولا كيف ان الانسان على الدوام اسير قلبهِ في مثل هذه الاحوال . وفي الحال نهض من سريره وتناول الكتاب وجاء الى قرب المصباح ففضهُ وقراه فراه مكتوبًا بالخط العربي ومعناه

اسيرة حب قيدها الجمال قيودًا لا تحل ورمتها ايدي الطافك بسجن من الهوى يزيد ويقود بها على الدوام لم يسبق لي ان ملت الى غرام او فكرت بمثل هذه الاوهام او خطر لي ان اعلق قلبي بفتى من الفتيان او اسلك سبل هذا الميدان ولا اعرف ان نظرة واحدة كافية ان

تفعل بي ما فعلت وترميني بالوساوس وتلقيني على سرير الضنا وتجعلني اسلك سبيلاً ربما كان غير موافق سلوك من لا يعرف ولا يدرك مفاعيلهُ . انا مهردكار بنت الملك كسرى انوشروان رجعت مع ابي الى المدائن من طهران وقد زرع بفكري خبر اعمالك وبسالتك واقدامك وعلو منزلتك عند ابي فاخذني لذلك الشوق الى ان اراك على سبيل الحب لا على امل ان يحصل لي ما انا فيهِ الان وفيما انا في قصري المقابل للايوان الذي يقيم بهِ ابي سمعت من قهرمانتي ان الامير حمزة سياتي في هذا اليوم لزيارة المدينة وياتي الايوان ففرحت جداً وقلت في نفسي لا بد لي من ان ارى هذا الذي فعل معنا الجميل واعاد الينا بلادنا وارجعنا الى ملكنا وقتل عدونا فجلست في شباك مطل الى باب الايوان لعلمي انك لا بد في مرورك ان تدخل من هناك فاراك وصبرت الى ان رايت موكبك قد اقبل وانت الى جانب الملك النعمان فاخذت من القرينة انك انت المقصود لاني رايتك كالبدر اشراقًا والغزالة بهاء والاسد بسالة وانت اصغر الذين معك سنًا وكنت سمعت ان الشعر لم ينبت حتى الان بعارضيك واكبر برهان دلني على انك انت هو الامير حمزة انعطاف قلبي اليك بالرغم عني وتوجيه افكاري نحوك عن غير قصد مني حتى بحت بالرغم عني الى قهرمانتي وقلت لها اني بكلي اريد ان ارمي بنفسي على هذا الامير العربي الذي اراه . وكنت انت لا تنظر الى فوق ولو نظرت لكنت رايتني وعلمت حالتي ومع ان حواسي كانت مشغلة كلها بك كنت اتمنى ان تنظر الى جهتي لارمي عليك التحيات ولا بد ان قلبك كان يميل اليَّ كما مال قلبي اليك فنصبح متحابين على الدوام . وها اني اعدك من هذه الساعة الى الابد اني قائمة على حبك لا اختار عنك بديلاً ولا ارضى لي سواك محبًا ولم يكن قصدي من حبي لك الا ان اتدين بدين الله الذي تعبدهُ انت واكون لك زوجة فاذا قبلتني تكون السعادة قد عاهدتني على الراحة والهناء والاَّ فالشقاء والويل والعذاب والتعاسة لي لاني ساموت حالاً بعد قطع الرجاء من نوال غايتي فاشترِ حياتي واشفق على ذلي ولا تضيع فتاة حفظت مع صغر سنها كل قواعد الاداب وتعلمت العلوم الفارسية والعربية واني وان كان ابي لهُ غيري عدة اولاد فانهُ يحبني ويفضلني عليهم جميعهم ولا يفعل الا ما يرضيني . وقد بعثت اليك ياسيدي بعربون الحب والعهد وهو خاتم من خواتمي الثمينة لتعرف بعظم محبتي وتتذكرني كلما نظرت الى هذا العربون ومتى قبلتهُ يكون ذلك دلالة كبرى على قبولك اياي ورضاك بي ولا اريد منك بدلاً من ذلك الا تناول الخاتم والابتسام منهُ . وحيث لا خفاك ان الانسان يسرُّ جداً اذا راى انهُ يشارك ويقاسم حبيبهُ في كل شيء ياكلهُ ويلتذ بهِ عاهدت نفسي ان ابعث اليك مع خادمي وهو امين جداً بالوان الطعام التي آكل منها فتطمئن نفسي وتستريح جداً عندما افتكر ان الذي آكل منهُ ياكل منهُ حبيبي فاياك من ان تمتنع عن قبولي خوفًا من

ان الله سبحانهُ الذي يعرف ما في الخفايا يجازيك على ظلمي ولا يترك لك مثل هذه الخطية اذ تكون قد قتلتني ظلمًا والله لا يحب الظالمين . واني اعلمك ياسيدي اذا شئت ان تراني فانك حال دخولك الى باب الايوان انظر الى الوراء وارفع بنظرك الى فوق فتراني قائمة في الشباك اراقب خطواتك وانظر اليك مترقبة ان تراني لتعلم اني لا اريد ان اظلمك ولو اعرف من نفسي انيَ غير موافقة لك لتحملت شدة الحب وسلمت بذاتي الى الموت دون ان اطلعك على امري لعلمي انهُ ليس من العدل ان تحب وتعلق امالك الا بمن هي نظيرك كمالاً وجمالاً وادبًا ولا اقول ذلك مفاخرة بنفسي بل تكون بامان من هذه الجهة وتعلم بانك ساكن بقلب فتاة قادرة على خدمتك باحسن اسلوب تريده فاقبلني اقبلني واعذرني (وتحت الكتاب هذه الابيات)

خذها سطورًا اليك قد بعثت ... تروم للنفس ما يعللها
اكتبها والدموع تنقطها ... بعبرة لا زلت اهملها
نعم فظني اذا بصرت بها ... نيابة عن فمي تقبلها

(وكذلك غيره)

يا ربع كم لك من شجي هاتكِ ... مغرى بجوذرك المصون الفاتك
اوقفت دمعي في غرامك بعدما ... سد الهوى الاَّ اليك مسالكي
عهدي وشمل السعد فيك مفندًا ... والعيش يبسم عن ثنايا ضاحكِ
وعليك من وجه الامير بشاشة ... افديهِ من وجه اغر مباركِ
مولى جناحا خيلهِ ورجالهِ ... يوم الوغى من فتية وملائك
تمشي النوارس تحت ذيل ركابهِ ... طوع القياد فيالهُ من مالك

وبعد ان فرغ الامير حمزة من قراءة هذا الكتاب زادت بهِ الوساوس وتلاعبت بهِ ايدي الحب واخذت تقلبهُ من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وهو مطرق الى الارض ينظر الى نفسهِ نظر المتعجب ويفكر في كيف ان هذه الفتاة رغبت في ان تدعوه الى حبها ومعاهدتها مع انها بنت ملك يملك على جانب عظيم من الارض وهو بدوي لا يملك مالاً ولا قصورًا يقدر ان يرضيها بالاقامة بها وان كان بقوة جنانهِ وقائم سيفهِ يقدر ان ينال كلما يريد غير انهُ لا يحكم على المستقبل فلما راه الامير عمر على تلك الحالة قال لهُ لما هذا التهامل بالجواب وهل تتردد بالقبول ومن يصل الى ان يكون محبًا لبنت الملك كسرى ويتاخر واي شرف اكبر من هذا وهي تقول لك انك اذا امتنعت عن اجابة طلبها تلقيها بالخطر وتسبب لها الضرر. قال ويلك ياوجه القرد اني مرتاب في موافقة هذا الامر واخاف ان لا تكون جميلة كالواجب

وتكون كبيرة با لعمر وهذا مما لا ارضاه لنفسي ولا اريد ان ارهن قولي عندها وارجع عنهُ فيما بعد نعم اني ارى من ذاتي داع يدعوني الى محبتها ويصور لي ذهني انها جميلة ولا اريد ان ابث شيئًا قبل النظر اليها والسوال عنها وعن معارفها وادابها . قال لهُ هذا في الغد نسال عنهُ ونمتحنهُ من الملك النعمان لانهُ اخبر باقوال كسرى واولاده ويعرف كم سنة سن كل واحد منهم . قال اتريد ان تفضحنا عند العرب وتشهر هذا الامر قبل ان نباشرهُ ونسعى فيهِ لا سيما وان الامر خطر ولا بد ان يحول دونهُ صعوبات جمة . قال انت هذا الامر لا يعنيك فلا ادع احدًا يعرف غايتنا ثم ان عمرًا خرج الى رسول مهردكار وقال لهُ ان مولاي مسرور من عمل سيدتك وليس يملك الان دواة وقرطاسًا ليكتب اليها جوابًا وسيجيبها في غير هذا الوقت فقل لها تكن بامان واطمئنان فالامر يقضى على حسب مشتهاها وما من مانع يمنعها بل لا تنسى ما وعدتني بهِ من المال

وفي صباح اليوم الثاني خرجت العرب الى الخارج وانتظروا الامير وفي ظنهم انهُ يقصد المدينة في ذاك اليوم ويقيم في ديوان كسرى كاليوم الاول فلم يخرج بل بقي الى ان جاءهُ النعمان فخرج اليهِ الى صيوانهِ وبعد ان سلم عليهِ جلس بالقرب منهُ واجتمع امراء العرب هناك فقال النعمان الا تحب ان تنزل هذا اليوم المدينة وتجتمع بالملك كسرى فانهُ ينتظر قدومك قال اني لا اريد في هذا اليوم ان اقيم عنده بل اقيم بين قومي كي لا يقال عنا عند الاعجام اننا ثقال الاعمال وليعرف كسرى ان انفسنا تانف التمسك بهِ كثيرًا الا اذا هو طلبنا وسعى في ان نكون عنده اي وقت اراد . وبينما هم جالسون وقد اخذ بينهم الكلام على كسرى وبلاده واحوالهِ ومحبتهِ للامير حمزة ومعاملتهِ اياه معاملة الملوك مع انهُ لم يكن قبلاً يكرم عربيا ويعتبر ان العرب قوم همج لا يصلحون للمجالسة ولا يوافقون للاستئناس اما الان فقد اصبح محبًا لهم اكرامًا لهُ ولا بد انهُ في كل يوم يفتقدهُ ويدعوهُ الى الانضمام مع رجال دوانهِ . فقال عمرو وكان واقفًا بالقرب من اخيهِ حمزة هل ان كسرى لهُ اولاد وهل ان اولاده مثلهُ ارقاء واصحاب لطف وكمال واداب . قال نعم ان الملك كسرى لهُ ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير منهم هرمزتاج والثاني فروخ والثالث خرسف واما من جهة صفاتهم فهم مختلفو الاطوار وحتى الان لم يظهر من اعمالهم شيء قط . قال اننا نريد ان نعرف احوال كسرى واحوال بلاده وعائلتهِ وهل عنده غير هولاء الثلاثة اولاد الذكور قال اني اعرف ان لهُ عدة بنات لكني لا اعرف اساميهن جميعهن وما اعرفهُ ما هو شائع عن بنتهِ الصغيرة واسمها مهردكار ومعناه بالعرب شمس الدنيا وقد اشتهرت ببلاد العرب والعجم بانها لا يوجد واحدة اجمل منها في ايامها قط لكني لم ارها وقد طلبها ملوك وعمال وابناء وزراء ولم تقبل باحد منهم قط وابوها يحبها جدًا ويعلم بانها وحيدة في عصرها جمالاً واطوارًا فلكي يجعلها كاملة في كل خصالها وضع لها الاساتذة والمعلمين حتى

تعلمت كل العلوم التي يمكن لاحسن الرجال واذكاهم ان يتعلمها ويدرسها . قال وهل هي كبيرة بالعمر لان لا بد ان تكون فوق العشرين حيث اكتسبت هذه الشهرة والوقت الذي تعلمت به لا بد ان يكون طويلاً . فعرف النعمان ان عمرًا يقصد معنى بهذا السوال وترجح عنده ان حمزة يريد ان اخاه يسال مثل هذا السوال لان دلائل الحب كانت لا تخفى عليهِ وقد مال بكل سمعهِ واذانهِ الى الانتباه فلحظ الواقع وقال لعمر لا تبلغ الرابعة عشر وقد تعلمت لا بطويل الوقت ولو كان غيرها لصرف عشرين سنة لكنها بمدة خمس سنوات عدة لغات وعلوم نافعة عربية وفارسية

وكان الامير حمزة صاغيًا الى هذا الكلام وقد ثبت عنده كل الثبوت انها موافقة لهُ لما اشتهر عنها من الجمال وحسن الخصال وان كثيرًا من الامراء والوزراء رغبوا فيها فلم يحصلوا عليها واخذ الحب ينمو في فواده ويزيد دقيقة فدقيقة وهو لا يتصوّر الاَّ جمالها وقلبهُ يحدثهُ بها وصار يود ان ينزل المدينة ويمر من المكان الذى اشارت لهُ عليهِ ليراها ويشاهد جمالها واقام مدة في صيوان الملك النعمان ثم رجع الى صيوانهِ واقام الى المساء وقد قال لهُ عمر اسمعت يا اخي ما قال الملك النعمان عن مهردكار واني اراها موافقة من كل وجه واسال الله ان يوصلك اليها وتصبح زوجة لك . فقال لهُ دع عنك هذا الكلام ومن الصوَاب ان لا نفكر بشيء بعيد النوال قال لاي سبب بعيد النوال . قال اما سمعت كم طلبها من الملوك فلم ينل احد مرادهُ لانها بنت كسرى انوشروان و...يلة للغاية وقد تربت على الدلال تربية توذن بوجوب عظمتها ومجدها ولذلك ارى صعوبة كثيرة وخطرًا عظيمًا بالسعي في نوال مثل هذا الامر وارى من الواجب قبل التطرف والدخول في مثل هذا الشان ان ننظر في العواقب ونرى تلك الصعوبة واني اعرف من نفسي اذا امتنع كسرى او حالت امور اخرى بيني وبين نوال غايتي التزم الى تجريد سيفي فاقتل كسرى او غيره ممن يهم مهردكار امرهم ولذلك ارى من الصواب ان لا نفكر الا بامر تحت طاعتنا وفي امكاننا ولنا . قال لهُ ان كسرى يحبك ولا يمنع عنك امرًا تريده ولا بد اذا علم برغبتك بزواج بنتهِ يسرع الى اتمام ذلك ويفعل كل ما يرضيك . قال وان كان كسرى يحبني الا انهُ يرى ان من العار عليهِ ان يزوج بنتهُ لبدوي وهم يكرهون العرب ويحطون من قدرهم ولم يسبق ان وقع مثل هذا الامر فيلتزم ان ينقض تلك المحبة ويسلك معي مسلك العنـاد اذا راني مصرًّا على طلبي ولا ريب اني اعرف شرف الملوك واعرف كثرة رغبتهم في المحافظة على ناموسهم واعرف ايضًا اذا رضي كسرى بزواجي يقال عنهُ انهُ زوج بنتهُ برجل من اصناف الناس وممن يليق بهِ ان يكون خادمًا عنده وهذا يورثهُ العار والشنار قال اذا كان القاضي راضي فلما تطفل الشهود فحيث هي راضية عنك قابلة فيك اخذناها بالرغم عن الجميع واذا

شئت دخلت قصرها واخرجتها منهُ وسرت بها الى اي مكان امرتني دون ان اترك احداً يعرف بها . قال هذا لا افعلهُ قط ولا اريده فما هذا الفعل الا فعل ادنياء الناس واللصوص كيف اسرق بنت كسرى وصار بيني وبينهُ معرفة ومودة وكيف ارضى وانا حمزة هذا الزمان يقال عني قد تزوجت ببنت كسرى على هذه الطريقة المهينة فاقصر كلامك في هذا المعنى ودع التفادبر تدبر هذا الامر ولا تبح بهِ قطعاً الى احدٍ

ثم تركهُ عمر وذهب الى جماعتهِ العيارين فزارهم واقام بينهم نحو ساعتين وهم يلعبون الملاعب الرياضية ويتمرنون على مصلحتهم ومهنتهم ثم عاد الى الصيوان وحال وصولهِ وجد رسول مهردكار قد جاء بالطعام ودفعهُ اليهِ وبلغهُ سلامها وانها كانت بانتظار مروره في ذاك اليوم الى ديوان ابيها . فقال لهُ عمران اليوم بقي في الحلة وفي الغد يذهب الى ابيها ثم دخل بالطعام على اخيهِ ووضعهُ بين يديهِ ففتح العلبة واذا بهِ براه سخناً تفوح منهُ الروائح الزكية بما يتوق المرء الى اكلهِ مهما كان شبعاناً فنظر حمزة اليهِ وقال ان الفتاة علقت بي كل التعلق وليس من العدل ان اضيع لها املها او ارجعها بالخيبة واني استعين بالله على نوال المراد وان يساعدنا في تدبير هذا الامر ومنع ما يقف في طريقنا من الصعوبات ووطد العزم على ان ينزل في الغد المدينة ويراها ويتدبر بعد ذلك في الوصول اليها والاقتراب منها ثم اكل من ذاك الطعام وهو كاد لا يشبع منهُ حتى فرغ عن اخرهِ فرفعهُ عمر . وبقي حمزة في صيوانهِ كل تلك الليلة لم يخرج منهُ قط ولا اراد مواجهة احد وجل ما كان يفكر بهِ كيفية الوصول الى بنت الملك وكلما راى الى ذلك عظمت عليهِ الحال واتسعت دائرة الصعوبة فكان لا يعلق املاً بالوصول اليها الا بمساعدة الصدفة وعناية الله ونام تلك الليلة وفي الصباح نهض من فراشهِ فلبس افخر ثيابهِ وتقلد بسلاحهِ واعتلى فوق جوادهِ وخرج الى الملك النعمان فوجده بانتظاره وقال لهُ هل لك ان تذهب اليوم الى الملك كسرى لانهُ قد بعث رسولاً الينا يلومنا عن تاخيرنا الى المسير اليهِ في اليوم الماضي فوعدنهُ اننا نذهب الان . فقال اني اذهب فامر اعيانك ان يركبوا معنا فاجابهُ وركب اصفران الدربندي ووزراء النعمان وساروا الى المدينة والامير حمزة ينظر الى فوق وهو يتمنى ان يرى مهردكار ويشاهد ما هي عليهِ من الحسن والجمال وهل هي كما وصفها النعمان ام لا وكان كل قلبهِ وفكرهِ يقول لهُ بانها فوق ذلك ولما قرب من الايوان مال بنظرهِ الى الوراء فراى شمس الدنيا واقفة في الشباك كانها البدر يتلألأُ في سناء المحاسن وهي لابسة ثوباً اصفر عليهِ عروق سوداء وعليها من الحلى والجواهر ما يزيد في اشراق جمالها وعلى راسها اكليل من الزهر الابيض فوق اكليل من الالماس والجواهر يلمع كانهُ الكوكب في الليلة الظلماء . وحال وقوع نظر الامير حمزة عليها اشارت اليهِ بالسلام وحيتهُ براسها تحية لطيفة فاجابها بعياقة كانهُ يضع يدهُ على راسهِ

لاصلاح خوذتهِ كي لا يلحظ عليهِ احد فعرفت انهُ يجبها على تحياتها فسرَّت مزيد السرور ولولا تقدر ان تضبط نفسها وتتمالك قواها لالقت بجسمها كلهِ عليهِ بل صبرت على نفسها واطمان بالها نوعاً

ودخل الامير الى الداخل وهو مشغل الفكر وقد انبهر مما شاهد من جمالها وعرف ان مثل هذا الجمال لا يمكن ان يدركهُ عقل فيصفهُ حق وصفهِ او يشرح عنهُ مقدار مقداره ولما دخل الديوان نهض اليهِ جميع الاعيان وتقدم بزرجمهر الى الامام ولاقاهُ لانهُ كان كما تقدم يحبهُ ويريد ان يظهر محبتهُ لهُ على رغم حاسده وعدوهِ . ودنا من كسرى فقبل يديهِ وسلم عليهِ فترحب بهِ وهش بوجههِ وامر ان يجلس الى جانبهِ بقرب وزيره بزرجمهر حيث هو الترجمان فيما بين العرب والعجم . وبعد ان استقر بهِ الجلوس ومن معهُ قال لهم كسرى انهُ كان بودي ان تاتوا ديواني في كل يوم ما دمتم على ضيافتي فلما تاخرتم في الغد ولم تحضروا اكان لذلك سبب هل بدأَ من احد من قومي ما يغيظكم لانتقم لكم منهُ جزاء على فعلهِ فقال لهُ حمزة انهُ لم يكن من سبب غير اني لم ارضَ ان اثقل عليك كل يوم كوني اعرف ان ديوانك لا يعد على الدوام للضيافات بل يحتاج الى تدبير الدولة فوجودنا فيهِ يوخر في مصالح البلاد . قال هذا لا ارضاه لاني اريد في كل يوم ان تكونوا في ديواني فاراكم ولا سيما انت ياحمزة العرب فاني مولع بك ولا اريد ان يمر يوم ولا اراك بهِ فعدني الان انك في كل يوم تاتيني وتجلس الى جانبي دون تكليف وتجل كانك ولدي فوعده حمزة بذلك وقد فرح من معاملتهِ لهُ باللطف والمحبة كل الفرح وعرف ان هذه المعاملة ستنيلهُ مرادهُ من الوصول الى مهردكار غير انهُ لم يبدِ اشارة تدل على شيء من ذلك وبقي حافظاً على اللياقة والاداب الى ان يرى طريقاً يتوصل منها الى نوال مراده . واما بختك بن قرقيش فانهُ كان لا يزال موجوعاً من صفعة الامير حمزة وكلما وقعت عينهُ عليهِ يتالم ويتوجع وتتمزق احشاه وتنفطر مرارتهُ ويكاد يقع الى الارض من عظم الغيظ وهو يتمنى ان يرى باباً يتوصل منهُ الى هلاكهِ

قال وفيما هو على ذلك خطر بفكرهِ خاطر سرَّ منهُ مزيد السرور وفرح غاية الفرح وطفح على وجههِ طافح البشر والتفت الى الملك كسرى وقال لهُ باللسان الفارسي لقد خطر لي امر ياسيدي اريد ان ابديهُ لك فهل تصغي اليَّ بهِ . قال ما هو . قال انهُ من المقرر الثابت ان الامير حمزة هو اشد الفرسان شجاعة واقدرهم قوًى غير اننا لم نشاهد قتالهُ ولا حربهُ ولا نزالهُ فخطر لي ان نسالهُ اذا كان يقدر ان يصارع الاسد الذي عندنا بالقفص ام لا فقال لهُ كسرى دع عنك هذا الامر فما من فائدة فيهِ واخاف ان يبطش بهِ الاسد او يوصل اليهِ باذى فنخسرهُ ونقع بعدهُ بالندم . قال من اين للاسد ان يبطش بهِ وعلى ما اظن ويظهر لي انهُ يقدر ان يصرع

الاسد مهما كان عظيما على ان الخوف لا يكون بهذه الدرجة فان الاسد يبقى مربوطًا وما ذلك الا لنري مقدار قوته ونعرف هل يمكنه ان يثبت امام الاسد ام لا واني اسمع ان كثيرًا من الناس ولا سيما العرب يسطون على الاسود فيقتلونها وينالون بذلك المجد والفخار. قال هذا لا يمكن قط. وفيما هما على مثل ذلك قال حمزة لبزرجمهر اريد منك ياسيدي ان تخبرني عن معنى الكلام الواقع بين كسرى ووزيره فاني اراهما على اختلاف واخاف ان يكون ذلك مما يتعلق بي. قال ان كل ذلك يتعلق بك وهو ان هذا الخبيث بختك يريد ان يقنع كسرى ليدعوك الى مصارعة اسد هائل عندنا محبوس في قفص منذ الصغر وهو لا يوجد اكبر منه بين الاساد جيء به صغيرًا ووضع بهذا القفص وعين الخدام والوكلاء لطعامه وهو يكبر ويسمن حتى صار النظر اليه يخيف ويرعب اشد الناس بسالة وله الان عدة سنين ولا ريب انه اذا خرج من القفص ياكل الناس ويفعل الافعال القبيحة كونه كان محبوسًا ويشتاق الى الفلاة والخروج من الحبس ولهذا ارى ان غاية بختك خبيثة من نحوك وانه يريد ان يلقيك بمثل هذه التهلكة العظيمة لياخذ بثاره منك. فقال له اذن اريد منك ان تسال لي الملك ان يسمح بصراع هذا الاسد فاني اريد ان اصارعه واري اهل المدائن كيف يصير باسدهم وادع بختك هذا يموت من الكمد. قال دع عنك ذلك فما نحن بحاجة اليه. قال هذا لا بد منه ولا اريد الا مصارعة هذا الاسد بالقرب من باب هذا الايوان ولا ارجع عن هذا الطلب مطلقًا. فسال كسرى عن الحاح حمزة فعرض عليه بزرجمهر كل ما تقدم ذكرهُ وانه يريد مبارزة الاسد. فقال له ان هذا لا يريده الملك خوفًا عليه واذا مات ما نتيجة بمصارعة الاسد. فاعاد عليه كلام كسرى فقال حمزة اني اذا لم يسمح لي بصراع الاسد تركت ديوانه وخرجت غضبانًا من حضرته فان شيئًا اريده يمنعني منه واما من جهة خوفه عليّ فاخبره اني قبل ان وصلت اليه قتلت اسدين وهذا الثالث

ولما راى كسرى الحاحهُ اجابهُ الى سواله وقال في نفسه انه بطل شديد الذراع ولا اخاف عليه من الاسد ومع كل ذلك فاني اسال النار حفظه وارجاعه سالمًا من الاسد. وفي الحال امر كسرى ان يوتى بالاسد الى امام الايوان حيث هناك ساحة واسعة يمكن الاسد اذا فلت لا يضر باحد حيث لا احد يبقى عند وجهه فاتي بالقفص وهو على عجلات الى تلك الساحة ووضع في وسطها واخبر الامير حمزة به ففرح غاية الفرح وقال في نفسه لا بد لي ان اري مهردكار فعلي وكيف اقتل الاساد واقودها كالخرفان واكيد بذلك بختك الخبيث المحتال الذي ظن ان الاسد يقتلني ويعدمني الحياة ثم ان الملك جلس على ظهر الايوان ينظر الى الساحة ومثله جميع الوزراء وارباب الديوان ولم يجسر احد ان يقف في الساحة خوفًا من الاسد واجتمع الناس كالنجوم على الجدران من كل ناحية يتفرجون نساء ورجالاً وخرجت مهردكار الى شباكها وجلست عليه

وهي حزينة القلب منفطرتهُ وقد بلغها ان حمزة يصارع الاسد فخافت عليهِ منهُ وجعلت تذرف دموع الياس وتسال لهُ السلامة ولما تيقن حمزة ان مهردكار جلست تنظر اليهِ سقط الى وسط الساحة ونزع ما عليهِ من السلاح واعطاه لاخيهِ يحفظهُ لهُ وبقي بثيابهِ وعمامتهِ ولم يخفف شيئاً منها حياء من حبيبتهِ . ولما قرب من القفص كسر بابهُ من فوق الى اسفل ليتمكن الاسد من الخروج وفي الحال خرج من قفصهِ كانهُ الغول الهائل ولما شم النسيم ونظر نفسهُ في الخارج تنفض وفرح فكان حمزة قد دنا منهُ وفك قيودهُ فاصبح مطلق الايدي والارجل فزاد حيلاً وتنشق رائحة الحرية فزأر بصوت اشبه بالرعد ورفع بيديهِ الى فوق وبقي واقفاً على ارجلهِ وانحذف على الامير حمزة وهو يطلب افتراسهُ فاجابهُ بصوت اشد ارتفاعاً من صوتهِ والتقاه بقوة قلب وجنان ومسكهُ من وسطهِ ولم يدعهُ يتمكن منهُ وصار كلما اراد الاسد ان يدنو بفمهِ منهُ ليفترسهُ فيضربهُ بيده على وجههِ يدوخهُ

قال وكان الاسد مرتاحاً كل هذه المدة وقوائمهُ شديدة قوية فجعل يحذف بحمزة الى اليمين والشمال بقصد القائهِ الى الارض وحمزة يحاول ويدافع وهو ثابت امامهُ ثبات الابطال وقد نشبت اظافر الاسد في زنديهِ فسال منها الدم وتمزقت ثيابهُ وبقي الامر على مثل ذلك والامير مع الاسد في صراع وقتال لا يتمكن احدهما من الاخر حتى ثبت عند الجميع ان الامير حمزة من الابطال الشداد غير انهم كانوا لا يرجون خلاصهُ من بين يدي الاسد بل كان اكثرهم حزيناً عليهِ ولا سيما مهردكار فانها رات عن بعد الدم سائلاً من جسده فتاكد لديها ان الاسد يفترسهُ ويميتهُ ولم تقدر ان تضبط نفسها من البكاء ودموعها تذرف على خدودها منتظرة النهاية وبكل عزمها انهُ اذا لحق بحبيبها امر مكدر رمت بنفسها من الطاقة فتموت حالاً وتلحق بهِ ولا تعيش ساعة بعدهُ . وفيما كان الامير حمزة مع الاسد في جدال ونضال لاحت منهُ التفاتهُ الى مهردكار فراها باكية العين تنظر اليهِ بانكسار كانها مرجحة عدم نجاحهِ فطار عقلهُ وصاح صيحة اهتزت منهـا تلك القصور وارتجت الارض وتزلزلت وارتبك الاسد وضاع عقلهُ فانحط عليهِ حمزة ودخل بسرعة البرق تحت وسطهِ فتمكن من يديهِ فشدهما الى بعضهما ثم ميلهُ الى الشمال ومال هو الى اليمين فوقع الاسد الى الارض كانهُ الطود فداس حمزة على راسهِ وشد باحدى يديهِ بما اعطاه الله من القوة فقلع اليد وبنحو نصف ساعة اخنبط الاسد ومات فمد حمزة يده الى جوفهِ واخرج قلبهُ واكلهُ

وقد صدر عن ذلك غوغاء وصياح من العرب والعجم وكان اشد الجميع سروراً مهردكار وجعل قلبها يخفق خفقان المسرة وتمنت ان ترمي نفسها عليهِ وتضمهُ الى صدرها وتتمكن من ان تشكرهُ على فعلهِ وتمدحهُ عليهِ وكذلك كسرى فانهُ نزل عن ظهر الايوان الى بابهِ وتقدم من

حمزة وقبلهٔ بين عينيهِ وتقدم الجميع الى تهنئتهِ بالسلامة وفوزه على الاسد الاَّ بختك الوزير فانهٔ دنا منهٔ وكلمة التهنئة لم تخرج من فمهِ بل كاد يموت وحزن على خلاص حمزة من الاسد وغاب وعيهٔ . وبعد ذلك رجع معهم الى الديوان بعد ان راى بطرف نظرهِ الى مهردكار وهي تبسم بمباسم الفرح وقد ابدت لهٔ علامة الاستحسان من اعمالهِ كل ذلك دون ان يلحظ احد او يعلم بها احد وبعد ان دخل امر الملك كسرى ان يذهب بهِ بزرجمهر الى الحمام فيغسل بدنهٔ ويلبس بدلة من افخر الثياب التي يختارها فاخذه بزرجمهر الى الحمام واغتسل فيهِ وهو قبل ذلك لا يعرف الحمام ولا الماء السخن فنظر بدنهٔ مرتاحًا جدًّا ومن ثم رجع مع الوزير وهو يقول لهٔ ان الزمان يخدمني ولا بد لي من كيد بختك بن قرقيش لانهٔ يريد لي الهلاك والقلعان وما قصد بمصارعتي الاسد الا لظنهِ انهٔ يفترسني ويميتني فجاء الامر بعكس ما ظن حتى رايتهٔ وقد كادت تنفطر مرارتهٔ ويعدم الحياة قال اني اعلم منهٔ ذلك واعرف ان الله سيطيل بعمرك وينولك الفوز العظيم على الفرس وعلى غيرهم فتحظى بالسعادة التي وعدت بها من الله سبحانهٔ وتعالى ومن الخضر عليهِ السلام

وبعد ان دخلوا الديوان وجلس في مركزه بجانب كسرى قدم لهٔ الشراب وبعده امر بمد صفرة الطعام المختلفة الالوان فجلس العرب على جانب منها والاعجام على جانب اخرواكلوا حتى اكتفوا وعادوا الى مراكزهم فجلسوا على كراسيهم ومن ثم امر كسرى ان يعطى الامير حمزة ثوب فاخر من ثيابهِ الخاصة يلبسهٔ في اي وقت اراد فاعطى وقد سرَّ من ذلك مزيد السرور وبقي في ديوان كسرى الى المساء وعند المساء خرج من الديوان مع جماعتهِ العرب وهو يرفل بثوب المجد والفخار وبختك ينظر اليهِ نظر المتالم المتوجع ويعض على اصابعهِ من شدة الغيظ كيف انهٔ لم يفز بالمطلوب ولم يتمكن الاسد من قتل الامير بل ذل بين يديهِ حتى قتلهٔ وزاد بذلك فخرًا ورفعة في عيني كسرى انوشروان فقدمهٔ اكثر من الاول ونما حبهٔ في قلبهِ فكانهٔ قصد بذلك منفعتهٔ ورفع شانهِ غير انهٔ صبر على دهرهِ واخذ يفكر في طريقة ثانية ينال بها مراده من عدوهِ الالد

ولما صار حمزة في باب الايوان راى مهردكار واقفة على الانتظار فاشار اليها باسرع من لمح البصر بالوداع وركب على ظهر جواده وركبت العرب من خلفهِ والملك النعمان الى جانبهِ وانطلقوا من ذاك المكان بعد ان كان قد اوصاه كسرى ان لا يبارح ديوانهٔ يومًا واحد بل من الواجب عليهِ ان يحضر في كل يوم حيث لا يقدر على فراقهِ . ولما دخلوا الخيام نزل الامير في صيوانهِ ولم يكن عنده سوى اخيهِ عمر فاخذ يفكر في مهردكار وجمالها وما اعطاها الله من الحسن الفائق الحد وفيما هو يفكر بمثل هذا الامر دنا منهٔ عمر وقال لهٔ لقد رايت مهردكار يا اخي فاعجبتني

جداً وعرفت انها تليق بك وتليق بها وهي كالبدر جمالاً والغصن دلالاً فاسال الله ان يهنيك بها ولا يحرمك منها فقال له اني عرفت انها كما قلت واكثر لكن الامر الوحيد الخطر هوان صعوبة عظيمة بيني وبين نيل مرادي لان كسرى حالما يعرف اني احب بنته واطلب تزويجها يمتنع وتسقط هذه المحبة التي بنيتها بقلبه ويقع بيني وبينه الخلاف فالتزم ان احصل عليها بقوة السيف الامر الذي لا اريده ولا تريده هي ايضاً ولذلك اعلم ان الزمان رماني بحبها قاصداً به ان يلقيني في مخاطر جمة ويجعل لي بذلك كبير عذاب ولا اعرف ما يكون من هذا القبيل . فقال له لا زلت تنظر الى اهون الامور لديك نظر المتصعب الخائف فكيف يمكن لكسرى ان يمنع عنك بنته وانت كنت السبب في ارجاع بلاده اليه والا كان لا يزال مطروداً وبنته لا تتزوج الا باقل الناس حيث يكون قد سقط من الدرجة الملكية فهل تقاس بنته ببلاده وعلى ما اظن انه يعرف مقدار الجميل ولا يجحد معروفاً عملته معه بل يقدره حق قدره ولا يبخل عليك ببنته . قال وان كنت قد ارجعت اليه بلاده غير انه يرى ان زواجي ببنته حطة من شانه بين الفرس فهم لا يحبون الاختلاط بالعرب وعليه فاكون قد القيت نفسي بوهدة التعب خصوصاً ان عند كسرى وزير ردي الطباع شنيع الخصال حسود يريد لي الهلاك وهو مسموع الكلمة بين الفرس لانه من اعيان البلاد لا يمكن مخالفته من احد حتى ومن نفس الملك ومع كل ذلك فاني القي اتكالي بذلك على الله سبحانه وتعالى وفيما هو على مثل ذلك واذا برسول مهردكار قد وصل بحمل الطعام فدخل على الامير حمزة وقال له ان سيدتي تهديك السلام وترجو منك مداومة الحضور الى ابيها لتراك في كل يوم صباحاً ومساء فهي لا تقدر على فراقك يوماً واحداً . فقال له بلغها سلامي واخبرها ان ما بي هو اشد مما بها وان قلبي تعلق في حبها واني اريد ان اكون على الدوام قريباً منها ولذلك لا افارقها قط ولا ابعد عنها فستراني على الدوام الى ان يسهل لي الله سبحانه وتعالى الوصول اليها ثم تناول الطعام واخذ في الاكل وهو مسرور من لذته وانطلق عمر ليرى جماعة العيارين ويستكشف حالهم وينظر في امرهم حسب عادته وعاد الرسول الى مولاته فاخبرها بكلام الامير حمزة ففرحت مزيد الفرح وكانت في ذاك اليوم مشروحة الصدر مما شاهدت منه ولا سيما عند ما رأته وقد قتل الاسد كانه الهر بين يديه وقالت في نفسها قد تم لي كل ما ارجوه فها هو قد حياني تحيات المودة واظهر لي من كرامته وميله ما جعلني اعلق كبير امل به واتكل على حبه واي سعادة لي اعظم من هذا ان اكون زوجة لرجل جميل الصورة مرفوع الشان قوي الجنان لا تقدر الاسود ان تثبت بين يديه فما هو الا وحيد هذه الدنيا وبطلها جمع الله به كل خصلة حسنة وعليه فاني ادوم على محبته وابيع روحي في ما ينيله كل الراحة وكل ما يبديه لي فهو من لطفه . ثم دخلت الى غرفتها وانفردت بنفسها وانشدت

شوقي الى تقبيل ثغـ ـرك دونهُ حرُّ السعيرِ
بالله فاذن لي اقبـ ـل دره بفم الضمير
لو ابصرتك القاصرا ت الطرف من غرف القصور
لتهتكت كتهتكي وتعلمت كشف الستور
او لو نظرت الى الجما د لجاد بالعذب النمير
او ليس في حبيك لي عذر ولكن من عذيري
ومتى لجئت الى الشكا ية من صدودك يا اميري
هات اسقنيهـا بالصغيـ ـر وان سمحت فبالكبير
وانظر اليَّ مرفقًا حتى اغيب عن الشعور
واستلَّ روحي يا حيا تي من جفونك بالفتور
وعلى الحيـاة وطيبها مني السلام الى النشور

وبقيت تردد في فمها ذكر اسمهِ وتشخص في ذهنها كل ما راتهُ منهُ في النهار وما شاهدتهُ حين قتالهِ الاسد وهي لا تريد ان تنزع تلك الصورة او تبعدها عن خاطرها دقيقة الى ان كان المساء فقدمت لها قهرمانتها الطعام فاخذت منهُ كفايتها ودفعتهُ الى خادمها واوصتهُ ان يوصلهُ الى الامير حمزة واكلت قليلاً واقامت على انتظاره الى ان عاد اليها واخبرها بما سمع منهُ فكادت تطير فرحًا وهي لا تعرف في اي مكان هي من النعيم . وتاكد عندها حب الامير لها وان لا يبقى عليها الا الاهتمام بامر الاجتماع وتدبير طريقة تحفظ لها بقاء املها وزواجها بهِ

ونام الامير حمزة تلك الليلة على ما تقدم ذكره وفي الصباح بكر الى صيوان النعمان وقال لهُ هلمَّ بنا نذهب الى كسرى فانهُ لا بد ان ينتظر في هذا اليوم اذا تاخرنا عن الرواح اليهِ او امتنعنا مع اني وعدتهُ في كل يوم احضر اليهِ الى ان يسمح لنا بالذهاب الى بلادنا او يجد امرًا آخر يعيقنا عن الرواح . فاجاب النعمان طلبهُ وركب هو واصفران الدربندي والامير عقيل وساروا جميعًا حتى جاءوا باب المدينة فدخلوه وتقدموا من الايوان وهناك رفع حمزة نظرهُ الى جهة قصر الست مهردكار بنت الملك وسلطانة الحسن والبهاء فوجدها قد جلست على الشباك وهي مدبجة بالجواهر عليها ثوب من المخمل الاحمر يلمع بلمعان الشمس والكواكب وفي وسطها منطقة من الذهب الوهاج مزركشة بالحجارة الكريمة وفي رجليها حذاء مزركش بالذهب والحجارة الكريمة ولم يكن كل ذلك يحسب بشيء بالنسبة الى بهاء جبينها ونور طلعتها ولمعان خديها الموردين وطول عنقها اللامع الابيض القائم بين كتفيها المركبين على احسن نسق وبالاختصار ان كل ما بها مصنوع بيده تعالى وهو راضٍ منها فجاءت فتنة للعالمين . فلما راى

حمزة ذاك البهاء مال بنظره عنهُ وهو لا يقدر ان يضبط نفسهُ وخاف ان احدق بها او نظر اليها دقيقة كاملة يقع الى الارض وحال وقوع نظرهِ عليها حينئذ باشارة لطيفة وقعت من قلبهِ موقعاً عظيماً غير انهُ اظهر الجلد واخفى الكمد ودخل الباب وهو يدعو الله الى مساعدتهِ وبقي الى ان وقف في ديوان كسرى فسلم عليهِ وقدم فروض التحيات بكل لياقة وادب فنهض لهُ كسرى عن كرسيهِ وحسب العادة قبلهُ بين عينيهِ واجلسهُ الى جانبهِ واخذ معهُ في الحديث وهو يجيبهُ عن كل ما يسالهُ عنهُ محافظاً على اعتباره وتعظيمهِ والملك ماخوذ من ذلك مدهوش من طاعتهِ لهُ يزيد حباً فيهِ . وبالاختصار انهُ صرف ذاك النهار في ديوانهِ وفي المساء نهض ورجع الى الخيام برفاقه من العرب بعد ان ودع بالاشارة مهردكار . وبعد ان دخل صيوانهُ بقليل جاءهُ الطعام مع خادم مهردكار فقدمهُ لهُ مع عمر فاكل وشكر الله واقام على الفكر والاهتمام بامره ينظر في عواقب ما هو فيهِ ويتمنى مساعدة الله ومعاونة الصدف لينال ما هو طالب وقد رسمت في ذهنهِ مهردكار على الحالة التي راها فيها ذاك النهار وهي فتنة للناظرين وعليها من المهابة والجلال ما لا يوجد على ابيها ولا على غيرهِ من الملوك وكان كلما دقق النظر وامعن في ذاك الرسم المطبوع في ذهنهِ يضيق صدره ويقل صبره ويتمنى ان يكون في قصرها وبين يديها يراها ويسمع عذوبة الفاظها ويلتقط من حب جمالها ما يمكن ان يلتقطهُ بايدي نظره ودام على ذلك كل السهرة وهو لا يخرج من صيوانهِ ولا يرضى بمواجهة احد كي لا يضيع معهُ الوقت او يغيب عن ذهنهِ شخص محبوبتهِ وهو على انفراد لان المحب الصادق يحلو لهُ الانفراد لمثل هذا السبب اي ليتسع معهُ المجال في امر من احب فيشخص جماله نصب عينيهِ ويكلمهُ بافكاره ويخابره ويهتم بامور كثيرة تتعلق بهِ ويتمنى اموراً كثيرة ان يعرضها عليهِ ناظراً الى ذلك بلذة ورغبة كان حبيبهُ يسرُّ من اعمالهِ هذه . وقد راى الامير حمزة ان الحب يستدعي التبصر بمثل هذه الظروف والتسلي بالاوهام والتصورات واخيراً بمناشدة الاشعار ولذلك انشد قائلاً

بابي الظباء الفاترات جفونا ... الفاتكات سوالفًا وعيونا
المطلعات من الثغور كواكبًا ... المسبلات من الشعور دجونا
الراشقات من اللواحظ اسهما ... المرسلات الى القلوب منونا
سفروا وقد صبغ الحياء خدودهم ... ارايت ورداً خالط النسرينا
ونفرن غزلانًا وتهن غوانيًا ... وسفرن اقمارًا وملن غصونا
غيدٌ اذا هزوا المعاطف لا ترى ... الا صريعًا بينهن طعينا
سود النواظر ما كحلن باثمدٍ ... والحسن حقًا يغلب التحسينا
يا لائمًا قد جار في تعنيفهِ ... هلاَّ رحمت متيمًا مفتونا

فانا الذي اتخذ المحبة والهوى شرفًا لارباب الغرام ودينا
ومريضة الاجفان ساحر لحظها ينبيك عما في الفؤاد كمينا
في طرفها السفاح اصبح خدها الـ ـهادي ترى نعمانه مامونا
معشوقة الحركات حرك قدها قلبًا اليها كان قبل سكونا
واذا انثنت خلت الرماح معاطفًا واذا رنت خلت السيوف جفونا
شمس لطلعتها الهلال قد انحنى ادبًا فاصبح يشبه العرجونا
والورق غنت اذ تثني قدها طربًا فاعرب لحنهُ التلحينا
لا تسالن اذا قصدت قصورها واقصد بحيث ترى الجمال مصونا
واذا اردت ترى هلال جبينها فانظر الى حيث الصباح مبينا

وكان وهو ينشد يرى لذة في داخلهِ وارتياحًا الى من احبها وهو يعجب من نفسهِ ومن تلك اللذة ولم يكن قبلاً قد سلك طريق الغرام ولا عرف الاسباب الدافعة اليهِ والمثبتة فيهِ فكان كمن يتدرج في سلمهِ كل ساعة يرى لهُ فيهِ نوعًا جديدًا

قال وبينما هو على مثل ذلك اذ دخل عليهِ اخوهُ عمرو وقال لهُ ان على الباب رجل فارسي يتكلم العربية وقد اخبرني انهُ جاء من قبل بختك بن قرقبش ليعرض عليك امرًا فيهِ الصالح والخير لك . قال ان ذلك لا يصدر عن بختك ولا بد ان في الامر سرٌّ فدع الرجل يدخل واحترس منهُ كل الاحتراس . فخرج اليهِ وادخلهُ ولما صار امام حمزة سلم عليهِ وجلس الى جانبهِ وقال لهُ اعلم يامولاي اني رسول الوزير بختك بن قرقيش وزير كسرى وقد ارسلني اليك بكلام اطلعك عليهِ حتى اذا رايت فيهِ الموافقة والخير صدقتهُ والا فالامر لك . قال قل فاني اسمع لك . قال ان مولاي قد اخبرني ان اقول لك انك تنظر اليهِ نظر العداوة مع انهُ يرغب في نجاحك وفلاحك لكنك تعديت عليهِ وضربتهُ على وجههِ وخرقت ناموسهُ بين عموم اعيان الفرس وفوق كل هذا قد اوجعتهُ ولهذا كان قد نوى ان يحقد عليك غير انهُ راى في ذلك صعوبة فاراد ان يتخذك خليلاً وحليفًا ويبدل ما بقلبك من الغيظ منهُ رضى وتكون انت صديقهُ وتتخذه كما اتخذت بزرجمهر خصوصًا لما راى ان الملك يحبك حبًا عظيمًا وليظهر لك برهانًا على ما تقدم امرني ان اعرض عليك امر جواد عظيم موجود عند كسرى انوشروان اسمهُ الاصفران لا يوجد لهُ نظير في هذا الزمان فاذا ملكت هذا الجواد فزت على كل فارس وبطل ونلت كل ما تتمناه لانهُ نادرة هذا الزمان ووحد فيهِ يبلغ ارتفاعهُ ارتفاع الجمل اشقر اللون صبوح الطلعة شديد القوائم واسع الصدر الاَّ انهُ قوي جدًا لا يقدر احد ان يعلو ظهرهُ الا اذا كان مثلك فيقوده كالكلب وهذا من باب الحب والولاء وسوف تعلم اذا رايت هذا

الجواد ان بختك محب لك اكثر من غيره وذلك لما راى انهُ لا يصلح الا للك ولا بد ان يصعب عليك كسرى امر الحصول عليهِ ويظهر لك صعوبة بذلك فاياك من الامتناع وسوف تعلم الصحيح . فلما سمع حمزة كلام الرجل عرف ان بختك لا يقصد بذلك خيرًا غير انهُ علق بالجواد وتعشقهُ كتعشقهِ لمهردكار وعرف ان هذا الجواد يحتاج اليهِ اذا كان كما وصفهُ لهُ الرجل عن لسان الوزير بختك وقال في نفسهِ لا بد ان يكشف لي الغد عن المسالة . ثم قال للرجل بلغ مولاك مني السلام واشكرهُ عني وقل لهُ اني في الغد اطلب هذا الجواد من كسرى واني الحّ عليهِ واسالهُ التكرم بهِ قال الرجل لكن اريد منك ان لا تخبر الملك ان بختك اخبرك بذلك الا بعد نوالك اياه ودخولهِ في يدك وتجريبهِ في ساحة الميدان وتاكيدك نصح سيدي فوعده بذلك وارجعهُ فرحًا مسرورًا

قال وكان بختك من نفس ذاك اليوم الذي قتل فيهِ حمزة الاسد وهو يفكر في طريقة ثانية يهلكهُ بها لكي ياخذ منهُ بثاره فضاقت في وجههِ كل المذاهب وانقضى ذاك اليوم واليوم التالي وهو عامل على الفكرة ليلاً ونهارًا لا يترك بابًا يتوصل بهِ الى موتهِ الا وامعن بهِ وبحث في كيفيتهِ الى ان كان مساء ذاك اليوم خطر لهُ خاطر وهو ان من عهد عشرين سنة اهدي الى كسرى جواد عظيم لا يوجد لهُ ثانٍ من بلاد الروم وكان مهرًا صغيرًا فعين لهُ من يربيهِ ويحسن طعمهُ وخدمتهُ حتى كبر فاراد ان يجربهُ فاركبهُ لبعض فرسانهِ فحالما صار على ظهرهِ ضرب رجليهِ بالارض وحذفهُ عنهُ فالقاه الى الارض ورفسهُ برجلهِ في قلبهِ باسرع من لمح البصر فاماتهُ فتكدر من ذلك كسرى انوشروان واراد قتل الجواد فقامت عليهِ الفرسان والامراء والاعيان وقالوا لهُ ان هذا الجواد هو افضل من المدائن فاذا كان هذا الفارس لم يثبت على ظهره فغيرهُ يثبت ولا بد من وجود رجل يقدر ان يعلوه ويتخذهُ لهُ فيكون سندًا لفارس وكان عند كسرى اوانئذ فارس صنديد وجبار عنيد اسمهُ رستم البهلوان وهو بهلوان بلاد العجم وفارس فرسان الديلم فتقدم من كسرى وقال لهُ هبني هذا الجواد فانا اركبهُ واطيعهُ . فظن كسرى انهُ يقدر عليهِ فسمح لهُ بهِ فجاء اليهِ واراد ان يركب على ظهره فضربهُ بقوائمهِ القاه الى الارض واتبعهُ بالاول ولذلك تكاثر الناس على الجواد واحتاطوا بهِ بالحبال وربطوهُ وقادوهُ الى اصطبل مخصوص ووضعوهُ فيهِ وصار في كل سنة يظهر فارس في بلاد الفرس او في غيرها فيطلب هذا الجواد فلا يقدر ان يدنو منهُ وهو على الدوام يسمن ويقوى ويشتد حتى اصبح كالفيل وامتنع الناس ان يذكروهُ بفمهم وتاكد ان لا احد يقدر ان يعلوه او يتملكهُ ولذلك خطر لبختك ان يلقي الامير حمزة بهذه التهلكة بحيث يطلب الجواد من كسرى ويقصد ان يركبهُ فيفعل بهِ كما فعل بغيره ولما ترجح عنده هذا الظن سرَّ مزيد السرور وطفح قلبهُ من الفرح ودعا بترجمانهِ وكاتم اسراره واوصاه

ان يذهب الى حمزة بقضاء هذه المهمة ولما عاد اليهِ واخبره بما قالهُ لهُ ثبت عنده انهُ لا بد ان يموت في اليوم الثاني لدى وصولهِ الى الجواد ولعظم فرحه لم ينم تلك الليلة وما صدق ان طلع النهار واخذت الناس في الذهاب الى مجلس كسرى فكان هو اول من سار فدخل واخذت الناس ترد حسب العادة وتجلس في مراكزها

قال واما الامير حمزة فانهُ سار في اليوم الثاني مع النعمان وجماعتهِ وهو مشغل الفكر من جهة الجواد ويتمنى ان يصل اليهِ ويراه وهل هو كما وصف لهُ ام لا فانهُ كان كما قيل لهُ يكون قد نال سعادة يحسبها من السعادات العظيمة وقبل ان دخل الايوان راى محبوبتهُ على حسب العادة فحيتهُ وحياها حتى ادرك النعمان الحقيقة ولحظ الحب الواقع بينهما من تكرار التحيات في الصباح والمساء ولما صار امام كسرى قبل يديهِ فقبلهُ بين عينيهِ واثنى عليهِ واجلسهُ الى جانبهِ بينهُ وبين بزرجمهر. وبعد ان استقر بهِ الجلوس وتمادى مع كسرى قليلاً التفت الى بزرجمهر الوزير وقال لهُ اريد منك ياسيدي ان تبلغ كسرى كلاماً اريد ان اعرضهُ عليهِ قال قل ما شئت فاني اطلعهُ عليهِ . قال ارجوه ان يسمح لي بالاصفران فقد سمعت عنهُ انهُ من الخيول الحسان واني احتاج ان يكون عندي مثل هذا الجواد لانال بهِ غاية القصد والمراد واقهر الاعداء والحساد . فقال لهُ بزرجمهر وقد اظهر التعجب والاندهاش ممن عرفت ذلك ومن اطلعك على مثل هذا الخبر فلا ريب انهُ عدو الد يقصد لك الهلاك والوبال لان الجواد هذا هو اشد حيلاً من الاسد قوي القوائم قد امات عدة فرسان وابطال من الذين تضرب بهم الامثال في بلاد فارس دون ان يقدر احد ان يصل اليهِ ولذلك لا اريد ان تذكر ذلك لكسرى ولا يقبل هو ايضاً منك ذلك ولا يخاطر بك الى هذا الحد اذ لا يريد ان يعدمك هذه الدنيا بل يرغب في بقاك وطول عمرك . قال لا خوف عليّ من هذا الجواد ولا بد لي من الحصول عليهِ واخذه لنفسي واريد منك ان تكرم عليّ وتسال لي الملك ان يهبهُ لي فيكون قد فعل معي جميلاً واكرمني اكثر مما استحققت . وكان الملك يرى ما هو دائر بين حمزة ووزيره فالتفت اليهِ وسالهُ عن سبب ذلك فاطلعهُ على سر المسالة واخبره ان بزعم حمزة ان ياخذ الاصفران . فامتنع عليهِ كسرى وقال لهُ بلغهُ ان هذا ليس من الصواب فهو مثل ابني وقد تربى على نعمتي فلا القيهُ بيدي بين يدي الهلاك والموت واني انتظر ان اكافيهُ بالخير لا بالشر فاذا سمحت لهُ بالجواد اكون قد عاملتهُ باقبح الاعمال فيقال عني اني قتلت من ارجع اليّ بلادي وحارب من اجلي وقهر لي عدوي فدعه يعدل عن ذلك فقد كفى ما كان من امر الاسد وصراعه لهُ وما في العناد من فائدة . فلما سمع حمزة هذا الكلام اشتد عنده ميلهُ الى الجواد ورغبتهُ فيهِ . فقال للملك ان هذا الجواد يصلح لي وليس من الصواب ان يبقى متروكاً لا نفع لهُ ولا سيما افضلهُ على كل امر

يريد ان يكرمني به واما خوفهُ عليَّ منهُ فهو بغير محلهِ واذا كنت اخاف من جواد مثل هذا لا يصلح بي ان اقيم في ديوان كسرى واتشرف بين يديهِ على الدوام واحسب من اتباعه فطلبي الجواد لا بد منهُ وارجو من سيدي الملك ان لا يحرمني من شيء اريدهُ ولا بد انهُ يسرُّ اذا رآني راكبًا فوق هذا الجواد وهو عندي كالطفل الرضيع اقوده كيف شئت . فلما سمع كسرى كلامهُ رأى ان لا بد لهُ من الجواد فسمح لهُ وقال لهُ اني لا ابخل عليك بجواد اريد ان يكون لاعز الناس عندي الا خوفًا على حياتك والاَّ لو طلبت مني نصف مملكتي لدفعتها اليك وشاركتك فيها فانك تاخذها باستحقاق مني

ثم ان الملك امر ان يوخذ حمزة الى الاصطبل الموضوع فيهِ الجواد فيفتحهُ بيده ويرى ما يكون من امرهِ وشاع الخبر اذ ذاك بين الخاص والعام وسر الوزير بختك وثبت عنده ان الامير سيداس بارجل الجواد وينتهي امره فكان مسرور الفواد مرجحًا اخذ ثاره منهُ واما مهردكار فانها حزنت كثير حزن عندما بلغها هذا الخبر وخافت كل الخوف على الامير وقالت في نفسها انهم كل يوم يرون لهُ مهلكًا كانهم يريدون موتهُ وعلى هذا يظهر انهم اعداء لهُ وهذا الامر اشغل لها بالها كثيرًا وضاق من اجلهِ صدرها واحتارت فيما تفعل وعولت ان تخاطر بنفسها اذا سلمهُ الله من الجواد وتستدعيهِ اليها في الليل وتجتمع واياه وتسالهُ في تدبير طريقة لزواجها بهِ وخلاصهِ من كيد الاعداء واقامت في مكانها تنتظر ما يكون من امر حبيبها وهذا الجواد وهي تطلب لهُ من العناية ان يخلص ويطيل بعمره وينجو من هذا الفخ الذي نصب لهُ . وفي تلك الساعة خرج الامير حمزة وبين يديهِ خدامين يذهبون بهِ الى ناحية الاصطبل واقام الملك ورجال دولتهِ وباقي الاعيان على الجدران والسطوح وكذلك النساء والاطفال وازدحمت الارجل وهم يطلبون الفرجة على الامير حمزة وعلى الجواد الذي لهُ مدة سنين داخل الاصطبل لا يقدر احد ان يصل اليهِ او يدنو منهُ وقد قتل عدة فرسان ولما وصل الامير الى الباب قال لهُ الخدم هذا هو الباب وهو من الحديد وهذه مفاتيحهُ فمتى بعدنا نحن فافتحهُ واخرجهُ . قال ومن كان يقدم لهذا الجواد العلف حتى كلكم تخافونهُ اما كان منكم واحد ياسف عليهِ . قالوا كلاَّ بل فتح لهُ في السقف نافذة يدلى لهُ العلف منها وقد قتل عدة خدامين . واذ ذاك اخذ حمزة المفاتيح وتقدم من الباب وكان الاصطبل في جانب الايوان عند اسفلهِ . ففتحهُ ونظر الى الداخل واذا بهِ يرى الجواد قد صهل صهيلاً قويًا فتعجب من عظم جثتهِ وهول منظره وتاقت نفسهُ اليهِ وتقدم بقلب قوي الى الداخل وكان الجواد مقيدًا بالحديد بيديهِ ورجليهِ مشبوحًا بالسكك ومع ذلك كان يضرب بيديهِ ورجليهِ فيسمع لهُ قرقعة وضجيج يرتج منهُ الاصطبل بل الايوان برمتهِ ولما قرب منهُ ضربهُ بيده على راسهِ واخرجهُ مقيدًا بعد ان استلم زمامهُ فهدأ الجواد قليلاً ولما صار في الخلاء نظر

الى جهة قصر بنت الملك فوجدها تنظر اليهِ باسمة كانها راضية من عملهِ فعرف انها غير خائفة عليهِ بعد ان رأتهُ فعل ما فعل بالاسد وقتل كانهُ الهر الضعيف فاشتدت بهِ الرغبة الى اتمام عملهِ واراد ايضاً ان يري الملك ما يفعل بالجواد ويقهر بختك الذي كان ينظر اليهِ منتظرًا ان يفك قيود الجواد ويحلهُ من عقالهِ

وبعد ان استقر في نصف الساحة تقدم من رجليهِ ففك القيود وحالما شعر الجواد باطلاقهِ ضرب رجليهِ بالارض فحفر فيها خليجًا عميقًا ثم رفع يديهِ بالهوا واستوى على رجليهِ واقفًا وانحذف الى جهة الامير حمزة قاصدًا ان يفعل بهِ كما فعل بغيره من الفرسان الذين قصدوا ركوبهُ فصاح بهِ بصوت قوي وضربهُ بكفهِ على صدغهِ وشد لهُ بمقوده فغيب هداه وضيعهُ ووقف هاديًا ساكتًا خائفًا فاخذ اللجام وادخلهُ في فمهِ دون ان يبدي منهُ اقل حركة او ممانعة كانهُ عرف ان هذا الفارس هو فارسهُ الذي يستحق ان يركبهُ ويملك قياده ووضع السرج على ظهره وشده وقفز من الارض الى ظهره كانهُ فرخ النعام وارسل نظره بخفة الى جهة قصر مهردكار فراها تزيد ابتسامًا وعلائم الفرح والمسرة تطفح على وجهها فاطلق الجواد من تحت قصرها وقد صاح بهِ فخرج كانهُ السهم اذا انطلق حتى كادت لا تراه العيون لخفة جريهِ وسرعة مشيهِ وباقل من دقيقة مر من تحت المكان الواقفة فيهِ مهردكار فكادت تطير من الفرح ولولا خجلها لرمت بنفسها عليهِ وذهبت قتيلة هواهُ غير ان وعده وعملهُ واشاراتهِ جعلها ان تعلق الامل بالاجتماع بهِ بوقت قريب

وبعد ان انتهى الى اخر الساحة دار بالجواد الى الجهة الثانية واطلقهُ فانطلق كالبرق الخاطف ومر من تحت الايوان والملك واقف ينظر نظر المسرور المبتهج وعندما راه قد ورفع بعينيهِ لنحوهِ اشار اليهِ اشارة الاستحسان واما بختك فانهُ كاد ان يموت وتنفطر مرارتهُ وثبت عنده ان الامير حمزة ليس ممن يقهر وان الجواد صار في قبضتهِ فيستعين عليهِ في حروبهِ وعلى اخصامهِ ويتقوّى عما هو عليهِ ويزيد قوة وبسالة بواسطتهِ . وبقي الامير حمزة يصول ويجول على ظهر الجواد حتى طاع ولان وسال العرق من جسده كالمجاري ولما راى حمزة منهُ اللين وصل الى باب الايوان ونزل عنهُ واذا بالامير عمر قد انقض عليهِ فمسكهُ من مقوده وربطهُ الى باب الايوان ودخل الامير فتقدم منهُ بالاول بزرجمهر وقبلهُ بين عينيهِ وهناه بالجواد وقال لهُ لقد اعطيت ما لم يعطَ لغيرك وما ذلك الا من توفيقك وسعادتك لانك موعود بذلك من الله . فقال لهُ ان ما وصل اليَّ كان بمساعدتك والتفاتك وحبك ودعاك وانا على الدوام متخذك غوثًا وسندًا ومرشدًا ومدبرًا ولا احيد عما تامرني بهِ على الدوام ولو كان بذلك موتي وفنائي ومن ثم تقدم حمزة من الملك فقبل يديهِ فقبلهُ وقال ان هذا الجواد لم يخلق الا لك وقد ابى ان

يعلو على ظهره سواك ولذلك سمحت لك به وقدمته ليكون جوادك الخصوصي تقاتل به اعداك
ثم التفت ايضاً الى جهة بختك وقال له لقد كان سبب وصول هذا الجواد لي بواسطة مساعيك
ولو لم ترسل لي من يخبرني عنه لما عرفت به فلاجل هذه الغاية فقط اشكرك . فوقع هذا الكلام
على بختك وقوع الصاعقة لانه كشف له عن عمله فتلافى امره وقال له والنار تتقد في احشائه
لقد ظهر لك حبي واني على الدوام اريد ان تكون ممتازًا على غيرك وذلك لعلمي ان سيدي
الملك يرغب فيك كل الرغبة ويطلب على الدوام ان تكون في الدرجة الاولى بين رجاله فانا
وجميع المخلصين للملك يتمنون لك الخير حبًا فيك ورغبة في مجاراته على غاياته لانه سيدنا
والنار تنذرنا على الدوام بطاعته وموافقته على كل ما يطلبه منا ويريده فحفظته لنا وابقته سالمًا
مدى الايام والاعوام . فلم يخفَ على الامير حمزة ان كلامه هذا خلاف ما اضمر ورغب

وبعد ذلك دخل الملك الى ديوانه وجلس على كرسيه والى جانبه الامير حمزة البهلوان
وحوله باقي الاعجام من عرب وعجم وترك وديلم وغيرهم من القبائل والامم وبعد ان استقربهم
الجلوس امر ان تمد لهم بواطي المدام والنقل ثم امرلهم بالطعام فنهضوا الى مقام الاكل فاكلوا
واكتفوا وغسلوا ايديهم ورجعوا الى مراكزهم كل هذا والملك كسرى ينظر الى وجه الامير حمزة
نظر المحب الهائم وهو متعجب منه ومن قوة باسه وكثرة شجاعته وما وجد فيه من البطش
والاقتدار الذي لم يوجد بغيره من بني الانسان وهو يؤمل على يده الفوز والنجاح الى ان كان
المساء وعند انصراف الناس نهض الامير حمزة والملك النعمان ومن معهم من الاعيان والفرسان
فخرجوا من الديوان وركبوا خيولهم وساروا بعد ان نظر الامير الى معشوقته نظر المودع وبقي
سائرًا الى صيوانه فدخله والجواد معه وهو فرحان به كل الفرح مسرور كل المسرة لا يرفع نظره
منه وقد حسب ذلك من اكبر اسباب السعادة وعرف شدة احتياجه مثل هذا الجواد الحسن
وقال لاخيه عمر اني ارى نفسي في هذا اليوم مالكًا الدنيا فهذا الجواد هو عندي اعز من الدنيا
وافضل لا يقاس به ثمن . قال له اني اعرف ذلك واطلب من الله الذي نولك مرادك وملكك
الجواد يملكك مهردكار ويزوجك بها . قال ان لفي ذلك صعوبة عظيمة هل سمعت قبل الان
ان عجمية تزوجت ببدوي وبين البداوة والحضارة بون عظيم . فقال له ان لم يكن سبق ذلك
فاجعل انت نفسك اول من سن هذه العادة فيتسعك غيرك عليها وما المانع من ذلك وفي
العرب لياقة اكثر من العجم لا سيما وان بنت الملك تحبك وهي نفسها تطلب ذلك وترضاه
والملك يحبك ويتمنى لك كل خير وما طلبت منه امرًا الا وكان فعله اسبق اليه من قولك .
قال اني علقت نفسي بمهردكار واعتمدت على زواجها ولا عدت ارجع عن عزمي فاذا صار لي
ذلك عن رضا كان من جملة توفيق الباري سبحانه وتعالى واذا امتنع الملك ولم يصر ذلك

بدون صعوبة جردت سيفي ضد الفرس واخذت من احببتها بقوة السيف والسنان رغماً عن كل مانع

وما استقرّ الامير في صيوانهِ حتى جاء رسول مهردكار بالطعام فدفعهُ الى عمر فقدمهُ الى الامير فاكل وبعد ان اكتفى ذهب الى صيوان الملك النعمان لصرف السهرة عنده تلك الليلة تضييعاً للوقت وتسلية لنفسهِ وذهب عمر الى اصحابهِ وجماعتهِ وصرف وقتاً عندهم على حسب عادتهِ ومن ثم رجع الى اخيهِ وعاد معهُ الى صيوانهِ الى ان كان اليوم الثاني نهض الامير حمزة ونزل الى ديوان كسرى على حسب العادة مع الملك النعمان وجماعتهِ فلاقاهم كسرى بالبشاشة والترحيب واجلس الامير في مركزهِ المعتاد واخذ معهُ في الحديث وهو يظهر لهُ كل طاعة وخضوع ويقسم بنسبته الى خدمتهِ على طول الايام وبزرجمهر بينهم ترجمان . وفيما هم على مثل تلك الحالة واذا باحد الحجاب قد دخل على الديوان وقبل يدي الملك كسرى وقال لهُ اعلم ياسيدي ان بالباب مُقبل البهلوان وهو يسال الدخول عليك فهل تاذن لهُ ان يدخل . فقال دعهُ يدخل فلما سمع الامير حمزة باسم مقبل البهلوان مالت نفسهُ الى ان يراه ويعلم من هو هذا واذا بهِ قد دخل فنظر اليهِ فراه كانهُ الفيل قطعة كبير الدماغ والجثة طويل القامة كانهُ النخلة لا يوجد لهُ ثانٍ بين الرجال باياد طوال وصدر واسع واعين تقدح ناراً وشراراً . ولما وقف بين يدي الملك قبلها ووقف ينظر الى اليمين والشمال فامرهُ كسرى ان يجلس فقال لهُ ان سمح لي سيدي الملك لا اجلس الاَّ بعد ان يجيب طلبي ويمنحني ما اطلبهُ . قال وما تطلب اسالني فاجيبك . قال اني لا اطلب الا ما هو من حقوقي لاني بهلوان مقدم في كل بهلواني بلادك وقد عرفت في هذه الايام ان احد العرب المعروف بالامير حمزة قد جاء البلاد واخذ الرتبة الاولى عندك وانعمت عليهِ بكل ما هو عزيز لديك ولذلك رايت ان من الواجب ان اجرب نفسي معهُ اما في القتال واما في مقام الصراع فاذا صرعني فدمي مباح لهُ واذا صرعتهُ يرجع بالخيبة من بلادنا ولا يعود الى الافتخار علينا لان كيف يكون بين فرسان الفرس الوف من البهلوانية وياتي رجل بدوي ينال التقدم مع ان العرب على الدوام هم كعبيد لنا لا نرفع لهم شاناً ولا نعظم لهم قدراً

فقال لهُ كسرى دع هذا الطلب وارجع عنهُ فما انت من رجالهِ ولا اريد ان اخاطر بنفسك بصراعه وما في ذلك من فائدة فانت عندي عزيز وهو اكثر عزة . قال كيف اتركهُ وانت تعلم ان من الواجب على خدام الملك ان يكونوا على الدوام سالكين مسلك الجد والاجتهاد فمن منهم نال الفضل اكتسب المقام الاول وان من حقوقي انا لا ادع احداً في ديوان سيدي مقدماً عليَّ فاذا قهرت حمزة كان لي المقام الاول عليهِ ويشهد الخاص والعام اني اشد منهُ بسالة واقداماً

ويحق لي الفخر عليهِ وعلى سواه . قال هذا لا اوافقك عليهِ قط

وكان يتكلم وينظر الى جهة الامير حمزة فعرف ان الكلام دائر بسببهِ فسال بزرجمهر عن طلبهِ وماذا يريد فاعرضهُ عليهِ وحكى لهُ كل ما كان من امرهِ وامر الملك كسرى . فقال لهُ اريد منك ياسيدي ان تبلغ الملك ان يامرني بصراعهِ فاني ارغب فيهِ ولا اتركهُ ومن كان مثلي لا يخاف من الف بهلوان مثل هذا البهلوان . قال اني اعرف ذلك واريد منك ان تصارعه وتصرعهُ لاني موكد ان الوزير بختك قد بعث اليهِ واحضرهُ مع انهُ كان غائبًا عن المدينة وما حضر الا بالاتفاق معهُ وهو يظن انهُ ينال منك المقصود ويعدمك الحياة او يقلل من مقامك ويحط من قدرك . ثم التفت الوزير الى الملك وقال لهُ اعلم ياسيدي ان الامير يرجو منك ان تسمح لهُ بمصارعة مقبل وهو مصر عليهِ ولا اظن انهُ يرجع عنهُ . قال اني غير قابل في ذلك فان كلا الاثنين عزيز عندي ولا ارغب بوقوع عداوة بينهما او نزاع او امر اخر مكدر . فقال مقبل اني استرحم منك ان لا تحرمني من شيء طلبتهُ وارى من نفسي ان لا بد لي منهُ فاخبره واكرم عليَّ بهِ حالاً . وبقي مقبل البهلوان يلح على كسرى حتى اجابهُ الى طلبهِ وعين ساحة الصراع خارج الايوان وخرج كسرى الى خارج الديوان وجلس على كرسي فوق باب الايوان وفي الحال نزل الى الساحة الامير حمزة ومقبل البهلوان وكان مقبل يرجح كل الترجيح انهُ يقتل حمزة حيث ما كان شاهد قبل افعالهُ بل كان يتكل على قوتهِ وعلى قول بختك الوزير لهُ بانهُ يقدر ان يتمكن منهُ ويعدمهُ الحياة ووعده ان اهلكهُ او اذلهُ وارجعهُ بالخيبة غمره بالعطاء الجزيل وانعم عليهِ جدًّا

ولما صارا في وسط الساحة نزع مقبل ثيابهُ ولم يبقَ عليهِ سوى لباس من جلد قصير ثم اخذ شيئًا من دهن الشحم ودهن بهِ بدنهُ حتى صار يلمع كالبلور وصارت اليد لا تستوي عليهِ ولا تلبث على الجسد ثم اشار الى الامير حمزة ان ينزع ثيابهُ ويفعل كفعلهِ فلم يقبل واشار لهُ ان لا يفعل ذلك وكان قد نظر الى فوق فراى مهردكار وهي تنظر اليهِ منتظرة نهاية عملهِ مع خصمهِ فلم يعد ياخذه هدوٌّ ولا اصطبار وقد استقبح هذه العادة ان ترى مهردكار بدن رجل وانقض عليهِ ومد يده الى وسطهِ ليقبض عليهِ فلم يمكن من ان يمسكهُ واما مقبل فانهُ مسكهُ من زناره وشده اليهِ وفي ظنهِ انهُ بهذه الشدة يلقيه الى الارض فلم يتزعزع الامير بل اثبت رجلهُ في الارض فاصبح كانهُ الجبل الراسي لا تميلهُ الزوابع ولا القوات . ودامت المجاولة بين الاثنين وكل واحد منهما يظهر من قواه كل ما عنده وقد خاف الناس من محبي حمزة عليهِ عندما راوا انهُ بثيابهِ وراوا مقبلاً عريانًا لا يتمكن الامير من مسكهِ وكذلك مهردكار فانها كانت تعرف اصطلاح ارباب الصراع فخافت ان يقع حمزة ويتغلب عليهِ خصمهُ وذلك لما رانهُ يمد يده فلا يقدر ان

يقبض على شيء وذاك قابض على وسطهِ فمضى عليها اكثر من ساعتين والامير حمزة يحاول القبض عليهِ وهو يفلت منهُ حتى تعب مقبل ومل ولم يعد في وسعهِ الثبات وكاد يقع الى الارض فلحظ حمزة ذلك فانحط عليهِ ومد يده الى رقبتهِ فقبض عليهِ وارسل يده الثانية الى ما بين ساقيهِ ورفعهُ بما اعطي من القوة والباس فصار فوق راسهِ ثم مشى بهِ وقصد ان يضعهُ امام كسرى ليرى نفسهُ

ولما رات تلك الجموع افعال حمزة صفقت من الفرح وكذلك الملك وبزرجمهر فانهم سرُّوا مزيد السرور وعرفوا ان حمزة فارس كرار وبطل مغوار ليس لهُ نظير في سائر الاقطار واراد حمزة ان يضع مقبلاً الى الارض واذا بهِ قد رفع يده وهو مرفوع الى فوق راسهِ وضربهُ بباطن كفهِ على وجههِ لطمة غيبت الامير حمزة عن صوابهِ وكاد يطير عقلهُ من راسهِ ولم يعد يعرف من امامهُ ولا من وراه ولكثرة حمقهِ ضربهُ بالارض امام باب الايوان بكل عزمهِ فانخلعت رقبتهُ وخرجت روحهُ فتكدر بختك الوزير من ذلك وقال للملك ان الامير حمزة قد خرق حرمتك وحرمتنا ولم يراعِ جانب الادب وقد قتل رجلاً من كبراء الفرس كثير الاهل والعيال فما عملهُ هذا الا من باب التعدي والجور. فقال لهُ بزرجمهر ان حمزة ليس بمخطيء فانهُ هو الذي تعدى عليهِ وطلب صراعهُ ولم يكن من قصد الامير حمزة قتلهُ الا بعد ان لطمهُ بحضرة الملك على وجههِ تلك ا اللطمة فلو نزلت على ركن لهدمتهُ. فاجاب كسرى اني اعرف ان حمزة مصيبًا فخرق حرمتي وقع من مقبل لا منهُ. ثم نظروا واذا بهم راوا الامير مال الى اخيهِ عمر واخذ منهُ سلاحهُ فتقلد بهِ وامرهُ ان يقدم لهُ الجواد ليركبهُ فعرف انهُ تكدر من عمل مقبل وخاف من ان موتهُ يغيظ الفرس فيقدمون على عناده فقال في الحال لوزيره بزرجمهر اسرع الى الامير حمزة وادخلهُ الايوان واخبره ان مقبلاً قد نال ما استحقهُ وقد سامحناه بدمهِ فنزل اليهِ بزرجمهر وتعطف بخاطره وارجعهُ الى صوابهِ وجاء بهِ الى امام كسرى فقبل اليهِ واعتذر عن فعلهِ وقال لهُ بواسطة بزرجمهر اعلم ياسيدي اني ما قصدت لهُ شرًّا الا بعد ان بدأ بالشر وكان بودي ان القيهُ بتمهل امامكم مغلوبًا فعاملني بالخيانة ففعلت بهِ ما فعلت. قال اني مسرور من عملك وعليهِ فاني اعهد اليك بكل اموالهِ واملاكهِ واسلابهِ تاخذها لنفسك فاعتذر حمزة وقال ياسيدي اني لا ارغب بشيء الا رضاكم عليَّ. قال لا بد من ذلك وسوف ازيدك من اموالي اضعاف الاضعاف واذ ذاك تقدم الامير عمر وقال لهُ قد مضت مدة ياسيدي ولم تسمح لي بشيء من المال حتى ضجر جماعتي العيارون. فامر لهُ بخمسة الاف دينار فقبضها وهو من الفرح على جانب عظيم جدًّا لا يصدق متى يجتمع بعياريهِ حتى يبذل المال عليهم وينثره على رؤوسهم

قال وصرف حمزة كل ذاك اليوم عند كسرى وهو مسرور الخاطر قرير الناظر بقربه منهُ ويفرح بهِ ويهش بوجههِ وعند المساء خرج من الديوان ونزل الى الاسفل وركب الاصفران ورفع عينيهِ الى فوق فوجد مهردكار كالعادة واقفة في طاقة قصرها فاشار اليها مودعًا فاجابتهُ على اشارتهِ باشارة وقعت على قلبهِ ارق من وقوع الماء في جوف الظمآن وبقي سائرًا الى ان دخل الخيام وبقيت هي واقفة ترقب خطواتهِ وقلبها يتبعهُ من ورائهِ طائرًا يرف حواليهِ الى ان غاب عن اعينها فشعرت من نفسها بانقباض وانفطار قلب كيف انهُ غاب عن اعينها فصرفت نحوًا من ساعة تنظر الى الطريق التي سار فيها والارض التي مشى عليها حتى اسودت فحمة الليل فتركت الشباك ودخلت غرفتها وهي تخاطب نفسها وتقول لما ياترى هذا التهامل والى متى وانا على هذه الحيلة لا اسعى في وسيلة تقربني منهُ وتقربهُ مني وتجمعنا معًا واخذ هذا الفكر في خاطرها ماخذًا عظيمًا ورات من الصواب ان تكتب لهُ مع الرسول الذي يحمل الطعام تستشيره في هذا المعنى وتطلب اليهِ ان ينظر في الطريق الموصل الى الغاية . ولذلك اخذت فكتبت

من مهردكار بنت كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان الى الامير حمزة البهلوان حبيبها ورجائها في هذا الزمان من اتخذتهُ لها سندًا وغوثًا وتطلب بقاءهُ مدى الدوران

قد ثبت عندي شدة حبك لي وتنازلك بقبولي لخدمتك ونظرت اليَّ نظر الهائم المغرم حتى اصبحنا في الحب على درجة عظيمة وقلب كل واحد منا بيد الاخر وقد نظرت الى الحالة التي عليها فتعجبت كل العجب كيف اننا متقاعدون عن تدبير الوسائل التي توصلنا بعضنا الى بعض وتحفظ لنا راحتنا في المستقبل وننتهي من هذه الحالة واني ارى ان ذلك لا يتم الا بتدبيرك واعتنائك فدبر انت ما تراهُ حسنًا واذا تسهل لك ان تتوصل اليَّ او تاتي اليَّ فلا تتاخر وعرفني عما يخطر لك من هذا القبيل واذا كان لا يخطر لك الاتيان اليَّ فاسمح لي ان اقول لك ان تذهب الى ابي وتسالهُ ان يزوجك بي وعلى ما اظن انهُ لا يمتنع عن ذلك لانهُ يحبك محبة زائدة ويرضى كل ما ترضاه فلا يمنع عنك شيئًا تريده واني ازودك اخيرًا المحبة الخالصة والمودة الاكيدة واعدك اني رهينة لامرك اسير بين يديك اينما سرت اتحمل كل ما تامرني بهِ واقاسمك الشقاء والهناء اي اني اكون شريكة لك لا انفك عنك وعن خدمتك فلا صالح لي في هذه الدنيا او ان ارى وجهك وانظرك على الدوام في الصباح والمساء بل وفي كل آن ولا اريد منك الاَّ ان تبقى راضيًا عليَّ قانعًا بانك السند الوحيد لي والغوث الاكبر

ثم انها طوت الكتاب وختمتهُ ودفعتهُ لخادمها الخصوصي واوصتهُ ان ياتي منهُ بالجواب ثم حملتهُ الطعام وسار الى جهة الامير حمزة حتى وصل اليهِ فراى الامير عمر العيار عند باب

الصيوان فناولهُ الكتاب والطعام وسالهُ الجواب فاخذه الى حمزة ولما قراه وعرف ما فيهِ شغل باله واخذ يفكر في معناه وخطر لهُ ان يذهب الى قصر مهردكار ويجتمع بها ويسمع حديثها ويلتذ كل اللذة بالتقرب منها وهوَّن عليهِ الحب كل صعوبة دون ذلك فدعا الرسول وقال لهُ اخبر مولاتك اني اسير اليها في هذه الليلة بعد ساعتين فلتكن على حذر وتسعىَ في امر مروري من الباب حتى لا يراني احد حفظًا لشرفها وشرفي كي لا يقال عنا ما يثلم صيتنا . فقبل الرجل يده وسار الى سيدتهِ ولما وصل اليها بلغها ما قالهُ لهُ الامير ففرحت غاية الفرح وسرت مزيد السرور وامرت قهرمانتها بتدبير غرفة الشراب ووضع كل مشروب ومشموم ونقل عليها . ثم انها امرت الرجل خادمها الخصوصي ان يقف عند الباب عوضًا عن الحارس وان يدعوه اليها فسار ووقف بالباب وجاء حاجب الباب فقالت لهُ انك منذ اكثر من عشر سنين وانت حارس على باب قصري وانا لا امنع عنك شيئًا واني الان اريد منك امرًا فاجبني عليهِ ولك مني الجزاء العظيم فقال لها انك تعلمين صدق قولي وتعرفين خدمتي وصداقتي . قالت لا يخفاك حالة الامير حمزة البهلوان الذي جاء هذه البلاد وفعل ما فعل حتى غمر بلادنا بافضالهِ وكنت لا اعرفهُ بل اسمع بهِ فقصدت ان اراه وتسهل لي ان يزورني في هذه الليلة واراه وانعم عليهِ مكافاة على فعلهِ ببلادنا ولذلك اريد منك ان لا تمنعهُ اذا جاء وان لا تظهر امرهُ الى احد ثم دفعت اليهِ قبضة من الدراهم . فلما سمع حاجب الباب كلامها صفق من الفرح وقال لها اصحيح ما تقولين ياسيدتي وهل ان الامير حمزة ياتي الى هذا القصر قالت نعم انهُ ياتي بعد قليل قال اني مولع بهِ ياسيدتي واتمنى على الدوام ان ابقى بين يديهِ وفي خدمتهِ لاني شاهدت فعالهُ ورايت اعمالهُ وتعشقتهُ نفسي واستعد على الدوام ان افديه بنفسي واعاهدك اني لا اخبر احدًا بمجيئهِ ولا امنعهُ ولو كان بذلك فقدان حياتي وسعادتي . فمدحتهُ مهردكار واثنت عليهِ واعادتهُ الى الباب وصرفت الخدم الى غرف منامهم ولم تبقَ الا قهرمانتها فقط وامرت الرجل الذي يحمل الطعام ان يقف خارج الباب ليخبر الامير حمزة ويطمنهُ بالدخول وان كل شيء قد تسهل لهُ . ومن ثم دخلت الى غرفة ملابسها فنزعت ما عليها ولبست افخر ما عندها من الملابس وتزينت بالحلى الفاخرة وتتوجت بتاج من الالماس والحجارة الكريمة من عمل الفرس وفيهِ شموس من الذهب على دائرهِ وخرجت الى الغرفة التي اعدتها قهرمانتها فوجدتها قد انهت كل شيء وصفت المدام ووضعت الزهور عليها والنقولات الفاخرة واقامت على الانتظار وقلبها يخفق الدقيقة بعد الدقيقة وافكارها تضرب من جهة حبيبها مفتكرة كيف تكون حالة اجتماعها بهِ ووجوده عندها ولم تقدّر تلك الحالة من السعادة واللذة مع انها لم تكن قد اجتمعت قبل ذلك الحين برجل غريب وخصوصًا على مائدة الشراب

قال فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير حمزة فانهُ بعد ان تناول الطعام جلس ينتظر عودة اخيهِ عمر من جماعتهِ لانهُ سار اليهم وفرّق عليهم الاموال ولم يبقَ معهُ ولا بارة واحدة وبعد ان عاد اليهِ امرهُ ان يسير امامهُ الى المدينة فاجابهُ وسار بين يديهِ حتى وصلا الى الباب فدخلاه ولم يكن ثم مانع لان الابواب كانت تفتح ليلاً ونهارًا دون معارضة ولا ممانعة فتدخل الناس وتخرج اما للنزهة واما لاشغال خصوصية . ومن ثم سارا الى ان قربا من قصر مهردكار واذا بخادمها ينتظرها هناك فتقدم من الامير حمزة وقبل يديهِ وقال لهُ تفضل ياسيدي فان سيدتي قد اعدت كل شيء لدخولك وما من مانع يمنعك وعند قربهِ من باب القصر تقدم منهُ الحاجب وقبل يديهِ وقال لهُ اني اخدمك على الدوام وافدي بنفسي لاجلك فشكرهُ حمزة وقال لهُ سوف اكافيك على جميلك هذا وبعد ذلك دخل القصر وامامهُ الرجل يسير بهِ من سلم الى اخر ومن دهليز الى اخر حتى صعد بهِ الطابق العلوي وحالما وصل اليهِ شعرت مهردكار باتيانهِ فطار قلبها شعاعًا وخرجت حالاً لملاقاتهِ ولما راها الامير وهي على تلك الحالة لم يقدر ان يتمالك نفسهُ عن ان يقبلها قبلة اللقاء وحياها تحيات العاشق المشتاق فاجابتهُ على تحياتهِ بالمثل واخذتهُ من اطهِ ودخلت بهِ الى الغرفة السابقة الذكر واذا بهِ يراها فائحة بروائح الند والعنبر والبخور والزهور تبعث ايضًا بزكاء روائحها العطرية فانشرح صدره لهذه الحالة ولم يكن قد مرَّ عليهِ تنعم مثل هذا التنعم اوجلس مثل هذا المجلس البهج الانيق ومن ثم اجلستهُ على كرسي من العاج عليها شبكة من اللؤلؤ والمرجان وهي من المخمل الاحمر الحريري المزركش بالزراكش الفضية والذهبية وبعد ان استقر بهما الجلوس امرت قهرمانتها بالخروج فخرجت وخلا لهما الجو واخذ كل واحد منهما يطارح الاخر غرامهُ ويشكو لهُ ما يلاقي من الوجد والهيام وقد قالت مهردكار اني كنت لا اظن ان الزمان يسمح لي ان اراك الى جانبي وفي القرب مني كل اسباب الحظ ومعداتهِ وكفاني الان عيشة في هذه الدنيا فقد وصلت الى اعظم السعادات وافضل الراحات والذ المعيشات كيف لا وان محبوبي امامي وعليهِ المعوَّل ومنهُ ارجو دوام هذه الحالة ان اراد الله ان يحسن اليَّ ببقائي بعد فقال لها لقد قسم الله الحظ بيننا فانني مثلك اشعر بهناء وراحة عجيبين لم اكن اظن ان الاقي مثلها حياتي بطولها وعليهِ فاني ساحافظ على مثل هذه الحالة واسعى في كل ما فيهِ راحتك وهناك واطلبك لنفسي زوجة من ابيك فاذا اجاب كان خيرًا والاَّ اخذتك بقوة السيف والسنان وفتكت بابيك ولا ادعك تكوني لغيري مطلقًا ما زلت في قيد الحياة . قالت اني افضل ان يبقى الحب على حالهِ بينك وبين ابي وان لا يتكدر احد من الاخر حيث اني احب ابي جدًّا وافضل ان ابقى الدوام تحت طاعتهِ ونظره . قال واني مثلك اريد ذلك الا ان قلبي يخبرني ان الحرب ستنتشب بيننا والتزم الى عناده وتقع بيننا

الاهوال ولا بد ان القلب دليل الانسان . فارادت ان تمانع ذلك الا انها خافت من تصديع خاطره وغيظهِ وتركت الامور لتدبير العناية وقالت لهُ ليس الان وقت كلام فقبل كل شيء اريد ان اصرف وقتًا على الحظ وشرب العقار فاغتنام مثل هذه الفرصة اوفق من تضييعها . ثم تناولت قدحًا من الشراب وناولتهُ اياه بعد ان شربت منهُ قليلاً فاخذه من يدها وهو يتامل في محاسنها ويحدق بجمالها وبما اعطاها الله من الحسن الفائق والجمال الرائق وان كل ما راه فيها فهو حسن فاذا نظرت كانت تنظر باعين الغزال واذا نطقت كانت تنطق بلفظ اشهى من السحر الحلال كيف لا وهي شمس الدنيا وبالحقيقة ابهى من الشمس والقمر فكم من اقمار تضيءُ في افق جبينها اللامع وكم من شمس تختفي تحت ثنايا محياها الساطع بانف اقنا وخد ابيض مورد اصيل بمدور وفم قيل في الامثال كانهُ خاتم سليمان فاذا اغلقتهُ لا يمكن ان يعرف الناظر اين مكانهُ ولا بد ان ناتي بوصف جمالها بتمامهِ واذا لم يكن كلهُ فبعضهُ في غير هذا المكان مما ياتي . وبعد ان احدق بجمالها متاملاً كثيرًا انشد

زرت ازرتها على الاقمارِ　　او ما رايت مطالع الانوارِ
وتبسمت عن راح ريق خلتهُ　　بردًا اذيب برشف النوّار
وتبرقت بسحاب برقعها فما　　ابهى طلوع البدر في الاسحار
وتضوعت حبات وجنتها فقل　　في نشر طي حدائق الازهار
وسطا على العشاق جفن لحاظها　　اسمعت جفنًا ناب عن بتار
ورنت جآذر لحظها عن ساحرٍ　　اغرى فواد الصب بالانذار
حمراء بيضاء الازار كانها　　شمس تجلت في ضياء نهار
لو لم تكن كالغصن ما هاجت على　　ذاك القوام بلابل الاطيار
كلاً ولا هام الشقيق بخدها　　الا لتظهر جنة في نار
فاعجب لناظرها اراق دمي وقد　　لبس الجنوب عليهِ ثوب غبار
حاكمت عنتر خالها في خدها　　والاصل في الدعوى على دينار
فقضى بتعذيب الحشا نعانهُ　　لما قضى بتنعم الابصار
لم ابكها لكن بنظرة غيرها　　طهرت اجفاني بماء جاري

وبعد ان فرغ من انشاده شرب الكاس وارجعها فارغة وهو ضائع العقل من شدة الهيام ومثلهُ مهردكار فانها لما سمعتهُ وقد انشد ما انشد فيها وفي جمالها تهلل وجهها فرحًا وثبت عندها ان محبتهُ صادقة وافية بالمقصود ولا ريب ان كل حبيب يطمان بالهُ ويرتاح ضميره و يزداد فرحًا وخلوصًا عندما يرى ان محبوبهُ مخلص الود وانهُ يصفهُ عن فواد صادق ولا بد ايضًا انهُ

يرغب في ان يزيده في محبتهِ لهُ ليجعل نفسهُ بدرجة حبية تفوقهُ اي انهُ يرغب في ان يجاري من احبهُ ويبرهن لهُ انهُ احبهُ اكثر مما هو احب وهكذا كانت مهردكار وحالتها على اعظم راحة وسعادة لم تعد تفكر بابيها واخوتها ولا ببلادها وصار عندها افضل شيء ما هو امامها ولا سيما عندما رات الامير حمزة قد دنا من المائدة وتناول كاسًا فارغة وسكب فيها من الخمرة شيئًا وناولها اياها فمدت يدها وكانت تلمع وتضيء لشدة بياضها وفيها دملج من الذهب يغطي نصف زندها مرصعًا بالحجارة الكريمة الغالية الثمن وبعد ان تناولت القدح لم ترد ان تشربهُ على الفور بل ارادت ان تمزجها بتصورها من ماء جمالهِ فتشرب الخمر والجمال في كاس واحدة وبعد ان احدقت في حبيبها نحو من خمس دقائق تسمع لفظ عذوبة حديثهِ المسكر وعند ذلك انشدت

وافى وارواح العذيب نواسم والليل فيهِ من الصباح مباسمُ
اهلاً بمن اسرى بهِ وعدٌ لهُ متاخرٌ وهوًى لنا متقادمُ
غض الشبيبة يعذر المضنى بهِ لجمالهِ ويلام فيهِ اللائم
النضر من اعطافهِ وكنانة بلحاظهِ وبمهجتي هو هائم
هو ناظر متعشق وجوانح فيها مواطن للجوى ومعالم
هيهات ان اثني عناني والصبا غضٌ وغصن العمر رطب ناعم
او اشتكي حالي ومن احببتهُ ابدًا لاخلاف القبول ملازم

ثم تنهدت من فوادٍ متلوع بنار الغرام وانشدت

يامن شغلت بهِ سري واوهامي ومن بمغناه انجادي واتهامي
ومن الفت رضاه الرحب جانبهُ وفزت منهُ باحسان وانعام
لم انسَ اقدامك اللاتي سعت ومشت بهن حينًا على الحسناء اقدامي
كن كيف شئت فداك الناس كلهم فالناس كلهم في ظلك السامي
وحسن ايامك الغر التي حسنت بها لياليَّ من دهري وايامي

وبعد ان شربت الكاس ناولتهُ اياها فشرب وهكذا صرفا نحوًا من ساعتين على اطيب هناء واصفى عيشة وانعم راحة وبعد ذلك طلب الامير الذهاب فقال لها اريد منك ان تمنحيني الرضا والقبول وان تعاهديني على الوفاء والمودة فهذه اول مرة اجتمعنا بها ومن الواجب ان تكون قلوبنا مرتبطة بروابط لا تنفصم عروتها الى ان ندرج بالاكفان واني اقسم لك بالله العظيم وبيت الله الحرام ان لا اتركك ولا امتنع عنك ولا ازال اطلب زواجك حتى احصل عليهِ ولو حالت دون ذلك الوف من المصاعب والمصائب ولو اجتمع عليَّ ايضًا الوف الوف

من الناس ولي الله فهو يساعدني على ما اريد . فقالت لهُ واني ايضًا اقسم لك بربك الذي اعبده مجدًا واعتبره انهُ الحي القيوم الذي لا يموت ولا يترك عباده من عنايتهِ اني احافظ على حبك حتى الموت وارعى عهدك ولا اخونهُ قط ولا انثني عن وعدي هذا ولو فتكت بي فواتك الهلاك ولعبت بجسمي سيوف الانتقام وعاندني ابي ورجال مملكتي كلهم ولما ارتاح بال كل واحد منهما من هذا القبيل قال لها الامير حمزة اني في صباح الغد ساتي ابيك حسب عادتي وحال وجودي عنده اطلبك منهُ زوجة وانظر ماذا يقول وبماذا يجيب ولا ريب انهُ ينعم لي بك اذا ترك على غايتهِ وارادتهِ لكنَّ جماعة الفرس ينكرون عليهِ ذلك فلا يوافقهم قط ولا يرضون بهِ ابدًا . قالت اني احذرك من الوزير بختك فهو خبيث محتال خادع غاش يسعى بهلاكك على الدوام واذا وجد من يمانع ابي او يبعده عن الاجابة فيكون هو لانهُ مسموع الكلمة عنده جدًا وليس عنده فقط بل عند عموم رجال الفرس لانهُ من عائلة شريفة جدًا مكرم الخاطر عند الخاص والعام بعد ابي واني يعلم منهُ ذلك الا انهُ يرى نفسهُ مضطرًا للانقيــاد اليهِ حبًّا برعاياه مع انهُ يعرف ان بزرجمهر اعقل منهُ واحكم وافضل ادبًا غير ان العجم يعلمون انهُ يعبد الله ولا يعبد النار فيميلون الى بختك . قال لها كوني براحة من هذا الوجه فما عليَّ خوف من احد ما دامت عين الله ترعاني وتحفظني . ثم ودعها وخرج وهو يقول لها يصعب عليَّ بعادك ومبارحتك ولا بد ان نجتمع قريبًا ان شاء الله فبكت لفراقهِ وشعرت بان حياتها انسلخت عن جسمها فدخلت غرفتها ونزعت ثيابها ورمت بنفسها على سريرها ولولا املها بقرب وصولها من زمن راحتها لما نامت تلك الليلة مطلقًا غير انها اطمأَن بالها عند فكرها بان الغد يكشف عن باطن سر حياتها وهل ان اباها يجيب او يمتنع وعليهِ فانها بعد امعان الفكرة نحوًا من ساعة غرقت ببحر النوم الطويل

واما الامير حمزة فانهُ بقي سائرًا ومعهُ الامير عمر حتى وصل الى صيوانهِ ولم يشعر بهِ احد فدخلهُ ونام وهو موجه بكل فكرهِ الى محبوبتهِ موكد بانهُ سيحصل عليها باي طريقة كانت اما بالرضا واما بالقتال وجعل يفكر كيف يطلبها من ابيها في الغد وماذا يقول لهُ واذا امتنع ماذا يجب ان يفعل وما لبث على ذلك نحوًا من ساعة حتى ذهب بهِ شرب العقار الى النعاس فنام تلك الليلة غائبًا عن الهدى ولم ينتبه الا عند الصباح فنهض من فراشهِ وذهب الى الملك النعمان

قد انتهى الجزء الثاني من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء الثالث عما قريب ان شاء الله

الجزء الثالث

من قصة الامير حمزة البهلوان

فوجده بانتظاره فجلس عنده الى ان اجتمع عنده الامراء وحان الوقت الذي يذهبون بهِ الى ديوان كسرى فقام كلٌّ منهم الى جواده فركبهُ وساروا جميعًا الى المدينة ولما قربوا منها نظر حمزة الى قصر مهردكار فوجدها بالشباك كعادتهِ فحياها على نظر من الملك النعمان وجماعتهِ حتى لم يعد يخفى امره على احد قط وبعد ذلك دخل الديوان وكل من العرب يتعجب من حال الامير وما هي العلاقة الواقعة بينهُ وبين بنت كسرى وحسب الملك النعمان لذلك حسابًا وخاف العاقبة ولم يخطر لهُ ابدًا ان الامير حمزة يفكر بزواج مهردكار او ان يقدر على الزواج بادنى بنت من بنات الفرس وهذا كان كل من العرب يتمناه لما هنَّ عليهِ من الجمال البارع والحسن البديع الذي خصهن الله بهِ دون سواهنَّ من نساء العالم قاطبة

قال ولما دخل الامير الديوان وجلس في مكانهِ بالقرب من كسرى جعل يباسطهُ ويحادثهُ وقد زاد معهُ بالكلام عن العادة لشدة حبهِ لهُ الى ان الملك قال لوزيره بزرجمهر اريد منك ان تخبر الامير حمزة انهُ الان براحة وما من صعب دون ترقيهِ المعالي واني اشعر على الدوام بصدقة خدمتهِ وقد فعل معنا جميلاً لا انساه قط وحتى الساعة لم اكافهِ من تلقاء نفسي واريد ان يطلب مني الان ما يتمنى فاعطيهِ اياه في مقابلة فضلهِ على بلاد الاعجام . فبلغ بزرجمهر الكلام الى حمزة وسالهُ ان يطلب ما اراد فقال لهُ اخاف ان اطلب شيئًا فلم يجبني اليهِ فعاد الكلام على الملك قال فليطلب مهما اراد فاني لا امنع عنهُ شيئًا ولو كان كرسي ملكي وتاجي ولما سمع الامير هذا الكلام حركهُ الغرام وثبت عنده ان الصدفة قد خدمتهُ فجاء الامر على احب ما يشتهي ولذلك قال لبزرجمهر اريد ان تسال الملك زواجي بابنتهِ مهردكار وهذا الذي اريدهُ وغيره لا اريد فاذا جاد كان ذلك كرمًا منهُ وجبر بخاطري والا فيكون قد منعني من شيء احبهُ وعاملني بغير الحق فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام نشف ريقهُ في فمهِ واضطرب اضطرابًا عظيمًا وقال لحمزة ان هذا الذي تطلبهُ لا يمكن ابدًا فارجع عنهُ ولا تلق بنفسك في سبيل العناد فينقلب الحب الواقع الان بينك وبين الملك الى بغض وعداوة فاطلب امرًا لا يمس بهِ ناموسهُ ودينهُ . قال لا اريد الا ان يسمح لي بابنتهِ فان اجاب بالرضا كنت لهُ خادمًا على طول الزمان والا جردت في وجههِ سيف الانتقام وعملت على عداوتهِ ولا انفك الا بعد نوال غايتي وليس عليك ياسيدي الا ابلاغ

كلامي للملك وما من باس عليك حيث لم اطلب امرًا بهِ اخلال ناموسهِ ودينهِ فالزواج سنة محمودة عند عموم بني الانسان. واما دينهُ فاني لم امسهُ قط وقد بلغني ان مهردكار هي على دين الله عزّ وجل ولهذا طلبت ان لا ابقيها بين عبدة النار. فوقع هذا الكلام من الوزير بزرجمهر موقع الاستحسان غير انهُ كان لا يجسر ان يعرضهُ على كسرى وكان كسرى قد لحظ من حالة الوزير واضطرابهِ ان طلب حمزة خطيرًا فاراد ان يعرفهُ ويجيبهُ اليهِ ليظهر محبتهُ امام جميع الحاضرين فقال للوزير لما هذه المعالجة فاخبرني بما يطلب حمزة فلا امنع عنهُ شيئًا ولو كان طلبهُ بنتي مهردكار اليس اني فوضتهُ ووعدتهُ ومن كان مثلي لا يقول ويخلف. فقال لهُ ياسيدي انهُ يريد ان يتقرب منك ويتزوج ببنتك مهردكار وما قصد بذلك الا ليكون على الدوام بين يديك وفي ديوانك ويدافع عن بلادك وهذه الطريقة تجعلهُ مضطرًا وقد اردت ان امنعهُ عن هذا الطلب لعلمي ان بنتكم لا يليق ان تكون زوجة لرجل عربي فقال لي هذا لا بد منهُ وان حضرة الملك وعدني بان يعطيني كل ما اطلبهُ وخصوصًا اني متربٍ على نعمتهِ كما يتربى احد اولاده واولاد عمهِ والذي حملني على هذا الطلب اعتقادي بحلم الملك وكرمهِ. فلما سمع الملك ذلك لم يرضَ ان يمتنع واستحى من ان يرجع بقولهِ فقال على الفور بلغ حمزة اني اجبتهُ الى طلبهِ وانعمت لهُ ببنتي مهردكار زوجة وحليلة فاني اعرف انها وان كانت بنت اعظم ملوك هذا الزمان وقد اعطيت من الحسن والاداب وجودة العقل ما لم يعطَ لغيرها قطعًا الا انها تحتاج ان يكون لها زوجًا كالامير حمزة يقابلها بالشكل ويقدر على ان يحميها من كل عدو ومطارد وزوجةُ ببنتي لا يقوم مقام تخليصهِ لبلادي من عدوي. فلما سمع الوزير وجميع الحاضرين هذا الكلام اعترتهم الدهشة واخذهم الجمود ولم يكن من واحد منهم يصدق قبل ذلك ان كسرى يصدر منهُ مثل هذا الكلام وخصوصًا الملك النعمان فانهُ عندما سمع الوزير يبلغ حمزة كلام سيده تعجب كل العجب وهو لا يصدق انهُ ينتهي مثل هذا الامر. واما بختك بن قرقيش فانهُ وقع باليأس ونزلت عليهِ صاعقة من الغضب وانفطرت مرارتهُ وكاد يغيب صوابهُ واصبح فاقد الحس والعقل بوقت واحد وبقي اكثر من ساعة لا يطيق الكلام ولا يخرج ريقهُ من حلقهِ

قال ولما سمع الامير حمزة كلام الملك نهض اليهِ في الحال فقبل يديهِ وشكرهُ مزيد الشكر. فقبلهُ الملك وبش في وجههِ واعاده الى موضعهِ وامر ان يوضع الطعام حسب العادة للغذاء فجلسوا على مائدة الطعام واكلوا وقاموا عن الاكل يشكرون الله تعالى. وشاع الخبر من ديوان الملك الى غيره ان الملك قد ازوج بنتهُ مهردكار بالامير حمزة حتى وصل الى مهردكار من حاجب بابها فانهُ حالما بلغهُ هذا الخبر دخل عليها وقال لها اني ابشرك ياسيدتي بامر اظنك ترضينهُ وتحبينهُ قالت وما هو وقد شعرت بهِ في داخلها لانها كانت طول الوقت تفكر في هذا

المعنى وتتوق نفسها الى معرفة ما يكون جواب ابيها وهي في خفقان قلب دائم الى ان قال لها الحاجب ان اباك قد انعم بزواجك الى الامير حمزة عن رضا وقبول . فطار قلبها شعاعاً عند سماعها هذا الخبر ونزلت دمعة الفرح على خدها من اعينها وبقت اكثر من ساعة صامتة لا تعرف ما تقول لعظم ما وقع عليها من الفرح وبعد ذلك نزعت عقداً من الجوهر كان برقبتها فدفعتهُ الى الحاجب وقالت لهُ هذا جزاء بشارتك الاّ اني اريدك ان تكتمهُ كي لا يقال عني اني مرتبطة معهُ على ذلك فكاد الرجل يطير من الفرح وهو لا يصدق انها انعمت عليهِ بمثل هذا الانعام وبعد ان قبل يديها خرج من عندها يدعو النار ان تساعدها ولا تحرمها من غايتها واقامت بعده على اهنى حالة وانعم بال ترى الى نفسها والى ما سمعتهُ بعين التعجب والاندهاش تنتظر ان ياتي المساء لتبعث لى الامير حمزة بالطعام وتسالهُ عما كان من امر ابيها مفصلاً

واما الامير حمزة فانهُ بقي في ديوان كسرى الى ان ارفض فذهب كل الى حاله ورجع الامير مسرور الخاطر طيب الفؤاد فودعهُ كسرى اكثر من العادة انساً ولطفاً ولما سار في الطريق قال النعمان للامير حمزة اني لا اصدق ان كسرى يجيب على طلبك بالايجاب وما ذلك الا من اسباب السعادة الكبرى التي خدمتك بالاول ولا تزال تخدمك قال وما هو عجيب بذلك ولما يمتنع كسرى عن الاجابة الست انا الذي خلصت لهُ بلاده وارجعتهُ الى ملكهِ ولي عليهِ الفضل الذي لا يوصف وهل يرى لبنتهِ اليق مني فتىً . قال اليس القصد الا العادة فقط فان الفرس يكرهون جداً التقرب من العرب فلا يعتبرونهم الا اعتبار الخدمة ويستقبحون معيشتهم واطوارهم فيضربون بهم الامثال ولهذا نتعجب من ذلك ومن نفس مهردكار كيف يمكنها ان تعيش مع بدوي وتترك القصور الشوامخ والراحة والرفاهية قال اني لا اغير عليها امراً فتبقى عائشة كما كانت وان كان من جهة العادة ان الفرس يحطون من قدر العرب فاني سابطل هذهِ العادة واجعل الفرس يتمنون التقرب من العرب ولا يكرهون امراً من امورهم وسوف ترى ما يقدرني عليهِ الله سبحانهُ وتعالى فدعا لهُ الجميع بالتوفيق وطول العمر ودوام الاقبال وساروا حتى وصلوا الى الخيام فتفرق كل الى صيوانهِ وسار حمزة الى صيوانهِ فدخلهُ وجلس ينتظر الطعام حسب العادة وقلبهُ موعب سروراً فدخل عليهِ اخوه عمر وقال لهُ اما قلت لك مراراً ان الامر سهل وما من صعوبة تحول دون غرضك فاهنيك من الان . قال اني قلت لك منذ الاول ان قلبي وضميري ينبهانني ان الامر صعب ومع اني الان سمعت كلام كسرى وثبت لديَّ انهُ ازوجني ببنتهِ بمحضر من الناس يشهدون عليهِ ولم يعد في وسعهِ الرجوع لا اصدق ان احصل على مهردكار دون قتال ونزال واراقة دماء وصعوبات جمة . قال لم يعد من موجب

لذلك فاذا قال كسرى قولاً فعلهُ الا اذا غيرهُ عنهُ بختك الخبيث المحتال . وفيما هما على مثل ذلك واذا بالخادم قد جاء بالطعام فقدمهُ الى الامير وسالهُ عن لسان مولاتهِ ان يخبرها بما كان فحكى لهُ الواقعة وقال لهُ بشرها بكل خير وسعادة فقد قضي الامر وانتهى . فرجع الرجل فرحاناً واخبر مولاتهِ

قال وفيما هي على مثل ذلك واذا بابيها قد دخل عليها فقامت لهُ ولاقتهُ وقبلت يديهِ فقبلها واجلسها الى جانبهِ واخبرها بما كان من امر الامير حمزة وانهُ انعم عليهِ بزواجها فلم تظهر شيئاً مما في قلبها بل قالت لهُ انت ابي ومالك قيادي وامري بيدك كيف شئت دبرتني فلا حياة لي بغير رضاك ومساعدتك . وفي تلك الساعة جاء الوزير بختك الى ذاك القصر ودخل على الملك فقام لهُ وترحب بهِ وسالهُ عن سبب مجيئهِ في مثل ذاك الوقت واتيانهِ الى قصر مهردكار . قال انك لا تجهل ياسيدي امر مجيئي اليك في مثل هذا الوقت لاني رايت منك في هذا اليوم ما ادهشني وجعلني لا اصدق انك كسرى انوشروان واخاف ان يكون قد طرأ عليك امر غير من شرفك وناموسك وطباعك . قال لما ذلك وما الذي ادهشك قال تنازلك بزواج مهردكار الى هذا البدوي فقد انزلت من قدرك وقدر بلادك وبني جنسك الى ادنى درجة وانت تعلم ان الامير حمزة لو اراد الزواج باقل بنت من بنات فارس لامتنعنا عليهِ فكم بالحري ببنتك التي لا نظير لها في هذا الزمان فعملك هذا مما يغضب النار ويبعد عنك اولاد عمك واقاربك ويحط من قدرك عند عموم رعاياك وبما اني واحد منهم ومسئول بحفظ ناموسك من السقوط اتيت لارجوك الرجوع عن قولك . قال هذا لا يمكنني بعد لاني قلت ولا ارجع بقولي فاذا امتنعت يقال عني كاذب وناكث الجميل على اني ارى ان الامير حمزة يستحق ان يكون زوجاً لمهردكار وحاكماً على بلاد فارس ولابساً لتاجي . فقال لهُ الوزير لا ريب ان الزمان غير من صفاتك ياسيدي فما كلامك هذا من باب الكمال ولا اعرف ما السبب الذي اوصلك الى هذه الدرجة فماذا يقال عنك اذا رجعت بقولك غير انك وعيت الى نفسك وطلبت حفظ ناموسك لان عموم رعاياك في هذه الليلة يتحدثون بشانك ويتعجبون من امرك وسماحك ببنتك شمس الدنيا وزينتها . قال قلت لك ولا ارجع بقولي اني لا ارغب في الكذب ولا اندم على شيء صدر مني . قال ان كنت لا تريد ان ترجع عن قول وقع منك بارادتك فالنار تدعوك اليهِ بالرغم عنك والا تكون مغتاظة منك لانك ازوجت بنتك برجل على غير عبادتها فتلتزم ان تترك عبادة النار وتعبد الله الذي يعبده زوجها واذا كنت لا ترضى الرجوع عن قولك فاعهد اليَّ بتدبير هذا الامر فاني اخلصك منهُ بطريقة اخرى وماذا ياترى عدت ترتجي من الامير حمزة فقد انقضى الامر الذي كنا نطلبهُ منهُ وتم الحلم فبقاؤُهُ نقمة للفرس وانا ارسلهُ الى تهلكة تخلص

منها انت من قومك ولا يعرف ذلك منك احد والا اذا ازوجت بنتك بحمزة تكون قد رفعت عن العرب نيرًا ثقيلاً واضعت الملك من يدك لانهم الان عارفون ان لا قدرة لهم على عنادنا وخرق حرمتنا فيطمعون ويظنون ان لولا خوفك من باسهم ومن الامير حمزة لما ازوجته ببنتك وخصوصاً انهٔ متى اتصل نسبك بنسبهِ يرى ان لهٔ الحق في الملك اما على العرب واما على العجم فنقع في امر خطير يصعب علينا دفعهٔ فيما بعد وبقي بختك على الملك حتى غيره عن عزمهِ واقنعهٔ ان لا يزوج بنتهٔ بالامير حمزة وان في زواجها مضرة كبرى للفرس . وكانت مهردكار تسمع كل هذا الكلام فاسودت الدنيا في عينيها وانقلبت افراحها الى اتراح وضاق صدرها فخرجت من امام ابيها وذهبت الى سريرها فانطرحت عليهِ حزينة كئيبة وبقي الملك والوزير فقال لهٔ كيف التدبير الان للخلاص من هذه الورطة الويلة . قال ان من الواجب ان تبقى انت على قولك ولا ترجع عنهُ واذا سالك حمزة الانجاز بالوعد فقل لهٔ اني وعدتك ولا ارجع بوعدي وبنتي هي لك وقد طلبتها مني ومن اللازم ان تطلبها من وزيري بختك وبزرجمهر حيث انهما مدبرا ملكي ولا ريب ان بزرجمهر يجيب وانا ادبر امري واقول لهٔ شيئًا تخلص منهٔ انت على غير كدر ويبقى الامر على حالهِ

قال وبعد ان اتفقا على ما تقدم سار الملك الى قصرهِ وسار بختك فرحًا مسرورًا بنوال مراده واقناع الملك بارجاعهِ عن عزمهِ وبغضهِ لحمزة وسعيهِ مع وزيره على هلاكهِ وكان كسرى على جانب عظيم من البساطة اقل امر يرجعهٔ عن عزمهِ ولا سيما ان وزيره بختك كان معدود الخاطر عنده محبوبًا منهُ فهو بصفة وزير ديني وامام في الدولة الفارسية في ذاك الزمان وما كان ذلك من كسرى الا لحسن حظ حمزة وسوء حظ الملك ليجلب على بلاده حروبًا واهوالاً ويرمي بنفسهِ في وهدة الاخطار ولم يعد يلتفت منذ ذلك اليوم الى عمل الامير حمزة معهٔ ومعروفهِ ونسي ما هو عليهِ من البسالة والاقدام وما ذلك الا بتدبيره سبحانهٔ وتعالى يحيي ويميت ويقلب الاحوال فهو على كل شيء قدير

قال فهذا ما كان من امر كسرى ووزيره واما ما كان من الامير حمزة فانهٔ قام في الصباح مسرورًا فرحًا وعوّل على الخروج من صيوانهِ الى صيوان الملك النعمان واذا بهِ يرى عند الباب خادم مهردكار ينتظر خروجهُ فارتبك من اتيانهِ في مثل هذا الوقت على غير عادة فتقدم منهُ وسالهٔ عن سبب مجيئهِ فدفع اليهِ كتابًا كانت قد اعطتهُ اياه سيدتهُ ليعطيهٔ الى الامير حمزة تذكر لهٔ فيهِ كل ما كان من امر ابيها وبختك وما سمعتهُ منهما وتذكر لهٔ فيهِ ان لا يظهر ذلك بل يبقى كاتمهٔ في صدره الى حين يرى ما يكون من امر ابيها فاغتاظ الامير حمزة من ذلك وقال لعن الله الفرس فما هم الا قوم اشرار ولا بد لي من هلاك بختك كيف ما كان الحال غير انهٔ وعى

الى كلام حبيبتهِ وصبر على امرهِ وقال للرجل سلم على مولاتك واخبرها اني ساكتم ذلك واصرف كل جهدي الى دوام الالفة والمحبة بيني وبين ابيها اكرامًا لخاطرها ولو تحملت في ذلك صعوبة عظيمة وثقلة اعظم

ثم انهُ بعد ذلك سار الى صيوان الملك النعمان فوجده لهُ بالانتظار فقال لهُ هلمَّ بنا نسير الى ديوان كسرى لنرى ما يكون من امرهِ في هذا اليوم ونطلب اليهِ ان يعين لنا يوم الزفاف وفي اي وقت يكون . فركب الجميع وساروا حتى جاءوا الى باب الايوان فنظر حمزة الى فوق فراى مهردكار جالسة في مكانها واعينها تذرف دموع الحزن منكسرة الخاطر لا تبتسم كالعادة فانفطرت لذلك مرارتهُ وتكدر مزيد الكدر وانطبقت المدائن على راسهِ وحياها التحية المعتادة فاجابتهُ بالاشارة . ثم دخل الديوان فتلقاه كسرى بالبشاشة وترحب بهِ واجلسهُ الى جانبهِ وقربهُ منهُ وامر ان يقدم لهُ ولجماعتهِ الشراب كالعادة . ومن ثم التفت الامير الى بزرجمهر وقال لهُ اريد منك ياسيدي ان تسال لي حضرة الملك ان يعين يوم زفاف بنتهِ وفي اي يوم يكون وما يريد لها مهرًا فاني لا ارغب في التطويل وحيث قد انعم واوعد فلم يبقَ الا انجاز الوعد . فبلغ الوزير كسرى كلام حمزة . فقال لهُ قل لهُ اني ازوجنهُ بنتي ولا ارجع بوعدي قطعًا غير اني وعيت الى نفسي فعرفت اني خرقت حرمة وزرائي وكان من اللازم ان استشيرهم بذلك ومن الواجب ان يرضوا هم قبلي كونهم مدبرين امري وامر مملكتي ومثل هذا الامر لهُ تعلق عظيم بهم ولا سيما الوزير بختك لانهُ يجب ان يرى ان كان ذلك يوافق الشريعة الفارسية ام لا . فلما سمع بزرجمهر ذلك ادرك بفطانتهِ وذكائهِ الدسيسة وعرف ان بختك قد غير خاطر الملك على حمزة وعليهِ فانهُ بلغهُ كلامهُ وقال لهُ ان الامور بحسب الظاهر ما من مانع ولكن في المسأَلة سرٌّ . فقال حمزة للوزير اريدك ان تسال لي بختك وتخبرهُ اني مزمع ان اقترن بمهردكار بنت الملك كسرى فهل يقبل بذلك او يرى ما يمنع وقوع هذا القران واريد ان اعرف فكرهُ من هذا القبيل وماذا يقول . وحينئذٍ قال لبختك لما كنت ايها الوزير الخبير مدبر الدولة الفارسية وسيد فيها ولك المقام الاول في صدر اعيانها يريد منك الامير حمزة ان تبدي رايك في شان زواجهِ بمهردكار بنت سيدنا فهل من مانع يحول دون اتمام هذا الزواج وهل تصادق عليهِ او تمتنع عنهُ . فقال لهُ قل للامير حمزة ما اخبرك بهِ حرفًا بحرف وهو اني في ليلة امس كنت مجتمعًا مع سيدي الملك في قصر بنتهِ فوجدتهُ مضطرب الافكار متكدرًا فقلت لهُ لما ذلك وانت كنت في النهار مسرورًا وقد ازوجت بنتك بالامير حمزة ومن اللازم ان تهتم بهذا الزواج وتنظر فيهِ وتدبرهُ لان عموم بلاد الفرس ينتظرون مثل هذا الزواج حيث انهم جميعًا يحبون الامير حمزة مخلص بلادهم ويحبون مهردكار بنت ملكهم ووحيدة عصرها . فقال لي اني من اجل ذلك مغتاظ لا ندمًا على

وعدي للامير حمزة ببنتي حيث اعلم انهُ يستحقها وهو افضل رجل عندي احبهُ حبًا لا يوصف غير اني كنت قبل وقوع مثل هذا الامر ان ارسلهُ الى الامير معقل البهلوان صاحب حصن تيزان فقد عصاني ولم يعتبر اوامري و بعثت لهُ بعدة جيوش وفرسان فبددها وشردها وحتى اليوم يدوس كلامي و يوقع باصحابي وكيف اكون كسرى انوشروان ملك الارض شرقها والمغرب و يعصاني مثل هذا الامير. وحيث ان الامير حمزة قد طلب بنتي ووعدتهُ بها لم يعد في وسعي ان اعرض عليهِ مثل هذا الامر او اطلب اليهِ الذهاب الى تيزان خوفًا من ان يظن بي السوء وتتهمني العرب ورعاياي بالغدر والخداع فقلت لهُ ان هذا الامر سهل جدًا لان من عادة العرب ان لا يتزوجوا فتاة ما لم يقدموا لها مهرًا وصداقًا فاطلب منهُ مهر بنتك اذلال معقل البهلوان و بذلك تكون قد انصفتهُ وارحت نفسك من هذا العاصي الخادع وعندي ان صهرُ حمزة لا يقبل ان يتزوج بمهردكار وعلى ابيها مثل هذا الكدر والهم فيزيلهُ قبل ان يفتكر بزواجهِ ويحتفل بهِ . فقال لي اني لا اوافق على ذلك ولا ينطق بهِ لساني فقلت دعني اقول لهُ واعرض عليهِ هذا الامر و بعد ذلك يرى ما يريدهُ حتى اذا امتنع عن الذهاب الى قتال معقل ولح بزواج مهردكار اجبناه لانهُ صار كواحد منا ولهذا نريد منهُ اذا كان يرضى و يرى نفسهُ قادرًا على كبح جماح هذا العاصي يسير اليهِ ويقتلهُ او ياتي بهِ اسيرًا الينا والا فالخاطر لهُ والامر مفوض اليهِ . فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام كادت تنفطر مرارتهُ لعلمهِ ان الامير معقل هو فارس لا يوجد مثلهُ في ذاك الزمان ولهُ عدة سنين عاصٍ في قلعتهِ لا يمكن لالوف الوف من الفرسان ان تتوصل اليهِ او تنال منهُ مرادًا الا انهُ كان يرى نفسهُ مضطرًا الى اخبارهِ بكل ما قالهُ بختك فاعاده على حمزة حرفًا بحرف واطلعهُ ان المانع هو هذا الامر فقط

ولما سمع الامير حمزة هذا الكلام وقف امام كسرى وقال على مسمع من الجميع اني اقسم بالله العظيم رب موسى وابرهيم و بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر اني لا اتزوج بمهردكار ما لم احضر الى هذا الديوان هذا العاصي الذي يزعم انهُ لا يقدر على اذلالهِ وهو معقل البهلوان كي لا يكون حجة لبختك وغيره واقسم براس كسرى صاحب هذا الايوان اني لا اسير اليهِ برفيق بل اسير وحدي ومعي عمر العيار كي لا يكون في ذلك من يعينني و يساعدني ولا اصبح في اليوم القادم الا سائرًا على طريق تيزان انجازًا لغاية عمي الملك ابي مهردكار

قال ولما سمع كسرى كلام بختك علم انهُ القاه في خطر عظيم وامر جسيم وقال في نفسهِ لله درك من وزير قادر على الاحتيال لقد سعيت في خلاص بنتي وانفاذ غايتك بوقت واحد الا انهُ قال علنًا بواسطة بزرجمهر اني لا اريد ان يذهب صهري حمزة وحدهُ فلياخذ جيوش العرب والعجم معهُ ولا اريد ان يخاطر بنفسهِ او يلاقي صعوبة من اجلي وهو عندي من اعز الناس

وبذلك يكون ضميري مطمئنًا عليهِ ومرتاحًا من جهتهِ . فقال الامير حمزة هذا لا يمكن ابدًا وقد اقسمت ان لا اسير الا وحدي ولا اصحب معي غير جوادي الاصفران وسيفي واخي عمرو وكفاني مثل هولاء الرفقاء المساعدين . ثم انهُ طلب الانصراف من ديوان كسرى وخرج وهو على نية السفر متكدر من مساعي الوزير بختك . ولما رأتهُ مهردكار وقد خرج على غير الاستواء وقبل الوقت المعتاد خفق قلبها وخافت من ان يكون قد وقع امر مكدر بينهُ وبين ابيها وتمزقت احشاؤها وتاقت الى معرفة الحقيقة فلم تقدر ولم تعلم من لوائح وجههِ غير انها رأتهُ متكدرًا واشار اليها اشارة المودع فدخلت غرفتها في الحال وهي حزينة ووضعت راسها بين يديها واذرفت دموع اليأس وشعرت بان الدهر سيعاندها ولا يترك لها سبيلاً لهنائها وتصورت بافكارها ان الامير حبيبها قد تنازع مع ابيها وبسبب هذا النزاع لا بد ان تصعب عليها التقرب منهُ والا لولا ذلك لما خرج غضبانًا ومتكدرًا في مثل ذاك الوقت . وبقت حالتها على ما هي منتظرة المساء لتعرف ما كان من امر ابيها والامير

قال وعند ما اسودت فحمة الليل وعقد الخيط الاسود على هامة البلد دعت بخادمها ودفعت اليهِ الطعام وسألتهُ ان يطلب من الامير ان يخبرها بما وقع بينهُ وبين ابيها فسار الرجل الى ان وقف بين يدي الامير فدفع اليهِ الطعام وقال لهُ ان سيدتي لما رأتك وانت عائدًا من عند ابيها على تلك الحالة تكدرت ولا تزال مكدرة حتى الان وهي لا تعلم السبب الذي دعاك الى الخروج قبل الوقت وانت على تلك الحالة وقالت لي ان استفسر لها عن السبب الموجب لمثل هذا وقد شعرت بتعاسة حظها وسوء مستقبلها . فقال لهُ انهُ لم يكن ما يكدرني من ابيها الا تسليمهُ امر زواجها للوزير بختك ومع كل ذلك فاني لا ازال احافظ على مودتها وارعى عهودها اكثر من الاول بالف مرة فلتكن براحة ولتتاكد اني لا بد ان احصل عليها ولو كان دونها سد الاسكندر . وان اباها بواسطة الوزير بختك طلب مني ان اطيع لهُ الامير معقل صاحب حصن تيزان ظنًا منهُ بانهُ يرميني بتهلكة جديدة وبهذه الطريقة يتخلص مني وقد وعدتهُ اني اسير وحدي الى هذا العاصي واجيءُ بهِ ذليلاً الى بين يدي ابيها ليعلم اني اقول فافعل فيفتكر مرة ثانية عن مثل هذا العمل وفوق كل ذلك فاني اقصد كد الوزير بختك فاذا رآني وقد تخلصت من هذه التهلكة وعدت منصورًا ظافرًا فائزًا انفطرت مرارتهُ وزاد قهرًا فوق قهر وغيظًا فوق غيظ ولا بد انهُ بعد رجوعهِ يدبر لي امرًا اخر يشغلني بهِ عن الزواج واني اعاهدها اني ابقى محافظًا على السلام مع ابيها اكرامًا لخاطرها فاجيبهُ الى كل ما يطلبني ويدني اليهِ الى النهاية اي الى اليوم الذي يامر بهِ الله سبحانهُ وتعالى بعقد زواجنا ومراعاة راحتنا فاقرأها مني السلام واخبرها اني لست متكدرًا من ابيها ابدًا ولا اريد ان اسمع انها مكدرة او مقهورة ويسرني ان اسمع عنها

براحة ومسرة من اجلي ومن اجل كل شيء

فقبل الرجل يديهِ وخرج . وبعد ان اكل حمزة الطعام جاء اليهِ الملك النعمان واصفران الدربندي والامير عقيل وباقي الامراء وعندما استقرَّ بهم الجلوس قال لهُ الملك النعمان يصعب علينا الوعد الذي وعدت بهِ الملك كسرى واني من اجلك في شاغل عظيم لانك رميت بنفسك في خطر عظيم واشرطت على نفسك انك تاتي بالامير معقل مع انهُ نادرة هذا الزمان وفارس لم يخلق مثلهُ بين الفرسان انتشر صيتهُ من الشرق الى الغرب وفاق على كل فارس ندب فقصدتهُ الفرسان من اليمن والعراق واقاصي الهند لتجرب نفسها معهُ فلم يكن من يثبت امامهُ حتى ان الملك كسرى طالما بعث اليهِ بالفرسان والابطال فبدد شملها وشردها وهو لا ينقاد الى احد ولا يذل لاحد . فقال لهُ الامير حمزة ان هذا مما يزيدني تشوقًا الى ملاقاتهِ ليعرف كسرى مقدار شجاعتي ويوكد ان العرب علة البسالة والاقدام وان فرسانهم مقدمة على غيرها وليعرف ايضًا انهُ يصاهر بطلاً لا يعجز عن امر من هذه الدنيا ولا يثبت لديهِ فارس واني اكرر قسمي الان اني لا بد ان اجيء بمعقل حيًّا معترفًا بفضلي وشجاعتي . فقال لهُ اصفران الدربندي ان كان ولا بد لك من ذلك فاني اسير في ركابك واقاتل بين يديك حيث لا اطيق فراقك ولا اصبر عنهُ قال هذا لا يمكن قط لاني اقسمت ان اسير وحدي فاذا سار معي احد يقولون باني رافقت مساعدًا ساعدني فلا يطمع احد برافقتي غير اخي عمر . فسكت الجميع عن الجواب وبعد ان انصرفوا دعا اخاهُ عمرًا وقال لهُ اني اريد ان اسير في الصباح فكن على حذر وهيئ نفسك للسفر وسس الجواد واكثر لهُ من العلف واصحب معك كل ما نحتاجه من زاد وطعام واسال لنا عن الطريق المودية الى تيزان قال ان كل شيء قد حضر وما جئت الان الا بعد ان عرفت الطريق ورسمها وفي اي جهة قلعة تيزان فما انا ممن يتهامل بامر واذا شئت فاذني ان اسير وحدي الى معقل هذا الذي تطلب المسير اليهِ فاجيئك بهِ مقيدًا لتسلمهُ الى كسرى . قال لا يمكن ذلك ولا اريد ان احك جسمي الا بظفري . ثم ان الامير نام تلك الليلة ينتظر الصباح

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من مهردكار فانها انتظرت الى ان عاد اليها رسولها واخبرها بما سمعهُ من الامير وانهُ سيسافر الى حصن الامير معقل لياتي بهِ ذليلاً الى بين يدي ابيها فادركت سر المسالة وعرفت ان اباها قد اتفق مع بختك على هلاكهِ وقد رجع عن عزمهِ وترك الوفاء وخان الوعد الذي وعد بهِ فتكدرت مزيد الكدر ولولا شروط التربية لكرهت اباها وتمنت موتهُ على خيانتهِ هذه حيث كانت لا تحب الخائنين وتفضل اصحاب الاطوار الثابتة الكاملة وتمدح العبد اذا كان امينًا وتفضلهُ على السيد ان كان غاشًا وخافت كل الخوف من ان الامير معقل هذا الذي كانت تسمع عنهُ انهُ نادر المثال بين الابطال يبطش بمحبوبها

او يوصل اليهِ اذًى وبما كان يزيدها خوفًا وكدرًا واضطرابًا قول الرسول انهُ سيسير الى قلعة تيزان وحده لا يصحب معهُ غير الامير عمر العيار فقط ولا يرضى بمساعدة احد على هذا الامر . وصرفت الليلة بطولها مشغلة البال مقلقة الافكار خائفة من غوائل الايام والليالي بعد ان كانت قد اوصلت اللقمة الى فمها عادت الى مُحاولة اختطافها منها وشتتت محبوبها الى الاماكن البعيدة ولم ترَ لانحباس همها وحزنها فرجًا الا بالشكوى ومناشدة الاشعار ولذلك قالت

ما كان اغناك ياعيني عن النظر   فصرعي كان بين السحر والحور
اجلت لحظي في خديهِ فاشتعلت   غلالة الوجنة الحمراء من نظري
فلو تاملتها اخرى لاحرقني   شعاعها واختفت عني من الخفر
رفقًا بتعذيب قلبي يامعذبهُ   فانني بشرٌ يا احسن البشر
صيرت جسمي رقيقًا كالزجاج غدا   يشف من جمر نار الشوق والفكرِ
دخانها زفرات والحريق بهـا   قلبي بلا ذلة والدمع كالشرر
وعاذل قال لي ان الهوى خطر   لا كنت ان لم اكن منهُ على خطر

ولما لم ترَ وسيلة لاخماد نار بلواها غير الصبر والتسليم لارادة العناية صبرت منتظرة الفرج منهُ تعالى واملت كغيرها من بني الانسان ان الدهر لا يبقى على حالة ولا بد من ياتي بالمقصود مهما اخلف وان مرَّ فلا بد ان يحلو وهكذا تركت كل شيءٍ لعنايتهِ تعالى

قال وكان كسرى بعد ذهاب حمزة قد اجتمع ببختك ومدحهُ على فعلهِ وقال لهُ اني سررت منك في هذا اليوم سرورًا عظيمًا لانك دبرت تدبيرًا حسنًا بهِ ننال المراد كيف كان الحال فاذا فاز الامير معقل تخلصنا من الامير حمزة وعدنا كما كنا قبلاً وتخلصت ايضًا من وعدي لهُ واذا فاز حمزة وطيع معقلاً كان الامر افضل واوفق . قال اني اخبرك ان الامير حمزة لا يعود من هذه الخطرة فان هلاكهُ فيها وسوف ترى وتسمع ما يصير بهِ فما معقل ممن يحسب حساب الف من مثل حمزة . وبعد ان ذهب بختك الى بيتهِ دعا باحد خدمهِ وقال لهُ مرادي ان اكتب كتابًا الى الامير معقل صاحب حصن تيزان واريد منك ان تذهب به هذه الليلة وتسير بهِ على عجل بحيث تقدر ان تصل اليهِ قبل وصول حمزة العرب واياك من الاخير فاجاب طلبهُ ومن ثم كتب بختك كتابًا الى معقل يقول لهُ فيهِ

لما كنت الان وحيدًا في بلاد فارس وكنت اعتقد انهُ لا يوجد لك ثانٍ اردت ان اطلعك على امر لك بهِ النجاح والفلاح . وهو انهُ ظهر في بلاد العرب فارس صنديد وبطل عنيد جاء الى بلاد كسرى وخلص لهُ ملكهُ من خارتيس الذي تملك المدائن وجلس على عرش المملكة فوقع من الملك موقعًا عظيمًا واحبهُ غير اني كرهتهُ كل الكره فاردت ان ارميهُ بقتال الاسد وصراعهِ

موملاً انهُ يفترسهُ فقتل الاسد وزاد رفعة بعيون الاعجام جميعهم ثم اخذ الجواد الاصفران وقتل البهلوان مقبل واخيرًا طلب مهردكار بنت الملك الذي لا يوجد لها ثانٍ في هذه الايام بكل صفاتها وخصالها وجمالها فانعم عليهِ ابوها بها ووعده بزواجها فكدرني ذلك وغاظني ولم ارَ وسيلة لهلاكهِ الاَّ اني اقنعت الملك باخلاف وعده وارسلتهُ اليك على امل ان يذلك ويأتي بك بالرغم عنك الى الملك كسرى ذليلاً حقيرًا فاقسم انهُ لا بد من قهرك وان يسير اليك وحيدًا وهكذا بعثت اليك قبل ان يصل لاخبرك بامرهِ لتكون على حذر منهُ وتقتلهُ شرَّ قتلة ولك مني العطاء الجزيل علاوة على ما بعثتهُ اليك الان مع خادمي واني ابقى على الدوام شاكرًا لك اسعى بامرك واسال النار مساعدتك على هذا الطاغية العربي الذي اذا اهملنا امرهُ طردنا من ملكنا وفاز هو بالنجاح والذكر الحميد

ثم طوى الكتاب ودفعهُ الى خادمهِ وامر لهُ بجواد من الخيول الجياد واعطاه صرة من المال والجواهر ليدفعها الى معقل البهلوان وسار الرجل الليل والنهار حتى وصل الى قلعة تيزان فسلم المكتوب الى معقل ففضهُ وقراهُ وعرف ما بهِ فقام وقعد وارغى وازبد وقال للرسول بلغ مولاك انهُ لا بد لي من قتال هذا الامير الذي حكى لي عنهُ وسوف ابعث لهُ براسهِ ليطرحهُ امام كسرى فيعلم اني الرجل الوحيد على وجه الارض فلا يطمع نفسهُ مرة ثانية ان يرسل لي احدًا واني اصبحت الان شاكرًا لسيدك على اخباري واملهِ بي وثقتهِ والاَّ لولا حبهُ لما كان فعل ما فعل واظهر لي انهُ يحبني . فشكره الرسول وقبل يديهِ ورجع من عنده وبعد ان غاب دعا باحد اتباعه وقال لهُ اقم في اسفل القلعة ومتى رايت فارسًا بين يديهِ رجل اسود لا تدع احدًا من جماعتي ورجالي يتعرض لهُ وارجع اليَّ فاخبرني بهِ حالاً . فقال لهُ الرجل لما ياسيدي لا تامر احد رجالك ان يبارزهُ وينهي امرهُ ويريحك من شرهِ ولا تتنازل انت الى قتالهِ . قال لهُ اني اعرف اكيدًا انهُ فارس صنديد وبطل مجيد فاحب ان اجرب نفسي معهُ اولاً واني لا اريد لهُ شرًّا لانهُ يعبد الله عزَّ وجل وهذا الاله انا اعبده وكان ابي قبل ان جاء من بلاد العرب الى هذه البلاد يعبده وهي العبادة الحقيقية فكيف اوقع بهِ اكرامًا لخاطر بختك الوزير الذي يعبد النار ولا سيما ان الفرس اعداء لنا ولا ارغب بالتقرب منهم واراد بختك ان يغرني بالمال والجواهر فاهلكهُ لله من رجل خبيث وقد ظنني من الناس الذين يوخذون بالحيل وسوف ترون ما يكون واني قبل ان ارى هذا الرجل الاتي اليَّ اشعر بحبهِ ولم نقع لهُ بغضة قط بقلبي . فسار الرجل الى اسفل الحصن واقام على الانتظار

فهذا ما كان من معقل البهلوان واما ما كان من الامير حمزة فانهُ عند الصباح نهض من فراشهِ وامر اخاه ان يسرج لهُ الجواد ففعل ومن ثم تقلد بسلاحهِ وركب وذهب الى الملك النعمان

فودعهُ واوصاه بالمحافظة على قومهِ وجماعة العرب فقال لهُ اني اخاف بعد ذهابك يحصل علينا امر مكدر من الفرس فيوقعون بنا ولا سيما اذا راوك وقد طال سفرك قال اذا وجدتم ان مُعاملة الفرس قد تغيرت وان عين الغدر قد ظهرت منهم فارسلوا اليَّ بالخبر وان كنت لم اقضِ شغلي فارجع واخرب المدائن على راس كسرى وبختك . وبعد ذلك سار حمزة في طريق تيزان وهو يود ان يصل باقرب وقت ويلتقي بمعقل البهلوان فياسرهُ ويرجع بهِ حالاً وقد خاف ان تكون نية كسرى خبيثة على العرب فيستغنم فرصة غيابهِ ويجري غايتهُ فيهم الا انهُ كان مطمان الخاطر بوجود اصفران الدربندي والامير عقيل وقومهِ الاخصاء الذين كل واحد منهم يقوم مقام جيش من جيوش كسرى ولما تبطن القفار ونادى بهِ التسيار تذكر ما جرى عليهِ من كسرى وبختك وما وقع بينهُ وبين محبوبتهِ مهردكار من الحب الخالص الذي حملهُ على المسير والتغرب الى ابعد ديار فانشد وقال

يكفيكِ اني فارس الاقطارِ ومذل كل صميدع جبارِ
وقويم رمحي قد اعد سنانهُ لصدور اهل البغي والكفار
اناحمزة الاعراب مسعود الركا ب مشيد الاطناب غوث الجارِ
اناشمس هذا الدهر بل انابدره انا نجمهُ الوضاح ذو الانوار
وانا الذي زمر الملوك ابيدها بالرغم عن وزرائها الاشرارِ
انامن تمنى المجد يخدم ساحتي وسقتني العليا بكاس فخارِ
انامن رضعت الحب عن صغرانا طول الزمان حبيب مهردكار
انامن سقيت لبان كل فضيلةٍ قبل الوجود بحكمة الاقدار
ياامة الاعجام اني حمزة عالي المقام مكرَّس الاطوارِ
ان كان بختك قد سعى بمذلتي فالدهر زاد بهيبتي ووقاري
لولاك ياشمس الجمال ونورهُ انزلت بالاعجام كلَّ دمارِ
وتركت حولهُمُ الجوارح حومًا فتنوشهم بالناب والاظفارِ
لكنما الايام سوف تريك ما يبدو بهم من سيفي البتارِ

ودام الامير حمزة على المسير وبين يديهِ اخوه عمر يخترق الشعاب والقفار كانهُ السهم اذا طلق من الاوتار . يسبق الاصفران بالمسير عند ركضهِ سائرين على طريق تيزان مدة ايام الى ان قربا منها وتبينا عن بعد القلعة القائم فيها معقل البهلوان فعندها نزل الامير حمزة عن جواده فاكل واكتفى من الماء وسقى الجواد وارتاح نحوًا من ساعة وكان الوقت اذ ذاك قد قارب المساء فبات الى الصباح وفي الصباح نهض وتقدم الى جهة القلعة واذا بهِ يرى اثنين من جماعة معقل

البهلوان سائرين منها فاطلق جواده نحوهما ولما راياهُ تقدما هما ايضاً الى نحوهِ وسالاه عن حالهِ فقال لهما اذهبا الى الامير معقل واخبراه ان حمزة العرب قد جاء من بلاد كسرى لاجل ذلهِ وكيده واسالوه ان يبرز اليَّ الى ساحة القتال لانهي امره في هذا النهار واسير بهِ الى اعدائهِ فقالا لهُ اننا ننصحك ان ترجع من حيث اتيت ولا تعرض بنفسك الى الاخطار فما معقل البهلوان كمن رايت من الفرسان ونخاف عليك ان يوقع بك ويعدمك الحياة مع انك شاب ومن الجنون ان تلقى نفسك وانت في زهرة صباك مع اميرنا . وفيما هم على ذلك اقبل الرجل الذي اقامهُ معقل بانتظار الامير ولما تاكده عاد حالاً الى سيده واخبره بوصول الامير حمزة . فركب معقل البهلوان وتقلد بسلاحهِ حتى اصبح كانهُ قلة من القلل وكان كما تقدم فارساً صنديداً وبطلاً مجيداً وقد سار الى جهة الامير حمزة وكان لا يعرفهُ وقابل لهُ الرجلان اللذان كانا قد التقيا بهِ هوذا سيدنا آتٍ وعما قليل يظهر لك الحق وتعرفهُ من البطل . فتركهما وسار الى ان التقيا ولما وقعت عيونهما ببعضها احدق كل برفيقهِ برهة ثم قال معقل البهلوان للامير حمزة اني اتوسم فيك الخير ولا اعرف من عداوة بيني وبينك فلما جئت اليَّ وماذا تريد مني قال اني علمت انك عاصٍ على الملك الاكبر فاردت ان ارجعك عن هذا العصيان واذلك واسحبك خلفي موثوقاً بالقيود لاقدمك الى كسرى مهراً لابنتهِ وقد وعدت بذلك . قال لا تامل المحال ولا تقاتل من لا يريد ان يقاتلك حباً بك لانك انت تعبد الله الواحد الديان وانا على عبادتهِ ايضاً ولا تعلق املاً بوعد العجم فما هم ممن يقول ويفي ولو لم اكن عارفاً امرك وما هو السبب الذي دعاك الى القدوم اليَّ او بالحري السبب الذي حمل كسرى وبختك على ان يلقياك الى وهدة الهلاك لقاتلتك وارَيتك نفسك في الحال غير ان هذا وجدتهُ من باب التظلم والجور بل رايت من العدل ان اصطحب واياك فنسير الى بلاد كسرى ونخرب المدائن عليهِ وناخذ بنتهُ بالرغم عنهُ ونقتل بختك الخبيث المحتال . فنظر اليهِ حمزة نظرة المتعجب وكاد يوافقهُ على غاياتهِ لولا تذكرهِ بانهُ اقسم يميناً في ديوان كسرى انهُ لابد ان يقوده ذليلاً حقيراً . فقال لهُ لا تظن اني ممن يقاد بالحيل والخدع فما اتيت الى هذه البلاد الا لاجل غاية واحدة وهي اخذك الى عدوك مقيداً فكيف اخلف بقولي واحنث بيميني واتفق معك عليهِ فخذ سلاحك والقني ولا تطمع بغير القتال

ثم انهُ جرَّد سيفهُ وهجم على معقل البهلوان . فالتقاه بقوة قلب وثبات جنان . ودخل معهُ مضيق الحرب والطعان وهاجا كما تهيج فحول الجمال والتطما كما تلتطم البحور عند هيجان ريح الشمال . وبطل من بينهما القيل والقال . وعادا الى الجد بعد المحال . وتركا الهزل والجدال وقد اخذهما الضجر والقلق . وسبح جواداهما بالعرق . وداما على مثل هذا الحال الى قرب الزوال

فرجعا عن القتال . دون ان ينال احدهما من الآخر مراماً . وبعد ان رجع معقل البهلوان سيفهُ الى غمده قال لهُ قد انتهى معنا النهار دون ان نصل الى الغرض المطلوب واني اريد منك الان ان تاتي الى القلعة وتاكل عندي الطعام وتنام في قصري حيث انك غريب هنا وليس من مكان ان تقيم بهِ غير هذا المكان . قال كيف ان يقع بيني وبينك مثل هذا الامر ومتى اكلت طعامك حرم عليَّ قتالك وكيف اكون امينًا على نفسي وانا عند عدوي . قال ليس بيننا عداوة قط واني اعتبرك اكبر صديق لي ولا يمكن لاحدنا ان يبطش بالاخر لكن لابد ان تعرف من هو الفائز ومن اقدر من الاخر واني اقسم لك بالله العظيم اني ارعى زمامك ولا اخونك ومتى دخلت معي القلعة يتبين لك صدقي ولا سيما عند ما اريك كتاب بختك والمال الذي جاءني منهُ لاجل هذه الغاية فقبحهُ الله من خبيث مخادع واذ كنت لا ترغب بترك النزال فاننا نعود اليهِ في كل صباح وفي المساء نرجع الى المؤالفة والموافقة الى ان يظهر الفوز لواحد منا وكيف كان الحال فاني صديق لك على الدوام لا ارضى الا بالتقرب منك لانك من فرسان هذا الزمان ولم ترَّعني ولا قاتلت فارسًا مثلك قط . فلما سمع الامير حمزة كلام معقل راه صادرًا عن خلوص ومودةٍ وما من ريب فيهِ فنظر الى عمر العيار كانهُ يستشيره في ذلك . فقال لهُ ادخل مع معقل البهلوان الى قلعتهِ ونم عنده فمثلهُ لا يخون وعندي انهُ خير لك من كل الاعجام نساءً ورجالاً . فنزل الامير عن جواده وسار مع معقل الى مكانهِ وكلاهما فرح بالاخر وعندما صار في الداخل نزع الامير سلاحهُ وهو بامان واطمئنان وقد احتفل بوصولهِ جماعة القلعة وقدموا لهُ كل ما هو متوجب عليهم . ثم مدوا صفرة الطعام فاكلوا والامير مسرور سرورًا عظيماً مما يراه من معاملة اصحاب معقل واكرامهِ وبعد ذلك جاء معقل بكتاب بختك وترجمهُ لهُ وشرح معناه وجاءه بالاموال والجواهر واراه اياها وقال لهُ خذ كل هذه معك حتى تصير لك حجة تقمع بها هذا الوزير الخبيث فقال اني لا احب ان اظهر ما اريد اضماره ولا ازال اراعي الفرس واتجنب كل امر يلقي العداوة بيني وبينهم وذلك حفظًا لشعائر بنت الملك واكرامًا لخاطر بزرجمهر الوزير . غير اني اعرف حق المعرفة انهُ لا بد ان تفرغ جعبة صبري فاسير على الفرس حربًا هائلة تنقرض بها دولتهم لعلمي انهم بعيدون عن الامانة والوفاء ما زال فيهم بختك هذا الخبيث المخادع المحتال والان فلا اريد ان ادخل المدائن الا وافيًا بقولي قائمًا بقسمي قال انهُ يخطر لي ان اسلمك بنفسي واسير بين يديك الى ديوان كسرى على الذل والطاعة فتكون قد وفيت وصدقت قال وهذا ايضًا لا اريدهُ لاني ما جئت الا لمحاربتك نعم انهُ قد ارتفع بيننا كل دم وعداوة وصار من الموكد ان لا احد منا يرغب في اذية الاخر لكن لابد من مداومة البراز يبذل الجهد والمجهود فاذا قهرتني كان رجوعي عن غايتي بحق وصدق والا فا كون ما اطلبهُ

قد نلتهُ باستحقاق وعدل فلا اغش كسرى والعالم واغش نفسي ونفسك . فتعجب معقل من حسن اطوار الامير حمزة واستقامته وعرف انهُ صادق فيما يقول وانهُ كريم الطباع مستقيم الاطوار.

قال ونام الامير حمزة تلك الليلة في القلعة الى ان اشرقت شمس نهار اليوم التالي فركب معقل البهلوان وركب الامير وعادا الى الحرب والكفاح والى ما كان عليهِ في اليوم السابق كانهما عدوان لا صديقان . واجهد كل واحد نفسهُ وابدى كل ما عنده ودام الطعن والضرب مختلفًا بين الاثنين الى ان توارت الشمس عن العيون فعندها تركا القتال وعادا الى القلعة وكل منهما يتعجب من بسالة الاخر واقدامهِ وحسن اسلوبهِ بالقتال . ثم وضعا الطعام فاكلا وقاما عن صفره الطعام وجلسا للمحادثه الى ان جاء وقت المنام فناما الى اليوم الثالث فتبارزا الى مسائهِ وعادا على حسب العادة والحاصل ان الامير حمزة ومعقل البهلوان داما على مثل تلك الحال وهما بحرب ونزال مدة خمسة عشر يومًا دون ان ينال احدهما من الاخر مرادًا او يقع لهُ وجهٌ للفوز عليهِ وكان قتالهما سلميٌّ لا يقصد احدهما فيهِ قتل الاخر وبسبب ذلك ضاق صدر الامير وعيل صبره واحتار في امره وخاف من ان طول غيابهِ يجعل العرب والفرس يقطعون الرجاء منهُ وربما وقع من الفرس بحق العرب امر مكدر بسبب ذلك واصبح في شاغل عظيم وندم على مسالمة معقل البهلوان وقال في نفسهِ لو كنت عدوهِ لربما كنت قتلتهُ وعجلت وقت الرجوع ولما دخل القلعة اكل الطعام مع معقل البهلوان واقام واياه نحو ساعة . ثم طلب المنام ودخل غرفتهُ ونزل في فراشهِ وهو على تلك الحالة وما لبث ان طرق ذهنهُ جيش الغرام واخذ بكل افكاره الى جهة حبيبتهِ مهردكار فتذكرها اشوق تذكار وطار قلبهُ اليها ولا بد ان تكون قد فعلت بهِ هذه الذكرى اشد فعل وغيبتهُ عن هداه ولا سيما عندما خطر لهُ ان تكون لمدة غيابهِ قد شغل بالها وحسبت الف حساب كيف لا وهي معلقة كبير امل بهِ ومنتظرة عودتهُ لتكون بقربهِ وزوجة لهُ تتنعم بوصالهِ وتصرف العمر معهُ على الحب والمودة التي قادها اليهِ وارغمها على ان تلقى بكل اتكالها عليهِ . فكان كلما فكر بمثل هذه الافكار تعظم عليهِ الاهوال وتصغر الدنيا في عينيهِ الى ان فاضت دموعهُ على خدوده وتنهد من شدة الشوق والوجد فانشد

اخا الريم ما هذه العيون القواتل بقيت لتفنينا وهذي الشمائل
فماء حيــاة مــا تحوز مراشف وروضة حسن ما تضمُّ الغلائلُ
وتخجل اغصان الربى اذ تمايلت قضيب لجين بين برديك مائل
ولو ان في بدر الدجى منك لمحة لما شابهُ نقص ولا قيل آفل
تروح بلك الالباب نهبى كانهــا قبائل تسبيها ببدر قبائل

كثير من الارواح انت حياتها | وان هي راحت في هواك قلائل
ابيت بحال ليس يعلمها سوى | فواد شجيٌّ للنجوم يشاكل
يجرد لي من جفنهِ الليل صارمًا | اسميهِ صبحًا وهو بالبين قاتل
واكتم سرّي عن هواه مهابة | والمس راسي وهو بالفكر جائل
وجسمي لضيفان السقام موائدٌ | ودمعي لزوار الغرام مناهل
ولست على رسم الطلول بنادب | ولا سائل عن ذاهب هو سائلُ
ولكنني ابكي الحبيب وبعدهُ | فهذا الذي اهوى وهذي المنازل

وصرف الامير حمزة تلك الليلة على مثل ما تقدم لا يميل بافكاره على مهردكار وعن قصرها وما فيهِ قائمة امام عينيهِ تشكو اليهِ البعد تارة وتتبسم اخرى وتبكي طورًا ولا زال الى الصباح دون ان يخشاه النوم وما صدق ان راى شمس النهار حتى نهض الى جواده الاصفران فوجد عمر العيار قد اسرجهُ فركبهُ وهو متقلد بسلاحهِ كانهُ قلة من القلل او قطعة من جبل ولما وصل الى محل البراز وجد معقلاً قد وصل اليهِ فحياه ثم قال لهُ اعلم ان هذا اليوم هو اليوم الاخير ولا بد لي من انهاء الامر فيهِ والاً ضرّت بنا هذه الحالة . ولم تكن الا دقائق قليلة حتى اشتبك الاثنان . وقام بينهما سوق الحرب والطعان . وهاج نفساهما الى الفوز اي هيجان . وكل منهما يعرف الحد والاجتهاد الى نوال الغاية والمراد . وداما في اشد قتال واعظم نزال . لا ياخذهما فتور ولا اهال . كانهما اسدا دحال او لبوتان فقدتا الاشبال . حتى تحطمت بايديهما الرماح . فعمدا الى البيض الصفاح . وقد ثار الحنق في صدريهما من كل ناح الى ان كان العصر . وهما على مثل ذلك الامر . والامير حمزة يزيد في قتالهِ الدرهم قنطار . على امل ان لا يفوت النهار الا وهو على غاية من الفوز والانتصار . واذا بهِ قد وقعت منهُ ضربة حسام على طارقة معقل البهلوان فانجابت عن الطارقة ووقعت على رقبت الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم ووقع معقل الى الارض ولما راى الامير حمزة ذلك تاخر الى الوراء وصاح بهِ قم ايها الفارس الامجد واركب لك جوادًا اخر ولا تضيع فرصة باقية لنا من هذا النهار . فقال لهُ معقل معاذ الله يا اخي ان اشهر بوجهك حسامًا او عدت اقف بوجهك مرة ثانية لانك والحق يقال ابسل رجل في هذا الزمان واشد من يدعي الحرب والطعان ولست انا من رجالك واعترف انك قد ذللتني وقهرتني وانزلت بي العبر وان شئت تقتلني فلك الحياة وان شئت تربطني بالحبال وتسحبني الى ديوان كسرى ذليلاً فلك الحق بذلك لاني اسيرك واذا اردت ان تكرمني وتتخذني لك صديقًا امينًا على طول الزمان اقاتل بين يديك واخدمك جهدي ولا ابخل بروحي عليك . وسوف تظهر لك الايام ما يكون مني . فلما راى الامير حمزة حال معقل البهلوان وذلهِ لم يهن

عليه . فنزل عن جواده وقبله بين عينيه وقال له حاشاك من الاهانة والذل فما انت الا اخي ورفيقي على طول الزمان لا افارقك ما زلت في قيد الحياة لاني عرفت مقدار اقدامك وشجاعتك ولولا اقتل جوادك لما حل بك ما حل

ثم انهما تصافيا وتحابا والقيا السلاح الى الارض وحلف كل منهما يمينًا على الاخاء ودوام المحبة والصحبة وهذا معقل البهلوان يكون اول رفيق للامير حمزة وافضل صديق له يقاتل معه في كل غزواته بخلوص وامانة . وفرح جميع رجال القلعة بهذا العمل وما منهم الا من تقدم من الامير وقبل يديه وقدم له طاعته وشكره على قبول رئيسه . وكانوا باجمعهم قد احبوا الامير وتمنوا ان يكونوا من رجاله وابطاله يقاتلون بين يديه ويموتون في خدمته وتحت طاعته . ومن ثم رجعوا الى القلعة جميعًا وهم على الفرح والمسرة ولا سيما الامير عمر فانه كان يصفق من الفرح ويقول لاخيه اليوم قد فزت الفوز العظيم لانك صحبت من يقارنك بطشًا واقدامًا ولما دخلا القلعة نزعا الدروع ولبسا الملابس الناعمة ووضعا صفرة المدام والطعام وصرفا تلك الليلة على الحظ والاستبشار وعند الصباح نهض الامير حمزة وقال لمعقل البهلوان اطلب اليك يا اخي ان تكون على اهبة السفر لاني لا اريد ان ابقى هنا اكثر مما بقيت خوفًا على قومي وعلى ضياع الوقت فاقع بالندامة بعد ذلك . فقال له اليك ما طلبت فاني لا اخالف لك امرًا . ثم انه امر رجاله ان تجمع امواله والتحف التي داخل القلعة من كل ما هو ثمين وخفيف وترفعه على ظهور الجمال وان يركب كل واحد جواده وامر ان تحمل المون والمآكل اللازمة مدة الطريق فاخذ الجميع في تدبير امورهم الى ان انتهى كل شيء وحينئذٍ ركب الامير حمزة الاصفران وركب معقل البهلوان جواده وفعل مثله باقي الرجال ولم يكن الا القليل حتى بارحوا القلعة سائرين في طريق المدائن والامير لا يصدق ان يصل اليها ويشاهد قومه ويرى محبوبته وهو يجد المسير وقد بعث باخيه عمر امامه يكتشف له الاخبار ويعود اليه بعلم اليقين ان كان وقع عليهم امر واذا كانوا على ما تركهم يبشرهم بقدومه . ودام على السير من بعد مسيره مدة ايام الى ان قرب من المكان القائم فيه قومه

قال وكانت العرب باقية في الخيام والملك النعمان قد انقطع عن ديوان كسرى خوفًا من الاهانة والرجوع الى ما كان عليه العجم من قديم الزمان واقاموا ينتظرون رجوع اميرهم وفارسهم الى ان طال عليهم المطال فارتبكوا واضطربوا واجتمعوا الى الملك النعمان وقالوا له نخاف ان يكون قد وقع امر مكدر على اميرنا ومرادنا نسير في اثره فقال لهم هذا ليس بصواب لاني اعلم ان الاعجام يرقبون امرنا وينتظرون الخبر عن الامير حمزة حتى اذا تبينوا او سمعوا خبرًا مكدرًا عنه اوقعوا بنا فاذا راونا قد سرنا في طريق قلعة تيزان يثبت عندهم ان حمزة

بضيق أو اصيب بسوء فيعثوا خلفنا بالعساكر ومن الراي السديد ان لا نظهر علينا امرًا يتوهمون فيه الوال غايتهم وعندي اننا نرسل عيارًا من جماعة الامير عسى يكتشف لنا الخبر و يعرف ماذا حصل على الامير واخيه . فقال اصفران الدربندي اني اسير انا بذاتي وافدي الامير بنفسي و بينما العرب على مثل هذه الحالة واذا بعمر العيار قد اقبل ودخل الصيوان وهو قاطب الوجه عابسة فتلقاه النعمان بلهفة وقال له اخبرنا عن الامير فلم يبد كلمة ولا اجاب بل بقي على حاله فزاد قلق الجميع وقال له اصفران الدربندي وكان يعرف غايته اخبرنا بالخبر اليقين واليك مني خمسمائة دينار فقال النعمان وانا ازيدك مثلها فعجل الخبر ولا تتاخر . فقال اعطوني اولا الدنانير . وخذوا مني التباشير . فنقدوه المال واذ ذاك قال لهم ابشروا ايها العرب بقدوم فارسكم الاوحد وسيدكم الامجد فقد اسر معقل البهلوان ثم اصطحب معه وجاء الاثنان وباقرب وقت يكونان في هذا المكان . فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام فرح غاية الفرح وصاح بالعرب ان تركب عن بكرة ابيها الى ملاقاة الامير و بوقت قريب ركب الجميع وساروا من تلك الارض وقد ارتفع لهم اصوات عالية وصياح ارتجت منه تلك النواحي واضطربت المدائن وسكانها وهم لا يعلمون ما السبب و سارت العرب عدة ساعات الى ان التقوا بالامير حمزة ومعه معقل البهلوان و جماعته فنزل الجميع عن خيولهم وتقدموا الى بعضهم البعض وسلموا على الامير وسلم عليهم وكان لهم ساعة عظيمة و بعد ذلك ركبوا وعادوا راجعين الى الخيام ولما وصلوا حولوا عن خيولهم واقاموا الافراح ودارت بينهم المسرات والولائم . ثم كتب الامير حمزة كتابًا دفعه الى اخيه عمر العيار وقال له خذه الى الملك كسرى و بلغه خبر وصولي فاجابه بالسمع والطاعة وسار بالكتاب على عجل

قال وكان الملك كسرى بعد غياب حمزة ومسيره الى قتال معقل البهلوان يجتمع كل يوم ببختك ويتحدث معه بامرها فيقول له كن بامان فما من امل برجوع حمزة الينا سالمًا لاننا نوكد غاية التاكيد ان معقل البهلوان يعدمه الحياة فكم وكم قد امات مثله من الفرسان وكسرى يتردد في هذا الامر و يقول له ان موت حمزة لم يكن بخاطري لانه فارس صنديد وبطل مجيد وقد عمل معنا معروفًا وليس من العدل ان نقابله بمثل هذه الاعمال ولو لم يطلب بنتي زوجة له لما سلمت بهلاكه و بعده غير اني ارى ان شريعة النار لا توذن باختلاطنا باجلاف العرب عبادين الله والا فالامير حمزة كفوًا لها وبه اللياقة من كل وجه غير انه عربي وهذا عار به عندنا هذا و بختك يزيد له فوق ذلك فلا يتركه في كل مرة حتى يوغر صدره حنقًا على الامير حمزة و يقنعه بان في موته راحة له الى ان كان ذاك اليوم وهو في ديوانه مع رجال دولته واذا به سمع صياح العرب بالافراح فبعث من يسال له عن الخبر فعاد الرسول واخبره بوصول الامير حمزة سالمًا

ومعه معقل البهلوان . فوقع هذا الكلام على رأس بختك كالصاعقة الا انه اظهر الجلد وتعجب غاية العجب وقال للرسول هل رأيت معقل البهلوان مقيداً او مطلقاً قال رأيته راكباً على جواده الى جانب الامير . فقال كسرى لبختك ان قلت لي ان الامير حمزة لا يعود سالماً من قتال معقل فها قد عاد ولا ريب انه اسره ثم اطلقه واصطحب معه فكنا بواحد صرنا باثنين . قال ولا اظن ذلك واكثر ظني ان معقل البهلوان هو الذي اسر الامير حمزة واطلقه وجاء واياه الى حضرتك ليقدم طاعته اليك ويسالك فيه والاَّ لو كان حمزة اسر البهلوان لما اطلقه الا في ديوانك لانه اقسم ان يدخله ذليلاً مقيداً بين يديك وفيما هما على مثل ذلك واذا بعمر العيار قد دخل من باب الايوان وهو يقلب بالهواء كانه اللولب السريع الدوران ويصفق من الفرح حتى وقف امام الملك كسرى وهو يضحك من اعماله وقد سرمنه سروراً عظيماً . واذ ذاك دفع اليه الكتاب فاخذه منه واعطاه الى الوزير بزرجمهر ليقراه ويترجم له معناه ففضه واذا به

من حمزة العرب وبهلوان تخت الملك كسرى الى عمه الملك

اعلم ياسيدي اني سرت من حضرتك وانا اتمنى ان اصل الى معقل البهلوان لاذله واعيده الى الطاعة لانه يصعب عليَّ ان اكون صهرك وبهلوان تختك وصفيك واسمع ان احداً من الناس يعصاك ولما وصلت الى قلعة تيزان وبعد قتال عدة ايام اسرته وتملكت القلعة ولنا اذ ذاك وحدي ليس معي الا رفيقي عمر العيار والحق يقال انه فارس من الفرسان الشداد لا اظن لم ارى له ثانياً في هذه البلاد وقد استجار بي فاجرته وجئت به وهو الان في قبضتي وقد بعثت لابشرك بذلك واطلب اليك ان ترسل لي قفصاً مع الامير عمر لاحبسه فيه وادخله اليك مقيداً في هذا القفص ليعرف عظمتك وانك قادر على نوال مرادك وكيد اعدائك . ولا اريد منك عوضاً عن ذلك الا رضاك عني وتركك كلام المبغضين المفسدين الذين يقصدون الضرر لملكك ولدولتك والسلام

فلما قرأ بزرجمهر هذا الكتاب وفسره للملك قال له اعلم ياسيدي ان الامير حمزة هو نادرة هذا الزمان وفارس لا نظير له فيه وقد سبق صيته فعله وما جاء الا رحمة لبلاد الفرس وعندي ان تتخذه سنداً لك وتصفو له نيتك فمن كان مثله لا يترك ولا يهان ولو كان عند غيرك من الملوك لرفع منزلته ومقامه وحاربك به وانتصر على بلادك ونزع منك ملكك فاكرمه ففي اكرامه نفع لنا ولا ترضَ بغير ما اقوله الان فكان بختك يسمع وقلبه يتقطع ولعظم ما جرى عليه خرج من الديوان . واما كسرى فانه انعم على الامير عمر بالف دينار وامر ان يعطى قفصاً من الحديد ليوضع فيه معقل البهلوان فاخذ عمر المال وخرج مسروراً والقفص محمولاً امامه ولما قرب من الايوان نظر الى قصر مهردكار فوجدها هناك فاشار لها مبشراً ان اخاه قد جاء فلعظم ما لحق

بها من شدة الفرح وقعت الى الارض مغمى عليها فاسرعت اليها القهرمانة وسكبت ماء المزهر على وجهها واحرقت في انفها خرقة حتى وعيت فسالتها عن السبب فقالت اني فرحة اليوم بما نالني من السعادة والاقبال اليوم هو العيد العظيم الذي به نلت الشفاء والعفاء حيث قد عاد الامير حمزة سالمًا من سفره منصورًا وبعد قليل اراه واشاهد بدر جماله واسرّ من كماله واتمتع برؤياه وهو يشير اليّ اشارة السلام اللطيفة التي طالما سرّ منها فوادي وفرح بها قلبي . فقالت لهُ بلغك الله مناك واعطاك مشتهاك

فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير عمر فانهُ سار بالقفص حتى وصل الى اخيهِ حمزة فسلمهُ اياه وقال لهُ اعلم يا اخي ان الملك قد سرّ من هذه البشارة سرورًا عظيماً ولعظم مسرتهِ قد دفع اليّ الف دينار واعطاني هذا القفص حسب طلبك . فقال لهُ اني اعرف انهُ يسرمني غيران بختك الوزير لا يتركهُ على ارادتهِ بل يغير لهُ فكرهُ ويقلبهُ ولا بد لي من قتل هذا الوزير ولولا علمي بان قتلهُ يغيظ الملك كسرى لسرت الان اليهِ الى بيتهِ وقتلتهُ شرّ قتلة غيران ذلك يكدر العجم باجمعهم ويكون اكبر وسيلة لحرماني من مهردكار وزواجها زواجًا شريفًا ثم انهُ قال لمعقل البهلوان اعلم يا اخي اني اقسمت بالله العظيم ان اقدمك الى ديوان كسرى مقيدًا ذليلاً ويصعب عليّ جدًا ان تدخل الاّ مكرمًا معززًا غير اني احب ان افي بقسمي فاريد ان تدخل القفص ليذهب بك الى الديوان وهناك اطلق سبيلك . قال اني لا احرمك من حاجةٍ بنفسك غيران كسرى يتمنى جدًا ان يراني على هذه الحالة ذليلاً ولو كلفهُ ذلك فوات ملكهِ واني اعرف ايضًا ان الملك يامر بقتلي حالاً اذا تذكر ما فعلتهُ معهُ في مدة زماني فاذا كنت محبوسًا في القفص لا اقدر ان ادافع عن نفسي . فقال لهُ الامير انهُ يصعب عليّ جدًا اذلالك وتمكن الاعداء منك واشتفاؤهم باسرك الا اني مضطر اليهِ واما من جهة قتلك فلا يقدرون عليهِ لانهُ اذا صدر منهم ادنى اشارة من ذلك او حكى واحد من رجال كسرى في هذا الامر ونوي الملك عليهِ كان سبب خراب هذه المملكة لانك وان كنت مقيدًا فاني مطلق واقدر ان افك قيودك واكسر القفص واعيد اليك الحرية حالاً وسوف ارسلك في صباح الغد قبلي بدقائق قليلة لا علم ماذا يقال عني وماذا يكون من امر بختك ومن الذي يختار لك الخير ومن يقصد لك الشر. فاجاب معقل البهلوان طلب الامير وصبروا الى صباح اليوم الثاني وفي المساء تفرق كل الى صيوانهِ فذهب الامير الى صيوانهِ فوجد خادم مهردكار بانتظاره فبلغهُ سلامها ودفع اليهِ كتابها وقدم ما جاء بهِ من الطعام فاكل حتى اكتفى ثم فض الكتاب وقراهُ واذا مكتوب بهِ

من مهردكار الى حبيبها الامير حمزة العرب سيد الفرسان وقمر هذا الزمان

تركتني انقلب على جمر الغضا من حر نار البعاد لا اعرف ما اصل اليهِ من زماني فحبي يزيد

بفيضان البحار مع تمادي الدقائق و يتراكم بتراكمها في حجر الايام وانا لا اريد من زماني الا ان اكون قد رافقتك في مثل هذه السفرة ولي شيء الذ على قلب مغرمة امتلأ حنجرو فوادها من معاطر هوى حبيب حسن المعاني باهي الجمال كريم الطباع صافي المودة رائق البال عظيم البسالة نادر المثال في هذا الزمان نعم بقربك ينتعش فوادي وتتروض افكاري و يطفح السرور على قلبي واری الدنيا تبسم في وجهي كيف ملت ونظرت و ببعدك اصادف عكس ما قلت فالزمان ضنين ولا بد من ان تقلب الاحوال وانال المنال واحظى بما اريد . صرفت مدة غيابك على البكاء منفطرة الفواد من كيد الاوغاد الذين يريدون لك الشر و يطلبون هلاكك فاشكر الله على سلامتك حيث عدت منصورًا ظافرًا حاملاً رايت المجد وبيدك سيف العز الذي تشق به افئدة باغضيك فاهلاً ومرحبا قد ابيض وجه المدائن الان وانتشر فوقها رواق البهاء وحق لمحبوبة حمزة الجمال ان تبرز بثوبها الابيض علامة على نزعها البكاء ودخولها في عالم المسرات فاطلب اليك يا حبيبي ان لا تتهامل في امر الحصول عليّ والوصول اليّ وانك تراني في كل يوم في شباك قصري انتظر مرورك واتمنى ان اراك فلا تنقطع يومًا واحدًا عن الزيارة الى ان يوما من وسيلة لامتلاك قلبي وحملو على الصبر ولا تظن ن دهري مهما كان ظالمًا ينفخ في انفي فيمنعني عن الوصول اليك والتقرب منك فانت سعدي وانت غايتي

لا ومرأى جمالك المسعودِ ... ماسقي ماء العز بعدك عودي
ووحق الهوى وطاعة جفني ... لولي الدموع والتسهيدِ
لم ابح مهجتي لغيرك فامحو ... بنهار الوصال ليلَ الصدودِ
ان يومًا نراك فيه عيوني ... هو عيد اجلُّ من كل عيد
لست ارضى مولى سواك وعزي ... ان تسميني يا اقل العبيد
لم اهبك الفواد غصبًا ولكن ... عن طواعية وبرّ وجود
انت اشهى من المنام لعيني ... ومن الامن للفواد العميد
كل يوم يجد فيه غرامي ... ويج قلبي من الغرام الجديد
مدمع سائل ووجد مذيب ... وفوادي يقول هل من مزيد
مات نومي وعاش حي سهادي ... عظم الله اجركم في الهجود
و براني الضنا فكدت اوارى ... عن شهودٍ ولم اقل بوجود
ان سود العيون اوقعن قلبي ... في مهاوٍ اضللن كل رشيد

وهذا بعض ما اشرحة اليك الان طالبة منة تعالى ان يجعل اجتماعنا قريب المعاد بعيد الموانع والسلام

وكان الامير حمزة يقرأ وهو مسرور من كتابة مهردكار ورقة شمائرها وحسن مودتها وكان يخفق قلبهُ فرحًا ومسرة عند قراءتهِ الفاظها شكواها وطلبها منهُ ان يسعى في ما فيهِ قربها وراى من الواجب اجابتها على كتابتها فكتب لها

من حمزة العرب وبهلوان العجم الى حبيبتهِ مهردكار

انت تعلمين ان كل ما اتافيهِ هو لاجل المحافظة على حبك واستجماع هنانا مقرونًا برضا ابيك ولو اني اقصد ان اتخذك كسبية لقتلت ابيك ونلت المراد فهذا يبرهن لك ان الحب الخالص والمودة الكاملة في قلب محبك تزيد كلما زادت عداوة بختك لي وبغضهُ في. سرت من هنا الى حصن تيزان وشخص جمالك يرافقني على الدوام فهو كان انيسي ورفيقي يسليني في يقظاتي وغفلاتي في النهار نصب عيني وفي الليل ضيف اجفاني فوصلت الى معقل البهلوان فاذا هو من الذين يعبدون الله تعالى يحب ابناء دينهِ فنازلتهُ اياماً وانا في ضيافتهِ وقد عرض عليَّ خدمتهُ لي دون قتال فما قنعت ارضاء لخاطر ابيك واخيرًا اعترف وهو في القتال بقصوره ومقدرتي فاصطحبت معهُ وجئت بهِ لاقدمهُ عن طوع منهُ اسيرًا الى ابيك فهكذا تكون شيم الكرام والاً فلا . وفي صباح الغد تريني متلفتًا الى شباكك على امل ان تراك اعيني واقفة بهِ وهذا هو موضوع افكاري اي اني على الدوام اوجه بافكاري الى هذا الشباك الذي اراك على الدوام واقفة فيهِ فهو لا يبعد رسمهُ عن فكري ويتخيل في ذهني اشراق وجهك منهُ وظهورك فيهِ كظهور البدر في خرق من الغيم الكثيف

جلا الحسن عن بدر التمام اجتلاؤهُ ... وحاشاه من عين الحسود اعتلاؤهُ
وابرزه في دارة الحسن والبها ... قران سعود لا يجاب انقضاؤهُ
لهُ الله من بدر اضلَّ بنوره ... محيًا تساوى صبحهُ ومساؤهُ
انيس عيون الهائمين لانهُ ... اذا جنهم ليل جلاهُ اجتلاؤهُ
لئن سعدت عيني برؤية نوره ... فحق لقلبي في هواه شقاؤهُ
وان كان كتم الحب للقلب داؤهُ ... فافشاء سرَّ الحب فيهِ دواؤهُ
تراءى فاحيي سعده شهداؤهُ ... ومن لي ببدر اسعدت شهداؤهُ
وتم فضاهتهُ الغزالة في الضحى ... فغشى سناه الازهريَّ سناؤهُ
وكيف يفوق الشمس حسنًا ونورهُ ... لطلعتهِ الغراء يعزى ضياؤهُ

فانت مليكتي وبك سعادتي واليك منتهاي ويحق لك ان تكوني كذلك فلوامع صباح جبينك الوضَّاح مترفع في سماء الافكار جلَّ عن ان يكون لهُ مثيل في هذا الزمان ولاجلهِ اتحمل كل عذاب وتعب فلو سرت الى اقاصي الارض وطرقت ابعد البلدان على امل ان ارضي بذلك

اباك فيسمع فتفعل . فليس الانسان عرضة لنوال غاياته

ومليكة صانت شقائق خدها من ناظري بناظر وبحاجب

جزمت بكسر حشاشي وتحجبت عن عين ناظرها برفع الحاجب

واستاصلت طير الفؤاد وقد رمت بسهام لحظ عن قسي حواجب

ناديتها كفي فنادى لحظها اوليس قلبك من طيور الحاجب

ثم ان الامير حمزة طوى الكتاب وسلمهٔ الى الرسول واوصاه ان يهدي السلام مولاته وان تحافظ على المكتوب فلا يقع بيد احد فاخذه وسار اليها فاعطاها الكتاب ففضتهٔ وقرأتهٔ وهي طائرة الفؤاد تطلب بفروغ صبر اتيان النهار لتقيم في شباكها وترى غزالها تحتهٔ وتبل اشواقها من النظر اليهِ

واما الامير فانهٔ نام تلك الليلة مطمئنان الخاطر ينتظر الصباح ليسير الى ديوان كسرى وبعد نومهِ سار الامير عمر العيار الى اصحابهِ فسلم عليهم وقال لهم هلموا لادفع اليكم ما وصل اليَّ من الاموال فاجتمعوا حواليهِ كالزنابير واحتاطوا بهِ كالاولاد حول الام واخذ ينثر عليهم الذهب وهم يلتقطونهٔ من كل ناح وهو يضحك من عملهم حتى فرغ كل ما كان قد اخذه ونالهٔ من انعام كسرى والنعمان وما وصلت اليهِ يده فتكدر من فراغ المال ورجع حزينًا الى اخيهِ متمنيًا لو كان حصل على مال اكثر وبقي في حراسة الصيوان الى الصباح . فنهض الامير حمزة من رقاده وجاء الى صيوان الملك النعمان وما استقر حتى اخذت الامراء تلفي واحدًا بعد واحد واخيرًا جاء معقل البهلوان فسلم على الجميع واخذ قيدًا فقيد نفسهٔ بهِ ودخل من تلقاء نفسهِ الى قفص الحديد وسال الامير حمزة ان يقفل عليهِ ويرسلهٔ الى الملك كسرى فتعجب الجميع من كرامتهِ ونقدم الامير فاقفل باب القفص وامر اربعة رجال من العربان ان يحملوه ويسيروا امامهٔ الى الديوان ففعلوا وبعد ذلك ركب الامير حمزة ظهر جواده الاصفران وسار نحو المدائن والى جانبهِ الملك النعمان وباقي امراء العربان ولما قربت من باب الديوان نظر الى فوق فوجد مهردكار جالسة في الشباك تنتظر قدومهٔ وهي بالملابس البيضاء الحريرية وعليها من الجواهر ما يتكسر نوره بما يماثل نور الشمس وعلى راسها اكليل من الماس محاطًا بباقات من الزهور البيضاء والحمراء ولما راتهٔ تبسمت واضعة يدها على قلبها واشارت اليهِ براسها مسلمة فاجابها على ذلك فتدحرجت من عينها دمعة وقعت على صدرها وشكرت الله على رجوعهِ سالمًا وكيف سمح لها ان تراه كما فارقتهٔ

فهذا ما كان من الامير واما ما كان من الرجال الذين اخذوا معقل البهلوان فانهم ساروا بهِ محمولاً على اكتافهم حتى دخلوا صيوان كسرى فوضعوه امامهٔ وقالوا لهٔ هذا ياسيدي معقل

الذي طلبت من سيدنا حمزة اذلالة فها قد اوطئناهُ اليك على حسب ما تشتهي وبعد دقائق قليلة يكون سيدنا الامير حمزة عندك فهو آتٍ وراءنا مع الامراء والملك النعمان. فلما راى كسرى وباقي الاعجام الى معقل وهو مقيد تعجبوا من عظم جثته وكبر هامته وهو كالفيل واكثر عجبهم كان كيف ان الامير حمزة قدر على اسره وادخاله في هذا القفص مع ما هو عليه من البطش والاقدام وعلو المنزلة في القتال و بعد الصيت في عالم ذاك الزمان

واما كسرى فانهُ سرَّ باسر معقل البهلوان وقال لهُ كيف ترى نفسك الان ايها المتكبر المتعدي اتظن اني اعجز عنك اولا اقدر على اسرك وقتلك وقد بعثت اليك برجل واحد فاتى بك على هذه الحالة . فقال معقل انك لو بعثت اليَّ برجال العالم اجمعها وانا في حصني لما حسبت لهم حسابًا ولا قدرت ان تراني في مثل هذه الحالة غير ان الامير حمزة غش بك وتوهم انكم على صفاء الباطن والنية فسعي في انفاذ ما آربكم . فقال بختك لكسرى اعلم ياسيدي ان قتل معقل في الحال كثير الفائدة واريد منك ان تامر بقتلهِ وتريحنا منهُ لانهُ وهو في الاسر يتطاول ويانف الذل واذا تذكرنا السالفة نرى ان كل عمل معها يحتاج من اجلهِ ان يحرق بالنار . فقال معقل ان قتلي صعب عليكم جدًّا وليس في وسع احد منكم ان يمدَّ اليَّ يدًا الاَّ الذي اسرني فهو وحده لهُ حق التسلط عليَّ والتصرف بي فان عفى كان كرمًا منهُ والاَّ فلهُ الحق بقتلي واما انتم فانكم بعيدون عن نوال هذا المثال وتعجزون عن الدنو مني وانا مقيد الايدي والارجل فاياكم من المخاطرة بانفسكم . فاغتاظ كسرى من كلام معقل البهلوان وكاد يختنق فادرك ذلك بختك فاغتنم الفرصة للانتقام من معقل البهلوان وقتلهِ خوفًا من ان يظهر الكتابة التي بعثها اليهِ بقتل الامير حمزة وفي الحال امر الحجاب ان تحمل القفص بما فيهِ وتلقيهِ في النار ليحترق فهجم الحجاب افواجًا وفي نيتهم ان يحملوا القفص و ينفذوا امر بختك واذا بالامير حمزة قد وصل الى الايوان بجماعتهِ وراى قبل دخولهِ مهردكار على ما تقدم في شباك قصرها واقفة كالعادة وعند دخولهِ راى الحجاب وقد احتاطوا بالقفص ليحملوه فادرك سرَّ المسأَلة ولا سيما عندما شاهد معقلاً وهو يصيح بهم ليبعدوا عنهُ . فصاح وهجم عليهم غير ملتفت الى كسرى وقومهِ وقد جرد السيف بيده حتى ارعب الجميع وخافهُ كل من كان حاضرًا في المكان من اكابر واعيان ولا سيما الوزير بختك فانهُ وقع الرعب في قلبهِ وعلم ان حمزة اذا قتل احدًا يكون هو في الاول ولذلك اضطرب وخاف ومثلهُ الملك وقد قال لوزيره بزرجمهر ارجع حمزة عن غايتهِ ودعهُ يغمد سيفهُ ومها طلب اعطيناه ونحن لا نعرف ان معقلاً في زمامهِ فامر بزرجمهر الحجاب ان يتفرقوا عن القفص وتقدم من الامير حمزة وقبلهُ وقال لهُ اغمد سيفك ياولدي فما من لزوم لمثل هذا الامر فاستحى حمزة من بزرجمهر واطاعهُ لانهُ كان يحبهُ جدًّا و يعتبره لعلمهِ انهُ من كراماء الناس وعقلائها وانهُ

بمحبة عن خلوص ومودة محبة الاب لولده . فاغمد سيفهُ وقال لهُ أعلم ياابتاه ان معقل البهلوان اصبح صديقي ومن اتباعي وعاهدتهُ على الوفاء وانت تعلم ان من يريد ان يضر باحد اتباعي اهلكتهُ لا محالة فكيف يمكن ان اترك عدوهُ يفعل بهِ ما يشاء دون معرفتي واطلاعي . فامر بزرجمهران يتقدم من كسرى و يقدم لهُ واجبات الاحترام فتقدم من عرش الملك وقبل يديهِ فوقف لهُ وقبلهُ وشكرهُ و بعد ذلك سلم حمزة على بختك و باقي الاعيان وجلس في مكانهِ الى جانب كسرى وسيفهُ على ركبتهِ . و بعد ان استقرَّ بهِ الجلوس وهدأ روعهُ قدم لهُ الشراب فشرب وسال كسرى ان يامر باطلاق سبيل معقل . وقال اعلم ياسيدي اني لا اسلم بقتل مثل هذا الفارس العظيم والبطل الكريم وفي بقائهِ نفع لنا وقد صحبتهُ وعاهدتهُ ان يكون باقي عمره في خدمتي و بين اتباعي ولذلك اريد مراعاتهِ منكم ما زلتم تراعونني . فامره كسرى ان يخرجهُ من القفص فنهض حمزة الى معقل البهلوان واخرجهُ من القفص وفك قيوده وهناه بالسلامة وامره ان يتقدم من كسرى و يقبل يديهِ ويظهر لهُ طاعتهُ ففعل كما امره حمزة واظهر خضوعهُ للملك فامر لهُ بخلعة واجازه جائزة عظيمة وفرح بهِ مزيد الفرح

وكان قد راق خاطر كسرى من جهة الامير حمزة وصفا باطنهُ وفكر انهُ فارس لا مثيل لهُ في زمانهِ وانهُ اذا صاهرهُ يفتخر بهِ و يسود على كل فرسان ذاك الزمان وملوكها و يمتلك الدنيا باسرها و يدوخ بلاد الرومان و يهدم تخت قيصر ولا سيما وقد صار عنده مثل معقل البهلوان واصفران الدر بندي وغيرهما من الرجال . ومن ثم قدموا الطعام فاكلت الاعجام والعرب معًا ونهضوا عن الطعام وجلسوا الى المساء وفي المساء ودع حمزة الملك وخرج من الديوان وركب جواده واشار الى مهردكار وهي بالشباك مودعًا فاجابتهُ بمثل اشارتهِ وقد بعثت في اثره نظرها تحدق بهِ وهو سائر وقلبها يرف طائرًا من حواليهِ ليحرسهُ و يحفظهُ من ر واشق حب سواها وليبقى على الدوام مطمئنًا عليها . ولما بعدوا عن الايوان قال حمزة للامير معقل لقد صعب عليَّ ما جرى في هذا النهار واني اشكر الله على سلامتك . قال ما انا الا عبدك وفي يدك . واني لم اكن اظن قبلاً ان كسرى يجيب سوالك اذا سالتهُ العفو عني او يراعي خاطرك الى هذا الحد حتى اني ما كنت اظن ان ابقى حيًّا وقد سلمت بنفسي اليك وانا على يقين من هلاكي غير اني كنت ارضى بالموت وافضلهُ على مخالفتك حتى شاهدت بعيني نفوذ كلمتك في كسرى وعليهِ . قال اني اقسمت لك باعظم الاقسام ان احافظ على حياتك فكيف ادع احدًا يقرب منك باذى ولو لم يجب الملك في الحال والا كنت قتلت كل من في الديوان وفككت قيودك بالقوة واوقعت في اهل المدينة وتخلصت من الاعجام وغدرهم . ولما دخلوا الخيام تفرق كل الى مكانهِ وكان معقل البهلوان قد ضرب خيامهُ مع قومهِ الى جهة ملاصقة للعرب . وما استقرَّ الامير في صيوانه حتى جاءه رسول

مهردكار بالطعام حسب العادة فاكل واكتفى وارسل سلامهُ الى خطيبتهِ وبات تلك الليلة وهو يفكر انهُ عند الصباح يسال كسرى في زواج بنتهِ ويطلب اليهِ تعجيل العرس . ونام على تلك النية يتردد في اجابة كسرى هل انهُ يوافق على طلبهِ او يمتنع ويختلق لهُ حيلة ثانية يبعده فيها عن دياره

قال فهذا ما كان من الامير واما ما كان من الملك كسرى انوشروان فانهُ ذهب من ديوانهِ الى قصر بنتهِ ولما اجتمع بها قبلت يديهِ فقبلها بين عينيها فقال لها اعلمي يا عزيزتي ان الامير حمزة هو وحيد في هذا الزمان ولا بد من اتمام زواجك بهِ وقد وعدتهُ وعدًا صادقًا ولا اريد ان ارجع بقولي ولولا بختك لما بعثتهُ الى قلعة تيزان وقد عاد منصورًا ومعهُ معقل البهلوان مساعدًا ومعينًا فكان ذلك موافقًا لهُ ونافعا لخيره ونجاحهِ حيث صار من خدامهِ واتباعهِ فقالت لهُ اليس انت والدي ومدبر امري فماذا يكون بيدي فاذا القيتني بالنار كان لك الحق واذا وضعتني باعلى جنان كان ذلك من حبك الابوي وحنوك . فقبلها ثانيًا ثم سار الى قصره واذا بختك الوزير ينتظره فحياه وجلس وبعد ان استقرّ قال بختك اني لما كنت اعرف ياسيدي انهُ لا بد في الغد ان يطلب اليك الامير حمزة زواج بنتك ايفاء للوعد قصدت ان اجتمع بك في هذه الليلة لتدبير طريقة تحفظ بنتك من عدوك وعدوها . قال اني ارى من نفسي وجوب اجابتي الى سوالهِ ولا ارى مانعًا يمنع من قيام زفاف بنتي عليهِ غير انت . قال نعم اني المانع لاني مسئول بحفظ شرفك وشرف الفرس اجمع ولا اريد ان تسود العرب علينا ويرتفع مقامهم ويظنوا اننا نخافهم ولذلك اريد ان تتخلص من زنخة البدو ونعيدهم الى بلادهم ونرجع حمزة الى مكة لرعي المواشي فاين من هو ليطمع بزواج بنت اكبر ملوك الدنيا واعظمهم قدرًا وارفعهم شانًا ملك من الشرق الى الغرب فعِ الى نفسك واعرف قدرك وارجع الى الصواب فخير للملك ان يفقد ولعرشك ان يهدم من ان يلحق بشرفك مكدر ويقال في تاريخ الازمان ان بعض البدو تزوج ببنتك فيسود تاريخ الاكاسرة قال الملك هذا اعرفهُ غير اني ارى ان من كان كالامير حمزة يكرم ويرفع قدرهُ ويعظم شانهُ قال ماذا يهمك ذلك فخذ مني تدبير الامر ولا تترك العدو يسود فما العرب الاَّ كالعبيد عندنا قال على ماذا عولت قال عزمت ان ابعثك على ان ترسلهُ الى سرنديب الهند الى محاربة اندهوق وهذا من الفرسان العظام وعندي انهُ يهلك حمزة ويذلهُ ونرتاح من شرهِ قال وباي طريقة نرسلهُ الى هناك قال عند ما يجتمع العرب عندك ويجلس حمزة في مقامهِ بش في وجههِ وقربهُ منك جدًّا وقل لهُ اني فرح بك جدًّا وصار من اللازم ان اتخذك عونًا لي لكيد الاعداء وقد خطر لي كما انك احضرت لي معقل البهلوان تاتيني باندهوق صاحب سرنديب لانهُ فارس عظيم ودائمًا يدّعي نفسهُ بالاستيلاء على تختي فاما تقتلهُ او تاتيني بهِ اسيرًا

فيرتاح بالي فاانام امينًاولا يبقى من يخاصمني بعد ذلك ولا عدو يعاديني . وانا از يده من الكلام ولا ريب انهُ يقبل مناذلك و يعدنا بالمسير الى سرنديب ومتى سار فلا يعود يرجع وهذا موكد عندنافنرتاح منهُو يسلم شرفك وتصان بنتك شمس الدنيا من تعرض اجلاف العرب . فانطلى الملك بكلام بختك وقال لهُ نولّ انت هذا الامر . ثم ان بختك ذهب الى قصره و بات الملك ينتظر الصباح وقد تغير كل فكره على حمزة وتكدر قلبهُ وخاطره عليهِ من كلام بختك .

و بقي الامير حمزة نائمًاالى الصباح فخرج حسب عادتهِ واجتمع بقومهِفي صيوان الملك النعمان وسار الجميع من هناك يقصدون الايوان وفي فكر الامير حمزة ان الملك يجيب طلبهُ في ذاك النهار او يحاول الى غير ذلك و لما صار عند باب الايوان نظر الى فوق فراى مهردكار جالسة في الشباك كانها ملاك من النور البهي البهج فحياها وحيتهُ وقد ابتسمت عن ثغر انقى من الماس وقلبها مملوء بالفرح والبشر لما سمعتهُ من ابيها في اليوم الماضي ولم يكن عندها علم بخبر بختك وهي تسال الله ان لا يقف مانع في سبيل نيل المراد . ولما دخل الامير بجماعتهِ ترحب بهِ الملك واجلسهُ الى جانبهِ بعد ان قبلهُ مرارًا وامر ان تقدم لهم الاشربة والاطعمة حسب العادة ودار فيما بينهم الحديث واذا بالملك قال لبزرجمهر ان يبلغ حمزة ما يقولهُ فاجابهُ فقال الملك اني لعظم فرحي لم انم في الليلة الماضية بل صرفت ليلي افكر باقدام صهري و بسالتهِو بطشهِ وقلت ان النار اوصلتهُ اليّ من رضاها عليّ وسعادتي لكي يذل لي اخصام دولتي و يعز ملكي فقد اذل كل خصم وجعل من كان يعصاني يجلس في ديواني بين رجالي كاصفران الدربندي ومعقل البهلوان ولم يبقَ من يشغل لي فكري الا فارس واحد في العالم ولا بد بعد زواج صهري حمزة ببنتي مهردكار ارسلهُ اليهِ ليذلهُ او يقتلهُ فاجاب حمزة اني اريد منك ان تخبرني من يكون هذا الفارس وفي اي البلاد لاقلع لك اثاره واخرب دياره واجيء بهِ ذليلاً حقيرًا . قال اني لا اريد الان ان اخبرك باسمهِ واذا اخبرتك اخاف من ان تحدثك نفسك بالمسير اليهِ قبل الزفاف . فقال بختك ان مسيره اليهِ قبل الزواج واجب جدًّا لاسباب ولا اظن ان نخوتهُ ومروتهُ تطيعانهِ على الصبر الى بعد الزفاف ولا سيما اذا علم ان عمهُ متكدر لا يطيب عيشهُ ومن المعلوم ان الافراح لا تطيب الاَّ بعد ازالة المكدرات ومحو الاتراح واي شيء احب على قلبهِ من ان يكون اخذ مهردكار باستحقاق اي انهُ منع كل تعدٍ عن بلاد ابيها واصلح شؤون الرعايا واذل كل رجل يطمع بالبلاد وبهذا العمل يقال ان الملك كسرى قد ازوج بنتهُ بفارس فعل ماهو كذا وكذا فقتل فلانًا واهلك فلانًا وفتح الحصون والقلاع فحق لهُ ان يكون بعلاً لفتاة ضربت بها الامثال في سائر المحال وحازت من العقل والاداب ما لا يوجد باعظم الرجال فضلاً عن حسنها الباهر وجمالها الذي تدرت بهِ والحق يقال انها ما خلقت الا لهُ وما خلق الا لها . فقال الملك اني ارغب الان زواج بنتي

قبل مسيره الى سرنديب لاني احب صهري واحب ان يكون مسرورًا نعم اني اكون مضطرب الافكار خائفًا على بلادي فلا يطيب عيشي ولا يروق بالي الا بموت عدوي لكني احب ان يرتاح ضمير صهري فيعلم خلوصي له . فلما سمع الامير حمزة كلام عمه وبختك لعبت براسه النخوة العربية وحركة داعي البسالة والاقدام الى الفوز واشهار اسمه ليكون قد تزوج بمهردكار عن استحقاق واكتسب مدح الناس وخافة البعيد والقريب ولذلك نهض في الديوان وقال . انتم تعلمون انكم عندما طلبتم مني معقل البهلوان اقسمت بالاتيان به باقرب آن ومن فضله تعالى وفيت بوعدي وقسمي وكان ذلك عائدًا لخيري ونفعي لاني اتخذته صديقًا اقدر به ان افتح الارض بالطول والعرض والان اقسم نفس ذاك القسم واعاهد عمي الملك اني لا اتزوج بنته قط ولا ادخل ديوانه هذا الا ومعي اندهوق صاحب سرنديب ذليلاً مهانًا مقيدًا ليعرف عمي اني صادق بخدمته وان غيري بغشة ولا يرضى النفع لدولته وسيكشف المستقبل عن سرائر كل من يتظاهر لديه بالخلوص . فقال الملك اني لا اريد ياولدي ان تخاطر بنفسك من اجلي وتلاقي هناك الاتعاب والاوصاب فما انا مبغضك وخير لي ان ارى بلادي خرابًا من ان اراك متضجرًا مني والناس تنسب اليَّ عدم الوفاء والامانة وكان كسرى يعلم صدق حمزة وانه اذا عزم على شيء لا يرجع عنه مطلقًا وعرف ايضًا انه وعد بالذهاب الى سرنديب الهند ولا بد له من الرجوع ولذلك قصد ان يمكنه من الثبات على كلامه وان يظهر له انه يحبه ولا يرغب في عذابه . وقد ادرك بزرجمهر ان هذا الكلام هو مصنع بين بختك والملك غير انه راى نفسه انه مضطرًا الى السكوت ومجاراة سيده وقد قال في نفسه لا بد من نجاح الامير حمزة كيف كان الحال وان العناية تساعده كيف سار ولا بد ان تكون هذه السفرة محمودة العواقب حميدة الجدوى

وبعد ذلك نهض الامير حمزة وجماعته فودعوا الملك واعيانه وخرجوا من الديوان وما منهم الا من ينتفض من الغضب والغيظ ولا سيما معقل البهلوان فانه قال للامير ان الاذلال للاعجام ضرب من الجنون فانهم ينوون لك شرًّا ومن الصواب ان نوقع بهم ونقيمك ملكًا مكان كسرى فتتزوج بمهردكار ولا تحتمل اثقال خباثتهم وحيلهم فيظنون ان المحال يطلى علينا واننا نصدق كلامهم وناخذه على محمل الصدق فيستصغرون عقولنا ويضحكون من غباوتنا فلما سمع الامير حمزة كلام معقل تنهد وارسل الدموع على خدوده وقد تذكر حب مهردكار وقال له يااخي لا تلمني على انقيادي لكسرى الا تعلم ان التي احببتها هي بنته ومن الواجب على الانسان اذا احب فتاة جميلة وفريدة عليه ان يطيع ويكرم اقرب الناس اليها ليتوصل الى غايته بسهولة وصفاء عيش نعم اني اعرف اذا جردت سيفي نلت غايتي باسرع من لمح البصر لكن كيف يطيب عيشي مع زوجة قتلت اباها واخاها . فارى من واجبات الحب ان اصبر الى ان تفرغ

جعبة صبري واجتهد في مرضاة ابي محبوبتي وابذل الجهد وما في امكاني ولا بد ان الله سبحانه وتعالى يجعل حدًّا اخيرًا لكل هذه الامور ومما اعرفهُ ايضًا اني سارجع فائزًا ومنصورًا في هذه المرة واوكد ان كسرى وبختك سيختلقان عذرًا اخر ومانعًا اعظم فيطلبان مني ازالته . فقال عمر العيار سر يااخي على توفيق الله فاني ارى من نفسي ان هذه السفرة تعود علينا بالنفع العظيم ويحصل لنا الخير العميم واما مهردكار فانها باقية لك ولا يمكن لاحد غيرك ان ينال منها مرادًا او يتوصل اليها على سبيل الزواج ما زلت انت في قيد الحياة . وداموا في مسيرهم الى ان وصلوا الخيام فتفرق كل الى صيوانه بعد ان سالوا الامير انهم يسيرون معهُ في ركابهِ فاجابهم الى طلبهم لعلمهِ ان بلاد الهند بعيدة وانهُ بحاجة الى مساعدين ورفقاء

قال وكان الامير عند خروجهِ من الايوان مال بانظاره حسب العادة الى الشباك فراى مهردكار واقفة بهِ تنظر اليهِ وهي تنتظر ان تقرأ في وجههِ معاني اسطر الحديث الذي كان بينهُ وبين ابيها لتعلم هل هو في فرح او في كدر فرانهُ قد بسم عن شنب ينطوي تحتهُ الغيظ والحنق فسقط قلبها من مكانهِ وتاكدت ان الامر خطر والوقت حرج وانهُ لم يكن راضيًا من ابيها وطار فوادها الى معرفة الحقيقة فدعت في الحال خادمها وامرتهُ ان يكتشف لها امر الامير ويسالهُ عما كان من امر ابيها ودفعت اليهِ الطعام ايضًا ان يقدمهُ اليهِ فاخذه وسار الى ان جاء صيوان الامير فدخل عليهِ وقبل يديهِ وقدم لهُ الطعام الذي جاء بهِ وقال لهُ اعلم ياسيدي ان سيدتي باضطراب عظيم من جرى ما رائهُ على وجهك في هذا اليوم من وسام عدم الرضا فالقاها في الياس وهي تجهل ما كان واقعًا بينك وبين ابيها وقد اوصتني ان اسالك الخبر واستفسره منك ليطمأن بالها . فحكى لهُ الامير حمزة كل ما جرى بينهُ وبين ابيها وقال لهُ اخبر مولاتك اني صادق المودة واراعي حرمة ابيها اكرامًا لها فلو كلفني الى ان القي بنفسي في اتون من النار وكان ذلك لاجل خاطرها ورضاه لما تاخرت دقيقة حيث يبقى لي بقية امل ان انجو من النار فاعود اليهِ مسترضيًا طامعًا بان يكون قلبهُ قد تغير وانقلبت تلك الاسباب العدوانية وعرف الحقيقة فامات قول الحواسد واحيى امال صفيهِ ومخلصهِ . ثم ان الخادم رجع الى مولاتهِ وشرح لها كل ما سمعهُ وكانت بالانتظار على مقالي النار تنقلى وتنشوى لا تعرف مايكون الجواب الى ان سمعت ما سمعت فشعرت بانفطار كبدها وكادت تقع الى الارض واسودت الدنيا في عينيها وتركت دموعها تتدحرج على خدودها ونظرت الى الارض ضائعة العقل خائرة القوى مشتتة الافكار لا تعرف اتذم حظها او تذم الزمان او تذم ابيها واشتد عليها الغيظ عندما طرق ذهنها ان كل تلك الاعمال لا بد ان تكون بتدبير الوزير بختك ومسعاه فهو عدوٌّ للامير ولها ودامت على البكاء والشكوى على حالتها ولم يكن لها سلوة قط حيث ثبت بفكرها ان طريق الهند بعيدة وان

المقصد موت من احبتهُ وغاية ما يرجوا ابوها هلاكهُ واعدامهُ والتخلص منهُ وكل ذلك مما جعلها ان تقطع الرجاء لولا تعقلها وحكمتها ومعرفتها ان الزمان كريم التعال بقدر ما هو لئيمها يجود ويبخل وياخذ ويعطي ويضحك ويبكي وان لا بد من نوال المراد اذا ثبتت مع حبيبها على المودة لكن يلزم ان يكون موفقًا من الله ليعود سالمًا . واشفعت بكاها بنظم الاشعار فقالت

طرب الفؤاد وعاودت احزانهُ ونشعبت بشعابهِ اشجانهُ

وبدا لهُ من بعدما اندمل الهوى برق تألق موهنًا لمعانهُ

يبدو كحاشية الرداء ودونهُ صعب الذرى متمنعًا اركانهُ

فبدا لينظر اين لاح فلم يطق نظرًا اليهِ وحده سجانهُ

فالنار ما اشتملت عليهِ ضلوعهُ والماء ما سمحت بهِ اجفانهُ

واقنع بما قسم الالهُ فامره ما لا يزال على الفتى اتيانهُ

والبؤس ماضٍ لا يدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك اوانهُ

وبقيت هذه الحالة حالتها كل مدة غياب الامير فهذا ما كان منها واما ما كان من حمزة فانهُ نام تلك الليلة على نية السفر في الصباح وعندما اشرقت شمس اليوم الثاني وتكسرت اشعتها على البسيطة وهب نسيم الشرق باردًا نهض الامير حمزة كالاسد الى جواده فركبهُ وامر ان تركب العرب حالاً ليسير عن تلك الجهة فلا يبقى لهم اثر فيهم فركب الجميع من الصغير الى الكبير وانتشرت راية العرب فوق راس الملك النعمان وهو راكب الى جانب حمزة والى جانب اصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وعمر العيار يسير امام الجميع بجماعتهِ العيارين وهو يجري باسرع من لمعان البرق وباعجل من طيران الطير وما تعالت شمس ذاك النهار الا كانت العرب قد بعدت عن المدائن وتوغلت في الطرقات . واستلموا طريق سرنديب الهند لا يعلمون ما يكون لهم هناك وحمزة يتمنى سرعة الوصول اليها لينهي الامر الذي جاء بطلبهِ ويعود حالاً الى كسرى وليطمئن بال حبيبتهِ من قبلهِ لانهُ يعلم انها تبقى كل مدة غيابهِ مضطربة الافكار ضائعة العقل لا تعلم ما يجرى عليها وما من احد ليوصل اخباره اليها لا سيما وهو سائر الى محار بة رجل اشتهر بين العالم بالبطش والاقدام والبسالة وان اباها ارسلهُ الى هناك لاجل التخلص منهُ واهلاكهُ في تلك النواحي ودام العرب على مسيرهم مدة ايام وليال يسيرون اكثر الليل وقسم من النهار وعند اشتداد الحرّ ينزلون ويقيمون في الخيام الى ان وصلوا

وكان بختك لما راى العرب قد اقلعت عن تلك الديار فرح فرحًا عظيماً وسرّ سرورًا لا مزيد عليهِ واجتمع بالملك كسرى وقال لهُ انظر كيف اننا براحة من زمخة اولئك الاوباش فقد خلت الديار ولم يبقَ لهم فيها آثار وصرنا نقدر ان نعي على انفسنا ونلتفت الى ذواتنا وندبر

امر ملكنا فما العرب الا نقمة لنا حلوا علينا بكل ثقالتهم وغلاظتهم فاذا ابقيناهم على مسراهم تعبنا معهم جدًا . فقال لهُ كسرى اني اشعر الان براحة من قبلهم وما كنت اكرمهم الا اكرامًا لخاطر الامير حمزة لانهُ فارس صنديد وامين على خدمة حكومتنا . قال اننا لا نحتاج الى امانتهِ وخدمتهِ وعندي ان نفس حمزة لابد ان تطمح عينهُ ذات يوم الى الجلوس على كرسيك ولبس تاجك وذلك بعد ان يتزوج بينتك مهردكار ويظن في نفسهِ انهُ صالح لذلك وتقع الحروب بين العرب والعجم ونكون نحن السبب في خراب دولتنا وانت تعلم ان العرب يربون على الغزوات والغارات لا يتعلمون ولا يتهذبون فينشاؤن على اقبح طريقة واسوء حال ولذلك لا يعرفون قدر الملوك ونعمهم . ودام بختك في مثل هذا الحديث الى ان امتلأ صدر الملك كسرى حنقًا على الامير حمزة والعرب وصار يطلب هلاكهم ويتمنى كل التمني ان لا يعودون من هذه السفرة ولا يرجعون اليهِ فيراهم في ديوانهِ مرة ثانية . وبعد ذلك طلب بختك من كسرى ان يسمح لهُ بخاتمهِ وقال لهُ مرادي ان اكتب كتابًا الى اندهوق صاحب سرنديب اطلعهُ على باطن المسالة وظاهرها واشرح لهُ كل ما توقع لنا واسالهُ اخيرًا هلاك العرب وتبديد شملهم واذا فعل ذلك كان لهُ منا الخير العظيم فوافقهُ كسرى على ذلك فكتب بختك

من كسرى ملك العجم والعرب وحاكم الارض بالطول والعرض الى اندهوق صاحب سرنديب الهند فارس فرسان هذا الزمان وفخر ابطالها الشجعان

اعلم ايها الصديق الودود انهُ خرج من العرب فارس صنديد اسمهُ حمزة العرب من برية الحجاز وجاء بلادنا ونحن بضيق عظيم مع خارتين فقتلهُ واعاد البلاد الينا فاكرمتهُ على ذلك وانعمت عليهِ وقدمتهُ من ديواني حيث رايت من قواعد الانسانية ان يكرم من هو مثلهُ فلما راى مني هذا الاكرام الزائد حدثتهُ نفسهُ بان يتخذ بنتي زوجة لهُ فغاظني منهُ ذلك وتكدرت منهُ مزيد الكدر ان اكون كسرى انوشروان ويطمع بزواج بنتي احد العربان . وعند ذلك اردت ان امنعهُ وابعده فارسلتهُ الى رجل عاص يقال لهُ معقل البهلوان في حصن تيزان على امل ان يهلكهُ وارتاح من شرهِ فسار اليهِ ولحسن حظهِ تغلب عليهِ وقاده ذليلاً الى ديواني ثم اصطحب معهُ وصار لهُ صديقًا صدوقًا ولهذا عاد ثانيًا الى طلب زواج بنتي . كما كان قبلاً وسألني ان ازفهُ عليها واسلمهُ اياها فكان من وزيري بختك انهُ قال لهُ اننا لا يمكن ان نزفها عليك ما لم يصفُ بالنا ويطيب عيشنا لان اندهوق صاحب سرنديب عدونا ويريد ان يزحف على بلادنا فلخسافة عقلهِ صدق ذلك وفي الحال وعد انهُ يسير اليك ويقبض عليك وياتي بك مقيدًا اسيرًا الى ديواني وانت على الذل والاهانة وكان فكر وزيري انك فارس صنديد لا يوجد لك ثانٍ في هذا الزمان فتهلكهُ وتعدمهُ الحياة وتريحنا منهُ ونعطيك عوضًا عن

ذلك حكومة العرب او غيرها . والان اخبرك ان الامير حمزة وجماعتهُ قد ساروا الى بلادك على امل ان ينفذوا غاية الامير حمزة فدبر انت امره واذا تم لي مطلوبي اي اذا اهلكتهُ وفعلت به ما اريد اعطيك كل ما تطلبهُ والسلام

ثم ان الوزير بعد ان ختم الكتاب بختام الملك طواهُ وسلمهُ الى الرسول واوصاه بالسرعة وان يسبق العرب الى سرنديب ويعطي الكتاب الى اندهوق ودفع اليهِ هدية فاخرة من الجواهر والاموال يقدمها لهُ ويخبره ان هذا جزءٌ من كرامة الملك لهُ . فاخذ الرسول الكتاب وسار على غير الطريق الذي سارت فيهِ العرب حتى وصل الى سرنديب فدخل على اندهوق وناولهُ الكتاب وبلغهُ رسالة كسرى وبعد ان قرأ الكتاب صبر الى حين وصول العرب واستنتج مآل التحرير ان كسرى يريد ان يظلم الامير حمزة ويعاملهُ بغير ما استحقهُ وحيث انهُ قال انهُ خلص لهُ بلاده فيريد ان يهلكهُ ويعدمهُ الحياة غير انهُ كتم ذلك الى وقتهِ

ولا زال الامير حمزة وباقي العرب سائرون من مكان الى مكان عدة اسابيع الى ان اقبلوا على وادٍ يقال لهُ وادي سرنديب وهو يبعد عن بلاد اندهوق مدة عشرة ايام فرات العرب في ذاك الوادي كثرة الاشجار وينابيع المياه وحسن الهواء فنزلت فيهِ وهي منتعشة الارواح من جرى الروائح الذكية المنبعثة عن الزهور العطرية ولاح لحمزة ان يقيم في ذاك الوادي ثلاثة ايام ليرتاح من معهُ من التعب الذي لحق بهم مدة السفر الطويل فضربوا خيامهم وشدوا اطنابهم وسرحوا خيولهم مسرورين بقيامهم بذاك الوادي طول ذاك النهار وفي اليوم الثاني ركب الامير حمزة وقصد ان يوسع في البر اولاً ليصطاد من وحش ذاك الوادي وثانياً ليتفرج عليهِ فسار عن المعسكر مقدار ساعتين ثم استلم طريق الآكام والجبال وجعل يسير فيها وهو لا يرى وحشاً ولا ما يصطاده فتعجب كيف ان ذاك المكان خالٍ من الوحوش والارانب الا انهُ داوم المسير وتقدم شيئاً فشيئاً الى ان اشتد الحر وحمي الهجير فاشتاق الى شرب الماء وكان قد وصل الى نصف الجبل فلم يرَ هناك ولا عين ماء فعرف ان الماء كلهُ في الاسفل غير انهُ امل ربما يلاقي بعد قليل عين ماء فجعل يتقدم وكلما تقدم يشتد عليهِ الحر ويهيء حتى ضاقت منهُ الانفاس وبينما هو على مثل ذلك واذا لاحت منهُ التفاتة الى راس الجبل فتبين هناك صومعة عليهِ ففرح وقال لا بد ان يكون في هذه الصومعة اناس يسكنونها فيوجد عندهم الماء فاطلق لجواده الاصراف العنان وسار يتقدم بسرعة حتى وصل الى اعالي الجبل ودنا من الصومعة وطرق بابها ففتح لهُ فدخل واذا بهِ يرى اربعين شيخاً يسكنون فيها وكلهم بذقون بيضاء وثياب بيضاء قائمين على الصلاة والعبادة فحياهم وقال لهم هل تسمحون لي بشربة ماء فلما سمعوا كلامهُ وشاهدوه تقدموا منهُ وقالوا لهُ على الرحب والكرامة يا حمزة وجاؤُهُ حالاً بالماء فتعجب كيف انهم عرفوه في الحال

ولم يروه قبل ذلك اليوم وبعد ان شرب قال لهم اريد ان اسألكم من اين عرفتموني فناديتم باسمي ومن الذي اخبركم عنهُ . قالوا ان الخضر عليهِ السلام من زمان طويل حضر علينا في هذه الصومعة واخبرنا انهُ سيأتيها في زماننا الامير حمزة العرب من برية الحجاز من اشرف مكان في العالم اي من مكة المطهرة فيزوركم وهو عطشان ومن ذاك اليوم الى يومنا هذا لم يحضر الينا احد سواك غريب . ونحن على الدوام نصلي لله وقد خصصنا انفسنا لعبادتهِ اناء الليل واطراف النهار واننا نبشرك ان لك عندنا امانة اوصينا من سيدنا الخضر عليهِ السلام ان نسلمك اياها . ثم جاءوه رمح طويل مكعب يلتوي كالافعى لهُ سنان حادٌ مسقى بالسم اذا مر على الجسم قتل . ودفعوا اليهِ ايضاً ثوباً ثميناً مدبجاً بالزخارف وفيهِ اللؤلؤ والياقوت والجواهر مما يأخذ بالابصار فتعجب منها واندهشت ابصارهُ واخذها واخذ الرمح وقد فرح بهِ فرحاً لا يوصف وشكر رجال الله وودعهم ورجع من حيث اتى وهو طائر الفؤاد وقد لبس الثوب على جسمهِ وتقلد بالرمح ودام في رجوعهِ الى ان بقي بينهُ وبين المعسكر نحو ساعة واذا باخيهِ عمر قد خرج لانهُ كان قد استبطاه وانشغل باله عليهِ حيث قد ذهب ولم يخبرهُ ولا اخذهُ معهُ فلما راهُ مال اليهِ وسلم عليهِ واندهش مما رأى من ثيابهِ والرمح الذي معهُ وقال لهُ من ابن لك هذا كلهُ ومن اين جئت بهِ . قال نصيب كان لي في مكان فدفع اليَّ ثم اخبرهُ بخبرهِ وما كان من امر الشيوخ الذين في الصومعة فقال لهُ انك لا ترغب في ربحي لان لا بد ان يكون لي نصيب في ذاك المكان ولو اخذتني معك لكنت حصلت على مثل ما حصلت عليهِ انت فسر الى المعسكر وانا لا ارجع ما لم ازر الصومعة واطلب من الشيوخ نصيبي

ثم ترك الامير وقمز كالغزال وانطلق كالبرق يسير بسرعة كلية وبمدة قصيرة وصل الى تحت تلك الصومعة فرأى باباً مقفلاً فطرقهُ واذا بهِ قد فتح فدخل وشاهد الشيوخ فسلم عليهم فترحبوا بهِ وقالوا لهُ اهلاً وسهلاً بالامير عمر العيار فتعجب من امرهم وقال لهم كيف عرفتم بي وان اسمي عمر قالوا ان ذلك نعرفهُ من زمانٍ قال اني اسالكم هل من نصيب لي عندكم كنصيب الامير . فقالوا لا بل نصيبك عندنا افضل من نصيب الامير ونحن بانتظارك تاتي من تلقاء نفسك . ثم ذهب احد الشيوخ وجاءهُ سيف صقيل مجوهر لا يوجد مثلهُ في ذاك الزمان وقال لهُ هذا لك يا عمر واني كنت وكيلاً عليهِ لاسلمهُ اليك واسمهُ ذو الشطلين . فاخذهُ وقد فرح بهِ كثيراً ثم قال وهل باقي لي نصيب عندكم فاعطوني اياهُ ولا تحرموني منهُ . فقام شيخ آخر وجاء بخنجر احسن من السيف قبضتهُ من الماس وهو مصفح بالذهب محلى بهِ وقال لعمر خذ هذا فلا نظير لهُ في هذا الزمان واسمهُ خنجر اسماعيل وهو محفوظ لك من زمن اسماعيل فانبهر منهُ عند ما اخرجهُ من قرابهِ ثم انهُ التفت الى شيخ ثالث وقال لهُ واين ما عندك لي فذهب وجاءهُ بجراب من الجلد طولهُ ذراع

وعرضة ذراع فدفعها اليهِ وقال لهُ هذا يا امير عمر اسمهُ جراب اسماعيل مهما وضعت فيهِ لا يمتلي يعني لو ادخلت فيهِ هذه الصومعة ونحن كلنا لما بنا فيهِ فاعجبهُ ذلك اكثر من الجميع . ثم قال للرابع وانت هل سلم اليك لي شيء فادفعهُ حالاً لان الله يسالك عنهُ في اليوم الاخير . فقام الشيخ وجاءهُ بطاقات من الجلد وقال لهُ اذا لبست هذه في رجليك ومشيت الدهر بطولهِ لا تشعر بتعب ولا ملل ولا وجع حتى لو طفت الارض بطولها لامكنك ذلك بسهولة . ثم قام الخامس والسادس فجاءهُ الاول بمرآة والآخر بمكحلة وقالا لهُ هذه المكحلة اذا تكحلت فيها وضربت على المرآة بقضيب وقلت بحق ما كتب عليكِ من الاسماء اصير مثل فلان تصير في الحال مثلهُ وبهما يمكنك ان تكون مثل من شئت واذا اردت ان تقصد مكانًا او محلاً فضع المرآة لجهة القبلة فاذكر اسم المكان الذي تكون قاصدهُ يظهر لك في الحال بطرقهِ وكل جهاتهِ . فطار قلبهُ من هذه البشارة وفرح بي فرحًا عظيمًا وسرَّ سرورًا لا مزيد عليهِ ثم سأل الباقين اذا كان عندهم شيء لهُ فقالوا ليس لك عندنا الاَّ الدعاء . فودعهم وخرج من عندهم وهو فرح بالذخائر وكلها نافعة ضرورية لهُ وقد تاكد انهُ ملك الدنيا باسرها وبقي سائرًا الى جهة المعسكر حتى كاد يقرب منهُ فلم يرد ان يظهر نفسهُ لقومهِ او يخبرهم بما نال بل قصد ان يجرب المكحلة والمرآة وكان الوقت اذ ذاك بعد نصف الليل فذهب الى ناحية صيوان ملك النعمان ودخل عليهِ من وراء وهو نائم ورفعهُ الى الخارج ووضعهُ في صيوان بعيد عن صيوانهِ ورجع الى فراشهِ وانتظر الى قبل الصباح فاخذ المكحلة وتكحل بها ومسك المرآة فنظر فيها وهو يقول بحق ما كتب عليكما من الاسماء العظام اني اريد ان اصير مثل الملك النعمان هيئة وجسما ثم لبس ملابس النعمان فرأى نفسهُ كانهُ هو وقد تغيرت كل حالتهِ واصبح من يراهُ ويرى الملك النعمان لا يعلم ايهما الصحيح .

وبعد ذلك جلس على كرسي الملك واقام ينتظر العرب وهي تاتي اميرًا بعد امير وكل واحد يصل ويسلم على عمر وهو يظنهُ الملك النعمان يجلس في موضعهِ حتى كملت العرب ودار بينهم الحديث حسب عاداتهم ولم يخطر في بالهم شيء مما تقدم وفيما هم على ذلك تقدم النعمان ودخل الصيوان وهو مندهش لانهُ كان قد استيقظ فوجد نفسهُ في غير صيوانهِ فتكدر جدًا وما عرف من عمل معهُ ذلك وبقي اكثر من ساعة مضطربًا محتارًا في امره الى ان هدأ باله وراق ضميرهُ واستكن ولم يرَ من خوف عليهِ فقام وجاء الى المكان المضروب فيهِ صيوانهُ ودخل على العرب فوجد عمرًا جالسًا في مكانهِ بملابسهِ وصفاتهِ فتعجب مزيد العجب ولم يعد يتمالك نفسهُ من الغيظ وصاح على غير وعي من انت ايها الساحر المتعدي الغاش فنظرت اليهِ العرب فرأتهُ انهُ الملك النعمان ثم نظروا الى عمر فوجدوا انهُ النعمان ايضًا فانبهروا وحاروا في امرهم وهم ينظرون من الواحد الى الآخر لا يعلمون ايهما النعمان هذا والنعمان يصيح عن غضب وقد قال لجماعتهِ ويلكم

انا ملككم كيف تقبلون بهذا الرجل الساحر الذي يريد ان يغشكم ويجعل نفسهُ ملكًا عليكم فلم يجب احد منهم بكلمة لما لحق بهم من الحيرة ولاسيما الامير الاَّ انهُ نهض مغتاظًا وجاء الى النعمان وقال لهُ ابن كنت ومن ابن اتيت فاخبرنا جلية امرك لنفحص الامر لان هذا الجالس على الكرسي هو ملكنا وهذا صيوانهُ وقد وجد فيهِ منذ الصباح وهذه الملابس ملابسهُ قال اني نمت في هذا الصيوان امس وفي هذا الصباح وجدت نفسي في غيره لا اعرف من نقلني الى هناك ولا ريب ان هذا الساحر عمل هذا العمل

ولما رأى عمر العيار ان النعمان نغيظ عظيم وكدر جسيم نهض عن الكرسي وقال لا تواخذني ياعميي فما انا النعمان بل انا عمر العيار فتعجب الجميع من عملهِ وبهتوا فيهِ فحكى لهم كل ما كان من امره في الصومعة وما نالهُ من الذخائر والتحف التي سمح لهُ بها شيوخ القلعة فلما سمع العرب كلامهُ تعجبوا منهُ وقالوا لهُ لقد اعطيت ياعمر ما يطيب بهِ قلبك ويسرُّ بهِ خاطرك ويعود علينا بالنفع العظيم فما ذاك الاَّ من تدبيره تعالى ثم قال لهم وما عملت هذا العمل الاَّ لاجرب امر المملكة هل هي كما قيل لي فوجدتها كذلك لانها اعظم الاشياء لنا نقدر ان ندرك فيها الغاية في كل زمان ومكان فقال النعمان وهلاَّ اردت ان تجرب الاَّ بي حتى اغظتني وكدت تضيع مني عقلي . قال اني اعرف ان ذلك جسارة عظيمة لكن اردت ان اكون ملكًا لاعرف هل ان العرب يعرفون ملكهم حيث كلهم ينظرون دائمًا اليهِ ولا بد لي ان افعل ذلك ذات يوم مع الاعداء . ثم اعتذر اليه وقبل يديهِ وترضاهُ فرضي عنهُ وشكرهُ على عملهِ وانعم عليهِ بالف دينار فاخذها وسار الى جماعتهِ حالاً ففرقها عليهم ونثرها فوق رؤُسهم وهم يلتقطونها . وبعد ذلك قامت العرب مدة ثلاثة ايام في ذلك الوادي وعند صباح اليوم الرابع ركبوا باجمعهم وساروا عن تلك النواحي يقصدون بلاد اندهوق وفي نية حمزة ان يدوخ تلك البلاد ويأتي بهِ ذليلاً حقيرًا كما وعد الملك كسرى وقد تذكر محبة حبيبتهِ مهردكار وما هي عليهِ من الجمال والمودة والبهاء وما يعاملهُ ابوها من الاحتقار وعدم المراعاة ونكران الجميل فعظم عليهِ الحال وضاق صدرهُ من اجل ذلك وفكر ان الزمان لا يريد ان يعاملهُ على الصفاء والمودة بل يقصد لهُ التشتيت والبعد عمن يحب فيخلصهُ من جهة ويذهب بهِ الى جهة ثانية ومهردكار من اجلهِ على مقالي النار تحسر وتحرق ولا تقدر ان تأتي بعمل ولذلك باح بما في ضميره فانشد يقال

يافقر جهدك فاتسع بجهاتك ۝ فمتين عزمي ناهبًا فلواتك
مهما اتسعت فانني ذو همة ۝ تبغي الوصول لمنتهى جنباتك
ارض الحجاز وطيب تربكِ انني ۝ متشوقٌ لكِ فارسلي نسماتك
ريح الحجاز عن الاحبة فاخبري ۝ فخواطري تهفو الى خطراتك

وتحملي عنهم لذيذ حديثهم وزكي طيبهم على صفحاتك
وتشرفي من ارض مكة دائمًا فترابها مسك يعطر ذاتك
يادار كسرى ان قلبي هائم وحنينهُ ابدًا الى عرصاتك
لي بالمدائن غادة عجمية ماضي لواحظها بقلبيَ فاتك
هيفاء ناعمة الخدود جميلة ياقلب باهي في جمال فناتك
هي بنت سعدى والكمال لها اب يابدر فالخر فهي من اخواتك
راقت محاسنها ولاح جبينها كم اشرقت ياقصر في طاقاتك
نظرت لنحوي نظرة فتكت بها بحشاشتي اواه من نظراتك
يابنت كسرى قد جبرت لكسر قا م بي عندما احييتني بحسناتك
جار العداة عليَّ ياأخت المهى لكنني سابيدهم وحياتك
سابيدهم طمعًا بانهمُ اذا هلكوا قطفت الورد من جنّاتك

وكان الامير حمزة ينشد وزفراتهُ تتصاعد واعينهُ تدمع وكان سائرًا الى جانب الامير معقل فعذرهُ وقال لهُ لا بد ان الدهر يعترف بفضلك فيخدمك وتحيط السعادة بك من كل الجهات وتنقضي هذه المصاعب فاصبر لنوال مرادك كيف لا وسيفك ثقيل وباعك طويل وانت قادر على نوال كل امرمها كان صعبًا وبين يديك فرسان وابطال لو حملت بهم على الجبال لدكوها او البحار لغوروها قال اني اعرف اني بقوة سيفي انال مرادي لكنني لا اقدر ان اجرد هذا السيف لمثل هذه الغاية ولا انال المراد الاَّ بالصبر الى ان تفرغ جعبة صبري والاَّ فما زلت ارى نفسي قادرًا على الصبر فاتحمل كل عذاب بشكر ورضا

ولا زالت العرب سائرة على ما تقدم الى ان قربوا من سرنديب الهند ولم يبقَ بينهم وبينها الاَّ مسافة نصف يوم وكان الامير حمزة ومعقل البهلوان يسيران في المقدمة لوحدها وبين يديهما عمر العيار وفيما هما سائران اذ نظرا عن بعد فارسًا بعيدًا عنهما وبين يديهِ رجل يسير بسير الجواد فقال حمزة لعمر اذهب انظر لنا هذا الفارس واتنا منهُ بالخبر اليقين فانطلق عمر باسرع من البرق وكان ذاك الفارس هو اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الذي جاء حمزة من اجلهِ وقد خرج مع عياره شيجان للصيد على حسب عادتهِ وفيما هو سائر في البرية رأى الامير حمزة ورفيقهُ فقال لعياره اني مشتبه في حال هذين الفارسين فاني اراهما منفردين ومعهما راجل يسعى باخف من الطير وهم يقصدون المدينة واريد منك ان تذهب حالاً اليهم وتستطلع على احوالهم حتى اذا كانوا من الاعداء بادرت اليهم واهلكتهم الكبير والصغير وفيما هما على مثل ذاك انفرد عمر العيار عن اخيهِ معقل فقال اندهوق لا ريب انهم غرباء يجهلون امري ولذلك بعثوا

بعيارهم نحوي فسر اليهِ واخبرهُ بحالي ومرهُ ان يتقدم مني ويعرفني بصاحبيهِ ويشرح لي حالهما ومن اي البلاد هما . فانطلق شيحان الى ان التقى بعمر العيار فصاح بهِ وقد استصغرهُ بعينهِ عندما رآهُ اسود وتركيب جسمهِ اعجوبة وقال لهُ ويلك يا ابن الزنا اخبرني من انت ومن معك من اوباش الناس فعجل بالجواب قبل ان يصل اليك قضاء الله المنزل وغضبة المبرم اندهوق بن سعدون فتنفعون بالندم . فلم يجبهُ الامير عمر بشيء بل رفسهُ برجلهِ القاهُ الى الارض ولف يده الواحدة على عنقهِ والثانية في اعالي رجليهِ ورفعهُ الى فوق راسهِ وعاد يعدو كالغزال حتى وصل الى بين يدي اخيهِ حمزة فالقى شيحان وقال لهُ هاك يا اخي عيار اندهوق الذي اتينا بطلبهِ فاساً لهُ ما شئت وما فعلت معهُ ذلك الاَّ لما اغلظ بالكلام فهو يستحق القتل . فقال لهُ الامير حمزة من الذي بعثك ومن هذا الفارس الذي كنت بين يديهِ قال هذا سيدي اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب وقد خرج للصيد وفي اثناء ذلك بعثني لاكشف لهُ خبركم لانهُ تعجب من وجودكم وحدكم وعليكم ادلة تدل بانكم غرباء ولما وصلت الى عياركم فعل بي ما فعل وما حسب حساب سيدي صاحب البلاد وفارس ميدان الطراد . فقال لهُ حمزة لو لم تطل الكلام لما فعل معك ما فعل والان عد الى مولاك فاننا لا نتعرض لك باذى واخبرهُ انني انا الامير حمزة العرب بهلوان تخت كسرى انو شروان وقد جئت بجماعة العرب من قبل الملك كسرى لاقبض عليهِ واخذهُ اسيرًا الى المدائن واخبرهُ ان لا بد لي من ذلك ومن الموافق لهُ ان يسلم اليَّ لا قتال ولا نزال وينزع سلاحهُ فيرى مني خيرًا وبعد ان اقدمهُ الى كسرى اطلقهُ واتخذهُ صديقًا لي وصاحبًا فعاد العيار شيحان وهو لا يصدق بالخلاص من يدي عمر العيار وبقي سائرًا حتى وصل الى بين يدي مولاهُ وشرح لهُ كل ما تقدم وقال لهُ اعلم يا سيدي ان هذا الامير هو فارس برية الحجاز وللشجاعة عليهِ دلائل وعلائم غير انهُ مفتخر بنفسهِ متعاظم وقد قال لي ان ابلغك ان تسلم اليهِ اسيرًا ليأخذك الى بلاد كسرى مقيدًا وهو لا يعلم من انت ويجهل مقدار بسالتك فلما سمع اندهوق كلام عيارهِ لم يهتم بهِ وكانت قد وصلت اليهِ كتابة الوزير وعرف معنى اتيان الامير حمزة ولذلك قال لعيارهِ عد بنا الان الى المدينة فما من رغبة لي بقتال حمزة لانهُ رجل عاشق رماهُ العشق بسهام صائبة فرمى بنفسهِ في المصاعب لنوال مرادهِ ولا بد من صرف الجهد قبل كل شيء الى مسالمتهِ لانهُ يعبد الله عزَّ وجلَّ وما من عداوة بيننا

ثم انهُ رجع اندهوق الى المدينة ودخلها ونام تلك الليلة الى الصباح وكان الامير حمزة قد اجتمع بجماعتهِ العرب فجاء بهم وضربوا خيامهم بالقرب من المدينة وانتظروا الى الصباح وفي الصباح كتب اندهوق كتابًا الى الامير حمزة يقول لهُ فيهِ

اعلم ايها الامير انك سلكت في الاعجام مسلك التطرف بالطاعة وحفظت لهم المودة والزمام

مع انك تعلم انهم من الكفرة يعبدون النار ويتركون الله الواحد الجبار وتعلم ايضاً انهم اعداء يقصدون لك الهلاك والوبال . فما بعثوا بك اليَّ الاَّ انتقاماً منك وخباثة منهم ليرموا بالعداوة بين عبدة الله سبحانهُ وتعالى ولذلك لا اريد ان يقع مكدر بيني وبينك لا خوفاً من حسامك والسنان لاني اعرف مقدرتي واني في كل ساعة اقدر ان اقبض عليك ولكن لما لم يكن بيني وبينك عداوة سابقة وكان كسرى ووزيرهُ عاملان على هلاكك وظلمك قصدت ان ابين لك الصواب من عدمهِ واحذرك ان لا تخاطر بنفسك بل تاتي اليَّ وتتفق معي وعليهِ فاني اسير واياك الى المدائن ونخرب بلاد كسرى وازوجك بنتهِ رغماً عنهُ وعن رجالهِ والاَّ فانك نادم فيما بعد وهذا اعرضهُ عليك من باب النصيحة والسلام

فاخذ شيحان الكتاب وسار بهِ الى الامير حمزة ولما فتحهُ وقرأهُ وعرف بهِ تاكد حسن طوية اندهوق ودخل في ذهنهِ ان لا بد للوزير بختك ان يكون قد كتب لهُ كتاباً يخبرهُ بواقعة الحال ويطلب اليهِ هلاكهُ الاَّ انهُ وجد نفسهُ مضطرًّا الى قتال اندهوق واسره في ساحة الميدان وفاء لوعده في ديوان كسرى ولقسمهِ بانهُ ياتي بهِ اسيرًا ذليلاً ولذلك كتب لهُ الجواب كما ياتي

من الامير حمزة فارس برية الحجاز الى اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب

اني اعرف جيدًا ان غاية الفرس وخيمة واعمالهم خبيثة وانهم يكرهون رجال الله وعباده واعرف ايضاً ان كسرى ما بعثني اليك الاَّ على امل ان يهلكني في هذه البلاد غير اني اريد ان ابين لهُ الصحيح من الباطل واظهر لهُ انهُ لو بعثني الى اقاصي الارض لعدت منصورًا ظافرًا ولذلك تراني اطلب اليك عن غير ارادة مني ان تلاقيني في الغد الى الميدان فيفصل بيننا عود الزان ولا خفاك اني اقسمت بالله في ديوان كسرى ان ادخلك عليهِ فقيدًا ذليلاً وهذا لا بد منهُ فاذا شئت ان تسلم اليَّ سلاحك وتعترف بشجاعتي وتعدني انك حال وصولك الى المدائن تسلمني نفسك فاقبض عليك وادخلك على الحالة التي وعدت بها ومن ثم اطلقك واجعلك من رجالي وابطالي والاَّ فما من وسيلة الاَّ بالحرب والنزال والسلام

و بعد ان فرغ حمزة من الكتاب دفعهُ الى شيحان ليوصلهُ الى سيده فاخذهُ ولما اوصلهُ اليهِ وقرأهُ عرف ان الامر لا ينفصل الاَّ بالميدان وان حمزة عاشق لا يرضى الاَّ ما في عقلهِ . ولذلك جمع بعض رجالهِ وخرج بهم الى ساحة القتال وهو على فيل ابيض من فيلة الهند وبيده عمد طويل كان يقاتل بهِ وهو من الحديد يبلغ ثقلهُ القنطار واسمهُ الكاؤس ولما صاروا بالقرب من العرب ضربوا خيامهم تجاههم وعاد اندهوق الى مراجعة الامير ثانياً ليرجع عن عزمهِ فلم يقبل معهُ بل تواعدا واعتمدا على البراز في اليوم القادم . وكان قد طلب معقل بهلوان من الامير حمزة ان يسمح لهُ بقتال اندهوق فقال لهُ هذا لا يمكن ابدًا لاني اريد ان اقضي امري بيدي ولا اريد احدًا

منكم يسحب سيفًا ما زلت قادرًا على البراز والنزال فالامر لا يحتاج اليكم والقتال بخصر بيني وبين خصمي لا غير

قال ولما اشرقت شمس اليوم الثاني وانقشعت الظلمة عن وجه البسيطة هبَّ الامير حمزة من رقاده فعمد الى الماء فغسل وجههُ وصلى لله ثم جاء سلاحهُ فافرغهُ عليهِ كاملاً وخرج من صيوانهِ فوجد اخاهُ عمرًا قد احضر اليهِ الجواد الاصفران وقدمهُ ليركبهُ فركب وتقدم الى ساحة النزال واذ ذاك ركب الملك النعمان وامراء العربان وتقدموا من الساحة ليروا ويتفرجوا ما يكون بين حمزة وخصمهِ وفي ظنهم انهُ سيقع بين الاثنين حرب هائلة عظيمة وفعل اندهوق ابن سعدون مثلما فعل الامير وتقدم من الساحة لملاقات خصمهِ ومن خلفهِ رجالهُ وقد اوصاهم ان لا يبدي احد منهم امرًا بل يقفون للفرجة اذ ليس القصد القتال بين عبدة الرحمن وفناء رجال الله بل وعد وعدهُ الامير حمزة واقسم لاجلهِ فيريد ان ينفذهُ وانهُ هو لا يسلم نفسهُ الاَّ اذا كان مغلوبًا وفي تلك الاثناء برز الامير حمزة الى الوسط فصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال حتي حارت بهِ عقول الرجال . ثم وقف في المنتصف وصاح طالبًا براز ابن سعدون فما انتهى من صياحهِ حتى برز اليهِ وهو فوق فيلهِ الابيض وعلى عاتقهِ عمدهُ الكاؤُس وعند وصولهِ الى امامهِ حمل عليهِ بقلب اشد من الصوان فالتقاهُ بشديد عزم وقوة جنان كما تلتقي الارض الجافة وابل الفيضان واختلف بينهما الضراب والطعان . وانبعث منهما زئير كزئير اسود خفان وشخصت لنحوهما الابطال والفرسان . منتظرة ما يكون من امرهما وما ينتهي اليهِ القتال . وداما على تلك الحال وهما على مثل تلك الحال . حتى حجبهما الغبار . عن النواظر والابصار . وبالحقيقة انهما كانا فارسين عظيمين وبطلين جسيمين . يندر وجود مثلهما في تلك الازمان . بين ابطاله والفرسان . وبقيا على مثل هذا الشان . الى ان اقبل الظلام بسواده . وولى النهار بجيوشهِ واجناده فعند ذلك انفصلا دون ان يبلغ احدهما من الآخر مرادهُ او ينال ما يتمناهُ وكان الاندهوق قبل أن يجرب نفسهُ مع الامير يظن انهُ لا يثبت امامهُ باقي النهار حتى بارزه فعرف انهُ بحر ما لهُ قرار . وقبان ما لهُ عيار . قليل الامثال بين الابطال . وتاكد انهُ لا بد ان يقع في يده وينفذ غايتهُ فيهِ ويأخذهُ اسيرًا . ويقودهُ الى امام كسرى حقيرًا واما الامير حمزة فانهُ مال الى محبة اندهوق عند ما تبين لهُ انهُ بطل صنديد قد تقلب على بساط البسالة فحفظ فروعها واصولها وعول بعد ان ياسرهُ يتخذهُ صديقًا لهُ فيفخر بهِ على ملوك الزمان ويقدر ان يملك الدنيا برمتها اذا كان عنده مثل هولاء الفرسان

ولما وصل كل واحد الى اصحابهِ تلقوه بالاحضان وهنأُوه بالعود سالمًا وسار الاندهوق الى صيوانهِ فنزع عنهُ آلة الجلاد وقد اجتمع عنده جماعتهُ فقال لهم اني اقول لكم والحق يقال ان

الامير حمزة فارس صنديد وبطل مجيد وقد تبين لي في هذا اليوم انهُ اسد كرار يزيدني الدرهم قنطار ولذلك اوصيكم انهُ اذا قتلني ان تنضموا اليهِ وتدخلوا في حمايتهِ وتتخذوهُ سيدًا لكم لانهُ يقدر ان يحفظكم من عبدة النار ومن غيره هذا اذا قدر الحال غير اني اعرف انا لا يقصد قتلي وجلّ غايتهِ اسري والمسير بي الى المدائن وهذا عليّ اصعب من القتل من ان يراني ملك الفرس مقيدًا بين يديهِ ذليلاً. فقال لهُ قومهُ دعنا نحمل نحن باجمعنا فينتشب القتال ولا بد اذ ذاك من وقوع طعن وضرب فنختلط كلنا على الامير ولا بد انهُ يغلب بالكثرة فقال لهم انكم بذلك لا تفوزون بالمطلوب على ان غاية كل واحد منا حجب ادمية عباد الله وسنرى ما يكون في الغد وامر الله لا بد منهُ. فهذا ما كان منهُ واما ما كان من الامير حمزة وقومهِ فانهم في المساء جاءوا اليهِ وقال لهُ الملك النعمان كنا قبل ان بارزت ابن سعدون نخاف عليك منهُ الى ان ظهر لنا انكما كفتا ميزان غير ان الانسان لا يعرف ما يكون لهُ من حوادث الزمان فدفعًا للخطر وحفظًا لراحتك نطلب اليك ان تدع معقل البهلوان يقاتل اندهوق في اليوم الآتي وكن انت مرتاحًا وبذلك نامن عليك. قال هذا لا اريدهُ ابدًا نعم اني اعرف ان خصمي هذا بطل صنديد وفارس شديد لا يوجد لهُ ثانٍ في هذه الايام الاّ اني اعرف اني لا اكون مغلوبًا معهُ ولا بد لي من اسره كيف كان الحال واما قولك اني اسمح لمعقل بقتالهِ فذلك غير المقصود لاني جئت لاجلهِ ولهذا السبب لا يكون غيري الفائز ويقول كسرى انك انت ما اسرتهُ الاّ بعد ان استعنت عليهِ بجماعتك

قال وفي اليوم التالي خرج الامير من صيوانهِ وركب على جواده وخرج الى ساحة القتال كاليوم الاول فوجد ان اندهوق قد ركب ايضًا وجاء بجماعتهِ الى الساحة وهو قائم على انتظاره وحالما وقعت العين على العين اشتبك القتال بين الاثنين فصاحا وهجما وتضاربا والتطما وهمهما ودمدما. وابديا من فنون القتال. ما تعجز عنهُ صناديد الابطال. وتشيب لهولهِ الاطفال. وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان. الى ان قرب الزوال فافترقا على امان ورجع كل انسان الى خيامهِ ونام تلك الليلة وفي اليوم الثالث عاد الى الساحة. قال صاحب الحديث واتصلت الحرب بين الامير حمزة وخصمهِ اندهوق مدة ثلاثين يومًا على التمام دون ان يبلغ احدهما من الاخر مرادًا او ينال مرامًا فضجرت لذلك روح حمزة ورأى ان الوقت قد طال عليهِ وهو يحاول اسر خصمهِ دون الوصول الى نتيجة او جدوى ولذلك قال لجماعتهِ في اليوم الاخير اني في هذا اليوم لا بد لي من فصل الحال على اي منوال كان لان كسرى يظن اننا هلكنا وانقرضنا ويزين لهُ بختك طرق المحال فيزوج ابنتهُ ويعود الامر علينا بالوبال ومثل ذلك قال اندهوق لرجالهِ لقد سئمت نفسي من قتال الامير حمزة واريد ان اجعل هذا اليوم هو الاخير بيني وبين خصمي فلا

ارجع عن القتال الاَّ بعد نهاية العمل واسلم اليهِ واتخلص من عذاب القتال . وبعد ذلك برز الاثنان الى ساحة الميدان والتقيا كأَنهما فرخا جان . او عفريتان من عفاريت السيد سليمان وقد اشهر كل منهما الحسام وانحط على خصمهِ انحطام الصواعق واخذا في العراك والصدام . والافتراق والالتحام . والمحاولة والاهتمام . تارة يكونان باليمين وطوراً باليسار . لا يأخذهما هدوٌّ ولا اصطبار ولا يقرلهما قرار وقد ارتفع فوقهما الغبار . ودارت بهِ الارياح كالتيار . فتكاثف فوق رؤُوسهما حتى احتجبا عن الابصار . وغابا عن الانظار . وكشفا ما للقتال من الاسرار . وازاحا عن وجه النزال الاستار . فتقدمت رجالهما الى امامها ودارت من حواليهما كل منهم يريد ان يعرف ما يحل على فارسهِ وما يكون من امره وهما على اشد حرب وقتال واعظم ضرب ونزال حتى فقد منهما الصبر واخذهما الملل وضاقت ارواحهما من ذاك العمل وكل واحد يضايق الآخر اشد مضايقة ويلاصقهُ اشد ملاصقة وعند ذلك صاح اندهوق مهلاً يافارس هذا الزمان فاني ارى ان الحرب بيننا على ظهر الخيول مدتها تطول فهل لك ان نقاتل على وجه الارض لانها اثبت تحت ارجلنا ويتمكن الفارس منا من الآخر اذا كان قريباً منهُ فاليوم يوم الانفصال . فاجاب الامير حمزة افعل ما بدا لك فاني عزمت في هذا اليوم ان لا اعود الاَّ وانت معي . ثم ان اندهوق قفز عن ظهر جواده الى وجه الارض فعمل الامير كعملهِ واخذ في القتال والمناضلة والجدال . كأَنهما اسود الرجال مقدار ساعات من الزمان حتى كاد يقرب الزوال واذ ذاك رمى كل واحد سيفهُ وطارقتهُ الى ناحية وهجما الى بعضهما بالايدي ولم يعد يأخذهما صبر ولا توان فتصارعا وحاول كل منهما ان يرمي خصمهُ الى الارض فكانا كجبلين راسيين مدة نصف ساعة حتى تمكن اندهوق من وسط الامير حمزة فظن انهُ ينال منهُ المراد فصاح صيحة عظيمة وانتشل الامير الى جهة صدره وعمد ان يقيمهُ الى فوق راسهِ فوجده لا يتحرك وقد اثبت رجليهِ بالارض كأَنهما قطعة كبيرة من الحديد لا تتحرك فتكدر حمزة من عملهِ هذا واحمرت عيناهُ وغاب وعيهُ وقد ضرب بيده فوقعت على درع اندهوق فقبض عليهِ وشدهُ اليهِ بكل ما اعطاهُ الله من العزم والقوى فوقع الاثنان الى الارض الامير فوق الاندهوق فحاول واياه وهو قابض عليهِ لا يتركهُ حتى زهقت روحهُ ورأى من نفسهِ العجز وشاهد ان يد الامير قوية لا تدفع فترك نفسهُ لهُ وصاح الامان ياسيد الابطال والفرسان فاني عتيق سيفك على طول الزمان واشهد انك واحد العصر والاوان . وها اني قد سلمت نفسي اليك والقيت بكل رجائي عليك . فان ابقيتني فلك الخيار وان تركتني فانت المالك المتصرف وقد دخلت منذ هذه الساعة في جملة رجالك . فلما سمع الامير حمزة كلامهُ تركهُ الى ان استوى واقفاً فدنا منهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ مثلك لا يذل ولا يهان ولكنني اليوم الايام والازمان . والعن بختك وكسرى انو شروان . حيث اجبراني بكلامهما

على القسم والحلفان فانت من هذه الساعة اخي واعاهدك على الاخاء والمروءة والوفاء فقبلهُ اندهوق وقد امتلأ قلبهُ فرحًا بمحبة الامير وصحبتهِ وسرّ سرورًا عظيما وصافحهُ

قال ومنذ ذاك الوقت اصبح اندهوق بن سعدون صاحب سرنديب صديقًا صادقًا في خدمة الامير حمزة ومحبتهِ ويبقى معهُ الى امد طويل . واما الملك النعمان وجماعتهُ وجماعة الامير فانهم اختلطوا ببعضهم البعض وصافح كل منهم الآخر وسلموا على الامير حمزة وساروا الى خيام الملك النعمان فاقاموا ريثما استراحوا وهم مسرورون بهذه المصالحة وقد تأكدوا ان العداوة قد مضت وقربت مدة رجوعهم الى المدائن . ومن ثم احضر الطعام فاكل الاندهوق وجماعتهُ على مائدة النعمان وثبتت بينهما المودة اكثر فاكثر وبعد ان انقضت السهرة نهض أندهوق واستأذن بالذهاب وطلب الى الامير حمزة وجماعتهِ ان يكونوا في ضيافتهِ مدة اقامتهم في المدينة وان يدخلوا في الغد اليها فاجابهُ الامير الى طلبهِ ووعدهُ انهُ يقيم في المدينة مدة ثلاثة ايام حيث يرغب في سرعة العودة واكثر من هذه المدة لا يقدر ان يتعوق . ثم ان أندهوق سار من عند العرب الى المدينة فوجد أهلها قد أقفلوا الابواب واقاموا على الاسوار يهيئون أنفسهم ويستعدون للقتال فصاح بهم وطلب اليهم ان يفتحوا الابواب ففتحوا لهُ ودخلوا مع جماعتهِ الذين كانوا معهُ فقال لهم لما هذا العمل وكيف أقفلتم الابواب قالوا عرفنا مؤكدًا أنك وقعت في قبضة الامير حمزة فثبت عندنا انهُ بعد ذلك لا بد ان يتقدم من المدينة ليدخلها ويمتلكها فعزمنا على الدفاع والقتال فنحاصر ولا نسلم خوفًا من العرب . فقال لهم لا حاجة الى ذلك لان العرب ما جاءوا هذه البلاد الاَّ من اجلي فقط وقد وقعت بايديهم وما من حاجة لهم بالمدينة ثم عاد عليهم ما هو واقع بين الامير حمزة والملك كسرى وما هو السبب الذي دعاهُ للاتيان وقال لهم اخيرًا ان العرب اصحاب مروءة ومودة يكرهون الغدر ويسلكون مسالك الآداب فلا خوف على احد منكم وانا اخبركم اني منذ الان انا من رجال الامير حمزة لا أرغب أن افارقهُ حتى المات فمن كان مثل هذا الامير يحب ويكرم ويخدم على الراس قبل العيون . قالوا لهُ اننا نسير أينما سرت ولا نخالف لك امرًا ولا نطيق فراقك . قال من كان منكم من اصحاب البيوت والعيال فيبقى في المدينة واقيم حاكما عليكم منكم . واخذ الامير منذ تلك الساعة بتدبير امرهِ ليقوم بضيافة العرب واكرامهم

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير حمزة واختار سادات قومهِ وساروا جميعًا الى جهة المدينة لزيارة أندهوق فوجدوهُ قد خرج بقومهِ لملاقاتهم وهو ينتظرهم خارج الابواب فترحب بهِ وسلم أهل سرنديب على الامير وسادات قومهِ وادخلوهم المدينة باحتفال وتجمل وعملوا لهم الولائم والدعوات وزادوا باكرامهم ووقع الحب والوفاق بين الامير حمزة واندهوق وتعاهدوا على الاخاء

وإن يكون كل واحد منهما سندًا للآخر ولا يفترقان حتى الممات وجاء أندهوق بكتابة كسرى فسلمها الى الامير وقال له ان هذه وصلتني مع رسول مخصوص من بختك بن قرقيش واني اخبرك انه ما زال هذا الرجل الخبيث حيًّا لا يمكن ان تتزوج ببنت كسرى أو تصل اليها فانه يختلق الموانع من تحت الجذاف وكسرى يطيعه على ارادته ويكرمه ويراعي جانبه . قال اني اعرف ذلك وإن كل عذابي هو من بختك الخبيث المحتال غير اني أرى ان الوقت لم يحن بعد لهلاكه ولا أعرف ما يكون من امري وامر الاعجام فاني ارى ان نفسي وعقلي متفقان على قيام الحرب معهم والايقاع بهم واخذ مهردكار بحد الصارم البتار غير ان قلبي يمانع ويدافع ويخاف على قلب مهردكار ويسوده او يلحق به كدر بسببي ومن الواجب عليّ ان اتربص الى ان يأتي الزمان الموافق واتوقع الفرص المناسبة والان اريد منك ان تكون حاضرًا لنسير بعد يومين قال اني اهيء عساكري ورجالي في هذين اليومين وتراني انتظر امرك على الدوام . ولا زال الامير عند اندهوق على الاكرام الى ان انقضت المدة وبعد ذلك امر الامير سادات العرب ان تذهب الى رجالها فتأمرها بالركوب وركب هو على جواده الاصفران وركب معقل بهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل وركب اندهوق برجاله وعظماء قومه وعساكره وخدمه وكل ما يحتاجونه من المؤن والذخائر والامتعة واقلعوا عن تلك البلاد وكذلك العرب اقلعت ورفعت خيامها واحمالها على ظهور الجمال وساروا عن تلك الارض بجيش عظيم المقدار قد ملأ البراري والقفار يبلغ عدده مائتا الف فارس وبطل تحت راية الامير حمزة البهلوان وبين يديه من الابطال الجبابرة ما يندر وجود مثلهم في ذاك الزمان حتى أصبح كاكبر الملوك عظمة وافتخارًا وشأنًا واجنادًا واعوانًا وهو مسرور بنفسه وبرجوعه الى المدائن على امل انه بعد ايام قليلة سيصادف الملك كسرى ويشاهد حبيبته ولا ريب انها تطير فرحًا اذا بلغها انه عاد بهذا الموكب العظيم وقد اسر اندهوق وجاء به وافيًا وعده لابيها . ولا زالوا سائرين مدة ايام حتى وصلوا الى الوادي الذين كانوا به قبلاً فنزلوا فيه للراحة وضربوا الخيام واقاموا هناك مدة ثلاثة ايام وقد زار الامير رجال الصومعة وسلم عليهم وطلب دعاهم وبعد ذلك ركب وسار من هناك قاصدًا المدائن وملاقاة كسرى انو شروان

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من كسرى فانه اقام في بلاده على حسب عادته وفي كل يوم يجتمع بوزيره بختك ويتحادث واياه بخصوص العرب فيقول له بختك ان هذه المرة هي الاخيرة وقد انتهت ايام حمزة ومضى ما كنا نخشاه واني اضمن لك هذا الامران اندهوق ابن سعدون لا يبقي احدًا من العربان ولا بد من قتل حمزة كيف كان الحال ولما طالت المدة قال له الم اقل لك ان مدة العرب قد فرغت من بلادنا وارتحنا من امرهم وصار من اللازم ان

نهتم بامر بنتك فتزوجها لامير من عائلتك يليق بها قال اني لا افعل هذا الاَّ بعد ان اتاكد حق التاكيد موت حمزة والاَّ ما زال موجودًا لا افعلهُ لانهُ فارس صنديد فاجرٌ على بلادي وبلاءٌ عظيما وبلاء جسيما وارمي جمرة الحرب بين العرب والعجم فمن الصواب ان نصبر مدة سنة فاذا لم يظهر عنهُ خبر تاكدنا موتهُ او جاءنا احد فاخبرنا بهِ . وكان كسرى قد لحظ من بنتهِ ميلها الى حمزة ومحبتها لهُ فكتم ذلك ولم يهن عليهِ غير انهُ رأى ان معاملتها باللين والرفق والتغاضي عن معرفتهِ بحبها اوفق لهُ نظرًا لحبهِ لها وقال في نفسهِ متى عرفت بموت حمزة لا تعود تفكر بهِ او تميل اليهِ وما مالت اليهِ الاَّ على السماع لانها لم ترهُ ولا اجتمعت بهِ . واقام يترقب الاخبار من جهة الامير عسى ان يخبرهُ احد بخبره الى ان كان ذات يوم وهو جالس في ديوانهِ والى جانبهِ الايمن الوزير بختك بن قرقيش والى جانبهِ اليسار بزرجمهر ومن ثم رجال ديوانهِ من امراء الفرس واعيانها والناس تأتي لقضاء مصالحها واذ قد لاحت منهُ التفاتة الى جهة باب الايوان فرأى رجلاً يقلب بالهواء كالدولاب وهو يصفق بيديهِ ويغني بلسانهِ حتى اذا وصل الى باب الديوان صاح بصوت رقيق . اكد ايها الملك العظيم اني اخو حمزة البهلوان فارس برية الحجاز ومبيد الطغاة في يوم البراز . من خدمتهُ السعادة والاقبال . وانقادت اليهِ الكرامة بيد العزيز المتعال . قد عاد فائزًا منصورًا محمودًا مشكورًا . بعد ان بلغ الآمال . وتوفق بعنايتهِ تعالى على اتم منوال . وبين يديهِ نحو مائتي الف فارس مختلفي الاجناس من عرب وهنود وغير ذلك وقد عاد معهُ اندهوق ابن سعدون بعد ان اخذهُ اسيرًا في ساحة الميدان ليقدمهُ اليك على ما وعد وينال منك الوفاء وما امل فادفع اليَّ بشارتي لارجع بالحال . ثم تقدم من كسرى وناولهُ كتابًا من اخيهِ حمزة وكان هذا الرجل هو عمر العيار وقد بعثهُ حمزة بكتاب ليعلم الملك كسرى بقدومهِ قبل وصولهِ كيدًا لاعدائهِ اللئام . قال وكان عمر يتكلم والملك وجميع الحاضرين سكوت لا احد منهم يبدي حركة او صوتًا وقد وقعت الخملة والخوف على بختك وانفطرت مرارتهُ وضاع عقلهُ وغاب وعيهُ وكاد يقع الى الارض من عظم ما لحق بهِ فتمسك بالكرسي الجالس عليها وقد لحظ منهُ ذلك كل الحاضرين ومضى عليهِ نحو ربع ساعة على مثل ذلك الى ان قدر ان يسكن روعهُ ويتجلد ويظهر خلاف ما اضمر . ولهذا السبب ناول كسرى الكتاب الى بزرجمهر ليقرأهُ ففضهُ وقرأهُ بصوت عالٍ فصيح وهو يقصد قهر عدو حمزة وكيدهُ واذا بهِ :

من الامير حمزة بهلوان تخت فارس وفارس بلاد العرب ومبيد اهل الكفر والكبر الى عمهِ كسرى انو شروان سلطان الاعجام والعربان

طرقت سرنديب وانا احمل راية اعطيت لي من الله وهي راية النصر والتوفيق فلا اخاف عدوًا ولا اخشى ضرًا وأراعي كل صديق صدوق واحفظ مودة من يودني كما اني لا اترك مجازاة

من يرغب في ضرري ويقصد لي الشرّ والعذاب . ولما حاربت سرنديب وجدتهُ بالحقيقة فارساً نادر المثال . لا مثيل لهُ بين الرجال والابطال . فنازلتهُ ونازلني عدة ايام الى ان ذلّ اخيرًا بين يديّ وعلم من نفسهِ انهُ مغلوب فسلم اليّ نفسهُ اسيرًا لاقدمهُ وفاء بوعدي بعد ان طلب اليّ ان يكون في خدمتي وبين رجالي ويقاتل بين يدي كل عمرهِ وقد ترك بلادهُ ومملكتهُ وجاء رجالهِ وفرسانهِ الاخصاء منضما الى العرب وبعد قليل تراهُ في ديوانك يؤدي لك فروض الخدمة والطاعة وعلى هذا ارى ان من سعادتي وحسن حظي مسيري الى سرنديب فكان ذلك نافعًا لي لا مضرًا كما فكر اخصامي واعدائي فجاء الامر على خلاف ما اضمروا فاشكر الله ربي والهي الذي لا يتركني لاقيم دينهُ باسنة السيوف الحداد . واطلب اليك أخيرًا أن تكون حكيما عارفًا لاحبائك من اعدائك وعالمًا مملقيك من نصحائك وأكد اني احافظ على طاعتك الى الحد الاخير على أمل ان نعي الى صدق خدمتي فتعرف ما انا عليهِ من الرغبة في التقرب منك والسلام

ففعل هذا المكتوب في قلب بختك أشد من فعل خبر الامير عمر وتمزقت احشاءهُ الاّ أنهُ تجلد وقال الحمد لله الذي رجع حمزة ونال السعادة والتوفيق واني مسرور الان باتيانهِ حيث قد اخلصت لهُ الود وعرفت عن يقين انهُ موفق وانهُ يستحق ان يكون بهلوان تخت بلاد فارس وحاكم على كل البلاد وسوف يكون من امره عجيبًا . ثم ان كسرى امر ان يدفع الى عمر الف دينار جزاء لهُ على بشارتهِ اياه غير انهُ كان متكدرًا في قلبهِ حزينًا عارفًا ان حمزة لا بد لهُ من ان يأخذ بنتهُ وبختك مصرٌّ على عداوتهِ ويرى نفسهُ مصطرًا الى مجاراة الاثنين لا يقدر على منع احد منهما ولا يقدر على مصالحتهما والوفاق بينهما

قال وانتشر الخبر بمجيء الامير حمزة فوصل الى مهردكار فسرّت سرورًا عظيما ووقفت في الشباك الى ان نظرت الامير عمر العيار خارجًا من الديوان فتاكدت الخبر واشار لها بالسلام وان أخاهُ جاء مكللاً بالظفر والنجاح فزادها سرورًا وابتهاجًا واصبحت لا تدري ما تقول وعرفت ان الله لا يرضى بدوام عذابها وعذاب الامير حمزة بل يراعي جانبهُ ويعمل على توفيقهِ فاذا اشغلهُ بحاجة كانت لخير لا لشر فتعود عليهِ بالنفع والسعادة واقامت فرحة تهني قلبها ونفسها بقرب النظر الى محبوبها التي كان بعد عنها مدة غير قليلة وهو في مقاساة اسفار ومشقات وهي قلقة الافكار من أجلهِ مشغلة البال . تنام على البكاء والنوح تندب الاشعار . وتذم الادهار . وتجلس في الصباح . تسأل الارياح . وتستخبر منها بالافصاح . ولما اطمئن بالها انشدت

اهلاً بمعتل النسيم ومرحبا ومذكري عهد الصبابة والصبا
حمل التحية من اهيل المنحنى وابان عنهم بالمقال واعربا
فعرفت عرفهم بهِ لكنني انكرت صبرًا عن عهودي نكبا

يا عاذلي كن عاذري في حبهم | لم الق للسلوان عنهم مذهبا
لا تلح فيهم بعد ما الف الضنا | بجد الغرام بهم لذيذاً طيبا
غبتم وانتم حاضرون بمهجتي | فبمهجتي افدي الحضور الغيبا

وانشدني ايضاً

يا زائراً جعل الدجنة مركبا | اهلاً على رغم الوشاة ومرحبا
امط اللثام القد بردك يتضح | وجه وعطف كالصباح وكالصبا
وافتر مبتسما فدمعي ضامن | ان لا يكون بريق ثغرك خلبا
فادر عليَّ شبيه ثغرك رقة | تهدي اليَّ شذاً كعرفك طيبا
صهباء كم نهبت نهى وصيانة | منا واعطت صبوة وتطربا

ودامت في مدحها مدة ساعات تدور في قصرها وتصفق من فرحها وتبشر جدران قصرها بقدوم حبيبها وترجع الى الشباك فتنظر فيهِ برهة متأملة الطريق التي يأتي منها ومطرقة الى الارض التي كان يمشي عليها حين اتيانهِ الى ابيها والتي سيدوسها قريبًا فكأَن لسان حالها كان يقول لهُ بشرى لك ايها التراب فانك عرضة لموطئ اقدام احسن الناس عندي واحبهم اليَّ فاني احسدك على ذلك . غير ان مهردكار بينما هي على مثل هذه الافراح والمسرات طرق ذهنها ان اباها وبختك لا بد ان يتفقا مرة ثانية على هلاك حمزة فيرسلانهِ الى مهلك عظيم وبلاد ابعد من بلاد سرنديب فلا يكون قد تقرب منها ونالت مرادها وهذا الخاطر اشغلها واقلق فكرها وبدل تلك الافراح بالاضطراب فكان قلبها اخبرها بوقوع حادث جديد لا بد منهُ وسيكون سفرهُ طويلاً وعذابهُ اطول ولا تعرف أَيتخلص منهُ ام لا فارسلت دموعها على خدودها وهي محيرة الافكار لا تعرف اتفرح لقرب نظرها لحبيبها او تبكي احتراسًا من وقوع أَمر أَعظم من سفر سرنديب غير انها استجمعت كل قواها وقالت في نفسها ما لك يامهردكار لا تقدرين على معاندة الزمان فتسلمين بنفسك الى اهواء الحوادث والافكار فتتلاعب بك من يد الى اخرى وانت غير قادرة على الدفاع . نعم اني غير قادرة على الدفاع من نفسي بنفسي لكنني أَعرف كيف يجب ان يكون ثابتا الجاش الذي يقف في وجه الحوادث ولذلك سادعو اليَّ حبيبي حمزة في هذه المرة وادعهُ ان يتسبب بالوصول اليَّ مرة ثانية فاجتمع بهِ واخابرهُ في شان حياتنا واذا كان الاعداء يضمرون لهُ شرًّا فهو قادر على التخلص منهم وموتهم وقلع آثارهم من هذه الدنيا وبعد ذلك يعيش طيب البال ويصفو لي ولهُ الزمان . ولما قوي في راسها هذا الخاطر وطدت العزم عليهِ ونوت انهُ اذا اجاب ابوها طلب حمزة في هذه المدة واهتم بامر الزفاف كان خيرًا والاَّ سأَلت حمزة ان يقتل بختك ويذل ابيها ويأْخذها بالرغم عن كل عدو وكان الحب العجيب

والغرام القتال الذي كانت عليهِ يزين لها ان الموت والعذاب والاهانة والذل لا تحسب بشيء بالنسبة الى تلك السعادة التي تعد نفسها فيها على الدوام وتطلبها من الله سبحانهُ وتعالى . وكان حالها من هذا الوجه كحال كل فتاة احبت حبًّا عظيمًا ثابتًا وتأملت أملاً وطيدًا بانها ستكون زوجة لمن احبتهُ وتصرف ايامها معهُ على الهناء ولذة المعيشة غير ان هذا الامل لا تلبس ان نظهر نتيجتهُ اما تحقق آمالها فتصادف ما كانت ترجو ويطيب لها معاشرة ذاك الزوج ودوام القرب منهُ وتزداد المحبة من جرى حلاوة تلك العيشة واما بعكس ذلك اي انهُ تخيب تلك الآمال وتصادف الفتاة عذاب المعيشة وكدر المعاملة ويضعف ذاك الحب تدريجيًّا الى ان يصير بغضًا

فهذا ما كان من مهردكار واما ما كان من الامير حمزة فانهُ لما قرب الى المدائن بعث بكتاب الى الملك كسرى مع عياره عمر كما تقدم الكلام فلما رجع اليهِ أخبرهُ بما كان وما سمع وبقي سائرًا حتى وصل الى المكان الذي كان العرب بهِ قبلاً فامر جيوشهُ ان تضرب خيامها كل فيئة في جهة على حدة فانتشروا في تلك النواحي انتشار النجوم في السماء وضربوا خيامهم ونزلوا فيها وسرحوا خيولهم وكان الاعجام قد خرج منهم كثير نساء ورجالاً للفرجة عليهم وقد تعجبوا منهم ومن انتظامهم وآدابهم وترتيبهم ونظروا الى أندهوق وهو على فيلهِ الابيض كانهُ الاسد الضرغام وصرفوا ذاك النهار في الخيام للراحة والمنام . وفي صباح اليوم الثاني دعا الامير حمزة اليهِ أندهوق ابن سعدون وقال لهُ أنت تعلم انني يا أخي ما سرت الى بلادك الا لاجل غاية واحدة وهي الاتيان بك الى ديوان كسرى والان قد وصلنا الى المدائن ومرادنا في هذا اليوم ان ندخل على الديوان وحيث قد سبق مني يمينًا أريد منك ان تسلم اليَّ نفسك فاقيدك واذهب بك فقط الى كسرى ومن ثم اطلقك . قال اني اسلم اليك نفسي عن رضا وان كان يصعب عليَّ ان اكون مقيدًا في محفل كديوان الملك كسرى مع اني لم اذل زماني قط ولا ارضى ان اكون مقهورًا مع غيرك . فامر الامير حمزة اخاهُ عمرًا ان يربط يدي الاندهوق ويقيدهُ كما لو كان اسيرًا عندهُ وعدوًّا عاملاً على عناده ففعل عمر حالاً وربط أندهوق وركب الامير حمزة على اصفرانه وسار مع الملك النعمان ومعقل البهلوان وباقي الابطال والفرسان وقد سحب عمر من خلفهِ اندهوق ماشيًا وقاد الفيل الذي يركب عليهِ الى جانبهِ لعلهُ في حال رجوعهِ سيكون عظيمًا مكرمًا لا اسيرًا ذليلاً كما ادخل وداموا في مسيرهم الى ان دخلوا باب المدينة والناس عليها افواجًا افواجًا يزدحمون للفرجة على الامير واسيره ومن معهُ وكانوا يطلبون ان يروا اندهوق حيث كانوا يسمعون بصيتهِ وحديثهِ وشدة بسالتهِ واقدامهِ ولما وصل الامير تحت قصر مهردكار ارسل نظرهُ الى فوق فوجد محبوبتهُ قد سررت في شبابها كانها البدر المضي وقد تزينت بالخز زينها وتحلت

بابدع حلاها ولبست تاجاً كسرويًّا من الجواهر والياقوت وحلة مزركشة من الديباج الاحمر اللازوردي مما زادها حسنًا وجمالاً واصبحت كما قيل فيها

تمسك انف وجنتها فارغم انف عذالي
وماس قضيب قامتها فغرّد طير بلبالي
فرمت تمسكًا منهُ فقالت بل باذيالي
تأيد امر حاجبها بماضي الفعل في الحالِ
وعامل قدها يسطو بصارم ناظر والي
تقول لمن يشبه باا م بهلال جبينها العالي
اسأت وماا ستحيت وهل يساوي نصف خلخالي

او كما ياتي

أجال الصدغ فوق الخد ليله وجرّ على محيا الشمس ذيلهْ
وميلت المحاسن غصن بانٍ يميل بها الحشى فألذ ميلهْ
وامّر قيصر الالحاظ قلبي وقد سل الظبى واجال خيلهْ
وهبَّ هوى الوشاح فسال دمعي وافعم في مجاري الخد سيلهْ

فلما رآها الامير حمزة على تلك الحالة كاد يطير عقلهُ ولم يعِ على من معهُ ومن حواليهِ فاطلق لجواده العنان في ذاك الميدان ولعب على جواده الاصفران على الاربعة اركان ثم أشار اليها بالسلام والناس تنظر وترى حتى ظهر الامر و بان وعرف الجميع ان بينهما مودة وصحبة قلوب وإئتلاف خواطر ولاسيما عندما أجابتهُ على سلامهِ باشارة ظاهرة وهي مدلاة من الشباك منعطفة القلب والعقل انظارها لا تفارقهُ كيفما سار وكيف مال كانها لا ترى احدًا غيرهُ في تلك الناحية ومن ثم نزل الامير طائر القلب والفؤاد وفي عهده انهُ ملك الدنيا باسرها طولاً وعرضًا حيث رأى من هي عندهُ اغلى من الدنيا واحب لديهِ مما فيها . وكان ديوان كسرى مزدحمًا بالاعيان والامراء فلما وصل الامير وقف لهُ الجميع وكان عمر قد وصل باندهوق ودخل بهِ امام اخيهِ وهو يجل بقيوده كانهُ الاسد الكاسر ودنا حمزة اولاً من كسرى وسلم عليهِ وقبل يديهِ وقال لهُ بواسطة الترجمان لقد عدت ياسيدي منصورًا بسيفك غالبًا بجاهك وصيتك وها ان الرجل

الى هنا انتهى الجزء الثالث من قصة الامير حمزة البهلوان
ويليهِ الرابع عما قليل ان شاء الله

الجزء الرابع

من قصة الامير حمزة البهلوان

الذي بعثني لاحضرهُ اليك قد حضر على الحالة التي اقسمت ان احضرهُ بين يديك فيها ولاسيما محبة بزرجمهر فانهُ قبل يديهِ واستمد رضاهُ فدعا لهُ وسلم ايضاً على بختك حياء من الحضور وتادباً منهُ . وبعد ان استقر بهِ المقام قال بختك لكسرى هاذا ياسيدي قد حضر عدوك صاحب سرنديب الذي طالما تمنيت وقوعهُ في يدك ومن الواجب ان تنتقم منهُ غير اني ارى من الصواب ان تشملهُ بعفوك اكراماً لخاطرهِ وخاطر الامير حمزة . فقال كسرى ليس هو بعدونا غير ان بعض المفسدين أخبرنا ان عينهُ طمحت الى التعدي على ملكنا وما ذلك الاَّ من قبيل الكذب والافساد والان امرهُ يعود الى خاطر الامير فماذا يريد ان يفعل بهِ فليفعل لانهُ اسيرهُ . ثم ان الملك سأل حمزة عن اندهوق وقال لهُ ماذا ترغب ان يكون من امرهِ . قال انهُ اصبح من رجالنا وابطالنا خدمة الدولة الكسروية وصار من اللازم مراعاتهُ والاهتمام بامره والاعتناء بهِ واريد منك ان تامر باطلاقهِ وتنعم عليهِ بخلعة سنية فاخرة تليق بشانهِ كونهُ من الملوك العظام والفرسان الكرام اصحاب البطش والاقدام الذين يندر وجودهم في مثل هذه الايام . وبعد ذلك نهض الامير حمزة الى اندهوق فحل وثاقهُ وقبلهُ بين عينيهِ وفي عارضهِ وقال لهُ لا كان يوماً اراك فيهِ مهاناً فقد انقضى الامر وتم الوفاء فقبلهُ اندهوق وقال لهُ اني ارى الذل عزّاً اذا كان منك وبامرك وما الموت الاَّ سعادة كبرى اذا كنت انت مصدرهُ

ولما تم اطلاق اندهوق تقدم من كسرى وقبل يديهِ وقدم لهُ طاعتهُ فشكرهُ وامر ان تخلع عليهِ خلعة كسروية من الديباج والاطلس مرصعة باللؤلوء تلبسها الملوك في وقت اعيادها وعين لهُ كرسيًّا في ديوانهِ بجانب الامير حمزة ومن ثم امر ان يقدم لهم الشراب حسب العادة وان تدار عليهم فناجين القهوة وبعد ان انتهوا طلب كسرى من الامير ان يشرح لهُ ما لاقى في سفرتهِ من حين خروجهِ الى حين عودتهِ فحكى لهُ كل ما وقع لهُ من النجاح والتوفيق وكيف حارب اندهوق ونال الفوز في الميدان وكيف تصاحبا وتعاهدا على المودة طول العمر فعلم كسرى ان حمزة رجل مسعود وشانهُ سيتعالى يوماً بعد يوم ولذلك قال لهُ اني ارى الايام مقبلة نحوك والسعادة توافيك شيئاً فشيئاً . كنت في الاصل وحيداً والان اصبحت كالملك العظيم ولديك

من الفرسان والابطال والجيوش ما لا يوجد الاّ عند الملوك الكبار . فقال بختك ان سبب فوز الامير حمزة نحن ومن الواجب عليهِ ان يعرف ويعترف اننا مخلصون لهُ اوفياءُ في صالحهِ ارسلناهُ الى قلعة تبزان فتوافق مع معقل بهلوان واتخذهُ لهُ ساعداً ومساعداً وصار من رجالهِ وانضم الى العرب مع قومهِ فكان ذلك من اسباب الخير لهُ ولنا حيث قد صار من اهل ديواننا بعد ان كان عاصٍ علينا ومثل ذلك وقع لهُ في سرنديب مع اندهوق بن سعدون ولا ريب انهُ بواسطتنا واهتمامنا سيجتمع بعد بكثير من الناس فيكون لهُ بينهم شان عظيم واني اطلب من النار ان تساعدهُ ليصير على احب ما نشتهي ونريد

قال وبعد ان صرف الامير وجماعتهُ باقي النهار في خدمة الملك كسرى وفي ضيافتهِ ودعهُ وخرج بجماعتهِ من الديوان وركب اندهوق على فيلهِ والناس تتفرج عليهِ ويتعجبون من شجاعة الامير حمزة كيف قدر ان يذل مثل هذا البطل العظيم واما الامير فانهُ نظر الى مهردكار كعادتهِ مودعًا اياها الى الصباح وبقي سائرًا الى الخيام وقلبهُ مملوءٌ من الفرح حيث قد نظر الى محبوبتهِ فوجدها على ما هي عليهِ من ازدياد الحب والشغف ولما انتهى الى صيوانهِ اجتمع باخيهِ عمر فقال لهُ اما رأيت كلام الوزير بختك وعلى ظني انهُ يسعى بتدبير طريقة اخرى يرسلنا اليها على زعم انهُ يقصد بذلك صالحنا ونفعنا والخير لنا مع انهُ يريد هلاكنا ويرغب فيهِ ويتمنى ان لا يرانا فيما بعد . قال عمر اني كنت عزمت على ان ارسل الى صدره نبلة فاقتلهُ وماذا ياترى يجرى اذا فعلت ذلك غير ان كسرى يغضب ثم يعود فيرضى . قال لو فعلت ذلك لكنت اغضبتني لاني اعرف ان هذا العمل يفصم حبل المودة بين العرب والعجم ونلتزم ان نحاربهم لان بختك مرفوع المقام بين الفرس معدود الخاطر لا يوجد لهُ ثانٍ عندهم فمن بعد كسرى هو بالمنزلة الاولى . نعم اني اعرف ان لا بد من قتل بختك ومحاربة الاعجام غير اني ارى ان الزمان الموافق لهذا العمل لم يحن بعد فاني ارى نفسي محتاجًا لان اكون مسالمًا لهم الى ان اعرف ماذا يكون من امر زواجي بمهردكار نعم اني ارى من نفسي غلطًا عظيمًا بتعليق قلبي ببنت عدوي الاّ اني لم اكن اعرف ان كسرى سيوافق بختك عليَّ ويقصد ضربي متى سئمت نفسي منهُ ولولا وعدي الى بنتهِ وميلي الى الاقتران بها لكنت تراني الان افتك في جيوش الفرس وربما كنت متسلطًا على اكثر بلادهم ومن كان لا يعبد الله منهم انزلت بهِ العبر غير ان هذا سيكون بعد مدة ان شاء الله تعالى فان قلبي غير صافٍ عليهم ولا راضٍ منهم . وبينما كان الامير مع عمر بمثل هذا الحديث واذا رسول مهردكار قد وصل بالطعام فدفعهُ اليهِ واعطاهَ كتاباً منها ففضهُ وقرأَهُ واذا بهِ

من مهردكار صافية الود وفية الوعد الى حبيبها الامير حمزة البهلوان

اني صرفت الوقت بعد رحيلك عن المدائن حزينة باكية اندب فراقك والوم الزمان

على بعادك وانا اتقلب بين اليأس والرجاء لا اعرف الى اين ينتهي بك المسير ولا الى اين يقف بك الزمان الذي عمل على عنادنا وكان حظي منهُ انهُ علمني ان اقول في كل ليلة

اضرم القلب في الحشاشة نارا　　حين قالوا شط الحبيب وسارا
سار عني ولم اجد ليَ صبرًا　　كيف حالي ولم اجد لي اصطبارا
طيَّر العقل ثم قصَّ جناحي　　وقضى منزلاً وشط مزارا
ويح قلب وويح كل محبٍ　　فقد العين فاقتفى الآثارا
يرقب النجم في الظلام ومها　　لمع البرق في الغمام استطارا

كما علمني ان اهفو اذا سمعت حفيف مرور النسيم على الشجر او تغريد صوت الهزار على الاغصان او نوح الحمام على فقد الالف والخلان واعاتب الطيف اذا زار على بعد المزار

واذا ناح في الغصون حمام　　مزّق القلب ثم شق الازارا
واذا زار للاحبة طيف　　نكس الراس ذلة وصغارا
لازم السهد والاسى فلهذا　　علم النوح والبكا الاطيارا
فقد الصبر والسلو واضحى　　يظهر الحب لوعة واستعارا
وكسا جسمهُ السقام فامسى　　سهد عينيهِ للجفون شعارا
يالقومي اما معين معين　　غير دمع افاض منهُ البحارا
اشفيق يرق لي او رفيق　　يحفظ الجار او يراعي الجوارا
او سمير تصغى لشرح حديثي　　فحديثي يطرب السمارا
آه من حرقة وفرط جنونٍ　　صير الطرف والفؤَاد حيارى
من نصيري وليس غير فؤَادي　　مات شوقًا وما درى الانتصارا
ويح اهل الهوى يرون سكارى　　بهواهم وما هُمُ بسكارى

وكأَن الوهم كان يخالج قلبي فيتلاعب بهِ بين الصدق والكذب او بالحري بين السعد والنحس فارى الحقيقة وهما والوهم حقيقة وانا ضائعة العقل فاقدة القوى اردد قول القائل

ياقساة القلوب رفقًا بقلبي　　لم يكن قط يأْلف الاحجارا
قد نسيتم عهودنا وفؤادي　　لم يزدهُ البعاد الاَّ ادكارا
كل يومٍ يسومني الدهر حتفًا　　بنوًى شب في الاضالع نارا
واذا ما الظلام جنَّ وما بي　　لم وجد يهيج الافكارا
طال ليلي ولم يلح وجه صبحي　　ياترى هل ارى الظلام بوارا
لو يكون الصباح حيًّا برجي　　لم ترَ الزهر في السماء حيارى

وبقت هذه الحالة حالتي و بيت قلبي متهدم الجوانب وينبوع آمالي جاف منقطع الى ان بنيت قصر رجائي وانبعت ميازيب افراحي واحييت مني القوى وارجعت لي السكينة والهدو وصرت على امل قريب من السعادة والاقبال . فاسمح لي ان اراك عندي في قصري بضع ساعات لا تمنع من النظر الى وجهك الكريم البهج المشرق بانواع الكمال واللطف ولاعرض عليك بعض قضايا هي وان كانت باقية في حد التصور ولم تخرج الى ربقة التصديق غير ان القياس علمنا ان نعرف كيف تكون النتيجة فاجب طلبي ولا تحرمني من لذة هذا الاجتماع ويمكنك ان تأتي قصري مطمئناً كالمرة الاولى دون ان تصادف مانعا فان كل من في القصر يعرف حبي لك وهم باجمعهم يخلصون الخدمة لي في نهاية الكتاب ما يأتي

قم بنا فقد ساعدنا القدر　　وجاء طيب عيشنا على قدر
فكم علا امر امرء وما قدر　　فارضع نبا در الهنا ان تلق در
فالشهم من حاز السرور ان قدر
وقد صفا الزمان والامانُ　　واسعد المكان والامكانُ
وانجد الاخوان والاعوانُ　　وقد وفت بعهدها الازمانُ
والدهر تاب من خطاهُ واعتذر
ياحامل الاثقال والاهوالِ　　ومتلف الاعداء والاموالِ
وصادق الوعود والاقوالِ　　ابديت في شدائد الاحوالِ
صبرًا فكان الصبر عقباهُ الظفر
انلت باغي الجود فوق ما بغى　　وعجلت كفاك حتف من بغى
فقد سموت في الندى وفي الوغى　　حتى اذا ما رد ملك نزغا
اخذتهُ اخذ عزيز مقتدر

فلم يقوَ الامير حمزة على تتمة قراءة هذا الكتاب دون ان تنفطر مرارتهُ وقد انقطع عن تلاوتهِ مرارًا بقصد تكفكف الدموع التي كانت تسكب منهُ عند وقوع لذيذ عباراتها في موقع قلبهِ فكأن نذيرًا من فوادهِ كان ينذره بانها اشد منهُ حبًا واكثر ميلاً لان قلبها رقيق جدًا خلق للحب وحده لا لشيء آخر بخلاف قلبهِ الذى خلق قاسيًا لاحتمال المكاره والمصاعب والتجلد عليها والميل الى الانتقام من الاعداء واذاقة الدماء وبهذا يرى ان شعائر النساء هي ارق جدًا من شعائر الرجال وقلوبهنّ اكثر تعلقًا وحفظًا للمودة منهم وعقولهنّ اقرب للتصديق والدليل ان الله قد خلق كل ما هو بهن لطيفًا ورقيقًا فاذا رغبت المرأة بالامانة واعتمدت على الوفاء واخلصت الحب قدرت تلك الامانة حقها ووفت وفاء لا يوجد بواحد من الرجال مهما كان

حفيظًا على الولاء واحبت حبًا صحيحًا ثابتًا تحمد وتشكر عليهِ مع انها تصبح مالكة حبًا ومملوكة ادبًا ودينًا الاَّ ان التفاوت العظيم الذي يقع بين الاشخاص من جرى المعاملات السيئة او رداءة الاخلاق او ما شابه ذلك لا يبنى عليهِ القياس العام . وهكذا كان يدرك الامير حمزة خلوص مهردكار العظيم وصدق حبها حتى اصبحت تخاطر بالنفيس والنفس من اجلهِ . وبعد الامعان والافتكار اخذ فكتب لها

من الامير حمزة بن ابراهيم الى مهردكار سيدة اللطف والوقار

اخذت كتابك ياشمسي وياقمري ووعبت الى رقيق معانيك ودقيق الفاظك فسكرت من نشوة الطافك وصرفت هنيهة ويدي الواحدة على قلبي والثانية اغترف بها من فيضان دمعي فكأَني في عرضة لتذكرات معاني كمالك وخلوصك . واني الان اشكر الله على عودي اليك سالمًا اطمئنانًا لقلبك وارتياحًا لخاطرك واكدي اني لم انسك طول مدة غيابي لا وقت السلم ولا عند اشتباك القنابل

ولقد ذكرتك والجماجم وقعٌ   تحت السنابك والاكف نطيرُ
والهام في افق العجاجة حوّم   فكأَنها فوق النسور نسورُ
فاعتادني من طيب ذكرك نشوة   ابدت عليَّ بشاشة وسرورُ
فظننت اني في مجالس لذتي   والراح تجلى والكؤوس تدورُ

ولم اذكرك الاَّ وسرى الى مسام جسدي مجارٍ من العافية وشعرت بلذة عجيبة لا اعرف كيف اقدر ان اعبر عنها لكني اعرف انك تدركينها عند ذكرك اياي وبمجرد ذكرك هذا كانت تقوى بي دواعي الحماسة فاندفع الى الفوز تصورًا مني انك ناظرة اليَّ ترقبين اعمالي وتنقدين قصوري لا ريب ان اباك لا يقدرني حق قدري ولا بد من ان يميل بكل رغبتهِ واميالهِ الى اقوال واعمال بختك فالتزم ان اسير الى مصيبة اخرى في طريق جديد لا اعرف ما يكون وما وراءهُ الاَّ اني اعتبارًا لك اعتبر اوامر ابيك واري نفسي مضطرًا الى انفاذ غاياتهِ واتظاهر بصدق كلامهِ وابين لهُ اعتباري بخلوصهِ واعتقادي بصفاء باطنهِ ونيتهِ غير ان لا بد لهذه البداية من نهاية مجهولة منا الان اما لخيرنا وراحتنا واما لتقرير عذابنا وحصر المصائب فينا فنموت دون بلوغ المراد فسامح الله الحب فهو وحدهُ الذي ارغمني الى الانقياد وجبرني على الطاعة وجعلني ان اصبر على مر الاعداء وكيدهم . والحاصل فانا ممن يتكل على الله وعلى دوام حبك وثباتك في مضمار الغرام حتى تكوني علة لاحتمالي ما سيقع عليَّ من العذاب بالصبر الجميل واعدك اذا اتخذت زوجة غيرك تكونين انت الاولى بينهن والمقدمة عليهم وسيدة تباهين وتفخرين ويكنَّ لك كعبدات . وقد طلبت حضوري اليك فسوف انسبب الى ذلك فاذا كانت نية ابيك في هذه المرة طيبة

واجب طلبي وزواجي بك ارى ان من الضرورة تأخير اجتماعنا الى ذلك اليوم المنتظر واذا كان الامر بالعكس سعيت اليك ونظرت ماذا يكون وماذا يجب ان نعمل في امر حياتنا فاقبلي مني ثمرة هدية الحب تبرهن لك عن خلوصي لدى الحياة ولك التحيات والاكرام ثم كتب بآخر الكتاب

فضحت بدور التمّ اذ فقتها حسنا   واخجلتها اذ كنتِ من نورها اسنى
ولما رجونا من محاسنك الحسنى   بعثت لنا من سحر مقلتك الوسنى
سهادًا يزود النوم ان يألف الجفنا

وخلت باني عن مغانيك راحلُ   وربع ضميري من ودادك ماحلُ
فاسهر طرفي ناظر منك كاحلُ   وابصر جسمي ان خصرك ناحلُ
فحاكاهُ لكن زاد في دقة المعنى

حويت جمالاً قد خلقت برسمهِ   فخلناك بدر التم اذ كنت كاسمهِ
فقد صار منك الحسن قسما كقسمهِ   حكيتِ اخاكِ البدر في حال تمهِ
سنًا وسناء اذ تشابهتما سنّا

سجنت فوادي حين حرمت زورتي   واطلقت دمعي لو طفى حرّ زفرتي
فقلت وقد ابدى الغرام سريرتي   اهيفاء ان اطلقت بالبعد عبرتي
فان لقلبي من تباريحهِ سجنا

حرمت الرضا ان لم ازرك على النوى   واحمد اثقال الصبابة والجوى
فليس لداء القلب غيرك من دوا   فان تحجبي بالبيض والسمر فالهوى
يهوّن عند العاشق الضرب والطعنا

سأثني حدود المشرفية والقنا   واسعى الى مغناك ان شط او دنا
والقى المنايا كي انال بها المنى   وما الشوق الاّ ان ازورك معلنا
ولو منعت اسد الشرى ذلك المغنى

اعيدوا لنا طيب الوصال الذي مضى   فقد ضاق بي من بعد بعدكمُ الفضا
ولا تهجروا فالعمر قد فات وانقضى   وما نلت من مأمول وصلكمُ رضى
ولا ذقت من روعات هجركمُ امنا

ثم انهُ طوى الكتاب ودفعهُ الى الرسول ودفع اليهِ اوعية الطعام واوصاهُ بان يبلغ مولاتهِ التحيات فاخذ الكتاب وسار فدفعهُ الى مهردكار وكان عندها لذيذًا شهيًّا وتنهدت لا تعرف هل ان الزمان يطول على مثل هذه الحالة وينتهي اليهما مبعدًا عنهما كل عذاب وعناد بالوفق والراحة او يعود الى اجرائهِ ويمشي على محورهِ وجعلت شغلها الدعاء الى الله سبحانهُ وتعالى ان يقرب

منها السعادة ويقربها من الامير حمزة لتكون زوجة له وتسأله تعالى ان يميت بختك لتموت معه المصائب اللاحقة بها وبين احبته

قال وبعد ان ذهب رسول مهردكار من عند الامير حمزة صرف ليلة بين نوم وهدس الى ان اشرق الصباح ولاح بنوره واخذت الاعين الراقدة في ان تستيقظ والعقول تدب في رؤوس صحابها تخرج بهم وتدبرهم في دولاب مصالحهم فنهض من نومهِ ولبس افخر ثيابهِ وخرج الى جواده فركبهُ وتوجه الى صيوان الملك النعمان فوجدهُ على انتظاره فدخل عليهِ واقام عندهُ وطلب منهُ ان يسير معهُ في ذاك النهار الى ديوان كسرى ليسأله زواج بنتهِ ويراهُ في هذه المرة هل هو على الوفاء او انهُ اختلق بابًا جديدًا وفتح له طريقًا آخر. فقال النعمان على ما اظن ان كسرى باقٍ على حالهِ ولا بد ان يكون قد اتفق مع بختك على حيلة ربما كانت اصعب جدًّا مما سبق وعلى هذه فاني ارى الامور صعبة جدًّا امامنا ولا بد من وقوع حروب بيننا وبين الفرس. قال اني اعرف ذلك ويبنهني اليهِ قلبي غير اني جاهد نفسي ما زلت مؤملاً بالزفاف ان لا ادع طريقًا من طرق السلامة الاَّ سلكتهُ ولو تحملت اعظم الاثقال واشد الاتعاب. وفي تلك الساعة حضر اصفران الدربندي واندهوق بن سعدون وباقي الابطال والفرسان من سادات العرب فاذ ذاك ركب الجميع وساروا الى جهة المدينة حتى وصلوا الايوان فدخلوهُ ودخل الامير حمزة بعد ان حيى مهردكار فلاقاه كسرى بالبشاشة واجلسهُ في مكانهِ واخذ كلٌّ من العرب مقامهُ وما استقرَّ بهم الجلوس حتى دار بينهم الحديث وانتهى كل واحد بالآخر وكسرى يقضي مصالح الدول والعمال مدة ساعات. ولما فرغ من الشغل وراق للجلوس الوقت سأل الامير حمزة بزرجمهر ان يطلب الى كسرى الوفاء بزواج بنتهِ اذ ما من وسيلة ولا عذر يؤخران ذلك اذا احب ان يفي وكان يريد اتمام وعده. فبلغ بزرجمهر كسرى ذلك وقال له لما كانت اقوالكم اقوال حق وكلامكم كلام صدق تجاسر ولدكم حمزة ان يذكركم بالوعد الذي وعدتهُ بهِ وهو ان تزفوا كريمتكم مهردكار عليهِ وتشملوه بانظاركم وهو يقدم لكم عوضًا عن ذلك سيفهُ ونفسهُ فيخدم بلادكم وعظمتكم ولا خفى ان عدل الملوك بالصدق وان الوفاء منهم يزين في شرفهم ويزيد في حسن ميل الرعايا اليهم ولاسيما من كان كعظمتكم جبلتم على الكرامة فتقدرون الرعايا حق قدرهم وترفعون شأن المستحق منهم وتذكرون ان آبائكم واجدادكم واصول هذه العائلة الكريمة كانت بالعدل قدوة للعالم فضربت بها الامثال وروى عنها المؤرخون ما كاد يذهل منها العقل ولا يصدقها لولا التأكد بصدقها وصحتها واني اجسر الان ان اعرض لديكم وجوب اجابة طلب حمزة اذ انهُ بحق اذا تذكرتم ما كان منهُ وما ابداه من الخدمة في صالح بلاد الاعجام والاَّ لولاه الان لكانت البلاد في ضيق عظيم من غارتين ولربما كانت الحرب لا تزال قائمة بيننا وبينهُ ومن يعرف كيف كان

المصير ولمن ينتهي النصر الاخير طردنا من المدائن وفي نيتهِ انهُ يكون المالك على هذه البلاد وكان العود اليهِ قلما نفوز بهِ ونعلق الامل بالنجاح ولولا حمزة لما حفظت الكلمة الكسروية والراية الفارسية وقهر العدو بهِ وقع الخوف في قلب كل عمالنا حتى من كان منهم عاصياً او يفكر بالخروج رجع وطاع وعليهِ فهو ينتظر الجواب بالايجاب من عظمتكم فاراد كسرى ان يجيب عن ذلك ويوافق بزرجمهر على طلبهِ حالاً حيث وجد من الصواب الوفاء والصدق والامانة فسبق بختك وقال . اعلم ايها الوزير العاقل الخبير والحكيم الفاضل الكريم ان سيدي الملك طالما ابان لي خلوصهُ من هذا الوجه حتى انني في ليلة امس كنت مجتمعاً معهُ فتكلمنا عن ذلك واتفقنا على مباشرة الافراح وفكرنا ان نجعل للامير حمزة ولمهردكار زفافاً لم يسبق الى ان وقع مثلهُ لابناء الملوك والامراء تحدث بهِ الناس جيلاً بعد جيل اولاً حبًّا بهما وثانياً افتخاراً لعظمة الملك لان من الواجب على الملوك عند زواج اولادهم ان يجمعوا العمال ويبذلوا الاموال وينحروا النحر ويسكبوا الخمور ويعطوا ويهبوا ويجودوا ويزينوا بالبلاد وذلك يحتاج الى وقت ومصاريف وقد سألني سيدي الملك ان انظر في ذلك وارى لهُ باباً وانظر في الخزائن وهل ما بها كافٍ للقيام بمثل هذا العمل واذا كان غير كافٍ اسعى بجمعهِ . فليكن الامير حمزة براحة تامة ولا بد من زواجهِ بمهردكار كيف كان الحال ويستعد لقيام الافراح والحمد لله قد انقضى الامر ولم يعد ما يقف في طريقهِ او يمنع سيدي الملك من اجابتهِ . فاعاد بزرجمهر ذلك على الامير حمزة فلم يرهُ صادراً عن خلوص لكنهُ صبر ليعلم ان كان هذا الكلام اكيداً او غير اكيد واظهر فرحهُ من كلام الوزير وطلب الى بزرجمهر ان يشكرهُ ويثني عليهِ . واما الملك فانهُ بقي صامتاً متعجباً من كلام الوزير وهو لا يعرف ما ينطوي تحتهُ وما قصد بذلك مع علمهِ انهُ يكره حمزة ويدافع في سبيل نجاحهِ ولا يقبل قطعاً بزواج مهردكار بهِ

واقام العرب في ديوان كسرى الى المساء وعند المساء خرجوا راجعين الى اماكنهم وفي ظنهم ان امر الامير قد انقضى وان الزفاف سيكون بعد ايام قليلة فتقام الافراح في كل ناحٍ ويكون للامير زفافاً لم يسبق لهُ نظير في العالم قاطبة الاَّ هو فانهُ كان غير ميقن في كلام بختك عند ما تسمعهُ يقول ان الملك اعهد اليهِ بتدبير هذا الامر وان ينظر في امر قيام الافراح ولوازمها ولما انفرد باخيهِ عمر قال لهُ ان في الظاهر وبحسب ما نحن عليهِ الان كل شيء قد انقضى غير اني لا اعرف ما في سرّ المسألة وماذا يدبر الوزير بختك وقيل ان حبك عدوك فيكون عن جنون والرجل عاقل ما من امر يدل على جنونه . قال كل آتٍ قريب فاذا كانوا يقصدون لك ضرّاً او يدبرون حيلة اخرى لا نلبث ان نظهر فترى في تدبير نفسك اذ ذاك ونعرف كيف نتصرف معهم واني انصحك ان تسلك مع كسرى وبختك مسلك الكبر والعناد وترغم انفسهما باخذ

مهردكار رغما وجبرا عنها وعن عموم رجال الاعجام كبيرهم والصغير . قال اني لا اسير الاّ على مسرى الاحوال فان وجدت بابًا للعناد والنزاع لا اتاخر بشرط ان لا اكون قد أحنثت بوعدي وسلكت بخلاف قصدي فاني اريد ان اطيل صبري الى ان يفرغ ومع ذلك فقد يفعل الله ما يشاء . واذ ذاك جاء خادم مهردكار بالطعام فاكل الامير وعيارهُ وبعد ذلك سأ له الخادم عما كان من امر الملك فاطلعهُ على ما جرى وقال لهُ ان اباها قد وعد بالاهتمام بالزفاف وما من مانع بظاهر الحال يحول دون تأ خير الزفاف الاّ ان يكون اضمر خلاف ما وعد . فرجع الخادم الى مولاتهِ واطلعها على ما سمعهُ من الامير وكيف ان اباها وعدهُ بالزفاف بوقت قريب ففرحت فرحًا لا يوصف واملت نوال المراد ونهاية عذاب من احبتهُ وهو الامير حمزة الذي وان كان يحبها حبًا خارقًا العادة ويتمنى زواجها ويحتمل كل عذاب لاجلها الاّ ان حبهُ لم يكن يعادل جزءا من حبها لهُ فانها كانت مغرمة بهِ غراما لم يسبق ان سمع بهِ وسلمت بكل قلبها الى ايدي هواهُ فلم تبق لها ولا درهما واحدًا تعيش بهِ على الصبر والسلوى وهذا امر بديهي فان المرأة ولاسيما من هي كمهردكار فانها خلقت للحب ولم يكن لها شاغل آخر يشغلها عنهُ فبعثت بكل اميالها وافكارها اليهِ بخلاف الامر فانهُ كان قد ارسل بقسم من اميالهِ الى التعلق بالحب وحفظ الباقي لملاقاة الاهوال والاخطار ومنازلة الابطال والفرسان والتدرج في سبل المعالي وما اشبه ذلك مما يحتاج الى اوقات واهتمام وتعقل ولهذا كان لها وقت فرح ومسرة لا يوصف وقد غمرت خادمها بالعطايا ووهبتهُ الاموال الغزيرة واحضرت سفرة المدام وما تحتاج اليهِ من النقل والمشموم وصرفت ليلتها على الحظ والهناء تطرب وتشرب وتشخص بفكرها حالتها مع حبيبها وكيف ستكون عندهُ بعد ايام وما يكون لها منهُ وما يكون لهُ منها وكيف ان الايام قربتها مما تريد ومع انها كانت من اعقل نساء عصرها لم تحسب لصروف الايام حسابًا وفكرت ان اباها قد اجاب عن طيبة حيث وعد من قبل وقرب منها عظيم هواها القاتل نيل المراد فاصبحت تلقاهُ باميال خالصة من الارتياب حيث كانت تنتظره قبل ذلك على الابواب وتعد نفسها بهِ في المساء والصباح واتجهت بكل افكارها الى تدبير شأ نها وما تحتاجه في هذا الزفاف وما يكون لها فيهِ وفي اي حلة تبرز يوم زفافها المجيد

واما الملك كسرى فانهُ اجتمع في ليل ذاك اليوم مع وزيره بختك وقال لهُ على ماذا عولت وما الذي دبرت فقد سمعت منك اليوم ما لم اصدقهُ قط فهل تكلمت عن يقين وقصدت وقوع زفاف مهردكار على حمزة او فعلت ذلك وتكلمت خلاف ما اضمرت . قال كيف اخون سيدي الملك والتي ببنتهِ شمس الدنيا وزينة بلاد العجم الى يدي هذا البدوي الكافر بدين النار المتعود على الشجية ومن الغرب ان تعيش الحضرية مع البدوي لاختلاف المشرب وفرق الطباع

والعادة والاختلاف بين المدنية والجاهلية لكني نظرت موضع النظر حيث قد عرفت ان ليس من اللياقة ان نصد الامير في الحال ونظهر لهُ بابًا آخر فيضجر ونقع بينهُ وبيننا الحروب وقد صار عندهُ جيش كاف لقتالنا وفرسان لا يوجد عندنا نظيرهم وقد دبرت امرًا خطيرًا اظهره عند الاقتضاء فيصرف بهِ الامير ويسير عنا بهِ مع العرب ونرتاح من امرهم فاطرق الملك الى الارض ثم رفع رأسهُ وقال لوزيره انك لو فتشت قلبي لوجدتني أميل الى حمزة عن صفاء باطن واريد ان يكون زوجًا لبنتي لو لم يكن من عبادتهِ الله ومع كل ذلك فاني ارى من الضرورة التغلب على ارادتي وميلي حبًّا بصالح البلاد والمملكة واجهد النفس في ابعاد العرب فنرتاح منهم. وعليهِ فاريدك ان ترى في عين المطلوب لا كما فعلت قبل الان فانك دبرت في امر تكثير العرب ونجاح اميرهم فاجتمع عنده هذا الجيش وهولاء الفرسان العظام مع انهُ كان في الاصل وحيدًا فريدًا مع شرزمة من عرب البادية الضعفاء فعلى ما عولت. قال فكرت ان اعرض لديك ذات يوم بحضور جماعة العرب ان الخزائن فارغة من المال وليس فيها ما يسد مسد العرس ويقوم بالمصاريف اللازمة في مثل هذا الفرح وذلك لان العمال منذ سبع سنوات لم يبعثوا بالاخرجة المضروبة عليهم ولاسيما منذ اتيان خارقين الى البلاد وتحركهُ الى المسير لجمع الاخرجة والاموال المضروبة على العمال فيسيرون عنا واذا ارادوا ان يطوفوا بلادنا فلا يرجعون منها باقل من سبع سنوات فضلاً ان عمالنا تقف في وجوههم وتحاربهم فيفنون بالتدريج فيئة بعد فيئة اي اذا حاربتهم عساكر البلدان السائرين اليها اي كل بلد اجروا فيها وقعة الى ان يذلوها ويأخذوا منها الاخرجة لا بد في تلك الوقعة ان يقتل منهم قسم فلا يبقى احد قال وماذا تقول عنا عمال البلاد مع ان لا بارة الفرد لنا في ذمة واحد منهم وكل سنة يرسلون ما هو عليهم من الاموال وغيرها. قال كن براحة من هذا القبيل اني دبرت هذا الشان وهو ان اكتب بالكتب وارسلها مع الرسل واخبرهم بها عن واقعة الحال والمقصد الذي بعثنا بهِ حمزة لاجلهِ واني سابعث بكتاب الى القسطنطينية الى الملك اسطفانوس صاحبها ان يحتال عليهِ فيميتهُ مع قومهِ ومثل ذلك الى قيصرية واخبر صاحبها بقتالهِ وقتلهِ ولا بد ان الصدف تساعدنا في هذه المرة فنميتهُ. فاستحسن كسرى هذا الراي وقال لهُ يظهر لي فيهِ هذه المرة النجاح وعسى ان الدهر يجود لنا بالمطلوب فننال المرغوب ويحصل لنا ما نريده

قال وفي اليوم التالي جاءت العرب الى الديوان ودخل حمزة على كسرى على حسب عادتهِ فلاقاه بكل بشاشة واكرام واحسن ملتقاه وبشّ في وجههِ حتى سرَّ منهُ حمزة مزيد السرور وكذلك جماعة العرب الاَّ بزرجمهر فانهُ ادرك معنى ذلك وعرف ان عمل كسرى هو تصنيع يقصد بهِ اطمئنان الامير حمزة وغشهُ واصبح يتوقع ما يكون منهُ لا يقدر ان يأتي بحركة وهو عارف

ان الزمان الموافق لاظهار نفسهِ في حب الامير والمحاماة عنهُ لم يأتِ بعد . وصرف العرب باقي النهار ورجعوا في المساء وعند صباح اليوم الثاني عادوا الى الديوان وداموا على مثل ذلك حتى مضى عليهم مقدار شهر يذهبون في الصباح ويرجعون في المساء والامير حمزة يشاهد حبيبتهُ مهردكار في الذهاب وعند الاياب وكل يوم يظن ان الملك يظهر لهُ اهتمامهُ بالزفاف فلم يرَ شيئًا من ذلك بل يراهُ قد ضرب صفحًا عنهُ ولم يلتفت اليهِ مطلقًا فتكدر من ذلك ولعب بهِ الغضب والحنق وفي اليوم الاخير من الشهر بينما كان في الديوان وجماعتهُ العرب حواليهِ وجماعة كسرى محتبكون في سالك الاجتماع وقف الامير حمزة بين يدي كسرى وقال لهُ ان صدق الوعد بالانجاز وقد وعدتني ان تهتم بعمل الافراح وبقيم الزفاف بوقت قريب فصبرت حتى اليوم وانا اترقب اتمام الوعد فلم ارَ اهتمامكم بهِ والان التمس من عظمتكم ان تعينوا يومًا يكون بهِ الانجاز وينتهي كل عملي وازف على كريمتك التي خطبتها مني وصارت خصيصة بي على حسب وعدك . قال اني اعرف ذلك وقد اعهدت بهِ الى وزيري بختك والظاهر ان مانعًا عظيمًا حال دون العجلة في هذا المعنى . فاكمل بختك الحديث وقال للامير حمزة اننا لا نزال على الاهتمام غير ان مثل هذا الزفاف يحتاج الى مصاريف باهظة واموال غزيرة تصرف فيهِ كون من الواجب على ملك ملوك هذا الزمان سيدي كسرى انوشروان ان يدعو اليهِ كل عمالهِ وامراء بلاده وملوكها وعظمائها واعيانها من اقاصي البلاد الى ادانيها وقد اعرضت احتياجنا الاموال لحضرتهِ فامرني ان اكتب الى العمال اطلب اليهم ارسال الاخرجة المضروبة عليهم حيث قد مضى اكثر من سبع سنوات وهم ممتنعون عن اداء المطلوب واقمنا على الانتظار فلم يأتنا جواب من احد فكأن اولئك الامراء والعمال قد عملوا على الخروج ونزلت من قلوبهم هيبة ملكهم من يوم جاء خارتين وطرده من المدائن ويظهر انهم طمعوا فيهِ وقد اعرضت عليهِ ان يرسلك اليهم لتجبي منهم اموال السنين السبع ومن كان عاصيًا نزعتهُ او ارغمتهُ الى الطاعة فلم يقبل مني هذا واراد كتمهُ عنك ليرى وسيلة اخرى . وعندي انهُ اذا كان لا يستدرك الامر ويرسلك خرجت البلاد من يده وربما اتفق عليهِ الجميع فتكون المصيبة الاخيرة اشر من الاولى والان اطلب اليك انا بلسان الملك واقسم عليك بحيات مهردكار وحرمة البيت الحرام ان تحفظ مملكة عمك فلا تكون قد اخذت بنتهُ وتخليت عنهُ فاجمع لهُ الاموال واشفِ غليلهُ من كل عاصٍ عاتٍ يكون لك عنده رفيع مقام اكثر مما كنت . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام سقط على راسهِ اثقل من الجبال واطرق الى الارض برهة ونار الغيظ تشعل في فؤاده وكذلك سكت كل من كان في ذاك المجلس يتعجبون من احتيال بختك وينتظرون جواب الامير وكان بعضهم كالوزير بزرجمهر والملك النعمان يظنون انهُ لا يمتنع عما طلب بختك لعلمهم بحسن طويتهِ وبعضهم كاصفران الدربندي ومعقل

البهلوان يظنون ان الامير يعمد الى سيفهِ لعلمهم انهُ يقدر على نوال مراده بقوة سيفهِ وتوهمهم انهُ قد فقد صبرهُ ويئست نفسهُ من الحيل والخداع . غير ان جميعهم كانوا يسألون الله ان يمتنع ويطلب اخذ خطيبتهِ اما بالرضا واما بالغصب شفقة منهم عليهِ حيث كان الجميع يعرفون شدة حبهِ وقوة غرامهِ بمهردكار الاّ انهُ نهض رأسهُ بعد برهة وقال ملتفتًا الى جهة الملك أعلم ياسيدي اني خلقت عبدًا لهذه الدولة وارى نفسي مضطرًا الى السعي خلف ما تأمرونني بهِ وهذا اراهُ الان فيَّ او بالاحرى ارى نفسي ملزومًا بهِ وعليهِ فاني نويت كل النية ان اقصد جميع البلاد من هنا الى اقاصي حكمك وما جاورهُ فاجمع الاموال واجبي الاخرجة ومن عصاني انزلت بهِ العبر وبعد فراغي اعود اليك والاّ اذا قضي عليَّ اكون قد ذهبت بيومي فقط أريد منك ان تصحبني بامر عام فاكون مفوضًا بكل ما اريده وارغب ان اجريه ليكون لي الحق ان انوب بطلب الاخرجة عن الدولة الكسروية وتكون هذه الكتابة موقعة بختمك الخصوصي وتذكر بها انك اخترت صهرك لجبي الاموال فيعرف الناس مركزي عندك واعتبارك عندي وسوف ترى مني ما يسرك ويرضيك

فلما سمع العرب كلام الامير حمزة ايقنوا بسفر طويل وعذاب اطول وتاكدوا انهم يطوفون الارض شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا لان بلاد كسرى كثيرة وواسعة تحتاج الى عدة سنوات اذا ارادوا الدوران فيها والتطواف من مكان الى مكان واما كسرى وبختك فقد فرحا غاية الفرح وايقنا ان مدة العرب قد انتهت وانقرضت وسوف يذهبون عن البلاد ولا يرجعون اليها مرة ثانية ولذلك اسرع بختك الى الجواب فاجاب ان سيدي الملك لا يبخل بان يعطيك خطهُ وختمهُ ويفوضك بامر بلاده وعمالهِ فما انت الاّ كواحد من عائلتهِ او بالحري كاحد اولاده ويعرف اكيدًا انك امينًا على البلاد فلا تجور ولا تظلم ولا تجمع غير المال المطلوب فقط على كل مدينة وبلد واني باذن سيدي الملك اكتب لك الان ما اشرت اليهِ . ثم اخذ بختك فكتب امرًا عامًا الى كل بلاد العجم وعمالها وملحقاتها بانهُ قد اعهد من قبل الملك الى الامير حمزة التصرف بجميع الاخرجة والاموال المضروبة على كل بلد وناحية فتسلم اليهِ ليعود بها الى المدائن لانهُ صهر الملك كسرى وامينهُ ثم وقع الملك على الكتابة وختمها بختمهِ الخاص ودفعها الى الامير حمزة وقال لهُ لم يهن عليَّ قط ان ابعدك الان عن المدائن واثقلك مثل هذه الثقلة بعد ان كنت نويت على زفافك في هذه الايام وكان ظني ان الامر قد انقضى وامرت بتهيئة امر بنتي ولكن اعدك الان بعد رجوعك ووصولك بالاموال سيكون لك بهِ زفافًا عظيما جدًا فتعرف البلاد ان قدرك عظيم عندي ومقامك اعظم وما من مانع الان الاّ وجود اموال في الخزينة تكفي لمثل هذا الامر وازيدك وعدًا بحضور هولاء السادات الموجودين الان في ديواني ان بنتي

هي لك مهما طال الزمان وحالت الموانع فلا مطمع لغيرك بها فنم امينًا وعد نفسك بانك ستصبح بدرجة الملوك ذات يوم ولا يبقى في بلاد فارس من هو اعلى مقامًا عندي منك فاظهر حمزة شكره للملك كسرى وفي قلبهِ نار تلتهب منهُ لتأكده ان تلك حيلة قد عملت عليهِ وان كلامهُ هو مكر وخداع يقصد بهِ اطمئنانهُ ويريد ان لا يتكدر منهُ ويبقى على طاعتهِ

وبعد ان انتهى كل عمل نهض الامير حمزة وودع الملك كسرى وقال لهُ آكد يا سيدي اني ساعود اليك بعد أشهر او سنين باعظم مما ذهبت عنك الان ويكون لي مقام بمساعدتهِ تعالى لم يكن لغيري وذلك انشئهُ بقوة زندي واتكالي على المولى والهي الذي اعبده وكما ان الاسفار التي اخترتها لي منذ الاول كانت بخلاف ما تقصدون وتضمرون لي حيث جاءت نافعة لي مفيدة واصبحت كملك لديَّ من الفرسان العظام والابطال الاشداء ما يشتد بهِ ساعدي وتقوى كرامتي وسوف تكشف لك الايام ويعلم اعدائي اي منقلب ينقلبون وبعد هذا خرج الامير وجماعتهُ وعند ما صار خارج الابواب ركب جواده الاشقران ومال بانظاره الى جهة قصر مهردكار فوجدها بانتظار خروجه الدقيقة وراء الدقيقة فاشار اليها مودعا دون ان يبدي اشارة تبسم وقرأت على وجههِ اسطر الكآبة فتاكدت وقوع حادث جديد مكدر وثبت لديها ان آمالها لا تنتهي بزواج الامير وارادت ان تعرف السبب ولما نظر اليها تلك النظرة وهو مغضب على خلاف ما كانت تنتظر ولم يخطر لها قط الاَّ ان غضبهُ من ابيها وانهُ قد وضع في طريقهِ مانعًا يمنعهُ من نوال مراده . وفي الحال دعت بخادمها وقالت لهُ سر الى الامير واسأَلهُ عن حالهِ واطلب اليهِ ان يزورني في هذه الليلة بعد الساعة الرابعة من الليل بحيث اراه واعرف ما هو السبب الذي وقع لهُ فسار الخادم لاتمام امر مولاتهِ واما الامير فانهُ بقي سائرًا دون ان يبدي كلمة الى ان وصل مع العرب الى صيوان الملك النعمان وهناك سأَلهُ جماعتهُ عن اجابتهِ وقال لهُ النعمان لقد رميت بنفسك الى سفر طويل ولم تنظر ما فيهِ من الاهوال على ان كسرى لم يقصد لك الخير. وما اختار لك هذا الامر الاَّ ليبعدك عنهُ ويبعدنا نحن ايضًا عن بلاده ويهلكنا واني اعرف آكيدًا ان لا بارة لهُ عند عمالهِ الاَّ السنة الحالية التي لم تفرغ بعد ومن المقرر ان العمال عند راس السنة يرسلون كل ما هو مطلوب منهم الى المدائن والان على ماذا عولت هل تبقى مصرًّا على السفر او تسمع لنا وتدعنا ندخل المدينة جبرًا ونأْخذ مهردكار بالقوة ونشعل نار الحرب بيننا وبين الفرس ومهما قدرهُ الله كان مفعولاً . فقال لهم اعلموا يا سادات العرب اني نظرت موضع النظر وما فكرت الاَّ بصالحنا ونجاحنا ولا يخفاكم ان الاعجام كثيرون ودولة كسرى اعظم الدول مسموعة الكلمة فاذا فتحنا حربًا نحتاج الى معاناة اثقال واهوال لاني لا ارغب في ان اغدر بهِ بل اريد ان احاربهُ حربًا قانونية واني وان كنت اعرف ان فرساني اشداء واننا نفوز على الفرس مهما كان عددهم غير اني

اعرف ان هذا الفوز يكلفنا خسران بعض رجال من رجالنا ونلتزم بهِ الى مصاريف واموال باهظة ولا بارة بايدينا الان ولهذا السبب خطر لي ان اجمع اموال كسرى التي انا سائر بطلبها عن سبع سنين ان كان لهُ او لم يكن اليس بيدي خطة وختمة وبعد ان اجمع الاموال ابقيها في يدي فلا ادفعها لهُ الاَّ اذا اجاب طلبي وازوجني بمهردكار وان امتنع حاربناه من مالهِ ورجالهِ ونكون اصبحنا اغنى منهُ بكثير فضلاً عن ان سائر بلاد الفرس من اعجام وغيرهم يعرفون مقدرتنا اذا اتينا بلادهم فلا يجسرون على الانضمام الى كسرى لحربنا وغير ذلك فاني ايضاً اريد ان اشهر اعمال كسرى انوشروان في كل بلاده واميّل الناس اليَّ وابعدهم عنهُ ولا يكون الاَّ ما يوافقنا ان شاء الله واما انتم فمن شاء منكم ان يسير معي فاهلاً والاَّ فليرجع الى بلاد العرب الى حين عودتي وكفاني ان اسير برجالي الاخصاء . فقال لهُ الجميع اننا لا نفارقك فاين سرت سرنا في ركابك وتحت امرك ونقاتل بين يديك واننا نعرف ان هذا الامر نافع لنا غير ان خوفنا من التطويل لان جباية الاموال من بلاد كبلاد كسرى تحتاج الى سنين غير قليلة فتخرج مهردكار من يدك قال اني اصبر على طول المدة فالف سنة في عيني الله مثل يوم واحد قد عبر يفعل ما يشاء واما فوات مهردكار من يدي نعم انهُ يغيظني ويلقيني في اليأس غير انهُ لا يبعدني عن رغبتي في نيل المعالي ومن المعلوم اني ما احببتها الاَّ كونها احبتني وتستحق المحبة وكونها ايضاً تعبد الله وترغب في دينهِ والاَّ كنت لا اريد ان اتزوج ببنت رجل كذاب عامل على الخداع والغش ولولا صدق مودتي وتاكدي انها ذات شعائر حميدة عربية لكانت اعمال ابيها قللت من حبي اياها فاتخذت غيرها زوجة الاَّ ان صفاتها الحسنة تدعوني الى ان اجهد النفس فانتشلها من بين الفرس كونهم لا يستحقونها

وبعد ذلك ذهب حمزة الى صيوانهِ ومعهُ عمر العيار فلما وصل اليهِ وجد عندهُ خادم مهردكار فحياهُ وسأَلهُ عن مولاتهِ فاخبرهُ بحالها وقال لهُ انها تدعوك لتحضر عندها وتسأَلك عن السبب الذي اوجب كدرك وتراك وقد اعدت كل شيء لحضورك وصرفت الخدم من عندها فلم يبقَ الاَّ انا والبواب فقط وكلانا مخلص لمولاتنا ولك نرغب في خدمتك وخدمتها . فخطر للامير ان يذهب الى مهردكار مرة ثانية ويصرف قسماً من الليل عندها حيث ان امامهُ سفر طويل فيتودع منها وداعاً كافياً ويجعلها ان تصبر على فراقهِ الى حين رجوعه وعليهِ قال للخادم سر الى مولاتك واخبرها اني بعد الساعة الرابعة من هذا الليل آكون عندها فابقى الى حين اقبال الفجر فرجع مسروراً بنجاح مأْموريتهِ ولما وصل الى قصر مهردكار وجدها بانتظاره لتعلم هل ان الامير يزورها ام لا فلما اخبرها باتيانهِ فرحت فرحاً لا يوصف ووعدت نفسها بالخير العظيم والراحة ساعات معهُ فنهضت ولبست افخر ما عندها من الثياب وافرغت عليها حلاها

وتكللت باكليل من الذهب الوهاج فوق راسها المستدير اللطيف الحجم كونها كانت سلطانة الجمال وكان من حقها ان تبرز على الدوام باكاليل الظفر على ربات الخدور والفوز على كل ناظر ذكرًا كان او انثى . وبعد ان فرغت من تهيئة نفسها امرت ان تمد صفرة الطعام وصفرة المدام كل واحدة في غرفة ويوضع كل ما هو شهي ولذيذ واهتمت بذلك بنفسها وتفكر في كل ما هو عزيز عندها لتقدمة الى حبيبها حين زيارته لها . وعند حلول الوقت شعرت في داخلها بخفقان وارتعاش كأنها عرفت بدخول الامير المدينة وقربه من قصرها لانهُ كان قد لبس ثياباً عجمية ونزل الى المدينة مقلدًا بسيفهِ ومعهُ اخوهُ عمر العيار فدخل من باب المدينة دون معترض ولا مانع وسار الى جهة قصر مهردكار فوجد البواب قائمًا على انتظاره وحالما رآهُ قبل يديهِ وسار امامهُ الى ان صار في الداخل واذا بمهردكار قد لاقتهُ الى نصف السلم فترحبت بهِ وسلمت عليهِ واخذتهُ من ابطهِ ومشت بهِ الى قاعة الجلوس فدخل وجلس على كرسي من الذهب الوهاج اللامع مقعدها من المخمل محشو بالريش الناعم وبعد ان قدم لهُ الشراب الممزوج بالسكر والماء زهر قالت لهُ لقد حلت حلول البدر في الافق فانرت المكان واحييت السكان اي شيء افضل عندي من ان اراك قريبًا مني اشاهد جمالك وانظر اليك واسمع عذوبة الفاظك انت من الدنيا حبيبي وساعة من ساعات قربك تكفيني ان اقول اني سعيدة الزمان بطولهِ فقد حصلت اولاً وثانيًا على ما انا طالبتهُ . فانفِ عنك كل هم وكدر وانظر اليَّ في امري ودبرني بمعرفتك ولا تتهامل بامر فيهِ الخير والنجاح لك . ابي وعد انهُ يزفك عليَّ ويزفني عليك وكنت اراك على الدوام مسرورًا الى ان رأيتك في هذا اليوم مكدرًا فخفق قلبي وتقطعت آمالي وايقنت بحلول مصاب جديد يؤذن بفراقنا وعذابنا ويبعدنا عن بعضنا بعد ان كنا على امل التقرب قال ان اباك لا يصدق في وعده ما زال عندهُ بختك الوزير فانهُ يتلاعب بهِ فيغير افكارهُ عليَّ ويظن باني اهلك فيختلق لي المخاطر ويرمي بي الى حفر الهلاك فيراني قد عدت منتفعًا منها وفيها فائزًا على غاياتهِ ومقاصده فلله درهُ من مخادع محتال ونافع لي على غير ارادة منهُ . لقد اختلق لي في هذه المرة سفرًا طويلاً ظنًا منهُ انهُ يكون عليَّ وعلى العرب شرًا ووبالاً والحال انهُ سوف يكون وسيلة كبرى لنشر اخباري في بلاده جميعها وبهِ اقدر ان احصل عليك باقرب وقت وهو انهُ يدعي بان لا مال في خزينتهِ لعمل افراح العرس ولذلك طلب اليَّ ان اجمع لهُ الاخرجة من كل بلاده من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب زاعمًا ان لهُ نحو سبع سنوات لم ترد اليهِ الاخرجة والرسوم من العمال كأنهم عاصون عليهِ غير مطيعين لامره فهذا دليل كبير على كذبهِ وخداعه واعدك اني ساجمع الاموال بسهولة من كل بلاده لكني لا ادفعها لهُ قط الاّ اذا زفني عليكِ .

فلما سمعت مهردكار هذا الكلام نزل على راسها نزول الصاعقة وكادت توقع الى الارض لو لم تتمسك بذراع الامير وترمي بنفسها على عنقهِ واذرفت دموعها فحن لها وقال لها لا تخافي وتصبري فما من وسيلة بعد للرجوع عن ذلك فكوني براحة ولا بد لي من اخذكِ والزواج بكِ لو كان الف مانع يحول بيننا غيران من تأنى نال ما تمنى فاصبري على امركِ . قالت اني اطلب اليك الان بحرمة ابيك وبحيات حبك لي ان تأخذني في هذه الساعة معك وتذهب عن بلاد الفرس الى بلاد العرب ودع ابي يفعل ما يشاء فكفاك ان تلاقي اهوالاً وشدائد بسببي فاذا كنت بيدك وسلمت امري اليك خفت عنك كل هذه المصائب اذ ترى نفسك غير محتاج الى احتمال مثل هكذا عذاب . قال لو كنت ارضى بذلك لفعلتهُ منذ الاول لاني اريد ان اتزوج بكِ زواجًا شريفًا ويكون لكِ عرسًا عظيمًا لم يسبق ان سمع بمثلهِ فارغم بذلك انوف اعدائي واقهر اخصامي ولا يقال عني وانا فارس برية الحجاز وبهلوان تخت كسرى انوشروان قد سببت بنتهُ واتخذتها زوجة بالرغم عنهُ وعنها ولاسيما ان الناس لا يعرفون ثقل ظلم ابيكِ فيظنون بكِ السوء ويتكلمون بحقكِ حيث قد تركتِ اباكِ وعلقتِ نفسكِ بي قالت اني اعرف ذلك حق المعرفة انما الحياة عزيزة فاخاف عليك جدًا وافضل ان يقال عني اني ارتكبت امرًا عظيمًا او بالاحرى افضل الموت من ان اسمع انك عملت ثقلة بسببي او لحق بك اذى الست انت هو الرجل الوحيد الذي عليهِ متكلي واليهِ اسلم بكل امري فهل من امل بالحياة لي اذا بلغني وقوع امر مكدر عليك فارحمني وارجع عن سفرك وانظر في امرك ودع عنك ما وعدت ابي بهِ وارجع الى اجباره على زفافي فمتى راك مصرًا على العناد وانك لا تقبل الاَّ بالرفاف اجاب في الحال وانهى ما وعد بهِ وخالف بخنك دفعًا للشر بينك وبينهُ فهو يميل اليك ولولا وزيرهُ الخبيث لاجابك منذ الاول . قال لا اقدر على الرجوع عن وعد صدر مني الا تعلمين ان العرب رجال وفاء وصدق وامانة يخاطرون بالنفوس والنفائس من اجل حماية جارٍ او اثبات وعد او انفاذ كلمة فكيف اكون الامير حمزة وارجع عن كلامي على اني لو رجعت لاغاظكِ ذلك ونسبتي لي قلة الوفاء كما تنسبين ذلك الى ابيكِ قالت انهُ يسرني منك الصدق فهو مزية حسنة رئيسية بالانسان فمتى كملت صفاتهُ كان صادقًا امينًا على وعده وعليهِ فاني اسلم بامري وامرك اليهِ تعالى فهو يدبرنا بعنايتهِ كيف شاء ولا ريب انهُ يقصد بذلك امرًا صعبًا للوجود فالنصيب عنده محفوظ اما للخير واما للشر

ثم انها طلبت اليهِ ان يذهب معها الى غرفة الطعام حيث كانت بانتظاره ليتناولاه معًا فاجابها وذهب الى المائدة وجعل كل منهما يناول الآخر وهما على اهنى ما يكون من حسن العيشة واللذة الى ان فرغا الطعام فاخذتهُ من يده الى غرفة المدام واذا اسرتهِ ممدودة وعليها

الفناني قد صفت بترتيب والى جانبها الاقداح الذهبية المرصعة وعلى دائرها صحون من الذهب المنقوش من عمل الاكاسرة فيها كلها النقولات اللذيذة الشهية والزهور الزكية العطرية فكان مجلسًا انيقًا انيسًا لسان حالهِ يقول

تب الى اللذات فالعمر قصيرُ — وحياة المرء في الدنيا غرورُ
فاسرع الخطو فعندي شادن — وفتاة وخمور وزهورُ
وسقاة وحداة وغنى — وجنوك وطبول رزمورُ
كل ما درنا رأينا بيننا — شادنًا يشدو وكاسات تدورُ

وايضًا

افديهِ ظبيًا بالشراب مولعًا — وترشف الاقداح وهو الاكيسُ
فكأنهُ البدر المنير اذا بدا — من نور طلعتهِ اضاءَ المجلسُ

وعند المائدة كرسيان من العاج عليهما وشاحًا من الحرير الاحمر اللامع فجلس كل منهما على كرسي وحينئذٍ اخذت مهردكار كاسًا ملأتهُ خمرًا وشربت منهُ قليلاً وسقتهُ الى الامير حمزة من يدها فنزل على قلبهِ نزول العافية على جسم العليل المأيوس من الراحة والحياة فقصد ان يقابلها بالمثل فاخذ قدحًا وفعل مثلما فعلت وانشدها

قالت كحلت الجفون بالوسن — قلت ارتقابًا لطيفك الحسنِ
قالت تسليت بعد فرقتنا — فقلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا — فقلت بفرط البكا والحزنِ
قالت تناسيت قلت عافيتي — قالت تناءيت قلت عن وطني
قالت تخليت قلت عن جلدي — قالت تغيرت قلت في بدني
قالت تخصصت دون صحبتنا — فقلت بالغبن فيك والغبنِ
قالت ازعت الاسرار قلت لها — صير سري هواك كالعلنِ
قالت سررت الاعداء قلت لها — ذلك شيءٌ لو شئت لم يكنِ
قالت فماذا تروم قلت لها — ساعة سعد بالوصل تسعدني
قالت فعين الرقيب تنظرنا — قلت فاني للعين لم ابنِ
امحلتني بالصدود منك فلو — ترصدتني المنون لم ترني

وكان ينشد ذلك بصوت رقيق ناعم واطئ وكان صوتهُ جميلاً فطربت مهردكار وسكرت من حسن انشاده وملاحة صوتهِ وطيب صفاتهِ وقد غاب وعيها وضاع عقلها وملأت قدحًا آخر وشربتهُ وسكبت آخر وسقتهُ وانشدتهُ برخيم صوتها

قد ذبت من الم الجوى فاستبق بعضك يافؤاد
واعلم بانك لا تردّ اذا فنيت ولا تعاد
بخلوا بطيف لو بـه سمحوا لما سمح السهاد
وممنـع مما يتيـ مـهُ يكاد يغضبهُ الوداد
اقسمت لو سمـع الجما د حديثهُ رقص الجماد
حبهِ انزل بي جنو ن الحب فارتحل الرشاد
مولاي برّح بي الجفا والصد عني والبعاد
فالدمع وردي دائمًا والجمر لي ابدًا مهاد
من لي بصبر والتصبـ ـر عنك ما لا يستفاد

وانصرفت بقية تلك الليلة على تلك الحالة وهما يتناشدان الاشعار ويتعاطيان الخمور ويتعانقان عناق العفاف والطهارة الى ان اذن الوقت بالارتحال فنهض الامير حمزة وطلب الانصراف وقال لها قد آن اوان الوداع ولا بد بعنايتهِ تعالى نلتقي في هذا القصر مرة ثانية فشعرت مهردكار بخوار قواها وانفضت عنها كل تلك المسرات التي لاقتها في تلك السهرة بدقيقة واحدة سمعت بها من الامير كلمة الفراق ولم تقوَ على القيام فتمسكت بهِ فرفعها وودعها وهو متأثر من حالتها وسار عنها مشتت الافكار يلعن اباها وبختك حيث انهما كانا علة الفراق وسبب هذه الاحزان وبقيت مهردكار بعد ذلك ساعات لا تعي على احد وقد حضرت قهرمانتها وخادمها فرفعا المؤائد وغسلا الارض وحملاها الى سريرها على حالتها

ولما وصل الامير الى صيوانهِ دخل الى سريرهِ فنام قليلاً الى ان اشرقت شمس النهار جيدًا فايقظ عمر العيار وحينئذٍ خرج من سريره وتقلد بسلاحه وركب جواده الاشقران وسار الى صيوان الملك النعمان وسألهُ الرحيل والسفر عن تلك الارض لاتمام ما وعد بهِ فاجابهُ لانهُ كان قد هيأ نفسهُ ودبر امر عساكره وكذلك اندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان واذ ذاك اصدر الامير حمزة امرهُ بالركوب فركب كل فارس وبطل وركب مع الامير جماعة الثمانمائة الذين ولدوا يوم ولادتهِ وانتقلوا عن تلك الارض واخلوها حتى بعد ساعات قليلة اصبحت خاوية خالية وكان كسرى يشاهد رحيلهم وقد سرهُ كثيرًا فقال لهُ بختك بشراك ياسيدي فان العرب قد رحلت عنا وبعدت عن ديارنا ورحيلهم هذا سيكون الى عدة سنوات هذا اذا لم ينقرضوا ويهلكوا واريد منك لان ان تأذن لي ان ابعث بالرسائل الى كل العمال والملوك التابعين لمملكة الفرس والمحالفين لها ان يصرفوا الجهد الى اهلاكهم وفنائهم ومن انقرضوا على يده كان لهُ عندنا الخير العظيم والجزاء بالمعروف والمكافاة بتوسيع ملكهِ . قال افعل ما تريد فان ذلك

عائد بالنفع لبلاد فارس فيتخلصون من العرب . وعلى ذلك كتب بختك الكتب وبعثها مع الرسل عن لسان الملك كسرى الى كل من الولاة والامراء والملوك يخبرهم بخبر الامير حمزة وجماعتهِ وما هو السبب الذي اوجبهُ لارسالهِ اليهم ويسألهم اخيرًا ان يسعوا في موتهِ ومن فعل ذلك كافاهُ المكافاة الجزيلة واقام بعد ذلك ينتظر ما يسمع من اخبارهم وفي ظنهِ انهُ جنى ثمرة شرهِ وخبثهِ وفعل افعالاً عادت على بلاده بالخير واغتر بنفسهِ مفكرًا انهُ فاز على عدوه

فهذا ما كان منهُ واما ما كان من الامير حمزة فانهُ دام على مسيره وهو يخترق الفيافي والقفار بذلك الموكب العظيم الذي لا ينقص عن مائتي الف فارس من فرسان العرب المشهورين الى ان وصلوا الى مدينة حلب وكان دالوهم عمر العيار حيث كان معهُ الذخيرة التي يهتدي بها الى سائر الاماكن كما تقدم معنا ولما وصلوا عند ضواحي المدينة نزلوا هناك وامروا ان تضرب الخيام وتسرح الخيول وترتاح الرجال مدة ايام . وكان القائم على حلب ملك اسمهُ نصير يعبد الله وهو عاقل يتبصر باحوال مستقبل حياتهِ ويعرف ما يكون منها وعند ما وصلت اليهِ كتابة كسرى وعرف ما بها فكر في نفسهِ وقال لولم يكن هذا الامير حمزة ممن يرهب جانبهُ لما خافهُ الملك الاكبر وابعدهُ عنهُ وقصد هلاكهُ بالحيلة على غير يده ولولم يكن فيهِ الكفاءة بان يزعزع ملكهُ لما تجاسر وطلب بنت كسرى زوجة لهُ ولولم يعلم ابوها انهُ بطل شجاع لما اجابهُ ووعدهُ ان يزوجهُ بها واخذ يحتال عليهِ ويسلك مسالك الغش والخداع لينتقم منهُ فمن الواجب ان اشتري نفسي بالتي هي احسن واجعل بيني وبينهُ مودة وصداقة الى ان ارى ما يكون من غيري من العمال وبهذا ادفع شرهُ عن بلادي وادعهُ يرحل الى غيرها . ولما وصل الامير حمزة الى تلك الارض واستقرَّ فيها كتب كتابًا الى الامير نصير المذكور يعرض عليهِ امر كسرى الذي بعثهُ لاجلهِ ويطلب اليهِ دفع الاخرجة عن سبع سنوات ماضية فقرأ الكتاب وفي الحال جمع رجال دولتهِ واعيان بلاده وعرض عليهم كتابة كسرى وكتابة الامير واخبرهم ما جال بفكره فاستحسنوا رأيهُ وطلبوا ان يخرجوا الى ملاقاة الامير ويترحبوا بهِ ويعرضوا عليهِ امرهم ويخبروه بكتابة كسرى وان لا بارة الفرد عليهم . ومن ثم خرجوا الى خارج المدينة وجاءوا المكان المقيم فيهِ حمزة مع جماعتهِ ودخلوا عليهِ فلاقاهم وترحب بهم وسلم عليهم ولما استقرَّ بهم الجلوس قال الامير لصاحب المدينة اعلم ايها الامير ان الملك كسرى قد بعثني لاجمع لهُ الاموال المتأخرة على البلاد فانهُ في حاجة لها ولذلك اريد منكم ان تجمعوا ما هو عليكم من سبع سنوات وتسلموني اياهُ حالاً فاني اريد الرحيل ولا ارضى ان اقيم اكثر من مدة اقدر بها ان اقبض الاخرجة المطلوبة . فقال لهُ اننا كلنا نحن بين يديك وطوع امرك وانما نخالف كسرى من اجلك غير ان لا خفاك انهُ اراد بذلك ابعادك وهلاكك لان لا بارة واحدة في ذمتنا لهُ فاذا اخذت منا

عيتيا تكون قد ظلمتنا وحاشاك من ذلك . قال اني اعرف انهُ استوفى منكم مطلوبهُ غير اني جئت لهذه الغاية فلا اريد ان ارجع كي لا يبقى لهُ حجة يحتج بها نعم انهُ لا يمكنكم ان تدفعوا عن سبع سنين ماضية مرتين غير اني اريد ان تدفعوا لي عن سبع سنوات آتية سلفاً واعطيكم بها وصلاً موقعاً مني بحسب تفويضي من الملك كسرى ومنذ هذه السنة الى مدة سبع اخر لا تدفعون بارة الى احد وغير ذلك لا يمكنني ان اقبل . فقال الامير نصير ان كان لا بد من ذلك فاصبر عليَّ مقدار عشرين يوماً ريثما اقدر ان اجمع الاموال المطلوبة من النواحي والقرى . قال اني اجبتك الى ذلك واكراماً لك اقيم على الانتظار وسوف ترى ان شاء الله ما يسرُّك في ما يأتي من الزمان فتخلص من دفع الاموال والاخرجة لعبدة النار والكفرة . وبعد ان صرف اهل المدينة قسما من النهار عند الامير حمزة ودعوهُ ونزلوا المدينة واخذوا في جمع الاموال المطلوبة وقد عملوا للعرب وليمة عظيمة لها قدر وقيمة واختلطوا بعضهم البعض واصبحوا كأنهم قبيلة واحدة وبقيوا مدة عشرين يوماً وفي اليوم الحادي والعشرين خرج الامير نصير والاموال بين يديهِ وقد سدت الفضاء من كل محاصيل حلب عدا عن الذهب والفضة فقدمها الى حمزة واخذ منهُ بها وصولات موقعة منهُ و بعد ان قبض الاموال قال لهُ اني اخبرك لا عدت تدفع منذ اليوم الى كسرى ولا بارة الفرد واني اعفيك من هذا الخراج واذا عاد فطلب منك اموالاً زعزعت الايوان على راسهِ وضربت بلاده لاني في هذه المرة ساعود اليهِ بصفة محارب لا مسالم وسوف تصل اليك الاخبار ثم ان الامير نصير دفع اليهِ كتابة كسرى المرسلة اليهِ فاخذها منهُ وسلمها للملك النعمان وقال لهُ احفظ هذه عندك الى حين الحاجة و بعد ذلك ودع الامير نصير ووعدهُ بالعود اليهِ مرة ثانية في اثناء مروره من تلك الجهة . ومن ثم امر رجالهُ ان نقلع عن تلك الارض ونسير في طريق آخر الى غير جهة فركب الجميع وسألوا عمر العيار الى اين يريد ان يسير بهم فقال نسير من هنا على طريق ديار بكر واورفة والموصل ومن ثم الى القسطنطينية ومن بعد ان نفرغ من كل هذه البلاد نعود الى حلب ونسير في طريق آخر

ثم انهُ سار امامهم على الطريق الذي اشار اليهِ وسار الجميع في اثره و بقيوا مدة ايام الى ان وصلوا الى ديار بكر فجمع المال من صاحبها دون ان يكون منهُ معارض او ممانع و بعد ان قبض الامير الخراج واعطى بهِ وصولاً عن سبع سنوات سلفاً رحل الى اورفه ففعل كما فعل بغيرها وقبض الاموال واعطى بها الوصولات واخذ مكاتيب كسرى المرسلة اليهم بخصوص هلاكهِ ودام الامير حمزة وجماعة العرب يسيرون من ولاية الى ولاية ومن عاصمة الى عاصمة يجمعون الخراج ويرفعون الاحمال على ظهور الجمال وكل واحد يقتدي بجاره فلا يمتنع ولا يعتذر عن الدفع بل كان الجميع يسرون من معاملة الامير ويحبونهُ الحب العظيم ولاسيما عند ما يثبت لهم ان هذا

هو الخراج الاخير الذي يدفعونهُ وان بعد ذلك لا يدفعون قط لاحد وكل منهم يكون حرًّا فقط يلتزم ان يبقى على صداقتهِ ومودتهِ فيساعدهُ المساعدة الواجبة ويدافع عن بلاده ولا زال سائرًا الى ان قرب من القسطنطينية وكان الحاكم عليها ملك عالي الشان رفيع المقام كامل حكيم خبير باحوال السياسة والفنون والمعارف والطب والهيئة اسمهُ اسطفانوس فلما سمع بوصول العرب اليهِ فرح جدًّا لانهُ كان يعرف ان رجلاً من العرب يخرج على بلاد العجم فيقلب تخت كسرى ويضعف شوكة العجم ويذلهم الى ان تهدم من بعدهِ معابد النار باذن العزيز الجبار ولذلك لبس افخر ملابسهِ ووضع التاج على راسهِ وخرج بموكب عظيم الى ملاقاة حمزة والذين معهُ ولما وصل الى معسكر العرب عرف بقدومهِ الملك النعمان فخرج الى ملتقاهُ وسأل حمزة ان يخرج وقال لهُ ان هذا الملك هو افضل من كسرى شأْنًا وادبًا ولذلك من الواجب ان نسعى في خدمتهِ ولما وصل اليهم ترجل وترجلوا وسلم كل منهم على الآخر وعادوا الى صيوان الملك النعمان فدخلوهُ وجلست اعيان القسطنطينية حول سيدهم وترحبوا بقدوم العرب اليهم وقال الملك اسطفانوس اعلموا ايها السادات الكرام اننا نعرف ان العرب قوم اعتادوا على المروَّة والوفاء وحفظ الناموس يبذلون نفوسهم في شرف ناموسهم وان كانوا يسكنون البادية وهم على غير شيء من العلوم والمعارف لا يعرفون غير الشعر فيتغزلون ويتحمسون دأبهم السلب والنهب والغارات على بعضهم بعضًا لكن مزية تأْمين الجار واغاثة الملهوف لا تقاس بها فضيلة فهم على هذه افضل من غيرهم بكثير يحق لهم ان يباهوا على الاكاسرة وكل طوائف الارض ولذلك اخبركم الان انهُ وصلت اليَّ كتابة الملك كسرى مع رسولهِ وعرض عليَّ عنادكم واخبرني بكل ما كان من الامير حمزة فعجبت منهُ ومن عملهِ وخداعهِ ونكثهِ للمعروف ونكرانهِ للجميل فكيف يسعى في هلاك فتى تربى على مالهِ وفي عهدتهِ واخيرًا خلص لهُ بلادهُ من عدوهِ خارتين وارجعهُ الى ملكهِ بعد ان كان قادرًا ان يتولاها هو ويجعلها عاصمة الممالك العربية وتسود بهِ العرب على كل قبائل الدنيا وعرفت من هنا ان كسرى ظالم مخاتل وان حمزة مظلوم معهُ وقد فتشت في الكتب فوجدت انهُ هو الذي دلت عليهِ الدلائل فيذل الاعجام ويثل عرش كسرى ويكون لهُ شأْن عظيم ويقع بينهُ وبين كسرى حروب هائلة عظيمة يحتاج بها الى مسعفين ومساعدين فتاقت نفسي الى مصاحبتكم لاكون معهُ واخدمهُ على سعادتهِ واقبالهِ لاني عارف بمهنة الطب معرفة تكفل لكم شفاء كل جريح يصاب وقت الحرب . نعم ان كسرى بعثكم اليَّ مع علمهِ باني لست من عمالهِ لكن ترجاني ان اقتل الامير حمزة واحارب العرب ظانًّا اني اوافقهُ على جهلهِ واجعل نفسي آلة بيده لانفاذ غاياتهِ بل سوف يراني عدوًّا لهُ الدًّا وذلك من اجلكم وحبًّا بكم فان حمزتكم موفق وسوف تصل بهِ السعادة الى اعلى درجات المجد وينال ما لا ينالهُ غيرهُ لا من الامراء ولا من

فلما سمع العرب كلامهُ مدحوهُ عليهِ وشكروهُ وتعجبوا من كرامتهِ وقال لهُ الملك النعمان لا ريب ان دين النصرانية هو الذي حملك على كرامة الاخلاق والتعقل والتبصر بعواقب الامور قال نعم ان الدين والتدين بالله تعالى والتسليم باقوالهِ ومحبة انبيائهِ علة كبرى لتهذيب الاخلاق وتحسين المزايا في كل نفس بشرية غير ان للحق سلطان سائد في الناس يعرفهُ كل فرد من افراد البشر فيدوسهُ صاحب الاخلاق السيئة مع اعترافهِ بهِ في داخلهِ ويكرمهُ سليم الطباع تأدباً منهُ وما اريده الان هو حق وواجب . فقال الامير حمزة اننا في حاجة لمثلك في سفرنا هذا وفي كل حياتنا فاهلاً بك ومرحباً فستكون من كبار رجالنا وسادات قومنا غير ان لا اخفاك اني اتيت بطلب الاخرجة عن سبع سنوات فاريد منك قبل كل شيء ان تدفعها لي فاعطيك بها وصلاً وما ذلك الاً حفظاً للحساب كي لا اغلط مع كسرى اذا قبل وسلمني بنتهُ زوجة عن طيب خاطر ورضا ولا يكون لهُ عليَّ من حجة فيقول لي بما تممت الوعد ولا جئت بالرسم المضروب على القسطنطينية وان كانت مستقلة لكن عاهدتهُ ان اسير اليها والى كل البلاد التي اشار لي عنها انها بحوزتهِ وامتنعت عن دفع الجزية . قال ساقدم الجزية اكراماً لك لا لهُ وازيدك فوقها اني اخذ معي كل ما هو عزيز وثمين ليكون في خدمتك وتحت امرك فلا تعود لكسرى من حجة عليك وبعد ان اقام الملك اسطفانوس نحو ثلاث ساعات عند العرب ودعهم ونزل الى البلد وقد دعاهم في اليوم الثاني الى وليمتهِ ليكونوا كل مدة اقامتهم القليلة في ضيافتهِ فاجابوهُ الى ذلك واقاموا بعد رحيلهِ يتحدثون بشأنهِ وقد قال الملك النعمان ان السعادة ترافقنا اينما رحنا فاذا كان الملك اسطفانوس معنا انتفعنا بهِ كثيراً لانهُ رجل عاقل طبيب ماهر خبير باحوال البلدان وصفات اهلها وعوائدهم نير الفكرة متوقدها قلما يخطئ رأيهُ عن الاصابة فقال الامير حمزة ان قلبي قد مال اليهِ كثيراً واحببتهُ حباً خارقاً للعادة ولم يمل قلبي لرجل قط مثلهُ الاَّ لبزرجمهر الوزير واني اشكر الله على هذا التوفيق لاننا بوقت قريب وصلنا الى هذه الجهات دون ان يشهر احد بوجهنا حساماً بخلاف المظنون وما من ملك او عامل قصد عنادنا او سعى في هلاكنا واني اطلب منهُ تعالى ان تكون بقية اسفارنا في هذه المرة مثل ما مضى فقال اندهوق لا بد لنا في سفرنا هذا من ملاقاة اهوال وصعوبات كما نلاقي توفيقاً ونجاحاً فسبحان الحي القيوم الذي قدر علينا ما لا نعلمهُ

قال وصرفوا باقي ذاك النهار وتلك الليلة في المعسكر والامير حمزة يتمنى ان يشرق فجر اليوم الثاني لينزل الى المدينة ويشاهد اسطفانوس ويتفرج على ما حوتهُ القسطنطينية من الزخارف والتحف وعند الصباح ركب الملك النعمان وركب الامير حمزة واندهوق ومعقل

بهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل وباقي الامراء من العرب ومن جاراهم وكلهم بشوق زائد الى الفرجة على تلك المدينة العظيمة. وعند ما قربوا من ابوابها وجدوا اسطفانوس قد جاء لملاقاتهم فترجلوا وتقدموا اليهِ وسلموا عليهِ ودخلوا المدينة ومشوا في اسواقها وتركوا خيولهم في الخارج لان اسواق المدينة كانت مبلطة بالرخام الابيض المشغول بالنقش الروماني بعروق سوداء مصنوعة على نسق جميل مما يدهش العقول وكذلك جدران الاسواق واغطيتها كانت مغطاة بالواح من خشب الجوز المدهون وبين كل لوح ولوح خط اصفر ذهبي يلمع كالذهب فداموا المسير وكلما مشوا في سوق يروا شيئًا جديدًا الى ان وصلوا الى سراية الاحكام فوجدوا بابها من الرخام واعلاهُ من النحاس الاصفر المنقوش وعليهِ رسوم وتماثيل عجيبة تأخذ الابصار لم يرَ النعمان ولا غيرهُ مثلها وعند جانبي الباب اسدان من النحاس الاصفر كل واحد منهما بقدر الاسد الكبير واعينهما متجهة على الدوام الى كل من ينظر اليهما وبعد ان دخلوا باب السراية نظروا هناك العجائب من كثرة التحف والتماثيل المصنوعة من عمل قدماء اليونان المجلوبة وبالاختصار بعد ان صرف العرب اكثر من نصف النهار بالفرجة على دار الحكومة عاد بهم اسطفانوس الى قصره الخاص المطل على البحر فدخلهُ الامير حمزة وجماعتهُ وقد اندهشوا من حسن صناعتهِ اكثر مما اندهشوا من عجائب صناعة السراية وجلسوا على كراسٍ من الذهب اعدت لهم واحضرت مائدة الطعام فاكلوا من ذاك الطعام الشهي الذي لا يوجد الذ منهُ ولا اتقن من صنعهِ. وبعد ان فرغوا من الطعام جاءهم بقناني المدام وطاسات الذهب على صوانٍ من الذهب الخالص فوضعت بين ايديهم فشربوا من صافي المدام واكلوا من نقل القسطنطينية وفاكهتها وصرفوا النهار الى المساء وعند المساء عادوا الى المعسكر واهل المدينة رجالاً ونساء تزدحم حولهم يتفرجون على الامير حمزة ويشاهدون معنى جمالهِ ليروهُ هل هو كما شائع عنهُ فوجدوا عليهِ من الهيبة والوقار ودلائل الاقدام والبسالة ما اعجبهم وذموا كسرى كيف امتنع عليهِ ولم يزوجهُ ببنتهِ وما رأتهُ بنت الا وتمنت ان تكون زوجة لهُ ويكون بعلاً لها. ودام الى ان دخل المعسكر وهو مسرور مما شاهد في نهاره ومما وقع لهُ من الاعتبار والتعظيم في قلوب اهل القسطنطينية واعظم سروره من اسطفانوس الملك ورقة معانيهِ وكرامة اخلاقهِ. وكان يتمنى ان تكون مهردكار معهُ وتقاسمهُ تلك التهاني والاحتفالات وتتفرج على بلد هي اعظم من بلاد ابيها بالوف مرات وقد وضعت تحت سلطنتهِ وارادتهِ وعزم ملكها على تركها رغبة في خدمتهِ وان يكون بين يديهِ مدة حياتهِ. كل ذلك مما يجعلهُ ان يكون مفتخرًا على الفرس وملكهم ونام تلك الليلة في سريره وهو على مثل هذه الافكار والهواجس مسرور في مجيئهِ الى تلك النواحي ليلقى فيها محبتهُ وتتعرف بهِ اهلها. ولما كان الصباح ركبوا ايضًا ونزلوا المدينة فصادفوا الامير

اسطفانوس بانتظارهم فاخذهم وانزلهم في قوارب مختصة بهِ من عمل اليونان وطاف بهم البحر وسواحل المدينة كلها وانزلهم في شاطى عند الجهة الشمالية كان قد اعد لهم الطعام بهِ فاكلوا هناك واقاموا ساعات ثم عادوا الى التطواف بالبحر ورجعوا بعد ذلك الى الوراء وهم بانذهال وحيرة وعند ما صاروا على البر ودعهم الملك اسطفانوس وعول على الرجوع . فقال لهُ الامير حمزة اعلم ايها الملك العظيم اني لا احب ان ابقى في هذه المدينة اكثر من يوم واحد ومن ثم اريد المسير والعود الى بلاد غير هذه واريد منك ان تكون على اهبة السفر وتأمر باحضار كل شيء وتأتي بالاموال المعينة لاضمها الى الاموال التي جمعت من غير هذه المدينة . قال انهُ كان احب عندي ان تبقى كل عمرك في هذه المدينة فاخدمك انا ورجالي ونقدم لك كل ما عزَّ وهان غير اني لما كنت عالمًا ان لا بد من الرجوع الى المدائن بعد تطوافك في البلاد كان لي ان اصغي اليك واني ساكون بعد غدا على حالة السفر فما من عاقة مني قط . فشكره حمزة على كلامهِ وعاد الى المعسكر وفي اليوم الثالث جاء رسول اسطفانوس وطلب الى الامير حمزة ان ياذن لجميع رجال العرب كبيرًا وصغيرًا ان يدخلوا المدينة ويتفرجوا عليها اذ لم يكن باقٍ لهم في تلك الارض غير ذاك اليوم ويكونوا كل النهار بضيافة اهل المدينة فاعجب هذا الامر الامير حمزة وشكر من اسطفانوس وسمح لرجالهِ باجمعهم ان يدخلوا المدينة ويتفرجوا عليها واوصاهم بان يحفظوا الآداب ويسلكوا مسلك الحشمة وعند المساء يعودون الى مراكزهم فكادوا يطيرون من الفرح واندفعوا افواجًا الى ابواب المدينة . وكان الملك اسطفانوس قد حضر الى باب المدينة ومعهُ جماعة من القواد والاعيان فقسم عليهم رجال العرب واوصاهم ان يطوفوا بهم في ازقة المدينة ومتنزهاتها وان يطعموهم ويضيفوهم ويجروا معهم كل اكرام وتبجيل ولا يقللوا من ضيافتهم واخذ هو الامير حمزة وجماعتهُ وذهب بهم الى ضواحي المدينة وآكامها حيث كان قد اعد لهم وليمة هناك فخرجوا معهُ وطافوا في تلك النواحي وتوغل الامير حمزة في البراري واصطاد شيئًا كثيرًا من الوحوش والارانب وجاء بها للطعام وصرفوا ذاك النهار من احسن الايام التي مرت على الامير حمزة والعرب وعند المساء عادوا الى المعسكر فرأوا رجالهم قد لفوا وعادوا من المدينة بعد ان لاقوا فيها ما ادهشهم وحيرهم

ونام العرب في تلك الليلة وفي نية الامير حمزة انهم في اليوم التالي يستعدون للسفر ويقبضون الاموال من الملك اسطفانوس ملك البلد ويسيرون بهِ الى حيث يقصدون ولما كان الصباح نهض الامير من فراشهِ واذا بهِ يرى الاحمال خارجة من ابواب المدينة على ظهور الرجال وقد اتوا بها الى بين يديهِ وصرفوا قسمًا كبيرًا من النهار على مثل هذا العمل حتى انبهر من كثرة الاموال ومن عظم ما شاهد فكان اسطفانوس قد اختار ان يأخذ معهُ كل ما في

المدينة من التحف والذخائر والذهب والجواهر ليجعلها في خدمة الامير حمزة يستعين بها على حياته واحتياجه هذه فضلاً عن الاموال المضروبة عليه اي التي فرضها عليه الامير ليضمها الى الاخرجة التي يجمعها عن سبع سنوات تحت اسم الملك كسرى . وبعد ان فرغ اسطفانوس من ذلك اقام حاكماً على المدينة من قبله كان يعتقد به اللياقة والآداب واوصاهُ ان يكون على العدل والحلم وان لا يراعي جانب احد بل يقصد مراضاة الله سبحانهُ وتعالى وحقوق الرعية وبالاختصار انهُ خرج من المدينة وخرج لوداعه اهل مملكته برمتهم وهم يتأسفون على فراقه ويبكون لبعاده لانهُ كان محبوباً منهم جداً ومن ثم اقلعت العرب عن تلك الارض وانعكفت راجعة الى الوراء وقد تبع اسطفانوس قوم كثير من رجاله واعيانه وقسم كبير من عساكره حتى كاد يضيق بهم الفضاء وبقوا في مسيرهم مدة ايام حتى عادوا الى حلب فتلقاهم الامير نصير واضافهم مدة ثلاثة ايام وقد تعجب من حسن حظ الامير حمزة وسعادته ومن كثرة الاموال التي جاء بها . وبعد ذلك رحلت العرب من هناك طالبة بلاد اليونان لانها من جملة البلدان التي ...دها كسرى لهُ وكان في المقدمة عمر العيار وهو سائر امام الجميع ياخذ بهم اقرب الطرقات وما رحوا على مثل هذا السير حتى قاربوا بلاد اليونان وكان الحاكم على تلك البلاد ملك اسمهُ اسطون اليوناني فلما سمع بقدوم العرب اليه وكان قد وصلت اليه كتابة الملك كسرى وجرى على قلبه ما جرى على غيره من محبة الامير حمزة قبل ان يراهُ ولذلك بعث بوزيريه ان يلاقيا العرب على بعد من المدينة وان يدعيا الامير حمزة ورجالهُ الاخصاء الى ضيافته داخل المدينة لانهُ افرغ القصور واعدها لمنامتهم كل مدة قيامهم في تلك المدينة فسار الوزيرين حتى اقبلا على الامير حمزة وهو سائر في المقدمة خلف اخيه عمر فترجلا وحياهُ باحسن التحيات وبلغاهُ سلام الملك اسطون ودعوتهُ وانهُ ارسلهما اليه ليخدماهُ الى حين دخوله المدينة فلما عرف منهما انهما وزيران عند ملك اليونان وانهما جاءا على ما تقدم وفي نية سيدهما ان يكون صديقاً لهُ ولا يشهر سلاحاً في وجهه فرح غاية الفرح وسرَّ مزيد السرور واجاب دعوة الوزيرين وامرهما بالركوب بعد ان امسى عليهما [illegible] ودام على [illegible] الى ان [illegible] وظهرت لهم [illegible] فاراد الامير ان يامر عساكره بالنزول واذا بموكب قد خرج من ابواب البلد بالموسيقات والزين الفاخرة وعرف الامير انهُ هذا هو الملك اسطون وقد جاء لملاقاته فتقدم الى ان قرب منهُ وعرف كل واحد منهما الآخر حق المعرفة فترجلا وسلما على بعضهما سلام المودة ومن ثم سلم الملك اسطون على اسطفانوس والنعمان واندهوق وباقي الاعيان وبعد الفراغ من السلام طلب اسطون الى حمزة ان يزورهُ في المدينة ويقيم عندهُ في قصره وكذلك باقي السادات فيقيمون في ضيافته ليلاً ونهاراً مدة وجودهم عندهُ فسر الامير من عمله وكان قلبهُ قد مال اليه كل الميل فعلم انهُ حسن

الطوية صادق القول فركن لهُ كل الركون وسار الى المدينة بعد ان امر الامير عقيل ان يبقى مع المعسكر ويرعاهُ ويلاحظ احوالهُ ويبقى سائرًا في الاول الى ان وصل الى باب المدينة فوجد نساء تزدحم عندهم افواجًا افواجًا وكلهم بالملابس الفاخرة على النسق اليوناني وفوق رؤوسهم قبعات من القش والمخمل وغيرهُ على اختلاف المشارب ورأى النساء سافرات الوجوه مثل الرجال فعلم ان تلك عادة مألوفة لعدم وجود الغش والخداع بينهم وان كل واحد منهم يركن للآخر حق الركون ويطلق لزوجتهِ ونسائهِ الحرية ليقاسمنهُ في حقوق الراحة وان الامرأة الغير المستقيمة لا تستقيم اذا احتجبت ومنعت عن مرأى الناس بل ربما تصورت ان مرأى الناس يبيح لها المنكرات فحجبت عنهُ وبالعكس الامرأة المستقيمة لا تعهر اذا اسفرت غير ان الاختلاف في العوائد لا يحط من قدر اهلها عند ذوي العقول العاقلة ولذلك لم يرَ الامير ان ذلك من قبيح العوائد بل صار مغضًا بطرفهِ عن النساء اللاتي هنَّ اشبه بالبدور جمالاً وبهاء ولا زال الى ان وصل الى القصر الذي اعد لضيافتهِ فدخل من خلفهِ الامراء والاعيان من اهل المدينة من جماعة الامير واحضر لهم الشراب من الفخر ما يعمل بالسكر والليمون وماء الزهر وبعد ذلك قدم الطعام وصفت الصحون من سائر الالوان ودعى الامير وجماعتهُ للاكل فنهضوا وجاء المائدة وجلسوا وجلس الامير ثم حضرت زوجة الملك اسطون وبنتهُ وسلما على الامير حمزة وجلستا على مائدة الطعام وصادف جلوس بنت اسطون تجاه الامير حمزة فنظر اليها نظرة على غير قصد فرآها من اجمل النساء وجهًا وابهاهنَّ منظرًا معتدلة القامة مستديرة الوجه متلونة بلون البياض والاحمرار ناعمة الاطراف ورأى عليها من الجواهر ما يزيد في حسنها ورآها ايضًا تنظر اليهِ باستمرار كأنها مغرمة بهِ فاعرض عنها وفي قصده ان يشغل فكرهُ فلا يعود الى النظر مرة ثانية في وجهها خوفًا من ان تطمع بحبهِ واخشاء من ان تسلب لبهُ وقلبهُ لان جمالها كافٍ لان ياخذ بعقل اشد الناس ورعًا ونقاوة ويلقي باكبر الشيوخ في حجر الغرام فيتجدد بهِ زمن الصبا غير ان عمل الامير لم يكن كافٍ لان ينسخ صورتها من ذهنهِ ويمسح ذاك الرسم الذي طبع من نظرة واحدة فعلق في ذهنهِ وخاطره كما يعلق رسم المصور بالفتوغرافي ببرهة لا تزيد عن ثوان قليلة وفوق ذلك ان الرسم المذكور اخذ في ان يرسخ شيئًا فشيئًا على غير قصد من الامير حمزة حتى انهُ لولا تعقلهِ وشدة صبره لصاح وخرج من تلك المائدة بعيدًا عن ذاك القصر ليتخلص من نتيجة تلك النظرة ولم تخف حالتهُ على بنت الملك اسطون فسرت بداخلها وتعجبت كيف ان اصابهُ الهيام الذي اصابها غير انها كانت تنظر اليهِ بحرقة غير ملتفتة الى من حواليهِ اذ ان لها الحق في ان تكون قائدة لنفسها على الطرق الحميدة

وبعد ان فرغا من الطعام تقدمت بنت اسطون الملك من الامير حمزة وسلمت عليهِ بلسان

عربي فصيح مع تلعثم في لسانها اليوناني فزاد هيامهُ على رغم انفهِ وتكدر من نفسهِ مزيد الكدر ولولا حياءهُ من ابيها لاعرض عنها لا كرهًا فيها بل تخلصًا من حبها كونهُ كان قد سبق فربط قلبهُ بمحبة مهردكار ووعدها ان تكون زوجة لهُ وسيدة نفسهِ الاَّ انهُ اجابها على كلامها بالاختصار وطلب من الملك انطون ان يذهب بهِ في اسواق المدينة ليتفرج عليها وقد قصد بذلك البعاد عنها عساهُ يضيع رسمها من ذهنهِ وهواها من قلبهِ العامل على الخفقان المستمر من حين نظره اليها فاجابهُ الملك اسطون الى سؤَالهِ ومشى امامهُ الى المدينة وبعد ان يدور بهِ وبقومهِ في شوارعها ومناصفها ومرابضها ويخبرهُ عن كل محل ومن اي زمن بني والامير يسمع وهو مشغل الفكر ضائع العقل وصرف باقي النهار وفي المساء ذهب بهِ الملك اسطون الى قصر ملاصق قصره الخاص فادخلهُ اليهِ وقال لهُ هذا قصر منامتك ما زلت عندنا وفي بلادنا واعد ايضًا لكل ملك وامير من العرب مكانًا لمنامتهِ وتركهم تلك الليلة ينامون براحة لعلمهِ انهم من جرى السفر في مشاق طويل ولما دخل الامير حمزة واختلى بنفسهِ وجعل يفكر فيما جرى لهُ فكاد يضيع صوابهُ وقال في ذاتهِ كيف يمكنني ان اسلم قلبي لفتاة ثانية غير مهردكار فمن ابن جاءت هذه الصبية ولما احبها قلبي وشغل بها ضميري واضحت موضوعًا للنظر عندي مع اني اكره وقوعي بحب غير من احببتها لاكون امينًا على الوفاء معها نعم اني اعرف انها هي تكون على الدوام في الدرجة الاولى عندي وان اكن قد احببت سواها لكن ما هو السبب الذي يضطرني الى ركوب مثل هذا الامر الغير المحمود . وقصد الامير حمزة مرارًا ان ينام فلم يقدر بل كان يقوى عليهِ هوى بنت الملك حتى رأَى ان لا مندوحة لهُ عن حبها ولا بد من ان تكون موضوعًا لافكاره وان هذا الحب هو وقع عليهِ بيد القضاء والقدر رغمًا عنهُ وان لله بذلك قصد لا بد من انفاذه فسلم امره لله تعالى وترك بافكاره واميالهِ الى تلك الفتاة اليونانية فغاصت نفسهُ في معنى جمالها وتاقت الى التقرب منها وزادت في عينهِ بهاءً وحسنًا وكبر حبهُ حتى ملأَ قلبهُ ولبهُ ولذلك انشد

تراءت لعيني وهي بالشعر تحجب ... فخلت شعاع الشمس يعلوهُ غيهبُ
ولم تحتجب بعد الظهور وانما ... بتنزيهها عن ذاك طرفي يكذبُ
وما هي الاَّ الشمس في الافق اشرقت ... بدور سناها بعد ما كان يغلبُ
مهاة رعت حب القلوب فما لها ... تروع نفارًا وهي للانس تنسبُ
وكلمت الاحشا بموسى لحظها ... فاصبحت منها خائفًا اترقبُ
وعذب قلبي دلها بنعيمهِ ... ولم ادرِ اني بالنعيم اعذبُ
وابدلت مزن الدمع في الخد جوهرًا ... الم ترهُ بالهدب قد عاد يثقبُ
حكى حسنها بدر الدجى متكلفًا ... وراح بهاتيك الحكاية يعربُ

وسل ثغرها المعسول عن لعس به ... والاَّ عن الصهباء بالمسك برسبُ

فوجنتها والثغر نار وكوكب ... وطلعتها والشعر صبح وغيهبُ

وقامتها والردف غصن وبانة ... ومقلتها والصدغ سيف وعقربُ

حمتني اللمى فاعتضت عنهُ مدامة ... وخمر اللمى عندي الذُّ واعذبُ

فلنترك الامير حمزة على فراشهِ يخبط بين ديجور افكاره وغرامهِ وصبح جمال بنت اسطون حبيبتهِ الجديدة التي ارغم الى هواها على غير ارادة منهُ ويتمنى ان يتخلص منهُ اذا امكن ولنرجع الى بنت الملك وكان اسمها زهربان وقد احبت الامير وتعشقتهُ تعشقًا عظيمًا قويًّا فلم تقدر على كتمان هواها بل تقدمت من امها وقالت لها اعلمي ياأماه ان هذا الامير ظريف الطلعة جميل الوجه محبوب جدًّا ولذلك تريني قد احببتهُ حبًّا خارقًا للعادة حتى لم اعد اقدر على فراقهِ ولا اعرف كيف السبيل للوصول اليهِ . فقالت لها امها اني اعذرك يابنتي على محبتهِ فاني رأيتهُ وعلمت انهُ فوق ما تقولين ولو كان من جنسنا يونانيًّا او بالحري رومانيًّا لامكننا ان نسعى بزواجك بهِ لكن لما كان غريب الجنس وعربي الاصل نخاف ان لا يرضى مخالطة غير ابناء جنسهِ واذا كان يرضى الاَّ انهُ على ما عرفت مولع بحب بنت الملك كسرى ملك الاعجام ولاجلها جاء هذه الديار وطرق البلدان وهذا الذي يدعنا ان لا نعلق الامل بزواجك بهِ والاَّ لو انهُ مال اليك كما ملتِ اليهِ لكان تقرب منكِ واظهر لكِ حبهُ وميلهُ وسأَل فيكِ اباكِ وبهذه الطريقة كنتِ امينة على غايتكِ ومع كل ذلك فالاوفق ان تصبري الى ان يتيسر لنا بابًا نتوصل منهُ الى مفاتحة الامير بمثل هذا الشان وانا في مساء الغد سافاتح اباكِ بهذا المعنى واتساعد واياه على نوال غايتكِ فارتاح فكر الفتاة من ذلك وذهبت الى غرفتها لتنام فلم يأْخذها نوم ولعب براسها الهوى واشغلها الحب وذهب بها الى ان باحت بما في ضميرها واصفة عشيقها بقصيدة غراء وهي

يابدر هنديُّ لحظك الحد ... جاوز في الحد غاية الحدِ

وعنبر الخال صان حسنًا ... بنرجس اللحظ بانة القدِ

وصارم اللحظ ظل يحمي ... بعقرب الصدغ وردة الخدِ

ياخد بدر وقد غصنٍ ... وثغر درٍ وجيد اغيدِ

قد طلق النوم فيك عيني ... فهي لهُ بالسواد تعتدِ

يالذوي الحسن هام قلبي ... بشادن لحظهُ تأَسدِ

اذا انثنى او بدا شهدنا ... هلال تم بهزُّ املدِ

كليل جفن حديد طرف ... كحيل عينٍ مورد الخدِ

شنيب ثغر شهي ريق ... رقيق خصر مهفهف القدِ

هاروت عينيهِ قام يدعو ... بسِحر طرفٍ لهُ مهند
لما تجلى لعاشقيهِ ... خروا لهُ ركعًا وسجد
ارسل فرعًا فلاح فرق ... حسبتهُ في الظلام فرقد
صان بهِ ردفهُ ولم لا ... يُحجب ما صان وهو اسود .
مبلبل الصدغ كسروي اﻷ ... م جفون قاني الجمال اوحد
مضفر الشعر طاهريّ اﻻ ... م سنان عزيز البها مؤيد
روى لوردي وجنتيهِ ... حديث نبت العذار مسند
وثغرهُ الجوهري لما ... انبأنا بالصحاح اسند
وقدهُ العادلي يروي ... عن كعب ثدي لهُ تنهد
وحسنهُ اليوسفي لما ... اطلق معنى الجمال قيد
مزرد العارضين احوى ... يامن رأى الشادن المزرّد
قد صار تفاح وجنتيهِ ... مخضبًا بالدما معهد
وعاذل فيهِ لو رآهُ ... سلم طوعًا وما تردد
وظلّ يدعو الى هواهُ ... من لم يكن بالهوى تعوّد
يلومني في الغرام كفرًا ... ولو بدا حسنهُ تشهد
الم ترَ الخلق كيف ضلوا ... في حسن معنى بهِ تفرد
ويدعي بالشبيه جهلاً ... اما هداهُ الجمال الاوحد .
من اين للبدر لين قدٍ ... مهما ثناهُ يكاد يعقد
او كيف للغصن ورد خدٍ ... اذا جرى ماؤهُ توقد
ام اين للظبي وجه صبح ... وفرع ليل وفرق فرقد
يفتر عن جوهر نضيدٍ ... ما احسن الجوهر المنضد
من لي بهِ جوهري ثغرٍ ... قد نضد الدر فوق عسجد
توجهُ الحسن اذ كساه ... حلة نور طرازها الند
مهفهف قلت اذ تثنى ... ياجامع الحسن انت مفرد
او لجّ فيهِ الحسود حسبي ... ان جميع الملاح تحسد

وكانت تنشد وزفراتها تتصاعد كأنها قريحة من جرى العشق الذي فعل بقلبها منذ ساعات قليلة فعلاً لم يفعلهُ بغيرها منذ اشهر واعوام وبقيت تفكر في معنى حالتها وما اصابها وقد لاح في ذهنها كلام امها من انهُ ربما كان لا يرغب فيها ولا يرضاها مع انها شاهدت ارتباكًا وضياعًا

وحدثها قلبها انهُ لا ريب هام بها ولهذا خطر لها ان تذهب اليهِ في نفس تلك الليلة وتعرض حالها عليهِ وتعرف منهُ هل يحبها ويرضاها او يتركها ويعرض عنها وقالت في نفسها ماذا يا ترى يصير لي ويجرى اذا ذهبت اليهِ ودخلت عليهِ وعرضت بذاتي بين يديهِ الست جميلة وجمالي كاف لان يرضيهُ او ليس هو من النوع الانساني الذي خلق طبعًا باميال تمتاز عن سواه من الخليقة فيرغب في كل شيء حسن ويحب كل جميل نعم انهُ دون شك يميل اليَّ ويرضى بالاقتران مني ولا الام على ذلك فاني اسعى في صالح نفسي واحك جسمي بظفري كيف انأ خر عن ذلك وهو مقيم في قصري وبالقرب مني وبيني وبينهُ اذرع قليلة فيالشعادتي اذا وافق طلبي ووعدني بالحب وما رأيتهُ منهُ في هذا النهار يجعلني ان اعد نفسي بالسعادة ولما استحسنت هذا الامر ورأيت ان لا بد من المسير الى مكان الامير والدخول عليهِ في غرفتهِ نهضت الى ثيابها فلبستها وتزينت باحسن زينة وتطيبت بالطيوب الزكية وخرجت من غرفتها ومشت في سلم طويل انتهت منهُ الى دهليز يتوصل منهُ الى ساحة الدار المقيم فيها الامير ولما انتهت الى نصف الدار رأت شخصًا يتمشى فيها فارتاعت واجفلت وعولت على الرجوع وقد خافت كل الخوف ولم تكن تعرف من ذاك الشخص وكان الامير عمر لانهُ كان لا ينام الليل بل يصرف الظلام ساهرًا على الامير خوفًا من الغدر بهِ ومن ان يكون لهُ عدوٌ يفاجئهُ على حين غفلة فلما رأى زهربان ولم يكن يعرفها ولا عرف من هي بل رآها آتية من الدهليز الى جهة الدار صبر عليها ولم يبد حركة الى ان صارت في ساحة القصر فجاء الى جهتها ولما رآها قد خافت وارتاعت وتاكد انها امرأة قال لها من انتِ وماذا تريدين فابدي لي غايتكِ ولا تخافي بوسًا فاني وحياة الامير حمزة اساعدكِ عليها اذا كانت حميدة فقالت لهُ من انت فاخبرني عن نفسك اولاً فاخبرك بامري قال لها انا عمر العيار اخو الامير حمزة واني ساهر عليهِ الان حتى لا يقدر احد ان يدنو منهُ بغدر قالت معاذ الله فاني لا اقصد لهُ شرًا بل خيرًا فاني وقيعة بك ايها الامير فاجبر كسري وسهل لي طريقًا لنجاتي من عذاب الهوى . فقال لها من تهوين ومن هو الذي اساعدكِ عليهِ قالت رأيت اخاك حمزة فعشقتهُ وهويتهُ ولم يكن من سبيل للوصول اليهِ فخاطرت بنفسي ورماني حبي الى التطرف بالاعمال فاتيت القي نفسي بين يديهِ واسألهُ ان يرضاني خادمة لهُ وقرينة فابقى كل العمر عندهُ وبين يديهِ ولحسن الحظ قد صادفتك الان فاجب سؤالي وارحم ذلي . قال لها ابشري بالخير فان هذا اريده انا ولا يمكن لاخي حمزة ان يخالفني بهِ ثم انهُ جاء الى جهة غرفتهِ وطرق الباب فصاح بهِ وكان اوئنذٍ كما نقدم الكلام يتقلب على فرش الاوهام وافكارهُ وقلبهُ يتلاعبان بين ايدي الغرام والهيام . فقال لهُ عمر افتح فلدي بشارة اريد ان ابشرك بها فنهض اليهِ وفتح الباب وقال لهُ ما هذه البشارة مثل هذا الوقت فقال لهُ ان فتاة جميلة بديعة عجيبتني جدًا تريد ان تدخل

عليك وتعرض نفسها بين يديك وهي بنت الملك اسطون فشعر حمزة بخفقان في قلبهِ وارتعاش في جسمهِ وقال لعمري ما لنا ولها فلا اريد ان اقابلها بمثل هذا الليل فان ذلك معيب وعار عليَّ قال ليس بذلك شيءٌ من العار لانها تقصد ان تكلمك ببعض كلام فقط ولا تقصد غير ذلك فضلاً عن انهُ لا يعلم احد انها جاءَت الى هنا غيرانا ولا بد انك تتزوج بها وتترك عنك مهردكار قال ويلك اتظن اني اذا تزوجت بها اقلل من محبة مهردكار هذا لا يمكن ابداً

ثم انهُ امرهُ ان يدخلها عليهِ فدخلت زهربان تتجلى كأَنها العروس وقد عبقت روائحها الزكية في انف الامير فانتعش بها صدره وطاب خاطره فنهض اليها ولاقاها ببشاشة وترحاب واجلسها الى جانبهِ فارتاح بالها نوعًا وسكن جاشها لانها كانت بارتياب من جهة مواجهتهِ لا تعرف ما يكون من امرها وامره هل انهُ يستحسن عملها او يستقبحهُ وظنت مثل هذا الظن لعلمها ان العوائد العربية ترى ان من الواجب تأْديب النساء في اجراءاتهن تأْديبًا كاملاً فلا يسعين خلف من احببنهُ ولو كان يونانيًّا لكانت مطمأْنة الخاطر ناعمة البال تدخل عليهِ بجراءة واقدام عالمة انهُ لا يستقبح مثل هذا العمل وبعد ان حيتهُ وسلمت عليهِ اخذت تحدق بوجههِ ثم قالت لهُ اني احبك وحبي الذي حملني ان ازورك في مثل هذا الوقت لاعرض نفسي عليك ان اكون عندك وارضى من نفسي كل الرضا ان ارافقك اينما سرت وفي اي مكان سكنت . قال اني عرفت بحبكِ منذ رأَيتكِ في النهار ولحق بي بعض ما لحق بكِ وقد حاولت ان ابعد عني امر حبك كوني مرتبط بالمودة مع سواكِ اي مع مهردكار بنت الملك كسرى ولذلك اجهدت نفسي كثيرًا لامنع حبكِ عني وابعد غرامكِ عن قلبي فلم اقدر وقبل ان وصلتِ اليَّ كنت مشتت الافكار ضائع العقل لا اعرف ماذا اعمل والى من اشكو هذا الاضطراب قالت اشكيهِ لي فاني اساعدك عليهِ وارفع عنك اثقالهُ انت تحبني وانا احبك وهذه المحبة واقعة بالرغم عنا على غير قصد منا فكأَن الله سبحانهُ وتعالى يريد ان يكون ذلك لغاية حميدة يقصد بها ازدواجنا واني ارى ان ما من مانع يحول بيننا فعند اول مرة طلبت الى ابي ان يقرنك بي ويسمح لك بزواجي لاجاب في الحال وسعى باتمام العمل وهذا لا يكون من كسرى قط . قال اني اعرف ان اباكِ ارق طبعًا من كسرى واوسع عقلاً وحشمة غير اني سلمت قلبي الى ابنتهِ طوعًا واختيارًا وهي دون شك تستحق ان تأْخذ بقلبي وكل حواسي لانها ودودة كريمة الصفات يندر وجود مثلها بين ربات الخدور وعليهِ فاني اسأَلك المعذرة عن ذلك فالحب كامن لا يتغير وقد سبقتكِ واخذت المقام الاول فاذا شئتِ ان تكوني عندي فسيكون لكِ من بعدها المقام الثاني وهذا الشرط الذي شرطتهُ عليكِ . قالت اني راضية بكل ما تشرطهُ لعلمي انك تعاملني برقة قلبك وطيب سريرتك فاذا كنت خادمة عندك كنت في مقام السيدة عند غيرك . فاعجبهُ كلامها وقال لها ماذ

تريد بن الان وكيف افعل قالت اريدك في الغد ان تطلبني من ابي وتسأ له ان يزفني عليك وهو لا ريب في انهٔ يسألني فاخبرهُ بحبي وحالاً نقترب من بعضنا . فوافق الامير على كلامها وطيب بخاطرها ووعدها انهٔ في الصباح يخابر اباها بشانها ويسأ له زواجها . وبعد ذلك ودعتهٔ ورجعت الى مكانها مسرورة الخاطر مطمأ نة البال وقد ثبت عندها انها في اليوم الاتي او الذي بعدهُ ستكون بجانب من احبتهٔ ويكون لها راحة وهناء عظيمين ولهذا نامت غير قلقة وكذلك الامير حمزة فانهٔ بعد ان كان مضطرب الخاطر ينقلب على سريره لا يزورهُ سلطان الكرى نام في الحال امينًا على نية منهٔ انهٔ في الصباح يطلب الى ابيها ان يزوجهُ بها وهو مؤكد انهٔ يتمنى ذلك ولا يكرههٔ وعلمًا منهٔ ان من عوائد اليونان ان يعهد الاب الى ارادة بنتهِ فتختار من تريد ومن اختارتهٔ يزوجها بهِ اذا كان يوافق شرفهٔ شرفها والاَّ فعليهِ ان ينصحها فقط ويبين لها غلطها فاذا امتنعت كان خيرًا والاَّ فلا يزيد في ذلها وقهرها بل يكون قد تخلص من ثقل عذابها والقاه على عاتقها

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض الامير حمزة من فراشهِ وغسل وجههٔ ولبس ثيابهٔ وعزم على الخروج واذا بالملك اسطون قد جاءه ودخل عليهِ وقال لهٔ لقد جئت لخدمتك في اول النهار لاسير بك وبقومك الاعيان الى جهات المدينة لنتفرج على المدينة وعلى ما اقيم بها من المصنوعات الغريبة من صنعة اليونان وفلاسفتها وترى المراصد والمراسح والمعامل التي فيها نشتغل كل انواع الاقمشة مما لا يوجد في بلاد الفرس ولا غيرها من البلاد فضلاً عن انهٔ يوجد عندنا ميدان ينصب لقتال الثيران على صفة غريبة لم يوجد عند غيرنا من الامم . قال اني احب ان انفرج على كل ذلك غير ان لديَّ شيئًا عظيمًا اكثر اهمية من كل الاشياء اريد ان اعرضهٔ عليك واسألك فيهِ . قال مر بكل ما تريد فاقضي لك مطلوبك واسعى في انجاز امرك قال انت تعلم اني احببت بنت الملك كسرى ووعدني بزواجها وكان بنيتهِ الوفاء غير ان عدوًّا لي حال بيني وبين غايتي فجعل يختلق لي الموانع ويعدني خوفًا مني واملاً بهلاكي واما صار عليهِ حتمًا بان اكون قد تزوجت ستة نساء لا الرغم عنهٔ لكن فقال بأني زوجتها ... عند ... لا يعرف غدرا بها وظلمهِ ولهذا السبب اتيت الى هذه البلاد وتركتها واما الان فاني قد رأيت بنتك زهربان ومال اليها قلبي ميلاً غريزيًّا مع اني كنت اظن ان القلب مقيد بهوى مهردكار فقط واريد منك ان تسمح لي بها فاتخذها زوجة بسنة الله وتبقى عندي طول حياتها . فلما سمع الملك اسطون ذلك اظهر فرحهُ وسرورهُ وقال لهٔ ان هذا ما احسبهٔ سعادة لبنتي ولي فانت ممن تقدم لهٔ الارواح ولا يبخل عليك بشيء الاَّ اني ارجوك ان تسمح لي ان اذهب الى بنتي واعرض عليها هذا الامر لان من العادة عندنا ان ترضى البنت وتقبل بالزواج المتقدم لها واشرح لها عنك

واذكر لها صفاتك وهي لا ريب تلاقي ذلك بالقبول والرغبة لانها عاقلة مهذبة تعرف لغات العالم وتواريخها واحوالها . فقال له افعل ما يحلو لك وفي الحال ذهب الملك اسطون الى زوجته واظهر لها فرحهُ وقال اني اعلمكِ ان الامير حمزة طلب اليَّ ان ازفهُ على بنتي ولا اقدر ان اصف لكِ الفرح الذي لحق بي من جرى ذلك لانهُ وحيد في زمانهِ ولا يوجد لهُ ثانٍ في كل بلاد اليونان ولا في غيرها حتى ان كسرى بخافهُ ويرهب سطوتهُ وقد وعدهُ بزواج بنتهِ . واريد منكِ ان تدخلي على بنتكِ وتعلميها بذلك واذا امتنعت اقنعيها بهِ واخبريها ان ذلك من باب الفخر لنا ومن دواعي السعادة لها . قالت له الا تعلم ان من القلب للقلب سبيل فكيف ان زهربان لا تقبل بزواجهِ وهي مغرمة بهِ غرامًا قتالاً حتى انها جاءتني في الامس وشكت اليَّ حالها وانها علقت بمحبة الامير ولم يعد لها صبر على فراقهِ فصبرتها على ذلك وسألتها ان تسكت عليهِ الى ان اجتمع بك واخابرك في هذا المعنى ومن ثم نسعى في سبيل نقدمها له زوجة والحمد لله قد جرى ذلك منهُ بطريقة شريفة فارجع اليهِ واجبهُ بالايجاب وباشر بقيام الافراح وانا سادخل على بنتي وابشرها بزواجها بالامير واصلح شانها واد[illegible] امرها . ثم ان ام زهربان دخلت عليها وقالت لها بشراكِ يا بنتي فقد جاء الامر على احب ما تشتهين . فانهضي الى الحمام واغتسلي وتهيئي وكوني على حذر لملاقاة الامير فيعقد زواجكِ عليهِ منذ الغد ويقام الافراح في كل البلاد وتكونين بالحقيقة سعيدة بهِ فان كان بزواجكِ هذا تغيبين عنا وتبعدين الى اقاصي الارض لكن نكون براحة بال عنكِ حيث تكونين زوجة لامير هو اعظم من اكبر الملوك بكثير . ثم اخبرتها بما سمعت من ابيها وقالت لها لقد جاء الامر على احب ما تشتهين وتريدين . فاظهرت فرحها وقالت لامها لا ريب انهُ احبني كما احببتهُ ووقع في قلبهِ ما وقع في قلبي فما ذاك الا بعناية منهُ تعالى حيث يريد ان يجعلني سعيدة

قال ورجع الملك اسطون الى الامير حمزة واخبرهُ [illegible] ورغبة واخذ بتدبير امر الزفاف واعداد مهام العرس من كثير وقليل وشاع [illegible] هذا الخبر [illegible] فرحًا لا يوصف بقربهم من الامير الذي كانوا يحبونهُ محبة عظيمة ولم يكن فرحهم هذا باقل من فرح العرب جماعة الامير حمزة فانهم تيقنوا ان زواجهُ هذا من باب الخير لهُ وانهُ لا بد ان يضعف [illegible]تبة لمهردكار فيقل اعتباره لابيها ولا يعود الى اجابتهِ [illegible] اخرى ويعرف ان [illegible] الله الرضا وان يقبل بنتهُ زوجة لهُ . وفي اليوم الثاني [illegible] اسطون [illegible] الولائم وقدم الدعوات وزين المدينة من اربع جهاتها واشعل بها [illegible] وذبح [illegible] ابتهج كل من حضر ذاك الزفاف واخيرًا جاءت القسوس [illegible] فعقدت كليل [illegible] على الامير وبارك له الجميع وفي آخر الليل دخل بها فوجدها كوكبًا لامعًا يضيء بانوار الكمال

ورأت منهُ اسدًا غضنفرًا قوي العزيمة وصرفا وقت الهناء على احب ما يرام . ومن زهربان هذه ولد ولد اسمهُ عمر اليوناني فارس صنديد وبطل مجيد ويكون لهُ شأن في هذه القصة ويفرج الكربات عن العربان في الضيقات ولاسيا في يوم حصارهم داخل حلب حيث يكون الامير حمزة مجروحًا كما سيأتي ان شاء الله

وبعد ان اكمل الامير ايام الهناء وصرف مدة ايام مع عروسهِ طلب الى الملك اسطون ان يسلمهُ الاموال التي سألهُ عنها ليضمها الى الاموال التي معهُ حيث من قصده السفر والمسير الى غير بلدان بطلب الاخرجة فاجابهُ ودفع لهُ الاموال التي كان جمعها واخذ منهُ وصولات بها كما فعل مع غيره ثم رفع الامير زوجتهُ على هودج وركب على جواده الاشقران وامر جماعتهُ بالركوب فركبوا جميعًا وودعوا الملك ورجال المدينة فخرجوا لوداعهم عدة ايام وعند رجوعهِ اوصى الامير بنتهِ وان لا يهينها ويتهامل عنها ويتركها بل يراعي جانبها ويتذكر انها غريبة محتاجة الى مساعدتهِ فوعده بكل خير وان يكن لها ابًا وامًا وزوجًا حنونًا واخذت العرب تسير في طريق مدينة قيصرية حسب ما هو مقرر لها في امر كسرى وفي مقدمهم عمر العيار حسب العادة يدلهم على الطريق الموصل الى بلاد قيصر وقد تعجب جميع من كان مع الامير حمزة من توفيقهِ ونجاحه مع انهم كانوا قد ظنوا قبلاً انهُ عند كل مدينة وبلد يحل بها ويطلب منها الرسوم والاخرجة يصادف ممانعة فيلتزم الى اجبارها بقوة السلاح وهكذا يصرف كل مدة سفره بالحروب والوقائع والقتل والضرب غير ان السعادة خدمتهُ وصادف ما لم يصادفهُ الملك كسرى نفسهُ لو كان جاء في مثل هذه الخطة واما الامير فانهُ لم يكن مأخوذًا بهذا الانتصار من جرى السعادة والاقبال بل كان يرى من ذاتهِ عدم توفيق ونجاح وكان قلبهُ مكمودًا على الدوام ويرى من نفسهِ انهُ قد ارتكب غلطًا بزواجهِ بزهربان لا لكونهِ لا يحبها او ان محبتهُ قلت من جهتها مع انهُ مغرم بها وغرامهُ كان يزيد يومًا بعد يوم بل اكرامًا لخاطر مهردكار التي عند ما يبلغها خبر زواجهِ بغيرها تتكدر مزيد الكدر ويثبت عندها انهُ صار لها فيهِ شريك فتتلعب بها الغيرة مهما كانت ذات اطوار حميدة وفاضلة فان للقلب في هذا المعنى شروط راهنة تحكم عليهِ وتجبرهُ بالاحتدام والغيرة ممن يزاحمهُ بحبهِ ويشاركهُ في محبتهِ ويتعجب من ذاتهِ كيف ان الدهر اوجبهُ بارادته تعالى الى ان يحب فتاة رآها بالصدفة وتعشقها عشقًا خارقًا للعادة عظيما عن غير قصد منهُ وقد رغب في منع هذا العشق فلم يقدر واجهد ذاتهُ في دفعهِ فلم يطعهُ قلبهُ بل كان يظهر لهُ انهُ باحتياج اليهِ وهذا كان همهُ وشغلهُ وهو يكتمهُ ولا يريد ان يظهره بل كانت افكاره تتلاعب بهِ ولا زال العرب في مسيرهم الى ان قربوا من بلاد الملك قيصر ملك الرومان وحاكم بلاد غسان ونحوها واذ ذاك قال للملك النعمان اني اسأل الله تعالى ان نصادف في بلاد قيصر ما صادفناه

في غيرها من البلاد وإلاَّ اذا امتنع علينا هذا الملك العظيم الشان لاقينا في حربهِ الاهوال لانهُ يقارب كسرى عظمة وفخارًا وكثرة اجناد ولا بد ان تكون قد وصلت اليهِ كتابة كسرى فحشد الجيوش وجمع الجنود وقصد عنادنا هذا اذا كان راغبًا فيهِ وإلاَّ اذا عرف الحقيقة كغيره ووعى لنفسهِ وتاكد ان كسرى قد ظلم الامير حمزة جارانا على مطلوبنا وانقاد الينا وفعل كل ما نريدهُ منهُ فرحلنا عنهُ في الحال . فقال الامير حمزة لا احد في الناس الاَّ ويعرف الحق ومع ذلك فاذا اراد قيصر ان يحاربنا حاربناهُ وعندي اننا نفوز عليهِ وننال منهُ مرادنا وننزع بلادهُ منهُ

قال وكان الملك كسرى قد بعث برسالة الى الملك قيصر يعلمهُ بها بما كان من الامير حمزة واتيانهِ بجماعة العرب الى بلاده وان مرادهُ ان يتزوج بابنتهِ مهردكار فوعدهُ غير انهُ لما رأى ان شريعة البلاد لا توافق على ذلك وقاعدة الحضرية لا تسلم معهُ بتسليم بنتهِ الى بدوي امتنع وقصد ابعاد الامير عنهُ فارسلهُ في عدة مهالك فعاد منها منصورًا واخيرًا بعثهُ يجمع لهُ الميرة من المدن والبلدان والملوك على امل ان يصادف ويلاً في سفره هذا . ولذلك اريد منك ايها الملك العظيم ان لا تنكدر اذا رأيت معهُ امري بالمسير اليك واخذ الاخرجة منك فاني لا اقدر ان اهلكهُ هنا خوفًا من الملامة والعتب فيقال انهُ اخلص بلاده من عدوه خارتين فاهلكهُ وهذا مما يوجب طعن الناس بي غير انك انت اذا اردت هلاكهُ لا تلام عليهِ حيث يكون قد جاء بلادك بقصد التعدي عليك واخذ اموالك فجازيتهُ وجازيت جماعتهُ بما استحقوا وهذا افعلهُ اكرامًا لي فيكون لك عليَّ بهِ الخير والمعروف والجميل الذي لا انكرهُ الى الابد . فلما قرأ قيصر كتابة كسرى اراد ان يعمل بحسب طلبهِ ويهلك لهُ حمزة والذين معهُ واخذ في ان يقدح الفكرة في عمل يبيدهم فيهِ دون ان يخسر من رجالهِ رجلاً واحدًا وقد قال في نفسهِ ان انا تركت العرب يأتون بلادي وما حاربتهم لا وسيلة لهلاكهم الاَّ بالحيلة وإلاَّ ربما خسرت معهم لانهم فرس وابطال وقد ظهر لي من كتابة كسرى ان هذا الملك هو فارس صنديد يخشى باسهُ وترهب سطوتهُ وعليهِ فاني اصبر عليهم الى ان يأتوا هذه البلاد ويصلوا الى المدينة واسالمهم واعاملهم معاملة اللين والطاعة واحتال على هلاك امرائهم ومن ثم اوقع بعساكرهم ولما فكر بهذا الفكر ونسهل لهُ طريق النجاح صبر الى ان يرى او يسمع ما يكون منهم وبقي صابرًا الى ان عرف بانتقالهم من بلاد اليونان ومسيرهم الى بلاده فعرف ان الامر اصبح قريبًا ولذلك جاء الى قرب نهر ماء جارٍ في ضواحي المدينة احال ماءهُ الى جهة ثانية وامر ان يبنى هناك حمام على اسس من الملح على طريقة لا تظهر لاحد وامر البنائين ان لا يعلموا احدًا بذلك وترك مجرى النهر بعيدًا ليتمكن من ارجاعهِ على الحمام المذكور عند الحاجة

وما برحت العرب سائرة حتى وصلت الى تجاه المدينة فضربت الخيام هناك وسرحت

الاغنام والجمال منهُ وانزلت الاحمال عن ظهور البغال وعزم الامير حمزة ان يكتب كتابًا الى الملك قيصر واذا بهِ رآهُ خارجًا من المدينة بالملابس الفاخرة والزين فقال الملك النعمان يظهر ان الملك قيصر لا يرغب في القتال وقد جاء مسالمًا كغيره من الملوك فالحمد لله على ذلك ومن الواجب ان نخرج نحن فنلاقيهِ الى نصف الطريق فاجابهُ الجميع الى ذلك وساروا معهُ الاّ عمر العيار فانهُ قال لاخيهِ اني اخاف يا اخي ان تكون نية الملك قيصر خبيثة من جهتنا فان ضميري مرتاب من قبلهِ . قال سوف نلاحظ عملهُ وكلامهُ فاذا كان يقصد لنا شرًّا باديناهُ بالشر والاّ فاننا اتخذناهُ صديقًا كغيره من الملوك ولما وصل القومان الى بعضهما البعض ابدى كل واحد للآخر تحياتهِ وسلامهُ . وقال الملك قيصر للامير حمزة ان رسالة كسرى قد جاءت اليّ واخبرني بانك سوف تأتي بلادي وقد طلب مني ان اسعى بهلاكك بعد ان حكى لي كل ما كان من امرك فعرفت يقينًا انك مظلوم وانهُ يريد ان يخدعك ويغشك وكدرني منهُ عملهُ كيف يريد ان يبرأ نفسهُ من هذا العمل ويلقي غيرهُ بهِ لاسيما ان لا عداوة ولا سبب بيننا وبينكم فمرادهُ ان يلقي الخصام والعداوة والحروب وهو بعيد عنا فتكون الخسارة علينا نحن وقد نظرت موضع النظر فوجدت ان من الاصابة الاتفاق معكم ومجاراتكم على ما تطلبون . فقال لهُ الامير حمزة اننا نشكرك على هذا العمل والرأي وسوف نخدمك في ما يأتي من الايام ان شاء الله غير اني وعدت الملك كسرى اني اجمع لهُ الاموال واعود اليهِ في الحال لازف على ابنتهِ مهردكار التي خطبتها منهُ ونريد منك الان ان تدفع لنا عشر محاصيل بلادك عن سبع سنوات سلفًا كما فعل غيرك فاذا فعلت ذلك نكون قد عرفنا يقينًا انك مخلص الود معنا ونعطيك بذلك وصولات ونسلمنا ايضًا رسالة كسرى التي بعثها اليك . قال ان كل ما تطلبونهُ اقدمهُ لكم غير ان لا خفاكم ان بلادي كبيرة وواسعة جدًّا واحتاج الى وقت لجمع الاموال منها واطلب اليكم ان تمهلوني الى اربعين يومًا فاسلمكم كل ما تطلبون وان شئتم سرت معكم برجالي وعساكري كما انا ولست بافضل من الملك اسطفانوس ملك القسطنطينية الذي رافقكم واختاركم على بلاده وكان الملك قيصر يتكلم بهيئة جدية حتى ظهر للعرب انهُ صافي السريرة حسن الطوية لا يقصد شرًّا بل يريد ان يدفع الاموال كغيره من الملوك ولا شك جاءوا بهِ وبوزرائهِ واعيانهِ الى صيوان الملك النعمان واحتفلوا بهِ احتفالاً عظيمًا واكرموهُ غاية الاكرام وعند المساء نهض من عندهم وقصد الرجوع الى المدينة وقال للامير حمزة ولباقي قومهِ ان بلادي مفتوحة لكم على الدوام والمدينة معدة لخدمتكم فادخلوها في كل يوم واحضروا في ديواني لتتفرجوا عليها وعلى ما بها وعلى احكام الرومان اذ لا يخطر لكم ان تعودوا الينا مرة ثانية اذا لم تدعوكم الضرورة الى ذلك فقال النعمان لا ريب اننا في كل يوم ندخل المدينة ونقدم فروض الشكر لك على ما اوليتنا من

الجميل والاحسان . ثم انهُ ودعهم وذهب عنهم وفي قلبهِ الكيد والحقد وهو يتمنى ان يفوز بالمطلوب في عملهِ وينال النجاح التام

ومن ذلك اليوم صارت العرب تدخل المدينة في كل يوم والملك قيصر يولم لهم الولائم ويعمل الدعوات ويسير بهم من مكان الى مكان يفرجهم على ابنية بلاده وعمرانها والعجائب الموجودة بها الى ان مضى عليهم عشرة ايام وهم مسرورون منهُ سروراً عظيما جداً وفرحون باعمالهِ الاَّ الامير عمر فانهُ في كل يوم يقول للامير اني لا اركن الى الملك قيصر وقلبي ينبهني انهُ يقصد لنا ضرًّا مع اني لا ارى منهُ الاَّ كل خير واسأَل الله ان يخلصنا من بلاده لنرحل عنها الى غيرها وفي اليوم الحادي عشر خرج الامير حمزة من عند زوجتهِ زهربان وركب جواده حسب العادة وجاء الى الملك النعمان فوجده بانتظاره مع باقي الجماعة فركبوا جميعًا وساروا الى جهة المدينة وبقي الامير عمر في الصيوان عند زهربان ولما دخلوا على الملك ترحب بهم كثيرًا وقال لهم خطر في ذهني اليوم ان تذهبوا الى الحمام وتغتسلوا من اوساخ السفر ومن غبار الطرقات واقذارها لان الحمام هو نعيم الدنيا وعندي حمام قد ابتنيتهُ جديداً فهو نزهة للناظرين وقد عينت لكم عشرة انفار من خدمي يخدمونكم ويغسلون لكم اجسادكم فوافقوهُ على ذلك وقال لهُ النعمان نعم ان الحمام هو نعيم هذه الدنيا واني كنت عند ما اتي المدائن اغتسل بها فاسر مزيد السرور فاجاب حمزة ذلك واشتاق ان يتغسل بالحمام ليرى كيف يكون مع انهُ يسمع انهُ مكان لتنظيف الابدان نافع للاجسام غير انهُ لم يدخلهُ قط بل كان يغتسل بالنهور بالماء البارد واذ ذاك امر قيصر بعض جماعتهِ ان يسير بهم الى الحمام المقيم عند النهر الذي بناهُ جديداً وان يغسلوهم جيداً ويقدموا لهم كل حقوق المسرة ويكرموهم اكرامًا زائداً فساروا بهم وادخلوهم الحمام وبعد ان نزعوا ثيابهم دخلوا ليغتسلوا ومعهم خدام قيصر ودخلوا الحمام وهم آمنون من حوادث الايام وطوارق الحدثان . وبعد ذهابهم نهض الملك قيصر في الحال ودعا بقواد عساكره وقال لهم اريد منكم في الحال ان تجمعوا الرجال والعساكر وترموا بفسيكم ونبالكم على العرب فلا ترجعوا عنهم حتى تهلكوهم عن اخرهم ويكون هجومكم من اربع جهات كي لا يكون لهم مفرًّا يفرون منهُ او ينجو منهم احد فاجابوهُ الى طلبهِ وساروا في الحال الى اتمام وعده وسار هو بنفسهِ واخذ بعضًا من الفعلة الى جهة النهر وقصد ان يجريه على الحمام فيذوب الملح ويسقط الحمام على من فيهِ فيموت الجميع ويتخلص من شرهم وقد ثبت لديهِ انهُ نجح نجاحًا عظيما وتيقن عنده الفوز بذلك عند ما اطلق ماء النهر في مجاريهِ القديمة

قال وكان للملك قيصر بنت بديعة المحاسن كاملة الصفات حسنة الطوية لا ترغب في ضرر احد من العباد تسعى في عمل الخير وتجتهد في مداراة الفقير ولذلك كانت على اختلاف مع

ابيها اكثر الاحيان لانهٔ كان سيء الاخلاق لا يرضى بغير الاذى والظلم وقلة الانصاف عائشين عيشة الخداع والخيانة ففى هذه المرة عرفت ان اباها قد نوى على الغدر بالعرب فتكدرت ولم يهن عليها ذلك لاسيما عند ما عرفت قصة الامير حمزة مع الملك كسرى وكيف ان سبب ارسالهِ في جهات الممالك كان يستخلص منهُ ويمنع عنهُ بنتهُ التي كان وعدهُ بها فجاءت اليهِ وقالت لهُ اعلم يا ابي ان العرب قوم اصفياء وامناء ولولا خيانة الملك كسرى لما جاءوا بلادك وطلبوا منك الاموال وليس من العدل الاَّ اجابتهم الى طلبهم والمصافاة لهم فاتخذ حمزة لك صديقاً وفيّاً فهو ينفعك لدى الشدات ولا بد من انهُ يقلب تخت الملك المالك على الاعجام فتستفيد من ذلك افادة عظيمة وتلاقي الخير الكثير وتتسع دوائر مملكتك والاَّ فتندم فيما بعد غاية الندم فاراد خداع بنتهُ فقال لها اني نويت على ذلك والحق بيدك ولا ريب ان الحق بذلك على الملك كسرى لا على العرب وقد اصبت بقولك فسكتت عند كلامهِ وهي تعرف باطنهُ وتاكدت انهُ ربما يكون قد اضمر خلاف ما اصدر وكان فكرها مرتبكاً على الدوام بالسبب الذي اوجبهُ الى بناء الحمام في جهة النهر على اسس من الملح ودعمهُ من الخارج بدعائم من الخشب وقطع مسيل النهر من حولهِ وقالت لنفسها لا بد لذلك من سبب امر خطير نواهُ وبقت صابرة الى ان كان اليوم الذي عزم بهِ العرب الى الاغتسال بالحمام فادركت النتيجة ولذلك اسرعت الى جهة الحمام وهي غضبى من عمل ابيها تذمهُ وتذم اعمالهُ وتلعن الغدر ومرتكبيهِ الى ان وصلت الى خارج الحمام فامرت خادمها ان يضع لها سلماً عليهِ بينما كان ابوها يشتغل بتتميم عملهِ وقد امر باطلاق النهر على الحمام واخذ الفعلة تشتغل بفتح اقنيتهِ بسرعة عجيبة قبل ان يخرج الامير حمزة وجماعتهُ منهُ وصعدت السلم ووقفت في نافذة صغيرة مطلة على فسحة الحمام الخارجية املاً منها ان ترى احداً من سادات العرب فتطلعه على الدسيسة . وبالقضاء والقدر كان الامير حمزة قد ضاق صدرهُ من الداخل فخرج يتنشق الهواء قليلاً وينشرح صدرهُ فرأتهُ وهو على تلك الحالة ليس عليهِ الاَّ المئزر في وسطهِ وهو كالبدر في تمامهِ فغرقت في بحر هواهُ من اول نظرة رأتهُ ولم تكن تعرفهُ فصاحت بهِ ان ينظر اليها وقالت لهُ من انت فاندهش من اعمالها ومن محاسنها وتعجب من وقوفها في تلك النافذة والتفرج عليهِ وهو عريان وظن ان ذلك منها عن قلة تأدب فقال لها انا حمزة بن ابرهيم امير العرب فمن انتِ وما تقصدينهُ في وقوفكِ على هذه النافذة فقالت لهُ انا مريم بنت الملك قيصر جئت لانقذك من خطر عظيم محيق بكم فاسرع الان الى خارج الحمام والاَّ سقط عليكم وبعد نصف ساعة يتم ذلك لان ابي اقام هذا الحمام على اسس من الملح لهذه الغاية ولاجل ان يوقع بكم فيهِ وقد اخذ يشتغل باطلاق النهر عليهِ ليسقط وانتم داخلهُ فاسرعوا حالاً واخرجوا والاَّ هلكتم واني ارجوك اخيراً ياسيدي ان لا تنسني وتذكر عملي معك . ثم انها نزلت

عن السلم وراحت الى سبيلها فلما رأى الامير حمزة ما رأى وسمع ما سمع طار صوابهُ فركض الى داخل الحمام وصاح برجالهُ الان فارجعوا والاَّ هلكتم عن اخركم فان دسيسة عملت علينا ثم انعكف راجعًا فركضوا خلفهُ واخذ كل واحد ثيابهُ واسرع الى خارج الحمام وجعل يلبس وهو لا يعرف ما سبب تلك الدسيسة وما انتهوا من لبس ثيابهم حتى رأوا ماء النهر يتدفق الى مجراه القديم الى جهتهم فمالوا بالسرعة الى جانب وللحال لطم الماء جدران الحمام واحتاط بهِ واخذ يجري عليهِ وهم ينظرون الى ذلك ويتعجبون من هذا العمل الخبيث وفيما هم على ذلك واذا بهم يرون الحمام قد سقط دفعة واحدة وسمع لسقوطهِ صوت ودوي اضطربت منهُ المدينة فطار صواب الامير وعظم عليهِ الحال وعرف ان لولا تلك الصبية لكان هالك مع جماعة العرب وملوكها فاغتاظ جدًّا وجرد سيفهُ ونوى على الهجوم على الملك قيصر واذا بهِ رآهُ مسرعًا الى جهة الحمام ومعهُ رجالهُ الاعيان وفي كل نيتهِ ان الحمام سقط على الامير حمزة فاهلكهُ مع رجالهِ وهو فرحان غاية الفرح بنجاح عملهِ واضطرب لما رأى ان الامير لا يزال سالمًا خارج الحمام وظن انهُ لم يعرف بدسيستهِ فاراد ان يتظاهر بالاعجاب ويسأَل الامير حمزة عما جرى فلم يمهلهُ ولا تركهُ بل انقض عليهِ والسيف بيده وصاح فيهِ قائلاً ويلك ايها الخادع الغاش هل تظن ان العرب لا يعرفون بغدرك وخيانتك وقد هيأت لنا هذه الدسيسة لتهلكنا الا تعلم ان الله معنا ولا يرضى بهلاكنا وقد جاء منهُ نذير واخبرنا بكل شيء عن عملك فاستعد للممات ثم ضربهُ بالسيف على ام رأسهِ فشقهُ الى وسطهِ ووقع الى الارض قتيلاً ومال في قومهِ قائلاً ويلكم اوغاد غير اخيار لقد حل بكم الويل والدوار جزاء على فعل ملككم الخبيث وكذلك باقي العرب كاندهوق واصفران وغيرهما فانهم استلوا سيوفهم وهجموا هجمات الاسود ففرَّ من امامهم جماعة قيصر يختبئون وقد ايقنوا بالفناء وشرب كأس الحمام وبينما الامير وقومهُ يطاردون اعيان قيصر اذ سمعوا الصياح والغوغاء من جهة معسكرهم فقال هلك والله المعسكر ولا ريب ان قيصر قد در عليهم ايضًا ونوى على هلاكنا وهلاكهم بوقت واحد ولذلك ركض الى خارج المدينة والسيف بيده ومن خلفهِ اسود القتال يزأرون ويطلبون الوصول الى ساحة المجال للافراج عن قومهم ورجالهم

لقد تقدم معنا ان قيصر كان قد امر رجالهُ ان تغدر بعساكر العرب من اربع جهات بوقت واحد وذلك عند ما يرون سقوط الحمام اي عند تاكيد هلاك الامير حمزة فسار معسكر المدينة واحتاطوا بالعرب وهم آمنون طوارق الحدثان وفي كل نيتهم ان امراءهم عند الملك قيصر على التعظيم والاكرام وان لا سبب شرٍّ يقصده لهم وكذلك كانوا على الدوام يسرحون ويمرحون ويلعبون وفيما هم على مثل ذلك غير حاسبين حسابًا لصروف الزمان وطوارق الحدثان واذا سهام الاعداء قد وقعت عليهم كوقوع المطر الغزير عند اشتداد الرياح فاصابت

مقاتلهم فارتاعوا واضطربوا واخذوا بغتة فلم يقدروا ان يعولوا على انفسهم وجعل كل واحد
يركض الى جهة وهم يقعون الى الارض ويقومون ولا يرون سبيلاً للخلاص لان كل الطرقات
قد سدت بالرجال وصوبت منها الى نحورهم السهام فايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كأس الحمام
وظن كل واحد منهم ان يوم الاخير قد جاء وان هلاكهم في تلك الارض لا محالة ولذلك
جعل من يصادف الآخر يودعهُ ويصلي صلاة الممات واكثرهم يصيبهم السهام وتلقيهم الى
الارض اما قتلا واما جرحا وفي تلك الساعة وصل سيد فرسان ذاك الزمان وغوث كل
خائف وولهان الامير حمزة البهلوان وشاهد ما وقع على رجاله فطار صوابهُ وتدفقت الدموع من
عينيهِ فصاح بمن معهُ ان ينقسموا الى اربعة اقسام ويتفرقوا الى اربع جهات فسار اندهوق
البطل الموصوف الى جهة ومعهُ بعض السادات وكذلك اصفران الدربندي الى جهة اخرى
والامير عقيل والملك النعمان ومعهم بعض الاعيان في الجهة الرابعة وبقي الامير حمزة وحدهُ
فصاح صياح الاسود وهجم هجمات الفهود وانحط على الرومان انحطاط الصواعق وجعل يضرب
فيهم بسيفهِ البتار وينادي ويلكم ايها الاوغاء اخلوا عن العربان وانجوا بانفسكم بامان فقد جاءكم
الامير حمزة البهلوان ينتقم منكم ويلبسكم اثواب الذل والهوان . قال وبينما كان الرومان قد تاملوا
بالنجاح والظفر وتاكد عندهم ان العرب ينقرضون في تلك الواقعة حيث ان فرسانهم هلكت في
الحمام خاب رجاءهم وانقطعت آمالهم عند ما سمعوا اصوات الامير حمزة وهو يصول ويجول
ويلتهم الفرسان كأنهُ الغول ومثلهُ يفعل اندهوق بن سعدون وقد طير الرؤوس واخمد
النفوس وفرقها في كل الجهات . وبينما كانت عساكر العرب قد وقعت بالارتباك وايقنت
بالهلاك والمحاق اذ سمعت صوت الامير حمزة وهو يتخلل كثافة ذاك الغبار ويعلو على تلك
الغوغاء ورأوا ان الاعداء قد تاخروا الى الوراء فايقنوا بالنجاح وثبت عندهم ان فرسانهم لا
يزالون احياء فاشتدت ظهورهم ورأوا باب الفرج قد جاء فاسرعوا انتقاماً لانفسهم فتناول كل
واحد ما وقع بيده من السلاح بعد قطع اليأس وهجم على اخصامهِ فكانت مصيبة كبيرة على
الرومان وايقنوا بالهلاك والقلعان ولم يروا وسيلة للفوز غير الهرب والفرار من وجوه العرب
الاخيار فالوى كل واحد رأس جواده وطار في الآفاق وهو ينادي الامان الامان يافارس
الزمان ياحمزة البهلوان فان لا ذنب علينا نحن وكل الذنب على ملك الرومان . هذا والعرب
والامير حمزة يضربون باقفيتهم وقد اشفوا منهم الغليل واروا الكمود وفرقوهم كل مفرق ومزقوهم
كل ممزق ونثروهم على بساط البسيطة نثر الورق . واخذ كل عاقل منهم يرمي بسلاحهِ ويسلم
بنفسهِ اسيرًا لخاطر العرب فيعفون عن نفسهِ وما جاء المساء الاَّ والعرب قد فازوا الفوز العظيم
ودخل الامير حمزة بعسكره المدينة ففرقهم فيها واستلمها لنفسهِ وارهب كل من كان فيها ولما كان

صباح اليوم الثاني امر ان تدفن جثث الموتى وتتوارى التراب وتغسل المدينة من الدماء التي لطخت بها من جرى غدر ملكها . ثم انهُ بعد ذلك دعا اليهِ اعيان المدينة وامراءها فوقفوا بين يديهِ اذلاء فقال لهم انتم تعلمون ان جلّ غايتي كانت ان اقبض الاموال التي جئت لاجلها بطلب الملك كسرى ومن ثم اعود راجعًا من حيث اتيت وقد وعدني ملككم بدفع كل ما هو مطلوب وطيب خاطري قاصدًا بذلك غشي وهلاكي وهلاك قومي غير ان الله سبحانهُ وتعالى محافظ على حياتي لا يريد بهلاكي فارسل لي ملاكهُ بصفة احدى بناتكم واطلعني على دسيستهِ واخرجني من الحمام حالاً مع قومي وكان لي الحق اذ ذاك ان اقتلهُ وانتقم لنفسي منهُ فقتلتهُ وبعد ذلك وجدت انهُ قد بعث بعساكره الى مفاجأة رجالي وقد داروا بهم واخذوا في ان يفنوهم ويهلكوهم فخلصتهم ولم ابقِ على ظالم قط وعليهِ فقد احضرتكم الان لاخبركم اني ما كنت ظالمًا عليكم ولا كنت اقصد شرًّا لاحد من مدينتكم وما فعلتهُ كان من قبيل الاخذ بالثار فاصغوا اليَّ واخلصوا الطاعة فابقي ملككم لكم وارحل عنكم بعد ان اقرر حال البلاد واقيم عليها ملكًا تختارونهُ انتم اما من سلالة ملككم المقتول واما رجلاً آخر منكم يكون فيهِ اللياقة وتتفقون عليهِ جميعكم فقالوا لهُ اننا نحن عبيد لكم طائعون وليس لنا دخل قط بعمل الملك ولا عرفنا ماذا يقصد فلاجل هذا نريد منك الان ان تعفو عنا وتقبلنا وتدبر امرنا بحسب اختيارك وارادتك فطيب قلوبهم ووعدهم بكل جميل وخير وجعل يصلح شان المدينة ويغير في حكامها واعضاء محاكمها وقد احبهُ الكبير والصغير وعرفوا انهُ رجل عادل قد اعطي من الله معرفة وبسالة لم تعطَ قبل لغيره من ابناء الجبلة البشرية فسبحان من يختار من عباده من ينفذ غايتهُ فهو الحكيم القدير لا الله الاَّ هو

قال ولنرجع في حديثنا الى مريم بنت الملك قيصر فانها بعد ان اخبرت الامير حمزة وهو في الحمام بعمل ابيها كما تقدم معنا رجعت الى قصرها وهي كاتمة عملها وقد رسخ في ذهنها رسم جمالهِ وقامتهِ وهيئتهِ واخذ بمجامع قلبها وعلقت املاً كبيرًا بهِ وقالت في نفسها لا بد لهُ من ان ينظر اليَّ نظرة الحب ويتخذني اليهِ زوجة وابقى عندهُ حيث قد وعدني انهُ لا ينساني وانهُ ينظر اليَّ ولا ريب انهُ يفتكر بي ويتذكرني في كل دقيقة لاني كنت السبب في حياتهِ ونجاتهِ من الموت ولولاي لكان هلك . وفيما هي جالسة في بيتها وصل اليها الخبر بان الامير حمزة قد قتل اباها واقام القتل في المدينة فتمكنت منها مفاعيل الحزن فبكت وناحت وندبت اباها وعرفت انها كانت السبب في موتهِ وصرفت كل ذاك اليوم بالبكاء وقد حضر عندها النساء وعزينها بابيها وما منهن من ظنت انها هي التي اعلمت الامير حمزة فخلص من الموت وقتل اباها . وكانت تارة تلوم نفسها على ما فعلت وطورًا تمدح ذاتها من عملها حيث انها خلصت الامير من الموت وبسبب هذا الخلاص

بنت لها برجاً متيناً في مستقبل حياتها اذ كان قد ترجح عندها انهُ يكافئها على ذلك بما تريدهُ منهُ وهي زواجهُ وكان يثبت عندها ذلك لاعتقادها انها يندر وجود من هي اجمل منها في عصرها وقد تربت على الترفه والدلال صارفة كل وقتها الى درس العلوم واللغات جاعلة حياتها في الدرجة الاولى بين بنات مدينتها ومن شاكلهم . واما تأسفها على ابيها فلم يطل كثيرًا في قلبها اولاً لانها تعلم انهُ مات من جرى ظلمهِ وخداعهِ وان جزاء الظلم والخداع الموت لا محالة فالله لا يمكن ان يبقي على الظالمين طويلاً وثانياً لان محبة الامير كانت قد رسخت في قلبها فنفت الحزن حالاً وشغلتها عن التأثر من فراق ابيها وموتهِ وبعد ثلاثة ايام لم يكن قد مات لها اب بل كان كل شاغل يشغلها ميلها الى الغرام الجديد الذي كان قد استولى عليها وهي تبعث برسلها لتعرف ما يصنع الامير فتخبر انهُ يفعل كذا وكذا فتقول في نفسها انهُ اليوم لا يزال بشغلهِ في تدبير احوال المدينة ولا بد انهُ في الغد يتذكرني ويرسل فيدعوني اليهِ او انهُ يحضر عندي ويشكرني على ما فعلتهُ معهُ وحينئذٍ اطلب منهُ ما اريدهُ وهو يأخذني معهُ ويبقيني عندهُ . وطال عليها المطال على هذا المنوال عدة ايام الى ان ثبت عندها ان الامير فرغ من كل عمل ولم يحضر اليها وتاكدت ايضاً انهُ نسيها والسبب كثرة اشغالهِ ومهامهِ ولم تنسب تأخرهُ عنها وتركهُ اياها الى قلة وفائهِ وامانتهِ لعلمها انهُ لا بد ان يكون قد اعطي الصفات الكاملة ونال الخصال الحميدة وصورت لها المحبة انها افضل رجل في الدنيا ولذلك عمدت ان تذهب اليهِ ثانية وتذكرهُ بنفسها وتعرض عليهِ محبتها وتطلب منهُ المكافاة على خلاصهِ من الموت وصبرت على ذلك الى ان كان مساء ذات يوم فلبست افخر ما عندها من الثياب الحدادية ووضعت على رأسها نقاباً من الحرير الاسود فاصبحت كأنها النجمة اللامعة في ليل حالك السواد ومشت تحت استار الاعتكار الى ان وصلت الى القصر القائم فيهِ فدخلتهُ وهي مظهرة على نفسها الذل والكآبة وعند ما وصلت الى نصف القصر اعترضها الامير عمر العيار حيث كان قائماً على حراسة الامير الليل بطولهِ من ان يغدر بهِ احد فلما رآها صاح بها وقال لها من انتِ وماذا تريدين فقالت لهُ اخبرني انت اولاً عن نفسك واطلعني على امرك حتى اذا رأيت فيك الامانة وعرفت من انت اطلعتك على حقيقة امري فقال لها انا عمر العيار اخو الامير حمزة ورفيقهُ في كل حياتهِ احرسهُ بالليل والنهار وامنع عنهُ طوارق الاشرار . فلما علمت انهُ عيار حبيبها قدمت يدها اليهِ وقالت لهُ اغثني ايها الامير واشفق لحالي انا بنت قيصر الذي قتلهُ اخوك وسبب قتلهِ كنت انا حيث اني عرفت ان مرادهُ يسلك سبيل الخداع والاحتيال ويهلك ضيوفهُ الذين ركنوا اليهِ كل الركون فاتخذوهُ صديقاً وامنوهُ على نفوسهم وقد نهيتهُ عن ذلك وبينت لهُ عاقبة الظلم فلم يرجع فاتيت الحمام واخبرت اخاك بدسيسة ابي واوصيتهُ ان ينظر اليَّ ولا ينساني ومنذ ذلك الحين لم اعد اراه

قطّ وقد نسيني كل النسيان لا لقلة امانة فيه او لسبب آخر كوني اعلم ان العرب اشد الناس امانة ووفاء يعرفون الجميل ويوفون المودة حقها ولا يضيع عندهم معروف قال نعم لقد اصبتِ ولكن سبب نسيانه كثرة اشغاله في مهام الدولة وربما كان سبب امتناعه حياؤهُ منكِ حيث قتل اباكِ وهذا لا بد ان يكون القاكِ بالكدر والبكا لاجله . قالت اني بكيت عليه كونه والدي وكوني احبهُ الحب العظيم غير اني لا اتكدر حيث انهُ ظالم وغادر ومخادع وجزاء من كان كذلك هو الموت لكن اريد منك ان تذكرني عند اخيك الان كي لا اكون قد فقدت الاب والنصير بوقت واحد فاصادف منهُ ابًا واماً ولك مني كل ما تطلبهُ من الاموال فادفعهُ لك لان عندي من الذهب كثيرًا . فقال لها اكرامًا لكِ افعل ما يرضيكِ فابقي هنا الى ان اعود اليكِ

ثم انهُ تركها هناك ودخل على اخيهِ وايقظهُ من النوم وقال لهُ لما هذا النوم الكثير اهل في نيتك ان تنسب الى العرب قلة الامانة وضعف الولاء وانت سيد العرب واميرهم الا تعلم ما عليك من الفروض الواجبة لمن بادوك بالجميل وسعوا في نجاتك من الموت فاستيقظ الامير من كلامهِ مندهشًا وقال لهُ ماذا تقصد في هذا وكيف تنسب لي قلة الامانة ومتى انزلت من قدر العرب قال انك فعلت ذلك في هذه الايام حيث قد نكرت جميل ومعروف من سعى في خلاصك ونجاتك من الموت وانت في الحمام اتذكر انك لو بقيت في الداخل مقدار نصف ساعة ولم تأتِ مريم بنت الملك قيصر لكان وقع الحمام عليك وعلى من معك . فاطرق الامير الى الارض برهة كأنهُ انتبه الى نفسهِ ثم قال لهُ واين تلك الصبية قال هي في الخارج واقفة على انتظارك ان تأذن لها بالدخول عليك اذ قد قتلت لها اباها ولم يبقَ لها من ثم نصير سواك ومن حظك وتوفيقك ببنات الملوك جعلها تأتي اليك بنفسها وتطلب منك زواجها وهي كالبدر اشراقًا ونورًا وبالحري كمهردكار جمالاً وادبًا قال اني امتنع من هذا لان كل بلد دخلتها اتزوج بها فتمضي الايام ولي كثير من الزوجات . قال وما المانع من ذلك اذا حكمت عليك الاحوال فربما هذه هي افضل بالنساء من سواها ولاسيما انك اذا قدرتها حق قدرها اتخذتها مولاة لك لانها اشترت حياتك ونجاة العرب اجمعين بدم ابيها ورجالهِ وبلاده . قال نعم انها قد استحقت اكثر من ذلك فادخلها الان لانظر في امرها وارى ماذا تريد . فرجع وهو يتمتم في نفسهِ ويقول ما اكثر توفيقك بالغادات وانت تمتنع عنهنَّ وتتعلق ببنت الملك كسرى ولما وصل اليها قال لها ان اخي بانتظاركِ الان فادخلي عليهِ وقد اخبرتهُ بكِ وسألتهُ ان يكون لكِ بعلاً ونصيرًا فاجاب فلا تنسي ما وعدتني بهِ من المال . قالت واني ازيدك فوق ذلك جارية من خاص جواري اللاتي لا نظير لهن في جواري العالم فشكرها واخذ يترقب الوفاء ودخلت مريم على الامير فتلقاها بالترحاب والاكرام ورق لها عند ما رآها لابسة ثوب الحداد

وهي منكسرة الخاطر ذليلة النفس واندهش من بهاء طلعتها وجمال وجهها ورقة واعتدال قدها
وقال لها لقد شرفتنا يابنت الملك على غير انتظار فلم يكن لديّ ما يقوم بواجب الزيارة
فاعذريني الان . قالت اني خادمتك وما من حق الخادم ان يعتب على سيده ،وما القصد
من زيارتي الان الاّ شيئًا واحدًا وهو ان اذكرك بي لانك نسيتني على حين انك وعدتني بان
لا تنساني .قال اني لم انسك قط لكنني كنت اتردد في هل ان ذاك الذي ناداني من نافذة
الحمام هو بشر بالحقيقة او ملاك ارسل من الله تجسم بهيئة بشرية لان عقلي كاد لا يصدق ان ذاك
الجمال هو جمال فتاة فان انوار وجهكِ اللطيف المكلل بالهيبة والوقار انعشت باشعة عجيبة
على حين غفلة مني فانبهر لها نظري ولم يغب ذاك الرسم عن ذهني قط غير انهُ ثبت لديّ الان
انهُ وان كان ملاكًا من الله غير انهُ بعث منذ القديم ليكون عندي انت ملاك النور والهة الحسن
وربة اللطف فاعذريني الان وارضي عن قصوري لانكِ صاحبة المعروف السابق معي . قالت
ما عملت الاّ المتوجب عليّ ولو كان ابي عادلاً وعاقلاً لما فعلت ذلك غير اني لما كنت كارهة
الظلم والخداع نصحتهُ وبينت لهُ العاقبة فلم يرجع عن غيهِ والان حيث قتل ابي ولم ارَ بدًّا من
مبارحة هذه الديار حيث ان القي برجائي عليك واتخذك عونًا لي ونصيرًا جئتك وقيعة لتقبلني
عندك اما زوجة واما خادمة قال لا بد من ان اتخذك زوجة لانكِ احق بي من غيري كون
حياتي لكِ وعليكِ غير اني اريد ان اظهر لكِ امرًا واحدًا بهِ تعرفين اني خاطب مهردكار
بنت الملك كسرى ملك العجم ومن اجلها تحملت انتقالاً كثيرة حتى توصلت اليكم فهي عندي
بالدرجة الاولى حيث كانت السابقة عليكم ومن ثم قد اتخذت زوجة ثانية وهي زهربان بنت
ملك اليونان حين كنت في بلادها وانتِ الان الثالثة فلا يغضبكِ ذلك فانهُ كان في زمن
سابق لهذا الزمان التي ترومين فيهِ انتِ زواجي قالت اكد ان الغيرة لا محل لها عندي مطلقًا
واني بعيدة عنها وجل قصدي ان اكون لك كون لا احد في الدنيا يستحقني سواك فانظر اليّ
كمولى وكل امر تأمرني بهِ فهو نافذ على راسي وعيني نعم اني اعرف ان النصارى لا يتزوجون
باكثر من واحدة ولذلك يصعب على الرجل او الزوجة ان يرى شريكًا آخر في من تزوج
لكني لما كنت اعرف عوائد العرب واتاكد ان الرجل يقدر ويسمح لهُ ان يتزوج باكثر من
زوجة واحدة اي ان يكثر من الزوجات بقدر ما يشاء لا اتكدر اذا كان لك غيري لاسيما
وعندنا نحن النصارى وجوب طاعة الرجل كونهُ المالك للزوجة وقد اوصانا المسيح ان تطيع
الزوجة رجلها كما تطيع الكنيسة للمسيح راسها ومن الواجب على كل فروع الجسد ان تنقاد
للراس كما ينقاد الجيش والرعية الى المترأس عليها لاسيما وهي تابعة وعليها طاعة المتبوع، فسرّ
الامير حمزة من فصاحة لسانها وحسن اسلوبها ومعرفتها في فن الدين والادب وقال في نفسهِ

بالحقيقة ان الزوجات المهذبات المتعلمات هن علة راحة الرجل ووسيلة خير في حياته ان يعرفن المفروض عليهن ويحسن ادارة القيام بتدبير بيتهن وحياتهن على اتم ما يرام

ثم انهُ قال لها اخيرًا اذهبي الان الى قصركِ وابقي فيهِ الى حين ارسل فادعوكِ الى يوم الزفاف وساهتم بذلك في الغد وها قد عاهدتكِ على الحب والوفاء وصرتِ لي خطيبة وما من مانع الان يمنع زواجنا ان كان الله يقصد ازدواجنا وقربنا من بعضنا ففرحت بكلامهِ هذا وكاد يطير فؤَادها وقامت اليهِ فودعتهُ بكل ادب وحشمة وخرجت من عنده وهي مسرورة سرورًا عظيمًا فالتقاها عمر العيار في الخارج وقال لها لا تنسي ما وعدتني بهِ من المال . قالت اني اعطيك بقدر ما تطلب من الذهب فسار امامها الى ان وصلا الى باب قصرها وعاد الى اخيهِ فدخل عليهِ وهو لا يزال مستيقظًا وقال لهُ على ماذا عولت قال انها صاحبة فضل عليَّ فهي احق ان تكون زوجة لي من غيرها وقد سعت في خلاصي ومع ذلك فهي كاملة الحسن والصفات عاقلة وقعت من قلبي موقعًا حسنًا وراقت في عينيَّ جدًا . قال ومتى وعدتها ان يكون الزفاف قال اني وعدتها ان من الغد اباشر عمل الزفاف واقيم لها فرحًا عظيمًا . قال ان ذلك منوط بي لا بك نعم انهُ لا بد لك من زواجها والاقتران منها لكن هذا يكون عند ما ابديهِ اما لك لان هذه الايام ايام شؤْم ونحس ومن الصواب ان تصبر على ذلك عدة ايام اسي الى حين اجيء اليك واخبرك بان تباشر الزفاف . قال واي متى كنت تعرف بالطالع وتميز بين النحس والسعد فهل تعلمت هذا العلم من احد قال اني عرفتهُ من رجال الصومعة وما عليك ان تخالفني فاصبر الى ان اقول لك . فقال لهُ اكرامًا لك لا اتزوج الاَّ اذا اخبرتني ان اتزوج وان كان غرضك الحصول على المال فاني اعطيك ما تطلب عوضًا عن مريم فهي لا مال عندها وان كان عندها مال فستحملهُ الينا . قال ان كل المال الذي عندك والذي جمعتهُ في اسفارك لا يكفيني ولا بد ان تصبر

قال واقام الامير حمزة صابرًا وقد اشتد عليهِ هوى مريم وطلبت نفسهُ الحصول عليها وعمر معرض ينتظر الوفاء منها وهي غير عالمة بقصده بل ذهبت الى قصرها واستعدت لنفسها واقامت بكل عمل تحتاج اليهِ وفي ظنها ان الامير يسرع الى عمل الزفاف وينهيهِ بوقت قريب فمضت عليها الايام دون ان ترى اهتمامًا لذلك او تسمع بان في نية الامير حمزة الزفاف بها فانفطرت مرارتها وضجرت ضجرًا عظيمًا وخافت ان يكون قد نسيها او انهُ اعرض عنها ورجع عن وعدهِ وتكدرت جدًا من عدم امانتهِ وبقيت صابرة على نفسها الى ان فرغ صبرها وضجرت ضجرًا عظيمًا وارادت ان تعرف السبب وقالت في نفسها من الواجب ان اسير في هذه الليلة الى عمر واسأَلهُ عن ذلك فهو يفيدني عنهُ ويهديني اليهِ ثم انها بعد ان اعتمدت على ذلك صبرت الى ان

اشتد ظلام الليل فسرت تحت ظلامهِ وانسحبت الى قصر الامير حمزة واذا بها قد نظرت عمر العيار عند فسحتهِ ولما رآها عارضها ومنعها من الدخول فقالت لهُ اهل نسيتني يا عمر وقد وعدتني ان تكون لي سندًا وتساعدني على غايتي فان كان الامير قد شغل عني ورجع عن وعده ولم يفكر بي الاَّ انهُ كان من المقتضي ان تذكره وتذكرني عده فقال لها ان اخي لم ينسك قط وكان في نيتهِ ان يباشر زفافك ثاني يوم الذي كنتِ بهِ عندنا غير اني منعتهُ وراجعتهُ عن ذلك قالت ولما اهل رجعت عن وعدك وندمت على الوفاء . قال معاذ الله ان اقول ولا افعل ولا خناكِ ان الامير لا يباشر عملاً الاَّ بمعرفتي ورضاي وانتِ وعدتني انكِ تعطيني كل ما اطلبهُ من الذهب وبعد ان قضيت مصلحتكِ واطمأن بالكِ رجعتِ عن وعدكِ . قالت لم ارجع قط غير اني اردت ان ابقي ذلك الى حينهِ اي الى ما بعد الزفاف . قال اني لا احب المطل وعندي خير البر عاجلهُ فانقديني سلفًا تنالين مطلوبكِ . قالت وماذا تريد قال عندي جراب صغير اطلب اليكِ ان تمليهِ لي ذهبًا وتعطيني الجارية التي وعدتني بها ليكون زفافي وزفاف اخي بيوم واحد . قالت اتبعني ومعك الجراب لاملية لك فاني مخطئة معك وكان من الواجب ان اعجل النقد . فما صدق ان سمع هذه الكلمة حتى اجاب قولها وقال لها في الغد اكون عندكِ في قصركِ ومعي الجراب وفي نفس الغد نباشر بعمل الزفاف لتزفين حالاً على اخي . فسرَّت مريم وتاكدت انها ان ارضت عمرًا نالت غايتها من الامير وتزوجت بهِ ولما صارت في بيتها احضرت ما عندها من الذهب مما كانت تجمعهُ في زمن ابيها عندها ما يملأ صندوقًا فقالت ان جزءًا صغيرًا منهُ يملأ الجراب والباقي يكون للامير اعانة لهُ في سفرهِ وعلى جيوشهِ ودامت في قصرها الى ان اشرقت شمس النهار واذا بعمر قد حضر اليها وفي يده الجراب المذكور فقال لها اني لي بوعدكِ واعجلي العطاء فتريني في هذا اليوم انجز وعدكِ فاخذتهُ الى الصندوق وفتحتهُ فاندهش عمر وفتح باب الجراب وقال افرغي فيهِ ما يملئهُ فاخذت تقبض من الصندوق وتفرغ في الجراب حتى قبضت نحو مائة قبضة وهي ترى الجراب على حالهِ كأنهُ فارغ فتعجبت وانبهرت الاَّ انها صبرت عليهِ وداومت العمل حتى فرغ نصف الصندوق وهي تنظر الى الجراب كأنهُ لم يكن بهِ شيء فزاد عجبها وقالت لعمر ما هذا الجراب فاني اراهُ صغيرًا جدًّا لا يساع اكثر من عشرة قبضات فوضعت فيهِ ميئات وهو لا يزال على حالهِ كأنهُ فارغ فاين الذهب الذي اضعهُ فيهِ قال هو داخلهُ واذا كنتِ لا تصدقي فانظري ثم افرغ ما في الجراب الى الصندوق فاعاده كما كان مملوءًا فجفلت وقالت لهُ لا ريب ان بهِ شيطان يضيع الذهب ويخفيهِ قال من اين يأتي الشيطان غير ان جوفهُ من الداخل كبيرًا واذا كنت قد ندمت على الذهب فلا بأس فانا ايضًا قد ندمت على الامير ولا يمكني ان اتركهُ يتزوج بعد بمن نقول ولا نفي . فقالت لهُ اني غير نادمة على

الذهب . ثم عادت الى عملها الاول حتى فرغ الصندوق والجراب فارغ فكاد يذهب عقلها وصاحت مرتاعة وقالت شيطان شيطان وعمر يضحك من ذلك ثم دعت بخادم لها وقالت له اذهب الى الامير حمزة واسأله ان ياتي اليّ حالاً لامر مهم فذهب الخادم وجاء بالامير حمزة فوجدها على تلك الحالة فترحبت بهِ وسالها عن نفسها فقالت له ان عقلي ضاع من عمل هذا الجراب . ثم حكت له قصتها من الاول الى الاخر . ففطن الامير ان هذا الجراب هو جراب اسماعيل الذي اخذهُ من رجال الصومعة وقال لها لاتخافي فهذا اخذهُ من رجال الله وهو لو وضعت بهِ المدينة باسرها لما بانت فيهِ وقد اخطأتِ بوعدك له ان تمليهِ له . ثم قال لعمر كفاك ان تقاسمها على النصف فاجاب وافرغ لها النصف وابقى النصف ثم قال لها واما الجارية فاصلحي شانها ودبري امرها ليكون زفافي في الغد مع اخي حمزة فوعدته واذ ذاك قال للامير اريد منك يا اخي ان تتمم قولي وتزف على زوجتك هذه فانها كريمة وفاضلة ونقيها ملكة على البلاد وايضاً ارجع زهربان الى بلد ابيها فان في بقائها معنا صعوبة كثيرة حيث مرادنا نسير من هنا الى شواطي بحر المحيط فندخل سوريا ونمر على طرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ولا بد لنا من مقاساة حروب واهوال في تلك البلاد لوجود الطغاة والبواسل فيها ومن ثم نسير الى مصر والى غيرها من البلدان ولا يناسب ان يكون معنا نساء بل كل زوجة تزوجت بها ابقها في بلادها الى حين فراغنا من المصاعب والمشاق . قال لقد اصبت في ذلك وسوف ارجع زهربان الى بلاد اليونان

قال ومنذ ذاك الحين اذاع الامير حمزة خبر زفافهِ بالست مريم بنت الملك قيصر مجاوبة لها وان هي ستكون حاكمة والمالكة على البلاد من قبلهِ واخذ في تدبير مهام العرس وجمع كل الكبراء والاعيان واعرض عليهم غايته فما فيهم الاّ من فرح وسرّ مزيد السرور وشكر من الامير والتفاتهِ الى مريم لاعتقادهم انها ذات اطوار حميدة محبة للعدل والحق قد تربت على محبة الجنس البشري من قبيل الشفقة على مستحقيها . وزينت المدينة زينة كاملة واجتمع لديها الخاص والعام من العواصم والبلدان والقرى للفرجة على زفاف بنت ملكهم . واما الامير عمر العيار فانه جمع رجالة العيارين وسار الى اكمة عالية خارج المدينة وقال لهم ان في هذه الايام زفاف الامير حمزة ولا بد انكم في احتياج الى الدراهم وقد سعيت الى ان جمعت لكم جانباً عظيماً فهلموا اليها والتقطوها لارى من منكم يحصل على الكثير منها . ثم صعد على ظهر الاكمة ووضع المال الذي اخذهُ من مريم بين يديهِ وجعل يقبض منه قبضة بعد قبضة وينثرها على رؤوس رجالهِ وهم يتسارعون الى التقاطها فيتزاحمون ويتضاربون عليها وكل منهم يطلب لنفسهِ اخذ الزيادة والامير في مكانهِ يضحك منهم ومن عملهم وهو مسرور جداً ولا زال في مسرتهِ حتى فرغ المال من يده واذ ذاك قلبت تلك المسرة الى كدر وغضب من فراغ الدراهم وعمى انها كانت ما فرغت

على الدوام ومن ثم عاد بجماعتهِ وهم فرحون مما وصل اليهم وهو حزين الى ان دخلوا المدينة
هذا والزفاف قائم على محوره البهج الى ان كان اليوم الذي عد لهُ فلبست مريم افخر ملابسها وتزينت بابهى زينتها وافرغت عليها حلاها وجواهرها حتى اضحت تضيء كالكوكب اللامع في ديجور الليل الحالك واحتفت بالزهور الزكية والروائح على رأسها وتطيبت بالاطياب من اعلاها الى قدمها وجلست في دست قصرها واجتمع حواليها النساء من الاعيان والامراء وكلهن يسبحن الله سبحانهُ وتعالى على ما اعطيت مريم من الجمال الباهر الكامل الذي يندر في غيرها من بنات ذاك الزمان وكان اكثر البنات يحسدنها على ما اعطيت من السعادة وعلى ما هي عليهِ من اللطف والدلال كما ان الامراء وكل اعيان المدينة كانت تحسد الامير على حصولهِ على هذه الفتاة التي كانوا يعتبرونها بالمقام الاول في حديثهم وما من شاب الاَّ وكان يطلب في نفسهِ الحصول عليها الى ان جاءها من يستحقها ليتنعم بجمالها ووصالها والحاصل ان ذاك النهار كان نهارًا انيسًا قامت بهِ الافراح بكل ناح الى ان قرب المساء وجاء الليل فحضر البطاركة والاساقفة الذين كانوا قد تجمعوا الى المدينة وفيها لاجراء احتفال الزواج على الطرق الدينية على المذهب المسيحي فتمموا الواجبات وعقدوا للامير على مريم ومن ثم اخذها من يدها ودخل بها الى قصره الخصوصي وتفرق عنهُ كل المدعوين وصرف ليلتهُ معها على اتم ما يرام من الهناء والاقبال والتنعم والمسرة كما يقال

ما زلت اطوي الحي اسمع حسهم ... حتى وقفت على ربيعة هودجِ
فوضعت كفي عند مقطع خصرها ... فتنفست صعداء او لم تنهجِ
وتناولت رأسي لتعلم مسهُ ... بمخضب الاطراف غير مشنجِ
قالت وعيش ابي وحرمة والدي ... لانبهن الحي ان لم تخرجِ
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت ... فعلمت ان يمينها لم تخرجِ

وصرف كل ليلتهِ على الهناء الى ان كان الصباح فخرج من غرفة منامتهِ وجاء اليهِ الامراء والاعيان يهنئونهُ ويباركون لهُ بعروسهِ هذه وما لاقى معها من الهناء وهي اي مريم تأتي من الامير حمزة بولد ذكر يدعى رستم بخرج صنديدًا وجبارًا عنيدًا ويكون لهُ عظيم امر في هذه القصة فيساعد اباهُ ويكشف الكروب عن العرب كما يأتي في محلهِ ان شاء الله

انتهى الجزء الخامس من قصة حمزة البهلوان
ويليهِ الجزء السادس عما قريب

الجزء الخامس

من قصة الامير حمزة البهلوان

وفي نفس تلك الليلة التي زف فيها الامير على مريم دخل الامير عمر على الجارية التي وعدتهُ بها كما تقدم معنا وصرف وقتًا بالهناء والراحه معها يلاقي خير عيشة وكذلك الامير صرف اياماً مع مريم بين الخمرة والكاس

وفي نفس ذاك الاسبوع دعا الامير حمزة اخاهُ عمرًا وقال لهُ حيث لم يبقَ لنا غنى عن المسير من هذه المدينة في طريقنا الى جهة سورية ومصر وما بعدها اريد منك ان تختار من جماعتك عشرة من العيارين ليسيروا مع زهربان الى بلاد ابيها فتبقى هناك الى حين رجوعنا الى بلاد العجم فنستدعيها الينا بحيث يكون الزمان قد طاب لنا وتمكنا من ان نعيش معها بهناء ثم احضرها اليهِ وعرض عليها ذلك فلم تسعها المخالفة فودعها وودعتهُ واعطاها عضادة من الجواهر مكتوبًا عليها اسمهُ تذكارًا لتبقى معها وقال لها احفظي هذه عندكِ الى حين الحاجة فهي منقوش عليها اسمي . ثم ان زهربان بكت البكاء الكثير على فراق الامير وطلبت اليهِ ان لا ينساها فوعدها بكل جميل والتفات وذهبت الى بيت ابيها واقام الامير بالانتظار الى حين عودة العيارين وهو مع زوجتهِ الجديدة في عيش وهنا وبعد ذلك عزم على مبارحة المدينة فجمع الاعيان والوزراء من رجال قيصر واقام عليهم مريم ملكة وقال لهم هذه بنت ملككم ومن نسل ملوككم فاقبلوها عليكم فهي تحكم باسمها واسمي وبعث بالكتب الى سائر العمال فورد الاعيان اليها واظهروا لها طاعتهم وفرحوا بها وهنوها بذلك وصرف نحو شهرًا بعد ذلك في المدينة حتى فرغ من كل شيء ورجع عياروهُ وحينئذٍ جمع اليهِ الفرسان من العرب وقال لهم لقد طال قيامنا في هذه المدينة واريد منكم ان تستعدوا للمسير فقالوا اننا بانتظار امرك فامرهم ان يكونوا في صباح الغد على ظهور خيولهم ولما كان الصباح نهض من فراشهِ فودع زوجتهُ ودفع لها عضادة كالعضادة التي دفعها الى زهربان واوصاها ان تحكم بالعدل والانصاف الى حين ارسال رسولهِ اليها بعد عودتهِ الى بلادهِ وخرج الى قومهِ فركب وركبوا وساروا عن المدينة ولما صاروا في الطريق قال الامير لعمر اي بلاد امامنا الان قال امامنا مقاطعة بيروت على البحر المالح قال ومن على تلك البلاد قال عليها الملك كسروان وهو بطل من ابطال هذا الزمان نادر المثال بين الرجال

لابد ان نلاقي في حربهِ صعوبة اذا لم يكن مثل غيرهِ راغباً في مسالمتنا وصحبتنا . قال انّنا موفقون منهُ تعالى فلا نخاف احداً فسيوفنا حداد وابطالنا شداد والسعادة لنا بالمرصاد

ولا زالوا سائرين في تلك الطريق عدة ايام وليال الى ان وصلوا الى مدينة طرابلس فخرج اهلها اليهم ولاقوهم بالترحيب والاكرام وسالهم الامير عن ملكهم كسروان فقالوا لهُ انهُ يقيم في هذه الايام في مدينة بيروت وبعض الاحيان في لبنان غير انهُ الان في بيروت مع ولديه بشير ومباشر. ونزل رجال الامير الى المدينة فابتاعوا كل ما يحتاجونهُ منها وارتاحوا هناك نحو يومين ومن ثم ركبوا وجاءوا نحو مدينة بيروت وقد مروا في طريقهم على مكان يدعى نقار المعاملتين فراوا ان الطريق من هناك ضيق ولا يمكن السلوك منهُ الاّ بصعوبة فدخلوا فيهِ وفيما هم يقطعونهُ انحطت عليهم رجال الملك كسروان من اعالي المكان وفي مقدمتهم ولداهُ بشير ومباشر وهجموا على العرب واقاموا ضرب السيف فيهم وهم على حين غفلة وقد اهلكوا منهم اكثر من الف فارس ولما راى الامير هذا العمل تكدر جداً وامر رجالهُ ان ترجع الى الوراء الى مكان متسع والاّ اذا بقوا يقطعون هذا الطريق يهلكون عن اخرهم فرجعوا القهقرى حتى امنوا على انفسهم واظهر الامير كدرهُ وغيظهُ ودعا اليهِ عمر العيار وعنفهُ على تقصيرهِ وقال لهُ كان من اللازم ان تسير انت على الدوام في مقدمة الفرسان تكتشف لنا الطرقات والا هلكنا في بلاد لا نعرفها . فقال لهُ اني اريد ان لا افارقك على الدوام ولم يخطر في ذهني ان الملك كسروان سياخذنا غدراً . قال اريد منك ان تنظر لنا في طريق نسير بهِ نتصل الى بيروت اذ ما من وسيلة لمرور عساكرنا من هذا الطريق اذا بقي عليهِ جماعة كسروان . قال اني اظن انهم يرجعون في هذه الليلة الى بيروت ولا يقيمون هنا وما جاءوا الاّ ليدهمونا مرة واحدة على حين بغتة ولحسن حظنا لم يتمكنوا منا كما كانوا يرغبون ولا بد ان الملك كسروان يكون على استعداد ينتظرنا للحرب وهو يتكل على نفسهِ كغيرهِ من الابطال الشداد . قال اذا فعل ذلك يكون قد اخطأ لانهُ اذا اراد الايقاع بنا يمكنهُ ان يقيم على هذا المضيق فلا يدعنا نمر منهُ ابداً . قال اذا بقي هو هنا سرنا في غير طريق وان كان يبعد عدة ايام . ومن ثم اقام الامير مع قومهِ وهم متكدرون مما لحق بهم في ذاك اليوم متاسفون على من فقد لهم من الرجال فيهِ . ولما كان صباح اليوم التالي نهض الامير عمر العيار واخذ بعضاً من جماعتهِ العيارين واوصاهم ان يتسلقوا القمم وينظروا في مكان رجال بيروت وصعد هو الى اعلى القمة فلم يروا احداً فتاكدوا ان بشيراً ومباشراً قد رجعا بقومهما فعاد العيارون جميعاً واخبر عمر اخاهُ ان القوم قد رجعوا الى المدينة فامر رجالهُ ان تسير في ذاك المضيق خلف عمر العيار فقطعوا المضيق دون ان يصادفوا احداً وساروا من هناك الى ان تبينوا مدينة بيروت وهي زاهية زاهرة

قال وكان الملك كسروان هذا الحاكم على بيروت وما يليها هو من عظماء الملوك وفطاحل الابطال ولهُ ولدان وهما بشير ومباشر من الفرسان الشداد وقد وصلت اليهِ كتابة الملك كسرى كغيرهِ من العمال فقراها وعرف فحواها وعهد على هلاك الامير حمزة وجماعتهِ وجعل يترقب قدومهم الى ان مضت الشهور والايام وهو عارف انهم لا بد من ان ياتوا الى جهتهِ لجمع الاخرجة بعد فراغهم من بلاد الرومان واليونان وغيرها ولا زال بالانتظار الى ان وصلت اليهِ الاخبار بانهم وصلوا الى قرب مدينة طرابلس فدعا بولديهِ وقال لهما خذا معكما عشرة الاف من العساكر واكمنوا عند نقار المعاملتين ومتى رايتم العرب وقد اجتازوا منهُ فانحطوا عليهم وارموهم بالويل والحرب ولا بد ان تهلكوا منهم قسماً كبيرًا ومن ثم عودوا اليَّ فاذا نجا الامير حمزة لا بد ان يسير في اخذ ثار من فقد لهُ فيطلب قتالنا فاقتلهُ وابدد الباقي ونكون قد عملنا غاية كسرى وما طلبهُ منا ونلنا منهُ المكافاة مع المدح والثناء فاجاب ولداهُ امرهُ وسارا بالعساكر واكمنا عند نقار المعاملتين الى ان اخذ العرب بالمرور منهُ فجرى ما جرى وبعد ذلك تركا ذاك المكان ورجعا الى الوراء نحو المدينة حسب امر ابيهما ولما انتهيا اليهِ اخبراهُ بما كان وقالا لهُ ان العرب قوم بواسل فلم نتمكن منهم كما نقصد وفيهم فرسان وابطال يحمون العساكر كما تحمي اللبوة اشبالها قال لا بد لي من هلاكهم مهما كانوا وكثروا واقام ينتظر وصولهم الى ان راهم وقد ضربوا خيامهم نحو المدينة وسرحوا باغنامهم في تلك الضواحي وهي بعدد رمل البحار فامر رجالهُ وعساكرهُ ان تخرج ايضًا الى الخارج وسار هو في الاول وضرب خيامهُ تجاه العرب على امل ان في الصباح يباكرهم بالحرب والقتال وكان عدد عساكرهِ يبلغ الخمسين الف فارس

ولما راى الامير حمزة خروج الملك كسروان سرَّ سرورًا عظيمًا وقال ان القتال في مثل هذا المكان خير من حصار المدينة والتطويل في ذلك ولم يخطر لي قط ان كسروان يقاتلنا وجهًا لوجه ثم انهُ اخذ طرسًا وكتب كتابًا قال لهُ فيهِ

من الامير حمزة فارس تربة الحجاز وبهلوان تخت فارس ومبيد الابطال في ساحة المجال الى الملك كسروان حاكم مدينة بيروت

لا خفاك ايها الملك اني خرجت من بلاد كسرى لاجل جمع الاخرجة والمسير من سائر البلدان لادفعها الى الملك الاكبر كسرى انوشروان واتزوج ببنتهِ مهردكار وقد اتيت البلدان العظيمة والعواصم الكبيرة كالقسطنطينية وبلاد اليونان وقيصرية وجبيت منها الاموال ولاقيت من ملوكها الاكرام والتبجيل وكان بعهدي ان تكون انت حكيماً فتسلك مسلك غيرك من الملوك الذين عرفوا باطن كسرى وقصدهُ من جباية الاموال واشتروا دفع الشر بدفع الاموال واكتسبوا صداقتي ودخلوا في طاعتي وتحت حوزتي الى ان رايت منك انك تقصد القتال والنزاع وتطلب

الشر والعناد وقد بعثت بولديك ليغدرا بنا وجرى منها ما جرى والان انذرك ان كيدك
سيقع في نحرك وستلاقي من العرب رجالاً بواسل تخدمهم السعادة ويطيعهم النصر ويذل لديهم
كل جبار عنيد وفارس صنديد فاذا بقيت مصرًّا على العناد قدت بلادك الى الخراب واوقعت
برجالك في حفرة الدمار فانصح لك ان تدفع الاخرجة المضروبة عليك عن سبع سنين سلفاً
ولا تعد فيما بعد تدفع له مطلقاً واخلع عنك طاعة كسرى وكن منذ الان حرًّا واياك من المخالفة
واني اسامحك على ما وقع منك ومن ولديك والسلام

ثم سلم الكتاب الى عمر العيار واوصاهُ ان ياتيهُ بالجواب حالاً فاخذهُ الى الملك كسروان
فدفعهُ اليهِ ففضهُ وقراهُ وكان شد يد المكابرة يفتخر بنفسهِ كثيرًا ويظن انهُ يقهر عشرين بطلاً
كالامير حمزة ولذلك لعب بهِ الغضب جدًّا وتكدر الكدر الزائد ولعن العرب وامراءهم وقال
اكان من قدر رجل بدوي لا قدر لهُ ولا مقام ان يتطاول على ملوك الزمان ويتهددها ويتوعدها
وقد ظن اني كغيري من الذين راهم ومرَّ عليهم الا يعلم اني لو حملت على جيوشهِ لطحنتهم وتركتهم
ادق من الدقيق ثم قال لعمر قل لحمزة ان لا جواب عندي سوى المباكرة الى ساحة النزال ليعرف
الشجاع من الجبان فعاد الامير عمر الى اخيهِ واخبرهُ بما كان من الملك كسروان ومكابرتهِ فاغتاظ
منهُ وحقد عليهِ انهُ يقتلهُ اذا التقى بهِ وقت القتال او بارزهُ في الميدان وصبرت العرب الى ان كان
صباح اليوم التالي فخرجت من مراقدها الى خيولها فاعتلتها وانتظرت اميرها واذا بهِ قد خرج
راكبًا فوق جوادهِ الاشقران مدجج بالسلاح الى حد الاسنان وعليهِ من المهابة والاجلال ما لا
يوجد في غيرهِ من الفرسان والابطال ولما وصل الى جماعتهِ سار امامهم يطلب القتال وكان
الملك كسروان قد ركب بجماعتهِ البيرونيين وعددهم نحو الخمسين الفًا وولديهِ بشير ومباشر ولما
صار في الميدان ووقعت العين على العين حمل كل من الطائفتين طالبًا الايقاع بخصمهِ واعدام
اسمهِ وبوقت قريب راج سوق الحرب واشتد الطعن والضرب . ولعبت السيوف الصقال والرماح
الطوال في مقاتل الرجال فوقعت الى بساط الرمال . معانقة بايدي فراغ الاجال . اجسام البلاء
والوبال . ولله در العرب فانها قاتلت وما قصرت وفعل الامير حمزة افعالاً تقصر عنها مردة
الجان وعفاريت السيد سليمان وكذلك اندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان . والامير عقيل
والاصفران فقد اجهدوا النفوس وقطعوا من الفرسان الرووس . وحموا رجالهم بكل جهدهم . ولم
يكن عمل الملك كسروان اقل شانًا من هولاء الفرسان فانهُ فعل في جيوش العربان كما تفعل
بالقش اليابس السنة النيران . وقد قتل فيها قتلاً ذريعًا وفعل فيها فعلاً شنيعًا وترك رجالها تأن
من فعالهِ وهي ما بين طريح وجريح الى ان كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان
عن القتال لاشتداد ظلام الزوال . وقد تكدر الامير حمزة لما راى ان قسمًا غير قليل قد قتل من

جماعته وقال لم يكن بعهدي ان يقع برجالي ما وقع مع اننا لم نقصر في هذا اليوم . وكذلك كسروان فانهُ راى رجالهُ قد قلوا لكثرة ما قتل منهم العربان فزاد به الحنق وتمنى ان ياتي اليوم الثاني ليرجع الى القتال وقال لولده وقواد عساكره لا باس ان فقد كل رجالي فاني وحدي اقدر ان افني العرب عن اخرهم ولم اقصر في هذا اليوم وفي الغد ارحلهم عن هذه الديار واشتتهم في البراري والقفار

وبات القومان يتحارسان الى ان اشرقت شمس اليوم التابع فهبت الفرسان ساعية الى ساحة الميدان وتقدمت من كل جهة ومكان الى قبض نفوس بعضها البعض واخذ الثار عما سلف منها من الابرام والنقض . وكان يفكر الامير حمزة ان يبارز الملك كسروان ويقصف عمرهُ وينهي امرهُ غير انهُ قبل ان يصل الى وسط الميدان كان الملك كسروان قد امر رجالهُ ان تحمل على العرب دفعة واحدة فحملت وهو في مقدمتها واذ ذاك اشتدت نار القتال . وزاد لهيبها بالاشتعال فاحرقت افئدة الرجال وذهبت بارواحها الى عالم الخيال . وكان ذاك اليوم شديداً لم يسبق ان سمع باعظم منهُ منذ اجيال . وما عول النهار على الارتحال الا بعد ان وقع بالعرب الضعف والاخلال كما وقع بالبير وتبين الفناء والانحلال . وقد افترق القومان وهما لا يصدقان بالوصول سالمين الى الخيام قال وكانت تلك الليلة على الامير حمزة من اشد الليال لما راى ان الوقت لم يمكنهُ ان يلتقي بالملك كسروان حتى فعل ما فعل برجاله ولذلك دعا باخيه عمر وقال لهُ اريد منك ان تنهض قبل ان تشرق شمس اليوم القادم فتسرج لي الاشقران قبل ان يصل الملك كسروان وان تمنع العرب من القتال فاني كلما حاولت ان التقي به وقت القتال غاب عن نظري بين جموعها لانهُ فارس شديد وشيطان مريد ينتقل من مكان الى مكان كانهُ البرق في اللمعان ولذلك لا تثبت عساكرنا امامهُ بل تتفرق من حواليه . فقال لهُ اني اعرف وجودهُ على الدوام فاذا لم يكن في الغد براز اوصلتك اليه في الحال لان ليس من الصواب ان نتركهُ على غيه يهلك من قومنا ويقتل فيهم القتل الذريع هو وولداهُ

قال وبات الامير تلك الليلة وفي فجر اليوم التالي ايقظهُ عمر من رقاده فنهض الى جواده فركبهُ وتقلد بسلاحه وتقدم الى وسط الميدان وانتظر اتيان الفريقين وكانت العرب قد عرفت بما فعل اميرها فاسرعت الى الساحة واصطفت وهي تضرب بطبولها وتعزف بزمورها وعلى هذا نهض الملك كسروان قبل الاوان وتقدم بعساكره الى ساحة الميدان فوجد الامير حمزة في الوسط وهو يصول ويجول ويطلب مبارزة الابطال والفرسان ففرح في نفسه وقال لا بد لي في هذا اليوم من براز العرب واهلاك قسم من فرسانهم الاشداء ثم اطلق لجواده العنان حتى التقى بالامير حمزة فحمل عليه حملة جبار عنيد فالتقاهُ بقلب اشد من الحديد واختلف بينهما الطعن

والضرب ووقعا بالعناء والكرب . ولا زالا في اشد قتال واعظم نزال وهما تارة يفترقان وثار يجتمعان كانهما اسدان ضرغامان او جبلان عظيمان وقد حجبهما الغبار عن العيان ولم يكن يسمع منهما الاّ همهمة وبربرة ودمدمة حتى كان العصر فراى الامير حمزة شدة الملك كسروان فتعجب منهُ وعلم انهُ من الفرسان العظام وكذلك الملك فانهُ راى من الامير فوق ما كان يظن وخاف ان يمضي النهار ولا ينال منهُ المرام ولذلك صاح بهِ وانحذف عليهِ وبادرهُ بضربة كان يظن انها تكون القاضية عليهِ فضيعها الامير بمعرفتهِ وارسل اليهِ ضربة منهُ اشد من ضربتهِ وقد اخذ بها الحنق كل ماخذ فوقعت الضربة على طارقة الملك كسروان وانقشعت عنها بشدة ارياح قوتهِ فوقعت على رقبة الجواد فقطعتها . ولما شعر كسروان بموت جوادهِ قفز باسرع من لمح البصر عنهُ الى الارض ليدافع عن نفسهِ وقد صمم ان لا يسلم ذاتهُ وهو في قيد الحياة فاراد الامير ان ينحط عليهِ لياخذهُ اسيرًا واذا بولديه بشير ومباشر قد هجما على الامير وحملت من خلفهما العساكر فاتبعتها العرب وكانت موقعة عظيمة الى ان كان المساء فرجع القومان عن القتال . والامير يتحرق من فوات كسروان ونجاتهِ من يدهِ في ذاك النهار ويطلب ان ياتي الغد ليقتلهُ ويرتاح من شره ومن ثم لا يعود مانع يمنعهُ عن الاستيلاء على بيروت ونهاية الحرب فيها . واما كسروان فانهُ بقي في غيظ وكدر الى ان دخل صيوانهُ فاجتمع اليهِ الرجال من اعيان المدينة وقالوا لهُ ان القتال مبارزة مما يطيل علينا المطال وكنا نريد منك ان لا تبارز الاّ بعد ان نفني رجالهم لان في مدة الايام الماضية كان الفوز لنا بخلاف هذا اليوم . فقال لهم اني اعرف ذلك وكيف كانت الحال لا بد من قتل هذا الامير واني اقرُّ واعترف انهُ بطل من ابطال هذا الزمان يندر وجود مثلهِ في بيروت ولبنان وفي كل مكان غير اني اريد منكم ان تبكاروا الى الحرب في الغد كلكم لنفنيَ قبلاً جماعة الامير لاني اعرف بالامتحان ان خمسين الفًا من رجالي اللبنانيين يقاتلون الف الف من ابطال العرب وغيرهم ولا سيما اذا كنت انا بينهم احميهم

وبات الفريقان ينتظران الصباح الى ان اتى بوجههِ الوضاح فنهضت الفرسان تطلب الحرب والكفاح وكان يظن الامير ان الملك كسروان يطلب لنفسهِ الثار في ذاك النهار وياتي لبرازهِ غير ان الامر جاء بالعكس لانهُ عندما التقى الفريقان في ساحة الميدان واصطفت الصفان امر كسروان رجالهُ ان تحمل من كل مكان فحملت كانها اسود خفان وكان قد اوصى ولديه بشير ومباشر ان ياخذا نصف العساكر ويتوغلا في الشعاب وياتيا من خلف الاعداء وهم مشغلون بالقتال فيوقعون بهم الخبال والنكال فادرك الامير حمزة لما راى عساكر بيروت قليلة ان القصد مفاجئتهم بغتة وهم مشغلون بقتال الحاضرين ولذلك قال لاندهوق اريد منك ومن معقل البهلوان ان تتاخرا عن القتال وتراقبا التلال والجبال فاذا رايتما الفرسان خرجت منها

فالتقيا ها واجمعاها الى بعضها فلا بد في هذا النهار من نهاية الحال . فاجابا طلبة واقاما مع نصف العساكر بالمرصاد . واما الامير فانهُ التقى العساكر كالليث الكاسر . وانتشب القتال انتشاب الشظايا وقدمت النفوس لمذابح الفناءِ ضحايا وتقدمت الشجعان بقلوب قوية لا تخاف المنايا وفرّت الجبناء تطلب لانفسها الاستتار في الخبايا واما الامير حمزة فانهُ قال لاخيهِ عمر سر امامي الى الجهة التي يقاتل فيها كسروان فاني لا ارغب ان ادعهُ يتمكن من رجالنا فينزل بهم الويل والعبر واني اعرف متى قتلتهُ تفرقت رجالهُ فاجاب طلبهُ واخذ يخترق بهِ الصفوف ويطعن في صدور المئات والالوف والرجال تنفر من بين ايديهما كما تنفر الاجمال من البواشق وفيما هم على مثل ذلك اذا بالاميرين بشير ومباشر ظهرا من خلف الجبال وحملا على العرب وفي ظنهما انهما ينالان المقصود واذا بالامير اندهوق بن سعدون ومعقل بهلوان التقيا بهما واشتعلت نار القتال بين الفريقين وقام سوق الحرب والطعان في كل ناحية ومكان وتدفقت الدماء كالغدران وفارقت الرؤوس الابدان وداست الخيل في اقحاف الفرسان فاتخذتها نعالاً واغمدت السيوف في صدور الاقران فقطعت منها الامال . وكان ذاك اليوم كثير الاهوال . عظيم الاخطار شديد المصائب ولا زال الامير حمزة على ما تقدم يقاتل ويناضل الى ان التقى بالملك كسروان وهو يلتهم الابطال وينزل بها البلاء والنكال فصاح بهِ وانحط عليهِ وهو لا يصدق ان يراهُ فالتقاهُ كسروان واخذ معهُ في الحرب والطعان مقدار ساعتين من الزمان الى ان اختلف بينهما ضربتان قاضيتان كانت ضربة الامير حمزة ارشق والى قبض الارواح اعجل واسبق فوقعت في صدر الملك كسروان القتهُ قتيلاً وفي دماهُ جديلاً وعرف قومهُ ما حل بهِ وانتشر خبر موتهِ في كل مكان حتى وقع الرعب في قلوب الجميع فتاخروا الى الوراء وعند الظلام رجع الامير حمزة منصوراً ظافراً الى الخيام ومن حواليهِ اخوهُ عمر والثمانمائة فارس الذين ولدوا معهُ وتربوا واياهُ في زمن واحد يحتاطون بهِ كالهالة فوجد ان الامير اندهوق قد انهى الامر وفض المشكل وبدد شمل رجال بشير ومباشر وهناً وا بعضهم البعض واجتمعوا الى صيوان الملك النعمان يتشاورون في هذا الشان . فقال لهم الامير حمزة ان الامر قد انقضى وعندي ان الاميرين بشير ومباشر لا يطلبان بعد ابيهما القتال ولا يرغبان في عنادنا بعد ان شاهدا ما حل بابيهما . فقال اندهوق لا ريب انهما يدخلان المدينة ويقصدان الحصار فيها فنلتزم الى التطويل والعاقة اجاب هذا لا يهمنا ابداً ولا بد لنا من الايقاع بكل من يعاندنا كما اننا نساعد ونغيث كل من يطلب مصاحبتنا وفي الصباح سابعث باخي عمر الى بشير ومباشر واطلب اليهما التسليم فاذا اجابا كان ذلك لخيرهما واذا امتنعا الحقهما بابيهما

فهذا ما كان من العرب واميرهم واما ما كان من بشير ومباشر فانهما تقهقرا الى الوراء ولاقيا

الخيبة والفشل وحزنا على موت ابيهما كل الحزن فدخلا المدينة بمن تبقى من الرجال وقفلا الابواب من كل الجهات وجمعا مجلسًا من اعيان البلاد وفرسانها فاجتمع عندهما الخاص والعام فقال مباشر اني دعوتكم الان لاعرف ماذا تعتمدون في تدبير امور المدينة والقتال . فقالوا له اننا نعرف ان مدينتا منيعة الاسوار صعبة المأخذ لا توخذ بعام ولا بعامين غير اننا لا نرغب في قتال العرب وعنادهم وقد اخطأ ابوك في ذلك اذ ان القصد دفع الجزية لكسرى وقد عرض الامير علينا ذلك ووعدنا بالخلاص من نير كسرى وثقل اخطاره وضرائبه وقصد كسرى هلاك الامير حمزة فاذا كان هو ملك ملوك هذا الزمان يعجز عن هلاكه فقصد ابعاده فماذا نفعل نحن امامه وعندنا ان نصالح الامير ونعرض حالنا عليه ونفعل كما فعل غيرنا من الملوك الكبار . فقال لهم اني عولت على مثل ذلك وفي صباح الغد ساخرج طائعًا الى حضرته واسالة العفو عنا وعما سلف منا وما كان ذلك الاّ من ابي وفوق كل ذلك فاني سادخل في خدمته واسافر معه اينما سافر واقاتل بين يديه وتحت امره واقتدي بغيري من الملوك والامراء فقال اخوه وانا افعل كذلك فان في صحبت الامير الغاية وقد وقع له من قلبنا موقعًا عظيمًا فاتفق الجميع على مثل ما تقدم وانتظر الجميع اتيان الصباح الى ان جاء مقبلاً بصبوحه واذ ذاك نهض مباشر و بشير فلبسا ملابس السلام واخذا معهما مشائخ المدينة واعيانها وخرجوا جميعًا من المدينة الاّ انهم ما بعدوا من ابوابها حتى لاقوا الامير عمر سائرًا اليهم بامر اخيه ليعرض عليهم التسليم ففرحوا به وساروا معه الى ان وصلوا الى امام الامير فلاقاهم وترحب بهم مزيد الترحاب واكرمهم غاية الاكرام وقال لهم انه يصعب عليَّ ان اكون قاتل الملك كسروان غير انه هو الذي تعدى عليَّ وقصد هلاكي وهلاك قومي ومن كان مثله يفدى بالارواح غير ان عمره قد فرغ وانقضى فاعزيكم به واطلب اليكم ان تختاروا غيره من ولديه بشير ومباشر فقال له بشير ومباشر ان ابانا قد قتل بالحرب اي في سبيل العداوة ومن يقتل في مثل هذا المركز لا يلام قاتله مع اننا نعلم انه هو المتعدي ولم ينظر في صالح نفسه ولا وعى الى ذاته بل قصد انفاذ غاية كسرى فلاقى ما لاقى والان قد جئنا نحن اليك طائعين راغبين في خدمتك كل العمر فاختر للمدينة حاكمًا غيرنا فاننا نحن مع ثلاثين الفًا من قومنا نكون في ركابك على الدوام نعيش ونموت بين يديك ففرح الامير حمزة بهذا الكلام وكاد يطير شعاعًا لانه كان يحب ان يكون بين رجاله جماعة من اهل تلك البلاد لانهم فرسان بواسل كبار الاجسام شداد القلوب صورين على الشدائد واحتمال الاهوال . ولذلك قال لهما على الرحب والسعة فانكما تكونان مفضلين في قومي ويكون لكما المقام الاول كسادات العرب غير اني اريد منكما ان تجمعا الاخرجة عن سبع سنوات لاضمها الى قلم الاخرجة التي جمعتها من البلدان ومن ثم نسير عن هذه البلاد الى غيرها فاجاب الجميع طلبه ووعدوه انهم يجمعون الاموال

باكثر من المحلات ويدفعوه اليهِ باقرب وقت

وبعد أنْ صرفوا باقي النهار في صيوان الملك النعمان بين يدي الامير حمزة ركبوا عائدين الى المدينة وقد سالوهُ ان يقبل ضيافتهم مدة ثلاثة ايام مع قومهِ الاعيان فاجاب دعوتهم ووعدهم انهُ في الغد يسير اليهم وينزل ضيفًا عليهم حبًا بهم ففرحوا لذلك وودعوهُ وعادوا مسرورين بمصاحبة الامير فرحين بما لاقوا منهُ وما منهم الاَّ من يطير قلبهُ شعاعًا حبًا بهِ ورغبة في محبتهِ لانهم وجدوهُ انهُ على اعلى جانب من اللطف والبشر والانس رقيق الحاشية لطيف الجانب وحال وصولهم الى المدينة اخذ بشير ومباشر في تدبير امر الولائم بعد ان بعثا بالرسل الى سائر المحلات ان تبعث بالاموال عن مدة سبع سنين سلفًا وان تستدين من الرعايا مجرى ذلك باقرب وقت وفي صباح اليوم الثاني نزل الامير حمزة الى المدينة مع قومهِ ودخلوا الى سرايا الحكومة وتفرجوا على البلد وتحصيناتها واسواقها ومدارسها العامرة الزاهرة وبعد ذلك دخلوا دار الضيافة واكلوا من الولائم التي اعدها بشير ومباشر ووقعت الالفة بين العرب واهل المدينة وصرفوا مدة ايام على الهناء والراحة والسعة يسرحون ويمرحون ويلعبون الى ان وردت الاموال المطلوبة للامير فدفعت اليهِ على التمام فضمها الى غيرها من الاموال . ومن ثم اخذ اهل المدينة يدبرون امر سفر عساكرهم وما يحتاجون اليهِ في رحلتهم مع الامير من المؤن والعلوفات وصرفوا وقتًا على اتم ما يرام واخيرًا امر الامير عساكرهُ ان تركب وتسير في طريق صيدا وقد سأل من هو الملك على تلك المدينة فقيل لهُ ان عليها ملك عظيم الشان اسمهُ الدعاس فقال واي اله يعبد فقيل لهُ يعبد الله سبحانهُ وتعالى ويكرم انبياءهُ . فقال لا بد ان نصادف في هذه المدينة نجاحًا فلا نتاخر فيها لان الملك الدعاس يكون قد بلغهُ ما حل بالملك كسروان فيختار السلام والامان على خسران رجالهِ ونفسهِ

وفي صباح ذات يوم نهض الامير الى جوادهِ فركبهُ وسار بين يديهِ اخوهُ عمر العيار بجماعتهِ العيارين وركب الى جانبهِ الملك النعمان ملك العربان واندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الهند واصفران الدربندي ومعقل البهلوان صاحب حصن قيزان والامير عقيل امير الثمانمائة فارس ومباشر وبشير وسار الجميع يتقدمون من بيروت في طريق صيدا وكان عددهم فوق . . . . ٣٢ الفًا تحت الراية العربية وقد اقام حاكمًا على المدينة من اهلها واوصاهُ ان يبقى سبع سنوات لا يجمع اموالاً واعشارًا من الاهالي وبعد السنين المذكورة يرسل بالاموال التي يجمعها الى مكة المطهرة الى ابيهِ ابراهيم وما ساروا الاَّ ساعات قليلة عن بيروت حتى لاحت لهم اسوار صيدا وتبينوها تمامًا فامر الامير ان تضرب عساكرهُ الخيام على بعد ساعة من المدينة وكان بظنهِ ان الملك الدعاس يخرج لملاقاتهِ فلم يرَ احدًا بل رأى ابواب المدينة مقفلة وما من رجل

حولها قط فتعجب وقال لابد من ان هذا الملك يقصد الحصار على ان لا عساكر على الاسوار فقال له الامير عمر اكتب كتابًا لاخذهُ الى هذا الملك وانظر ما السبب الموجب لقيامهِ داخل البلد فاخذ حمزة قلمًا وطرسًا وكتب كتابًا يقول فيهِ

من الامير حمزة بن ابراهيم فارس العرب ومبيد اهل الكفر الى الملك الدعاس صاحب قطيعة صيدا

خرجت من بلاد كسرى لاجمع الاخرجة عن سبع سنين فاتيت حلب ولاقيت من صاحبها كل انس فقبضت منهُ ما طلبت اليهِ دفعهُ وخرج عن طاعة كسرى ودخل في طاعتي وسرت الى بلاد اليونان والرومان وانطاكية وديار بكر وكل تلك المقاطعات فصادفت خيرًا ونجاحًا وجمعت الاموال عن سبع سنين سلمًا وادخلت البلاد في حوزتي ثم اتيت سوريا ونزلت على الملك كسروان وسالتهُ الطاعة فابى فكان ذلك شرًّا ووبالاً عليهِ فخسر نفسهُ وقتل ولا بد ان تكون بلغتك اخبارنا والان اتينا مدينتك لنقبض منك الاموال عن سبع سنين وهذا لابد منهُ ولا خلاص لك الاَّ باجابة طلبنا وقبض المطلوب منك فتكون قد جاريت غيرك من الملوك ونظرت موضع النظر والاَّ فاخرج لقتالنا ولا تختبئ داخل المدينة فان مرادنا سرعة الرحيل عن هذه البلاد اما لنا واما علينا والسلام

ولما انتهى من كتابة هذا الكتاب سلمهُ الى اخيهِ عمر وقال له خذهُ الى المدينة وارجع حالاً بالجواب فاطلق سافيهِ للهواء وبوقت قريب صار عند ابواب المدينة فطرق الباب وسال البواب ان يفتح له ليوصل التحرير الى سيدهم فلما راهُ البواب وحدهُ وشاهد ضعف جسمهِ فتح له الباب وبعد ان دخل قفل من خلفهِ فسار الى ان وقف امام الدعاس فدفع كتاب اخيهِ اليهِ ولما قراه . قال له ارجع الى الامير حمزة واخبرهُ اني لست بطائع ولا عاصٍ لا ادفع له الاموال ولا اجمع الاخرجة ولا اخرج لقتالهِ ولا اجمع عساكري لنزالهِ وحربهِ بل قفلت ابواب المدينة واقمت داخلها لا افعل امرًا الى ان ارى من نفسي ما ينبغي ان اعمل وغير ذلك لا اجيب فارجع في الحال . فرجع عمر الى اخيهِ حمزة واخبرهُ بجواب الدعاس فتكدر وقال هل هذا الرجل مختل الشعور فاني لا ارى انسانًا في الدنيا مثلهُ لا يكون عدوًّا ولا صديقًا ونحن نطلب اليهِ اما يقاتلنا واما يدفع لنا الرسوم ويتركنا سعد عنهُ فقال له مباشر اذا شئت مرنا ان نحتاط بالمدينة فنفتحها رغمًا عنهُ لانهُ كما قال لا يريد ان يدافع عنها ولا يشهر سلاحًا . اجاب ليس من العدل ان نقاتل من لا يرغب في قتالنا واني اصبر عليهِ الى سبعة ايام فاذا اجاب كان خيرًا والاَّ فعلنا ما اشرت اليهِ ونكون قد صبرنا عليهِ كفاية ورأينا ان الضرورة احوجتنا الى ذلك . فاستحسن الجميع رايهُ واقاموا خارج المدينة كل النهار الى المساء وفيهِ تفرق القوم الى

الخيام واقام الجالسون المعسكر الى ان كانت الساعة الرابعة من الليل وبينما كان الامير في صيوانهِ ولم ينم بعد واذا بهِ سمع الصياح والصراخ قد قام في معسكرهِ من كل جهة وناحٍ فخرج مندهشًا وقد افرغ عليهِ سلاحهُ وركب جوادهُ وتقدم الى جهة الصياح فراى ان العساكر واقعة بالارتباك وهي تركض من جهة الى اخرى فسأل عن السبب فقيل لهُ ان فارسًا واحدًا انحط على المعسكر من جهة اخرى فشطرهُ ولا يزال يقتل من يقف في وجههِ ولا احد قدر ان يمنع شرَّهُ فسار الامير حمزة على امل ان يلتقي بهِ فلم يتيسر لهُ ذلك لانهُ سار باسرع من البرق فاختطف الارواح واخترق المعسكر وغاب عنهم ولم يعد احد يرى لهُ اثرًا فتكدر الامير من ذلك وعند الصباح وجدوا انهُ قتل نحو مائة وخمسين فارسًا فزاد غيظ الامير وقال لا بد ان يكون هذا الفارس من فرسان هذا الزمان العظام والا لما كان تجاسر ان يفعل معنا مثل هذه الافعال غير حاسب لاحد منا حسابًا غير انهُ لم يقم طويلاً في قتالنا بل فعل هذه الفعال بوقت قريب وسارعنا ولا نعلم الى اين مسيرهُ ولا اعلم ان كنت اصادفهُ مرة ثانية لاخذ منهُ بالثار واريهُ كيف يكون الغدر والاخذ بالغفلة وواقام جماعة العرب بحيرة عظيمة كل تلك النهار وقد دخل في عقلهم ان الفارس المذكور لا يعود ثانية اليهم بعد ان راى كثرة جموعهم وتيقظهم غير انهُ ما اقبل الوقت المعين حتى انحذف عليهم انحذاف الصواعق واوقع فيهم ضرب السيف وهو يخترق الخيام ويمدد الفرسان على الارض قتلى وقد ارتجت من فعلهِ تلك السهول وارتفع الصياح من كل ناحٍ فاسرع الامير الى جوادهِ فركبهُ واسرع الى ملاقاتهِ وبين يديه اخوهُ عمر فوجدهُ قد ملأَ الارض من رجالهِ وهو يميل تارة الى اليمين وطورًا الى جهة الشمال وسار في اثرهِ حتى وجدهُ قد خرج من طرف المعسكر وسار في البر الاقفر مطلقًا لجوادهِ العنان فتتبع الامير اثره تحت ظلام الاعتكار حتى بعد عن تلك الناحية نحوًا من ساعتين وهناك غاب الفارس عن نظر الامير حمزة ولم يعد يرى لهُ اثرًا واذ ذاك قال لاخيهِ عمر قد ثبت ان طريقهُ من هذا المكان ولا بد لهُ من العودة والمرور في هذا الطريق ومن الصواب ان نقيم هنا بانتظاره الى ان يعود الينا ولا ندعهُ يذهب الى المعسكر فارجع حالاً واتينا بصيوان فننصبهُ في هذا المكان الى ان يكون مساء الغد فالتقي بهِ واذيقهُ شرَّ عملهِ فاستحسن الامير عمر هذا الراي ورجع في الحال الى معسكرهم وجاء بصيوان وسرير اخيهِ وببعض الاطعمة ما يكفيهما الى مدة ايام واوصى الفرسان ان تستكن في اماكنها الى ان يعود اليهم اخوه واخبرهم ان مراده بربط الطريق على الفارس الذي ياتيهم في المساء ولا يدعهُ يصل اليهم واقام حمزة وعمر باقي تلك الليلة في ذاك المكان وعند الصباح خرج من الصيوان ونظر الى فسيح ذاك البر من الجهة التي غاب فيها الفارس واذا بهِ قد اقبل فوق جواده كانهُ الاسد الكاسر وهو يتقلب على عرش التفاخر والمباهاة معتزًا بنفسهِ

يلاعب حصانهُ على اربعة اركان ذاك السهل فسرَّ الامير عند ما راهُ واسرع في الحال الى سلاحهِ فافرغهُ عليهِ واعتلى على ظهر جوادهِ الاشقران كانهُ قطعة من اعالي جبال لبنان تجلي للناظر من كل مكان وهي ثابتة لا تتحرك قط ولا تزعزعها الصواعق ولا الزوابع ومن خلفهِ عمر وقد التصق بجوادهِ ينطلق كانطلاقهِ ويسير كسيره

ولم يكن الا قليل من الوقت حتى وصل ذاك الفارس الى امام حمزة فتبينهُ واذا بهِ مربوع التقاطيع عريض الاكتاف واسع الصدر ضارب على وجههِ اللثام لا يظهر منهُ سوى عينيهِ وهو غاطس في بحر من السلاح غريق بهِ الى ما فوق راسهِ ولما قرب منهُ قال لهُ اهلاً وسهلاً بالامير حمزة فارس برية الحجاز ومجبي الاموال من البلدان لقد وصلت الى محط رحالك وانتهيت الى منتهى اجالك فاليوم نعرف مقدرة الفرسان وتفاوتها عن بعضها البعض ونعرف قدرك بين الفرسان وقد وقعت في يديَّ ونويت ان لا ادعك تنجو الا اذا كنت تقدر عليَّ وتقتلني وتاسرني فقال لهُ الامير حمزة سوف يظهر لك الحق من البطلان وتعرف ان الامير حمزة ليس كغيره من الذين لاقيت من الفرسان فاخبرني اولاً عن نفسك ومن تكون من الرجال والابطال فاجابهُ انا المعتدي صاحب الغارات المشهورة والافعال المذكورة والمحامد الماثورة من ذلَّ لقائم سيفي كل جبار عنيد وبطل صنديد وذلَّ بين يدي اساد الغاب حتى اصبحت عندي كالكلاب اذا سمعت ذكر اسمي ارتجفت او رات شخصي خافت وارتعدت . فقال لهُ لو كنت كما تقول لما سلكت سبيل الغدر واتيت معسكرنا على حين غفلة ونحن نيام بل كنت اتيت في وسط النهار واظهرت شجاعتك على مراى من الكبار والصغار . قال لم يكن من قصدي الافتخار ولا اريد ان اقاتلك امام الجميع بل على انفراد وكان قصدي ان اجرك من وسط قومك الى قتالي

ثم ان المعتدي اشهر في يدهِ الحسام وانحط على الامير حمزة انحطاط اساد الاجام . فالتقاهُ بقلب اشد من الحديد واقوى من صلابة الجلاميد واضطرمت افئدتهما غيظًا وحنقًا . وتسارعا الى الفوز جريًا وسبقًا وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح وتصادما مصادمة اساد البطاح . وهما تارة يفترقان . وطورًا يجتمعان حتى حجبهما الغبار عن الابصار . واخفاهما في ظلهِ ليقيهما من حرارة شمس النهار . فلم يكن يرى الا لمعان سيوف تظهر من خلال ذاك الغبار وتطاير شرار كالشهب في ظلام الاعتكار ولم يكن يسمع الاَّ تنهدات . وتنفسات وتصعدات . وهمهمة ودمدمة وبربرة وترترة . وبالحقيقة انهما كانا بطلي ذاك الزمان . وميزان عزمهِ الزائد الرجحان لا يوجد شبيهًا لهما لا بين الانس ولا بين الجان . فلله در المعتدي وما ابدى في قتال الامير حمزة من الاجتهاد . وما اظهر من فنون الحرب والطراد . فانهُ لما راهُ من الابطال الشداد . وان بيتهُ

في عالم القتال عالي العماد . بذل المجهود . وقاتل قتال الاسود . وكذلك الامير حمزة فانهُ اظهر لخصمهِ شدة باسهِ وقوة مراسهِ واما الامير عمر فانهُ لما راى شدة فيضان حرب المعتدي خاف على اخيهِ من سطوتهِ او ان يصاب بنكبة من بسالتهِ فاخذ في ان يدور من حواليهِ كاللولب ويضيع اكثر ضربات المعتدي بمروره من بين الجوادين وانخطافهِ كالبرق من بين الاثنين ليشغل بذلك فكرهُ ويضيع ذهنهُ بهِ ويلتهي عن اخيهِ غير انهُ كان ثابت العزم قوي الجاش يقدر على قتال كثير من الابطال في وقت واحد فلا يشغلهُ شاغل وما برح الاثنان في ضراب وطعان وهما بلمعان سيوفهما يستضيئان وبانوار الشرار يستنيران الى ان غابت شمس النهار واقبل الليل بالاعتكار فصاح بهما الامير عمر دعا الحرب واستئنفاهُ للغد فكفا كما جرى في هذا اليوم وللحال رجعا عن الحرب فسار المعتدي في طريقهِ وعاد الامير حمزة الى الصيوان وما صدق ان وصل اليهِ حتى نزل عن جوادهِ ونزع سلاحهُ والقى بنفسهِ على سريره ليرتاح من شدة التعب فقال الامير عمر بالحقيقة اني اختبرت قتال خصمك واذا بهِ بحر ما لهُ قرار وميزان لا ينتهي بعيار ولذلك خفت عليك منهُ ولولا ان يقال انهُ اخذ بالغدر لغدرت بهِ وخلصتك من شرهِ فاجابهُ دعك منهُ فاني اتكدر منك اذا فعلت ذلك وخير عندي ان اموت وادفن تحت التراب من ان اغدر بخصمي او اتقاعد عن انصافهِ ولا سيما مثل هذا الفارس المجيد واني اقرُّ واعترف انهُ اشد مني باسًا واثبت في ميدان الطراد وقد صدق من قال ما دامت النساء تحبل وتلد ما على وجه الارض مقدام واني اسال الله تعالى والخضر عليهِ السلام ان يعيناني على قتال هذا الليث الضرغام ثم ان عمرًا جاء الى اخيهِ بالماء فاغتسل وجاءهُ بالطعام فاكل ونام واقام هو على حراستهِ كل تلك الليلة الى ان كان الصباح فنهض مسرعًا الى ساحة القتال فوجد المعتدي قد جاء وهو كانهُ الغول يصول ويجول لا يحسب حساب اشد الفحول فصاح بهِ وهجم عليهِ فالتقاه بقلب اشد من الصوان ودار بينهما دولاب الطعان وكلٌّ منهما يتمنى ان ينال في ذاك النهار مناه ويحصل من خصمهِ على مشتهاه اي انهُ يريد ان يقتلهُ ويعدمهُ الحياة ليتخلص من ثقل حربهِ ومن اذاه هذا والمعتدي يفيض في حربهِ كما يفيض البحر عند اشتداد الارياح ويزأر كما تزئر اسود البطاح والامير حمزة يظهر في حربهِ جهدهُ ويبدي كل ما عندهُ وهو يتعجب من غزارة معرفتهِ بفن الصدام وبما اعطاه الله من البسالة والاقدام واما عمر العيار فانهُ كان يدور كعادتهِ من حولهما ويراقب احوال اخيهِ ويستعد لمنع كل ضربة قاطعة تقع من المعتدي فكان يحسب لهُ حسابًا ويشغل فكرهُ بهِ وهو يظن انهُ لولاهُ لنال من الامير مراده وما جاء اخر ذاك النهار وفيهما رمق فافترقا بسلام ورجع الامير حمزة الى صيوانهِ وسار المعتدي الى مكانهِ فتاثرهُ عمر العيار واشار الى اخيهِ ان يبقى لوحدهِ الى حين عودتهِ ولا زال سائرًا حتى بعد نحو ساعة من

ذلك المكان فوصل الى قصر في ناحية عن الطريق ولما نزل عن جواده خرجت من الباب فتاة كانها القمر في تجليه وهي تتمايل كالرمح في اعتداله وقالت له اهل لم تقتل حمزة في هذا النهار ويظهر لي انك عجزت عنه وضعفت شوكتك امامه فقال لها لا والله يا سلوى فاني كنت قادراً عليه في كل ساعة لولا اخيه عمر العيار فهو الذي كان علة خلاصه مني لانه ثعلب واحيل من ثعلب وكلما لاحت لي فرصة واردت ان اغتنمها بان اسرع الى حمزة بضربة يضيع لي تلك الفرصة ويسد ذلك الباب بوثباته ودورانه ففجعه الله من حية رقطاء فقالت له اني في الغد لا ادعك تبرز الى قتاله ولا تلتقيه في مجاله بل مرادي انا ان ابرز اليه وانهي لك امره واقصف عمره فقال لها لا تصل المسالة الى هذا الحد يا اختاه وسوف ترين مني ما افعله في الغد ان شاء الله ثم دخلا وراقب عمر اي مكان يدخلان فدخلا الى غرفة وجلسا بها يا كلان فنظر الى نافذة في اعلى تلك الغرفة وتجاهها نافذة ثانية مطلة عليها فوثب اليها واقام بها يراقب عملها ويسمع كلامها وهما يتحادثان بامر الامير حمزة وقد قال المعتدي لاخته اني اقول لك الحق انه فارس صنديد وبطل مجيد لا يوجد مثله بين ابطال هذا الزمان شديد الحيل والقوى خبير بفن القتال وهو موفق بالعيار الذي معه ولا ريب انه من طوائف الجان لم ار كشكله من بني الانسان فهو اصلع الجبهة اسمر الوجه مدور العينين كبير الوسط صغير القوائم رفيعها سريع الجري خفيف الوثبات فقالت له كن صبوراً فلا بد من ان اكفيك شره واما فوزك على الامير فلا بد منه في الغد وساتيك الان بما يقويك عليه ويزيد في املك بالحصول على مرادك منه فاثبت هنا الى ان اعود اليك فاحتار عمر العيار في امرها وتعجب في شانها واراد ان يعرف ماذا تريد ان تعطيه ليفوز على اخيه ولما خرجت من الغرفة دخلت في باب اخر وجاءت بسلم فاسندته الى الحائط بتأن ودون ان يسمع له صوت او حركة وقربت من المكان المقيم به عمر وهو على حين غفلة ينظر الى المعتدي وصابر الى حين عودتها ليرى بما تاتيه فلم يشعر الا وقد قبضت عليه من اكتافه وقالت له ويك ايها الشيطان اتريد ان تدخل قصرنا وتغافلنا وتفعل بنا غايتك بالحيلة بعد ان رايت عجز اخيك بالقتال فاراد عمر ان يتخلص منها فلم يقدر لانها كانت ذات حيل وقوى عظيمين ثم رفعته بين يديها ونزلت به السلم وجاءت اخيها وقالت له هاك عمر العيار قد وقع في يدي وصار في حوزتنا فاتني بحبل لاربطه وصرت في الغد تقدر ان تاتي بالامير حمزة او تقتله ففرح المعتدي لذلك غاية الفرح واسرع الى حبل فجاء به وربط عمر وشد وثاقه وهو فرح جداً بما حصل وقال لاخته من اين لك ان عرفتي بوجوده قالت اني كنت اترقب اتيانه الى هذا القصر لعلمي ان العيارين لا يسكتون عن التسلل والخداع والاحتيال ولا بد له بعد ان يرى عجز اخيه ان ياتي لياخذك بالحيلة وفيما انا اكلمك خطر لي هذا الخاطر وبالصدفة نظرت زجاج

نافذة هذه الغرفة من الجهة الثانية فوجدت ظلة به فتأكدت ذلك واتيت به دون ان ادعه يشعر اني رايته وكانت تتكلم وعمر يتحرق وهو صابر على امره ويعرف انه لا بد ان يتخلص عند اغتنام الفرصة . ثم ان المعتدي قال لاخته ابقيه في مكان منفرد الى الغد فاجيء بالامير حمزة او اقتله ومن ثم نذبح عمر فسارت به الى مطبخ القصر ووضعته به واقفلت الباب وكان لا نافذة به ولا ثقب فتكدر مزيد الكدر وتعجب من عمل سلوى وقال في نفسه انها احيل مني واكثر خداعًا مع ما هي عليه من البسالة والاقدام والجمال والحسن النادر في غيرها من ربات الخدور وجعل ينظر في امره كيف يقدر ان يتخلص وينجو من ذاك المكان فلم يرَ وسيلة لان كما تقدم كان المطبخ مسدودًا من كل جهة يصعب الخروج منه فصرف الفكرة والدقة والبحث في ذلك الى ان لاح له وجه الامل وخطر له ان المعتدي لا بد له ان يذهب في الغد الى قتال الامير حمزة وان سلوى لا بد لها من ان تاتي المطبخ لمساواة الطعام وتدنو من الموقدة لاشعال النار فاذا وضع لها البنج في الموقدة نفع منه في حال اشتعال النار ولما خطر له هذا الخاطر استنار وجهه فرحًا واملاً وفي الحال ادار يده واسلها من الحبال فخرجت بسهولة عظيمة لانه كان لين الايدي والارجل كالعجين يديرها كيف شاء ودنا من الموقدة ورمى البنج بها وعاد الى مكانه فارجع يده في الوثاق واقام مظهرًا حزنه على نفسه وغيظه من عمل سلوى

قال واما المعتدي فانه نام مع اخته تلك الليلة وهو ببحر عظيم من السرور وترجح عنده انه في الصباح يقدر على الفوز على حمزة وما صدق ان اشرق فجر اليوم التالي حتى نهض من منامه واعتد بعدته وودع اخته وخرج وهو يوعدها انه في المساء او في النهار يعود اليها وقد انهى عمله ونال مراده من خصمه ولا زال سائرًا حتى وصل الى ساحة القتال فوجد الامير حمزة قد سبقه الى الميدان وكان كل تلك الليلة لم ينم منتظرًا عودة اخيه ولما لم يحضر تكدر كدرًا عظيمًا وخاف ان يكون قد لحق به اذى او ناله امر اخر ولذلك يئس في الحياة وتمنى في ذاك النهار اما يقتل المعتدي واما يقتل هو ولا يبرح احدهما الاَّ بعد الانفصال التام . ولما وصل المعتدي اليه قال له اليوم هو اليوم الاخير ولا بد من هلاكك به لان اخاك عمر وقع اسيرًا بيدنا ولا بد من قتله وموته بعد قتلك وموتك . فتكدر الامير عند سماعه هذا الكلام وزاد غيظه من جرى غياب اخيه واراد ان ينتقم من خصمه ليسعى في خلاص عمر واذ ذاك صاح به وحمل عليه فالتقاه كما تلتقي الارض الجافة وابل المطر واخذا في الكر والفر والقرب والبعد . والكد والجد والضرب والطعن والاستواء والتقلب الى ان مضى قسم من النهار والامير حمزة بانشغال افكار وارتباك من جهة اخيه عمر العيار وهو يتمنى ان يفوز على خصمه ليسعى في خلاصه غير ان الامر كان على غير ما قصد لان المعتدي كان ثابت العزم متين الحيل لا تزيحه الوف من الرجال

ولا ترو عه اسود الدحال ولذلك تعب في قتاله الامير كل التعب وانحلت مفاصيله وايقن انه لا ينال منه المقصود وربما تغلب عليه ايضاً وفيما هو على مثل ذلك وقد مضى وقت ليس بقليل من النهار لاح من الامير حمزة التفاتة لجهة البر فوجد اخاه عمراً يعدو كانه ريح الشمال وهو يتقدم لنحوهما بكل سرعة وينادي لقد خابت امالك يامعتدي وسوف تلاقي جزاء ما وقع منك من الجور والتعدي ووقع صوته في اذن المعتدي فاضطرب في داخله ولاح له انه ما تخلص الا بعد ان اصاب سلوى امر من الامور وبهذا السبب وقع الحزن بغتة في قلبه وضعفت قواه واراد ان يلتفت الى جهة الامير عمر فلحظ حمزة منه ذلك فصاح به وفاجئه مفاجئة الاسود وقد اشتد حيله عندما راى عمراً وراى علائم الفوز فقبض على طوق خصمه وانتشله من عن جواده فدافع عن نفسه بكل قواه فوقع الاثنان الى الارض وكان المعتدي من تحت الامير فاصاب جسمه الارض ورض وصاح الامان ياسيد فرسان هذا الزمان فاني دخيل عليك ووقيع فاقبلني فقد هد حيلي وغاب وعيي وكان الامير عمر قد اقبل وراى ما راى فصاح باخيه ان يتركه فلا يستحق القتل بعد الاستئمان فنهض عنه وقال له انهض الى جوادك فلك الحرية ان تفعل مهما اردت قال اني اسيرك الان ولا يحق لي ان انقل سلاحاً واركب جواداً الا باذنك فهاك سيفي بين يديك واني اعترف انك سيدي ومالك امري حيث قد قدرت عليّ وعفوت فمثلك تكون الفرسان والا فلا فقال حمزة معاذ الله ان اقبل منك ذلك واني اعرف اكيداً انك ابسل مني واشجع وقد لاقيت منك ما اعجزني ولولا القليل لكنت وقعت بيدك فالحق يقال انك نادر المثال واني لست مثلك اذا اشتد القتال فانت اخي على كل حال قال اني سابقى بين يديك وفي خدمتك طول عمري ولا افارقك دقيقة واحدة انما اريد ان اعرف ماذا حلّ باختي سلوى فقد ضعف لاجلها حيلي واخاف ان يكون عمر العيار قد قتلها او فعل بها امراً منكراً ثم سال عمراً عنها فقال له انك لما اسرتني ووضعتني في المطبخ صرفت العناية الى التخلص من الكتاف الى ان تسهل لي مطلوبي وبعد ذلك اتيت الموقدة لعلمي ان اختك لا بد ان تاتي في الغد لمساواة الطعام وطبخه ووضعت فيها قليلاً من البنج وارجعت يدي الى الوثاق واقمت على ما انا عليه الى ان كان هذا الصباح جاءتني ووبختني كثيراً وانا صابر عليها لا ابدي كلمة قط حتى مضى ساعتان تقريباً فانت واشعلت النار في الموقدة وانا بعيد الى زاوية المطبخ اراقب ما يكون من امرها وقد ترجح لديّ الفوز وقد ثبت مؤملي حيث ما اشعلت النار الا ووقعت سلوى الى الارض فسارعت حالاً ووضعت في انفي ضد البنج واتيت اليها فرفعتها الى خارج المطبخ واوثقتها وحملتها في جرابي وجئت على عجل خوفاً من ان يقع على الامير حمزة منك مكدر لانشغال باله عليّ فتعجب المعتدي من حيله ومكره وقال له والان اختي معك قال نعم هي معي موثوقة فقال واين تضعها قال في

هذا الجراب ثم اخرج جراب اسماعيل من وسطهِ وفك بابهُ ومد يدهُ واخرج سلوى ووضعها امام اخيها فزاد تعجبهُ وكاد يضيع عقلهُ وقال كيف هذا الجراب الصغير يساع اختي قال هذا يساع الدنيا باسرها ولا تبان فيهِ

ثم تقدم من سلوى وفك وثاقها ولما وعت على نفسها تقدمت من اخيها فسلمت عليهِ فقال لها قربي من الامير حمزة وسلمي عليهِ فهو اصبح منذ الان مولانا وقد اسرني ودخلت في يدهِ وحكى لها كل ما كان من امرها وامرهِ كل هذا والامير حمزة ينظر اليها وهو باهت من حسنها واعتدال قوامها وقد وقعت من قلبهِ موقعاً عظيماً وحدثتهُ نفسهُ ان يتزوج بها وكذلك سلوى فانها عندما راتهُ وقع من نفسها ورات على وجههِ علائم الحب والهيام من جرى نظره اليها ففهمت المقصود ودنت منهُ وقالت لهُ اني سررت جداً ياسيدي بان نكون في خدمة سيد شريف وبطل مجيد مثلك قد طار صيتهُ في الافاق وخدمتهُ الملوك الكبار وتمنت بناتهم ان تكون تحت اجنحتهِ وفي حماه فقال لها اني افتخر بمصالحة من هو كاخيك لانهُ والحق يقال اقدر مني في مواقف القتال وما اسرتهُ الا وقد ساعدتني عليهِ العناية وخانتهُ ظروف الاحوال ولا سيما انت فاني ارغب ان تكوني معي في سفرتي . فقال عمر اني اسالك يا اخي ان تعتمد على الاميرة سلوى فهي وحيدة بين النساء فخذها لك زوجة فهي لا تليق لغيرك . اجاب اني على هذا اعتمدت ونويت . ثم تفق كل من الامير والمعتدي واختهُ على ان تكون سلوى زوجة للامير غير انها طلبت منهُ ان تبقى في خدمتهُ وتكون رفيقتهُ وان لا يتزوج بها الا في المدائن عند زواجهِ بمهردكار بنت كسرى . فاجاب طلبها ووعدها بان تكون معهُ على الدوام وتحضر القتال والنزال لانها كانت تقاتل بكل انواع السلاح وتطارد كاشد الابطال وبعد ذلك قال الامير ان مرادنا الان الرجوع الى المعسكر لان قومي بانتظاري ولا بد ان يكونوا قد شغلوا بسببي . وفي الحال ركب الامير والمعتدي واختهُ وهم فرحون بهذا التصادف وهذه الموافاة والنسابة وانطلق بين ايديهم الامير عمر العيار كانهُ السهم اذا طار وبوقت قليل غاب عنهم ووصل الى الخيام ونادى باتيان اخيهِ وانهُ اسر المعتدي ثم اتفق معهُ وجاء الاثنان معاً على الحب والولا وبلغ الخبر الملك النعمان ففرح مزيد الفرح وخرج لملتقى فارسهم مع باقي الفرسان من الكبير الى الصغير وما ساروا الا القليل حتى التقوا بهِ عائداً مع رفيقهِ وعروسهِ فسلموا عليهم وهنأوهم بالسلامة ورجع الجميع الى الخيام ونزلوا في صيوان الملك النعمان فاقام لهم ما لا اكرام والانعام نحو ساعتين من الزمان . وبعد ذلك قال الامير حمزة لقد انتهينا الان من امر المعتدي وصار من الواجب ان نفكر بامر الملك الدعاس فانهُ محاصر الان داخل المدينة ومرادي الان ان اكتب اليهِ كتاباً اطلب اليهِ التسليم ثانية واخبرهُ بما كان من امر المعتدي . فقال المعتدي اني اذهب اليهِ وادعهُ ياتي الى خدمتكم لانهُ منذ الاول

كان لا يرغب في القتال ولا يرضى معاندتكم غير اني منعتهُ من التسليم واخذت على نفسي قتالكم وخرجت باختي الى القيام في البر عند قدومكم لان كتابة كسرى كانت قد وصلتنا منذ زمان طويل والحمد لله الذي لم يقع بيننا مكدر ولا تركنا عباد النار ينفذون ماربهم بنا ويحملوننا ان يهلك بعضنا بعضاً وصرفوا باقي ذاك النهار وتلك الليلة فرحين بالمعتدي واختهِ وهم يقدمون لهما كل اكرام الى ان كان صباح اليوم التالي ركب المعتدي ودخل الى المدينة على الملك الدعاس واطلعهُ على تصحبهِ للامير حمزة العرب وقال لهُ يجب ان تخرج الان مع قومك الى امام الامير وتعرض عليهِ طاعتك وحبك ونعلمهُ بان ما كان امتناعك الاَّ مني فهو حليم رقيق يعفو عنك ويصفح عن عصيانك ولا ريب انهُ يرحل عن المدينة بعد ان ياخذ منها الاموال المطلوبة وتبقى انت عليها حاكماً كغيرك من الملوك ففرح الدعاس بذلك وجمع اليهِ سادات قومهِ واطلعهم على ما كان من الامير والمعتدي وامرهم ان يركبوا جميعاً الى العرب ففعلوا وخرجوا من المدينة وساروا عنها وامامهم المعتدي الى ان وصلوا الى صيوان الملك النعمان فدخلوهُ ودنوا من الامير حمزة وسلموا عليهِ فاكرمهم وترحب بهم وكذلك باقي سادات العرب . ومن ثم اظهر الدعاس طاعتهُ وانهُ لم يقصد عناداً وانما خوفهُ كان من المعتدي حيث امرهُ ان يقفل ابواب المدينة ويقيم داخلها الى ان ينهي الامر وحدهُ ولما اطلعهُ على دخولهِ في رجال الامير رغب هو ايضاً في الطاعة والتسليم فقال لهُ حمزة اعلم اننا لا نقصد لاحد ضرراً وجل غايتنا ان نجمع الاموال عن سبع سنوات ونسير وهذا لا بد منهُ كيف كان الحال وحيث قد صار الامر على ما صار فاسالك الان ان تسرع في جمع الاخرجة عن السنين المذكورة سلفاً لاني اعرف ان لا بارة عليكم في السنين الماضية واعطيك وصلاً بذلك وسلم اليَّ كتاب الملك كسرى لاضمهُ الى غيرهِ من الكتب واوصيك من بعد ذلك لاعدت تدفع للاعجام عبادين النار بارة واحدة بل ادفع ما يطلب منك الى الامير ابراهيم والدي صاحب مكة المطهرة فوعدهُ الدعاس بكل ما امرهُ بهِ ودعاهُ ان ينزل معهُ المدينة ليحضر وليمةً ويقيم في ضيافتهِ مع سادات العرب فاجاب طلبهُ وساروا الى ان دخلوا المدينة واقام الامير فيها نحواً من ثلاثة ايام وهو على اكرام واعتبار وبعد ذلك اخذ الاموال فاضافها الى التي معهُ من ذهب وفضة وخيول واغنام وبوق ونحو ذلك واخيراً اخذ كتاب كسرى واعطاهُ الى الملك النعمان وقال لهُ ابقِ هذا مع غيره الى حين الحاجة وامر اخاهُ عمر ان يدور بين العساكر يامرها بالركوب والمسير عن صيدا فركب الجميع وركب الامير وامامهُ والى جانبهِ الفرسان من الابطال المشهورين الذين تقدم ذكرهم وركبت الاميرة سلوى وقد افرغت عليها ملابس الرجال وتقلدت بالاسلحة وهي سائرة الى جانب الامير لا ترفع نظرها عن وجههِ مسرورة بهِ وبما اعطيت من التقرب منهُ وحسبت نفسها من اسعد النساء لانها سترافقهُ

وتمتعي من النظر اليهِ واخيرًا عند عودتهِ الى الديار يتزوج بها وتحظى بالسعادة التامة من بقائها في يدهِ

قال ولما تحركت ركاب العرب عن صيدا الى جهة صور سأل الامير اخاهُ عمرًا عن حاكم مدينة صور وماذا يعبد من الاديان . فقال لهُ ان حاكم مدينة صور هو رجل كافر بدين الله يعبد الاوثان ويكرم التماثيل ويعظم قدرها واسمهُ الملك العابد اي عابد الاحجار . فقال المعتدي لا ريب اننا سنلاقي من هذا الملك عنادًا لانهُ يفتخر بمناعة مدينتهِ حيث ان اسوارها منيعة صعبة الدخول لا يمكن الدخول منها ولا خرقها . فقال حمزة ان الله تعالى الذي اعاننا على غيرها يعيننا عليها فما من صعوبة لدينا . ولا زالوا سائرين الى ان قرب المساء فوصلوا الى ضواحي صور وضربوا خيامهم في تلك الارض ومن ثم اخذ الامير حمزة فكتب الى العابد كتابًا يامرهُ بهِ ان يخرج ويسلم امره اليهِ ويدفع ما هو مطلوب منهُ من الاموال الى سبع سنوات والاَّ يلاقي الشر والوبال ويترك عبادة الاوثان والاحجار ويعبد الله سبحانهُ وتعالى فينال السعادة منهُ والاقبال ولما وصل عمر اليهِ بالكتاب خرج في الحال الى امام الامير حمزة وابدى لهُ الطاعة وقال لهُ اني ساجمع الاموال واقدمها اليك باقرب وقت ولا اعصى لك امرًا ولا اخالف قولاً واريد منك ان تقبل ضيافتي في الغد وتدخل المدينة . فقال الامير عمر لا يمكن ان نقبل ضيافتك ما زلت على دين الكفر فاترك ما انت عليهِ واعبد الله سبحانهُ وتعالى واكسر الاصنام والحجارة وادعُ من كان من قومك على عبادتها ان يتركها ويتمسك بحبالهِ تعالى . فقال العابد اني سافعل كل ما تامرونني بهِ وتطلبونهُ اليَّ وساذهب الان الى قومي واجبرهم الى طاعة الامير وعبادة الله فمن اطاع كان خيرًا ومن عصاني كان جزاؤُهُ الموت والاعدام . ثم ودع سادات العرب ورجع الى قومهِ فدعاهم اليهِ وقال لهم اعلموا ان الملك كسرى قد بعث الينا بكتابة يوصينا بها بهلاك العرب والامير حمزة واني لا اريد اخالف امر كسرى وقد نويت على الغدر بالعرب وان اتوصل الى هلاكهم وفنائهم فانال المكافاة منهُ واكون قد فعلت ما عجز عن فعلهِ غيري من الملوك الكبار والفرسان العظام . قالوا وكيف فكرت ان تفعل اجاب لا خفاكم ان المدينة حصينة جدًا ولا خوف عليها من العرب ولا من غيرهم من سكان الدنيا ورايت من اصوب الامور ان اصبر على العرب الى ان يناموا ويامنوا غوائل الايام فاكبسهم بعساكري واقتل منهم مقتلة عظيمة ومن ثم اعود الى المدينة واقفل ابوابها اذا بقي فيهم بقية رمق وادعهم يفعلون ما يريدون وكلما لاحت لي الفرصة انحط عليهم واربح ذلك الفوز والنجاح فقالوا لهُ افعل ما بدالك فنحن مطيعين لك عاملين على كل ما تامرنا بهِ . فاخذ في ان يجمع العساكر ويعددها ويرتبها الى ان كان الليل وكان عددها نحو عشرين الفًا وعند منتصف الليل خرج بهم رويدًا رويدًا دون ان يشعر

احد بهم واخذ في ان يفرقهم من اليمين والشمال واوصاهم ان يهجموا على العربان هجمة واحدة ولم يكن عند الامير حمزة وجماعتهِ علم بمثل هذا الامر بل كانوا مطمأنين البال والخاطر مركنين لقول الملك العابد لا يخطر لهم قط غدرهُ فما شعروا الاَّ والصياح قد ارتفع من كل ناح وعمل السيف القرضاب في محكم الصدور والرقاب وارتبك معسكر العرب اي ارتباك وظنوا ان رجال العالم قد حملت عليهم واضطربوا اضطرابًا عظيمًا واينما مالوا كانوا يرون رجال المدينة وهم يقتلون ويفتكون وايقنوا بالهلاك والوبال وفروغ الاجال اذا لم يدركهم الامير حمزة بهمتهِ ويفاجئ الاعداء بالفرسان من جماعتهِ وكان نائمًا لاعلم لهُ حتى دخل عليهِ اخوهُ عمر وقال لهُ انهض فقد هلكت رجالك وساءت احوالك واذا بقيت نائمًا لحق بك الدور فقتلت وانت على سريرك فنهض مندهشًا ولعن العابد وقومهُ وقال الان يصادف شرَّ عملهِ ثم اسرع الى الاشقران فركبهُ وصاح فيهِ فخرج كالنجم الثاقب وجعل يقتل كل من يصادفهُ من رجال المدينة وكذلك المعتدي فانهُ اسرع الى المحاماة عن العرب واندهوق وبشير ومباشر وباقي السادات ودار دولاب القتال كل باقي تلك الليلة حتى تدفقت الادمية كالميازيب وتجدولت في افنية الارض كالنهور وداست الخيول في بطون القتلى وقتل من العرب مقتلة ليست بقليلة وكذلك من اهالي صور وقبل ان ينبثق فجر اليوم القادم رجع رجال الملك العابد وهم بحالة يرثى لها لانهم كانوا قلائل فلم يقدروا ان يفوزوا بالمطلوب ودخلوا المدينة مع ملكهم وقفلوا الابواب وامر الملك ان لا احد يدخل ولا احد يخرج وقد خاف من العرب كل الخوف لما راى نفسهُ مغلوبًا معهم ولا يقدر على محاربتهم وراى ان لاشيء ينجيهِ منهم الا الحصار والقيام داخل المدينة الى ان تضجر العرب وترحل عن تلك الناحية اذ ما من وسيلة لها بفتح المدينة والتغلب على خرق تلك الاسوار والحصون المنيعة المحكمة

واما الامير حمزة فانهُ بعد اشراق النهار نظر الى المفقودين من رجالهِ فوجد ما ينوف عن خمسة الاف فارس فتكدر مزيد الكدر وعظم عليهِ الامر ولم يعد يرى ما بين يديهِ وقال كان من الواجب ان لا نامن لرجل يعبد غير الله سبحانهُ وتعالى ولو كان على دين الحق لكان يسهل عليهِ جدًّا ان يفي بوعدهِ ويستقبح الغدر والخيانة وعلى كل فمن الواجب التحفظ والتحرس على رجالنا خوفًا من ان يعود هذا الغادر الى مفاجئتنا مرة ثانية ثم امر ان تدفن جثث القتلى من رجالهِ ورجال صور فحفرت الحفر وسترت تلك الاجسام بالتراب لترجع الى اصلها الترابي وانقضى ذاك لنهار وفي المساء جاء حمزة الى صيوان الملك النعمان وفرق العيارين في كل تلك الجهات واوصى اخاهُ عمرًا ان لا ينام ولا يتقاعد عن مراقبة الاعداء فاجاب امرهُ وصرف تلك الليلة يخطف كالبرق اللامع من جهة الى ثانية خوفًا من ان ياتي المعسكر غريب او يسمع صوت آتٍ

او حركة المعسكر ومضى الليل ولم يأتِ احد ولما كان الصباح نهض الجميع على حسب عادتهم دون ان يروا مقاتلاً او مناضلاً فامرهم الامير ان يزحفوا على اسوار المدينة فزحفوا ولعلو ارتفاعها لم يتمكنوا من الصعود عليها والتغلب ورجعوا عند المساء دون الحصول على نتيجة وفي اليوم الذي بعدهُ كذلك حتى مضى نحو خمسة ايام ولهذا السبب ضاقت نفس الامير وضجر الضجر العظيم ودعا اليهِ كل الامراء والاعيان وقال لهم لا خفاكم ان البلد منيعة اذا صرفنا العمر حولها لا تفتح الاَّ اذا احتاج سكانها الى الطعام وهذا لا يمكن لان الطعام ياتيهم بالبحر على الدوام فانظروا لنا في طريقة تقرب علينا افتتاح البلد واخذ الاخرجة منها والبعد عنها . فجعل كل منهم يفكر ماذا يكون التدبير ولم يتوصلوا الى المطلوب واخيرًا قال لهم الامير عمر اصبروا عليَّ الى مدة ثلاثة ايام عسى ان التقادير تسهل لنا طريقة للوصول الى فتح البلد وسوف اتجسس المعابر وانظر في الحصون فلا بد من وجود مدخل نصل منهُ الى الداخل . فاستصوب الجميع رايهُ وباتوا يؤملون نجاحًا على يد عمر وتفرق كل واحد الى صيوانهِ . ولما دخل حمزة الى الصيوان وكل عمر احد العيارين بحراستهِ وسار من المعسكر يقصد الاسوار ليطوف حولها وفي نيتهِ ان لا بد ان يرى كلبًا خارجًا من المدينة او هرًّا او غير ذلك فيتوصل الى نافذة او دهليز وفيما هو على مثل ذلك ينساب تحت ظلام الاعتكار كانهُ الافعى واذا بهِ سمع حركة فاعار اذنهُ فسمع كلام اثنين يتكلمان وهما سائران الى جهة معسكر العرب فدنا منهما بكل خفة وسمع ما دار بينهما من الكلام وعرف ان احدهما امراءة والثاني رجل وثبت عندهُ انهما يقصدان اخاهُ حيث سمعهما يذكرانهِ فسار في اثرهما الى ان دخلا بين المعسكر فاعترضهما وقال لهما من انتما ومن تقصدان فقد يظهر لي انكما من اهل هذه المدينة فقالا لهُ اننا نقصد امير العرب وسيدهم وهو حمزة بن ابراهيم ومرادنا ان نعرض عليهِ امرًا بهِ الخير والنجاح لهُ فقال سيرا امامي فانا عيارهُ عمر . فسارا الى ان وصل بهما الى امام الصيوان فابقاهما في الخارج ودخل فايقظهُ وقال لهُ ان رجلاً وامراة من اهالي المدينة يقصدانك وقالا ان الخير بهما فامرهما ان يدخلا عليهِ فدخلا وبعد ان جلسا قال الامير من انتما وما مرادكما فقالت الامراة اعلم ياسيدي اننا اتينا اليك لاجل امر بهِ الخير لك والفلاح لنا فعدنا بانك تجرنا وتغيثنا اذا فتحنا لك المدينة وادخلناك مع قومك في هذه الليلة . قال لا ريب اني اكافيكما بكل جميل واجرى لكما كل ما تريدان . فاعرضا عليَّ امركما فقال الرجل اعلم يا سيدي اني انا وزير الملك العابد وهذه زوجتهُ ولما كنا على دين غير دينهِ كان يكرهنا ويتمنى لنا الهلاك حتى انهُ اخيرًا انهم زوجتهُ بحبي واراد منها الانتقام فعذبها العذاب الشديد الى ان اخيرًا افضى بهِ الامر ان طردني من الوزارة واقام غيري من عبدة الاصنام وضيق على زوجتهِ كل الضيق فالتزمت ان اصبر على امري انتظر الفرج منهُ تعالى لعلمي ان الله لا يترك عبدتهُ في الضيق ولما كانت هذه الليلة قام الى

زوجتهِ فضربها الضرب الاليم وعذبها العذاب الشديد وقال لها ان العرب هم من دينك يعبدون ما لا يعرفون ولا بد من ان تكوني قد بعثتِ اليهم ان يعينوك فدعيهم يأتون الان ودعي الملك ان يخلصك من هذا العذاب فلم تبدِ جواباً بل بقيت صابرة الى ان نام فنهضت وسارت اليَّ فاخبرتني بكل ما جرى وطلبت مني ان اسير واياها اليكم لحمايتها منهُ فقلت وكيف يمكن لنا الخروج من المدينة قالت لي ان مفاتيح الباب التي الى جهة البحر هي عند العابد فاتيت بها معي فيمكن ان نخرج من هناك ونركب زورقاً ونسير الى البر ومن ثم نتقدم الى جهة معسكر العرب وهكذا فعلت واننا اتينا اليكم الان نبقى عندكم اما ان نموت واما ان نعيش واذا وجدتم انهُ يمكنكم ان تدخلوا المدينة من جهة البحر فتحنا لكم الابواب وسرت انا معكم الى الباب البري فتقتلون الحراس ويدخل المعسكر منهُ في هذه الليلة . فسرَّ الامير سروراً لا مزيد عليهِ . وقال لاخيهِ عمر سر في الحال وادعُ اليَّ المعتدي واندهوق واصفران وباقي الفرسان مع الملك النعمان ويكون ذلك باعجل آن فاجاب عمر امرهُ واحضر لهُ كل ما طلب ولما ساروا عندهُ . قال للملك النعمان اريد منك ان تيقظ العساكر وتسير الى جهة باب البلد ويكون ذلك باقل من ساعة ونصف وانا مرادي ان اخذ المعتدي واندهوق والاصفران وننزل بالزورق وندخل من باب البحر

ثم ان الامير حمزة اخذ مفاتيح الباب من الوزير واخذ معهُ الفرسان الذين ذكرناهم وسار الى جهة البحر يدلهُ الوزير على مكان الزورق حتى وصل الى البحر فركبهُ الجميع وساروا الى ان وصلوا الى الباب المذكور ففتحهُ الامير ودخل مع باقي الفرسان وامر الوزير ان يبقى في الزورق وكان ذلك بطلب عمر العيار خوفاً من ان يكون قد نصب لهم مكيدة ساقهم بها الى داخل المدينة وقفل الباب من الداخل وساروا جميعاً وراء عمر لانهُ كان يعرف باب البلد من اي جهة حيث قد جاء المدينة اولاً عند اتيانه بكتاب اخيهِ ولا زالوا حتى وصلوا الى الباب واذ ذاك هجم المعتدي على الحراس فقتلهم واخذ منهم المفاتيح وفتح الباب باعجل من لمح البصر واذا بالملك النعمان قد دخل ومن خلفهِ عساكر العرب وانقضوا على المدينة من كل ناح واشغلوا ضرب السيف بالاهالي فابلوهم بالذل والويل وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة واضطربت المدينة اي اضطراب وقامت بها القيامة من كل ناح حتى استيقظ العابد مرعوباً ومندهشاً وسال ما الخبر فقالوا لهُ ان العرب قد دخلوا الى المدينة فارتاع وارتجف وايقن انهُ هالك لا محالة وان الامير حمزة لا يبقى عليهِ ولا بد من ان يجازيهُ على غدره ولذلك اعتد بلامتهِ وقصد الخروج وكان الوقت قد قارب الصباح لان الامير حمزة لا زال يقتل ويأسر ويبدد الرجال على الطرقات وفي الاسواق واخوهُ عمر يسير بين يديهِ ليدلهُ على قصر العابد حتى وصل اليهِ في الحال فترجل عن جوادهِ

وفرق العساكر المتجمعة من حواليه بضربات سيفه الباتر وهو يصيح فيهم ويلكم ايها الاقران ابعدوا عن هذا المكان وتخلوا عن ملكم الخادع القرنان فقد جاءكم الامير حمزة البهلوان بن الامير ابراهيم العالي القدر والشان . وكان اخوه عمر يسير بين يديه وهو يخترق الصدور بضربات خنجره ويختطف النفوس باسرع من شدة سيره حتى التقى الامير بالعابد فضربه بسيفه الباتر فازاح راسه عن جسده ورماه الى الارض قتيلاً . وبالاختصار انه قتل من سكان المدينة عدد ليس بقليل وبعد ذلك امر الامير حمزة ان تكف الايدي عن الرعية واخبرهم بقتل ملكهم وهلاكه ودخل الى دار الاحكام وارسل خلف الوزير فحضر الى بين يديه فقال له الان قد انقضى الامر ولم يبق من سبب للخوف عليك وقد قتل عدوك وعدو الله ولاقى حتفه وقد نويت ان ازفك على زوجته واقيمك ملكًا على هذه المدينة وتكون تحت امري وطاعتي منذ الان . قال اني عبدك ولا اعصى لك امرًا وانا لا استحق هذه المكافاة وهذا الالتفات

وبعد ذلك دعا الامير رجال المدينة وامنهم على انفسهم وقال لهم اني اقمت عليكم هذا الوزير ملكًا واريد منكم ان تطيعوه وتفعلوا كل ما يامركم به وتتركوا عبادة الاوثان وتعبدوا الله العزيز الجبار فهو وحده قادر ان يحييكم ويميتكم فقالوا له اننا نرغب في ذلك واننا نشكر منك حيث قد خلصتنا من ظلم الملك العابد ومن شره فهو كافر عودنا على ما لا نريد ونحن عبيد للعرب نفعل كل ما يريدون فشكرهم وازوج الوزير بزوجة العابد وخطب له على المدينة وطلب اليه ان يجمع له الاخرجة عن سبع سنوات فاجاب طلبه وما مضى الا ايام قلائل حتى استوفى كل المطلوب ومن ثم جمع جماعته واعرض عليهم غرضه بالرحيل فاجابوا طلبه وركبوا وساروا عن صور ولما صاروا في الخارج سال الامير اي مدينة يقصدون فقال له عمر اننا نقصد عكاء وهي مدينة حصينة ذات اسوار منيعة . قال ومن عليها . اجاب عليها ملك من عظام الملوك اسمه قاهر الخيل وهو من الفرسان الصناديد والابطال الاماجيد . قال واي اله يعبد اجاب هو على الدين القويم يعبد الله سبحانه وتعالى . ولا زالوا في مسيرهم حتى قاربوا مدينة عكاء واكتشفوا على اسوارها عن بعد وراوا حولها العساكر والابطال مثل قطع الغمام فعرفوا ان قاهر الخيل قد جمع الفرسان والابطال وفي نيته القتال وعدم التسليم ولما صاروا مقابل المدينة امر الامير ان تنزل الفرسان وتنصب خيامها في ذاك المكان ففعلت وانتشر العرب في تلك الضواحي وسرحوا باغنامهم وجمالهم وخيولهم حتى انسد الفضاء من الشرق الى الغرب . وارتاحوا ذاك اليوم وفي اليوم التالي كتب الامير حمزة كتابًا الى قاهر الخيل يقول له فيه

من الامير حمزة بن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز الى قاهر الخيل صاحب مدينة عكاء ونواحيها

ما اتيت هذه البلاد لاخربها ولا لاقتلك ولكن القصد جمع الاخرجة عن سبع سنوات الى الملك كسرى ولا بد ان يكون قد كتب اليك كما كتب لغيرك لتسعى في هلاكنا وهذا بعيد منك فقد لاقى غيرك حتفهُ عندما قصد لنا الاذى فارجع عن غيك ان كنت تقصد لنا شرًّا ولا تظن انك تفوز بالمطلوب بل تقود بنفسك الى حفرة الهلاك والويل فانظر موضع النظر واحضر اليَّ وعدني بجمع الاموال فاقبضها واسير في طريقي ولا تدع كسرى عابد النار والكافر بدين الله ان يفسد بالمؤمنين وينفذ فيهم غايتهُ لينفضوا امر الهم واني ناصح لك والسلام

ولما انتهى حمزة من كتابة التحرير بعث بهِ مع اخيهِ الى قاهر الخيل فاخذهُ ولا زال سائرًا حتى دخل عليهِ فسلمهُ اياهُ فقراهُ وقال لعمر لا بد من الحرب فيما بيننا وبين العرب واذ كان كلا العسكرين يعبدون الله فاني ابارزكم بنفسي فاذا فرتم عليَّ كان لا ذنب على قومي واذا فزت على فرسانكم وقهرت ابطالكم عفوت عن العساكر وارجعتهم الى بلادهم واكون قد نلت المطلوب واجريت امر كسرى صاحب البند والعلم وسلطان العرب والعجم . ومالك رقاب الامم . فبلغ حمزة ذلك وليدع فرسانهُ وهو يبارزوني منذ الغد

فعاد عمر الى العرب واخبرهم بما سمع من قاهر الخيل فقال الامير لقد انصف وان الرجل معتز بنفسهِ ويظن انهُ يقدر على كبحنا ولا بد من ان نريهُ قيمة نفسهِ واذ ذاك تقدم اليهِ الاصفران وقال لهُ اريد منك يا سيدي ان تسمح لي بمقاتلة قاهر الخيل في الغد . قال اليك ما طلبت واحذر لنفسك منهُ فقد يظهر انهُ فارس صنديد وبطل مجيد غير اني اسمح لمن اراد قتالهُ في الغد فقط واما بعد الغد فلا - وصرفوا باقي ذاك اليوم وتلك الليلة الى ان كان صباح اليوم التالي نهض الامير من فراشهِ وامر بضرب طبول الحرب فضربت ونشرت الرايات العربية فوق راس الملك النعمان وتقدم في وسط الرجال وفعلت كذلك عساكر عكاء واصطف الصفان وترتب الفريقان وكل منهم ينتظر امر قائدهِ وسيدهِ وفي الحال برز قاهر الخيل الى ساحة المجال كانهُ فيل من الافيال كبير الجثة عريض الاكتاف فصال وجال في الميدان على اربعة الاطراف ثم توسط الساحة وصاح طالبًا براز الابطال وقال من عرفني فكفاه ومن لم يعرفني فلا خفاه انا الحية الرقطاء مسقي الاعداء كاسات الرداء قاهر الخيل صاحب عكاء فما اتم كلامهُ حتى صار الاصفران امامهُ واخذ معهُ في الصدام والقتال والطعان والضراب وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان ولا ياخذها فتور ولا يقع منهم قصور مدة ثلاث ساعات من النهار حتى وقع الضعف في مناكب الاصفران وراى نفسهُ عاجزًا عن قتال قاهر الخيل غير انهُ صبر على نفسهِ واختار المنية على الفرار امام خصمهِ واظهر العجز وطلب الاقالة فراى منهُ قاهر الخيل ذلك فضايقهُ كل المضايقة ولاصقهُ كل الملاصقة وقبض عليهِ من جلباب درعهِ واخرجهُ من بحر سرجهِ وعاد بهِ الى قومهِ فدفعهُ

للوثاق وعاد متفخرًا بذاتهِ يلاعب جوادهُ في الهواء وطلب أن تاتي اليهِ الفرسان ميئات ميئات وما انتهى من كلامهِ حتى صار الامير مباشر امامهُ وقال لهُ اني ناصح لك يا قاهر الخيل ان تخلع عن القتال وتسرع الى خدمة الامير حمزة فهو حليم رقيق يقبلك وترى منهُ ما يسرك ولا تغر بنفسك وتظن انك تفوز بالغاية فقد امتنع ابي في الاول فاصابهُ الموت من يديهِ وانت تعلم انهُ كان نادر المثال في زمانهِ وكذلك المعتدي حامي السواحل فانهُ وقع في يديه فاسرهُ ثم اطلقهُ وجاء بهِ يسير في جملة رجالهِ ويسعى في انفاذ مطالبهِ . فقال لهُ اني لا اسلم الا بعد ان ارى في عساكر العرب من يقدر على اسري واذلالي لاني لا اريد ان اغش ذاتي وابقى متحسرًا فيما بعد ومهما جرى يجري واعرف مقدرة نفسي وارجح اني اقدر على الامير وسوف تراهُ اسيرًا بين يدي ذليلاً حقيرًا . ثم هجم الاثنان على بعضهما البعض كانهما جبلان رسيا في تلك الارض وارسلت ضربات السيوف فاصابت الطوارق . واندفعت اصوات الاثنين فقلدت الصواعق واشتعلت نار الحرب بينهما الى ما بعد الظهر بساعتين واذ ذاك هجم قاهر الخيل هجوم ويلات الليل واخذ مباشرًا اسيرًا وسلمهُ الى قومهِ وعاد يطلب البراز وما وصل الى المكان المعهود حتى راى بشيرًا قد اقبل يطلب خلاص اخيهِ من يد قانصهِ وحالما وصلا الى بعضهما تسارعا الى المضاربة والمطاعنة وتركا المعاتبة والمداهنة . وصرفا باقي النهار على قتال احر من لهيب النار . وعند الزوال اخذ قاهر الخيل بشيرا اسيرًا وعاد الى قومهِ وضربت طبول الانفصال ورجعت العرب حزينة على فرسانها واجتمع الجميع في صيوان الملك النعمان وابدى الامير غيظهُ من اسر رجالهِ فقال لهُ الامير معقل في الغد ابرز اليهِ انا واتي بهِ اسيرًا وافدي بهِ رجالنا . فقال ان ذلك لا يمكن لاني لا ارغب في التطويل وفي الغد سأذيقهُ مرارة قتالي وانهي الامر معهُ فقد غاظني منهُ ما فعل في هذا النهار . فلم يمكن لاحد ان يخالفهُ ومن ثم تفرق الجميع للمنام وكل ذهب الى صيوانهِ بانتظار الصباح الى ان اقبل بوجههِ البسام وصار وجه الارض مصافحة ملسوع الوجد والهيام عند اجتماعهِ بمحبوبتهِ بعد مبارحتهِ السنين والاعوام وحينئذٍ خرج حمزة تلك الايام من صيوانهِ وركب جوادهُ وتقدم تقدم المشتاق الولهان الى ان توسط الميدان . فصال وجال ولعب على اربعة الاركان ثم عاد الى الوسط وطلب قاهر الخيل ان يبرز اليهِ فما فرغ من كلامهِ حتى صار امامهُ وقال لهُ من انت من فرسان العرب وساداتها . اجاب انا سيد العرب وحاميها ومذل الجبابرة ومفنيها انا حمزتهم العادل . وسندهم الكامل . وقد جئت لانهي الامر معك واخذهُ من وجه الاختصار خوفًا من التطويل . ومن ثم التقيا في تلك الساحة ودار بينهما الاخذ والرد وعملا على القرب والبعد وابديا من فنون الحرب العجائب . ومن شدة الباس الغرائب حتى تسارعت نحوهما الابصار وتسابقت للحكم بينهما الافكار . وكان كل من القومين يطلب الفوز الى فارسهِ ويتمنى

له النجاح والتوفيق . والخلاص من شر ذاك البلاء والضيق . وهما على ما هما عليهِ من قتال شديد وطعان يمك الزرد النضيد . وزئير يضيع عنهُ زئير الاسود . وهمهمة لا تسمع من تحتها اصوات اقوى الرعود والسيوف ترسل بلمعانها من خلال ظلام ذاك الغبار كان الافق يتمخض لايلاد بواعث الامطار . هذا وعمر العيار بالقرب من اخيهِ حمزة قائمًا على الانتظار . كانهُ العفريت الطيار ودام الامر على هذا الشان الى ان كادت تسود فحمة الليل فخاف الامير حمزة من ان يقضي عليهِ الظلام بترك خصمهِ ولذلك صاح بصوت ارتجت منهُ اسوار عكاء واهتزت اركان لبنان وانقض على قاهر الخيل والزبد يعلو على شدقيهِ كانهُ من فحول الجمال فوجدهُ قد القى بالسيف الى الارض وسلمهُ نفسهُ وقال لهُ مهلاً يا فارس فرسان الزمان وسيد ابطالها والاعيان فاعفُ عني فاني اسيرك وقتل الاسير حرام فاقتلعهُ من بحر سرجهِ وسلمهُ الى اخيهِ عمر وقال لهُ اوثقهُ الى ان نعود الى الخيام ونرى ماذا فعل فرساننا

وبعد ذلك عاد الى معسكرهِ فالتقاهُ جماعتهُ بكل اعتبار واحترام وساروا امامهُ الى صيوان الملك النعمان وجلس كل في كرسيهِ وبعد ذلك امر الامير بان يؤتى بقاهر الخيل فاحضر وهو موثوق فقال لهُ كيف رايت نفسك ومكارتك انظن ان الامير حمزة كمن لاقيت من الفرسان فاقلع عن عزمك وعدني الوعد الصادق انك تكون لي وفيًا وتجمع لي الاخرجة المطلوبة فاعفُ عنك وارد اليك حريتك والاَّ واني قادر على الانتقام منك وتعذيبك اشد العذاب فاجاب اني اعرف ذلك وكنت اردت ان ينحصر القتال بيني وبينك فقط لاجرب ذاتي معك والان لم يعد لي غنى عن ملازمة خدمتك والمسير بين يديك اينما ذهبت وكيفما توجهت فالالتصاق بك خير من عكاء ومن الوف من المدن والعواصم فاقبلني كما قبلت غيري واشهد عليَّ هولاء السادات اني اكون امينًا وفيًّا لااخون لك قولاً ولا اخالف امرًا فلما سمع الامير حمزة كلامهُ تحركت لهُ عواطفهُ لانهُ كان يعرف انهُ يعبد الله سبحانهُ وتعالى ولا يهون عليهِ بان يرى فارسًا ذليلاً كقاهر الخيل وفي الحال دنا منهُ وفك وثاقهُ وقال لهُ اريد منك ان تذهب الان الى المدينة وتطلق لي رجالي الاصفران ومباشر وشير . قال اني اخطأت بحقها وبالحقيقة انك ارق رجل في الدنيا مع ما انت عليهِ من البسالة والاقدام واني منذ الساعة ساسير الى المدينة واطلق الاسارى وابعث بجميع الاخرجة لكن اطلب اليك ياسيدي ان تشرفني في الغد الى المدينة وتصرف الوقت في ضيافتي ليعرف هل المدينة اني صرت من رجالك وتحت طاعتك ولا بد من ان يسير كثير منهم في رفقتي رغبة بخدمتك فوعدهُ الامير بكل جميل ورد اليهِ سيفهُ واخبرهُ انهُ في الصباح ياتي البلد . ومن ثم سار قاهر الخيل حتى جاء المدينة تحت ظلام الاعتكار فوجد الابواب مقفلة والعساكر عاملة على الحصار لانهم لما شاهدوا ما حلَّ بملكهم عادوا القهقرى

ورجعوا الى الوراء ودخلوا الابواب وقفلوها وعملوا على الحصار وفكروا انهم يقيمون على العناد الى حين يعلمون ما جرى على ملكهم وداموا على مثل ذلك الى ان سمعوا صوت قاهر الخيل تحت الاسوار يناديهم ان يفتحوا لهُ فاسرعوا وفتحوا الباب وفرحوا بعودتهِ وسلامتهِ وسألوهُ عن سبب اطلاق سبيلهِ فقال لهم اعلموا اني صرت حمزيًّا وسوف ابارح هذه المدينة واسير في خدمتهِ كل العمر ومدى الايام اقاتل بين يديهِ وذلك من اسباب الفخر لي والمجد الذي سبقني اليهِ غيري من الفرسان العظام والملوك الكبار اصحاب المجد والفخار كملك القسطنطينية والمعتدي حامي السواحل ونحوهما

ثم دخل السرايا واحضر الاصفران ومباشر وبشير واطلقهم من الوثاق وقال لهم اريد منكم ان تعذروني لاني قد اعتديت عليكم ولم اعرف مقدار قدر اميركم وسيد العرب حتى وقعت في يدهِ اسيرًا فوجدتهُ فارسًا صنديدًا وبطلاً مجيدًا ورجلاً كريمًا ومولى عظيمًا عاملني بالرقة واللطف فقال لهُ الاصفران لا لوم عليك لانك اسرتنا في ساحة القتال ولم تغدر بنا بل اسرتنا بما اعطيت من البسالة والاقدام . ثم انهم ودعوهُ وخرجوا من المدينة حتى جاءوا صيوان الملك النعمان وكانت العرب بانتظارهم ففرحوا بهم وسلموا عليهم وبعد ذلك تفرق كل الى صيوانهِ وناموا ودخل حمزة الى صيوانهِ ووضع راسهُ على وسادتهِ واخذت الافكار في ان تردد الى فكرهِ من حين انشائهِ الى ان جاء بلاد كسرى وراى مهردكار وهي بذاك الجمال الباهر فكاد يغيب عن وعيهِ ويضيق صدرهُ كيف يكون الامير حمزة موفق الاعمال طويل الباع كريم النجار ولا يقدر ان يصل الى فتاة احبها واحبتهُ وصار الوقت بينهما صافٍ واخذت من ثم تمر الى ذهنهِ اعمال مهردكار ووفاؤها لهُ وانها اشد منهُ خلوصًا وظهر لهُ غلطهُ زواجهِ بزهربان ومريم بنت قيصر قبل ان يزف عليها حيث هي الفتاة الاولى التي احبها وسلمها قلبهُ وقال في ذاتهِ لا ريب انها تحسبني قليل المودة الى حد ان اخترت عليها غيرها وفضلت الوصول الى من كان من اللازم ان تكون في خدمتها ولما كان شخص مهردكار يلوح اليهِ ويظهر امام عينيهِ وفي ذهنهِ كانهُ يلومهُ ويعنفهُ على ما فعل وعلى رضائهِ بطول البعاد مع انهُ كان قادرًا ان يختار العرب على البعد فيتفق وابوها على ترك المدائن فياخذها ويسير الى بلاد العرب ويقيم في مكة مرتاحًا معها ويدع كسرى وشانهُ واذا تبعهُ الى هناك اذاقهُ الويل والهلاك اخذ في ان يعتذر اليها ويطلب منها السماح ويرجو منها ان تنتظرهُ الى ان يعود وان لا تعاملهُ كما عاملها اي ان لا تختار غيرهُ زوجًا والاَّ اذا فعلت ذلك فيكون حق وعدل ولم يبعد هذا الفكر عنهُ في اكثر ساعات تلك الليلة وهو يتقلب كالافعى على سريرهِ من جهة الى ثانية يلوم الزمان ويذم الدهر الذي ترك بينهُ وبين من احبها قلبهُ الوف من الاميال ومئات من البلدان والمدن والجبال العالية الشاهقة مع انهُ ملتزم ان يبعد ابعد من

ذلك وان امامهُ بلدان وعواصم يرى نفسهُ مضطرًّا الى المسير اليها واخيرًا وجد سلوى لنفسهِ بانهُ فكر ان لا بد لكل بداية نهاية وان الله اذا كان قسم لهُ الوصول الى مهردكار لا بد من اتمام تلك القسمة مهما طالت الايام وبعد عن الديار وفكر اخيرًا ان ما وقع لهُ من زواجهِ بزهربان ومريم ربما كان بسماح من الله تعالى لمقاصد يجهلها وهذا لا بد ان يكون عذرًا كافيًا لحبيبتهِ الجميلة اللطيفة وفي النهاية لاح لهُ ان ينشد فراقها وما لقي من بعدها فانشد

جوانحهُ جمر ومدمعهُ سكب ومطلبهُ صعبٌ وايامهُ حربُ
ولا دهره يرثي ولا الفهُ يفي ولا دمعهُ يرقى ولا نارهُ تخبو
فمن لعليل جسمهُ وفؤادهُ بحكم التجني للضنا والاسى نهبُ
ومستعجم الالفاظ من خمرة اللما على انها من دونها اللؤلؤ الرطب
اغنُّ اذا املى الحديث ترى الذي يحادثهُ من سكر الفاظهِ يكبو
لهُ سيف طرف سحر الحاظهِ لهُ فرند تكل المرهفات ولا ينبو
اذا عطفتهُ رحمة لمحبهِ ثنت قلبهُ عنهُ الملالة والعجبُ
يقول وقد افنى دمي بعد عبرتي بكاي فلا شيءٌ يجود بهِ القربُ
امالك قلب يا فتى فتذيبهُ ونسفحهُ دمعًا ليرضى بهِ الحبُّ
فليس بد بن الحب ان يصحب الذي تصاحبهُ الاشواق قلب ولا لبُّ
وما الحب الا ان تسيل مدامع تفيض دمًا صرفًا فتفتضح السحبُ
فقلت لهُ تفديك نفسي من الردى وليس من الانصاف ان يقتل الصبُّ
لقد طالما اذريت دمعي وطالما بكيت دمًا حتى ارتوى من دمي الترب
ولو كان قلبي باقيًا لاذبتهُ ولكنهُ اورى بهِ الشوق والكرب
فمن لي بقلب يشتفي بعذابهِ معذبهُ منهُ وان لم يكن ذنبُ
تداويت مما بي بكل مجربٍ صحيح افادتهُ الاطباء والكتبُ
فما ازددت الاَّ علة وصبابة ولم تنقض البلوى ولا نفع الطبُّ
فايقنت ان الحب ليس لهُ دوا على انهُ قد ينفع المدنف القربُ

فاذا كانت هذه حالة الامير حمزة وهو ينتقل من بلد الى بلد يشتغل بالحروب وبملاقات الابطال وما شاكل ذلك ولاسيما انهُ تزوج بفتاتين مال قلبهُ الى كل منهما ميلاً دعاه ان يرضى بقربهما وتكونا خصيصتين بهِ وتحت ظلهِ والثالثة ترافقهُ وتصرف وقتها على مؤانستهِ وتسليتهِ فكيف بالحري تكون حالة تلك المسكينة مهردكار التي لم يكن لها شغل يشغلها عن حبهِ ولا تجد سلوى من باب ولا تريد هي نفسها ان تلتهي او تفكر بغير حبهِ اذ لا تجد لذة الاَّ عندما تفكر بان الامير

حمزة هو حبيبها وانهُ سيكون زوجها وتكون امرانهُ وانهُ يقاسي عذابم الحروب والاهوال من اجل غاية واحدة وهي رضا ابيها والحصول عليها وفوق كل ذلك فانها كانت حزينة على الدوام متكدرة الخاطر منفطرة الفواد لسبب غياب الامير وانقطاع اخباره لانها كانت لاتعرف ما صار عليهِ وماذا جرى لهُ في اسفارهِ هل هو بخير موفق الاعمال ناجح المسعى وانهُ يعود اليها او انهُ اسير يلاقي عذاب الاسر والوثاق او انهُ جريح يأن من الم جرحهِ او هل هو قتيل قد انقضى عمرهُ ومضى حيث لا يعود وهذا الذي كان يجعلها على الدوام تذرف دمعًا مدرارًا وتطلب الخلوات والانفراد حتى عرف الكبير والصغير بما هي عليهِ وشاع صيتها بين نساء العجم ورجالهم واصبح حديثها في المحافل والسهرات . وهي لم ترَ بدًا من ذلك وتظن بنفسها ان لا احد يعرف امرها حيث لاترى خلفها ولا امامها الا الحب والغرام فلا تريد ان ترى احدًا ولا ان يراها احد اخنشاء من ان تضيع وقتًا عن التفكر بامير العرب ومن ترداد اسمهِ حتى ان في نفس تلك الليلة التي كان الامير موجهًا بافكاره اليها وينظم باشعاره يشتكي من شدة البعد ومن الم الحب كانت هي ملقاة على سريرها تنوح نوح الثكلى وتندب حظها وما لقيت في كل تلك المدة وقد حدثت نفسها قائلة الى متى يا ترى يكون غياب حبيبي ومنتهى املي لقد مضت عليَّ الايام والشهور وستمضي السنون والامير لا يرجع من سفره سيدور الدنيا باسرها وتبقى افكاري وقلبي وكلي في اسره ومن لي بان يخبرني عن حالهِ الان وما هو عليهِ وياخذ مني كل ما في يدي ماذا كان يضرُّ على الله تعالى لو كان قبل سفر حبيبي بايام انزل بغضبهِ على راس الوزير بختك فاماتهُ وبقيت انا وصاحبي على الهناء والراحة والحب والشكوى نجني ثمار الهوى ونقطف عن يانعهِ ناضج نتاجهِ . واحسرتاه من اين ارى ذلك والموانع عظيمة ولا بد ان يكون بيني الان وبين حمزة جبال ووديان لا يعلم مقدار بعدها الشاسع الا الله سبحانهُ وتعالى وماذا يا ترى كان يضر على الزمان لو انهُ اوجدني بنتًا لاحد اعوام الناس وبقي محافظًا على الحب بيننا لكان سهل عليهِ الحصول عليَّ والوصول اليَّ وكنت الان على خدمتهِ مخففة عنهُ كل تلك الاثقال والشدائد فماذا يا ترى يمكن الان ان اعمل وماذا يا ترى اقدر ان افعل لاكون مرتاحة لا شيء الاَّ قرب الحبيب والحبيب بعيد جدًا فاذًا لا راحة ولا هناء فالعذاب العذاب مستمر لي انا المسكينة . ثم زادت في نوحها وبكت عندمًا وانشدت

تباعدت عن الفي فياحر اشجاني ... وافردت عن صحبي فياطول احزاني
الفت البكا والحزن بعد فراقهِ ... فلو مرَّ بي ذكر السرور لابكاني
يعزُّ على قلبي فراقك سيدي ... فانك روحي وارتياحي وريحاني
يعزُّ على نفسي فراق حياتها ... فان فراق الالف والموت سيان

عجبت وقد فارقتهُ كيف لم امت لما بي من الاشواق من منذ ازمانِ
ويارب ليلٍ زار فيهِ مسهدًا يراقب وسنانًا باجفان سهرانِ
يرى عجبًا نوم المحبين في الهوى كأنْ لم يمرّ الغمض يومًا باجفانِ
ابى جفنهُ التهويم حتى كانهُ لقاء لئيم او عطية منانِ
ودارت كؤوس العتب بيني وبينهُ فقلت الا ترثي لميت هجرانِ
مضى عنفوان العمر في القرب والنوى فلا القرب ابراني ولا البعد اسلاني
تضاعف اشجاني اذا الصبح لاح لي وتشتد الامي اذا الليل اضواني
براني الضنى حتى خفيت عن الردى وعني وما ابلى صباي الجديدانِ
وغبت عن الابصار حتى كانني تردد راي جال في وهم حيرانِ
فانهلني كاس اعتذار عن الجفا فدبت دبيب الروح في بيت جثماني
تنصل عن ذنب الصدور بمنطقٍ الذ واشهى من سلاف ومن حانِ
وساقط درًّا من برود معطرٍ بهِ الشهد والراح الرحيق مشوبانِ
وعانقت منهُ لين العطف مثلما تعانق في مرّ النسائم خوطانِ
وابصرتهُ عطلاً مفضض جيدهُ فحليتهُ من دمع عيني بعقيانِ
وظل يناجيني باجفان ساحرٍ حريٍّ بتنبيه الصبابة وسنانِ
اذا شاء سلّ الروح مني بوحيها فاقضي ولا ادري وان شاء احياني
وبات الهوى والشوق يغري بلثمهِ وحكم التقى والصون عن ذاك ينهاني
ولم يزل الواشون في الحب يأثموا ضلالاً ويرموني بزور وبهتانِ
الى ان اشاعوا انني قد سلوتهُ والبعد من اشراكهِ فيَّ سلواني
فلو لم اخف شرع الهوى حين اغرقوا لاغرقتهم من فيض دمعي بطوفانِ
ارقت لبرق بات يشتم تارة ويعرق اخرى لاكليل ولا واني
تضيءُ لهُ الافلاك حتى كانها ضمير اخي شرك بهِ بعض ايمانِ
فلو كشفوا عني الرداء لابصروا صفير رياح في عظام فتى فاني

ومع ان هذه الابيات تشفي قلب الصخر اذا كان يتقلب على جمرات من الهيام الاَّ انها زادت قلب مهردكار حرقة وشدة هيام ووجدًا وغيبتها عن هداها وذهب بها ضعف القوى الى ثبات نوم طويل ادركها بالرغم عنها ليحفظ فيها بقية حياة الى حين عودة الامير حمزة

قال ولنرجع في كلامنا الى معسكر العرب فانهم بعد ان صرفوا مدة ايام عند قاهر الخيل في مدينة عكاء وهم بين المسرة والبسط حتى اجتمع عندهُ كل المال المطلوب فدفعهُ الى الامير

حمزة ودفع اليهِ كتاب الملك كسرى الذي جاءهُ باهلاكهِ وبعد ذلك ركب قاهر الخيل في خدمة الامير وركب معهُ نحو ثلاثين الفًا من رجالهِ وعساكر مدينتهِ وحمل كل ما يلزمهُ من المؤن والذخائر وركب الامير حمزة وسادات العرب وعساكرهم ورحلوا عن تلك الارض وخرج الى وداعهم حاكم المدينة الذي اقامهُ حمزة عليها واوصاهُ ان يكون منذ تلك الساعة في حكم مكة المطهرة وان يرسل الاخرجة من بعد سبع سنوات الى ابيهِ ابراهيم ولما بعدوا عن تلك الديار سال الامير اخاه عمرًا اي البلاد نقصد قال لهُ اننا قد انتهينا من عواصم سوريا وسندخل على مصر وناتي عاصمتها وعليها ملكان عظيمان وهما اخان احدهما سكاما والاخر ورقا وفي مصر عساكر كثيرة وابطال عظيمة وهي مع انها حارة هواؤها نافع للصحة وماؤها جيد . قال واي اله يعبدون . قال هم مختلفو المذاهب فبعضهم يعبدون الاصنام وبعضهم النار والبعض الاخر العجل الى مثل ذلك ويوجد بينهم افراد يعبدون الله ويكرمون انبياءهُ غير انهم لا يقدرون على التظاهر لقلتهم . قال لابد ان اجعل هذه البلاد كغيرها من البلاد التي اتيتها فادخلها في طاعتي واجعل اهلها على دينهِ تعالى واسالهُ ان يسهل الامر هناك حتى انتهي من بلاد مصر حالاً وارى الى ما يكون بعدها

ثم انهم بقوا سائرين على طريق مصر يقطعون البراري والسهول والاوعار ويمرون في طريقهم على المدن الصغيرة والقرى ولا يضرون منها ولا واحدة بل يصرفون من اموالهم حتى خرجوا من الاراضي المقدسة ودخلوا في حدود مصر فجفلت منهم سكان تلك الاراضي من كل الجهات فالبعض استقرّ في مكانهِ والبعض رحل يطلب القاهرة عاصمة البلاد لينضم الى سكاما وورقا حاكمي مصر ودامت العرب في مسيرها مسرعة في الجري تحت راية الامير حمزة العرب حتى اكتشفوا القاهرة وبانت لهم وهي مزدحمة البنيان عامرة الاسوار مشيدتها من كل مكان وحينئذٍ امر الامير رجالهُ ان تنصب الخيام في مكان مقابل للمدينة وان تترك الخيول والاغنام والجمال خلفها في مراعي مصر على شطوط النيل ويقام عليها الحراس من كل الجهات خوفًا من ضياعها في تلك السهول الواسعة وبعد ذلك اخذ الامير قلمًا وطرسًا وكتب الى سكاما وورقا كتابًا يقول لهما فيهِ

من فارس برية الحجاز ومبلي الاعداء بالويل والهلاك حمزة العرب وحاميهم الى سكاما وورقا ملكي مصر

لقد بنيت لي في ذروة المجد مكانًا وجعلت مقامي فوق كل مقام وساعدتني العناية الالهية حتى اصبحت نافذ الكلمة معزوز المكان ولديَّ من الابطال والفرسان ما يعجز عن قتالهم ابطال الانس ومردة الجان وسار في خدمتي كثير من ملوك هذا الزمان وساداتها الاعيان . حتى وصلت الى هذه البلاد

ولا بد ان تكون قد وصلت اليكما كتابة كسرى وشرح لكما ما شرحهُ لغيركما من الملوك الذين عرفوا الحق فاتبعوهُ وراوا البطل فخالفوهُ ولاجلهِ اني اطلب منكما الان ان تاتيا اليَّ صاغرين وتظهرا لي انكما على طاعتي ومخالفة الملك كسرى فتنالان بذلك خيرًا وترفعان عن بلادكما شر الحروب وثقلها فتدفعان لي الاموال المطلوبة عن سبع سنوات ومن ثم لا تعودان الى دفع بارة واحدة لكسرى وهذا ما اخبركم بهِ والسلام

وبعد ان كتب هذا الكتاب سلمهُ الى اخيهِ عمر العيار واوصاهُ بان ياتي بالجواب من عند سكاما وورقا ويعرف هل هما عاصيان او على الطاعة والتسليم. فسار الى ان دخل ابواب المدينة فاستدل على دار الاحكام فاخذ اليها وكان سكاما وورقا بانتظار كتاب من الامير حمزة لانهما عرفا من حين دخولهِ باراضي مصر باتيانهِ مع ان كتابة كسرى كانت قد سبقت فتحذرا واقاما على ما بجناجانهِ ودبرا ذلك. ولما اطلعا على كتابة الامير قالا لعمر معاذ الله اننا نخالف العرب او نفعل غير ما يرضي اميرهم حمزة ونحن لا نقبل قط ان نحاربهُ او نخالفهُ بل نريد ان نخلص من شره وندفع لهُ الاموال والاخرجة فسر اليهِ الان واخبرهُ اننا عن قريب نكون عندهُ مع السادات والاعيان فعاد عمر الى ان وقف في صيوان الملك النعمان واعاد على العرب ما سمعهُ من سكاما وورقا وقال ان ظاهرهما يدل على حسن طوية وصفاء باطن غير ان ما اظنهُ انهما يكمنان خلاف ما يظهران. وما لبث نحو ساعة من الزمان حتى جاء سكاما وورقا وسادات مصر فدخلوا جميعًا على صيوان الملك النعمان وسلموا على العرب وترحبوا بهم غاية الترحيب واظهروا انهم يريدون مصاحبتهم والوفاق معهم ولا يريدون المخالفة قط فطمنهم الامير ووعدهم بكل خير ونجاح وانهُ سيرفع عنهم كل ثقلة ومن ثم اقاموا هناك مدة من النهار وبعد ذلك قصدوا الرجوع الى البلد فطلبوا من الامير ان ينزل في الغد اليهم مع سادات قومهِ حيث انهم قد اعدوا لهم ما دبة فاخرة ولا بد من نزول الاعيان الى المدينة لاجل الفرجة عليها وعلى كل جهاتها حيث ان فيها من التحف ما لا يوجد عند الملوك الكبار اصحاب العواصم المشهورة والممالك العظيمة فوعدهم الامير حمزة بذلك وصبر الى اليوم الثاني وفي الصباح طلب من الامراء ان ينزلوا معهُ المدينة فقالوا اننا لا نقدر على رفقتك فقد حذرنا الامير عمر من ذلك ورأينا تحذيرهُ بمكانهِ اذ اننا نخاف ان يكون قصد سكاما وورقا الغدر بنا. قال لا ظن ذلك ولا يقدران عليهِ واذا كانا يقصدان لنا شرًّا فان الله سبحانهُ وتعالى يقينا منهما فنهلكهما ونبيدهما. قالوا لا يمكننا ان ندخل المدينة الاَّ بعد الاستيلاء عليها. قال لا بد لنا من الدخول لاننا وعدناهما وعدًا صادقًا بقبول ضيافتهما وليس من شيمة العرب الرجوع عن وعدهم كيف كان الحال قالوا انك تطلب ما لا يمكن وقوعهُ منا فاذهب انت ونبقى نحن هنا الى حين عودتك والاَّ فليس من العدل ان نترك الجيش عرضة للمصائب

والاهوال وما من موجب لذهابنا نحن فنلتمس اليك ان تسمح لنا بالبقاء هنا والقيام على المراقبة لنرى ما يكون لنا ولسكاما وورقا . فقال لكم الخيار واما انا فاني لا بد من ان اذهب الى ضيافة سكاما وورقا لانهما دعياني فقبلت ووعدت بالمسير اليهما ثم انهُ امر اخاهُ عمرًا ان ياتي اليهِ بالجواد فجاءهُ بهِ فركبهُ وسالهُ ان يسير معهُ فقال لهُ اني اشارطك من هنا ان اسير معك واعود حالما تدخل السرايا وعندما اعرف ان الوقت قد حان لرجوعك اعود بالجواد لاتي بك ولا اسلم نفسي الى ايادي سكاما وورقا لاني انا الذي حذرت امراء العرب منهم فكيف ارمي نفسي في حفرة ابعدت غيري عنها . قال افعل ما بدالك واذ ذاك تقدم معقل البهلوان وقال للامير حمزة اني اسير معك ولا افارقك ومهما جرى عليك يجرى عليّ . وركبا في الحال وسارا وبين ايديهما عمر العيار حتى دخلوا من ابواب المدينة وجاءوا قصر الاحكام فنزل الامير عن الجواد ومعقل ورجع عمر بالجوادين الى معسكر العرب

فلما دخل حمزة على سكاما وورقا ترحبا بهِ غاية الترحاب وسالاه عن باقي فرسانهِ فقال لهما انهم في المعسكر ولا يقدرون على ترك رجالهم ومحافظة الجيش ولاسيما فهم يرغبون في دفع الثقلة عنكم فقالوا ما من ثقلة في ذلك وقد اعددنا وليمة كافية لكل العرب ولا بد من حضورهم واننا سنذهب اليهم ثانية وندعوهم للحضور في وليمتنا ولا بد من ذلك قال لا يمكن حضورهم ولا ياتون قط . فسكت الاثنان وفي قلبيهما نار الاحتراق كيف ان الفرسان لم تاتِ مع الامير لتنفذ غاياتهم في الجميع . واقاما على خدمة الامير ومعقل بهلوان ولم يظهرا على ذاتهما الاَّ الحب والمودة واللطف كل ذاك اليوم وفي المساء الى اليوم الثاني وفيهِ تقدم سكاما وقال لحمزة حيث قد جئت الى بلادنا فاني اطلب اليك اذا شئت ان تاتي القصور والقلاع ومحلات النزهات لتراها وتتفرَّج عليها وتنظر هل ما رايتهُ في غير بلاد يذكر بشيءٍ بالنسبة الى بلادنا . اجاب احسنت فاني ارغب في الفرجة والنظر في عجائب مصر واثارها ومتانة الابنية فيها . ونهض في الحال ونهض معهُ معقل البهلوان وسار معهما سكاما وورقا فذهبوا اولاً الى جهة النيل فطافوا في اكثر انحائهِ ودخلوا الحياض والرياض المحيطة بهِ والتي تسقى منهُ ثم جاءوا القصور واحدًا بعد واحد والامير حمزة يتعجب مما راى ويشاهد من متانة تلك العواميد الرخامية وطولها وضخامتها وهي مع كبرها العجيب قطعة واحدة ومن النقش والحفر والنتو وكل صنعة عجيبة حتى كاد يوخذ عقلهُ واخيرًا جاءوا قلعة في جهة اواخر المدينة وهي من الحجر الاحمر الناعم وبابها من الحديد السميك المصقول فدخل الامير وجعل يتفرج على جدرانها ولم يكن بها قط من نافذة الاَّ في اعاليها على بعد نحو عشرين ذراعًا من الارض من جهة الداخل فراى الامير حمزة في تلك القلعة من الانساع وكثرة الغرف والدهاليز ما حير لهُ فكرهُ وانشغل بالفرجة حتى اغتنم سكاما وورقا تلك الفرصة فجاءا الى جهة

الباب. واسرعا في الخروج واقفلاهُ فسمع لصوت اقفاله قرقعة عظيمة انتبه اليها الامير والتفت الى سكاما وورقا فلم يرَهما فقال لمعقل البهلوان حيلة عظيمة ومصيبة كبيرة فاسرع بنا في اثر الخائنين ثم ركضا الى جهة الباب فوجداهُ مقفلاً وسمعا صوتهما في الخارج فصاح بهما الامير حمزة وقال ماذا تقصدان بهذا العمل وما من داعٍ للغدر بنا بعد وقوع الحب والولاء فقالا لهُ لا سبيل بعد لخروجكما من هذا المكان فموتا كمدًا لا يعلم بوجودكما احد قال ستندمان فيما بعد حيث لا ينفع الندم لان فرسان العرب متى علمت بغدركما لاتتركهما بل تزحف على المدينة وتاخذ لنا بالثار منكما . قال سوف ترى ما يحل بقومكما .ثم اعرضا عنهما وذهبا في طريقهما وبقي الامير والبهلوان يتحرقان ويتاسفان على ما وقع منهما ويتندمان على تسليمهما للاعداء عن جهل واعظم شيء كانا يتكدران لاجلهِ هو ان لا خبز ولا ماء عندهما للاكل والشرب ليبقيا على الحياة ويصبرا الى حين يسمح الله بخلاصهما ولذلك كان يترجح لهما الهلاك والموت جوعًا وعطشًا وهذه شر ميتة واكبر عذاب . وكانا يتمنيان الخروج ولا يقدران ولا يجدان من مخلص لهما وقد طافا في كل الدهاليز والمخاريق ليريا نافذة يتمكنان من الخروج منها فلم يريا الا ان نوافذ القلعة كانت عالية جدًا لا يمكن الوصول اليها ولا التسلق على الحيطان لنعومتها ومع كل هذا فان الامير كان ينظر الى نفسهِ نظر الصابر ويظهر لهُ ان الله لا يتركهُ ولا بد من ان يسهل لهُ طريق الخلاص وبقي مع معقل البهلوان على مثل ذلك الى ان اخذ نور النهار يتناقص وينسحب شيئًا فشيئًا من القلعة فتسود جدرانها ويظلم خلاؤها وكلما غاب النور عن اعين الامير زاد غيظًا وكدرًا من عمل سكاما وورقا وزاد على معقل البهلوان الهم والويل وقطع رجا

قال واما سكاما وورقا فانهما بعدا عن القلعة وهما بفرح عظيم من جرى نجاحهما وقد قال الاول للثاني قد انقضى امر الامير وفزنا بالنجاح التام من جهتهِ ولم يعد لهُ وسيلة للرجوع الى هذه الدنيا حيث يموت مع رفيقهِ جوعًا في هذه القلعة وبعد مدة نرسل فنخرج جثتيهما ونرميها للكلاب وياحبذا لو تمت حيلتنا على العرب باجمعهم ولكن ان ضميري يقول لي ان الذي حذرهم هو ذاك الرجل الشيطان الرفيع الايدي والارجل الذي لم ارَ مثلهُ بين الناس فانهُ كان ينظر الينا نظر العدو كانهُ مطلع على ما في سرائرنا . قال ورقا الان قد انتهينا من امر الامير ولم يبقَ من وسيلة لعمل حيلة على فرسان العرب وصار من اللازم مبادرتهم بالحرب والقتال . قال اننا بانتظار الامير غيلنشم الفارس الضيغم حاكم دمياط وقد بعثت اليهِ بالرسالة اطلب منهُ السرعة بالحضور فهو فيهِ الكفاءة لفناء كل فرسان العرب والان ايضًا سابعث اليهِ برسول اخر اعجل حضوره باقرب آن ولما وصل الى الديوان بعث برسول الى دمياط يطلب حضور الامير غيلنشم وهو يظن ان بواسطتهِ يقدر ان يهلك العرب ويبيدهم عن اخرهم .ثم بعد ذلك دعا بجماعة من عساكر مصر

وقال لهم اريدُ منكم ان تقفوا عند ابواب المدينة فاذا رايتم احدًا دخل من عساكر العرب او فرسانهم فاقبضوا عليهِ واحضروهُ حالاً لنذبحهُ ولاسيما ذاك العبد الاسود او بالحري العفريت الشيطان النجس . فاجابوا قولهُ واقاموا على الابواب وهم بالاسلحة والعدد ونام سكاما وورقا تلك الليلة براحة بال وفي ظنهما قضيت الاشغال وارتاحا من الامير ونفذت غاية كسرى ولا بد من ان يكافينا على ذلك

وفي الصباح نهضت جماعة العرب من مراقدها واجتمعت الى صيوان الملك النعمان وحضر بينهم عمر العيار وقال لهم اني اذهب الان الى المدينة لارى ماذا جرى على اخي ومعقل فاذا كانا بخير عدت واياهما والاً فاجس الاخبار واعود في الحال ثم انهُ اخذ معهُ بعض العيارين لسوق الجوادين الى ان وصل الى باب البلد فقال للعيار ابقَ هنا بالجوادين الى ان اعود اليك ثم دخل من الباب ومشى قليلاً في السوق فراه العساكر القائمة على الباب وصاحوا بهِ وانحدروا عليهِ وطلبوا مسكهُ من كل جهة وداروا من حواليهِ وكان يبلغ عددهم نحو الالف فارس . وعند ما تاكد عمر وقوعهُ في المدينة ثبت عندهُ ان المصريين غدروا بالامير حمزة وانهم يقصدون مسكهُ وفي الحال استل سيفهُ ذا الشطلين وانحذف على المصريين وجعل يضرب بهم ضرب ابطال الرجال وهو ينادي بهم ويلكم ايها الاوباش انتقصدون الوقوع مع عزرائيل قابض الارواح فلا بد من هلاككم وابعاتكم الى الاخرة وهو يمددهم على بساط البسيطة وكلما قربوا منهُ قفز من بينهم كالغزال وحلقهم الى جهة ثانية وسيفهُ يعمل فيهم وارتفع الصياح في المدينة وانتشر الخبر من مكان الى مكان حتى بلغ الخبر سكاما وورقا فارسلوا العساكر لتقبض عليهِ ولذلك صارت الرجال تتكاثر على عمر وهو يتخلص منها بخفة عجيبة الى ان ازدادوا عليهِ فوق الحد فقصد الاسوار وهم يصيحون اين تنجو يا لئيم فلا بد من القبض عليك وشدك بالوثاق وضمك الى فارسكم حمزة وكانوا يظنون ان لاخلاص لهُ من المدينة لان ابوابها حديدية مقفلة واسوارها عالية غير ان عمر لما سمع ان اخاهُ قبض واسر قفز عن الارض الى اعلى الباب ومن هناك الى سطح قلعة داخلية وارتفع عن العساكر وبعد عنهم وقفز من هناك الى اعلى السور . ثم قلب من ذاك المكان المرتفع الى الخارج حتى اخذ بالعقول وابهر النواظر وتعجب منهُ كل من في المدينة واما هو فانهُ لما صار في الخارج اسرع الى ان وقف في صيوان الملك النعمان فاخبرهُ بكلما جرى عليهِ وما سمعهُ من عساكر مصر عن اخيهِ حمزة فتكدر النعمان وباقي الفرسان كدرًا عظيمًا وقالوا الحمد لله الذي لم نوافقهُ وننزل معهُ فاننا لو وافقناهُ لكنا الان بالاسر ومن بعدنا تشتت رجال العرب اما الان فاننا نقدر على حماية انفسنا الى حين خلاصهِ وفينا الكفاية للقيام مكانهُ وعند وقوع القتال ناسر سكاما وورقا فنفديهما بالامير حمزة ومعقل البهلوان ومن ثم اخذت العرب تستعد

للقتال والحرب والنزال وهي حزينة على ما حل بفارسها واميرها.ومتكدرة من عمل الملوك كيف انها تعمل على الغدر والخيانة . واما سكاما وورقا فلما بلغهما ان عمرًا نجا بنفسهِ وتخلص من المدينة زاد غيظهما منهُ وكدرهما وقالا هو بالحقيقة كما قلنا ليس من الانس بل من الجان والاَّ كيف كان يقدر على ان يقفز السور الذي ارتفاعهُ اكثر من خمسين ذراعًا فما هذا الاَّ من عجائب الزمان ووقوعهُ في يدنا من المستحيل الاَّ اذا كان بالحيلة او بطريق اخر

قال وكان لسكاما بنت بديعة الحسن مجملة بالجمال مشهورة بالمدينة بين نسائها وكانت تذهب في اكثر اوقاتها للنزهة في ضواحي النيل وفي غير منتزهات وهي مطلقة الحرية من ابيها بالذهاب والاياب . وكانت عندما تذهب الى النيل تركب مركبًا وتسير فيهِ ساعات ثم تعود وكان على النيل وكيل من قبل سكاما وورقا اسمهُ اسمندار فلكثرة ترددها عليهِ ومرورها من تلك الجهة وقع بحبها وعشقها عشقًا عظيماً غير انهُ كان لا يقدر ان يفاتحها بشيءٍ من حبهِ خوفًا منها ومن ابيها كونهُ كان في الاصل نوبيًا ثم اقيم وكيلاً على مراكب النيل وعرف نفسهُ انهُ اذا باح بذلك قتل لا محالة فبقي صابرًا على هواهُ وهو يشتد يومًا فيومًا حتى اصبح من العشاق الكبار وكادت تعتريه الامراض والاسقام ويقع بالويل والعذاب وهي تلحظ منهُ ذلك وتعرف محبتهُ لها الاَّ انها كانت تعرض عنهُ لعلمها انهُ خادم لها ولا يليق بها ان تتخذهُ حبيبًا لا سيما وان قلبها لم يمل اليهِ كما مال قلبهُ اليها واتخذت ذلك على سبيل العادة ان قلب كل رجل يميل الى اي فتاة كانت بشرط ان تكون جميلة ولو راها اقل خدمها او خدمة ابيها لاحبها ومال اليها غير انهُ لا يمكن ان يكون حبيبًا لها . وفي تلك الايام لما عرفت بقدوم العرب مالت نفسها للنظر الى فرسانهم لتعرف هل فيهم من الرجال من هو بحسب مشتهاها وطلبها حيث كل رجال مصر كانت غير راضية منهم وما فيهم من كانت تامل منهُ ان يكون لها زوجًا وعندما جاء الامير حمزة ومعقل البهلوان اقامت في مكان يمران فيهِ ونظرت اليهما فاعجبت من حسنهما وجمالهما وعظم هيئتهما ووقع من قلبها معقل البهلوان ومالت اليهِ كل الميل وقالت اني اكون سعيدة اذا حصلت على مثل هذا الامير وصار لي زوجًا وصرت لهُ امراة ولكن من اين يتم لي ذلك وهو لا يعرفني ولا يعلم بي ولا اطلع على حبي وميلي ولا ريب انهُ اذا عرف ذلك وراني وراى ما انا عليهِ من الحسن مال اليَّ ووافقني على غايتي ولذلك صار من الواجب عليَّ ان اسعى في امر خلاصي من هذا الحب بوقت قريب اي اني اجهد النفس في ايجاد وسيلة توصلني اليهِ فاجتمع بهِ واعرض عليهِ حالي واسالهُ ان يطلبني من ابي زوجة لهُ وبقيت مصرة على ذلك تنتظر الفرصة المناسبة الى اليوم الثاني وهي تترقب الاخبار وتلاحظ وجودهم وتطلب ان ينتهي ابوها من ضيافتهِ حتى تسير اليهِ فعرفت بسيرهم في النيل الى الجهة الثانية فسارت هي كعادتها واخذت مركبًا وسارت

الحليه للنزهة مع بعض قهرماناتها وصرفت وقتاً هناك الى ان رات اباها وقد عاد لوحده فتكدرت كدرًا عظيمًا وكان في كل نيتها ان ترى معقل البهلوان عائدًا مع ابيها فتحتال الى ان تراه ويراها ولو لحظة . ونقدمت من ابيها وسلمت عليه وقبلت يده وجعلت نفسها كانها تجهل مكان مسيره فقالت لهُ اين كنت يا ابي من هذه الجهة وكان بعلمي انك في القصر وقد اضفت العرب واكرمتهم واراك الان وحدك ومن كان مثلنا لا يكرم من مثل هولاء الاجلاف . قال اني ما اضفتهم واكرمتهم واظهرت محبتي لهم الا وفي نيتي عملاً وقد عملته وانتهيت منهُ وحصلت على غايتي من اقرب الطرق فاظهرت على نفسها الفرح وقالت ماذا عملت اهل ابعدت العرب عنا اجاب كلاً بل احتلت على الامير حمزة ورفيقهِ فادخلتهما قلعة النيل واقفلت عليهما ولا بد ان يموتا جوعًا فيها ويدفنان تحت اسوارها الى يوم القيامة وهكذا قطعنا راس الحية ولم يبقَ علينا الا ذنبها وسوف تاتي الينا الفرسان من كل مكان فنبيد العرب الباقين ونرتاح منهم فشكرتهُ على عملهِ وسارت في طريقها مع خدمها وقهرماناتها وسار هو مع اخيهِ ورقا في غير طريق ولا زالت سائرة حتى دخلت قصرها وهي غائبة عن الصواب فاقدة الحواس متكدرة من غدر ابيها وخيانتهِ خائفة على موت الامير في تلك القلعة ثم انفردت في احدى الغرف وجعلت تبكي بكاء مرًّا نحو ساعة واخيرًا نهضت واقفة وقالت ماذا يا ترى يفيدني البكاء اذا لم اكن صبورة واغتنم هذه الفرصة واسلك مسلك الابطال واتوصل الى خلاصهما وانا قادرة عليهِ اذا استعملت الهمة والفكرة وارى من الواجب قبل كل شيء ان اسعى في اخذ الطعام والماء اليهما ليقدرا على الصبر الى حين خلاصهما ولا سيما اني محتاجة الى ان اعرفهما بنفسي قبل خلاصهما واني اعمل معهما جميلاً فاطمنهما بالخلاص وبعد اقداح الفكرة عرفت ان لا احد يقدر ان يعينها على ذلك الا اسمندار وكيل النيل فانجلى لها وجه الامل فادعت احدى قهرماناتها وكانت مخلصة لها كاتمة لاسرارها فقالت اريد منك ان تحضري طعامًا فاخرًا وتضعيهِ في اوعية من النحاس وتقفلي عليهِ وتاتيني بها مع وعاء من الماء وعدة ارغفة قالت ولمن ذلك . اجابت سوف تسيرين معي وتعلمين لمن فقط اريد ان تكتمي ذلك وفي الليل نسير معًا فاجابت القهرمانة طلبها واعدت ما امرتها بهِ الى ان كان الليل فجاءتها بالطعام وما طلبت فنهضت ولبست اخف ثيابها وامرت القهرمانة ان تسير امامها وتحمل الاوعية وسارت هي من خلفها لا يعلم احد ابن تسيران الى ان وصلتا الى شاطئ النهر بالقرب من مكان اسمندار فقالت للخادمة ابقي انت هنا بالطعام الى ان اعود اليك ثم دخلت المكان ودعت بالوكيل اليها فطار عقلهُ وغاب صوابهُ وهو لا يصدق بذلك وترحب بها مزيد الترحيب وقال لها ما السبب الموجب لحضورك ياسيدتي عندي في مثل هذه الساعة ولو لم يكن من غرض مهم لما خاطرت وخرجت تحت الظلام فمريني بكل ما تريدين فاسعى في خدمتك ولو

كان بذلك هلاك روحي وضياع حياتي . قالت نعم اني اقصد لك امرًا فيهِ الخير والنجاح وهو
اني منذ زمان وانا واقعة بحبك واكتم ذلك خوفًا من ابي لانهُ اذا علم بهِ يمينك لا محالة ويقصد
هلاكك فالتزم انا ان اموت وبقيت صابرة على ذلك الى هذه الايام حتى لاح لي وجه الخلاص
ورايت من الواجب ان احضر اليك واطلب منك المساعدة على قضاء مصلحتنا وقد قلت في
نفسي انك اذا وافقتني على هذا الحب اي ان تكون لي زوجًا واكون لك امراة سعيت في اتمام ذلك
والا فاذا امتنعت ولم تجب طلبي رميت بنفسي في النيل وذهبت طعامًا للسمك . فلما سمع منها
هذا الكلام طار قلبهُ شعاعًا وقال هل عن صحيح تتكلمين ياسيدتي أ انت تحبينني وتقبلين ان اكون
لك خادمًا . قالت وما السبب لاتياني اليك في مثل هذه الساعة اليس عن حب قاتل فاضح فرمى
نفسهُ على اقدامها يقبلها فرفعتهُ وقالت لهُ ليس الان وقت شكوى بل وقت تدبير ونظر في الامور
قال اني مائت على الحصول عليك ونفسي تطلب الموت على الدوام والخلاص من هذه الحياة
وكنت موكدًا اني لا احصل عليك ولا اقدر ان افوه بكلمة من حبك واعرف اني اذا ذكرت
ذلك اموت قتلاً من ابيك حتى سمح لي الزمان ان اراكِ عندي وبك مثلما بي فانظري في ماذا
تريدين فاني اقدر ان اخاطر بنفسي في سبيل قولك والطاعة لامرك . قالت اعلم اني صرفت
الوقت في التفكر والتدبير طول هذه الايام الى ان بعث الله من ينتشلني مما انا بهِ ولاح لي وجه امل
قوي فاردت ان لا اضيع هذه الفرصة فجئت اليك لتساعدني فيها وانا كافلة لك اتمام العمل
اجاب اذا شئتِ سرت واياكِ الى غير هذه البلاد واختبئنا من وجه ابيكِ . قالت ماذا يفيد
ذلك فانهُ قادر على القبض علينا في كل ساعة ودقيقة وفي ذلك مخاطرة وطريق النجاة ضعيف جدًا
ولكن حيث ان العرب قد جاءوا بلادنا ولا بد لهم من الاستيلاء عليها والتملك على كل انحائها
وفيهم فرسان لم يخلق الزمان مثلهم ولا سيما اميرهم حمزة الذي خافهُ كسرى انوشروان وسائر
الموك العظام وقد عمل عليهِ ابي حيلة واقفل عليهِ في قلعة النيل ولهذا اردت الان ان اوصل
اليهِ الطعام على امل ان اسعى في خلاصهِ ومتى اطلق وعرف جميلي معهُ كافاني بكل خير وعندي
انهُ بعد الاستيلاء على البلاد يسلمها الينا فنكون قد اجتمعنا ببعضنا وبقي الملك بيدنا . اجاب لقد
اصبت في ذلك وما من وسيلة اسهل من هذه والان مريني ماذا تريدين فافعل وان سالتني
الموت لمت في هذه الدقيقة قالت سر بنا الى امام القلعة واحضر لي سلمًا عاليًا يصل الى شباك
فيها اقدر ان ادلي الطعام منهُ اجاب كل ما تامرينني بهِ فهو حاضر ولا اخالف لك قولاً ثم احضر
القارب فقطع النهر واياها وابقت القهرمانة هناك واخذت السلم والطعام وسارت وبين يديها
اسمنديار الوكيل يحملها حتى جاءت القلعة فوضعت السلم وصعدت عليهِ حتى صارت على اعلاهُ
وطلت من الشباك وصاحت الى الامير حمزة الافقدم الى هذه الجهة ايها الامير فارتاع عند سماعهِ

كلام فتاة وقال من انت وماذا تريدين وفي اي جهة . قالت اني واقفة في الشباك الذي فوق الباب وقد اتيت بالطعام لكما والماء فاقرب من الباب وخذهُ فسأدليهِ من هنا واما انا فاسمي درة الصدف بنت الملك سكاما ولا بد لي من السعي في خلاصك وخلاص رفيقك باقرب وقت فكونا براحة . قال جزاكِ الله عنا خيرًا ولا بد لنا ان نكافيك بكل ما تطلبين وتريدين اجابت لا اريد الاَّ امرًا واحدًا وهو ان اعرف اسم رفيقك ومن هو فقد رايتهُ في النهار ولم اعرفهُ وتكدرت جدًّا من عمل ابي . قال هو معقل البهلوان احد سادات العرب واخي ورفيقي ولا بد ان تسري منهُ ولا يضيع لك تعب وعرف الامير حمزة ان درة الصدف قد وقعت بمحبة معقل فاراد ان يطمنها بهِ . ثم تقدم الى جهة الباب فوجد انها دلت الطعام والماء فتناولهُ وهو لا يصدق بانهُ يحصل عليهِ وقال لها نريد منك ايتها السيدة الكريمة ان تاتينا في الغد بالنور مع الطعام ليثما يسهل لك الله سبحانهُ وتعالى خلاصنا ونخرج من هذا الحبس المظلم ولو عرفنا ان اباكِ يغدر بنا لما قدر ان يتوصل الينا ولو جمع رجال الارض باجمعها وطوائف الجان برمتها قالت اني اعرف ذلك وسافادي بنفسي من اجلكما وحيث ان مفتاح هذه القلعة مع ابي سأترقب الفرص للحصول عليهِ وفي الغد اتيكما بالنور مع الطعام

ثم ودعتهما ونزلت من اعالي السلم فوجدت اسمنديار لها بالانتظار فقالت لهُ لقد فزنا ببعض المطلوب ولا بد بمساعدتك ان نفوز بالمطلوب كلهِ فنخلص الامير حمزة ونتكل عليهِ حتى اذا ملك البلد كافانا على جميلنا بما نريدهُ منهُ فهو رجل رقيق حليم كامل لا يترك لنا هذا المعروف ولو كلفهُ خراب البلاد وهلاك العباد . اجاب عفاكِ الله لقد نظرتِ موضع النظر وستجديني على الدوام في خدمتكِ وتحت امركِ وسارت واياهُ حتى جاءا النهر وقطعاه على القارب ووصلا الى بيتهِ فاخذت القهرمانة وسارت من هناك بعد ان وعدتهُ انها في اليوم التالي تاتي اليهِ فاطمأن باله وهدأ روعهُ وقال لها لقد علقت بك بحب عظيم وكنت خائب الامل حتى ثبت عندي انك ستكونين لي فارجوكِ ان لا تنقطعي عني فاموت . قالت معاذ الله فان ما بي من هواك هو مما لا اظنهُ بك لاني حملت اثقال التعب ومشاق المسير تحت ظلام الليل وعرضت بنفسي للخطر ومخالفة ابي املاً بنوال ماربي واما انت فلم تسلك هذا السبيل ولا سعيت وراءهُ اجابها اني كنت قبلاً لا اجسر لعلمي اني اطمع بما لا ينال واما الان فحيث عرفت حبك فاركض اكثر من جهدي الى كل مكان يفيدنا . وسارت عنهُ وتركتهُ معلق القلب والامل وهي مسرورة بنجاحها وتوفيقها في مهمتها وتامل ان نتوصل الى اخراج حبيبها والامير من القلعة فتفوز بالغاية والمراد وبقيت سائرة الى ان وصلت الى قصرها فدخلتهُ والقت نفسها على سريرها وهي مؤملة بانها في ليل الغد ستعود الى حبيبها بالطعام واخذت تتفكر فيهِ وترى من نفسها لذة لم تكن تعرفها قبل ذلك لانها

قدوبت ان تخدم من احبت وحرف انها سلكت طرق المخاطر تحت ظلام الليل من اجلهِ فسيرى عملها هذا حيداً ويحلهُ من قلبهِ محل الاعتبار ومن الموكد ان الحاب يشتاق على الدوام ان يقدم ما في وسعهِ لمن احبهُ ويلذهُ جداً ان يكون قادراً على انفاذ ما آربهِ بتقديم الشيء الذي يحبهُ ولا سيما اذا كان مقبولاً يرضيهُ ويسرّ منهُ فيحسب ذلك فضيلة لهُ ويعتبرهُ وينظر اليهِ بعين الحب وبالعكس اذا كان المحب مغرماً ويسالهُ شيئاً او يحتاج الى شي وهو غير قادر على تقديم ذلك الشيء اليهِ فيتكدر وتنفطر مرارتهُ ويرى الموت اسهل جداً من عدم اقتداره على اكرامهِ او مساعدتهِ او تقديم ما يحتاجهُ ويضطرّ اليهِ فقدر الله كل محبوب على مرضاة من احب . كما قدرت درة الصدف على احياء حبيبها وتقديم الطعام اليهِ وهو بحالة ياس وقطع رجاء ينتظر الموت دقيقة فدقيقة ولم يكن يخطر لهُ ولا للامير حمزة من ان ياتي احد لمساعدتهما من داخل المدينة وان هذه الفتاة التي هي بنت العدو الاكبر لها الذي سعى في هلاكهما ومحو اثارهما تكون المساعدة لهما والمحبة لاحدهما فتخاطر بنفسها وتاتي بالطعام الفاخر والماء المحيي

قال وكانت حالة الاميرة سلوى حالة هم وغم وكدر وهي لا تقدر ان تنفع الامير بامر من الامور وقلبها عندهُ كل دقيقة وكان خوفها من ان يقضى عليهِ او يصاب بمكدر ولذلك كان حظها غير حظ درة الصدف مع انها اشد منها باساً واقدر على النفع اذا ساعدتها الصدف وسمحت لها الايام وخدمتها الاوقات لكنها خالفتها وابعدت عنها طريق الوصول الى معرفة مكان الامير حبيبها وحالت دونها ودونهُ اسوار وحصون وجيوش الاعداء ونحو ذلك مما لا يمكنها من نفعهِ ولم يكن من شيء يلذها ويخفف ما بها الا قولها تلوم نفسها على عجزها

قد نمت عن اشواقهِ واطلت شد وثاقهِ
ونسيت عهد متيم باقٍ على ميثاقهِ
هجر الرفاق وكان قـ ـل اخا وداد رفاقهِ
طبع العذول على اطا لة لومهِ وشقاقهِ
امجرعي كاس النوى والموت دون مذاقهِ
لا تترعنهُ فانني اقصي الدون دهاقهِ
يا ويح قلب لجَّ حرُّ البين في احراقهِ
ومهفهف يحكيهِ بد ر التم في اشراقهِ
السقم دون دنوّهِ والموت دون عناقهِ
عف اللحاظ عن القلو ب يطيل في احراقهِ
لما تبسم من نكا ي الحُسْنِ في راقهِ

فاهتاج اذ عاد الرقيـ ـب ولج في اغراقه
عجبًا لبردك يا نسيـ ـم وانت من عشاقه
ومن العجائب انني قد عشت بعد فراقه

ولنترك الاميرة سلوى بشوق زائد الى الامير حمزة ونذهب الى باقي الفرسان والابطال من العرب فانهم كانوا على ما تقدم معنا من القلق والارتباك وهم يتمنون خلاص الامير ولا يعرفوا طريقة المحاربة سكان المدينة واهلها وجيوشها والتسلط عليها او ان ياسروا ساداتها فيخلصوا بهم الامير ومعقل البهلوان . ولما كان بعد ايام قليلة اصبحوا حسب عادتهم واذا بهم يرون البر امتلأ بالعساكر ونصبت الخيام حول مصر من كل جهة وباح . فاجتمعوا الى صبوان الملك النعمان واخذوا في ان يستعدوا للحرب ويرتبوا حالهم ومن يكون الامير والسيد عليهم وفيما هم على ذلك واذا بالامير عمر دخل وقال لهم لا خفاكم ان هذا الجيش هو جيش غيتشم صاحب دمياط وملكها وقد وصل في هذا الليل فاطلعت عليه وتجسست حالهُ وعرفتهُ اولاً واخرًا . وخرجت بعض جيوش المدينة وحيث عرفت موكدًا ان هذا الملك هو عظيم البطش فارس صنديد وبطل مجيد نادر المثال بين الرجال اريد ان تثبتوا امامهُ فاقيموا عليكم عوض اخي الامير حمزة اندهوق بن سعدون لانهُ ملك عظيم وفارس جسيم وقد اعتاد تدبير العساكر والجنود وليكن كل واحد منكم في جهة الى حين يفتح الله لنا ابواب الفرج ونخلص اميرنا وسيدنا فقالوا لهُ جميعاً لقد اصبت يا عمر ونحن على مثل هذه النية . ثم قال لهم واكدوا انني لا افارقكم وساخدمكم الى ان تفوزوا بالنصر ولا ادع شرًا يصل الى احد منكم واحمل الاثقال العظيمة والا تشتتنا وكانت مصر مدافن للعرب ومنتهى حياتهم فيها فالموت لا يصعب علينا اذا كان مشفوعًا بالمجد والشرف واعتمدوا على ذلك ورتبوا انفسهم اعظم ترتيب ودبروا احوالهم احسن تدبير في غياب الامير الى ان جاء كتاب غيتشم

هذا وقد سبق معنا الكلام ان سكاما و ورقا كانا بانتظار غيتشم صاحب دمياط حيث كان كل اتكالهم ورجائهم عليهِ لعلمهم انهُ وحدهُ يقدر على لقاء العرب وابادتهم وداموا على الانتظار الى ان جاءهم الخبر بوصولهِ ومعهُ مية الف من عساكر دمياط ففرحوا الفرح الزائد وقالوا لا بد لنا من الفوز على هولاء العرب وابادتهم ونكون بذلك قد فعلنا ارادة كسرى وانهينا امر الاعداء ولما وصل غيتشم ونصب خيامهُ في ضواحي القاهرة تحت ظلام الليل خرجا اليهِ بجماعة من جيوش مصر وسلما عليهِ وترحبا بهِ غاية الترحاب وشكيا اليهِ ما كان من امر العرب وتهكمهم على البلاد حتى التزموا الى الالتجاء الى الحيلة والخداع فاسروا الامير حمزة ومعقل البهلوان واما باقي الفرسان فتحذروا لانفسهم ولم ياتوا الوليمة فشكرهم على عملهم وقال لهم اتيت لخدمتكم ولا بد من ان

ترول حالًا هولاء العرب وفي الغد ارسل لهم كتابًا واطلب منهم التسليم فاذا اجابول خلصوا من الحرب والاّ اوقعت بهم الذل والشنار وانزلت على رؤوسهم الويل والدمار ونثرتهم في ضواحي مصر نثر الغبار . ولما كان اليوم الثاني كتب الى الملك النعمان يقول

من الملك غيتشر صاحب دمياط وحاميها الى ملك العرب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء

انت تعلم وغيرك من سكان الدنيا من الملوك والعظماء والفرسان وغيرهم ان مصر منيعة حصينة يصعب على اعظم ملوك هذا العصر ان يطلع فيها او يفكر بالاستيلاء عليها ولا سيا ان فيها فرسان وابطال يندر وجود مثلهم في كل الاجيال واني اعجب كيف انت ورجالك العرب ومن جاء معكم تحدثكم انفسكم بالعناد وتعملون على الحرب ويخال لكم انكم تفوزون بنجاح عندنا والحاصل انكم لما اتيتم هذه البلاد ولم يكن بعد سكاما وورقا حاكمي مصر قد ارسلا الى ملوكها خبرًا التزما ان يحتالا على فارسكم ومن تعتمدون عليهِ فاسرهُ وهو الان يقاسي الويل والعذاب ولا يلبث ان يموت من الجوع والعطش بعد يوم او يومين فاقطعوا منهُ الرجاء واعتمدوا على ما انصحكم بهِ وهو ان تختاروا السلام على القتال تسلموا الينا جميع الاموال التي جمعتموها من حد بلاد كسرى الى هذه الجهات من ذهب وفضة ونوق وجمال واغنام وترجعوا من حيث اتيتم لان لا غاية لنا بكم وجل غايتنا وغاية كسرى الملك الاكبر هو القبض على الامير حمزة ومحو اثاره وهذا قد انتهى وصار وما من مرجع فيهِ ولا من مطمع لكم بعد الان بمشاهدة اميركم فارضوا باخف الويلين واحسبوا ان حمزة العرب ما كان والاّ فاني افنيكم عن اخركم واجعلكم عبرة لغيركم من الامم ولا يعود ينفعكم فيما بعد الندم

وبعد ان انتهى من كتابة الكتاب ارسلهُ مع رسول من قومهِ الى العرب فسار بهِ الى الملك النعمان وهو في الصيوان وعندهُ الابطال والفرسان فقراهُ علنًا وعند ذلك اضطربت فرسان العرب منهُ وما منهم الا من حركتهُ الحمية العربية وتاقت نفسهُ الى الحرب والقتال ومبارزة غيتشر وقتله . ولا سيا المعتدي حامي السواحل فانهُ ارغى وازبد وقام وقعد وقال لو لم يكن قتل الرسول حرام عند عباد الله لقتلت هذا الرسول قهرًا لسيدهِ لكن لا جواب عندنا الا السيف القرضاب المعد لقطع الرقاب وان كان يظن ان اميرنا حمزة فقد فنحن نثق ان الله يردهُ فلو مات ودفن سيخرجهُ من مدفنهِ حيًا على ان ملوك مصر سيلاقون ما في كل رجل حمزة فاذا اصاب سيدنا مصاب ففينا الكفاية للقيام بمقامهِ والقتال عند غيابهِ وغير ذلك لا كلام ولا مقال ومثل ذلك تكلم اندهوق وقاهر الخيل وبشير ومباشر واصفران الدربندي والاميرة سلوى والامير عقيل وباقي الفرسان والابطال الذين عليهم المعول فرجع الرسول مئيوسًا وخائفًا مما شاهد الى

ان وصل الى مولاهُ واخبرهُ بما سمع وان العرب معتمدة على القتال والنزال وان لا جواب ولا كلام عندهم الا السيف اليمان والحسام الهندوان وسوف ترى منهم الذل والهوان فاضطرب غيتشم واسودت الدنيا في عينيهِ وقال سوف يرون مني ما يظهر لهم الحقيقة ويرفع الطمع من رؤُوسهم واني اقسم بالعجل الكبير وبالصنم الهيبل اني لا ارجع عن العرب حتى ابيدهم ولا اترك منهم اثراً يذكر بعد الان . وصرف النهار مع سكاما وورقا وفي بينهم ان في صباح اليوم الذي بعدهُ يباكرون الى الحرب كما كانت افكار العرب ايضاً اذ ما من وسيلة لرجوع الامير والسلام . وكان اشد العرب كدراً عمر العيار على غياب اخيهِ وكان يخطر في ذهنهِ ان يتزل المدينة ويخلص اخاهُ غير انهُ كان يخاف ان يقع على العرب في غيابهِ امر من الامور فاعتمد على ان يسعى قليلاً وينظر ما يكون من غيتشم فيتسبب بالقبض عليهِ وعلى سكاما وورقا وحينئذٍ يهون عليهِ جداً اما افتداؤُهُ واما خلاصهُ وبات يدبر في طرق النجاح

قال الراوي وبات الفريقان يتحارسان الى ان كان صباح اليوم التالي فدقت طبول العرب تعلن الحرب والقتال وتسال رجالها ان تنهض في الحال وفعلت كذلك طبول المصريين وكان غيتشم وسكاما وورقا يظنون ان العرب لا يثبتون اكثر من ذاك النهار امامهم فيتفرقون وينقرضون امام جيوشهم ولا سيما ان مثل غيتشم لا يثبت في وجههِ احد من الابطال . ثم تقدمت الابطال الى ساحة القتال واصطف الصفان وترتب الفريقان فوقف الاندهوق في الوسط وفي الراس الايمن المعتدي حامي السواحل واختهُ الاميرة سلوى في الراس الايسر وقاهر الخيل ومباشر وبشير واصفران الدربندي وما انتهى انتظام الجيوش حتى صاح اندهوق صياح الابطال وانحدف على جيوش المصريين كانهُ قضاء الله المتعال فاجابهُ المعتدي حامي السواحل بصوت يقطع السلاسل ويلقي الخوف في قلوب الابطال النطاحل وارتمى على المصريين ارتماء الصواعق عند اشتداد الارياح . واخذ معهم في المحاربة والكفاح . ومثل ذلك فعل قاهر الخيل الفارس النطاح . وليث البطاح . وبدقائق قليلة اختلط القومان . وقام سوق الحرب والطعان . وكثر الجور وقلَّ الامان . ووقع الخوف وارتفع الاطمئنان . وساد على المتقاتلين البلاء والهوان . فسالت الادمية كالغدران . واندفقت تجري في اقنية الصحصحان . كمجاري النهور عند الطوفان . ولم يكن يرى تحت ذاك الغبار الكثيف الا سيوف كثيرة اللمعان واسنة تضيء وتختفي في ديجور ظلمات الغبار المرتفع الى العنان ولا يسمع الا انين يشبه انين ملسوع بانياب الثعبان . وصياح الماخوذ بنشوة النصر والثملان . وصريخ المجروح المفارق الاهل والخلان . القاطع الرجاء من الحياة ومن الرجوع الى هذا الكون الفان . وكان كلما اشتدت تلك النيران . واضطرمت بلهيب زائد الشعلان . وتكاثف فوق وقود ضرامها الدخان . كلما . قتحمتها اولئك الشجعان . من المصريين

والعبيد . الذين لم يكن بينهم قط جبان . فلله در الاندهوق بن سعدون عروس الميدان . وتاج رؤوس الاعيان . فانهُ كرَّ على الابطال والفرسان . كما يكر باثر بعضها الجديدان . وبيض بافعاله الحسان . ثناء عساكر النعمان . كما يبيض وجه الارض بنورها النيران . وفعل اكثر من ذلك المعتدي رفيع القدر والشان . صاحب البسالة فارس فرسان ذاك الزمان . فانهُ اخترق صفوف المصريين بعدة دقائق وثوان . وشردهم عن قومهِ بين الروابي والكثبان . واذاقهم من حرارة حربهِ ولسع ضربهِ ما القاهم بالخذلان . وتمنوا الاختفاء عن العيان . ليتخلصوا من حربهِ الزائد الرجحان . الذي لا عيار لهُ ولا قبان . ولا يقدر ان يزنهُ عقل عاقل بميزان . حيث كان يهيج كما تهيج النصلان . ويزئر كما تزئر اسود خفان . اليوم يوم من ايام حمزة البهلوان . فسوف تذوقون من سيوف رجالهِ خمرة الاحزان . وتقعون من شر اعمالكم بجهنم النيران لتعلموا ان ما كل من نقل عود الزان . يفتخر في ساحة الجولان . وتنقاد اليهِ الملوك والاعيان . وتفديهِ الاصحاب والخلان . ودام على ذلك الهيجان يقلب الظهور على البطون والخواصر على الاعكان . ويبعث بالرجال الى مندرج الاكفان . لتبقى هناك الى ان ياتي الاوان ويدعوها للحساب العادل الديان صاحب الملك والسلطان . وقد بخس من اعمالهِ دم الانسان . بعد ان كان ما كان عليهِ من غالي الاثمان . واصبح يتمنى كل رجل ان يكون من اصغر الديدان . او من فصيلة بني وردان . واما الامير غيتشم عابد الاوثان . ومكرم العجلان . فانهُ انحط على العرب بقلب اشد من الصوان وفعل افعال عنترة الفرسان حتى شهد بفعلهِ كل قاصٍ ودان فقد قطع بضرباتهِ الرؤوس والابدان وصمت بصرخاتهِ الاذان . وعميت لحملاتهِ الاعيان

قال ودام الحال على مثل هذا المنوال الى ان اقبل الظلام فدقت طبول الانفصال ورجع القومان في الحال بعد ان امتلأت السهول من القتلى وتغطى وجه الارض من الادمية وامتزج التراب بالاجساد وجبل دقيقهُ بالدماء وعاد غيتشم وهو يهدر كما تهدر فحول الجمال واجتمع الى سكاما وورقا وقال لهما اريد ان اعرفكم فارس فقد منا اليوم لاني فعلت بالاعداء افعالاً لا ينسوها الى يوم الحشر فقالوا اننا نحمدك على فعلك فقد شاهدناك وانت تطعن في الصدور وتخترق الاعداء فتنفر من بين يديك كانك الاسد الكاسر غير ان في الاعداء ابطال كثيرة فقد فعلت في رجالنا كفعلك وفيما هم على مثل ذلك واذ جاءهم احد القواد واخبرهم ان عدد المقتولين ٤٥ الفًا فتكدر غيتشم الكدر الزائد وقال لم يكن بظني ان بالعرب من يقدر على قتل فارس من فرساننا ولا سيما انني احميهم وحيث الحال كذلك فسوف في الغد اهجم على الابطال المشهورين فاميتهم شرَّ ميتة واذلهم وبعد ذلك اهلك الباقين . واما العرب فانهم اجتمعوا في صيوان الملك النعمان وهم عالمون بانهم انتصروا بعض النصر غير انهم تكدروا عندما راوا انهُ

قتل من عسكرهم ما يقرب من العشرة الاف فارس وقالوا ان الامير حمزة اذا قدر الله له العود الينا سالمًا لا بد من ان يلومنا على ذلك وما فعل هذا العمل وقتل اكثر المقتولين الاّ غيتشم فقال اندهوق اني في الغد الاتية واوصي كل واحد من الابطال ان يترقبهُ فمن وقع بهِ يقتلهُ وساجعل القتال في اليوم الثاني بخلاف نسق اليوم فيجب ان يقوم على كل فرقة من العساكر فارس من الفرسان ليدافع عنها ويحميها . فاتفقوا على مثل هذا وتفرقوا الى خيامهم لينامو براحة الى اليوم التالي واما الامير عمر فانهُ كان في ذاك النهار حاول كل المحاولة ان يلتقي بغيتشم فلم يتسهل له وكان جل غايتهِ ان يرى سكاما وورقا في الميدان فياسرهما او ياسر احدهما فلم يسهل له ذلك لانهما لم يباشرا حربًا فصبر لاجراء ما في نفسهِ . وبات الفريقان يتحارسان الى صباح اليوم الثاني فاصطف الصفان وترتب الفريقان . ولما وقعت العين على العين صاح كلا العسكرين ونادىا وتقدما وحملاً وهجما . وبربرا ودمدما . واضطربا واصطدما . وكان لها يوم كثير الهول . اشد من اليوم الاول هولاً واكثر جرحًا وقتلاً وما جاء مساؤهُ حتى ذهبت نفوس الابطال وتمنت الرجوع والانفصال وتاخرت عساكر المصريين الى الوراء وقد لحق بها التعب والعناء ووقع بها النقص والفناء فزاد كدر سكاما وورقا وملك دمياط وقال الاخير اني وحق ابيس العجل الكبير اذا تقاعدت عن مبارزة فرسان العرب ثلاثة ايام اخر هلك كل ما معنا من العسكر ومن الصواب ان اتنازل في الغد الى المبارزة فاصطاد كل من تحدثهُ نفسهُ بالنزال اليَّ وفي الاخير اهجم على ما بقي منهم فابددهم وبذلك نكون قد احسنا التدبير وفعلنا فعل الرجل الخبير فقالا له اذا ما فعلت ذلك فبعد الغد ندخل المدينة ونقفل الابواب ونحاصر داخلها . فقال كونا براحة فسوف ترون من قتالي العجائب وما تاخرت عن البراز الاّ احتقارًا بالعرب وانتم تعلمون ما اعطيت من البسالة والاقدام فاطمأن بال سكاما وورقا عند سماعهما كلامهُ واملا بالغد ان ينالا الفوز والظفر ويأسر غيتشم فرسان العرب ولذلك باتا باطمئنان الى ان كان صباح اليوم الثالث ضربت طبول الحرب والكفاح وتقدمت ابطال الطعان والنطاح فاصطف الصفان ووقف من الجانبين الفريقان ينتظران الامر بالحملة على بعضهما البعض وقبل ان يتم ذلك سقط غيتشم الى وسط الميدان وهو فوق جواد عالٍ واسع الصدر عريض الكفل صبوح الوجه قوي القوائم ادهم اللون كانهُ البجمة في الليلة المظلمة وعليهِ من الحديد درع متين لا تخرقهُ الرماح ولا السيوف ولا تبليهِ الاجيال والوف الاجيال وزردية ضيقة العيون محبوكة بترتيب وانتظام الى غير ذلك من السلاح الذي لا يحملهُ الاّ كل بطل صنديد وفارس مجيد وقرم عنيد . وبعد ان صار في الوسط صال وجال ولعب في ساحة المجال حتى حير عقول الرجال . ووقف في الوسط ونادى يطلب براز الابطال ونزال الفرسان من عشرة وعشرين وما

اتم كلامهُ حتى صار اصفران الدربندي امامهُ وصاح عليهِ وتجاول وإياه اعظم مجاولة وتطاولا اشد مطاولة وتضاربا اقوى مضاربة وهما بين اجتماع وافتراق واختلاف واتفاق تارة يتضاربان بالبيض الرقاق وطورًا يتطاعنان بالسمر الرشاق الى ما بعد الظهر فتكدر غيتشم من ثبات خصمهِ بين يديهِ فصاح بهِ وانحط عليهِ وضايقهُ كل المضايقة واختطفهُ من بحر سرجهِ واخذهُ اسيرًا وقادهُ الى قومهِ ذليلاً حقيرًا ثم عاد الى وسط الميدان واذا بالامير بشير قد فاجأهُ وصاح بهِ وحمل عليهِ واقتتل وإياهُ عدة ساعات ثم اخذهُ اسيرًا وشدهُ الى رفيقهِ وعاد الى مكانهِ يريد البراز فصدمهُ مباشر اخو الامير بشير ودار بينهما دولاب القتال الى الزوال فاخذهُ اسيرًا ورجع الى قومهِ وهو بمزيد الفرح ورجع العرب بهمّ زائد مما لحق بفرسانهم في ذلك النهار وما منهم الاّ من يتمنى ان ياتي اليوم القادم ليبرز الى غيتشم ويقصف عمرهُ وينهي امرهُ ولا سيما اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقد ظن كل واحد منهما انهُ في الغد يبرز اليهِ وياخذ منهُ بالثار ويمحو العار

قال ولما كان صباح اليوم التالي نهض العرب والمصريون وتقدموا الى ساحة القتال واصطفوا حسب العادة فبرز غيتشم صاحب دمياط وصال في الوسط وقبل ان يتم كلامهُ برز اليهِ الامير عقيل فارس العرب وتقاتل وإياهُ مدة من النهار وقبل ان صار الظهر اخذهُ اسيرًا وقادهُ حقيرًا وفي الحال صارت تبرز اليهِ الرجال من سادات العرب اصحاب حمزة الاخصاء اي الثمانمائة الذين تربوا معهُ وكان كل واحد منهم يعد بالف فارس غير ان غيتشم طال عليهم واستطال وما جاء الزوال حتى اسر نحو عشرة رجال ورجع كانهُ الاسد الرئبال وقد ظن ان لا احد من عساكر العرب عاد يقدر اليهِ او يثبت امامهُ واجتمع بسكاما وورقا وقال لهما قد هان علينا الامر واسرنا اكثر فرسان العرب ولم يبقَ علينا الاّ القليل وسوف نفوز ونهلك الاعداء بوقت قريب فقالوا لهُ ان الذين اسرتهم هم من فرسان الزمان ومشاهيرهم الا انهُ باقٍ من هو اشد منهم باسًا واقوى مراسًا باقٍ الاندهوق صاحب سرنديب الهند وهو مشهور بين ابطال الزمان والمعتدي حامي السواحل الذي ارجف لذكرهِ الاطفال في المهود وقاهر الخيل صاحب عكاء وهذا تعرف انت بسالتهُ وشجاعتهُ فاذا اسرت هولاء الثلاثة نلت كل مشتهاك وترجح النصر والفوز لنا وظفرنا بالعرب والا فلا امل بالنجاح قال اني في الغد ساطلب قاهر الخيل ورفيقيهِ ولا اجعل مساء الغد ياتي الاّ واكون نلت المراد وجعلتم بامان واطمئنان وكان بظني ان اقتل الاسارى في هذه الليلة الاّ اني سابقيهم الى ان اشد رفاقهم اليهم . قال سكاما اني اخاف ان ياتي بلوة الانس والجان عمر العيار فياخذ الاسارى على حين غفلة منا قال يجب ان تسلموهم الى عيار بن عيار يكم وتحذروهُ منهُ وان يسهر عليهم الليل والنهار وان يكون معهُ من يساعدهُ من العيارين

فدعيا بكيير عيار بن مصر واسمهُ الساري فاوصياهُ بالمحافظة على الاسارى ووكلوا معهُ بعضاً من جماعتهِ وارتاح بالهم من جهتهم وترجح لهم نيل المراد من اسر الباقين . واما العرب فانهم رجعوا في المساء الى الخيام واجتمع الامراء الى صيوان الملك النعمان واخذوا يتشاورون فيما يفعلون فقال النعمان من الصواب ان نمنع الفرسان عن البراز وناخذ نحن العهدة على قتال غيتشم واسرهِ والا اصطاد واحداً بعد واحد وربما قتلهم وامامهم فقال قاهر الخيل اني سابرز اليهِ في الغد وعندي اني سافوز عليهِ فاذا اسرني او قتلني فليبرز اليهِ اما اندهوق واما المعتدي ويمتنع غيرنا عن قتالهِ فاتفقوا على مثل ذلك وباتوا الى الصباح وعندهُ برز غيتشم فصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال . ثم وقف في الوسط وقال من عرفني فقد كفى ومن لم يعرفني ما فيَّ خفي انا غيتشم منزل بالاعداء الويل والعدم فليبرز اليَّ منكم الفرسان والابطال عشرة وعشرين واذا شئتم فاحملوا باجمعكم فاني لا احسب لكم حساباً وقد اطلب براز قاهر الخيل ملك عكاء الذي فات بلادهُ ومملكتهُ وتبع العرب وفضل قتال المصريين جيرانهُ حباً بالامير حمزة . وما اتم غيتشم كلامهُ حتى صار قاهر الخيل امامهُ وصدمهُ صدمة الجبابرة العظام واخذ معهُ في العراك والصدام والافتراق والالتحام والضرب بالصارم الصمصام . والطعن بالرمح المندام حتى ارتفع فوقهما الغبار كالغمام . وصاح فوق رؤوسهما طير الحمام . ونشر عليهما الموت الزوأم . وقد احدقت اليهما الفرسان من كل ناحية ومكان تنتظر ما يكون بينهما من القتال وما تنتهي اليهِ الحال . وهما بضرب احر من لهيب النار . وطعن يسبق الاقدار . كل ذاك النهار الى ان مالت الشمس الى الاصفرار . وطلبت الاختفاء عن العيون والاستتار . وهما لا ينفكان ولا يطلبان الرجوع الا بعد الفوز والانتصار واخيراً وقع من الاثنين ضربتان فاصلتان وقعت ضربة قاهر الخيل على طارقة غيتشم فضيعها بمعرفتهِ وابطلها بخبرتهِ ووقعت ضربة غيتشم على طارقة قاهر الخيل وسقطت على رقبة الجواد فمال وسقط وقبل وصولهِ الى الارض هجم غيتشم وتناولهُ وسار بهِ الى ناحية المصريين وهو يهدر كما تهدر فحول الجمال مسرور بما نال من الظفر على عدوهِ وفي الحال شد وثاقهُ وسلمهُ الى العيار ساري واوصاهُ ان يقرنهُ الى جماعتهِ واوصاهُ بالاحتراس عليهم وقال في الغد لابد من الاتيان بالباقين فقد دنا اجل العرب وفرغت ايامهم ولم تعود تقوم لهم قائمة . فاثنى عليهِ سكاما وورقا وشكروهُ كل الشكر وهم فرحون وتاملوا كل خير . واما اندهوق وباقي الفرسان فانهم رجعوا الى صيوان النعمان متكدرون مما جرى على قاهر الخيل والمعتدي يعض شفتيهِ تحرقاً كيف انهُ لم يتمكن من براز غيتشم وكيف ان النهار لم يساعدهُ ليخلص قاهر الخيل ويأسر آسرهُ ولما اجتمعوا في الديوان قال الملك النعمان لقد ظهر ان غيتشم فارس صنديد وكان من الواجب ان يبرز اليهِ احد كما منذ الاول لكان عاد بهِ اسيراً او قتيلاً وهكذا كان يفعل الامير حمزة في اكثر

الاحيان فانهُ يمنع غيرهُ من المبارزة ويبرز هو املاً بحسم المسالة وتقصير الوقت واختشاء من تضييع بعض الفرسان . قال ان الذي مضى مضى ولا بد لي في الغد من قتالهِ واخذهُ اسيرًا وخلاص رجالنا . واذ ذاك تقدم عمر وقال اني اشرط عليكم شرطًا فاذا وافقتموني عليهِ خلصت الاسارى في هذه الليلة . قالوا ماذا تريد قال اني اريد ابارز غبتشم وارية فعلة واني اعدكم باسره بدون شك وفوق كل ذلك فاني اعود اليكم هذه الليلة بكل الفرسان الذين في قبضة سكاما و ورقا فقال لهُ اندهوق اذا خلصت الاسارى تركنا لك قتالهُ ولا نخاف عليك منهُ لانك تقاتل وانت على الارض فاذا وجدت نفسك مغلوبًا حاولتهُ بالجري فلا يقدر ان يتاثرك لسرعة جريك

قال وبعد ان اتفقوا على ذلك ذهب عمر الى صيوان اخيهِ حمزة وانفرد بنفسهِ واخذ المكحلة التي اخذها من رجال الصومعة وتكحل بها بقصد ان يصير مصريًا فصار في الحال وجعل نفسهُ كانهُ اعمى واخذ جرابهُ تحت ابطهِ وسار من عساكر العرب وجاء عساكر المصريين وجعل يسال الاحسان و يسال عن صيوان ملك دمياط وما برح على مثل هذه الحالة ينتقل من مكان الى اخر ومن جهة الى ثانية حتى وصل الى صيوان الملك المذكور فاستأذن بالدخول عليهِ فمنعهُ الحراس فقال لهم بصوت عالٍ ولهجة مصرية دعوني اصل الى ابي الفقراء وصاحب الاحسان فاننا نحن الشحاذون في مصر بانتظاره ولا يسمح لنا الزمان ان يزورنا في كل يوم فاليوم عندنا يوم الغنائم فلا تمنعونا من نوالها فسمع الملك المذكور كلامهُ فطلب ان يدخل عليهِ ولا يعارضهُ احد . ولما صار بين يديه قدم واجب الخدمة والاكرام وقال لهُ اني خرجت من المدينة ياسيدي وفي كل نيتي اني ساقبل الارض بين يديك واقبض على انعامك وانال غايتي منك واحظى بالسعادة الكبرى واني اشكر من العرب حيث كانوا وسيلة لاتيانك الينا لتتبرك هذه الارض بجلوسك وقد سرَّ جماعتي كلهم طمعًا برغدك وكرمك ثم انشدهُ

الا يا فتى العليا الهمام المفضل ... وياشائد الحسنى الاغرُّ المكمل
و ياايها المولى الذي اكمل العلى ... بهِ وسواه بالعلا يتكمل
و يا ملجأ للقاصدين ومنهلاً ... عليهِ الورى من كل قطر تعوّل
اذا ما جنى منك المرجى بناصر ... فبشرى المرجى انهُ ليس يخذل
مديحك عندي ياأخا الجود واجب ... ومدح بني العليا سواك تنفل

انتهى الجزء الخامس من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء السادس عما قريب

الجزء السادس

من قصة الامير حمزة البهلوان

حويت فخاراً لم ينله مشمرٌ　　بسحب هباة غيثها يتسلسل
وما انت الاَّ الشمس لكنني ارى　　من الحزم اني عنك لا اتحول

فلما سمع غيتشم كلامهُ سرَّ سروراً عظيماً واعجبهُ جداً وقال لهُ لا ريب انك نابغة في مصر وبين العيان ولا بد من اكرامك والالتفات اليك فابق عندنا مدة ايام وسوف اجعلك اغنى الناس اي اني ساعطيك من مالي وازيدك شيئاً كثيراً من مال العرب وعما قليل نحصل عليهِ كلهِ وهو جمع من نصف الدنيا تقريباً . فلما سمع عمر كلامهُ شكرهُ واثنى عليهِ جداً وقال لهُ باركت بك الاصنام وجعلتك باعلى مقام فانك تحسن الى الفقير وترحم الايتام ثم امر ان يبقى في احدى الصواوين بين الحجاب والقواد وان يقدم اليهِ كل ما يريد ويطلب فشكرهُ وخرج ولم يعترضهُ احد وقد عرف الجميع ان غيتشم احبهُ ووعدهُ بالخير والاحسان . واما هو فانهُ سار الى جهة الخيمة التي فيها الاسارى وقد اشعل غليونهُ في اليد الواحدة واخذ عصاه في الثانية ولما وصل اليها قال دلوني على العيار ساري فان الملك غيتشم وعدني الوعد الصادق انهُ يعطيني قسم من مال العرب وانا اريد اسالهُ عنهم فدلوهُ عليهِ فسلم عليهِ وقال لهُ عندك كثير من اسارى العرب قال عندنا ١٢ اميرً قال اني اسال ابيس ان يساعد ملوكنا على مسك الباقين لننال الاموال الغزيرة والثروة العظيمة حيث وعدنا انهُ يقسم الغنائم بين الجميع بالاسواء وينالني نصيب من ذلك . فقال لهُ ساري ان الامر ينقضي بعد ايام قليلة ولكن اريد منك ان تعطيني قليلاً من هذا الدخان الذي تدخن بهِ لان رائحتهُ زكية ولم ارَ ولا سمعت بمثلهِ قال لا ابخل عليك بذلك ثم اعطاهُ قليلاً واخذ هو ايضاً بعضاً فملأ بهِ الغليون واشغلهُ بقليل من البنج وسد انفهُ واشعل الدخان فتساعد وفاحت منهُ رائحة زكية جداً فتنشق منها ساري وباقي العيارين الذين معهُ وما لبثوا ان لعب البنج بروسهم فمالوا الى الارض نياماً وفي الحال نهض واسرع الى الداخل واخرج من جيبهِ المبرد وجعل يقطع القيود فتعجبوا منهُ وقالوا لهُ جزاك الله عنا خيراً فقال لهم لا تخافوا لقد جئت لخلاصكم فعرفوهُ لما سمعوا صوتهُ ولهجتهُ العربية وفرحوا بالخلاص ولم يكن الاَّ القليل حتى انطلق الجميع فاخذ لهم ثياب العيارين جماعة ساري والبسهم اياها

وقال لهم اجعلوا انفسكم كانكم مصريون وسار امامهم وهم من خلفهِ حتى قطعوا معسكر المصريين ودخلوا بين قومهم فانجلت الهموم عنهم وتاكدوا خلاصهم وما منهم الاَّ من شكر من عمر ومن عملهِ ومدحوهُ المدح الزائد وتقدم عمر امامهم الى صيوان الملك النعمان حيث كان الامراء عندهُ وهم بانتظار عودتهِ فدخل والفرسان من خلفهِ بصفة مصريين وكلم النعمان بلغة مصر وقال لهُ ان سيدنا بعثنا بهذه الساعة اليكم وهو لم يرضَ ان يصبر الى الغد عنكم ليعرف علكم تكونوا قد نظرتم في الحق وعرفتم ما حل بقومكم فتسلموا اليهِ الاموال وترجعوا لان الاسارى قد ذبحهم والخير لكم في التسليم والاَّ في الغد يباكركم و ياخذ الباقين منكم فما اتم عمر كلامهُ هذا حتى لعب الغضب براس اندهوق بن سعدون وهاج كما تهيج فحول الجمال وصاح على غير وعي وامتشق الحسام وفي نيتهِ ان يبطش بالذين امامهُ . فاجاب عمر بصوتهِ المعتاد هدي روعك وسكن غضبك فعرفهُ وضحك الملك النعمان والمعتدي من عملهِ وقال لهُ لما هذا العمل . قال لاعرف هل تعرفوني وانتم قومي وهاكم قاهر الخيل و باقي الاسارى قد خلصتهم وجئتكم بوقت قريب ففرحوا فرحًا لا يوصف وتقدموا من بعضهم البعض وسلموا عليهم وهنأ وهم بالخلاص وقد تامل العرب بالفرج وتفرق كل واحد الى صيوانهِ ليرتاحوا باقي تلك الليلة لعلمهم ان في الصباح لا بد لغيتشم من البراز ليرجع الاسارى

وفي صباح اليوم الذي بعدهُ نهض غيتشم وفي كل نيتهِ ان ياتي بالاسارى الى ساحة الميدان و يرمي رقابهم على مرأى من جماعتهم ولذلك بعث بعض خدمهِ لياتي بهم وكان قد حضر عنده سكاما و ورقا فعاد اليهِ الخادم وقال لهُ لا اسارى ياسيدي بالصيوان بل وجدت القيود مكسرة والعيارين نيامًا بالبنج وما ذلك الاَّ من جرى حيلة قد وقعت عليهم فامر ان ينبهوا و يوتى بهم في الحال فجاءوا بين يديهِ وحكوا لهُ ما كان من امر الاعمى الذي كان عندهُ وقالوا ما ظننا يكون عدوًا ورايناك وسمعنا انك آكرمتهُ ووعدتهُ بكل جميل . فقال سكاما ان صدقني حذري يكون هذا عمر العيار لانهُ شيطان مريد وخبيث محتال ينزع الكحل من العين و يسلب النوم من المقل . فقال غيتشم لا بد اذا وقع بيدي هذا المحتال ان اعدمهُ واهلكهُ واميتهُ شرَّ ميتة لا ريهُ كيف يتجاسر على دوس بساط الملوك والاحتيال عليهم والاحتقار بهم واما الاسارى فلا بد من عودهم الى الوثاق والهلاك ولا يفوتني احد منهم . ثم انهُ امر ان يقدم اليهِ جوادهُ فركبهُ وتقدم الى ساحة الميدان وركبت كل تلك العساكر من عربي ومصري وغيرهم وفي الحال تقدم غيتشم الى الامام وهو يبغض الارام و يتحرق من اعمال عمر العيار ويتمنى ان يصل اليهِ ليفرق بين لحمهِ وعظمهِ ولما صار في الوسط صال وجال ولعب على اربعة اركان المجال ثم وقف في الوسط وطلب مبارزة الابطال فاراد اندهوق ان يبرز اليهِ فاعترضهُ عمر العيار وقال لهُ ان هذا اليوم هو لي فقال لهُ

افعل ما بدالك فاني اقيم بوعدي . ثم ان عمر لبس عليهِ ثوبًا من الجلد المصقول اللامع وعلق بهِ كثيرًا من الاجراس الصغيرة ووضع فوق راسهِ قبعة طويلة علق بها الاجراس واخذ بيدهِ دبوسًا من الحديد وتقدم بتأنٍ الى جهة غيتشم ولما صار امامهُ قال لهُ اني لا انكر اني بالامس كنت ضيفك وقد اكرمتني وعملت على الاعتناء بي ووعدتني بانك لا تنساني فتقسم لي نصيبي من الاموال التي مع العرب ومن كان مثلك لا يعد ويخلف وجئت الان لاذكرك بهذا الوعد . فلما سمع كلامهُ اشتعلت نار الغضب في قلبهِ وكاد ينشق من الغيظ وقال لهُ لا بد لي من ان اميتك شرّ ميتة لا عرفك كيف تصل الى الملوك وتلعب بهم وهجم عليهِ وفي نيتهِ انهُ يطعنهُ طعنةً واحدةً فيلقيهِ ممددًا على الارض فصبر عليهِ الى ان كاد يقرب منهُ وانتفض كلهُ انتفاضًا سريعًا وهز براسهِ هزًا قويًا وذلك بغتة فدقت الاجراس بصوت عظيم جدًا ووقعة بقوة في اذان الجواد فجفل وجنّ وقلب الى الارض فوقع غيتشم وهو خائر الفؤاد متكدر من عملهِ ورمي بكل سلاحهِ عنهُ واسرع ركضًا الى جهة معسكرهِ فجعل عمر يضحك عليهِ والتهى عنهُ بالجواد فرفعهُ بتأنٍ وساسهُ ودعا احد عياريه ان يسرع فياخذهُ واخذ هو الرمح والسيف . وفي تلك الساعة صاحت فرسان العرب وهجمت وهي تضحك من اعمال عمر ومن خدعتهِ وابغات غيتشم باجفال جوادهِ حتى وقع الى الارض فالتقاهم معسكر مصر وقام سوق الحرب على ساق وقدم واختلط الامم بالامم وبيعت النفوس بيع البخس الى سلطان العدم . فهجم الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم . وقد جاد فرسان العرب جود الكرماء وطافوا على الاعداء كما تطوف بمياهها السماء . واتسع سوق المجال على الفرسان والابطال . فابدوا العجائب والاهوال . وما عول النهار على الارتحال . الا بعد ان اشفوا كبودهم من المصريين وانزلوا عليهم قضاء الله المبين واذ ذاك ضربت طبول الانفصال فترك الحرب والقتال وعادت كل فرقة الى خيامها وغيتشم بكدر عظيم وغيظ لا يحد وقد قال لسكاما وورقا اني كنت لا اظن مطلقًا ان هذا الشيطان المريد يقصد اجفال جوادي بغتة بضرب الوف من الاجراس دفعة واحدة فقبح من خبيث محتال واني لا اريد شيئًا من عساكر العرب الاّ ان اقتلهُ واعدمهُ الحياة واشفي غليل قلبي منهُ . فقالا لهُ اننا حذرناك منهُ قبلاً لانهُ ليس من الانس بل هو من طوائف الجان واعمالهُ هذه لا يمكن لابن ادم ان يفعلها وان الذي يراهُ لا يظن الاّ انهُ من فصيلة القرود لان وجههُ كوجه القردة . اجاب اني اسال المعبودات ان لا تحرمني من هلاكهِ وان تخولني تقطيعهُ اربًا اربًا

واما العرب فانهم عادوا الى مضاربهم وهم فرحون بالنصر الذي وصلوا اليهِ وتاكدوا ان القتال لا يكون بينهم ولا يطول اكثر من يوم الغد فقال اندهوق انهُ لولا غيتشم لتفرقت جيوش الاعداء في هذا اليوم ولا عادت الى حربنا مرة ثانية ولكن لا بد لي في الغد من البراز

اليه الا قتلة واعدمة الحياة ونرتاح من امره وكل فكرنا عند الامير حمزة وصار من اللازم الاستيلاء على المدينة لننظر في مكانه وابن هو . اجاب عمر اني متى قتلتم غيتشم وترجح استيلاؤنا على المدينة سرت انا الى خلاص اخي لاني عرفت ونظرت في المرآة فاذا هو في القلعة مسجونًا عند النيل في داخل المدينة عند طرفها الاخير . وهو مع معقل البهلوان بخير وراحة غير انهُ لابد من ان يكون مضطرب الافكار من اجلنا ومفتاح هذه القلعة هو مع ورقا اليوم ومحافظ عليهِ في جيبهِ وقد اخذه من اخيهِ سكاما وفي ظن المصريين ان الامير حمزة هلك ومات جوعًا مع معقل البهلوان ولكن لا بد من خلاصها بعد قليل . فمدحوه على كلامهِ . ثم انهُ قال لهم انتم تعلمون اني اخذت جواد غيتشم وسلاحهُ وهي لا تنفعني شيئًا واريد ان ابيعها فمن منكم يشتري ذلك فقال الاندهوق اني اشتري منك الجواد بمائتي ذهب عينًا . قال لا يخلصني ان ابيعهُ بهذا السعر فانهُ بخس جدًا اجاب وهل اشتريتهُ انت بمال اجاب حصلت عليهِ بما هو اغلى من المال والثمن لان لو قتلني غيتشم لما كان ينفعني احد منكم فقال لهُ اذن خذ لك ثلثمائة ذهب ثمنهُ . اجابهُ خذهُ فهو مبارك عليك وقبض المبلغ ثم باع الرمح لقاهر الخيل والسيف للمعتدي واخذ منها تتمة الالف ذهب وخرج الى جماعتهِ العيارين وقال لا بد ان تكونوا متكدرين حيث مضى زمان ولم انثر الذهب على رؤوسكم فاتبعوني الآن فقد جئت ببعض الذهب وذهب بهم الى الخلا واخذ ينثر الذهب وهم يلتقطونها حتى فرغ فعاد بهم حزينًا وفرقهم على الحراسة الى صباح اليوم الثاني

ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وتقدمت الابطال والفرسان من كل ناحية ومكان وفي نية جماعة العربان ان ذاك اليوم يكون اليوم الاخير بين المتقاتلين وما انتهى الفريقان من الترتيب والانتظام حتى كان غيتشم قد صار في وسط ساحة الصدام حسب عادتهِ وهو متكل على كل قوتهِ وما صال الا القليل حتى صار الاندهوق امامهُ وصدمهُ صدمة جبابرة الزمان وقد تقدم معنا في غير هذا الكتاب ان اندهوق كان من ابطال ذاك الزمان لا نظير لهُ في كل بلاد الهند وغيرها وما اسرهُ حمزة الا بعد محاربة ثلاثين يومًا ومن ثم اخذا في العراك والصدام والافتراق والالتحام ومعاناة الشدائد والاهوال . والدخول في اصعب ابواب الحرب والقتال . وقد تزعزع من قوة صراخها امتن الجبال . واهتز من صول وجول جواديهما تلك المدائن والاطلال وارتفع فوقهما الغبار . حتى حجب الشمس ذات الانوار . واحدقت بهما عيون اولئك النظار . تنتظر النهاية عن حالهما والاستفسار . وكان اندهوق متكدر الخاطر من عمل غيتشم ومما سبق من افعالهِ ولذلك لم يقصد التطويل ولا التحويل والتهويل بل كان جل قصده السرعة في القتال فصاح في خصمهِ من قلب محروق وفاجاهُ كل المفاجئة وضيق عليهِ كل المضايقة واراه ضربًا ما راها عمرهُ بطولهِ حتى القى الرعب في قلبهِ واظهر لهُ عجزهُ امام عينيهِ ثم

ضربهُ بسيفهِ البتار فوقع على محكم رقبتهِ القاه الى الارض قتيلاً وفي دماه جديلاً ومن ثم هجم على معسكر المصريين واشار الى العرب بالهجوم فهجموا هجمة واحدة وقوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وقام سوق الحرب والقتال من كل ناح وازدحمت الفرسان بالفرسان والابطال بالابطال وتدفقت الادمية من انابيب المحاجر كالعارض الهطال . وكان يوماً عظيم الاهوال وقع فيهِ على المصريين التاخير وسوء الحال ودارت عليهم الدوائر من كل ميل وأكتالتهم مكاييل المنايا اي كيل فتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وانتثروا انتثار الورق عند اشتداد ريح الشمال وانتشروا انتشار الغيوم وتفرقوا بامر الحي القيوم والعرب تضرب باقفيتهم وتشفي غلائلها من قتلهم وذبحهم وما جاء اخر النهار الا وكان سكاما وورقا قد دخلا المدينة بجماعتهما الباقين واقفلا من خلفهم وفي نيتهما ان يعملا على الحصار وينتظرا ما يكون من امرها ولم يخطر لهما قط الاذعان والتسليم لعلمهما ان العرب لا تبقي عليهما بعد ان اهلكا الامير وفي كل ظنهما انهُ مات جوعاً في القلعة مع معقل البهلوان ولم يخطر لهما قط ان الله سبحانهُ وتعالى حرّك درة الصدف على بغض ابيها وقومها ليحفظ حياتهما

وبعد ان رجعت العرب الى الخيام اجتمعت في صيوان الملك النعمان على اتم ما يكون من الفرح الزائد وقد قال اندهوق انتصرنا انتصارًا كاملاً ونلنا من الاعداء الغنائم التي لا تحصى ولم يبقَ علينا الاَّ شيءٌ واحد وهو خلاص الامير حمزة وامتلاك المدينة وعندي ان الله الذي ساعدنا على هلاك غيلشم وتبديد شملهِ لا يبعد عنا الوصول الى غاية نريدها ونحن عبيده الامناء فقال لهُ عمر العيار اني ساسير في هذه الليلة الى خلاص اخي واني اثق بنفسي الوصول اليهِ وانتشالهُ من المكان الذي فيهِ ولم يعد من خوف عليكم قط وقد تفرقت الجيوش وهلك اكثرها فقالوا لهُ اسرع في ذلك فاننا لا نقوى على الصبر اكثر مما صبرنا وصار من الامور اللازمة السعي في خلاصهِ والاَّ فبدونهِ لا نجاح لنا ولا عيشة هنية فودعهم بعد ان وعدهم وسار لاجراء مهمتهِ وقضاء مصلحتهِ

ولنرجع الى داخل القلعة حيث كنا تركنا صاحب هذه القصة وبطلها العظيم حمزة العرب مع رفيقهِ معقل البهلوان يقاسيان الوحدة والام السجن ولا يعرفان في اي يوم يكون خلاصهما ومن اي باب يتسهل لهما الخروج وهل يحصل لهما ذلك او يتركان ويهملان فيما بعد وكان املهما متجهاً لجهة درة الصدف حيث وعدتهما بالخلاص ولكن لم تنجز وعدها في الحال فذات يوم قال الامير لرفيقهِ اني ارى مقصورة في احدى زوايا القلعة مرتفعة على علو اربعة اذرع وبابها من الداخل ضيقاً الا انهُ يمكن مرور الرجل فيهِ وعليهِ فاني اريد ان تصعد احدنا اليهِ وننظر فيها علَّ ان يكون فيها منفذ نمر منهُ الى الخارج . اجاب اليك ما طلبت غير اني ارى اننا لا نقدر الوصول

الى تلك الحجرة الصغيرة قال يمكن بحيث ان ارفعك على اكتافي واوصلك اليها . اجاب هذا لا يمكن بل اني ارفعك امت فتنظر ماذا عسى ان يكون هناك واذا وجدت منفذًا تعلقت بك وارتفعت الى فوق . ثم ان معقلاً تقدم الى جهة الزاوية المذكورة وصعد على اكتافه الامير حمزة حتى وصل الى باب الحجرة الصغيرة المذكورة فدخل فيها فوجدها مظلمة قليلاً . غير انهُ وجد وهجًا في سقفها يضيء اشبه بالنجمة في الليلة المظلمة فتقدم من ذاك النور ومديدهُ اليهِ فوجد سيفًا معلقًا فتناولهُ بفرح ولما لم يرَ وسيلة لوجود مخرج عاد فنزل الى الاسفل على اكتاف معقل كما صعد وعندما صار في اسفل القلعة نظر الى السيف فوجد قبضتهُ مرصعة بالجواهر الكريمة ما لا يوجد في خزائن ملوك ذاك الزمان كل واحدة بقدر البيضة وغمده من الذهب الوهاج على احكم صنعة واتقن نقش ومكتوب بالحروف النائة على صفحات ذاك الذهب «هنئت يامن اعطيت هذا السيف فهو سيف الضحاك الناجي لا يوجد نظيره لا عند الانس ولا عند الجان» فلما قرأ ذلك معقل البهلوان والامير حمزة فرحا غاية الفرح واخرج الامير السيف من الغمد فراه كجوهرة مع مرور الزمان عليهِ كانهُ اخرج من يد شاغلهِ في ذاك اليوم وراى عرضهُ ورقة فرنده فتأكد انهُ لو وقع على صخرة صماء لقطعها في الحال كما يقطع في اللبن ولذلك قال لمعقل البهلوان ان كان الله يسهل لنا الخلاص اكون قد غنمت غنيمة لا يصل احد الى مثلها في هذا الزمان ويكون الله قصد التخلي عما في هذا المكان لتصل ايدينا الى هذا السيف الذي ينفع لدى الشدات والضيقات قال لا بد لنا في هذه الليلة من ان نطلب الى درة الصدف الاسراع الى خلاصنا لانها في الامس اخبرتنا بنجاح قومنا وصار من المقتضى ان نخرج فاذا لم يكن عن يدها ولم تقدر ان تاتي بمفتاح القلعة فيمكنها ان تخبر عمر العيار والمذكور يسرع الينا وينتشلنا منها ولا سيما اذا ملك قومنا المدينة فما من حاجة لمساعدة درة الصدف فيسرعون الينا فهي مطلعة على امرنا فتخبرهم بنا ولذلك علقا املاً كبيرًا بالخلاص قريبًا وانتظرا مجيء درة الصدف في ذاك الليل ليفهما منها ماذا صار من قومهما وماذا حصل في ذلك النهار وما برحا على الانتظار الى ان كان المساء وجاء الوقت المعين لاتيان درة الصدف ومضى الوقت ولم تاتي فشغل بالهما وتكدرا وصبرا املاً ان يكون حدث لها ما يعيقها عن العادة في تلك الليلة وكان الطعام والماء قد فرغ من عندهما حيث كانت تاتيهما بهِ كفاة ليومهما . وكلما تقدم الوقت دقيقة كانت عليهما اصعب من شهر وبلات ومصائب واطول من سنة انتظار وفروغ صبر حتى مضى نصف الليل ولم تحضر فقطعا الرجاء وقال الامير لمعقل لا ريب ان درة الصدف قد منعت عن المجيء لامر فوق طاقتها ولا بد ان يكون اطلع احد على عملها فاخبر اباها بهِ فقبض عليها ومنعت عنا او ان تكون وقعت في النيل او اصيبت بمصيبة غير هذه والاَّ فانها كانت لا تتقاعد عن الاتيان بالطعام

الينا حيث تعرف اننا باحتياج اليهِ والى الماء والا متنا من الجوع والعطش . وكان معقل البهلوان يميل طبعًا الى درة الصدف وبهواها مع انهُ لم يكن قد راها عن قريب ولا شاهد شيئًا من جمالها الفتان غير انهُ كان يراها في اعلى الشباك كظل يمرُّ ثم ينقضي ولكن الذي دعاهُ الى ذلك هو مخاطرتها بنفسها من اجلهِ واتيانها تحت ظلام الاعتكار املاً باخراجهِ من بين الاموات الى عالم الاحياء وتخصيصها نفسها لهُ ولذلك اصبحت بعين الواقع صاحبة الفضل والمعروف عليهِ والجميل وقد اشترت حياتهُ بحكمتها ودرايتها وحسن مساعيها فلما سمع بانها ربما تكون غرقت في النيل او اصيبت بمصيبة منعتها عن الاتيان ضاق صدرهُ وشعر بانقباض في داخلهِ وهان عليهِ الموت وفقد الحياة اذا كانت اصيبت بمثل ما تقدم ولم يبدِ اقل كلمة بل كان مطرقًا حزينًا والامير قاطعًا الرجاء واقعًا باليأس كئيبًا بجهل امر غياب درة الصدف ويحاكي نفسهُ بنفسهِ وفيما هما على مثل ذلك واذا بهما سمعا صوت صرير المفتاح وهو يدخل بالقفل وتاقت نفساهما الى معرفة القادم عليهما وطارت قلوبهما فرحًا حيث تاملا فتح الباب فان كان صديقًا فيتخلصان وان كان عدوًّا فيمكنهما قتلهُ والخروج بالرغم عنهُ قبل ان يتمكن من قفل ذاك الباب الحديدي الضخم وتقدما من الباب وحالما سمعا بارتفاع الاقفال سحبا الباب الى الداخل وبان من ورائهِ درة الصدف وهي تحمل اليهما الطعام واسرعت الى الداخل وقالت كلا الان وسدًّا رمقكما ومن ثم اسرعا بنا الى الرجوع من حيث اتينا فاني اخبركم اليوم ان قومكم قتلوا غيثشم وفرقوا الجيوش شرقًا وغربًا فدخل قومنا الى المدينة فحاصروا بها . فقال لها الامير وما كان سبب عاقتك عنا . فعادت عليهِ قصتها باسرع آن بينما كان مع الامير معقل ياكلان من الطعام الذي جاءت بهِ

وكان السبب في تاخيرها ومجيئها في ذاك الوقت هو انها حتمت على نفسها ان تسعى بخلاص الامير في تلك الليلة لما رات انتصار العرب وشاهدت دخول ابيها وعمها المدينة وافتكرت في نفسها اذا ملكت العرب المدينة سعت الى خلاص الامير حمزة وحبيبي فاي فضل يكون لي اذ ذاك بل اكون قد خسرت ما انا عازمة عليهِ واضعت تعبي بالباطل وكانت تعرف جيدًا ان مفتاح القلعة في تلك الايام هو مع عمها ورقا ولذلك هان عليها الحصول عليهِ لعلمها ان عمها يحبها جدًّا وكان يريد الحصول عليها وانها امتنعت عليهِ لكبر سنهِ مع ان اباها كان يريد ذلك اذ ما من شريعة تمنعهُ عن تقديم بنتهِ لاخيهِ وقد اثبت التاريخ عن كثير من الملوك ممن تزوج باختهِ ولا سيما ملوك مصر الفراعنة قبل تلك الايام . واسنادًا على ذلك نهضت عند المساء وذهبت الى سراية عمها بعد ان تزينت بافخر زينة وعند وصولها الى الباب طلبت من الخادم ان يوصل خبرها الى عمها فسار اليهِ وبلغهُ ذلك فكاد يطير عقلهُ مع ما هو عليهِ من الحزن والكآبة على خسارة الجيوش ومحاصرة المدينة وامرهُ بان يسرع بادخالها عليهِ وتقدم لملاقاتها وترحب بها

عند مشاهدتها وهو يتعجب من مجيئها اليهِ في مثل تلك الساعة ثم دخل وإياها الى غرفة منفردة وقال لها اني اعجب من مجيئك اليَّ في مثل هذه الساعة فالف اهلاً ومرحبًا . اجابت لا تعجب من ذلك الست انت عمي ومن الامر الطبيعي البديهي ان الذي يكدرك يكدرني والذي يغيظك يغيظني وعرفت من ذاتي انك لا بد ان تكون في كدر من جرى الاحوال الحاضرة وعليهِ فقد دعاني حبي ان اجيء اليك في هذه الساعة علي اقدر ان ازيح عنك الهم واجلي الكدر فطار عقلهُ من كلامها . فاجابها لقد احسنت فاني كنت بهم وكدر فوجودك عندي ما يزيل كل شائبة ويزيح كل غم وهم فاهلاً بك ومرحبًا ومن بعد قيامك عندي هذه الليلة لا اعود إسأل عن مصر ولا من فيها . قالت اهل تريد ان نشرب قليلاً من الخمر اجاب اليك ما طلبت ثم امر ان تحضر اليهِ بواطي المدام والنقل والرياحين فاحضر بين يديهِ كل شيء . ثم ان درة الصدف قربت منهُ وزادت في بسطهِ وسكبت لهُ الخمر وسقتهُ وقبلتهُ في لحيتهِ حتى سكر من غير مدام وعاد لا يرى ما بين يديهِ وهي تسكب في كل دقيقة كاسًا مملوءة الى اعلاها وتسقيهِ وهو تائه غائص في بحار من الهيان وما برحت تسقيهِ الخمر حتى غاب عن الهدى فزادتهُ وهو لا يسع مخالفتها فوقع الى الارض كالمائت من شدة الثمول فاغتنمت هذه الفرصة وفتشت في جيبهِ فلم ترَ الاَّ مفتاح فاخذتهُ وفتحت الصندوق وفتشت فيهِ فعثرت على المفاتيح فتناولتها وهي مسرورة فرحة واسرعت عائدة الى قصرها ودعت بقهرمانتها ان تتاثرها بالطعام على حسب العادة فسارت في اثرها ومشتا حتى النهر وكان اسمندار على مقالي النار لا يعرف السبب الموجب الى تاخيرها عن الوقت وقد ضاع عقلهُ وشغل بالهُ وخاف من ان تكون اصيبت بمصيبة وهو مسرور من مجيئها في كل ليلة اليهِ فتصرف وإياه وقت الذهاب والاياب وهو يعد نفسهُ بقرب وصولها اليهِ حيث كان ترجح لهُ ان المدينة ستاخذها العرب باقرب وقت ويتخلص الامير حمزة فيزفهُ عليها وما برحت هذه الحالة حالتهُ وكلما سمع حركة من جرى خرير الماء او هبوب الريح ظن وصولها اليهِ الى ان اقبلت فعلاً فتاكدها واسرع اليها هالعًا وسالها عن سبب غيابها فقالت لهُ ليس الان وقت شرح الحال فسر امامي الى القلعة فلا بد ان يكون الامير ورفيقهُ في حاجة الى الطعام وقد وقعا باليأس من جرى طول غيابي فسار بين يديها وابقت القهرمانة في مكانهِ ولا زالت سائرة حتى وصلت الى القلعة المذكورة فدخلت بين الاشجار المظللة للباب ودنت منهُ ووضعت المفتاح في القفل وفتحتهُ كما تقدم ودنت من الامير وسلمت عليهِ ودفعت لهُ الطعام وفيما هي تخبرهُ عن سبب غيابها وتعتذر اليهِ واذا بباب القلعة قد اغلق بسرعة قوية وتساقطت اقفالهُ بالمفاتيح التي كانت باقية في الباب ومن جرى هذا العمل صاحت درة الصدف من الخوف ووقعت الى الارض حزينة لا تعرف من عمل هذا وقد ظنت اما ان يكون احد من قومها يراقب عملها فاجرى ذلك

واما ان يكون اسمندار الذي تركتهُ في الخارج قصد غشها فيغتنم الحصول عليها بواسطة ابيها من هذا العمل ومثل ذلك وقع على معقل البهلوان من الهم والغم والخوف على الحياة واما الامير حمزة فقد لاح لهُ من خلال ذاك الظلام ان هذا العمل هو عمل عمر العيار ولذلك صاح بهِ افتح ياوجه القرد ولا تلقي الرعب في قلوبنا فقد عرفناك ورآك عقلي قبل ان يراك بصري . فقال لهُ لا افتح الا بعد ان تعترف درة الصدف ان الفضل لي بخلاصكم اكثر منها وان الفضل لها بحياتكم فقط واتيانكم بالطعام . فقال لهُ اننا نعرف ذلك ونعترف انك على الدوام صاحب الجميل والمعروف فلا تقصر في نفع قومك قال اريد ان تقول لي ذلك درة الصدف . ولما رات درة الصدف ان هذا هو عمر العيار هدأ بالها وسكن جاشها وسمعت كلامهُ فقالت ليس فقط لك الفضل بخلاص الامير وخلاصنا بل باحيائي لاني كنت لو لم اتاكدك مت لامحالة من الخوف والوهم . فافتح ولك كل ما تريد وحينئذٍ تقدم من الباب ففتحهُ وقال لهم اخرجوا الى الخارج فخرجوا جميعاً ونظروا الى السماء وهي مدبجة بالنجوم مطرزة بطراز انوارها فشكروا الله شكراً جزيلاً وحمدوهُ حمداً طويلاً

وكان السبب في وصول عمر تلك الساعة هو انهُ كما تقدم معنا انهُ وعد اندهوق بخلاص اخيهِ ومعقل البهلوان في تلك الليلة حيث كان يعلم بمكانهما فسار الى ان وصل الى الاسوار فتسلقها وقلب الى الداخل دون ان يراهُ احد ولم يكن معهُ مفتاح للباب لكنهُ عزم في الاول ان يسير الى تلك القلعة ويشاهد منافذها وبابها علهُ يتوصل الى الداخل فيخلصهما والاَّ اذا تعذر عليهِ ذلك عاد الى التفتيش وسرقة مفتاحها ولا زال حتى وصل الي باب القلعة فراى في خارجها اسمندار واقفاً فشغل بالهُ وانسل الى جهة الباب فسمع كلام اخيهِ ودرة الصدف بتمامهِ فتاكد انها جاءت الى خلاصهِ ولذلك شكر منها لكنهُ تكدر من قصورها ودخولها الى الداخل وبقائهم جميعاً يتكلمون والباب مفتح وفي الخارج رجل اخر وكان من الواجب ان يخرجوا في الحال ويفصلوا القصص هناك فاراد تجربتهم فنعل ما فعل ولما صاروا في الخارج قال لهم كان من الواجب ان تسرعوا خوفاً من ان يكون احد يترقبكم ويلاحظكم وقد رايت شبحاً واقفاً في هذه الجهة فلم ادعهُ يراني ولا اعرف من هو فقالت درة الصدف هذا وكيل النيل وكان يساعدني في كل ليلة على المجيء اليكم فيمر بي النهر ولولاهُ لتصعب الوصول اليكم وقد طلب اليَّ ان يتزوج بي فوعدتهُ لاتمام غايتي واما الان فاني اريد منكم مكافاتهِ على ذلك بغير شيء حيث ما من وسيلة لاتمام وعدي لهُ اذ اني صرت لغيره . فقال لها الامير اني ساقيمهُ ملكاً على هذه المدينة واجعلهُ حاكماً مثلنا وهذه اعظم مكافاة . ثم انهُ دعاهُ فحضر اليهِ فشكرهُ على جميلهِ ومعروفهِ واطمئن بالهُ من اجل غايتهِ

قال ثم ان حمزة قال لعمر سر انت من هنا وارجع الى العرب واخبرهم بخلاصي وقل لاندهوق ان ياتي مع باقي الفرسان عند انبثاق نور الصباح فيجد باب المدينة مفتوحاً فاني حالما اشعر به اهجم على الحراس فاقتلهم وافتح الباب فيدخلون ونستلم المدينة باقرب آن واما انا فاني ساذهب واصرف باقي هذه الليلة في بيت درة الصدف فاستحسن كلامه وودعه وسار الى الاسوار فتسلقها وقلب الى الخارج وسار الى ان وصل الى العرب وكانوا اذ ذاك نياماً فايقظهم وامر ان يجتمعوا الى صيوان الملك النعمان فجاءوا جميعاً وقالوا اخبر يا عمر فما وراءك من اخبار اميرنا وسيدنا. فقال ان الامير قد تخلص من القلعة ومالك حريته تماماً وهو ينتظركم في الصباح عند باب المدينة فيقتل الحراس ويفتحه لكم فتدخلون وتمتلكون المدينة. ثم انه اعاد عليهم كل ما سمع وفعل في غيابه. ففرحت العرب جميعاً بذلك ولاسيا اندهوق فانه نهض من تلك الساعة وقال لا يجب ان نضيع الوقت بالباطل فان الصباح قريباً وليذهب كل واحد منكم الى جيشه فيعدده ويأتي به الى عند الاسوار ونقف نحن في المقدمة لنكون اول الداخلين فاننا بشوق زائد الى مراى الامير. فاجابوا قوله واطاعوا امرهُ وقامت العساكر من مراقدها وهي لا تبدي حركة ولا تظهر اصواتاً خوفاً من انتباه سكان المدينة اليهم وتقدموا الى جهة الباب ووقف عند الباب اندهوق والمعتدي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وسلوى واصفران الدربندي والامير عقيل وفي الاول عمر العيار وانتظروا فتح الباب

وكان الامير حمزة بعد ان سار عمر عنه جاء مع درة الصدف الى ضفة النيل وهناك تقدم اسمندار بنفسه واحضر الزورق فقطعوا النهر عليه وصاروا في الجهة الثانية واذ ذاك قال الامير لاسمندار اترك هذا المكان واتبعنا فانت في الغد تكون ملكاً على هذه المدينة وحاكماً عليها ففرح لكلامه وسار معهم حتى جاءوا الى قصر درة الصدف فدخلوه ومعهم القهرمانة فاسرعت الى خدمتهم واحضرت لهم الشراب وكل ما هو لائق باكرام الامير وصرفوا باقي تلك الليلة الى ان تبينوا نجمة الصباح فنهض الامير ومعقل البهلوان وسار امامها اسمندار واتوا الى جهة باب المدينة وهم بالاسلحة الكاملة وكل واحد منهم يتمنى ان يجرد سيفه لهلاك اعدائه الذين فعلوا على هلاكهما وعندما وصلوا من الباب هجم حمزة على الحراس وصاح فيهم ويلكم اوغاد غير امجاد قد حل بكم الويل والبلاء وجاءكم الامير حمزة فلما سمعوا ذلك ارتكنوا الى الفرار فلم يمكنهم بل اسرع اليهم مع معقل البهلوان واعدماهم الحياة واخذا مفاتيح الباب ففتحاهُ وراى الامير في الاول اندهوق فرمى بنفسه عليه وسلم على باقي الفرسان وامرهم بالهجوم على المدينة فانطلقوا عليها واندفعوا كالبحور الزواخر وبايديهم السيوف البتر وغاصوا في جنبات المدينة شرقاً وغرباً واشبعوا اهلها طعناً وضرباً وعلا صياحهم وصراخهم فاهتزت اركان البلد ومالت اسوارها وبسبب ذلك استيقظ ورقا

وكان قد صحى من سكرتهِ فارتعب وارتجف وفتش على درة الصدف فلم يرَها فارتاح بالهُ وسال عن سبب ذاك الصراخ فقيل لهُ ان الاعداء قد دخلوا المدينة واخذوا في ان يذبحوا من اهلها بلا شفقة ولا رحمة وفي مقدمتهم الامير حمزة العرب واذ ذاك افتقد مفتاح صندوقهِ فلم يرهُ في جيبهِ فاسرع الى الصندوق فوجدهُ مفتوحًا ومفاتيح القلعة ماخوذة منهُ فوعى الى حيلة درة الصدف وكاد ينشق من عملها وفيما هو على مثل ذلك واذا باخيهِ سكاما قد دخل عليهِ وقال لهُ قد ثبت عندنا ان سكان المدينة اصبحوا في يد الاعداء واذا بقينا نحن هنا ساعة اخرى وصلوا الينا وانتقموا منا ولذلك اريد منك ان تسرع فتتبعني لنخرج من باب اخر ونهرب من المدينة ونقصد بلاد العجم اي بلاد كسرى انوشروان . فاجابهُ الى طلبهِ واسرع الى ما يحتاج اليهِ من المتاع والدينار فاخذهُ وسار مع اخيهِ هاربين الى باب مودٍ الى خارج البلد فخرجا منهُ وامنا على انفسهما وسارا من هناك يقصدان المداين ليطلعا كسرى انوشروان على ما فعلت العرب من الافعال ومن قتلت ومن اسرت . واما امراء العرب فانهم ما برحوا يقتلون و ياسرون وعساكرهم متفرقة في كل ناحٍ حتى وصل حمزة الى قصر سكاما ورقا فدخلهُ وفتش عليهِ فلم يرهُ فسار الى قصر ورقا وفتش فيهِ فعلم انهما هربا ولذلك عاد الى المدينة وطاف في الاسواق وهو يسمع صراخ المصريين وعويلهم وما برح الى ان سمعهم يطلبون الامان و يبدون الطاعة وعليهِ فقد امر اخاهُ عمرًا ان ينطلق في الاسواق وينادي بامره بالكف عن اهل المدينة والرجوع عن القتل والنهب ومن ثم اخذ العرب في ان يرجعوا وهم منصورين ظافرين يصفقون ويغنون واما الامير فانهُ سار الى قصر الاحكام فدخلهُ وجلس على عرش سكاما وورقا ومعهُ معقل البهلوان حيث كان لا يفارقهُ قط و بعد ذلك اخذت امراء العربان تتوارد الى ذلك المكان وجاء الملك النعمان وجلس في مكانهِ المرتفع الممتاز ولما راق الحال وهدأ البال تقدم كل واحد من الجماعة الى اميرهم وسلم عليهِ وهناهُ بالخلاص وجاءت كبراء المدينة وسلموا عليهِ وهم يظهرون الطاعة والرضوخ لاوامره وقالوا لهُ لا ذنب علينا وان الذنب كلهُ على سكاما وورقا واما الرعية فهي على الدوام تتبع ملكها وحيث قد غاب عنا ملكانا وخلص زمن تملكهما فصار من الواجب ان تكون انت المتولي علينا والمعهد اليك بتدبير مهام بلادنا فشكرهم وطمنهم على اموالهم ونفوسهم وقال لا تخشوا باسًا فاننا ما جئنا هذه البلاد الاَّ بقصد قبض الاموال المضروبة عليها عن سبع سنوات كغيرها من العواصم التي مررنا بها وجئنا اليها فامتنع حكامكم فصادفوا شر هذا الامتناع واما انا فاني ساقيم عليكم حاكمًا منكم قد اخترتهُ وهو الذي اخلص ودهُ لي وسيكون تحت امري وطاعة العرب وهو اسمندار وكيل النيل فقالوا لهُ اليك ما شئت فافعل فانت المالك ونحن العبيد وفي الحال دعا اليهِ باسمندار ولما وقف بين يديهِ . قال لهُ انت تعرف الان اننا قد ملكنا البلاد وصارت في

ايدينا وقد وعدناك ان نكافيك على جميلك معنا ومعروفك ولكن هذه المكافاة غير ما تطلب لان
نفسك تميل الى درة الصدف وهي قد غشتك وما كان بقصدها ان تتزوج بك بل فعلت ما
فعلت اكرامًا لي وميلاً الى معقل البهلوان ولذلك اريد منك ان لا تطمع نفسك بها وتتركها
لصاحبها وانا اعهد اليك بحكومة مصر والتملك عليها فتختار لنفسك فتاة منها وهذا افضل لك
من كل شيء . فلما سمع اسمندار ذلك وتاكد انهُ اصبح الحاكم على مصر غاب صوابهُ واندهش
وقال للامير من انا لاخالف امرك واوليتني من الجميل ما لا يقدر فقد رفعتني من حضيض
الانحطاط الى اوج المجد والسعادة وقدمتني في عالم الحياة الى التملك على بلاد كمصر بعد ان
كنت نوتيًا من عالم الخدمة والعبيد . فمدحهُ حمزة على قولهِ ومن ذلك الوقت قرب منهُ رجال
مصر ورفعهُ ملكًا عليهم وامر ان ينادى في كل المدينة بان الملك عليهم اسمندار وكتب الى سائر
النواحي والاقضية ان ياتوا لخدمتهِ ويعرفوه منذ ذلك الحين الحاكم عليهم فتقاطرت اليهِ القضاة
والعمال ورواق الجمال في بلاد مصر كان لم يكن وقع بها شيء . ثم امر حمزة اسمندار ان يسعى في
جمع الاموال والاخرجة المطلوبة منها عن سبع سنوات فاجاب طلبهُ وكتب الى كامل الجهات
يجيب طلب الامير .

قال واقام العرب في بلاد مصر الى ان كان ذات يوم وهم جالسون في صيوان الملك النعمان
خارج المدينة واذا برسول دخل على الامير حمزة وقبل الارض بين يديهِ وقال لهُ اعلم ياسيدي
اني من مدينة حلب من خدام نصير صاحبها وقد جئت منهُ اليك لاخبرك بان كسرى منذ
وصول خبر اعمالكم في عواصمهِ واخراج بعض البلاد عليهِ سعى بجمع الجيوش ليبادركم بالقتال حين
رجوعكم حتى امتلأت المدائن وكل سهولها ووعورها فلا يعرف عدد تلك العساكر ولذلك
اراد ان يوصل هذا الخبر اليك لتكون على بصيرة ولا توخذ بغتة وتعرف ان كسرى عدوك وانهُ
لم يعد في نيتهِ ولا ذرة من السلام والامان . فلما سمع حمزة هذا الكلام اسودت الدنيا في عينهِ
وقال هذا الذي اريدهُ واطلبهُ وسوف يعلم من منا يكون الرابح ومن الخاسر واني اثق بالله ان
يساعدني عليهِ وعلى وزيرهِ بختك ولو جمع الوفًا والوف الوف ومئات الوف من الابطال .
ثم التفت الى الملك النعمان وقال لهُ اسالك ياسيدي ان تامر العرب بالرحيل على اعقابها من
حيث اتت فقد كفى ما جمعنا من الاموال لنرى ما يكون من امر الاعجام ولا بد لي من ان اثل
هذا العرش واهدم ذاك الايوان واجعل بلاد الفرس قاعًا صفصفًا . فاجابهُ الى طلبهِ واوصى
بين طوائف العرب ان مرادهم الرجوع الى المدائن فليستعد كل واحد للرحيل بعد ايام قليلة
ثم ان اسمندار قدم الى الامير حمزة ما طلبهُ منهُ وكان ما يسد بهِ السهول والوعور فقبض الكل
وضمهُ الى ما معهُ من الاموال واعلن غايتهُ بالركوب في صباح اليوم الثاني فتهيأت الابطال والرجال

ورفعت الاحمال على ظهور البغال وما مضى الا القليل من الوقت حتى اقفرت تلك الارض من العرب ومن خالطهم وساروا عائدين على طريق قويم يقصدون المدائن وهكذا قد انتهت سياحة الامير حمزة وجباية الاخرجة وقد جمع اليهِ من الذهب والفضة والنوق والجمال والاحمال الثقال ما لا يضبطهُ قلم كاتب ولا يحصاهُ فكر حاسب . وما برح في طريقهِ مدة شهور وايام حتى وصل الى مدينة حلب وعرف بقدومهِ الملك نصير الحلبي فخرج الى ملتقاه وعندما اجتمع بهِ سلم عليهِ وترحب بهِ مزيد الترحاب ونزل العرب في ضواحي المدينة وضربت خيامهم وسرحت انعامهم وفي نيتهم ان يقيموا عدة ايام في تلك الجهة ليبنما يرتاحون ويكتشفون اخبار كسرى انوشروان ولما استقرَّ بهم المقام سالوا الملك نصير عما بلغهُ من احوال كسرى واستعادوا منهُ الخبر فقال لهم جل ما اعرفهُ ان كسرى بعث بالكتب الى كل النواحي يطلب ارسال العساكر والمدد فبعض العمال اجاب وبعضهم امتنع وكل الذين مررت بهم خالفوا ومن جملتهم انا فاني رددت رسولهُ بالخيبة واخبرتهُ اني صرت من اتباع الامير حمزة فتهددني ولذلك بعثت اليك اطلعك على هذا الخبر خيفة منهُ . قال لا بد لي من ان اريهُ اعمال العرب وقوة بطشهم وقد ظن في نفسهِ اني اموت واهلك فارسلني في عدة مهالك فكانت خيرًا ونجاحًا لي

ثم ان الامير حمزة دعا باخيهِ عمر وقال لهُ اريد منك ان تذهب الى المدائن وتجس لي احوال العجم وتسبر اعاق اعمالهم وتاتيني عنهم بالخبر اليقين وتعرف مقدار العساكر التي تجمعت هناك وما في نية كسرى ان يفعل اهل يصرُّ على الحرب او يمتنع وانظر من تجمع عنده من الفرسان الذين عليهم الاعتماد فاجاب عمر طلبهُ وتزيا بزي حجاب العجم واخذ ما يحتاج اليهِ وانطلق من حلب بخفة الرياح عدة ايام وليال حتى جاء الى مدينة كسرى فوجد الجيوش قد غطت السهول والوعور وملأت تلك الارض بالطول والعرض فدخل فيما بينهم وهو يتعجب من كثرتهم وانتشارهم وجاء ابواب المدينة فدخلها وقرب من ديوان كسرى ووقف بين يدي الملك دون ان يعرفهُ احد منهم واختبر كل من هناك ولا زال صابرًا حتى انفك الديوان ومضى كل واحد الى حالهِ فتاثر الوزير بزرجمهر حتى دخل قصرهُ فدخل خلفهُ وقبل يديهِ وسلم عليهِ وعرفهُ بنفسهِ وقال لهُ اني جئت اليك من قبل اخي الامير حمزة لاستفسر منك عن افكار كسرى وماذا جرى من بعد سفرهِ قال واين هو اخوك . اجاب في مدينة حلب وقد عاد منصورًا غانمًا كاسبًا ومعهُ اموال غزيرة جدًّا ولا يزال بانتظار عودتي لاطلعهُ على حقيقة احوال كسرى وعساكره . فقال لهُ اعلم ان بعض اخبار اخيك وصلت الى الملك كسرى واغاظت بختك الوزير العدو الاكبر للعرب فادخل في عقلهِ ان العرب بعد عودتهم لا بد ان ينزعوهُ ويطردوهُ من البلاد والدليل انهم اخرجوا عليهِ عمالهُ وكل بلاد دخلوها ادخلوها في طاعتهم واتفقا على جمع الجيوش وتجمع

الجموع حتى صار نحو ١٧ اكرة من العساكر حول المدينة وهذا العدد غزير جدًّا . قال اني اريد ان اسالك ياسيدي عن رجل رايتهُ جالسًا في صدر الايوان في المكان الذي كان يجلس بهِ الامير حمزة ووجدت ان لهُ من الاعتبار والاكرام ما كان لاخي عند صفاء باطن كسرى ومحبتهِ . اجاب اعلم ان هذا يقال لهُ زوبين الغدار صاحب بلاد زوال وكموال وهو من فرسان هذا الزمان الصناديد فكتب اليهِ كسرى واقامهُ بهلوان تخت بلادهِ ووعدهُ بزواج بنتهِ مهردكار بشرط ان يقتل الامير حمزة ويخلص الفرس من شرهِ وهو على الدوام يناديه بصهرهِ وعرف الاعجام باجمعهم انهُ سيتزوج بمهردكار . قال لا بد من ان يرى طالعها مشومًا فيلحقهُ اخي حمزة بالذين عاندوهُ وذاقوا حتفهم . قال اني انصحكم ان لا تباشروا حروبًا في هذه الايام بل اخبر حمزة ان يبقى في حلب الى ان تمضي ايام النحوس حيث قد تبين لي انها ستكون عليهِ وبالاً . فقبل عمر يديهِ وخرج من عندهِ يقصد حلب الشهباء حتى وصل اليها ووقف امام اخيهِ وهو في الصيوان واعاد عليهِ كل ما سمعهُ من بزرجمهر الوزير وما شاهدهُ من كثرة الجموع التي راها . فاضطرب عند سماعهِ هذا الكلام وكاد يطير صوابهُ من الغيظ وقال سوف يعلم زوبين هذا شر عملهِ الى ابن يوصلهُ ويتاكد ان كل من تعرض لمهردكار كان دواؤه السيف الصقيل البتار . ولم يعتنِ بكلام الوزير بزرجمهر ونصحهِ لهم ان لا يباشروا حربًا في تلك الايام بل امر في الحال ان تستعد العساكر للسير الى المدائن وهو يتمنى ان يكون لهُ جناح للطيران ليصل باقرب آن الى تلك الجهة ويبطش بجيوش اعدائهِ اللئام . ومن ثم اخذ العربان بالاستعداد والتهيء يقصدون الرحيل عن تلك الارض والمسير الى ساحة القتال . وفي صباح اليوم التالي انتقلوا من هناك وساروا في طريق المدائن حتى اقتربوا من البلاد المذكورة وبانت لهم جيوش الاعجام منتشرة انتشار الغيوم في ضواحي المدينة واذ ذاك امر الامير حمزة ان تضرب الخيام على مقربة من الاعداء وتسرح الانعام والاغنام خلف منها . فنزلت العرب في تلك الارض ونصبوا خيامهم وترتبوا على حسب ما امرهم الامير وبعد ذلك كتب حمزة كتابًا الى كسرى انوشروان واعطاهُ الى اخيهِ لكي يوصلهُ اليهِ وطلب منهُ ان ياتيهُ بالجواب منهُ حالاً فسار الى ان دخل الديوان وشاهد من فيهِ فلم يبدِ كلامًا ولا خطابًا بل دفع الكتاب الى كسرى وسالهُ الجواب فناولهُ الى الوزير بزرجمهر وسالهُ ان يتلوهُ علنًا ففشهُ واذا بهِ

من الامير حمزة البهلوان فارس فرسان هذا الزمان ومذل الجبابرة والشجعان الى الملك كسرى انوشروان صاحب التخت والايوان

اعلم ايها الملك الكبير اني كنت في الاصل قد اخلصت لك الود وخدمتك خدمة صادقة امينة رجاء ان تسمح لي ببنتك مهردكار وانت تقابل حسناتي بالقبح وتنقاد الى وزيرك بختك

الخبيث الذي يعمل على خراب مملكتك حتى انك اخيرًا بعثتني الى جمع الاخرجة وزعمت ان لك في ذمة العمال مدة سبع سنوات وكان من امرك انك بعثت الى تلك البلاد برسلك ورسائلك تطلب اليهم الانتقام من العرب والانقراضهم وقتل امرائهم غير ان الامر جاء بخلاف مقصدك لان الله الذي نعبدهُ هو يحرسنا ويسهل لنا طرق النجاح ابن ذهبنا وفي اي طريق سرنا فجمعنا المطلوب عن سبع سنين سلفًا بعد ان قهرنا كل فارس وبطل وطاعت لنا البلاد وخدمتنا العباد ونحن من حمدهِ تعالى على غاية السعادة والتوفيق وقد جئنا الى هذه النواحي ومعنا من الفرسان كل جبار عنيد مثل مباشر وبشير والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وغيرهم من الذين فضلوا السعي بين يدي من البقاء في بلادهم . ولا خفاك ان الذهب الذي جمعتهُ يبلغ مقدارهُ اربعمائة جمل واضعاف اضعاف ذلك من الفضة واما عدد الاغنام والنوق والفصلان فلا يقدر ان يضبط عددها الا الله . وانا الان اسمح عن كل ما اوصلتهُ اليَّ واسلم اليك بكل هذه الاموال اذا اجبت سوالي وارسلت لي مهردكار لاخذها واسير بها الى مكة المطهرة ويكون الامر بيننا باقٍ على حالهِ والاَّ اذا امتنعت فاني لا اسلم الاموال بل اعمل على الحرب والقتال وانت تعرف اعمالي واعمال ابطالي فلا تغتر باقوال بختك واعمالهِ وتظن من نفسك ان هذه العساكر التي تجمعت تقدر ان تحمي المدائن من غضبي وتصونها من بطشي وقوة فرساني وهاك اخر ما اريدهُ والسلام

وما انتهى الوزير بزرجمهر من قراءة هذا الكتاب حتى نهض بختك وهو يضطرب ويرجف وقال اني من مثل هذه الوقاحة كنت اخاف لان العرب قوم اجلاف لا يكرمون واذا اكرموا شمخوا وهاك ايها الملك العظيم البرهان الاكبر على صدق قولي فقد جمع الاموال وطمع بها واراد ان يتهددك انهُ لا يسلمها الا اذا سلمناه مهردكار كأَن مهردكار آلة تنتقل وتنوب لياخذها ويسير ولا زال بختك على مثل هذا الكلام حتى اوغر صدر كسرى حنقًا وقال لعمر اذهب الى اخيك وقل لهُ ان لا بنات عندنا لهُ فاذا شاء سلمنا الاموال ورحل عنا الى بلادهِ عفوت عنهُ وتركت تاديبهُ والاَّ فاني ربطتهُ بالحبال وجازيتهُ اقبح مجازاة وجعلتهُ عبرة لغيره من امثالهِ . فسار عمر الى ان دخل على الامير حمزة وهو في صيوان الملك النعمان وعندهُ سائر الابطال والفرسان فبلغهُ كلام كسرى وانهُ مصرٌّ على العناد ومنقاد الى قوال بختك ابن الاوغاد . فقال سوف يعرف الى ابن يوصلهُ عنادهُ ولا بد من خراب هذه الدولة وانقراضها . ومن ثم امر قومهُ ان يستعد كل واحد منهم الى مباكرة الحرب ومفاجئة الاعداء باقرب آن

وبلغ مهردكار وصول الامير حمزة بقومهِ سالمًا ففرحت الفرح الذي لا يوصف وسقط هم كبير عن قلبها غير انها كانت حزينة من عمل ابيها وعنادهِ واصراره على حرب حبيبها وكانت

تتمنى من كل قلبها ان يتسهل لها طريق الخلاص من المدينة والوصول الى يد الامير باي طريقة كانت لتامن على نفسها وتؤكد انها صارت خصيصة بهِ فان عاش عاشت وان مات ماتت معهُ وقاسمتهُ الشقاء والهناء ولاسيما وقد عرفت ان اباها قد وعد زوبين الغدار صاحب بلاد زوال وكموال بها وانهُ وعدهُ بقتل حمزة حبيبها . وقد رات الى زوبين من شباك قصرها فوجدتهُ شنيع الخلقة كبير الراس قصير القامة ضخم الساقين كبير الانف احول العينين فضحكت من خلقتهِ وشناعة منظرهِ وقالت في نفسها الموت خير من ترك الامير حمزة . واقامت مرة في حزن ومرة في اوهام واخرى في آمال ورجاء تنتظر ما يكون في النهاية من امر ابيها وحبيبها الى ان كان ثاني يوم من مجيء العرب نهض الامير حمزة من رقادهِ وامر ان يقدم اليهِ جوادهُ الاشقران فركبهُ واعتلى على ظهره كانهُ قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وركب من حواليهِ جماعتهُ وركب اندهوق بن سعدون وقاهر الخيل وبشير ومباشر واصفران الدربندي والامير عقيل وكل فارس وبطل وضربت طبول الحرب من ناحية العرب حتى ارتجت منها السهول والوديان وركب الملك النعمان ونشرت فوق راسهِ راية النسر والعقاب وقد تالف من العرب جيش عظيم عرمرم يبلغ مقدارهُ ثلثمائة الف مقاتل كلها اسود كواسر ينتظرون اشارة الامير للهجوم وخوض تلك المعامع ولما سمع العجم اصوات طبول العرب ضربت طبولهم بامر الملك كسرى فهاجوا وماجوا واضطربوا وتراكضوا الى الخيول وركب زوبين في المقدمة وفي كل نيتهِ انهُ ينال المقصود في ذلك اليوم لانهُ شاهد قلة العرب وكثرة عساكره ومثل ذلك كان ظن كسرى انوشروان لان بختك كان يقول لهُ ان كثرة عدد عساكرنا تخولنا النصر والظفر على الاعداء لان الكثرة تغلب الشجاعة لا سيما وعندنا صهرك زوبين الذي وحدهُ يقدر على تفريق هذه الجيوش وهلاك فرسانها وابطالها وموت حمزة العرب وسوف ترى ذلك باقرب آن

قال ولما اصطفت الصفان وترتبت الفريقان . وآن اوان الحرب والطعان . صاح الامير حمزة صياح الابطال . وهجم هجوم اسود الدحال . وفعل كفعلهِ اندهوق وهو فوق فيلهِ كالاسد الرئبال وكذلك المعتدي حامي السواحل وباقي الرجال . فما منهم الاَّ من طال واستطال . وغاص في عباب ذاك القتال . وهو يودُّ هلاك الاخصام . واحراقهم بنيران الانتقام . وحملت العرب على العجم والعجم على العرب . وهاج بحر المنايا واضطرب . وتجدد مخالبهُ وانتشب . ورفعت على عواتقهِ احمال التعب والنصب . وكان يوماً كثير المصائب عظيم المصاعب . شديد الاهوال . قوي الاخطار على الابطال . وفرسان ذاك المجال . فيهِ تخضبت الارض بالدماء وتدفقت ميازيب المصائب كما بيب السماء . ودارت على الابطال كؤوس الفناء . وذاقوا مرارة العناء . وما انقضى ذاك النهار الاَّ وقد اشفى الامير حمزة غليلهُ وترك القتلى تلالاً واكاماً

واوقع بجيش الاعجام واذاقهم كاسات الحمام وعاد عند المساء يزأر كالاسد الكاسر ورجعت الجيوش المتقاتلة كل جيش الى مقامهِ وهو لا يصدق الخلاص من هول ذاك النهار وبات الفريقان يتحارسان طول ذاك الليل الى ان جاء اليوم الثاني فاسرعت فرسان العرب الى القتال وتقدم الاعجام الى ملاقاتهم وهم يبربرون بلغاتهم ويطلبون الانتقام من العرب واميرهم على ما فعلوه معهم في اليوم الماضي وما وقعت العين على العين وانتظم ترتيب الفريقين حتى رن صوت الامير حمزة بكل اذن وهو يتهدد العجم ويتوعدهم وانحدف عليهم كقضاء الله المنزل فاندفعت من خلفهِ بحور العربان فالتقاه رجال كسرى انوشروان والتطم البحران فاضطربا وهاجا . واختبطا وماجا . وراج سوق ذاك اليوم اكثر من اليوم الاول واشعلت نارهُ تلتهم طوال الاجل . فتقصف الاعمار وتذهب بها الى عالم البوار . وقد اسودت الشمس اي اسوداد واكمد الافق اى اكمداد وانتشر الغبار كالعلم فوق رؤوس تلك الامم حتى زهقت نفوسها وكرهت في الحياة وتمنت سرعت الخلاص من هذه الدنيا اذ كان ثم لا نجاة . وكل امير من امراء العرب اخذ على نفسهِ ناحية ففرق رجالها واهلك ابطالها والقى في قلوبهم الخوف والرعب . كان كسرى يشاهد وهو تحت العلم عن بعد افعال فرسان العرب وهي تقاتل وتقتحم المنايا كالبزاة اذا طاردت اضعف العصافير فقال لوزيره بختك وهو الى جانبهِ . اي وزيري اني لست راضيًا من هذه الحالة فانت الذي كنت السبب في القاء العداوة بيني وبين العرب مع انهم كانوا طائعين لنا وتحت امرنا فحرمت روح ابوك من الاحراق بالنار ورميت بالثلج والزمهرير اذا تشتت فرساني وهلك رجالي فقال لهُ مهلاً ياسيدي فان الحرب لا تزال تحت الرجحان ومن الموكد ان الفوز لنا فانظر الى صهرك زوبين كيف يقتحم الاهوال كانهُ الاسد الرئبال والفرسان تفر بين يديهِ كما تفر من كبار البواشق صغار الحجال قال ان ما يفعلهُ زوبين وهو واحد من جيوشنا يفعل اضعافهُ جيوش العرب وفرسانهم ويظهر لي ان كلهم زوبينات وحمزات . قال اصبر الى الاخير فترى النصر لمن يكون وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تتقدم ضحية الى سلطان العدم . حتى ولى النهار وانهزم . وتقدم الليل بسوادهِ وهجم . وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال ورجعت الفرسان والابطال . وعاد الامير حمزة وهو كشقائق الارجوان مغموس بادمية الفرسان . ومثلهُ المعتدي حامي السواحل واندهوق بن سعدون وباقي رجال العربان . وقد فازوا بعض الفوز في ذاك اليوم . واما الاعجام فقد عادوا مقهورين متاخرين ولما وصل زوبين الغدار امام كسرى انوشروان وهو بلون احمر من الدماء قال بختك لكسرى انظر صهرك ياسيدي فقد تغيرت الوانهُ وصبغ بدماء الاعداء ولا بد لهُ من ان يبيد هذه الطائفة العربية ويأدبها اي تأديب . فقال زوبين سوف يظهر لك المستقبل ما يكون من امري وامر العرب حتى اني بايام قليلة افنيهم عن اخرهم واني اعدك على

سمع من الحضور في هذه الايام ان لا بد لي من قتل الامير حمزة وهلاكه ومتى قتل ضعفت شوكة الباقين وسلمونا انفسهم نفعل بهم ما نريد ونختار

قال وفي اليوم الثالث عاد المتقاتلان الى الحرب والطعان كاليومين الماضيين الى حين الزوال وفي المساء عادوا الى الخيام وهكذا اتصل القتال بين العربان والاعجام الى مدة خمسة عشر يوماً حتى تبين النقص في رجال كسرى وظهر ضعفهم للعيان واصبحوا بخوف وقلة امان. وثبت عند كسرى ان الحرب اذا بقيت على هذا المنوال عدة ايام اخر حلت به العبر ولذلك دعا بختك وقال له لا برحت روح ابيك في مغاير الثلج وغضبت عليها النار لانك غششتني وحملتني على عداوة العرب ولم اعد قادراً على مصالحتهم فانظر في امر يخلصنا منهم ويحفظ لنا شرفنا وناموسنا ويخولنا النصر عليهم او يعيدهم الى طاعتنا دون ان يخرقوا حرمتنا. فقال له اما الصلح بيننا وبين العرب فهو مستحيل وقد اصروا على قلب كرسيك والانتقام منك وافتضاح عرضك وسبي بنتك واما الفوز على العرب فله عندي تدبير عظيم وسوف ترى في الغد الامير حمزة مائتاً ومقتولاً من سيف زوبين واذا لم يتم ذلك بردت الثلوج ارواح ابائي واجدادي وحرمتُ من القيام في النار ذات الشرار. فشكرهُ كسرى وقال له سوف نرى في الغد ما تزعم الان. ثم ان بختك ذهب من عند كسرى الى زوبين ودعاهُ اليهِ وقال له اتبعني فاخذهُ ونزل المدينة وذهب الى قصرهِ فدخله وجاء الى غرفة قديمة العهد ففتحها وتقدم من صندوق حديدي فيها ففتحهُ واخرج منهُ سيفاً لامعاً ساطعاً فاخرجهُ من قرابهِ واراهُ لزوبين وقال له اعلم ان هذا نادر المثال لا نظير له في الدنيا فهو مسقي بسم الافاعي ومطفى ببول الحمير اذا لحق جسم الانسان لا يمكن شفاؤهُ قط واذا ضرب الحديد بهِ براه كما يبري الكاتب القلم واريد ان ادفعهُ اليك فاذا كنت تقدر ان تصل الى الامير حمزة وتمكنت من ضربهِ ولو باي جهة من جسمهِ سرى السم الى كل بدنهِ وبعدة ساعات قليلة مات وفارق الحياة قال اني فكرت بامر وارى فيهِ النجاح قال وما هو قال اني نويت ان البس ملابس العرب واسير عن قومي من هذه الساعة وانت لا تخبر احداً بي وعند الصباح لا بد من انتشاب القتال فاختلط بين العرب واقاتل معهم واراقب الامير حمزة حتى اتمكن منهُ بضربة فاعدمهُ هذه الدنيا. فقال له خيراً تفعل وهذا راي لم يسبقك اليه احد قبلك من رجال الحرب. ثم انه دفع اليهِ السيف فاخذهُ وهو فرحان بهِ مزيد الفرح ولبس ملابس العرب وتزيا بزيهم حتى ان الذي يراهُ كان لا يقدر ان يفرق بينهُ وبين رجال العرب وفرسانهم

وكان الامير حمزة وباقي العرب قد فرحوا تلك الليلة الفرح الذي لا يوصف بما نالوهُ من الظفر والفوز العظيم وفي نيتهم ان في اليوم الاتي او الذي بعدهُ ينهون امر الاعجام ويفرقون ما

تبقى من تلك الجموع وناموا على مثل هذه المسرة ولاسيما الامير فانهُ كان يراقب ان يرى مهردكار ويشاهد حالها وما هي عليهِ بعد ذلك البعد الطويل والفراق العظيم وقد خطر لهُ ان بعد كسرة ابيها وتفريق جيوشهِ يقدر باقرب آن ان يقرب منها ويتوصل اليها اما ان اباها يعود الى مسالمتهِ فيزفهُ عليها واما بالامتلاك على المدينة والنصر على عساكرها فيخلو لهُ ولها الجو فيزف نفسهُ عليها بالرغم عن ابيها وعن كل الموانع التي تحول دونهُ ودونها . وبعد ان غرق ببحر الفكرى ونام جانبًا من الليل راى نفسهُ كانهُ على مركب يسير في وسط البحر والامواج تقيمهُ وتقعدهُ باضطراب وهيجان عظيم . فخاف جدًّا من الغرق وصار يطلب الدنو من الشاطي فلم يقدر الى ان تكسر المركب وقزفتهُ الامواج الى البر فراى هناك مهردكار وقد اخذتهُ اليها وسكنت روعهُ وهدأت اضطرابهُ فاراد ان يشكرها على معروفها ويدنو منها فاستيقظ واذ ذاك وحد الله سبحانهُ وتعالى وارتاع من هول ذاك الحلم ولم يعد ياخذهُ نوم ما بقي من تلك الليلة وعند الصباح لم يكن في فكره ان يركب الى مباشرة حرب وكفاح غير انهُ لما سمع طبول الاعجام تضرب وقد نهض كل ذي سيف يطلب القتال اضطر الى الركوب ووجد ان من الصواب قيامهُ في جيشهِ ليتقوى بهِ ولا يختل انتظامهُ فركب جوادهُ الاشقران وتقدم في مقدمة الفرسان وهو مضطرب الفكر كما تقدم وكلما اراد ان يبعد عنهُ الاوهام فاجأتهُ باكثر من الاول ولم يكن الا القليل حتى اختلطت تلك الامم وامتزجت وعلا صياحها وضجيجها وارتفع صراخها وعجيجها واشتبكت الاخصام بالاخصام وحمي الوطيس وكثر الزحام . وراج سوق الفناء والاعدام . وكسد الامان والسلام . وبذل كل جهدهُ . واجرى ما عدهُ . حتى اسودت الافاق . وغابت الشمس بعد الاشراق . وضاقت من الفرسان الاخلاق . وظنت فرسان العرب ان ذاك اليوم هو اليوم الاخير بهِ تنال الظفر والانتصار . ويحل بالاعجام الويل والبوار . ولذلك صرفت جهدها بالقتال وتقلبت على بسط البسالة تقلب اسود الدحال

وكان من عادت الامير حمزة وهو في وسط المعمعة ينتقل من مكان الى مكان يطعن في صدور الاعداء والفرسان ويراقب حال ابطالهِ ورجالهِ ليدفع عنهم الويلات اذا كان احدهم وقع في امر او شدة او وقع في ربقة الاعداء وليس لهُ خلاص فيدركهم عنهُ وينتشلهُ من بينهم ففي ذاك اليوم لم يرَ اندهوق بن سعدون ولا سمع لهُ صوتًا فجال في كل المعسكر يخترق الصفوف حتى ضاق صدره وغاب وعيهُ وهو لم يقف لهُ على خبر الى ما بعد الظهر واذ ذاك وقف مضطربًا وحسب للحلم الذي راهُ الف حساب وصاح باخيهِ ويلك ياوجه القرد انطلق وانظر لي في اي مكان اندهوق بن سعدون فقد شغل بالي عليهِ ولم ارَ لهُ اثرًا ولا تعد اليَّ الا بالخبر اليقين واخاف ان يكون قتل وحل بهِ الوبال فراى عمر اضطراب الامير فقال لهُ لا تبرح من هنا حتى اعود

اليك بالخبر اليقين ثم اطلق ساقيهِ واندفع بين تلك الجموع يخترق ويمر من تحت الخيول كانهُ السهم في السرعة . وبقي الامير حمزة واقفاً مبهوتاً مشغل البال يتامل في حال القتال وقد راى العرب وهم بنجاح وانتصار وفكرهُ يضرب عند اندهوق خائفاً من ان يكون قد اصيب بمصيبة او لحق بهِ سوء وفيما هو واقف على مثل ذلك ينظر الى الرجال وهي تروح وتاتي واذا بزوبين الغدار قد قرب منهُ وهو بملابس العرب لانهُ كما تقدم كان وعد بقتلهِ في ذاك النهار واختلط بين العرب كواحد منهم وقد صادف الامير مراراً فلم يقدر ان يتمكن منهُ لكثرة جولانهِ ولانتباه عمر العيار عليهِ لانهُ كان كالبرق يطوف من حولهِ لا يدع لا عجمياً ولا عربياً يقرب منهُ فلما غاب عمر ووقف الامير مبهوتاً اغتنم هذه الفرصة وصاح وبيدهِ الحسام الذي اخذهُ من الوزير بختك وضربهُ ضربة الخائف قائلاً لهُ خذها من يد زوبين الغدار وبعد ان ضرب تلك الضربة طلب الهرب والفرار فجاء السيف على جبهة الامير وللحال شعر كان اتون نار اشتعل من راسهِ الى قدمهِ ولم يقدر على احتمال الوجع فصاح من شدة الالم وعانق الجواد فعاد بهِ ركضاً الى جهة الخيام فاسرعت اليهِ الرجال من كل ناح وانتشر الخبر في كل المعسكر وعرف بهِ الامير عمر فاسرع يركض الى صيوانهِ وهو متكدر من ذلك ووضع اخاهُ على سريرهِ وربط لهُ جرحهُ وهو على ازدياد الم يصيح وينادي متوجعاً وقد اشتعل كل جسمهِ وايقن انهُ مائت لا محالة ودامت العرب بقتال شديد مع الاعجام الى الزوال وقد فعل قاهر الخيل والمعتدي حامي السواحل ما يحكى ويذكر طلباً بثار الامير وعند المساء عادا الى صيوان الامير مع بقية الفرسان فوجدوهُ على تلك الحال واخذ اسطون الحكيم ملك القسطنطينية الذي جاء معهم يوضع لهُ المراهم ويسكن لهُ الجرح والامير يزبد ويرغي ويصيح

وفي نفس ذلك المساء بينما كان القوم باضطراب وكدر على ما اصاب الامير حمزة واذا باندهوق قد اقبل وهو راكب على فيلهِ العظيم هيكل وقد اركب من خلفهِ مهردكار واحضرها الى ذاك المكان فشاهد تلك الحالة فلطم على وجههِ وسال عن الخبر فحكاهُ لهُ عمر وشرح لهُ ما اصاب الامير من الارتباك عند غيابهِ وفي غيابهِ غدر بهِ زوبين وهرب فاغتاظ الغيظ العظيم ودخل على الامير فوجدهُ ضائعاً غائباً عن هداهُ لا يعي الى حد وهو يتوجع ويأن فجلس الى جانبهِ واجلس مهردكار بالقرب منهُ وكان سبب مجيئها هو انهُ كان في تلك الليلة يفكر بامر يرضي بهِ الامير ويقرب نهاية هذه الحرب فوجد ان من الصواب ان ياتي بمهردكار الى معسكرهم فمتى كانت فيهِ يمكنهم ان يتركوا تلك النواحي بعد تشتيت كسرى ويرجعوا الى مكة المطهرة والاَّ ربما ذهب بها ابوها الى بلاد اخرى وجمع الجموع فتطول الحرب ويطول عذابهم وهم يسيرون من مكان الى مكان ولما ثبت عنهُ ذلك انسحب في الصباح من ساحة القتال وجاء من وراء معسكر الاعجام

وهم مشغلون بالحرب والصدام كما تقدم الكلام وهجم على ابواب المدينة وقتل كل من هناك وارکض فيلة الى ان اوقفة امام قصر مهردكار وقد راها وهي واقفة في الشباك وعيونها تضرب الى نحو ساحة القتال . وكانت كل تلك المدة المتنشبة بها الحرب بين ابيها وحبيبها لا تنام ولا يهدأ لها قرار وهي خائفة جدًّا من تفريق العرب وتشتيتهم وان لا تصل الى حبيبها ولذلك كانت تتمنى على الدوام ان تترك ذاك المكان وتقيم عند حمزة حتى اذا رحلوا عن تلك الديار ترحل معهم واذا كانت برفقتهم لا يعودون ثانية بل تنقضي الحرب ولما رأت اندهوق وقد وصل تحت شباكها وصاح اي مهردكار قد تلنا النصر والفخار فاحفظي بلاد ابيك من الخراب وانزلي الى بين العرب لنذهب عن هذه الديار فما صدقت ان سمعت هذا الكلام حتى اسرعت الى جواهرها فحملتها وحملت ما هو لازم لها من ثيابها ورمت بنفسها على اندهوق فاركبها خلفة وسار بها الى معسكر العرب ولما رات ما حل على الامير وما هو بهِ بكت وحزنت وخافت مزيد الخوف الاّ انهُ لم يضع عنها عقلها بل استعملت حكمتها وقالت لعمر لا ريب ان هذا الجرح هو من سيف مسقى بالسم واني اعرف ان لا احد يعرف دواء لهذا الجرح الاّ بزرجمهر الوزير . فقال لها لقد اصبت واني ساحصل على هذا الدواء ولم يعد يصبر بل اسرع الى جهة عساكر الاعجام بعد ان غير نفسهُ وتزيا بزى خدمهم

قال وكان عند المساء رجع الاعجام عن الحرب والصدام بعد ان هلك منهم قسم كبير في ذاك النهار فاغاظ ذلك كسرى وقال لوزيرهِ بختك قد هلك اكثر من نصف العساكر واخاف ان تدور علينا الدوائر ولا ننال من الاعداء الغاية قال اصبر ففي هذه الساعة تبلغك اخبار حمزة لانهُ جرح وعندي انهُ لا يقيم اكثر من ساعات قليلة في هذه الدنيا وفيما هما على مثل ذلك واذا بزوبين قد دخل على كسرى والسيف الذي اخذهُ من بختك مشهر بيدهِ ينقط دمًا وقال لهُ ابشر ياسيدي فقد قتلت لك الامير حمزة حيث قد ضربتهُ ضربة وقعت بين عينيهِ وركض الى جهة الخيام ومثلهُ تكون بقية اعداك وحينئذٍ نهض بختك وقبل زوبين بين عينيهِ وقال لهُ مثلك تكون الفرسان والاّ فلا فانت وحدك الذي استحققت مهردكار ويليق ان تكون لها زوجًا لانك نادر المثال بين الرجال . وكان بزرجمهر يسمع كل هذا الكلام وقلبهُ يتقطع ويتوجع على ما حل على الامير حمزة وما وصل اليهِ من غدر الغادرين وما صدق ان جاء المساء حتى ذهب الى بيتهِ حزينًا كئيبًا وبعد ان دخل واستقرَّ بهِ الجلوس حضر بين يديهِ عمر العيار وشكا اليهِ حال الامير حمزة وان الجميع باضطراب وخوف على حياتهِ لانهُ بحالة النزاع . فقال اني من مثل هذا الامر كنت اخاف عليهِ فقد اخبرتك ان تخبر العرب ان يبقوا في حلب الى ان تمضى هذه الايام لانها ايام نحوس يلاقون بها ويلاً وعدم نجاح قال ان هذا حكيتهُ للامير حمزة فلم يعِ اليهِ بل حركةُ حب

الانتقام الى السرعة في العمل والان قد وقع ما وقع وما من وسيلة لارجاع ما مضى ونريد منك دواء لجرح اخي . قال سر انت الان الى اول الوادي الذي هو بجانب الطريق وانتظر هناك الى ان يوافيك خادمي ومعهُ قارورة الدواء فخذها منهُ واذهب الى علاج الامير لكن اريد منك ان تخبر العرب ان يرحلوا في هذه الليلة عن هذه البلاد ويقصدوا مكة المشرفة لان الخير ياتيهم من هناك والتوفيق ينبوعهُ من تلك البلاد المشرفة الى ان يسمح الله بانفلال العجوس واياكم من البقاء في هذه البلاد والنواحي فتدور عليكم الدوائر . فاخبرهُ بما فعلهُ اندهوق من الاتيان بمهردكار وقال لهُ صار في وسعنا الان البعد عن هذه البلاد وتركها لان غايتنا التي نقاتل لاجلها قد حصلنا عليها واموال بلاد كسرى كلها بيدنا . فسرّ بزرجمهر من ذلك واوصى عمرًا تكرارًا ان يرحلوا في تلك الليلة الى ارض مكة . فوعدهُ وذهب الى اول الوادي المذكور وما اقام الاّ القليل حتى جاءهُ خادم بزرجمهر بقارورة العلاج فتناولها منهُ وانطلق يسعى الى ان وقف في صيوان الامير حمزة فوجد الصياح قائمًا من كل ناحٍ فقال لهم سكنوا روعكم فما من خوف على اخي وقد اخبرني الوزير انهُ سيشفى من هذا الجرح ويكون لهُ شأن عظيم بعد قيامهِ غير انهُ طلب الينا بالحاح ان نسافر في هذه الليلة ونبارح هذه البلاد حتى اذا اصبح الصباح نكون بعيدين من هنا ولا بد لكسرى ان يتبعنا الى بلادنا فيصادف شرّ عملهِ . وتقدم من الامير وسكب لهُ على جرحهِ من ذاك الدواء واخذ خرقة مبلولة ووضعها عليهِ ثم وضع لهُ من القارورة في فمهِ واطبقهُ حتى استقرّ الدواء الى بطنهِ وفي الحال هدأ روع حمزة وطفأ اللهيب الذي كان يشعر بهِ في كل جسدهِ وقل صراخهُ فوكل بهِ مهردكار واوصاها بالاعتناء بهِ وان تواصل وضع المرهم على الجرح وانسحب الى ما بين العرب وامرهم بالرحيل في الحال فهدوا الخيام وشدوا الاحمال وركبوا على خيولهم وساروا في الاول بكل سرعة وعاد الى اخيهِ حمزة فرفعهُ على هودج ملقى على سريره واحكم لهُ صنعتهُ ليكون مرتاحًا ولا يتعب من السفر ولتبقى مهردكار عندهُ على الدوام تضع لهُ المرهم وتسقيهِ الدواء مع سطون الحكيم ومن بعدهِ ركب الجميع وساروا وسار في الاخير عمرو وبين يديهِ الاموال والانعام وطلب من اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل ان يسيروا خلف الاموال ليكونوا في حماية الجميع

وما اصبح صباح اليوم الثاني حتى كانوا بعدوا عن تلك الديار وغابوا عنها تمامًا ولم يبقَ قط من اثرٍ فيها ورات الاعجام خلو تلك الارض منهم فدخلوا على كسرى واخبروهُ بذلك وكان قد اجتمع اليهِ بختك وزوبين وفي نيتهم امر الجيش بالقتال فلما عرف بذلك سرّ مزيد السرور وقال لبختك الوزير نعمت ايها الوزير واحرقت النار روح ابائك واجدادك لانك دبرت

نعم التدبير فلو لم يكن الامير حمزة قد قتل ومات لما رحلت العرب ولكن لا بد من تاثرهم فيما بعد لننزع منهم الاموال قال له سيكون ذلك بعد ان نفرح بزفاف مهردكار على زوبين الغدار الذي خلصنا من شرّ هولاء الكفار الذين يعبدون الله ويتركون عبادة النار ذات الشرار. قال له هذا لا بد منهُ وفيما هم على مثل ذلك واذا بالخدمة قد دخلوا عليهِ يلطمون على خدودهم واخبروهُ ان ستهم مهردكار قد أُخذت الى العرب وان الذي اخذها اندهوق بن سعدون وقد رمت نفسها عليهِ ووافقتهُ على مبارحة القصر فاركبها وراءهُ ورجع بها بعد ان قتل كل من وقف في طريقهِ. فلما سمع كسرى هذا الكلام ارغى وازبد وقام وقعد واضطرب ووقع الغضب في وجههِ واسودت الدنيا في عينيهِ وقال اما كفى العرب ان اخذوا الاموال واخلفوا عليَّ عمالي وضيعوا اكثر البلاد من يدي حتى حركتهم وقاحتهم اخيرًا الى اخذ بنتي مع ان اميرهم مات وعدم الحياة لكنهم قصدوا بذلك ذلي وقهري والقاء العار عليَّ فاني سانبعهم ابن ساروا وفي اي طريق رحلوا وجرى مثل ذلك على بختك الوزير لانهُ كان يتمنى ان يقع زفاف مهردكار على زوبين في تلك الايام وينال الامر الذي يطلبهُ فصادف عكس ما ظن ولقي عدم النجاح فانفطرت مرارتهُ وكان اعظم الكل كدرًا زوبين فانهِ بعد ان ظن ان اللقمة قد وصلت الى فمهِ خطفت منهُ وترك كالكلب لا يعتني بهِ وقد طلبت مهردكار البعد عنهُ ووافقت العرب على البقاء معهم والمسير بينهم وكان مغرمًا بها متعشقًا لجمالها على الخبر والسماع وقد علق قلبهُ بحبها تعلقًا عظيمًا حتى صار بعد من العشاق. ولذلك قال لكسرى اريد منك ياسيدي ان تامر في الحال بالمسير في اثر العربان قال هذا لا بد منهُ لكن بعد ان نزيد قوتنا ونعرف في اي طريق ساروا. ثم ان كسرى بعث بالديادبة والارصاد لتسير في اثر العرب وترى اي طريق يقصدون واي ناحية يحلون فسارت العيون من خلفهم الى ان ادركتهم على بعد شاسع وتاكدت انهم يقصدون مكة ولذلك عادوا الى كسرى واخبروهُ انهم يقصدون مكة وان البكاء قائم من العرب على الامير حمزة فقال حيث ان الامر كذلك فلا بد لي من المسير خلفهم واتباعهم الى مكة واهدم ذاك البيت وادعهُ معابد للنيران وافني قبائل العرب عن اخرهم لا سيما وقد ثبت ان حمزة قد مات وشرب كاس الافات وبعدهُ لا تقوم للعرب قائمة ولا تنتظم احوالهم واقام الاعجام في بلادهم مدة ايام وقد اخذ كسرى في ان يجمع الفرسان من كل ناحية ومكان ويهيئ لهم العدد وينظر احوال غزوتهِ على بلاد العرب

قال واما ما كان من العرب فانهم ما زالوا في مسيرهم مدة ايام وليال حتى وصلوا الى مكة المطهرة وتنشقوا نسيم عطر ارضها فانتعشت بهِ ارواحهم وارسلوا بالاخبار الى الامير ابراهيم ابي الامير حمزة يعلمونهُ بقدومهم الى تلك الديار. فلما وصلت اليهِ الاخبار كاد يطير من الفرح

وخرج مع سادات مكة ولما التقوا ببعضهم البعض سال ابراهيم عمرًا عن حمزة فاخبرهُ انهُ في الهودج مجروحًا وانهُ على امل الانتباه فتكدر من ذلك الاّ انهُ شكر الله ودعاهُ لشفاء ولدهِ وسلم على الفرسان والامراء وعادوا جميعًا الى مكة وهناك انزلوا الامير حمزة ومهردكار في بيت واحد وهي قائمة على علاجهِ تذرف الدموع الغزار على ما اصابهُ وما لحق بهِ من الالم والوجع وتشكر الله الذي سهل لها ان تكون بجانبهِ لتحسن مداراتهِ وتقاسمهُ التوجع كل هذا وهو غائب عن الوجود واسطون حاكم القسطنطينية يضع له المبردات ولا يفارقهُ ولما استقر حمزة على سريره في بلاد ابيهِ وارتاح من السفر جسمهُ شعر من ذاتهِ براحة ففتح عينيهِ المرة الاولى ولفظ باسم مهردكار ثم نادى عمرًا وكان بالقرب منهُ وقال اخبرني عن اندهوق هل رايتهُ وهل رجع اليكم قال ها هو الان بالقرب منك وقد احضر لك مهردكار وهي ايضًا بجانبك فانظر اليها . واذ ذاك قالت لهُ مهردكار لا كان يومًا رايتك بهِ مجروحًا ايها الامير واني اشكر الله الذي انت بسلام وقد زال الخطر عنك . فلما سمع الامير صوتها وقع على قلبهِ احسن من علاج بزرجمهر ونظر الى وجهها كئيبة عليهِ فقال لها لا تخفي عليّ فاني بخير وما من الم اشعر بهِ الان فاخبريني هل انتِ مسرورة بقيامك عندي . قالت هذه هي السعادة والاقبال اللذين اطلبهما ثم دنا منهُ اندهوق وهناهُ بالسلامة وحكى لهُ عن سبب غيابهِ فشكره على معروفهِ وقال لهُ هل لا تزال عساكر العجم مجتمعة قال كلاّ بل نحن الان في مكة المطهرة وقد ارسل الوزير بزرجمهر يخبرنا ان ناتي بك الى هذا المكان حيث ان العجم سيتبعوننا و يكون النصر لنا في هذا المقام وهاك ابوك وعرب مكة هنا ثم تقدم ابوهُ فقبلهُ وقبل يديهِ

وفي اليوم الثاني وجد نفسهُ براحة اكثر فاكثر فدعا بعمر وقال لهُ اني اعرف ان العجم لا بد لهم ان يسيروا في اثرنا الى هذا المكان ولا يتركوا مهردكار والاموال في ايدينا وان الذي يحملهم على ذلك زوبين الغدار وبختك الوزير ولا ريب انهم يظنون اني مت قتيلاً وعليهِ فاريد ان تحصن المدينة وتقيم عليها الحراس وتدبر في كل ما يحفظها من الاعداء ولا تدع تعرضهُ يمضي بلا فائدة . فاجاب طلبهُ وسار مع عياريه الى تحصين المدينة بمعرفة اندهوق والمعتدي حامي السواحل وما مضت الاّ ايام قليلة حتى صار الامير حمزة قادرًا على الجلوس ثم الوقوف ثم المشي ثم ركوب الخيل وقد عاد الى صحتهِ الاولى تمامًا وكان اعظم سرور عندهُ قيام مهردكار في يدهِ وحصولهِ عليها وان كان لم يتزوجها اذ ذاك وعاد الى فرسان العرب فرحها ومجدها واملت بالخير والنجاح واصبحت تنتظر قدوم الاعجام الى تلك البلاد لتنتقم منها وتحل بها النقم وتعدمها فرحها وسرورها وصار الامير حمزة في كل يوم يركب ويخرج الى خارج المدينة ويوسع بالبراري والقفار وقد صفا لهُ الزمان مدة ايام مع مهردكار وهو مجتمع بها يشكو اليها حالهُ وتشكو اليهِ حالها وكل منهما مسرور

يا كالة بين تلك المسكن المؤذنة براحة المعيشة بوطني قوسه الزفاف وكان الامير حمزة يعرف من نفسه ان مهردكار لا تفاتحه بذلك حياء منه وخجلاً فاراد ان يرجع لها بالها من هذا القبيل فقال لها اعلمي يا اعز الناس عندي الملك وحدك التي تسلمت نفسي وقدرت ان تحملي الفكاوي تختص بك مع انك تعلمين ان الاميرة صلوى هي مثلك تنتظر الزواج بي وقد وعدتها الوعد الصادق اكرامًا لاخيها كونه من خواص رجالي وساداتهم وفرسان هذا الزمان الذين يندر وجودهم ولذلك اريد ان اعرض عليك امرًا واخبرك ان بقاءك عندي سيكون ما زلت حيًّا غير ان زواجي بك لا يكون ما لم يرتح بالي من جهة ابيك ويصفو لي الزمان واذا ساعدتني العناية وراق لي الزمان كما اريد واشتهي جعلت يوم العرس من الايام التي تضرب بها الامثال في ما ياتي من الاجيال بحيث اجمع اليه كل غريب وقريب واجعلك تفتخري على سائر نساء ملوك الزمان وساداتها والاعيان ويكفاني ان اراك في هذه الايام بالقرب مني والى جانبي تسمعين مني مثل هذا الكلام وتصغين اليّ كحبيبة عرفت عن يقين انها كلها لحبيبها وانه كله لها وان لذة المحادثة ولذة المشاهدة تسري في اقنية الجسم بما تجعله يشعر براحة الذ من العافية واطيب من التلذذ بالمنام عند اشتداد النعاس ثم ان الامير حمزة بعد ان تامل حالته مع خطيبته وشعر من نفسه بانه مرتاح جدًّا وان هذا الكلام كان مما لا ينتظر وقوعه قبل ذلك الحين الا بعد الزواج الذي دونه خرط القتاد انشدها فقال

ارتنا الورد في حمر الخدود | وقد حملته بانات القدود
ولاح الجلنار بوجنتيها | فبشرنا برمان النهود
اراشت حاجبًا فرمت سهامًا | تشق قلوبنا قبل الجلود
يمينًا بالقوام اذا تثنى | وبالدعج المكحلة الرقود
لئن قطع المهند دون غمد | فسيف اللحظ اقطع في الغمود
غزال نافر ان رمت انسًا | وكيف الانس للظبي الشرود
له في لحظه آيات سحر | تريك الظبي يلعب بالاسود
راه الغصن ثم سها فلم لا | اتي من بعد ذلك بالسجود
ضللت بليل طرته ولكن | هديت بصبح طالعه السعيد
شنيب الثغر معسول الثنايا | كحيل الطرف وردي الخدود
يدير الراح في الكاسات كيما | يريك الشمس في برج السعود
خطبنا بكرها في وقت انس | فهل لك ان تكون من الشهود

وقد تقدم معنا الكلام في غير هذا المقام عما كانت عليه مهردكار من الحب الشديد والعشق

التي [illegible] من مزيد حتى كانت اشد من الامير عشقاً واقوى غراماً واميل الى الزواج والحفظ على المودة والوفاء وذلك لرقة قلبها ولطافة شعورها واحساساتها كان كلام الامير لها وانشاده بجمالها كاد يلقي بها الى الارض ويذهب بعقلها من شدة الفرح والاندهاش وصح عندها ان تلك الساعة هي من الساعات التي يصادفها العابد المبرور في فردوس النعيم من السعادة والراحة ولولا شدة الحياء لرمت بنفسها على صدره والقت بكل ذاتها عليه الا انها قالت له والدمع الرقيق ينساب في ميازيب جفنيها فرحاً بما هي مشعرة به اي حالة افضل لدي من ان اسمع على الدوام صوتك واشاهد معنى حسنك وهذا الذي اطلبه واتمناه منذ القديم ان كان بزواج او بغير زواج وكفى المحبوب ان يتمسك بقول من قال

سالته الوصل يوماً قال منعطفاً   راجع سؤالك واحذر افة الخطر
ان المحبة طبع الوصل يفسدها   وانما لذة المحبوب بالنظر

ولا اريد منك الا ان تبقيني على الدوام عندك وفي بيتك اشاهدك في الصباح والمساء وعلى الطعام وعند كل فرصة فما اراه منك من دلائل الحب وشواهد الميل وصفات الحسن البديع ولطافة الاخلاق الكريمة المطبوعة في ذاتك والتي تندر في غيرك تجعلني ان احسب نفسي قد نلت فوق ما انا طالبة من السعادة والاقبال وتعلم لساني ان يردد على الدوام

وشادن ما دنا الا وغازلة   ظبي الكناس وحياه وفداه
الراح ريقته والمسك نكهته   والآس عارضه والورد خداه
والزهر مبسمه والدر منطقه   والبان عطفاه والرمان نهداه
والليل طرته والصبح طلعته   والبدر والشمس في الحالين عبداه
شهم به هام اهل الحي قاطبة   فكل ميت تراه فهو ارداه
يقول قلبي عداني سحر ناظره   ياليت شعري من بالسحر اعداه
لا واخذ الله قلبي في محبته   اذ حالة الحب عقباه ومبداه

وكانت تنشد بصوت متقطع وقلب خافق وما جاءت على تتمة البيت الاخير حتى انقطع صوتها وشعرت لقوة الحب واشتداد ما تحرك بها من الغرام بضعف القاها الى الارض فحن لها الامير وتحركت كل جوارحه ودنا منها فرفعها الى سريرها وتركها على حالها وخرج حزيناً من شدة حبها ونوى شفقة عليها ان يتزوج بها باقرب آن ليجعل حداً لبلواها ومصابها كيف كان الحال وتمنت نفسه في تلك الساعة ان يصل الى ابيها وجيوشه فيبددهم وينتقم من بخنك وينهي الحال بوقت قريب ومن ثم يزف نفسه عليها ويدعها براحة وطمانينة وهكذا بقي عدة ايام الى ان بلغه الخبر بان عساكر كسرى قادمة الى مكة المشرفة وهي كالجراد المنتشر وفي مقدمتها زوبين

الغدار والملك كسرى ووزرائه وفي نيتهم ان يهدموا مكة او يضعوا العرب تحت امرهم فوقع هذا الخبر على قلبه مفرحاً وجمع كل الفرسان والابطال في ديوان ابيه تحت رئاسة الملك النعمان وعرض عليهم ما بلغه من الخبر وقال لهم اريد منكم في هذه المرة ان تكون القاضية على الفرس. فقالوا له اننا لمثل هذا ننتظر ونريد ان الزمان يساعدنا لخدمتك بكل ما تقدر عليه وسوف ترى منا ما يسرك لاسيا وان في هذه المرة قتالنا عنك وفي خدمتك ودفاعاً عن بيت الله الحرام. فقال عمر العيار اني اعرف ان النصر سيكون لنا لو كان عدد الفرس بعدد سكان الدنيا غير اني اشرط عليكم شرطاً ان لا تباشروا حرباً ونزالاً ما لم يامر به الوزير بزرجمهر لاننا في المرة الاولى خالفناه فعاد علينا ذلك بالوبال ولو سمعنا منه وبقينا في حلب الى ان امرنا بالاتيان الى المدائن لما جرح الامير فهو محب مخلص لنا يرغب في نجاحنا ويحب العرب محبة الاباء للبنين وهو خبير عاقل عالم باحوال الدنيا وما يقع بها ولذلك اوصاني ان لا نباشر حرباً الا بامره وعندي لولا قارورة الدواء التي اعطانا اياها لما شفي الامير لانه يعرف ان هذا الجرح كان من سيف مسقي بالسم فاعطانا دواء لا يمكن ان يعرفه غيره من حكماء الدنيا ومن كان مثله لا يخالف ولا يترك رايه ومشورته. فاجاب الجميع كلامه واستصوبه الامير ابراهيم ابو حمزة وقال نعم ان الوزير بزرجمهر يخدم الدولة العربية على الدوام وهو الذي جاءني منذ ثلاثين سنة تقريباً. وقال لي ان السعد سيخدم الغلام الذي ياتي منك ويذل دولة العجم ويثل عرش كسرى ويمهد طريق السلام في العرب فقد اعطاه الله من الحكمة ما لم يعطه لغيره من حكماء هذا الزمان ومن اللازم ان لا تاتوا امراً ولا تبدوا حركة الا باذنه فهو يعبد الله ويكرم جانب البيت الحرام فقال حمزة نعم هو مشيرنا ومخلص في محبتنا واني لا اخرج الى حرب وقتال الا باذنه وامره وتدبيره وهكذا انصرف الديوان ان لا يباشر احد احد حرباً ولا قتالاً الا بعد مسير الامير عمر العيار الى الوزير بزرجمهر والاستئذان منه

قال وكان كسرى بعد ان جمع ما جمع من العساكر وعدد ما عدد من الاحمال قال لبختك اني لا احب ان اطيل الفرصة على العرب اكثر مما طالت واريد ان اذهب الى مكة واهدمها واخذ بنتي بالرغم عنهم واستعيد الاموال التي كانت لي فاخذها من عمالي وابعدهم عن طاعتي قال افعل ما بدا لك فاننا كلنا على حضر وصهرك زوبين بالانتظار هو ورجاله وعسكره ويجب ان يكون الان في ارض الحجاز حول المكان المقيمة به بنتك ليدك الحصون ويبدد الفرسان ويسترجعها من مغتصبها وفي الحال ركب انوشروان على جواد من احسن الخيول ورفعت فوق راسه الرايات والبنود ومشت بين يديه العبيد والخصيان وحملت السلاح وضربت الموسيقات الفارسية وركب كل ذي قاووق وكان افرح الجميع زوبين الغدار لانه امل انه سيوصل الى المكان الذي به مهردكار فياخذها غصباً عن كل من حولها وفي ظنه ان الامير حمزة قد مات

يمالك ولي العرب قد تشتتوا ورجعوا مقهورين خائفين من باسه وسطوته وهو لا يفارق بجنك على الدوام وما برحوا سائرين اياماً ولياليا حتى قربوا من مكة وابينوها عن بعد واذ ذاك طلب كسرى انوشيروان ان تطاف مكة من سائر النواحي وتحصر وتمسك عليها الطرقات وان لا يترك رجل منها يهرب وينجو من الهلاك . وبعد ان نزل واستقر به المقام قال لبختك حيث تبت عندي مما رايت ان العرب لايزالون مجتمعين في هذا المكان فاريد ان تكتب كتاباً الى الملك النعمان وباقي الامراء تامرهم ان ياتوا الى طاعتي ويقبلوا ركابي ويعيدوا اليّ ابنتي بالاكرام والشرف ويدفعوا اليّ الاموال التي اخذوها فاعفو عنهم واغفر لهم هذا الذنب العظيم الذي اذنبوه ضدي والا فاني ابيدهم عن اخرهم ولا ادع واحداً منهم يخرج من هذه الاراضي سالماً فاجاب بختك طلب كسرى وكتب الى العرب كتاباً يقول فيه

من الملك كسرى ملك ملوك الفرس وسلطان الارض بالطول والعرض صاحب البيد والعلم والسيف والقلم ومالك رقاب الامم الى الملك النعمان ملك العربان وامرائها ومن هم في رفقته

بعد ذكر النار صاحبة الفعل العظيم والاقتدار التي عليها المعوّل في كل الاعمال وبها ينضج الطعام وتصلح سائر الاحوال اقول لكم ايها القوم الذين تعدوا وجاروا وما حسبوا للدهر حساباً ولا فكروا بان الملك كسرى الذي ملك اكبر اقسام الدنيا هو يقدر في كل آن ان يكبح قوتهم ويكسر شوكتهم اعلموا انهُ بعد موت اميركم حمزة ومن كان رجاؤكم عليهِ لا تقام لكم قائمة ولا يصلح لكم امر ومن الحكمة والصواب ان تنظروا بامر انفسكم وتختاروا السلامة لها وان يكون رجوعكم الى الطاعة والذل . قد اغضبتموني واخذتم بنتي من قصرها كسبية وهربتم بها غير حاسبين لعظمتي حساباً ولا فكرتم ان جيوشي هي كرمل البحر واريد منكم الان ان تعيدوها اليّ معظمة مكرمة وفي خدمتها اكبر امرائكم مع الذي تجاسر على سبيها وان تدفعوا اليّ الاموال والانعام التي اتيتم بها وجمعتموها من سائر البلاد ومن بعد ذلك تتفرقون وكل امير منكم يذهب الى بلادهِ وهو عالم انهُ في قبضة الفرس وانهُ من عمالهم واذا اقتضت الحاجة الى خدمتهم اسرع في الحال فاذا فعلتم ذلك عفوت عنكم وتركت ذنبكم حيث ان الذي كان قد جمعكم قد قتل ولقي شرّ عملهِ وصادف جزاء عنادهِ وكبرهِ واذا امتنعتم زحفت عليكم بهذا الجيش العظيم وبددتكم كل مبدد وخربت هذا البيت الذي تكرمونهُ وتحجون اليهِ وتعظمونهُ ويكون قد جاء يوم العرب الاخير وحل زمن انقراضهم والسلام

ثم انهُ دعا احد حجابهِ واعطاه الكتاب واوصاه ان ياتي بالجواب في الحال فسار حتى جاء مكة ودخل على الامراء وهم مجتمعون عند الامير ابراهيم ابي حمزة وفي صدر الديوان فخر الامة

العربية وسنة الكلفة البدوية وسذل اصحاب البسالة والشجاعة ... الجد على اظهار البداوة والحضارة للامير حمزة صاحب هذه القصة فلما رآه الرسول وقف مبهوتاً ينظر ... نفسه او انه يشبهه فادرك عمر العيار غايته والحيال قال له تقدم ايها العجمي وقبل يد اميرنا وسيدنا حمزة العرب كي يتنازل ابعامة وتحظى بالاقبال منه واذا كنت تحمل له كتاباً او كلاماً فاده في الحال. فتقدم الرسول وسلم وخدم بين يدي حمزة ثم دفع الكتاب اليه فراه باسم الملك النعمان فرسالة ان يقراه علناً فقراه حرفاً بحرف فتاكد الجميع ان في ظن كسرى وقومه ان اميرهم قد قتل وهذا الذي حملهم على المجيء في آثارهم وجعلهم يطمعون بالعرب. وبقي الجميع سكوتاً ينتظرون ما يقوله الامير حمزة الى ان قال للرسول ان العرب قوم اعتادوا السعي خلف الفخار وشن الغارات وركوب الاخطار ولا يرضون الذل والطاعة بعد ان تسنى لهم ان يرفعوا ثقل نير الاعجام ويحرروا انفسهم من ظلمكم وظلم ملككم كسرى ووزيره بختك الخائن الغدار ولذلك اريد ان افهمكم اني انا الامير حمزة قد عادت الي قواي وشفي الجرح الذي غدر بي به زوبين الخائن الغدار ولا بد لي من الانتقام منه ومن ملككم واصحابه. قال اكتب لي الجواب يا سيدي بحسب ما اردته فاني امرت به. قال له ان لا جواب عندنا غير الحرب والطعان فبلغه ذلك شفاهاً ولك انت الاكرام. ثم امر ان يدفع الى الرسول الف دينار. فاخذها وعاد فرحاً مسروراً حتى وصل الى بين يدي مولاه وقال له ان العرب يا سيدي بحالة فرح ومسرة لان الامير حمزة قد عاد الى حاله وهو حي وافاد ما هو كذا وكذا واعاد عليه كل ما سمعه منه وما رآه. فلما سمع كسرى ذلك تكدر وشعر ان الارض قد انطبقت على راسه من الاربع جهات واطرق الى الارض من شدة غيظه واما بختك فانه انفطرت مرارته ولو لم يكن مرتاباً بهذا الامر لوقع ميتاً الى الارض من جرى وقوع هذا الخبر بغتة عليه غير انه لم يصدقه ولذلك اراد ان يفرج عن قلب كسرى بعض كدره فقال لا يدخل عقل سيدي الملك صحة هذا الكلام فان حمزة قد مات وساوى الذين لهم في القبور اعوام. قال الرسول اني رايته بعيني وشاهدته واني اعرفه اكيداً ومحقق ذلك. فقال كسرى قد قلت انه لا يعيش بعد جرحه اكثر من ٢٤ ساعة وها هو حي وسيلحق بنا من حربه الويل والعذاب. فقال بختك ولا ازال اقول ما قلته فالامير حمزة مات وهذا الذي رآه الرسول هو رجل اشبه به قصدت العرب ان تخيفنا به وتوهمنا انه حي وهم قادرون على الخداع والتلاعب فيقلدون حالات الناس وصفاتهم. قال الرسول اني سمعت صوته حينما كلمني فهو صوت حمزة تماماً وقد انعم علي واعطاني الف دينار وسوف ترون صدق كلامي وما قلته الان وكاد قلب بختك ينشق من اصرار الرسول على قوله وبقي صابراً الى ان خرج الرسول واذ ذاك قال لكسرى لا يهمنك امر حمزة فان كان حياً فسوف يموت واذا نجا من المرة الاولى لا ينجو من الثانية والذي

جرحه بالاول يقدر أن يقتله بالثاني وهو صهرك زوبين وكان زوبين حاضرًا فما امكنه الا ان يهنئ كسرى ويظهر ويبرح بالله وهو ايضًا مرتاب بصحة بقاء حمزة واما بزرجمهر الوزير فانه سرّ سرورًا لا مزيد عليه ببقاء الامير صديقه وايقن ان النصر سيكون للعرب فيما ياتي

وبعد ان انقضى ذاك النهار اجتمع بختك بزوبين على انفراد وقال له ان الامر خطير وحرج فان حمزة باقٍ في قيد الحياة ويظهر لي انك لم تجرحه وربما كان السيف لم يلحق بدنه او ربما تكون موهومًا وغلطانًا حتة فقتلت غيره من الفرسان قال لا بل هو نفسه والجرح موكد عندي لان السيف ملوث من دمه وقد رايته وعاينته غير انه ربما كان لا يفعل نفس الفعل الذي اتكل من ان حمزة اذا جرح به لا يشفى جرحه بل يموت باقل من اربع وعشرين ساعة . قال اني متردد في بقائه حيًا فاذًا هو ميت وعندي انك في الصباح تاخذ قومك ورجالك وتهجم على اسوار المدينة ونواحيها وتباشر وحدك القتال كي تظفر وتنال الظفر حيث يترجح ان موت حمزة موكد والا كانوا خرجوا لانه لا يصبر عن الحرب ولا يؤخره ويبان من حالة العرب انهم يريدون البقاء داخل البلد وذلك دليل على ضعفهم وعدم اقتدارهم على الهجوم . فقال زوبين اني في الغد ساهجم برجالي الذين عددهم ثلثمائة الف فارس على المدينة فادك اسوارها وابدد شمل العرب ليعرف كسرى اني الفارس الاول في بلاده فلا يندم على تقدمي وعلى تزويجه بنته . وعلى مثل ذلك اتفق زوبين وبختك وقررا هذا الامر وكان لا يزال يتخلل افكارهما ان حمزة قتل وان العرب بخوف عظيم وباتوا الى الصباح وعند الصباح نهض زوبين الغدار من منامه وافرغ عليه عدته ولباسه واعتلى على ظهر جواده ودعا برجاله ان يتبعوه الى حرب العرب وسار وساروا في اثره

قال وكان عمر العيار في تلك الليلة خاف من ان الاعجام يباكروا الى الهجوم على البلد فاسرع الى عياريه وجاء بهم الى الجهة المقيم بها زوبين الغدار وفرق عليهم النبال الكثيرة ودعا ايضًا برجال اخيه الثلثمائة الاخصاء واوصاهم بان كل واحد منهم ياخذ قوسًا ونبالاً وعين لهم مكانًا حصينًا وقال لهم اعلموا اننا لا نقاتل العجم الان الا بعد ان يامر اخي الامير حمزة وياتي الزمان الموافق للقتال غير اننا اذا هجموا علينا ندافع عن المدينة لان الله بذلك يساعدنا ولا يقبل بان تصاب مدينته المطهرة بسوء من الكافرين والمعتدين ومتى رايتم الاعداء وقد هجموا علينا فصوبوا نبالكم عليهم وارموهم بها فهي لا ريب تصيب مقاتلهم ويعمي الله بصائرهم . ففعلوا كما امرهم واقاموا على الانتظار الى ان كان الصباح وراوا جيوش زوبين تتقدم الى ناحية المدينة وباقي الجيوش مستكنة في خيامها فاسرع عمر الى رجاله واوصاهم بالمحافظة التامة على المدينة واقام في مقدمتهم وهم ينتظرونه ان يرمي نبلة ليتبعوه وبقي صابرًا على زوبين ورجاله حتى قربوا جدًا

من المدينة وهم بأمان من افعال عمر العيار وبكل فكرهم ان العرب لا يباشرون القتال بل قيماً يتقدمون على مثل ذلك لم يشعروا الاّ وعمر العيار قد صاح من الاعالي وصوب سهمه واطلقه عليهم وفي تلك الدقيقة انطلق من جماعة العيارين ورجال حمزة نحو الف سهم ثم تكرر ذلك وكلها تقع بين العجم وقد اخذوا بغتة واضطربوا ببعضهم وظنوا ان العرب باجمعهم يطلقون النبال فارتبكوا وماجوا من الخوف يميناً وشمالاً وقد عميت ابصارهم وتشتت افكارهم ونزل البلاء عليهم البلاء. وما من سهم اطلق من العرب الاّ ووقع بقتل رجل فارداهُ هذا والعرب مداومون اطلاق النبال لا تفتر ولا ياخذها كلل وعمر العيار يتطاير حولهم من مكان الى مكان لا يدع احداً يرجع الى الوراء كانهُ عزرائيل قابض الارواح او اسرافيل ينفخ بالبوق لتفريق شمل الاعداء وما برحت العرب على مثل هذا العمل الى ان اهلكت نحو عشرة الاف من عساكر زوبين وطار الباقون بالعلا خوفاً من الهلاك والدمار وكان من جملة الهاربين زوبين الغدار وقد تكبد ما جرى وصار وما صدق ان خلص من ساحة الهلاك. وبعد ان بعد عن المدينة وامن على نفسه امر بان تجتمع اليه رجالهُ وان يعودوا الى خيامهم وهو غائب العقل والصواب على ما حل به من الويل والتاخير ونزل في صيوانه حزيناً وفيما هو على مثل ذلك واذا ببختك وكسرى وصلا اليه لانهما كانا قد رايا ما حل برجال زوبين ونظرا تبديد شملهم وعند وصولهما اليه سلما عليه وهنآه بالسلامة وقال لهُ بختك ان العرب على ما يظهر مستعدون للقتال وقد استعملوا هذه الحيلة اي ان يقاتلوا بالسهام ولا يقربوا منا وما ذلك الاّ عن عجز وخوف قال اني كنت اظن ان هذا فعل العرب باجمعهم مع اني تاكدت بعد رجوعي ونظري من بعد انهُ فعل نحو الف نفس منهم قال بختك ان هذا بدون شك فعل عمر العيار وقد دبر هذا التدبير ليوهمنا ان العرب باجمعهم يفعلون ذلك مع انهُ معتمدون على الحصار والبقاء داخل المدينة. فقال كسرى اني اريد واحتم بارادتي ان لانباشر حرباً مع العرب بل من الواجب واللازم ان نسد عليهم كل المنافذ ونمنع كل الطرقات حتى لا ياتيهم نجدة من مكان ولا يصل اليهم احد بمؤن وذخائر ومتى فرغ طعامهم يلتزمون الى الخروج وهم جياع فنتمكن منهم ونذيقهم العذاب ونجعل طعامهم اذ ذاك الموت الاحمر يخضب من اسنة رماحنا وافرندة سيوف رجالنا فاجاب بختك ذلك وقال هذا هو الصواب ونحن غرباء في هذه البلاد فاذا ضعفت قوتنا او فقد من جيشنا قسم فلا نقدر ان نعتاض عنهُ من هذه النواحي ومن الراي الحسن ان نحافظ على دم رجالنا وابطالنا الى ان يتضايق العرب ويفعل بهم الجوع

ثم اتفق كسرى وبختك وزوبين ان لا يكون قتال كل تلك المدة بل يجتهدون بالحصار واقام العرب ينتظرون هجومهم مدة ايام فلم يروا منهم هجوماً فعلموا انهم عاملون على حصرهم وكان

حمزة فلما سُر من عمل عمر العيار وشكره الشكر العظيم وكذلك باقي العرب وما منهم الا من وهبهُ شيئاً من المال ليفرقهُ على جماعتهِ العيارين . ففي ذاك يوم دعا حمزة اخاهُ وقال لهُ اريدك ان تذهب الى بزرجمهر وتسالهُ عن القتال اهل يوافق في هذه الايام ام لا لاننا اذا لبثنا على مثل هذه الحال عدة ايام لقينا البلاء بحيث يكون قد فقد من عندنا المؤن ولم يبق لنا ما ناكلهُ وما نعالج بهِ ويكفي لهذه الجموع المجتمعة عندنا فنلتزم ان ناكل من المال الذي اتينا بهِ من جمع الاخرجة وربما فرغ وهذا لا اريد ان امد اليه يدًا الان مع ان صدري قد ضاق من التقاعد عن الحرب والاعداء محدقون بنا وهذا عار لا اقبلهُ عليَّ قال ساعود اليك بالامر من بزرجمهر فاذا اشار بالقتال فعلنا واذا امرنا بالتربص فعلنا ايضاً لان لا نجاح لنا الاَّ باذنهِ وعنايتهِ وخبرتهِ وصبر عمر الى ان اسود الليل وغفل كل رقيب عن مراقبة من مثلهِ فتزيا بزي الاعجام وخرج على تلك الحالة حتى وصل الى صيوان بزرجمهر فدخل عليهِ وقبل يديهِ وسالهُ عن حمزة فقال هو بخير وعافية وقد رجع كما كان وهو على الدوام يطلب القتال وانا امنعهُ لحين صدور امرك بهِ حيث اعرف وبعرف هو ايضاً انك محب للعرب ولاسيما الامير حمزة وقد حذرتنا قبل هذه الايام من ايام النحوس فلم ننتبه الى ذلك حتى لقينا ما لقينا من نتائج مخالفتنا فهل زالت هذه الايام ام لا تزال باقية . قال بلغ سلامي لاخيك حمزة وقل لهُ ان يصبر عن الحرب والقتال مدة ايام اخر الى ان ياتيهُ الفرج من عالم الغيب قال ومن ابن ياتينا الفرج ومن اي ناحية قال ان على الامير حمزة اسفار واهوال لا بد منها ولا بد ان يرسل الله من يبدد شمل العجم ويكون على وجهه مجاحكم وهو لا اعرفهُ ولا اعرف اسمهُ لكن اعرف انهُ ليس من الانس بل من الجان قال ان الامير يخاف من التطويل فتفرغ منا المؤن والمآكل وليس عندنا ما يكفينا الى زمان طويل مع ان الاعجام طرقهم منتوحة فيحصلون على الزاد من اي ناحية كانت . قال لا يمكن ان يحصلوا على الزاد من هذه البلاد غير ان ما معنا يكفي لايام قليلة وقد اعد كسرى كثيرًا من المؤن والاطعمة تكفينا لعدة سنوات وسلمها لعبيد زوبين الغدار وهم آتين بها وبعد يوم او يومين يكونون هنا قال لا بد لي من سلب هذه الاطعمة والاستيلاء عليها وسوف ترى ما افعل بها فهي غنيمة باردة ثم عاد الى اخيهِ واخبرهُ بما سمعهُ من بزرجمهر وانهُ لا ياذن لهم بالقتال في تلك الايام فلم يسع الامير المخالفة وصبر الى حين ياتي الله بايام السعود واما عمر فانهُ دعا بعياريهِ واوصاهم ان يكونوا على استعداد وتقدم من اندهوق بن سعدون والمعتدي وباقي الفرسان وقال اريد منكم ان تكونوا على حذر واستعداد فاني اريد ان اذهب بكم في هذه الليلة الى غنيمة عظيمة تنفعنا وتضر باعدائنا فقالوا اننا بانتظار اشارتك ثم انهُ لبس ملابس عبيد كسرى ووضع على راسهِ قبعة مدورة وعلق بها بعض اجراس وسار بين الاعجام ولا احد منهم يعي اليهِ وكل من راه لا يظن

الاَّ انهُ عجمي حتى قطع جيوشهم وسار مبعداً عنهم الى ان كان النهار فدخل في وادٍ متسع الجنبات كثير الفسحات فنظر فيهِ واذا بالاحمال محملة وسائرة الى جهتهِ فتقدم نحوهم وهو فرحان يصفق بيديهِ ويغني من الفرح ويرقص ولا زال حتى اقترب من العبيد ووقف امام كبيرهم فقال لهُ من انت وقد يظهر لي انك من الاعجام قال نعم انا عبد كسرى ومخريتهُ وقد بعثني لاكتشف اخباركم واعرف هل انتم بعيدون عنهم فسرت بجد عجيب حتى وصلت الى هنا . ولا يخفاك يا ابن الخالة ان لا شيء يسرني الاَّ الاجتماع بابناء جنسي سود الالوان ولا يطيب العيش الاَّ معهم واني اوكد لك اني فرحت جداً بهذه الخطة حيث يتيسر لي ان اسكر معكم وارقص واصرف ليلة حظ وسرورٍ قبل وصولنا الى المعسكر . قال بارك الله فيك فان جنس العبيد يحب بعضهُ جداً وكلنا اولاد خالة فسر بنا قليلاً حتى اذا صار بيننا وبين معسكرنا ثلاث ساعات نزلنا بالاحمال وصرفنا ليلة من احسن الليالي نحن وكل العبيد وفي الصباح نكون صحونا من سكرتنا فنسير الى كسرى وزوبين ونسلمها الاحمال والمون . قال بورك فيك وجعل يغني ويرقص ويمشي امام كبير العبيد حتى سرَّ منهُ سروراً عظيماً واكثر من الضحك لكثرة اعمالهِ السخرية وشغل بهِ العبيد وتركوا الاحمال واجتمعوا اليهِ وحينئذٍ امر كبير العبيد ان ينيخوا الجمال ويبقوا الاحمال على ظهورها حتى يسير وابعد نصف الليل وضرب صيوانهُ بالاول ومد الطعام فاكل مع عمر العيار وهو مسرور منهُ مزيد السرور وبعد ان فرغ من الطعام قال اريد منك يا ابن الخالة ان تاتينا بزق خمر وتامر كل العبيد والسائقين ان ياتوا الى هنا لنصرف هذه الليلة على ما يرضيك فيضربون لي بالطنبورات ويصفقون بايديهم وانا ارقص ارضاء لك . قال مرحباً بك سافعل كل ما تريدهُ ثم امر ان يؤتى بزق خمر ويجتمع العبيد جميعاً الى عمر فصفهم دائرة الواحد مقابل الاخر وفي صدرهم كبيرهم واخذ زق الخمر فوضعهُ في الوسط وقال عليكم في هذه الليلة ان تضحكوا من اعمالي وتصفقوا من فرحكم وعليَّ ان اسقيكم الخمر وارقص لكم واسركم وسوف ترون . ثم جعل يرقص ويقلب بالهواء ويمشي على يديهِ حتى كاد العبيد ان يهلكوا ضحكاً . ثم اخذ الطاسة وجعل يسقيهم وقد قبض بخفة كلية من جيبهِ قبضة من البنج ووضعها في الزق فشربوا دوراً ثم اعاد عليهم ثانياً وثالثاً ورجع الى عملهِ نحواً من نصف ساعة ثم سقاهم حتى قربوا من الثمول فقال لهم هيابنا يا اولاد الخالة نرقص باجمعنا رقصة الدبكة فمثل هذه الساعة ما عاد يحصل لنا ولا عدنا نجتمع فهبوا باجمعهم واخذوا ايادي بعضهم وجعلوا يرقصون ويضربون الارض بارجلهم ويهتزون ويميلون يميناً وشمالاً حتى تمكن البنج منهم جيداً ومن ثم اخذ في ان يقع الى الارض واحد بعد واحد حتى بمدة خمس دقائق وقع الجميع نياماً فعرف انهم لا يقومون الاَّ بعد اربع وعشرين ساعة او اكثر ولم يقبل ان يضيع الفرصة فاسرع عائداً حتى دخل بين الاعجام ومن ثم جاء الى

المدينة فوجد رجالة العيارين بانتظاره فدعاهم اليهِ وجاء من الامير اندهوق والفرسان وحكى لهم كل ما كان من امر العبيد والمؤن التي كانت معهم وقال لهم ان جميعها صارت بايدينا ولم يبقَ علينا الاَّ ادخالها الى البلد واريد منكم بعد اربع ساعات اي قبل الصباح بساعات ان تصيحوا وتفاجئوا الاعداء من الجهة الفلانية فيميلوا لنحوكم وهم يظنونكم كثيرين واعملوا فيهم السيف ولا تتفرقوا وانا اذهب الان برجالي وجماعة من العبيد تحت الليل الدامس فامرُّ بهم من ظهر اكمة اعرفها وانساب معهم ولا احدًا يرانا حتى اذا رايتكم وانتم مقيمين الحرب ومفاجئين الاعداء مررت بالحمال والجمال وليكن المعتدي وانت في حمايتهم وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وباقي الفرسان يفتحون الطريق ويقتلون كل من يكون امامنا ولا ريب انهم يتفرقون اذ لا علم لهم بحيلتنا ولا سيما وقد اخذوا بغتة والليل شديد الظلام فلا يرون منهُ ما تحتهُ . قال سر انت وسوف تشاهد ما يرضيك وللحال اخذ عياريهِ ونحو ثلثمائة عبد واوصاهم ان يفعلوا كفعلهِ وينسابوا من خلفهِ واحدًا بعد واحد دون ان يبدوا حركة او صوتًا ولما صار في الخارج عرج عن الطريق وتسلق اكمة قريبة من الخفر وفعل رجالهُ وباقي العبيد كفعلهِ وجعلوا يتقدمون شيئًا فشيئًا واحد خلف واحد حتى قطعوا معسكر الاعجام ولم يرهم او يشعر بهم واحد منهم ومن ثم اخذ عمر خنجرهُ وتقدم من العبيد مع عياريهِ فاوقعوا بهم واماتوهم بمدة نصف ساعة ولم يتركوا احدًا حيًّا وبعد ذلك اخذ يفرقهم ويرتبهم على الجمال وصف الجمال خلف بعضها وسلم ازمتها الى العبيد ووضع في كل ثلثمائة جمل عيارًا من عياريهِ مسلحًا واوصاه ان يكون عملهُ على الدوام الانتقال في تلك الفسحة حتى اذا وجد من يعارض او يدنو من الجمال نحرهُ بضربة من خنجره وتقدم هو بالاول كانهُ الريح في سرعة الانتقال يكاد لا يظهر للعيان واقام ينتظر هجوم رجالهِ على الاعجام من الجهة التي اوصاهم بالهجوم منها ليمر بسرعة البرق الخاطف

وفي تلك الساعة خرج اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل والثمانمائة بطل رجال حمزة الاخصاء ولما قربوا من معسكر الاعجام دخلوا بينهم وقد تفرقوا على عدة جهات واتفقوا ان يجتمعوا الى جهة واحدة واشغلوا ضرب السيف فيهم وهم نيام وبدأوا في تقليب الخيام ودوس الرجال فاضطرب جيش الاعداء من تلك الجهة وظنوا ان الارض قد انطبقت عليهم من كل الجهات فخرجوا هائمين على وجوههم ومن قدر منهم على حمل السلاح لم يتمكن ان يعرف من اي ناح كبستهم الاعداء فطلب العزلة ينتظر قدوم النهار وبهذا تسهل لعمر العيار ان يمر بالجمال وحالما صار بين الاعجام لقي الامير اندهوق والفرسان تتجمع اليهِ فطلب منهُ ان يسير على جانب الجمال ذهابًا وايابًا مع باقي الفرسان ولا يدع احدًا من الاعداء يعرف بهم او يقرب من

الجمال فنعل

وكان عمر العيار كانه البرق الخاطف يخطف من ناحية الى ناحية والعبيد والعيارون تسوق بالنوق والاحمال عليها وهي سائرة دون معارض والقتال واقع عند جانبيها ومن قرب منها على غير قصد كان جزاؤهُ الاعدام والهلاك اما من عمر العيار الذي كان يحرسها من اولها الى اخرها ويرعاها بانظاره او من خناجر عيار يه او سيوف الفرسان وما مضى نصف ساعة حتى بدأت الجمال بان تدخل المدينة يتبع بعضها البعض وقد دعي الى ذلك فرسان من المدينة فتناولوها ودامت الحال على مثل هذا المنوال مدة ثلاث ساعات حتى دخلت كل الجمال والاحمال ومن ثم دخل من خلفها العيارون والفرسان جميعاً وهم مسرورون وفرحون بنجاح اعمالهم وفوزهم وحرم الاعداء من طعامهم ومؤنهم وكان الصباح قد بدأ ان يتقدم فخرج الامير حمزة من صيوانهِ ولاقى عمر فشكرهُ على فعلهِ ومدح من اعمالهِ واعمال الفرسان وقال الحق يقال ان هذا العمل يصعب على كل عيار وبطل وقد فعلتم بالاعداء فعلاً يؤثر فيهم لانهم لا يمر ايام قليلة حتى يروا انفسهم باحتياج شديد الى الطعام ويشعروا بالمجاعة ونحن بامان منها لان هذه الذخائر تكفينا الى زمان طويل

وكان قد وقع الاضطراب بجيش الاعجام وهم لا يعلمون سبباً لفعل العرب غير انهم ظنوا انهم كبسوهم جميعاً وفي نيتهم الهرب والبعد عن المدينة ولذلك كانوا ينهضون من مراقدهم فاما يتسلحون ويتقدمون واما يعتزلون وكثيراً ما يصادف العجمي عجمياً فلا يعرفهُ ويظنهُ عربياً فيبطش بهِ او يفر من امامهِ غير عالمين ان القتال واقع من جهة واحدة فقط ودامت الحال الى ان اشرق الصباح فلم يروا احداً من العرب غير انهم راوا انفسهم يتقدم الواحد من الاخر ليوقع بهِ فسكن اضطرابهم وتعجبوا واذ ذاك نهض كسرى غضباناً واجتمع عندهُ كل من وزيريهِ بختك وبزرجمهر وزوبين الغدار وسكاما وورقا وباقي الاعيان فقال لهم اريد منكم ان تعيدوا لي الواقعة وماذا جرى فانني لا ارى الامر مهماً مع ان عند الليل ظننت ان الارض انطبقت على بعضها لكثرة الصياح وما ظننت الاَّ ان جموع العرب قد ضربتنا من كل جهة . فقال لهُ احد الفرسان اني كنت ممن نهض في هذا الليل وسمعت صياح العرب فظننت ما ظننتهُ ياسيدي غير انهُ عند طلوع الفجر ما وجدت الاَّ جماعة قليلة من الفرسان داخلة من الباب بعد ان دخل امامها حبل طويل من الجمال التي عليها الاحمال ولا اعلم اولهُ وعندي ان تلك حيلة فعلتها العرب لتدخل بعض النجدات الى المدينة او لتدخل تلك الجمال حيث انهم بحاجة الى الطعام وقد قتل من عساكرنا نحو ثلاثة الاف فارس فقط . فلما سمع زوبين هذا الكلام قال اخاف ان تكون هذه الجمال هي جمالنا التي تركناها مع العبيد وعليها احمال المؤن والذخائر ولا ريب ان وصولها الينا

سيكون في هذا النهار فعلموا بها واحتالوا على الاستيلاء عليها ونحن غافلون عنهم . قال بختك لا بد من كشف هذا الامر ومن الواجب ان نرسل من يكشف لنا الحال لان اذا كان الجمال جمالنا والاحمال احمالنا يكون العرب قد قتلوا عبيدنا وابقوا اثارهم في الطريق . ثم بعث بالعبيد لتكشف لهم الاخبار فما غابوا الاَّ القليل حتى وصلوا الى الوادي الذي لقي به عمر العبيد فرأوا الصبوان مضروبًا والعبيد مع كبيرهم مقتولين ومطروحين الى الارض وما من جمل في تلك الارض سوى الاثار فعادوا في الحال الى كسرى ونعوا العبيد واخبروهُ انهم جميعًا اموات فتكدر وتكدر زوبين وبختك وقالوا لقد فاز العرب فوزًا عظيمًا في هذه المرة ونالوا ما يكفيهم لاشهر وايام . وقال بختك اني اعرف حق المعرفة ان هذا العمل هو عمل عمر العيار ابن الزنا والحرام فلعنهُ الله ولعن يومًا ولد بهِ ووجد بهذه الدنيا واني اسال النار ان ترميهُ بايدينا لاقدمهُ ذبيحة لها بعد ان اذيقهُ اشد العذاب . فقال كسرى اني اعرف ان هذا عمل عمر غير اني ساصبر على وقوعهِ بيدي ومن اللازم الان ان ارسل الرسل باسرع ما يكون حتى تصل الى المدائن وتاتينا بالاطعمة والمؤن بمدة قريبة واني باقٍ على ما انا عليهِ ولا اقيم عن هذه الارض حتى اهلك العرب ولا بد ان الاحمال التي كسبوها بالحيلة تفرغ وتنتهي فيحتاجون الى غيرها ثم انهُ دعا بالرسل وبعثهم الى المدائن واوصاهم بالعجلة والاسراع بالاتيان بالمؤن واحتياج الجيش الى مدة اشهر وان يبقى الارسال متواصل حتى يعودوا . واما بزرجمهر فانهُ سرَّ في فؤادهِ عظيم سرور وفرح مزيد فرح ومدح في قلبهِ من عمر العيار وتعجب من كثرة احتيالهِ وسهرهِ على نجاح العرب وعرف موكدًا انهم لولاه لا ينفعون بشيء وهكذا بقي العجم على حالهم وهم يحاصرون مكة المشرفة ويحيطون بها احاطة السوار بالمعصم وقد تصوروا ان العرب لا يخرجون ولا يقاتلون حتى تنتهي المؤن منهم فاما يطلبون التسليم فيسلمون واما ينفرون بطلب الحياة ويهجرون المدينة

قال وكان العرب في هرج ومرج وقد تيقنوا ان ما عندهم يكفيهم الى زمان طويل بينما يكون قد جاءهم الفرج وانتهت ايام النحوس وامرهم بزرجمهر بالقتال والنزال وبقوا على ذلك عدة ايام الى ان كان ذات يوم اراد عمر العيار حسب عادتهِ ان يدخل على اخيهِ حمزة لانهُ كان في كل يوم يدخل اليهِ قبل كل احد ينظر في صحتهِ واحتياجهِ ويرى ان كان لهُ من غرض يامرهُ باجرائهِ وكان يحرسهُ طول الليل وهو يعلم ان لا احد عندهُ فسمعهُ يقول هذه الالفاظ . ان كان كلامك صحيح وما تزعمهُ صدق فانا اعدك اني اسير معك واقتل عمك واعيد الملك لك . فاضطرب عمر ومد راسهُ فلم يرَ احدًا فزاد اضطرابهُ وظن ان الامير حمزة اختل شعورهُ او اصابهُ عارض باسرع الى اسطون الحكيم وهو باكي العين حزين القلب وجمع سائر الفرسان وقال لهم اننا وقعنا بمصيبة عظيمة وبلية جسيمة وخسرنا كل نجاح وتوفيق ثم جعل يبكي فقالوا لهُ اخبرنا الواقعة

اهل مات الامير او اصابهُ امر مكدر قال ان نتيجة ذلك المرض الطويل الناتج عن الجرح كان الجنون فاني دخلت عليهِ في هذا الصباح فوجدتهُ يتكلم مع نفسهِ بصوت مرتفع كانهُ يكلم احداً ولا احد عندهُ ومن الصواب مداركتهُ في هذه الساعة فان المرض مبتدئ بهِ فنهضوا جميعاً وساروا مضطربين واسرعوا الى صيوان الامير حمزة ودخلوا عليهِ وكان ينتظر قدوم عمر عليهِ حسب العادة وقد شغل بالهُ لغيابهِ وتركهِ عادتهُ. فلما راى الفرسان والامراء وقد دخلوا جميعاً قام اليهم وترحب بهم وهو ينظر اليهم بتعجب . وبعد ان جلسوا وراوه حسب عادتهِ ارتابوا بامرهِ واراد اندهوق ان يمتحنهُ فقال لهُ هل تعرف باي شهر نحن الان قال نعم اعرف اننا في محرم. قال وهل تعرف ماذا نعمل في هذه الايام وما ننتظر واسم كل واحد منا وجعل يسالهُ الاسئلة التي نظير هذه حتى وعى الى سبب مجيئهم وادرك ان عمر العيار قد حضر ووجدهُ يتكلم ولم يرَ عندهُ احداً فذهب واخبرهم بانهُ خسر عقلهُ . فالتفت اليهِ وقال لهُ ياوجه القرد ماذا رايت مني حتى اشغلت بال الفرسان عليَّ واخبرتهم اني خسرت عقلي فقال لهُ لم يسمع قط ان انساناً يتكلم مع نفسهِ وبهِ عقل . ثم ان اندهوق اخبرهُ بما سمعوهُ من عمر فقال لقد اصاب فاني كنت اتكلم وليس مع نفسي بل مع اخر وسوف ترونهُ وتعلمون حديثهُ . ثم انهُ صاح هلمَّ ياراعد فاظهر لفرساني واخبرهم بواقعة حالك وما اخبرتني بهِ وفي تلك الساعة ظهر للفرسان فرخ من الجان مدور العينين اصلع الراس طويل الايدي قصير الارجل ووقف بين يدي الفرسان وسلم عليهم فتعجبوا من منظرهِ وهيئة تركيبهِ وقال لهُ المعتدي من انت وما هي قصتك وما الذي دعاك للاتيان الى الامير حمزة وماذا تريد منهُ قال اني اتيت بهِ مستجيراً وباذيالهِ متمسكاً طالباً منهُ اغاثتي ومعونتي وذلك اني من جبال قاف وهي بلاد بمنتهى الدنيا كبيرة تجمع ثلاث مقاطعات تحت تصرف ثلاث ملوك فالمقاطعة الاولى هي تخص شاه ياقوت الازرق والثانية كانت تحت ملك ابي معدن شاه والثالثة لعمي اليبون شاه فتوفى منذ ايام ابي فطمع عمي بقطيعتهِ وجاء اليَّ وطردني منها وامر ان كل من راني يقتلني فالتزمت ان اهرب واختفي عند كهين كان ابي يستخلصهُ وطلبت معونتهُ فقال لي ان عمك شيطان ولا قدرة لي عليهِ ولا يمكن ان يقدر عليهِ الاَّ فارس واحد من العرب موفق بعناية الههِ وهو في برية الحجاز اسمهُ الامير حمزة ابن الامير ابراهيم وقد وقع بيدهِ سيف يقتل بهِ الانس والجن فيفعل بهم على حد سوى وهذا وحدهُ هو الذي يقدر على قتل عمك ونزع الملك منهُ فلما سمعت كلامهُ اسرعت الى هذه الجهات حتى دخلت اليهِ في هذا الصباح واعرضت عليهِ حالي وقد وعدني بالذهاب معي اكراماً لخاطري ولا ريب ان وعد الحر سريع الانجاز . فقال لهُ حمزة اني وعدتك بالذهاب معك لكن بعد كسر عساكر كسرى وتفريقهم عن مكة المطهرة والاَّ ما زالوا مقيمين على حصارنا والحرب لم تنتهِ بيننا لا اقدر على الذهاب فابقَ عندنا انت الى ان

ياتينا الله بالفرج وتنتهي ايام النحوس . فقال الراعد اعلم يا اميراني اقاتل معكم في حرب العجم وترون فعلي واني اعدكم بتفريق هذه الجموع بثلاثة ايام بحيث اقتل فيهم ولا يرون لي وجهاً فسرَّ الامير حمزة من كلامهِ . وقال لا ريب ان الفرج على يدك وانت الذي اشار اليك الوزير بزرجمهر عند كلامهِ لاخي عمر . ثم انهُ امر عمران تفتح الابواب في اليوم التالي وتخرج الفرسان وتضرب الطبول ليرى ما يكون من اعمال الراعد مع العجم وقد ايقن ان النصر سيكون لهم وان كسرى سيلاقي و بالهُ في هذه المرة . فاجابهُ عمر وقال لهُ اني ساذهب في هذه الليلة الى بزرجمهر واعرض عليهِ هذا الامر وفي الصباح نرى ماذا نفعل

قال وصبر عمر الى ان اسودت فحمة الليل فتزيا بزي الاعجام وخرج من مكة وذهب الى صيوان بزرجمهر وحاول الانفراد بهِ الى ان تسهل لهُ فقبل يديهِ واستاذنهُ بالحرب واخبرهُ بخبر الراعد فقال لهُ اخرجوا للحرب في الغد فان الفرج قد جاء وسينكسر كسرى في هذه المرة وينهزم الى المدائن مشتتاً ولا تضيعوا هذه الفرصة لان لا بد من ذهاب الامير الى جبال قاف لانفاذ المقدر حيث ان لهُ نصيب هناك . فلما سمع عمر كلام الوزير مدحهُ وقبل يديهِ وخرج من عنده وجاء الى العرب واخبرهم بما قالهُ بزرجمهر وانهم اذا حاربوا العجم في هذه المرة انتصروا وفازوا فسروا من ذلك ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان قد اشتاق الى الحرب والقتال وطلبت نفسهُ الايقاع بالاعداء وتمنى ان يصل الى زوبين لياخذ لنفسهِ بالثار منهُ وعليهِ فقد باتوا تلك الليلة على نية ان يباكروا الى القتال والحرب والنزال

فهذا ما كان منهم واما ما كان من كسرى انوشروان فانهُ بعد ان سهر تلك الليلة مع سادات قومهِ انصرف الى فراشهِ وما لبث ان نام حتى راى حلماً مريعاً فنهض مرعوباً مضطرباً وعاد الى كرسيهِ وارسل فدعا وزراءهُ واعيانهُ فاجتمعوا اليهِ وهم لا يعلمون السبب الموجب الى ذلك واذ ذاك قال لبزرجمهر اني وانا نائم رايت في حلمي بينما كنت قائماً بين جيوشي ورجالي واذا بنار على شكل قضيب انحدرت من السماء وضربت في الارض في وسط جيوشي ثم مال ذاك القضيب الذي كان لا يزال راسهُ في الاعالي الى اليمين والشمال فاصاب جانباً من جيوشي واحرق نحو الثلث فخفت من ان اصاب بشرارة ويكون نصيبي نصيب من احترقوا من قومي فاضطررت الى الانهزام وركضت حتى ادركت ابواب المدائن وهناك استيقظت مرعوباً فوجدت نفسي على سريري واريد منكم تفسير هذا الحلم فلما سمع الجميع كلامهُ سكتوا عنهُ وما منهم من ابدى كلاماً حتى قال الملك لبزرجمهر لا احد يقدر ان يوضح لي معنى حلمي الاك فافدني عنهُ حتى اذا كان وبالاً او شرّاً فلا تخفهِ فانت امين من كل ما تشرحهُ . قال اعلم ان الحرب تنتشب بينك وبين العرب وتحصل واقعة مهمة جدّاً تدور بها الدوائر على الاعجام ويفنى منهم من سيف العرب

الثلث والباقون ينهزمون الى المدائن وانت بينهم وهذا الذي تبينتهُ وظهر لي عن تفسير حلم سيدي الملك . ولما سمع بختك هذا الكلام لم يهن عليهِ بهِ ولذلك اسرع الى الكلام فقال لا خفى ان الاحلام لا تصدق في اكثر الاحيان ولا سيما ان سيدي الملك يهدس بالعرب ويطلب سرعة القتال وفناءهم عن آخرهم وان صح هذا الحلم صحيح فيظهر لي انهُ بعكس ما حكاهُ بزرجمهر لان العرب ستصاب بسيوفنا وسيف زوبين ويقتل منهم الثلث وذلك لكثرتنا وقلتهم وقوتنا وضعفهم واتساع المجال علينا وضيقهِ عليهم فليطمئن بال سيدي الملك وليرتح ضميرهُ فسوف يشاهد صدق قولي . قال الملك على ما يظهر ان كلام بزرجمهر هو صدق ولا بد من الوصول اليهِ . وصرف الملك باقي تلك الليلة مع وزرائهِ ولم يرضَ ان ينام ولا قدر على طرد هذه الافكار من راسهِ الى ان تبلج وجه الصباح وبرق نور النهار من خلال موخرة الظلام واذا بهِ يسمع اصوات طبول العرب تؤذن بالحرب والقتال وهي تضرب فترتج منها السهول والجبال . ثم راوا ان العرب قد بدئت بالخروج وهي رافعة راياتها ومقومة اسنتها فامر اذ ذاك كسرى وهو بحزن عظيم ان تضرب طبول الفرس وتستعد لملاقاة العرب قبل ان يهجموا عليهم ويطشوا بهم ففعلوا واسرعوا الى خيولهم فالجموها واعتلوا فوقها وتقدموا الى ساحة الحرب والقتال وبينهم زوبين الغدار وفي الوسط العلم الاكبر وتحتهُ بيكار الاشتهار عليهِ الملك كسرى انوشروان ومن حولهِ وزراؤهُ وحراسهُ وقومهُ

هذا وكانت العرب في الصباح قد نهضت عند سماعها اصوات طبول الحرب وركب الامير حمزة على جوادهِ الاشقران كانهُ قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وتقدم في الاول ثم ركب اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل فارس ذاك الزمان وكل منهما في ناحية من الجناحين وركب معقل البهلوان برجالهِ وقاهر الخيل بابطالهِ وبشير ومباشر واصفران الدربندي وكل واحد من الفرسان يطلب ان يشفي في ذاك اليوم غليلهُ من الاعداء وينتقم للامير حمزة منهم ولا سيما عمر العيار فانهُ لبس ثوبًا من الجلد الاسود قصير الاكمام ضيق من جميعهِ يضغطهُ على جسمهِ كانهُ من جلدهِ واعتد فوقهُ بسلاحهِ وقرب منهُ رجالهُ ففرقهم كل عشرة الى جهة واوصاهم بالمحافظة على الفرسان وان لا يستقروا في مكان . ثم تقدم هو بين يدي اخيهِ حمزة كانهُ فرخ من فروخ الجان وعيونهُ تقدح شرارًا . ولما التقت العين بالعين وانتهى انتظام الفريقين صاح الامير حمزة بصوت اشبه بالرعود القواصف ونادى ويلكم اعجام اولاد الزنا والحرام هل ظننتم ان الامير حمزة قد مات وشرب كاس الافات حتى تبعتم العرب الى هذه الديار الا تعلمون ان الغدر سيء العواقب ولا يستعملهُ الا كل لئيم ومحتال يعجز عن القتال في ساحة المجال وها قد جاءكم اليوم قضاءُ هذا الزمان ومذل الجبابرة والفرسان . ومهلك الابطال

والشجعان . من لا يوجد لهُ ثان . الامير حمزة البهلوان . وفخر الاعجام والعربان . ثم انهُ همهم همهمة الاسود واقتحم عباب ذاك البحر وهو يصول ويجول و يطعن في الصدور فيمدد الفرسان على الارض البعض بالطول والبعض بالعرض وكذلك اندهوق بن سعدون فانهُ اطلق لفيلهِ العنان وقوم في ايديهِ السنان . وصادم الابطال والفرسان . واعمى منها البصائر والاعيان . بطعن احرّ من لهيب النيران . ولا تسل عن المعتدي حامي السواحل وما فعل عند هجومهِ وصدماتهِ . وكم من بطل قتل عند بداية ضرباتهِ وطعناتهِ . وما مضى ساعة من النهار . حتى اضطرم لهيب تلك النار . ولحق شرار قتالها الكبار والصغار . ممن حضروا الوقعة وسلموا بانفسهم الى الاقدار وتركوا بصدورهم طريقًا لمرور الرماح و برقابهم مجالاً لجولان الصارم البتار . فارتفع فوق رؤوسهم الغبار وتكاثف حتى حجب نور الشمس عن الابصار وانتشر من الشرق الى الغرب اي انتشار . ومد بظلهِ فوق المتقاتلين من الاربعة اقطار . فحل بهم الويل والدمار . وضربهم الفناء بسيف البوار فاصاب بهِ قصار الاعمار . واقلبهم عن خيولهم الى ساحة القفار . وكانت وقعة عظيمة الاهوال شديدة الاكدار . تدفقت بها الادمية كالامطار . وجرت في افنة الارض كالانهار . حتى صبغت وجهها بالاحمرار . وافتحت بها من ارجل الخيول حفرًا عظيمة المقدار واسعة الجوانب مكشوفة الاستار . فللهِ در الامير حمزة الفارس الجبار . كم قتل وكم مدد على بساط الارض بسيفهِ الرقيق الشفار . وكم اباد من فرسان الاعجام الاشرار وهو ينتقل من مكان الى مكان يطلب الوقوع بزوبين الغدار . وبين يديهِ اخوهُ عمر العيار . ينطلق كالسهم الطيار . ويجري باسرع من الطير اذا طار . ودام الامر على ذلك الى ان علت الشمس قشرة الاصفرار . وسارت الى موخرة الغرب تطلب الاستتار . وفي تلك الساعة ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن الحرب والقتال الى طلب الراحة من جرى ما لحق بها من التعب والملال . ورجع الاعجام الى الوراء وقد فقد منهم جمٌّ غفير وقتل قوم كثير . ولما اجتمع كسرى ببختك وبخهُ وقال لهُ لا زلت تهون عليّ الصعاب وتخبرني بما لا اصل لهُ وقد ذكرت لي بتاكيد ان الامير حمزة قد قتل من زوبين والحال اني شاهدتهُ في هذا النهار كانهُ الغول يفتح فاه ويبتلع الفرسان من كل ناحية ومكان ولا ينجو من بين يديهِ الاَّ من تحركهُ الرحمة عليهِ وانا اعرف ان فرسان الاعجام وعساكرها تخاف جدًّا عند سماع صوتهِ فتنفر منهُ ولا ترضى بالبقاء امام عينيهِ . ولو كنت اعلم من الاول ببقائهِ حيًّا لما اتيت هذه الديار ولا رميت برجالي في حفر الاخطار . فقال ان حمزة جرح جرحًا بليغًا وقطع العرب منهُ الرجاء واتعجب كيف شفي بعد ذاك الجرح الذي لا يمكن ان يشفى منهُ من يلحق جسمهُ ولولا قطع رجاء العرب لما تركوا المدائن وجاءوا الى هذه الاراضي مهزومين وخائفين من حراب الاعجام . واما ما قلتهُ من جهة الحاقنا بهم فهذا لا بد منهُ ان كان

الامير حيًا او ميتًا لانهم اخذوا مهردكار وساروا بها غصيبة وهل من الشرف والناموس ان نترك نساءنا وبناتنا سبيات بايدي زنخات العرب ولا سيما انت ملك الارض بالطول والعرض ولديك من الجيوش والابطال ما اذا فاتلت بهِ عدة سنوات متوالية وفي كل يوم قتل خمسون الفًا لكفى فاكد ان القتال عاقبتهُ لنا ولا بد من انتصارنا بهمة صهرك زوبين الغدار . فلما سمع كسرى كلامهُ سكت على مضض وهو يتحرق من فعل العرب وعرف ان لا مندوحة لهُ عن القتال لتخليص بنتهِ وحفظ شرفهِ

قال ولما كان صباح اليوم الثاني اصطف الصفان . وترتب الفريقان . وهجم كل منهما على الاخر واشتد القتال وحمي النزال واختلط الرجال بالرجال وتقابضت بالايدي الابطال . الى ان انقضى النهار وزال . وعزم على المسير والارتحال . فرجع العرب والاعجام الى المضارب والخيام وباتوا تلك الليلة تحت مشيئة الرحمان . حتى اصبح صباح اليوم الثالث . فاصطف العرب في ناحيتهم بعد ان ترتبوا كالعادة ووقف كل فارس في ناحية لحماية رجالهِ وحاشيتهِ وفي الوسط الامير حمزة مع اخيهِ عمر العيار وكذلك ترتب الاعجام وانتظموا احسن انتظام . واذا بالامير حمزة قد صاح وهجم واشار الى رجالهِ بالهجوم فتبعوهُ وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة ودخلوا باب الحرب والطعان . فالتقتهم الاعجام بقوة قلب وجنان . وطاف عزرائيل عليهم من كل ناحية ومكان . واحضر معهُ الوفًا من مثلهِ لمساعدتهِ بقبض الارواح وفصلها عن الاشباح واحتاط بهم مئات الوف من وحوش البراري طلبًا لقوتها ورزقها من تلك الاجسام المتروكة من سيوف العرب وحامت طيور الجوّ مجتمعة من الشرق ومن الغرب لتشبع بطونها وتملئها من لحوم القتلى ودبت هوام الارض منزوية ساعية الى التجمع عليها وهكذا كانت حرب تلك النهار شديدة وعظيمة وعواقبها كئيبة ووخيمة وفيما المتقاتلان يتقاتلان واذا بسيف طويل يبلغ طولهُ . اذرع قد رفع بين الاعجام ومال ذات اليمين وذات الشمال وهو يصيب في كل ضربة عددًا من الرجال فيهوي بها الى بساط الارض وتتمدد مفارقة الحياة . هذا وكان ذاك السيف سيف الراعد وقد جاء ليفي بوعدهِ وينهي القتال في ذاك اليوم وبقي لهيب الحرب يضطرم وارجل المنايا تزدحم حتى شعرت العجم بفناها وايقنت انها سائرة الى دار شقائها وبلاها ولم ترَ لها خلاصًا من يد اعدائها وكذلك كسرى انوشروان فانهُ راى كل ما هو جارٍ على رجالهِ وشاهد ان العرب قد ابادت قسمًا كبيرًا منهم وهي تطاردهم وتطردهم الى الوراء فقلب الضياء في عينيهِ ظلامًا وقال لبختك روح ابيك نتقلب على جبال الثلج ونحرم من الدنو من النار فقد اهلكنا سوء تدبيرك وها ان رجالنا وقع بهم العدم . فقال هلمّ ياسيدي الى الهرب فان اليوم ليس يومنا ومتى جاء يومنا اخذنا بثارنا من العرب ثم امر الحجاب فحملوا كسرى على بيكار الاشتهار وطاروا بهِ راجعين ركضًا

ومهزومين في البراري ولما رات عساكر الاعجام ان العلم الاكبر قد سار الى الوراء وان ملكهم قد هرب التزموا باتباعهِ فالووا اعنة خيولهم وفروا من وجه اعدائهم فتاثرهم العرب وهي تضرب باقفيتهم وتشفي غليلها منهم وتريد ان لا ينجو منهم احد في ذاك اليوم كي لا يعودوا الى التجمع مرة ثانيةوكان اول الهاربين زوبين الغدار خوفًا من ان يلتقي بهِ حمزة فياخذ لنفسهِ منهُ بالثار وقد اهلك الراعد قسمًا كبيرًا بذاك السيف الطويل وصال في وسطهم الى ان اقبل الظلام والتزمت العرب الى الرجوع وكانوا قد ابعدوا الاعجام عن مكة مسافة ثلاث ساعات واهلكوا منهم نحو الثلث وتركوهم بايشم حالة واسوء مصير وعاد الامير حمزة فرحانًا ومسرورًا بذاك النصر وبين يديهِ عمر العيار كانهُ الشبوب في الانطلاق ولما قربوا من المدينة خرج الامير ابراهيم لملاقاتهم مع اعيان مكة المطهرة وبين ايديهم النساء تضرب بالدفوف والعبيد بالمزاهر وتقدم ابراهيم من ولدهِ فقبلهُ وهنأهُ بالسلامة وكذلك مدح سائر الفرسان والابطال ودخلوا جميعًا المدينة على تلك الحالة واولموا وليمة فاخرة وفرقوا الاموال على الفقراء والايتام وقسموا الغنائم على كل نفس من عساكر وقواد ونساء وشيوخ وشبان ولحق كل واحد شيء كثير منها وبعد انقضاء السهرة انصرف كل الى صيوانهِ وهم يتيقنون انهُ وان كانت النصرة كافية لاذلال العجم وقهر كسرى الا ان بختك لا يتركهم دون ان يقودهم مرة ثانية الى حرب العرب وذهب حمزة فنام في فراشهِ تلك الليلة مرتاحًا الى ان كان الصباح نهض من فراشهِ وجلس على سريرهِ واذا بالراعد قد وقف امامهُ وقال لهُ لقد انتهى غرضك وتفرق العجم عنك ولم يعد من امل برجوعهم الان واريد منك ان تنهي وعدك لي وتسافر معي الى بلادي لتقتل لي عدوي ولا تقيم هناك اكثر من ايام قليلة فاني احملك على عاتقي واسير بك فلا تشعر بتعب . قال اصبر عليَّ بينما اكون قد هيئت نفسي ودبرت امري واوصيت الفرسان بالتيقظ في غيابي خوفًا من وقوع ما لم يكن بالبال ثم ان حمزة سار من صيوانهِ حتى دخل على مهردكار فوجدها جالسة بانتظاره لعلمها انهُ لا بد ان ياتي اليها في ذاك النهار وعند ما راتهُ نهضت لملاقاتهِ وترحبت بهِ وادخلتهُ الى الداخل فشكرها وقبلها بين عينيها وقال لها يصعب عليَّ ياقرة العين ان اخبرك ان عساكر ابيك قد انكسرت وانهُ سار مهزومًا ولا بد ان يكون قد بلغك هذا الخبر. قالت يكفيني ان اراك سالمًا سليمًا من نوائب الايام واما ما اصاب ابي فهو ما استحقهُ مع رجالهِ لانهُ ترك الحق واعمى البطل عينيهِ فمال الى بختك وسمع منهُ وانقاد اليهِ وحمل نفسهُ ما لا يطاق وجرَّ بعساكره ورجالهِ الى ساحة الوبال وجرَّد نفسهُ عن الرحمة والشفقة عليَّ وعليك بعد ان وعدك الوعد الصادق ان يزفني عليك وتكون صهره وخفير بلاده مكافاة على قتلك خارتين وارجاع بلاده اليهِ ومن حيث قد نكر جميلك وقابلك بالعداوة والبغض فعاملتهُ معاملة العدو لا النسيب ولذلك معذور واما انا فاني

بمقتضى واجبات الدين والانسانية ان ابقى بين يدي ابي وتحت امرهِ ولا اخرج عن طاعتهِ ولو كان بذلك موتي وهلاكي . غير اني قهرت اميالي من هذا الوجه وعرفت ان من ضرورة الحال ان اكون على الدوام عندك لتكون انت مرتاحاً ولا يكون ما يكدرك فتصرف ليلك مطمئناً لاسيا وان ابي ليس على دين الحق بل كافر بدين الله وهو محاط برجل من اخبث اهل العالم واشرها متسلط كل التسلط على عقلهِ وقلبهِ ورايت من نفسي ان البعد عنهُ خير من التقرب والبقاء كيف كان الحال ومهما قيل عني . فمدحها حمزة وشكر من اطوارها وقال لها نعم ان بقاءك عندي راحة لي لا لاني اريد ان تكوني على غير طاعة ابيك بل لعلمي ان اباك لا يستحق ان يكون عندهُ بنت نظيرك فسبحان من يخرج الحيّ من الميت ولا سيا اني لا اكون مرتاح البال عليك وامينًا من الغدر بك وظلمك والان اريد منكِ ان تذهبي معي الى فرساني لان لي غاية ابديها هناك بحضورهم كوني ساغيب عنك الى جبال قاف فتبقي انتِ تحت حمايتهم . فلما سمعت كلامهُ شعرت بانفطار قلبها وضياع عقلها وقالت لهُ كيف يطيعك قلبك ان تتركني وتذهب عني وانا وحيدة هنا وبعيدة عن كل انيس وصديق لا اب ولا ام او اخت تسليني وقد اتخذتك بدلاً عن الجميع ولا سيا اذا طالت غيبتك . قال ان سفري لا بد منهُ حيث قد وعدت الراعد وعداً صادقاً ومن كان مثلي لا يعد ويخلف ولا بد من عودتي قريبًا فلا اغيب الاَّ اياماً قليلة لان وان كانت البلاد بعيدة لكني سأسير راكبًا على عاتق الراعد فيوصلني باقرب وقت ويعيدني كذلك ولي رجاء بالله تعالى ان تكون سفرتي هذه موفقة فاقضي غرض الراعد واتفرج على تلك النواحي واعود حالاً . فلما سمعت كلامهُ وشاهدت اصرارهُ على السفر سكتت وهي باكية العين منكسرة الفؤاد وقامت معهُ وسارت الى صيوان ابيهِ وهي مقبلة . وكان جميع من في الصيوان بانتظار حمزة ومن جملتهم الراعد فقاموا احترامًا لهُ ثم انهُ حياهم وجلس في مكانهِ وعندما استقرَّ بهِ الجلوس دعا بالفرسان اجمعهم ان يتقدموا الى جهتهِ فتقدموا . فقال اريد ان كل واحد منكم يضع يدهُ فوق يد الاخر ففعلوا وتجمعت الايدي فوق بعضها ثم دعا بمهردكار وقال لها ضعي يدك فوق يد الجميع ففعلت واذ ذاك قال لهم حمزة اني اريد منكم ان تتخذوا مهردكار اختًا لكم وتعاهدوها امامي وامام الملك النعمان وابي وباقي الاعيان ان تكون لكم اختًا وتكونوا لها اخوة . قالوا لاشك انها اختنا ونزيد على ذلك ان نعاهدها بحسب امرك كيف لا وهي مخطوبة منك وقريبًا تصير سيدة العرب . وبعد هذا اقسم كل واحد منهم بالله انهُ يتخذها اختًا ويحامي عنها كاخت ويبذل حياتهُ من اجلها . وبعد ان ارتاح بال الامير حمزة من هذه الجهة امر اخاهُ عمرًا ان ياخذ مهردكار الى صيوانها واقام هو بين الفرسان وهم ينظرون اليهِ ولا يعلمون ماذا يقصد بذلك وما هي غايتهُ وصرفوا نحوًا من ساعة سكوتًا . ثم قال لهُ اندهوق لا نعلم ما هو السبب الذي دعاك الى

هذا العمل هل بدا منا قصور بخدمتك او لحظت اننا على غير الصواب . قال كلاً فاني اعرف عهد الاخاء الواقع بيني وبينكم ولا يمكن قط ان ينقص او يصاب بشائبة غير انهُ لا خفاك اني وعدت الراعد بالمسير معهُ الى بلاده واعرف آكيدًا ان الملك كسرى اذا عرف بغيابي عاد الى حربكم لا محالة فاذا كنتم تعتبرون مهردكار كاخت لكم لا تتخلون عنها قط كما انكم لا تتخلون عني ولا سيما انكم تعرفون ان كسرى لا يترك بنتهُ بايدنا ولا بد من استعمال كل الوسائط لانتشالها من بيننا وانا لا اعرف مدة سفري هل تكون قصيرة او اعد لي في عالم الغيب ما يجعلها لايام وازمان . اما انتم فتبقون في مكة وفيكم الكفاءة لان تحاربوا كسرى وتنتصروا عليهِ وتظفروا بهِ فمهردكار هي اختكم وعاملوها معاملة اخت كما اني اريد منكم ان تبقوا محافظين على شرف العرب وناموسهم فلا تتركوا مجالاً للاعجام ان ينفذوا مآربهم بنا وياخذوا منا فتاة اصبحت منا وفينا وهي تعبد الله مثلنا . فلما سمع الفرسان كلام الامير حمزة ما منهم الاَّ من تكدر واغتاظ ونهض اندهوق بن سعدون وقال لهُ ان العرب ما تجمعت الاَّ لاجلك وتحت رايتك فاذا سرت عنها فرط انتظامها وانحل عقدها وسار كل منها الى ناحية ولا سيما انا فاني اول من ترك هذه البلاد ورحل الى بلاده ولهذا لا يمكن ان ندعك تسافر ولا يوافق ان نترك المعسكر وعدو العرب كسرى انوشروان وبختك بن قرقيش . ومثل ذلك قال امعتدي حامي السواحل وباقي الفرسان المجتمعين في ذاك المكان حتى سكت الامير ولم يبدِ خطابًا وخاف ان يتم قول الفرسان فيتفرقون ويتركون مكة ومهردكار ولذلك التفت الى الراعد وكان حاضرًا في ذاك المكان وقال لهُ اذهب يا اخي من حيث اتيت فان الفرسان وباقي العربان لا يتركونني اذهب عنهم قبل فصل الحال ونهاية الامر بيننا وبين كسرى انوشروان وتشتيت شملهِ وانقراض دولتهِ فلما سمع الراعد هذا الكلام بكا بدمع سجام وقال انت وعدتني بالذهاب معي وقتل عمي ولو لم تعدني لما بقيت بانتظارك الى هذا اليوم . قال اني وعدتك ولا ازال اعدك غير ان الزمان لا يسمح لي في هذه الايام فاصبر الى نهاية الحال والاَّ فانصرف الى سبيلك . فزاد حزن الراعد وترك الصيوان وخرج باكيًا وبقي الامير حمزة الى المساء وعند المساء ذهب الى صيوان مهردكار فوجدها بحزن زائد لانها تاكدت سفرهُ وثبت عندها ان الامير ما فعل هذا الفعل في ذاك النهار الاَّ وفي نيتهِ السفر حتى في غيابهِ يحامي الفرسان عنها كاختهم ولا يتركونها وصرفت باقي النهار على مثل هذه الافكار باضطراب وكدر وانشدت تقول

صروف الليالي لا يدوم لها عهد ... وايدي المنايا لا يطاق لها ردُّ

تسالمنا سهوًا وتسطو تعمدًا ... فاسعافها عسف واقصادها قصدُ

عجبت لمن يغتر منها بجنة ... من العيش ما فيها سلام ولا بردُ

افي كل يوم للنوائب غارة يشق عليها الجيب او يلطم الخدُّ
ارى كل مألوف يحجل بعدهُ فما بال بعد الالف ليس لهُ بعدُ
وزرت بلادًا ينبت المن ارضها وينجح في ابناء ايامها العقدُ
ولما عطفت العيس آخر رحلة الى معهد بي والحبيب بهِ عهد
سالت حمى الفيحاء ما بال ربعها جديبًا وقد كانت نضارتهُ تبدو
وما بالها لم يروَ من مائها الصدى لظام ولا يورى لقاصدها زندُ
فقالت نأى من كان بالسعد مرتدٍ وصوَّح نبت العز وانهدم المجد
اذا قال قولاً يسبق القول فعلهُ فليس لهُ يومًا وعيد ولا وعدُ
فيا نازحًا يدنيهِ حسن اذكارهِ ففي بعدهِ قربٌ وفي قربهِ بعدُ
لك الله كم ادركت في المجد غاية تقاعس عن ادراكها الاسد الوردُ
اذا افتخر الاقوام يومًا بمجدهم فانك من قوم بهم يفخر المجدُ
هم القوم فاهوا بالفصاحة رفعًا وشابت نواصي مجدهم وهم مردُ
اذا حلَّ منهم واحد بقبيلة يشار اليهِ انهُ العلم الفردُ
تعوَّد متن الصافنات صغيرهم الى ان تساوى عندهُ السرج والمهدُ
حموا الجيوش الجاش حول بيوتهم من المجد ما لم يحمهِ الجيش والجندُ
بيوت كماة دونها تحطم القنا وغابات اسد دونها تفرس الاسدُ
اقاموا وبرد العيش عندهم لظى وصالوا وحرّ الكر عندهم بردُ
وعزوا اى ان سالمتهم نجومها فلا نجم الاّ وهو في ربعهم سعدُ
فبالرغم مني ان يغيبك النوى ويرجع مردودًا بخيبتهِ الوفدُ
سابكي بجهد المستطاع حزينة نواك وهذا جهد من ما لهُ جهدُ

فلما دخل الامير عليها وسمعها تنشد هذه الابيات حنَّ لها وعرف ان بعدهُ سيلقيها باليأس ويحملها ما لا تطيق حملهُ فهي تبكي عالمة انهُ لا يزال بالقرب منها وفي نيتهِ الرحيل فكيف اذا سافر وطال غيابهُ . ثم تقدم منها ومسح دمعتها وقال لها لما هذا البكاء وانا حيٌّ بعد وانت تعلمين اني حريص على محبتك ولا بد من ان تكوني لي خصيصة وابعد عنك كل عدوٍ الدّ فاذا بعدت عنك او قربت منك فانت بامان عليَّ وعلى حبي لانك في يدي ولا سلطة لاحد عليك فامسحي دمعك واشفي غليلك واتركي ما انت فيهِ الان واكدي ان الله لا يفعل الا ما يشاء ويريد فاذا كان قسم لي السفر مع الراعد لا بد من سفري وما من صعوبة بذلك لعلي ان الله يساعدني في كل سفرة فاحصل على ما يصعب على الغير الحصول عليهِ فيرتفع شاني ويعظم مجدي وتخدمني

السعادة والاقبال . فقالت كيف لا احزن وابكي وانا على الدوام اراك في حجر الاهوال والاخطار وكلما قلت ان في هذه المرة تكون النهاية ونرتاح فيما بعد ارى ما يزيد ويكدر من طول المصاعب وتجددها . انت الان مزمع ان تسافر الى جبال قاف وهناك بلاد بعيدة الوف والوف من الفراسخ فاذا لم يكن جوادك من النسور الطيارة لا تقدر ان تاتي بكل العمر ومن يعرف ما يجرى عليك هناك وهل يخاصمك الزمان ويعاندك الدهر وانت تعلم انه قيل في الامثال ما كل مرة تسلم الجرة قال ان ما يفعله الله فهو على الراس والعين واليوم قلت للراعد اني لا اسافر معه . ثم اعاد عليها ما جرى بينه وبين فرسانه وقال لها في اخر الكلام اني تكدرت من كسر خاطره مع انه خدمنا في هذه الحرب وتوفقنا بسببه ولاسيما اني وعدته ولا يمكن ان يرجع عن وعده الا كل نذل ولئيم ولا ريب فاذا جاء اليَّ مرة ثانية سرت معه على غير رضى الفرسان وانا اعرف انهم لا يتركونك قط لانهم اصحاب نخوة ومروة ولا يفعلون الا ما يرضيك . فقالت اسال الله ان لا يسهل لك طرق السفر الى جبال قاف واذا تسهل لك ونويت على الذهاب فاطلب اليه ان يوفق عملك هناك لتعود حالاً ولا ريب ان الله سميع مجيب -

ثم ان الامير حمزة اقام مع مهردكار قسماً من الليل وقد تناول الطعام والشراب واياها وبعد ذلك ودعها وذهب الى صيوان منامه وهو مضطرب جداً من الصعوبة الواقع بها ومن عظم ما لحق به من حزن مهردكار دخل فراشه وهو مرتبك قلق وكل افكاره عند الراعد كيف ذهب منكسر القلب باكي العين بعد ان كان وعده ابر الوعد واصدقه وفيما هو على ذلك واذا بالراعد قد وقف امامه ونقدم منه وقبل يديه وجعل يبكي بدموع سخية وقال له يا سيدي اني لا ازال متمسكاً بوعدك ولا اقدر ان اذهب الى بلادي الا وانت معي فاقبل مني رجاءي وارحم ذلي وخلصني من ظلم عمي فما من احد سواك يقدر على قتله فمنيته موقوفة على يدك وانا اعدك اني بايام قليلة اذهب بك وارجع وفرسانك على حالهم . فقال له الامير حمزة اني وعدتك ولا ارجع بوعدي ولكني اريد ان ابقى محافظاً على ارادة قومي فاذا ذهبت معك الان تكدر الجميع وظنوا اني كذبت وسلكت الغش وعندي ان اذهب الى البرية معهم وهناك انفرد لوحدي وافقد من بينهم فلا يعرفون ابن ذهبت الى ان اعود اليهم بعد قتل عمك وبذلك يكونون بحيرة ولا يعرفون في اي ناحية سرت واكون قد وفيت بوعدي معك واريد منك ان تكون على الدوام قريباً مني حتى اذا دعوتك لحملي تسرع في الحال وترفعني على عانقيك وانغيب من هذه البلاد ومهما شاء الله فليفعل . فلما سمع الراعد هذا الكلام اطمأن باله وارتاح ضميره وعرف ان الامير حمزة سيذهب معه ويقوم له بالوعد الذي وعده به . ونام حمزة تلك الليلة الى ان اشرق الصباح وحينئذٍ خرج الى صيوان الملك النعمان واقام مع باقي الفرسان على حسب عادته الى ان كان المساء رجع الى

حبيبتهِ حتى كان اليوم الثاني والثالث وقد قطع ذكر الراعد وعرف العرب انهُ ما عاد يخطر لهُ السفر وانهُ باقٍ عندهم وبينهم يلاقي ما يلاقون ويفعل ما يفعلون حتى كان اليوم الرابع دعا اليهِ بالفرسان وقال مرادنا نذهب الى الصيد ونصرف وقتاً بالبرية على الحظ مع بعضنا فقالوا اليك ما طلبت فاننا تحت امرك . واذ ذاك نهض الامير حمزة فركب جوادهُ وحملوا صيوانًا كبيرًا ليضربوهُ في تلك الناحية وسار معهم عمر العيار وخرجوا من مكة وجاءوا خلف جبل النور وهناك تفرقوا كل واحد في ناحية بطلب الصيد وقنص الوحوش وكذلك الامير فانهُ انفرد مع عمر العيار وهو لا يفارقهُ دقيقة واصطاد شيئًا كثيرًا من الغزلان والارانب والثعالب وعاد الى الصيوان وهو متكدر من ملازمة عمر لهُ ولما نزل بالصيوان لم يرَ احدًا قد عاد اليهِ من فرسانهِ فغسل وجههُ وجلس فيهِ وقال لعمر انظر لي الفرسان هل هم بعيدون من هذا المكان فادعهم للاتيان واخبرهم اني بانتظارهم فاجابهُ عمر ولم يخالفهُ وتركهُ وسار الى التفتيش على الفرسان وبعد ان ذهب عمر نادى الامير هيا يا راعد فاني بانتظارك فارفعني قبل ان يأتي احد من الفرسان ويراني وفي الحال تقدم منهُ الراعد ورفعهُ على عاتقهِ وطار بهِ في الجوّ الاعلى دون ان يراهُ احد وقد ترك تلك الارض وفارق مكة وبعد عن تلك الديار

قال وبعد ان غاب الامير وسار على اعتاق الراعد اخذت الفرسان في ان تلتقي واحدًا بعد واحد الى الصيوان وكل ما جاء واحد منهم يرى جواد الامير ورمحهُ عند الباب فيظنهُ في الداخل وعند دخولهِ يرى الصيوان فارغًا منهُ ولا احد يعرف اين يذهب حتى جاء عمر مع الاندهوق لانهُ التقى بهِ فاخبرهُ بغاية اخيهِ وانهُ ارسلهُ خلفهم ولما وصل الى الصيوان نظر الفرسان بحيرة فسألهم فاخبروهُ بما رأوا فافتكر عمر وقال لا تضطربوا ولا تهتموا فان الامير قد ذهب الى جبال قاف مع الراعد وقد اجهد نفسهُ في بعدي حتى يخلو لهُ الجو ولا يعرف احد اين ذهب . فوافق الجميع على هذا الراي وقال لهم الاندهوق بن سعدون حيث قد ذهب فلا مانع ومن الواجب ان نبقى نحن محافظين على البلاد وعلى مهردكار مكانهُ لانها اختنا ولاننا اخوتها ولان الاعجام اعداؤنا ووقع بيننا وبينهم حروب سابقة . فاذا عرفوا بغياب الامير زحفوا الى مكة واغتنموا الفرصة . فقال الجميع لا يمكننا ان نرحل عن هذه الديار او نترك حرب الفرس غاب الامير او حضر ما لم يامرنا بزرجمهر ونرى ان المدينة بامان وان لا خوف على مهردكار وعندنا ان الامير لا بد ان يرجع مهما قصرت غيبتهُ او طالت فلنعد من حيث جئنا ونبقى في المدينة وكان اشد الكل كدرًا على غياب حمزة اندهوق لانهُ كان يحبهُ اكثر من الجميع ولا يطيق فراقهُ وقد اتخذهُ اخًا وصديقًا ورفيقًا الى الابد ولذلك كان يرى ان عيشهُ سيتكدر الى حين عودتهِ ورجوعهِ وقد اقسم انهُ لا ينزع الدرع عن بدنهِ ما لم يلتقِ

بالامير ويفرح قلبهُ بهِ والاَّ يموت والدرع عليهِ ويدفن بهِ

قال وشاع في كل المدينة خبر غياب الامير و بعده فتكدر كل المعسكر وحزن كل اهل المدينة والمجمعين في تلك النواحي ولا سيما الامير ابراهيم فانهُ كان في الاول قد فارق ابنهُ زمانًا طويلاً وغاب عنهُ ولاقى من جرى ذلك عذاب الهوان وما صدَّق ان عاد اليهِ حتى اطمأن بالهُ وظن ان ما عاد يبعد عنهُ وانهُ سيبقى ببلادهِ باقي حياتهِ . الى ان بلغهُ خبر سفرهِ فبكى وحزن على ذلك وذهب الى الركن والصفا فسجد لله ودعاهُ ان يرافق ولدهُ ويساعدهُ في سفره ويحفظ حياتهُ وبعد ذلك وجد لذة من نفسهِ لانهُ كان تقيًا يعرف ان بتسليم الامور لله راحة للنفس وان لا شعرة تسقط من راس الانسان الا بعلمهِ تعالى

ويتاكد القاري والسامع ان مهردكار لا تتسلى عن غياب الامير وانها تبقى بطول غيابهِ على البكاء والتعداد ولا سيما عندما عرفت انهُ غاب من بين رفاقهِ ولم يعلمهم بمكان مسيرهِ وكانت تتسلى بان تراهُ في كل يوم فنظرت بنفسها واذ هي وحيدة منفردة لا ترى من يسليها عن غربتها واهلها ولا من يقيم عندها ويجبر كسرها وان الذي اقامت بين العرب من اجلهِ قد تركها وبعد الى اقاصي الارض وان الدهر حكم عليهِ بالتشتت والبعد والعذاب ولهذا كانت حزينة جدًّا تنشد الاشعار وتندب حظها بقولها

الا ليت شعري هل تعود لقبضني ... ليالٍ بها المعشوق غير مخالفِ
وهل يرجعن عيشي كما كان ارغدًا ... واخلو كما كنا بتلك اللطائف
بكيت دمًا ان لم ارے ماء مهجتي ... دموعًا على تلك الليالي السوالفِ
تذكرت ايامًا مضين ومالفًا ... وعادة من يهوى اذكار المآلف
وقفت ودمعي قاذف سرَّ مهجتي ... اليهِ وما دمعي باول قاذفِ
يمرُّ على دار الحبيب محمحمًا ... جوادي بذكر السالفات المواقفِ
ويرعى نجومًا طالما قد رعيتها ... لياليَ صاءُ الحب كان مخالفي
وما دارهُ قصدي ولكن لاجلهِ ... احن فلا الفى لها غير آلفِ

ولنضرب وقتًا طويلاً عما يلحق بمهردكار في مدة غياب الامير وكفانا ان نقول ان حالتها

قد انتهى الجزء السادس من قصة الامير حمزة البهلوان وبهِ انتهى المجلد الاول من هذه السيرة وسياتي ان شاء الله المجلد الثاني مبدوءًا بالجزء السابع

قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب

بقلم نخله قلفاط

عفي عنهُ

بنفقتهِ ونفقة جرجي حنا غرزوزي

مدير المطبعة اللبنانية

مجلد ثاني

طبع بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٦

الجزء السابع

من قصة الامير حمزة البهلوان

كانت حالة ياس وعذاب وذكرى وترداد ونوح كعادة سلاطين العشاق ولا سيما الذين مثلها قد تركت بلادها واباها واخوتها وتمسكت بحبيبها والقت كل رجائها عليهِ فبعد عنها وخلفها وحدها . هذا وفي اليوم الثاني من غياب الامير حمزة اجتمع الفرسان باجمعهم في صيوان الملك النعمان وعملوا ديوانًا كيف يفعلون ومن اين يدركون ما هم عليهِ الاعجام وكان فيما بينهم عمر العيار فقال لهم اني ساذهب من هذه الساعة الى المدائن وادخل على كسرى انوشروان واجس اخباره ومن ثم اخبر الوزير بزرجمهر بغياب الامير حمزة واستشيرهُ بذلك . فقالوا بارك الله فيك يا عمر فاننا الى مثل ذلك نحتاج وغيرك لا يقدر ان ياتي بالمطلوب فانت مقدام جيشنا وعلة نجاحهِ ولولاك لما نفع العرب بامر. ثم ان عمر ودعهم وذهب الى مهردكار ودعها واخبرها بانهُ يقصد بلاد ابيها ليسال بزرجمهر عن الامير حمزة وهل يطول غيابهُ ومن اي جهة ياتي . فسرت لذلك ومدحتهُ . ثم وكل بخدمتها كبير عياريهِ واوصاهُ بالمحافظة عليها وذهب الى بيتهِ فغير لبسهُ وتزيا بزي الاعجام وتكحل بالميل الذي جاء بهِ من رجال الصومعة واخذ كل ما يحتاج اليهِ في سفرهِ وسار عن مكة المطهرة عدة ايام وليال حتى وصل الى المدائن فوجد لا يزال في ضواحيها العساكر متجمعة وقد ضربوا خيامهم حولها فدخل بينهم واجتاز فيهم ولا احد منهم يعرفهُ ودخل من الباب وجاء الديوان فراى كسرى جالسًا على حسب عادتهِ بين وزيريهِ والديوان محتبك من كل امير وسيد وسمع كسرى يقول لبختك اني مضطرب من وقوعنا بعداوة العرب ولولاك لما كانت هذه العداوة ولا خرج الامير حمزة عن طاعتي وكان بيدي كالخاتم ادبرهُ كيف شئت ولو زوجتهُ بينتي لكنت ملكت بهِ الارض بالطول والعرض وعززت دولة الفرس وقهرت كل جبار عنيد ولولاك ايضًا لما اجتمع عندهُ كل هذه الفرسان والابطال والعساكر لانك ارسلتهُ الى معقل البهلوان فكان منهُ ان سعى في خدمتهِ مع رجالهِ وصاروا من احزابهِ وارسلتهُ الى اندهوق ان سعدون فصالحهُ وانتظم في سلك رجالهِ وقاتل بين يديهِ وبعثتهُ لجمع الميرة والاخرجة فطاعهُ قسم كبير من بلادي وخادمهُ المعندي حامي السواحل وقاهر الخيل وغيرهما وجيش جيشًا ملكيًا وجمع من الاموال ما لا تاكلهُ النيران وهو محافظ عليهِ . فقال لهُ بختك اني اعرف حق المعرفة

واوكد انك لو اكرمت العرب اكثر مما اكرمتهم لخرقت حرمتك وذهب الملك من يدك واندثرت شوكة العجم بارجل العرب واذا شئت فجرب الان وصالحهم . قال الان بعد هذا الاخراق لا وسيلة للمصالحة بعد لكني اقول لو كان من الاول لكنت الان بخير وحيث قد اغتصبوا بنتي وكسروا عساكري لا بد اذا طلبت منهم صلحًا طمعوا بيّ واقترحوا عليّ شروطًا لا طائل تحتها مع اني لا ازال قادرًا ان اجمع اضعاف اضعاف العساكر التي جمعتها في كل من الشرق ومن الغرب ودام الحديث الى اخر النهار وعمر يسمع ذلك حتى انتهى النهار ونهض بزرجمهر الى الباب وركب بغلته وسار الخدام بين يديهِ فسار عمر بينهم فراهُ بزرجمهر وعرفهُ فضحك منهُ وبقي سائرًا حتى دخل قصره وصرف الخدم واذ ذاك جاء اليهِ عمر العيار وقبل يديهِ فترحب بهِ وقال لهُ ما وراءك من الاخبار ياساعي العرب ودليلهم . فاخبره بما كان من امر الامير حمزة وكيف انهُ سافر ورحل عنهم وقد ظنوا انهُ سافر مع الراعد على غير علم منهم ولذلك جاء اليهِ يسالهُ عنهُ وهل تطول سفرتهُ لانهُ اعطي من الحكمة ومعرفة الغيب ما خصَّ بهِ الانبياء الكرام فقال لهُ لا تخافوا على الامير فان المكتوب ما منهُ مهروب وان الله قدر عليهِ سفرًا طويلاً الاَّ انهُ سيعود منهُ سالمًا غانمًا منصورًا ويكون طريق مجيئهِ من بلاد مراكش فتلاقيهِ العرب الى طنجه الغرب وتذهب العرس الى هناك ويحصل حرب عظيمة بين الفيئتين لم يسبق ان وقع مثلها قط فاقرِ العرب جميعًا مني السلام ومعتدي السواحل واندهوق وباقي الفرسان خصوصًا واخبرهم ان لا يتكدروا من غياب الامير وان يبقوا كما كانوا حيث ن شوكة العرب ستقوى بهم ويعزز شرفهم وفي الاخير يذلون الاعجام ويستعبدونهم والسلام

فسرّ عمر من كل ما سمع ورجع في طريقهِ بعد ان ودّع الوزير بزرجمهر وشكره وقبل ايادية ولا زال في طريقهِ وهو بصفة عجمي يختطف طوال الطرق بسرعة جريهِ فيقصر من اعمارها حتى وصل الى المدينة المقصودة وشاهد الوطن فدخلهُ مشرح الصدر مسرور الفواد وجاء الفرسان وهم مجتمعون الى بعضهم واعاد عليهم كلام الوزير حرفًا بحرف . فلما سمعهُ الفرسان اثنوا على غيرة هذا الرجل الفاضل الحكيم وقال اندهوق ان كان الوزير بزرجمهر وهو عمدة اقوام كسرى واعيانهِ العظام يحافظ على قيام الكلمة العربية فكم بالحري نحن فاذا كان الامير حمزة سيد العرب وقائدهم قد سافر بارادة منهُ تعالى فلا يلام على تركنا وحدنا ولو لم يعرف اننا من فرسانهِ المخلصين وان بنا الكفاءة لحماية العرب في غيابهِ وحرب كسرى لما سافر عنا وصار من الواجب ان لا نضيع ظنهُ بنا وان نخدمهُ في غيابهِ باكثر مما كنا نخدمهُ في حال حضوره . واقام بعد ذلك العربان في ذاك المكان ينتظرون ما ياتي عليهم من بطن الايام القادمة .

قال فهذا ما كان من العرب وسنعود الى حديثهم في غير هذا المكان واما ما كان من امر

الامير حمزة فانهُ بقي محمولاً على عاتق الراعد مدة ايام ينزل بهِ في المساء وياتي لهُ بالأكل فيأكل ويشرب ثم يحملهُ ويطير بهِ بسرعة نحو بلادهِ حتى انتهى بهِ اخيرًا الى ارض كثيرة الرياض حسنة المناخ يانعة الاشجار فنزل بهِ في ذاك المكان. وهو على حالهِ السابق وجاءهُ بالطعام فأكل وقال للراعد اريد ان ابقى في هذه الارض مدة يومين فقد اعجبني مناخها وطيب هوائها فاجابهُ ونام هناك تلك الليلة وفي الصباح نهض ونظر الى شرقي المدينة فوجد البحر يتصل بتلك الارض فانبهج وقال للراعد يظهر ان هذه النواحي واقعة على البحر ولا بد من اتيان المراكب والسياح اليها. قال ان هذه البلاد بعيدة عن المكان الساكنة بهِ الانس وهو لا يصل اليهِ احد من سكان ارضكم ولا تصل اليهِ قط المراكب. وفي تلك الساعة نظر الى احدى جهات البحر فراى شراعًا عن بعد يعلو مركبًا سائرة مسير البرق الخاطف فقال للراعد انت تقول لي ان المراكب لا تقرب الى هذه النواحي مع اني ارى مركبًا عن بعد. فقال لهُ الراعد هذه ليست مركب بل هي سمكة من نوع الاسفرني بقدر المركب الكبير تطفو احيانًا على وجه الماء وتسير ثم تغيب تحت الماء ولعدم وجود من ياتي الى هذا البحر ويصطاد منهُ تكبر بهِ الاسماك والسلحفاة فتصير الواحدة بقدر المركب لا بل بقدر الجزيرة فتعجب الامير من صنع الله سبحانهُ وتعالى وكيف ان لا احد ياتي الى تلك النواحي ولم يكتشف بني الانسان ذاك القسم من الارض الموجودين عليها. ونهض بعد ذلك وطاف في الرياض فكان يرى اشجارًا كبيرة ضخمة متنوعة الاثمار فعجب منها العجب الكلي وقال للراعد هل هذه الاشجار كبيرة العمر. قال نعم انها كبيرة واصغرها يبلغ عمرهُ ١٥ الف سنة وهذه لم يكن مثلها في نواحيكم وهي لذيذة الاثمار ثم مد الراعد يدهُ وجعل يقتطف منها ويناول الامير حمزة وهو ياكل بقابلية شهية فيرى فيها لذة عجيبة لم يذق مثلها طول زمانهِ. واذ ذاك قال للراعد اريد منك ان ترجع بي من هذه الطريق وتنزلني بها لاني اريد ان اخذ منها اثمارًا لمهردكار ولفرساني على سبيل الهدية كي اقاسمهم بهذه اللذة. قال لا بد من مرورنا منها وساحمل على عاتقي ما يكفي عسكرك برمتهِ حال رجوعنا

وكان الامير حمزة يفتكر انهُ سيرجع بوقت قريب ولا تطيل غيبتهُ ولم يكن يعرف ان الزمان لا يسمح لهُ ان الطريق الذي سار عليهِ يرجع منهُ. وبعد ان صرف باقي اليومين على الفرجة والتطواف من مكان الى مكان مسرورًا بوجودهِ فيها ويتمنى التطويل والراعد بين يديهِ يرجو التقصير والسرعة بالمسير حملهُ وطار بهِ ولا زال سائرًا في الجو الاعلى مدة حتى انزلهُ في ارض مقفرة بين ثلاثة طرق وقال لهُ اعلم يا سيدي ان من هنا بداية حكم عمي وما عدت اقدر اظهر قط ولا اقدر ان اري احدًا نفسي لئلاً اهلك ولا عدت تراني الا بعد موت عمي فادعو الله ان يساعدك على غايتي. ثم تركهُ واختفى في الجوّ الاعلى فاندهش الامير حمزة من عملهِ وسرعة غيابهِ

واحتار في امره كيف يبقى منفرداً وحيداً وتكدر من عمل الراعد وذمهُ في ذاتهِ . واخيرًا رأى ان لا بد من تقدمهِ فشكر الله سبحانهُ وتعالى وصلى لهُ وسالهُ المساعدة والاغاثة فارتاح لذلك ضميره ووجد من نفسهِ لذة وراحة . وبعد ان انتهى من الصلاة اراد المسير فنظر امامهُ ثلاث ممرات فوقف مبهوتًا متحيرًا وقال كان واجب من الراعد على الاقل ان يدلني على الطريق ويخبرني كيف اعمل لاصل الى عمرو ابن يوجد غير انهُ اخيرًا سار في احدى الطرق ومشى على رجليهِ مدة ست ساعات فجلس مرتاحًا من التعب نحو نصف ساعة ثم قام ومشى حتى وصل الي ارض رملية محرقة تلتهب ارضها كالنار وحجارها تفرقع من شدة الحرارة والالتهاب فسار عليها الاَّ انهُ ما لبث ان شعر بشدة تلك الحريق والتهب جسمهُ وضاقت روحهُ وايقن انهُ هالك اذا اقام نصف ساعة على تلك الحالة وطالت تلك الارض وكان كلما تقدم يرى ان الحر يشتد والارض تزيد التهابًا حتى اصبح لا يقدر ان يلقي برجليهِ عليها فزادت عليهِ الحال وعظم المصاب وظهر لهُ قرب فنائهِ فانحدرت الدموع من عينيهِ وقال نعم ان الله قصد هلاكي بهذه الارض وقضى عليَّ ان اموت غريبًا بعيدًا عن اهلي ووطني فلتكن ارادتهُ ولا اخالفهُ ثم جعل يدعو الله ويصلي ويسالهُ ان يعفو عنهُ ولا يميتهُ في ارض هي جهنم النيران

وفيما هو على مثل ذلك غائب الذهن ضائع الافكار مشتت البال لا يرى ما امامهُ ولا ما وراءهُ واذا بهِ شعر بانخفاض الحرارة من جسمهِ ثم اخضرارًا بعينيهِ وجعل الوعي يزورهُ بالتدريج شيئًا فشيئًا حتى قدر ان يبصر جيدًا واذا تحت رجليهِ ارض خضراء غير تلك الارض الرملية وامامهُ فارس شيخ بثياب خضراء وعليهِ وشاح اخضر لامع ذي لحية بيضاء جدًا يحيط بها هالة من النور وعليهِ من المهابة والوقار والجلال ما ياخذ بالابصار فانذهل وحار وتذكر انهُ رأى ذات مرة مثل ذاك الرجل فتقدم الى نحوهِ بعدة خطوات واراد ان يسالهُ عن الماء قبل كل شيء ليبل ريقهُ فسبقهُ وقال لهُ اطمئن يا حمزة العرب فانا الخضر الاخضر ابو العباس مغيث المتعبين ومشفي المجروحين ومسقي الظمئانين وناصر المظلومين من رجال الله انا خادم الحق ونقمتهُ على الكافرين والجاحدين فتقدم واشرب ثم اخرج لهُ قربة من الماء كانت تحتهُ على الجواد ودفعها اليهِ فشرب الامير حمزة حتى ارتوى وهو مسرور من لذة تلك الماء ودنا من الخضر ليقبل يديهِ وسجد لهُ فانتهرهُ وقال لهُ لا يليق السجود لغير الله سبحانهُ وتعالى فهو الواحد الاحد الفرد الصمد لا والد لهُ ولا ولد خلقك وخلقني لنسبحهُ ونسجد لهُ وها اني احرسك ما زلت في هذه الارض وغيرها لانك من الامناء على دين الله فاعطني سيفك الان فناولهُ حمزة سيفهُ الذي اخذهُ من قلعة النيل فاخذهُ منهُ وغطهُ بالماء واعادهُ لهُ وقال هذا السيف اصبح نافعًا لك فما زلت حاملهُ تهرب منك مردة الجان والكهان وعفاريت السيد سليمان وما من واحد منهم عاد يقدر ان يقرب منك او

يدنو اليك بسوء فسرّ الامير حمزة من ذلك وسقط همٌّ عظيم عن قلبهِ واراد ان يقبل يدهُ فلم يرهُ غير انهُ شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفهِ فخرَّ لله ساجدًا وشكرهُ على حبهِ لهُ واعتنائهِ بهِ وبكى من ذلك فرحًا وقال من انا لينظر اليَّ ويهتم بي الست انا من احقر عبادهِ واضعفهم فسبحانهُ لا يترك احدًا ولا يتخلى عن احد

ثم نهض متقويًا ومشى في طريقهِ شيئًا فشيئًا حتى دخل بين الرياض فسرّ جدًا من مناخ الارض وحسن هوائها ورطوبة ارضها وشكر الله على خلاصهِ من ذاك الرمل الحار ولا زال سائرًا حتى دخل بين القصور والبيوت وهي شواهق مرتفعة لحد السحاب فتعجب منها الاَّ انهُ كان لا يريد ان يميل عن طريقهِ ولا يعرج الى جهة وهو يرى طوائف من الجان والعفاريت تنتقل من مكان الى مكان غير ملتفتة اليهِ او معتنية بهِ حتى قادتهُ الصدف الى قصر اليبون شاه عم الراعد فنظر اليهِ عن بعد فوجد الارهاط مجتمعة عندهُ بما يدل انهُ قصر الملك فعرف ذلك وقال قد هداني الله اليهِ بدون ان اسال احدًا عن ذلك غير انهُ قبل ان يقرب من الابواب نظرهُ اولئك الارهاط فتقدموا منهُ متعجبين كيف ان واحدًا من الانس قدر ان يصل الى تلك الجهة وارادوا ان يجتمعوا عليهِ وحواليهِ فاستل سيفهُ وهجم عليهم فهربوا من وجههِ وتفرقوا عنهُ وهم يصيحون الامان الامان يا سيد سليمان سلطان الانس والجان ودخل قوم منهم الى اليبون شاه وهو جالس على كرسيهِ وقالوا اعلم يا سيدنا اننا راينا رجلاً من الانس يتقدم الى جهة القصر فتعجبنا منهُ واردنا ان نقرب اليهِ ونتفرج عليهِ وننظر في امرهِ واذا بهِ قد استل من وسطهِ سيفًا وصوبهُ الى جهتنا فشاهدنا فيهِ نارًا مبرقة تقصدنا بشرارها فانهزمنا من امامهِ خوفًا من الاحراق ولا ريب ان هذا من بقايا السيد سليمان لهُ السلطة الكبرى على الجان . فقال لهم اني ساحضرهُ وانظر في امرهِ . وفيما اليبون شاه مع خدمهِ بمثل هذا الكلام واذا بالامير حمزة قد دخل من باب القاعة وصاح ويلك يا اليبون شاه انزل عن هذه الكرسي وسلم نفسك اليَّ واجلس ابن اخيك الراعد عليها لانهُ اخي وجئت لنصرتهِ . فلما سمع اليبون شاه هذا الكلام صار الضيا في عينيهِ كالظلام واراد ان يسحق الامير حمزة في الحال فتناول عمدًا ثقيلاً من الحديد كان الى جانبهِ وحذف بهِ الامير حمزة وقال لهُ ويلك ياقطاع الانس هل وصلت بكم القحة الى المطاولة علينا ودوس بساطنا . فال الامير عن مرمى العمد وصاح بصوت ارتجت منهُ اركان القصر واشهر بيدهِ السيف وقمز كالغزال حتى وصل امام اليبون شاه وضربهُ بهِ في صدرهِ فلعبت بهِ النيران وصاح اعوز من كيد القصار ووقع الى الارض كومة رماد

وفي تلك الساعة سقط الراعد الى الوسط وصاح لا شلت يداك يا اخي حمزة الزمان ثم اخذ بيدهِ عمدهُ ومال على اولئك الارهاط وقال ويلكم اوغاد من طاعني فقد نجا ومن عصاني

فجزاؤهُ الهلاك والاعدام وفعل الامير كفعلهِ واشهر بيدهِ الحسام فصاح الارهاط وكل من كان في الديوان الامان ياراعد فاننا عبيدك وخدام ابيك من قبلك ولا ذنب علينا فكف عنهم وقال لحمزة العرب ارجع يا اخي فانهم طائعون وما من رجل عاصٍ منهم فاغمد سيفهُ واجلسهُ على الكرسي ونقدمت منهُ سادات الجان واظهرت الطاعة والخضوع لهُ طول ذاك النهار وعند المساء اولم الراعد وليمة للامير حمزة ودعا كل انواع الطوائف ليتفرج عليها فكان يرى ما يدهش بصرهُ منهم من هم طوال كالنخل الباسق وقصار اقصر من الانسان فبعضهم كبار الدماغ و بعضهم مدور العينين و بعضهم طويلها و بعضهم عيونهم في امراسهم و بعضهم في وجوههم او اقفيتهم وجيء الى الوليمة بكل انواع الفواكه الموجودة في جبال قاف منها ما هو كرؤوس الانسان بعينين وفم ووجه ومنها ما هو كفاكهة الانس والامير ياكل من كل نوع واحد ويعجب من طيبة طعمها وحسن شكلها . وبعد ان انقضت الوليمة قال الامير للراعد ها قد انتهيت من عمك وقتل ونلت ما تتمناهُ واني ساقيم عندك سبعة ايام وفي اليوم الثامن اريد منك ان تذهب بي الى بلادي الى مكة المطهرة لانك عرفت ما اصابني وما لحق بي من كدر قومي ولا ريب انهم باطراب من اجلي فاذا كان لك عدوٌ فاخبرني بهِ لاقتلهُ قبل ان اذهب من هذه البلاد . قال اني اشكرك يا اخي على جميلك هذا ولا انساهُ الى الابد وسوف اذهب بخدمتك الى بلادك واعيدك الى قومك اي يوم شئت واما قولك ان كان لي عدو فالحمد لله ما من عدو لي اخشاهُ ولا قدرة لي عليهِ الاَّ عمي الذي قتلتهُ لو كان اشد الجان باسًا وكهانة وها ان جبال قاف بين يديك فطف بها وتفرج عليها في هذه السبعة ايام وساكون بخدمتك على الدوام . فشكرهُ الامير حمزة ومدح منهُ واقام مدة سبعة ايام في كل يوم يذهب بهِ الراعد الى جهة يفرجهُ على بلادهِ وعلى عجائب خلق الله وصنعهِ الذي لا يدركهُ العقل الانساني الى ان مضت المدة وانتهى الاجل وبات الامير حمزة وفي نيتهِ ان يعود الى بلادهِ في صباح اليوم الثامن وقلبهُ مملوءٌ من الفرح والمسرة على تسهيل مصلحتهِ دون ان يحصل لهُ عائق يعيقهُ وصار يحدث نفسهُ بانهُ قريبًا يصل الى مكة المطهرة ويشاهد اباهُ ورجالهُ ويحمل اليهم من فاكهة تلك الارض وكذلك يلاقي مهردكار ويجمع بها ويريح بالها عن غيابهِ . ونام تلك الليلة مطمئنًا مرتاح البال وعند الصباح نهض باكرًا ونقدم من الراعد ليسالهُ ان ينهض بهِ و يرجعهُ من حيث اتى فوجد الدم سائلاً الى الارض وقد قطع الراعد قطعتين وهو جسد بلا روح فصاح من الغيظ والكدر وشعر ان روحهُ قد انسحبت من جسدهِ وامتشق سيفهُ وطاف في الغرفة فلم يرَ احدًا فخرج الى الخارج واذا به يرى عند الباب ماردًا طرف ارجلهِ في التراب وراسهُ في السحاب فهجم عليهِ واراد ان يضربهُ بالحسام ففرَّ من امامهِ الى بعيد فزاد غيظهُ وصاح بهِ وقال لهُ ويلك من فعل هذه الافعال ومن

الذي قتل الراعد وهو في حمايتي وتحت عنايتي . فقال له ان الذي فعل ذلك ياسيدي هي اسما برّي بنت اليبون شاه

قال وكانت هذه اسما برّي بنت اليبون شاه ذات قد معتدل وحسن يحسب بين طوائف الجان من الدرجة الاولى لم يكن اجمل منها ولا اقدر نفوذًا في قومها مسموعة الكلمة رفيعة القدر بينهم ولها طائفة من المردة تخدمها على الدوام وكبير هذه الطائفة مارد طويل عريض اذا وقع على جبل سحقهُ او وقع في البحر طاف ماءهُ على اليابسة وهي على الدوام تنتقل من ناحية الى اخرى مع خادمها الاكبر كندك المارد المذكور فلما زار الامير حمزة جبال قاف في هذه المرة كانت غائبة في داخل البلاد حسب عادتها وعند عودتها دخلت المدينة فلقيها بعض خدمها وعزاها بابيها فاسودت الدنيا في عينيها وارغت وازبدت وقالت من الذي قدر ان يقتل ابي وتجاسر على ارتكاب مثل هذا الامر الخطير فقالوا لها ان ابن عمك الراعد ذهب الى بلاد الانس وجاء برجل من العرب اسمهُ الامير حمزة فدخل على ابيك وقتلهُ واقام الراعد مكانهُ وصارت البلاد بيدهِ وهو يحكم فيها . فقالت لا بد لي من هلاك الراعد والذي جاء معهُ وطارت في الحال مع كندك المارد حتى جاءت قصر ابيها ودخلت على الراعد وهو نائم وقلبها يلتهب من عملهِ وقالت لكندك اضربهُ بسيفك فاقطعهُ نصفين ففعل حسب امرها وضربهُ بسيفهِ ففصل رأسهُ عن جسدهِ واندفق دمهُ كالبحر الزاخر وهو نائم وانتهت حياتهُ . ثم تقدمت الى ناحية الامير حمزة وفي ظنها انها تقدر على هلاكهِ وقالت لكندك المارد اضربهُ بسيفك والحقهُ برفيقهِ فتقدم منهُ ثم رجع وقال ياسيدتي لا اقدر ان اصل اليهِ لانهُ محاط بسور من اللهيب والنار ولا ريب اذا اردت قتلهُ احرقني اللهيب . فامعنت اسما برّي بهِ واحدقت بوجههِ فرأتهُ صبوح الوجه مشرقهُ ناعم الخد ومعتدل القد حسن الهيكل فاخذت ان تحلهُ من قلبها محل الغرام وولعت بهِ وبمدة ساعة من الزمان اصبحت تتمنى وصالهُ وترغب في قربهِ . فقالت لكندك المارد اقم انت عند الباب فلا بد للامير عند الصباح من ان ينهض ويرى الراعد مقتولاً فيتكدر ويسال عن الذي فعل معهُ ذلك فقل لهُ اسما بري وانها كانت تريد ان تاخذ ثار ابيها منك غير انها اشفقت عليك فعفت عنك وتركت هلاكك واذ ذاك احضر لهُ انا ففعل كما امرتهُ

وفي الحال ظهرت اسما برّي امام الامير حمزة وقالت لهُ لا تتكدر من قتل الراعد فاني اخذت بثاري منهُ حيث كان السبب بقتل ابي واما انت فقد نزلت من قلبي منزلاً عظيمًا وحنت اليك كل جوارحي ولذلك طلبت القرب منك وان تتزوج بي اما حلالاً واما حرامًا وغير ذلك لا يمكن ان ترتاح في هذه البلاد فاغتاظ الامير حمزة من كلامها وقال لم يبقَ عليَّ الاَّ ان اتزوج ببنات الجان ثم زجرها عن ذلك وقال لا تطمعين نفسك بالمحال فما من امل بقبول

ما تعرضينهُ عليَّ الاَّ اذا اوصلتيني الى بلادي وهناك ازف نفسي عليك عند زواجي بهردكار واتخذك كباقي الزوجات حلالاً . قالت لا اريد ان تتزوج بي الاَّ في هذه البلاد وفي هذه الايام ولا صبر لي عن ذلك الى حين زواجك بهردكار وفي بلادك فزاد غيظ الامير حمزة منها والتفت الى احد المردة وقال له احملني وسر بي وانا اجازيك بان اساعدك واوصلك الى كل ما تطلب . فانتهرت اسما بري مردة الجان وقالت كل من حمله قتلته ثم طردتهم من هناك ولم تترك الاَّ كندك المارد وقالت للامير ان بلادك بعيدة من هنا عدة سنوات ولا يمكن الوصول اليها فيمكن ان تموت في هذه البلاد قبل ان ترى وطنك الاَّ انك اذا اجبت طلبي بعثت ماردي فيوصلك بوقت قريب . فقال لها لا يمكن ان اكون اسير غايتك ولا ارضى بما تطلبينهُ وحدثتهُ نفسهُ ان يسير ماشياً على رجليهِ ولا بد ان يسخر له الله من يوصلهُ الى بلاده ولذلك ترك القصر ومشى في طريقهِ عائداً من المكان الذي جاء منهُ وهو لا يعرف الطريق تماماً وسال الله ان يسهل له سبيلهُ ولا زال سائراً حتى خرج من المدينة فالتفت الى الوراء فراى اسما بري بعيدة ثائرةً وهي في اثرهِ وبين يديها كندك المارد فقالت له لا تطمع نفسك بالمحال فما من امل بوصولك الى بلادك الاَّ بي . فقال لها خير لي ان اموت او ابقى ماشياً على رجليَّ عدة سنوات من ان اتزوج بك في هذه البلاد . ودام على مسيرهِ الى المساء فجلس على الارض تعباً واخذ يشعر بالجوع لان لا زاد معهُ ليأكل واذا بكندك المارد قد قدم اليهِ الطعام والماء وقال له كل ياسيدي فان اسما بري اوصتني بان اخدمك واتيك باحتياجاتك . قال اذا شئت ان تعمل معي معروفاً فاوصلني الى بلادي فيجازيك الله عني خيراً . قال اني خادم امين لسيدتي فلا اقدر ان اخالفها ولا اريد ان اعمل لها ما يغيظها فاصغَ الى كلامها واقبل بزواجها فتصل الى بلادك بوقت قريب وما من سبب يمنعك عن موافقتها قال هذا لا اريدهُ الان ما زلت قادراً على المشي وعلى عدم القبول . وبقي تلك الليلة نائماً وفي الصباح نهض والسيف الى جانبهِ وسار في طريقهِ على حسب عادتهِ من الصباح الى المساء وفي المساء جاءهُ كندك بالطعام واسما بري ثائرةٌ ميقنة كل التيقن ان الامير حمزة لا بد ان يشعر بالتعب فيلتزم ان يرضى بها ويرى نفسهُ محتاجاً الى معونتها . وكان كلما جفاها وامتنع عليها كلما زادت غراماً وهياماً به وزاد شوقها الى وصالهِ وقربهِ حتى انها اخيراً عاودتهُ وقالت له اني اقسم لك بربك اني لا اقيم معك الاَّ سبعة ايام فقط وبعد ذلك اوصلك الى بلادك واهلك . فقال لها هذا لا يكون مطلقاً واخذ السيف واراد ان يضربها به ففرت من بين يديهِ متكدرة الاَّ انها عادت فسالتهُ الرحمة وقالت له اني مغرمة بك هائمة بحبك فاشفق عليَّ وارحم حبي . فقال لها اني لا احبك ولا اريدك فاسمعي مني واشفقي على بغضي لك وعدم حبي وعيني كرهي لك . فزاد غيظها منهُ واستشارت كندك في امرها . فقال

لئلا يجهد قلبك ما زلت تقدمين له الطعام في الصباح والمساء فلا يمكن ان يتعاد لك ويشعر بالتعب لانه يقوي البنية والطعام يقويه ولا يضعف من جسمه وعندي ان تتركيه مدة ايام بلا طعام فيجوع ويخور قواه ويحل به الضعف ويتاكد عنده الفناء فيلتزم ان يوافقك قالت لقد احسنت فاتركه لي بعد عنه ولا عدت تقدم له شيئاً من الطعام والشراب ففعل امرها وبعد عن الامير وما عاد قدم له شيئاً من المآكل

وانتظر الامير حمزة في المساء وفي ظنه ان الطعام ياتيه على حسب العادة فلم يقرب منه كذلك وغاب عن عينيه. فقال في نفسه لقد قطعت عني اسباب المعيشة ولا بد لي من الشعور بالجوع والضعف غير ان الله سبحانه وتعالى لا يقطع بي بل يساعدني دائماً على هذا الضعف ويرسل لي من يعولني ونام تلك الليلة الى الصباح وفي الصباح نهض ومشى وبارح تلك الارض وهو لا يعرف في اي طريق سائر ولا الى اين ينتهي واخذ الجوع يرمي سهامه بقلبه وهو يشعر به شيئاً فشيئاً غير انه كان يعد نفسه ويعللها بقرب الفرج وما برح سائراً طول ذاك النهار الى المساء فجلس الى الارض كالمائت خائر القوى ضعيف الحيل والجوع يشتد به ويلقي عليه بكل اثقاله وهو يتحمل حتى اصبح لا يقدر ان يتحمل وصلى في تلك الليلة يطلب الفرج منه تعالى وبات الى الصباح تارة يقلق من شدة الجوع وطوراً ينام او يتناوم ليغيب عن وعيه وينسى حالة انه جائع وفي صباح اليوم الثالث نهض وجرّ نفسه وهو يومل ان يرى امامه صومعة او بلداً او فاكهة فلم يرَ الا ارضاً مجدبة قاحلة ولم يرَ غير مردة تطاير في الجو ثم تختفي وهو يوحد الله من شرهم ويده لا تفارق سيفه وكان كلما سار قليلاً كلما اشتد عليه الجوع وصعب عليه الامر وانحط من قواه الا انه اخيراً شعر بانحطاط قوي وايقن انه هالك لا محالة حيث كانت ركابه اخذت في ان ترتجف وتنحل ويقل من قواها وتضعف ضعفاً سريع الانحطاط واذ ذاك اخذت افكاره تضرب الى جهة اسما ري وعملها معه وانها لا تنفك عنه ما لم يتزوج بها وحدثته نفسه ان يجيبها الى طلبها فتوصله الى بلاده غير انه خطر له اخيراً انه اذا تزوج بها وصار زوجها ربما لا تعود تسمح له ان يرى بلاده ومهردكار ورجاله ويزيد طمعها به ولذلك بقي محتاراً ومرتاباً ومضطرباً من عمله وهو بحالة يرثى لها من شدة الحنق والغيظ والجوع والضعف يفصل الموت على الحياة والهلاك على الطاعة لاسما ري وفيما هو على مثل هذه الحالة واذا به يرى الخضر عليه السلام قد ظهر امامه على حسب العادة وناداه باسمه فاجابه وقد اشتدت اعصابه وتقوى عند سماعه صوته ووجد راحة في داخله لتاكده بقرب الاغاثة وانه جاءه الذي يقدر على اغاثته. فقال له لا تخف من زواج اسما ري ولا تهتم بعذاب هذا الطريق ومشقات السفر. فان الله العلي العظيم قد قدّر عليك اموراً لا بد من وقوعها عليك ولا ينفعك امر ولا يقدر احد ان

عنها ولا يدفعها غير انها ستكون في النهاية بخيرك لا لشرك وتصل الى قومك وتنقضي عنك كل هذه المشاق التي تتحملها الان . قال اني اعرف يا سيدي ان لا شيء يهون علي الا بمقاصده تعالى واني صبور على المصائب جلود عليها غير ان ما يكدرني ويحط من جلدي الجوع الذي لا طاقة لي على احتماله ولا احد يقدر ان يقوم في وجهه او يثبت لدى مقاومته . قال اني اعرف ذلك ولذلك اعطيك الان حصاة ضعها في فمك تحت لسانك فهي تغنيك عن الطعام لانها ما زالت في فمك لا تشعر بالجوع ولا تشتاق الى الطعام ثم ان الخضر عليه السلام ناوله حصاة وامره ان يضعها تحت لسانه فاراد حمزة ان يدنو منه ليقبل يديه فلم يجد له اثرًا غير انه شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفه فوضع الحصاة في فمه وفي الحال شعر بالشبع واخذت قواه في ان تشتد واصبح بعد قليل كعادته واسرع في جريه الى المساء وفي المساء جلس على التراب ليرتاح ونام قليلاً والسيف عند جانبه لا يفارقه ولا احد يقدر ان يقربه من الجان وجماعة اسما بري وعند الصباح نهض ومشى الى المساء وفي المساء جلس على الارض وبعد ان صلى نام نومًا مريحًا الى الصباح فنهض ومشى الى المساء وبقي على ذلك نحو عشرة ايام وفي كل يوم تفتكر اسما بري ان الجوع يضعفه ويقلل من عزمه فلا يعود يقدر على المشي فيلتزم ان يطلب اليها المعونة والمساعدة فترغمه على الزواج بها ومن ثم يصبح زوجها ويكون منقادًا لها شرعًا ولما طال المطال ولم تنته غايتها وضاق صدرها وتعجبت كل العجب كيف انه لم يشعر بالجوع ولا بالضعف بل هو باقي على حاله شديد الجري قوي الاعصاب واذ ذاك دعت اليها كندك المارد ومدبريها وشرحت لهم حالها وقالت لهم اني اريد ان استشيركم في امر هذا الانسي الذي قتل ابي وكادني ولم اقدر ان انال منه غايتي وصرفت الجهد الى اذلاله واجباره على الزواج بي فلم اقدر ان اكيده واجبره على طاعتي واخيرًا منعت عنه الاكل وقصدت بذلك ان اضعف قواه من الجوع فلم يوثر فيه ذلك وصرف اكثر من عشرة ايام ولم اره يذوق طعامًا وهو على حاله وهذا من اعجب عجائب الناس ان يقيم الواحد منهم اكثر من يوم بلا طعام .

وحينئذٍ تقدم منها احد خدمها وقال لها اني اعرف يا سيدتي سبب ثباته على الحالة التي هو فيها واوكد لك انه لو صرف العمر ولم يذق طعامًا لما اثر فيه ولا جاع وهو انه بينما كان سائرًا حضر عليه رجل على جواد اخضر من الخيول الجياد اسمه الخضر وهو من رجال الله فشكى اليه الجوع والضعف فاعطاه حصاة وامره ان يضعها في فمه وان تبقى على الدوام لا يخرجها من تحت لسانه ولذلك هو الان شبعان لا يشعر بالجوع ولا بمخافة واني كنت اسمع الكلام الذي دار بينه وبين الخضر الاخضر الذي ذكرته لك . فعظم عليها الحال وقالت لا ريب ان حمزة هذا مسعود الطالع موفق من الله والا لما كان بعولة الخضر الاخضر وتساعده رجال الله ولهذا ارى حبة يشتد سيف

قلبي ولا ازيد ان اضيع من يدي مثل هذا الرجل وان كان من الانس واريد منكم ان تنظروا في امري وامره وتروا ما هي الطريقة الى تضييع هذه الحصاة من فمه . فقال لها احد قومه اعلمي يا سيدتي اني آكفل لك ضياع هذه الحصاة منه ومتى اخذت منه رجع الى الجوع فيلتزم ان ينقاد اليك فمدحته وخولته بهذه المهمة . ومن ثم سار هذا الجني الى امام الطريق السائر عليها الامير حمزة وتزيا بزي درويش من رجال الانس اي انه مزق ثيابه واسبل شعره وجاء بوعاء وضع فيه سمكًا مقليًا وخبزًا وتركه امامه وجلس الى ان راى الامير قد كاد يشرف على تلك الجهة فجلس للصلاة وكان الامير سائرًا على حسب عادته لا يعرف بخدعة هذا الماكر فراهُ جالسًا للصلاة غير ملتفت اليه فتقدم منه وصبر عليه الى ان فرغ من الصلاة وحينئذٍ اظهر التعجب والحيرة من وجود الامير وجعل يوحد الله وقال له اراك من طائفة الانس فما الذي اوصلك الى هنا فقال له الامير حمزة ان التقادير القتني في هذا المكان غير اني اتعجب منك بانك درويش من الانس وموجود في بلاد الجان بعيدًا عن قومك وابناء جنسك قال ان قصتي عجيبة من عجائب الايام وهو ان ابي كان يسكن في مدينة الشام وكان في اول عمره من الاغنياء العظام اصحاب البيوت واهل الاحسان فضعف حاله وقلّ ماله ووقع في حفرة الفقر والفاقة حتى كاد يشتهي الخبز مرارًا مع عائلته فذات يوم وهو جالس يتامل بحكمته تعالى كيف ينزل الانسان من حالة الثروة الى حالة الفقر ويفكر كيف انه لم يعد الى حاله حينما كان ماله كثيرًا واذا برجل مغربي عليه سمة المهابة والوقار قد تقدم من ابي فحياهُ وقال له لا تفكر بهذا الفقر الذي انت فيه فان الغنى قريب منك فانشرح صدر ابي وقال من اين ذلك . قال اعلم ان لي زمان طويل وانا ابحث على كنز في جبال قاف فوقعت عليه في هذه الايام واردت ان افتحهُ فلم اقدر فبحثت بمعرفتي وحكمتي على وجه من يفتح هذا الكنز فظهر لي ان المال الذي فيه لا يخرج الاّ في يد ابنك ففرحت وشكرت الله على ذلك واتيت اليك اقاسمك في هذا الكنز فان به من الذهب والتبر ما لا يوجد عند مالك العالم باسرها . قال له ابي ومن اين يمكني ان اسلمك ولدي وهو وحيد لي قال اني آكفل لك ذلك واقسم بالله العلي العظيم ان اعيدهُ اليك واقاسمك الكنز وما من غرض لي بابنك بعد ذلك . فانقاد اليه ابي لضعف حاله وفقره وقال وهل يبقى ابني معك الى زمان طويل قال كلاّ بل الى عشرة ايام فحرك ابي طمعه بالثروة وبغضه بالفقر فسلمني الى المغربي بعد ان قبلني وودعني وبكى وقال لي اني اودعتك بيد الله يا ولدي فسر مع هذا الرجل عسانا ان نتخلص من الفقر ويسهل الله امرنا فاخذني المغربي بعد ان دفع لابي شيئًا من الذهب ليصرفه في غيابنا وجاء بي الى هذا الجبل العالي الذي تراهُ امامك على سرير طار بنا في الجوّ الاعلى وبعد ان فتح الكنز اخذ منه شيئًا كثيرًا من الذهب والتبر ثم رجع من حيث اتى وقال لي ابقَ انت هنا الى ان

يوافيك الاجل اذ ما من وسيلة بعد لرجوعك الى ابيك وتركني حزيناً كئيباً في هذه الديار غير ان كلمة الايمان لم تفارقني قط فشكرت الله ودعوته لاغاثتي وبكيت على فراق والديَّ وعلى فعل هذا المغربي مع ابي الذي كان بحالة الفقر المدقع وليس له سلوة الاَّ بي . ومن ثم نزلت من الجبل الى هذه الارض وداومت الصوم والصلاة وانا اسأله تعالى ان لا يتركني اموت جوعاً . وبعد ان نمت تلك الليلة سمعت الوحي يقول لي لا تخف فاني اتيك بكل ما يلزمك من المآكل والاطعمة التي تطلبها نفسك فاذا اشتهيت شيئاً اطلبه فتراهُ امامك وانك ستبقى في هذه البلاد زماناً طويلاً الى ان تمرَّ الايام المقدرة عليك ويأتي امير العرب الى هذه البلاد فياخذك معهُ الى بلادهِ ولهذا تراني قائماً في هذه الارض على تلك الحالة في كل يوم اطلب طعاماً فاراهُ امامي واشكر الله الذي لا يترك نفساً بغير عناية حتى مضت عليَّ السنون والايام ولما كان في هذا الصباح سالت الله الطعام حسب العادة واذا بهذا السمك الذي تراه امامك فتعجبت عند ما رايته زائداً عن العادة واذ انتهيت من الصلاة ورايتك ثبت عندي ان هذا نصيبك من الطعام بحيث تكون ضيفي في هذا اليوم واذا كنت انت هو امير العرب صرت معك الى بلادي لاني من حين بقائي في هذه الارض ما رايت قط انسياً ولا فترت عن السؤال من الله ان يبعد عني طوائف الجن . ففرح الامير حمزة عند سماعهِ كلامهُ وصدقهُ وانطلت عليهِ حيلتهُ وقال لهُ نعم انا هو امير العرب وساذهب بك الى بلادي وتكون رفيقي في سفرتي ثم ان الدرويش دعا الامير حمزة الى الطعام فجلس عليهِ وهو مشتاق لهُ جداً واخرج الحصاة من فمهِ ووضعها على الارض واخذ ياكل هو والدرويش وفيما هو ملتهٍ بالاكل واذا بالدرويش الذي هو الجني قد مدَّ يدهُ وتناول الحصاة وضرب رجليهِ بالارض بسرعة عجيبة خوفاً من ان يلحقهُ حمزة بضربة من سيفهِ ولما صار بعيداً قال لهُ ها ان الحصاة ذهبت منك ولم يبقَ لك بعد ما يقيك فاسمع مني واقبل بزواج اسما بري ولا تصرف كل عمرك بالعذاب ولا تقدر ان تخرج من حدود بلادها لو صرفت العمر ماشٍ على قدميك

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد ان تلك حيلة وقعت عليهِ زاد بهِ الغضب وعمي بصرهُ وغاب صوابهُ واصبح بحالة العدم نحواً من ساعة وهو يعض اصابعهُ ندماً ويأسف على تلك الحصاة وثبت عندهُ ان اسما بري لا تتركهُ وانهُ وحيد وانها هي وقومها محتاطون بهِ لا يفارقونهُ يحاربونهُ تارة بالحيلة والخدعة وطوراً بالتهكم والعناد . وبعد ان وعى الى نفسهِ فكر بكلمة الخضر عليهِ السلام ان ما من باس بزواج اسما بري قط ومن ذلك الوقت راى ان ينهي عذابهُ بقبولهِ بها وان يشرط عليها بان توصلهُ الى بلادهِ ولذلك قال للجني ادعُ لي اسما بري لاعرض عليها شروطي وفي الحال ظهرت اسما بري امامهُ وقالت لهُ اني مرافقتك ياسيدي ولا ابعد عنك قط حتى اذا

لطفتي ورحمتي وشفقت على حالتي رجعت بك الى بلادي وزففت نفسي عليك . قال اني قبلت طلبك ورضيتك في زوجة انما بشرط انك بعد خمسة عشر يومًا ترسليني مع كندك المارد الى بلادي لاني تركتهم بالحرب مع الاعجام واخاف ان يصابوا بمصيبة ويشتغلوا لطول غيابي . قالت اني اعدك ان اوصلك الى بلادك بعد مرور خمسة عشر يومًا من زفافك وكفاني ان اكون زوجة لك وان اقيم معك هذه المدة وفي الحال رجع من حيث اتى وسلم نفسهُ الى كندك المارد فحملهُ الى قصر امها بري وهناك اجتمع اليها رجال ابيها وهنأُوها بنوال غايتها وهي مسرورة السرور الذي ما عليهِ من مزيد واخذت تهتم بعمل الزفاف وتعد معداتهِ وحينئذٍ قال لها الامير حمزة اني لا ارضى ان ازف عليك الاَّ اذا ارسلت خادمك كندك ياتيني بقاضي مكة بهلول الناقوش لكي يجري الزفاف حسب سنة العرب . فقالت سمعًا وطاعة فكيف شئت اجري الزفاف فالنتيجة حصولي عليك باي طريقة كانت . ثم انها قالت لهُ اكتب كتابًا الى بهلول القاضي المذكور ليحضر مع كندك . فكتب الى ابيهِ ابراهيم يخبرهُ بكل ما جرى عليهِ ويسالهُ ان يرسل القاضي بهلول وعمر العيار مع كندك المارد لحضور زفافهِ وانهُ بعد خمسة عشر يومًا يكون في مكة المطهرة ويهدي سلامهُ الى فرسانهِ وابطالهِ

فاخذ كندك الكتاب وطار بهِ حتى جاء مكة المطهرة ودخل على الامير ابراهيم فارتاع في الاول منهُ الاَّ انهُ اخيرًا اطمأَن بالهُ عندما عرف انهُ رسول ولدهِ واخذ منهُ الكتاب وبعد ان قراهُ وعرف ما هو جارٍ على ولدهِ شكر الله على سلامتهِ ثم قال لكندك ان العرب قد ذهبوا عن مكة الى بلاد الغرب وليس هنا الاَّ القاضي فخذهُ وحدهُ . ثم حمل كندك القاضي وذهب بهِ الى جبال قاف واحضرهُ امام الامير حمزة فلما راه نهض اليهِ وقبل يديهِ واجلسهُ على كرسي من العاج ثم اخذ يسالهُ عما كان من العرب والعجم بعد غيابهِ وكيف لم يحضر معهُ عمر العيار فقال ان الفرسان بعد غيابك ارسلوا عمرًا الى المدائن واستشاروا الوزير بزرجمهر في امرك وامرهم وكيف يفعلون فقال لهُ ان الامير حمزة ياتي من بلاد الغرب عن طريق طنجه ومن الصواب ان تلاقوهُ الى هناك وبناء على امر الوزير بزرجمهر المذكور رحلت العرب عن مكة وسارت الى الغرب ومعهم عمر العيار . فقال الامير حمزة لكندك اذهب الى طريق الغرب وان وجدت العرب احضر لي من بينهم اخي عمر العيار بكل سرعة وعجلة بحيث يحضر زفافي ويرجع في نفس اليوم الذي ازف فيهِ اذ لا ابدي عملاً الاَّ برايهِ فهو دالول العرب وصاحب ازمتهم ففارقهُ كندك وسار في طلب عمر العيار

قال وكان من امر العرب كما تقدم معنا سابقًا ان عمر العيار عاد اليهم واخبرهم ان الامير حمزة سياتي من طريق بلاد العرب وانهُ سيقع هناك حروب واهوال عظيمة واخبر العرب ان

من الموافقين له ويقولون انهم سائرون الى تلك الارض حيث يجتمعون به وعليه فقد رحلوا عن مكة وساروا
بالاجمال والانعام يقصدون بلاد الغرب وامامهم عمر العيار وكانت جواسيس كسرى تترافيهم
فراوهم وقد فارقوا مكة وعرفوا انهم سائرون على طريق طنجة الغرب ومعهم مهردكار ولم يبقوها
في مكة ولما بعدوا ثلاثة ايام عاد جواسيس كسرى وقالوا له ان الامير حمزة قد غاب عن
مكة وعن فرسانه الى جبال قاف وان العرب رحلوا من تلك الارض الى بلاد الغرب ليلاقوه
هناك وقد اخذوا معهم كل الاموال والانعام وذهبوا بمهردكار على هودجها معهم يحتاط بها عمر
وجماعة من الفرسان . فقال بختك ان من الصواب ملاحقتهم في الطريق وتبديد شملهم .ما
زال الامير حمزة بعيداً عنهم واخذ الاموال ومهردكار منهم . فارسل كسرى ولده فرمزتاج
وزوبين الغدار مع ثلثمائة الف فارس واوصاهم بمفاجئة العرب وقطع الطريق عليهم وتبديد
شملهم فوعداه بذلك وان يعودا بمهردكار واموالهِ التي جمعها العرب من بلادهِ . وزحفا بتلك
الجيوش وقاطعا للعرب على الطريق الذي كانوا يسيرون منه رما مضت على ذلك عدة ايام حتى
التقى الفريقان وعرف العرب ان الاعجام علموا بسيرهم فربطوا لهم الطريق ومرادهم ان يمنعوهم
عن التقدم وان يوقعوا بهم ولذلك جمع اندهوق فرسان العرب واوصاهم بالتيقظ وقال لا بد
من ان نقصد طوائف العجم حربنا وقد قادها الطمع الى ذلك فمن الواجب ان نحارب محاربة
الاسود ولا نبقي من الاعداء واحداً فلا يجسرون على العود ثانياً وانا ايقن ان بنا الكفاءة
لابادة الفرس اجمعهم وان كان اميرنا غائباً عنا . فقال له الجميع ان ليس امامنا الا سيوف قواطع
وهمم دوافع ومن دنا اجلهُ فلا يقدر ان يدافع . وفيما هم على مثل ذلك واذا برسول فرمزتاج قد
دخل على العرب وسلم كتابهُ الى الملك النعمان يقول له فيهِ

من هرمزتاج بن كسرى انوشروان الى الملك النعمان ملك العربان .

اعلم ايها الجاهل قدر نفسك انك كنت في الاول عاملاً لابي مكرماً تصرف عمرك على
الراحة والهناء والكرامة فخالفت عليهِ وانقدت الى الامير حمزة وعاندت ابي وفي نيتك ان تجعل
نفسك مقارناً للملوك الكبار فوقعت في سوءِ عملك ولاقيت عوض الراحة عذاباً وعوض الهناء
عناء فصرفت ما بقي من عمرك غريباً مشتتاً تنتقل من مكان الى مكان ومن مشرق الارض الى
مغربها ومع كل ذلك لا ترجع عن غيك ولا تترك العرب وتفرقهم وقد سلبتم اموالنا واستوليتم على
انعامنا وسبيتم اختي مهردكار فريدة زمانها ونادرة المثال بين ربات الجمال ولذلك جئت
اليك بهذا العسكر الجرار ومعي زوبين الغدار وانتم تعرفون شدة بسالتهِ وقوة سلطتهِ وعظمتهِ
وتعلمون ايضاً ان ابي قد خطب من اختي مهردكار ووعدهُ بزواجها فنطلب اليكم تسليمها
مكرمة وان تسوقوا سائر الجنائب والاموال التي لنا وتعترفوا بخطاكم فنعفوا عنكم ونرجع كل

اليه لانه خاله ومتى جاء الامير حمزة وراكم متفرقين لا يعود يطمع بحرب ولا قتال فتكونون قد ارحتم من عداوة اكبر ملوك هذا العالم واعظم سلاطينه الذي لا يمكن ان يترككم حتى تبادوا عن اخركم

ولما قرأ الملك النعمان هذا الكتاب على رؤوس الفرسان مامنهم الاّ من اضطرب واغتاظ وهاجت نار الانتقام في قلبه وحركته نخوته الى خوض معمعة القتال والفتك بالاعجام الانذال فهاجوا وماجوا ووقف اندهوق بن سعدون على رجليه وقال للرسول اذهب لسيدك واخبرهُ انه بطول عمره لم يعد يرى مهردكار فهي اصبحت اختنا ونسيبتنا وخطيبة فارسنا وبطلنا واننا سنقاتل عنها ونحميها من كل طالب ولو مالت علينا الجبال في صنوف الرجال وسيلاقينا في الغد ويعلمنا صدق ما اقواله الان وينظر ما يحل بصهره الكذاب زوبين الغدار. فرجع الرسول وهو مندهش من فرسان العرب وماخوذ بهيبتهم وسطوتهم ولما وقف بين يدي سيده اعاد عليه ما سمعه من اندهوق فاشتعل في قلبه اللهيب وغاب وعيه وحركته حبه لاخته الى مراها وانتظرت مرارته كيف قيل له انه لم يعد قادرًا على رؤيتها بطول عمره ونهض الى صيوانه وانفرد بذاته وجعل يشرب الخمرة كي يذهب عن نفسه الهدس فلم يقدر بل كان على الدوام يزيد شوقًا الى مهردكار حتى زين له السكر اخيرًا ان يذهب بين قبائل العرب بصفة بدوي ويدخل عليها ويراها وربما تسهل له ان ياتي بها من بين اعدائه. ولذلك نهض وغير زيه ودخل بين قبائل العرب وجعل يطوف من مكان الى مكان ولا احد يراهُ او يعرفه انه فرمزتاج حتى مرّ من امام صيوان عمر العيار فوقعت عينه عليه وفي الحال عرفه حق المعرفة فضحك من عمله. ثم دخل صيوان مهردكار وكان بالقرب من صيوانه يحافظ عليها ويحرسه ولا يترك احدًا يقربه منه وقال لها ان اخاك فرمزتاج اصبح في يدي فماذا تريدين ان افعل به. فقالت له دعني ياعمر من اخي وابي وسائر اهلي فاني لا اعرف احدًا ما زال الامير غائبًا عني فانتم اخوتي وابي لانكم تشفقون عليّ وترحموني وتمنعون كل ما يضرني وتعبدون الله العزيز الجبار ولا تعبدون مثلهم النار. فرجع عند ذلك الامير عمر وجاء من خلف فرمزتاج ورفسه برجله فالقاهُ الى الارض وانقض عليه فشد وثاقه وقادهُ الى بين ايادي سادات العرب وحكى لهم امرهُ وعرفهم به فتعجبوا من عمله وقال الملك النعمان لو لم يكن سكرانًا لما هان عليه ركوب مثل هذه المخاطر فماذا يجب ان نفعل به الان فقال اندهوق ارسلوا رسولاً الى مهردكار واسالوها ماذا تريد ان نفعل به فاذا امرتنا بقتله قتلناهُ او طلبت اطلاق سبيله اطلقناهُ لانه اخوها فلا نخالفها به فسار عمر اليها واخبرها بكلام اندهوق واستشارها بامر اخيها. فقالت ابقوهُ عندكم الى حين عودة الامير حمزة فهو ينظر في امره ويفعل ما يريدهُ فاعجبه جوابها ورجع الى امراء العرب واخبرهم بما قالته فسلموهُ الى عمر

العيار وقال له حافظ عليه واحرسه الى ان يصل الينا اخوك فقاده الى صيوانه ووكل فيه
وكل جماعة من عياريه ان يحرسوه حين غيابه

قال وفي تلك الليلة افتقد زوبين الغدار فرمزتاج في صيوانه فلم يره فتكدر وسال عنه
فلم يجبه احد فارسل الجواسيس الى بين العرب علّ احدهم يقف له على خبر وبعد ساعات
قليلة رجع اليه الجواسيس واخبروه انهم سمعوا بين العرب بوجود فرمزتاج بينهم اسيرًا وهو
في يد عمر العيار ولا نعرف كيف كان اسرهُ فاضطرب زوبين الغدار من ذلك وتعجب كيف
قدروا ان يصلوا الى ابن كسرى وخاف على نفسه مزيد الخوف ولم يرَ له طريقًا لخلاصه وحمله
خوفه الى الرجوع بمن معه الى المدائن ليخبر كسرى باسر ابنه وانه لو بقي الى اليوم الثاني لاسر هو
ايضًا وتفرقت جيوشه وعلى ذلك نهض الى جواده فركبه وامر القواد ان تسير بالجيوش خلفه
قبل ان تشرق شمس اليوم القادم وبنحو ساعتين من بعد ذلك لم يبقَ للعجم اثر في تلك الارض
ولا تركوا عقالاً بها غير اثار حوافر خيلهم

وفي صباح اليوم الثاني نهضت العرب ونظرت الارض خاوية خالية وما من عجمي في كل
تلك النواحي فثبت عندهم ان زوبين هرب خوفًا على نفسه ورجع من حيث اتى وعليه امر
اندهوق فرسان العرب ان تنهض من ساعتها وتسير في طريقها فقد رفع القتال والحرب والنزال
فركب الجميع ورفعوا الاحمال وساروا من تلك الارض وامامهم عمر العيار يقود فرمزتاج وهو
محمول على جواد من خيول العرب موثوق الايدي وكلما قربوا من مدينة او قلعة دخل عمر على
فرمزتاج واجبرهُ ان يكتب كتابة موقعة منه ومختومة بخاتم المملكة توذن بتسليم العامل وتامرهُ
بعدم المدافعة وترك القتال

وهكذا كانت العرب تسير بلا قتال ولا حرب ولا نزال حتى مروا على عدة بلدان وكل
بلد دخلوها اخذوا منها احتياجهم ومؤن طريقهم وما برحوا على مثل ذلك حتى جاءوا الى قلعة
قطمين وهي من القلاع الحصينة المنيعة مسورة الطوب لا يقدر الطائر ان يدخل اليها. فدخل
عمر على فرمزتاج وقال له اكتب لي كتابًا الى حاكم هذه القلعة ان يسلم في الحال فاجابه الى طلبه
وكان فرمزتاج في كل مرة يكتب كتابًا الى عمر العيار فياخذهُ منه ويقراهُ حتى انه اخيرًا ما عاد
يقرأ الكتابة لما راها كلها على نسق واحد ولم يخطر له ان فرمزتاج وهو اسير بيد العرب يجسر على
الغدر به ولذلك في هذه المرة اخذ الكتاب منه وسار الى حاكم القلعة فدفعها اليه فاخذها وفضها
وقراها واذا بها

من فرمزتاج بن كسرى انوشروان الى حاكم قلعة قطمين

اعلم اني اخذت اسيرًا مع العرب فاذاقوني العذاب الاليم وكلما قربوا من مدينة او قلعة

رغموني ان اكتب الى صاحبها بالتسليم فافعل غصباً عني حتى فحج عدة بلدان وقد امن لي عمر العيار الواصل اليك فلم يعد يقرأ كتاباتي ولذلك كتبت له هذه المرة عكس ما طلب فاني امنعكم من التسليم وان تسعوا بخلاصي حالاً هذا بعد ان تقبضوا على عمر العيار حامل هذا الكتاب لانه راس العرب وعلة نجاحهم فاذا غاب عنهم او اصيب بنائبة تفرقوا وضعفت احوالهم لانهم بدونه لا يعرفون كيف يسيرون ولا يقدرون على نوال مطالبهم ولا يمكن ان يقدروا على فتح هذه القلعة فيرجعون خائبين متفرقين وحالما تقبضون عليه اقتلوه ولا تتهاملوا بامره والا تخلص ونجا ولا تقدر هذه الحصون المنيعة ان تمنعه من المرور الى قومه فهو شيطان في صورة انسان لا يصطلى له بنار

فلما قرأ حاكم القلعة الكتاب قال لعمر مرحباً بك فاني عن قريب اسلم القلعة اجابة لطالب فرمزتاج بن كسرى الملك الاكبر . ثم اشار بالسر الى قومه ان تقبض عليه فانقضوا عليه من كل باح ومسكوه بالرغم عنه وفي الحال اوثقوه بالحبال وشدوه بكل قوتهم ولم يتركوا له سبيلاً للدفاع ولما راه الامير وقد صار بيدهم قال يجب ان نقتله في الحال فخذوه الى عالي الاسوار وادعوا العرب ان يتفرجوا على موت مدبرهم ودليلهم والقوه على دولاب الهواء وانفضوه مدفوعاً بقوة الدولاب الى الجو الاعلى فانه يرتفع عن السور ميئات من الاقدام ثم يسقط الى بينهم ممزق من شدة الارياح ويعرف فرمزتاج بموته وكذلك تضمحل قوة العرب ولا تعود تقوم لهم قائمة . وفي تلك الساعة سحبوا عمر العيار مكتوفاً ونحواً من عشرين رجل تحيط به وكلهم ماسكون بالحبال يضيقون عليه ولا يفرجون عنه حتى جاءوا الاسوار فصعدوا عليها وجاءوا اعلاها وركبوه تركيباً محكماً لجهة العرب ووضعوا عليه عمر العيار وهو مكتوف ومربوط الايدي والارجل ووقف كبيرهم ونادى قبائل العرب هيا ايها القوم المعتدون وانظروا ما يحل بقائدكم عمر العيار الذي تفتخرون به ففي هذا اليوم موته وهلاكه وخلوص ايامه

قال وكانت العرب تنتظر عودة عمر العيار اليهم وان يطلب اليهم الدخول حيث كانوا يتصورون ان فرمزتاج بعث بكتاب كالعادة يامر حاكم القلعة بالتسليم واذا بهم قد راوا جماعة من فرسان القلعة قد رفعوه على الاسوار وفعلوا ما فعلوا فغاب صوابهم وضاعت عقولهم فزحفوا الى ناحية الاسوار وهم يصيحون ويصرخون ويلكم ايها الاوباش خلوا عن عمر العيار فنترك لكم القلعة واشتروا انفسكم به والا فاننا لا نترككم ولا نبقي على انسان بها فلم يصغ الرجال الى كلامهم لعلمهم انهم لا يقدرون على فتح القلعة ولا على خرق الاسوار ولا يمكنهم ان يصلوا اليهم بل انهم اخذوا يد اللولب ودفعوه دفعة واحدة فدار كالبرق وباسرع من هبوب النسيم ضرب على عمر العيار فرفعه الى الجو الاعلى حتى كاد لا يرى من الارض وقد ايقن اهل القلعة انه يموت

وهو في الهواء وكذلك العرب ظنت انه ربما يقع داخل المدينة واما هو فانه ايقن بالموت والهلاك
وثبت عنده ان تلك الدقيقة هي اخر حياته حيث بعد ان ينتهي من الارتفاع بقوة دفع دولاب
الهواء لا بد له من السقوط فيموت شر ميتة وقد تألم وتوجع من لطمة الدولاب ولو لم يكن من
اجلد الناس على المصائب والاهوال واكثرهم مخاطرة لمات في الحال الاَّ انه في تلك الثانية
صادف وصول كندك المارد فتناوله بالهواء وطار به في الجوّ وعاد من حيث اتى وقد تقدم معنا
ان الامير حمزة قد بعثه لياتي به ويحضر زفافه ولم ينتبه عمر الى كندك بل ظن نفسه انه دخل
باب الهلاك وبعد قليل غاب عن هداهُ وكندك سائر به ولا زال حتى وضعه امام اخيه حمزة
فنظر اليه وهو على تلك الحالة فشغل باله وتعجب منه وسال كندك عن امره فقال له اني نظرت
العرب نازلين في ناحية من الارض عند قلعة قطبين فقصدت النزول عليهم واذا رايته على السور
ورجال القلعة مرادهم ان يهلكونه وقد نادوا العرب لتنظر موته ورموهُ الى السحاب بدولاب
الهواء فاسرعت اليه وهو غائب عن الهدى ميقن بالموت واتيت به من العلى . فتكدر الامير حمزة
وتقدم من عمر وناداهُ ففتح عينيه وراى الامير حمزة فظن انه بالجنة وان اخاهُ مات وهو هناك .
فقال له الحمد لله يا اخي الذي اجتمعت بك في دار الاخرة فواحسرتاهُ على العرب ماذا يا ترى
يحل بهم بعدنا وماذا يجرى على مهردكار في دار الفناء واني مسرور الذي لحقت بك لاني كنت
اظن انا والعرب انك حيٌّ وما علمنا بموتك وانتقالك الى دار الاخرة . فعرف الامير حمزة انه لا
يزال ضائع العقل فامر ان يوتى له بكاس من الشراب فاحضر له فسقاهُ واجلسه على صدره
وقال له انظر جيدًا فاننا لا نزال في هذه الدنيا واننا في جبال قاف وقد حضرت مع الراعد
وبعثت كندك المارد فجاء بك وانت على اسوار قلعة قطبين . فلما سمع عمر انه بجبال قاف وعى الى
نفسه والتفت يمينًا وشمالاً فلم يرَ الاَّ جانًا ومردة فقال له لماذا ارسلت فاتيت بي الى هذا المكان
وكيف صادف ذلك وانا على اخر نفس من الحياة وثبت لي اني صرت في دار الاخرة حيث
ارتفعت عن الارض نحو الف قدم وقد اغمضت عينيَّ كي لا ارى الارض ولا اشاهد كيف اموت
فقال له اني اتيت هذه البلاد مع الراعد ووقع لي كذا وكذا بها . ثم انه اعاد عليه قصته من الاول
الى الاخر واخبرهُ بكل ما جرى له مع اسما بري الى ان قال له اني قد ارسلت اولاً كندك المارد
الى مكة فجاء بالقاضي بهلول ولم يرك هناك واخبر القاضي انك مسافر الى الغرب مع العرب
فارسلت كندك حالاً لياتي بك ويرجع بيوم واحد فتحضر زفافي وترى العروس . قال خيرًا
فعلت فاني اريد ان اشاهد هذه التي تقول انها تريد ان تتزوج بك فاذا كانت موافقة لك
تحب العرب وافقتك والا تركناها ورجعنا فنادى الامير اسما بري فحضرت امام اخيه فنظر اليها
وقال في الحال الى اخيه اني لا اقبل لك هذه العروس ولا اريدك ان ترغب عليها واذا فعلت

الالت الاملك . فضحك الأمير من كلامهِ وعرف انهُ يريد منها النقد ولذلك اشار الى اسما برّي
لترضيه . فقالت لا تفعل هذا يا عمر فاني لا اترك اخاك واحبهُ كثيرًا ولاجل حبهِ احب العرب
اجمعهم واني ارضيك بكل شيءٍ وساملي لك صندوقًا من الذهب تاخذهُ معك الى العرب .
قال اني لا اريد ان تملئي لي صندوق بل اريد ان تملي لي هذا الجراب الصغير . ثم مد يدهُ الى
وسطهِ فاخرج جراب اسماعيل منهُ وفتح لها فمهُ . فاستصغرتهُ وقالت اتبعني فاني مالئتهُ لك مرتين
وثلاث مرات ودخلت الى غرفة من قصرها وفتحت صندوقًا كبيرًا مملوءًا من الذهب وقالت
خذ منها ما شئت منهُ واملي جرابك . قال افرغي لي انت وانا افتح فاهُ . ثم انهُ فتح باب الجراب
واخذت اسما بري تضع فيهِ الذهب وهو لا يبان وهي تتعجب حتى فرغ الصندوق كلهُ فقالت لعمر
كيف لا يمتلئ الجراب ومدت يدها اليهِ فراحت كلها في جوفهِ ولم تعثر بالذهب قط فطار عقلها
ونظرت الى خارج الجراب فرأتهُ صغيرًا لا يساع اكثر من كفها فكادت تفقد عقلها وجاءت الى
الامير حمزة وعمر يضحك منها وقالت لهُ ما هذا الجراب فانهُ كاد ياخذ عقلي وما ظننت انهُ يسع
اكثر من ربع الصندوق . فقال لها يكفيهِ ما اعطيتهِ فانك لا تقدرين ان تملي الجراب فانهُ لو
وضعت بهِ جبال قاف برمتها لما بانت فهو جراب اسماعيل . ثم نادى عمر وقال لهُ يكفاك ما اخذت
من الذهب قال اني راضٍ بهِ فهو يكفي جماعتي الى زمان طويل وعليهِ فاني اسمح ان تزف على
اسما برّي فهي كريمة وموافقة واجعل ذلك ان ينتهي بوقت قريب حيث مرادي ان ارجع في
صباح الغد الى العرب لانهم بدون شك في بكاءٍ ونحيب من اجلي وربما هم بضيقة من جرى
امتناع حاكم القلعة عليهم

قال ومنذ ذلك الحين اعدت اسما برّي معدات الزفاف ودعت كل المردة وكبراء الجان
ورؤساء الطوائف فحضروا اليها وحينئذٍ تقدم القاضي بهلول وزف الامير حمزة على اسما برّي
وبارك للامير بها وكذلك جميع الطوائف واظهروا فرحهم وسرورهم بملكتهم وانقضاء غايتها . ثم
ان الامير بعد انقضاء السهرة دخل على اسما برّي وجاءها ونام عندها تلك الليلة وهو مسرور بما
لاقى منها الى الصباح وعند الصباح جاء قصرها فوجد اخاهُ عمر بانتظاره . فقال لهُ ارسلني الان
الى قلعة قطيون فاني مشغل البال على العرب وانت بعد ايام تتبعني . قال اصبر لاكتب الكتب
الى العرب واطمنهم عني واني ساذهب اليهم بعد خمسة عشر يومًا فيذهبون في طريقهم ولا يتعوقون
فقال لهُ اكتب ما شئت ولا تجعلها بيضة الديك فاخذ وكتب في الاول الى الملك النعمان والى
اندهوق بن سعدون والى المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر
واصفران الدربندي كل واحد كتابًا خصوصيًا باسمهِ يشرح لهُ حالهُ ويطمنهُ عنهُ ويعدهُ انهُ بعد
ايام قليلة يكون عندهم ويامرهم بالثبات في القتال وان يبقوا يدًا واحدة ولا ينفرطوا وبعد ان

يتملكوا قلعة قسطبول ثم يتابعوا السير حتى يصلوا الى طنجة الغرب حيث يكون قد سبقهم الى هنالك بحسب اشارة الوزير بزرجمهر وان تكون كل غايتهم الاعتناء بهردكار وان لا يدعوا الاعداء يصلوا اليها واخيرًا كتب كتابًا لها يقول لها فيه

من حبيبك الملذوع بقرب الشوق والمحروق بكيد الزمان وعناد البعاد من رمته يد الايام الى اخر الدنيا فاصبح بينه وبين من احب جبال وبلاد لا يعرف عظم اتساعها الا الله سبحانه وتعالى ابيت على حالة الياس وشخص جمالك يرافقني ويسامرني وخيالك يبات في عيني ولا يبارحني فاذا نهضت في الصباح رايت ذكرك يتردد في فمي وعين جمالك يناجي قلبي فاصرف اكثر الاوقات بين ذكرى وشكوى . كل هذا لا يخفاك ولا تبعد عنك معرفته لاني اعرف من داخل قلبي ما تلاقي انت ايضًا وكيف حالتك حيث ان شخص بهاك ما زارني مرة الا وعاتبني على هذا الانقطاع ونسب اليّ الظلم وسبب هذا البعد فعرفت ذنبي وتاكدت اني الظالم وانك المظلومة . نعم انا كنت السبب في كل ما جرى وكان من هذا البعاد وعلى الدوام وانا الذي سببت لك الهم والحزن . ابعدتك عن اهلك وحملتك مشاق الاسفار والاوجاع والغربة والاهوال بعد ذاك الترفه والتنعم والدلال والعز الذي كنت عليه في بيت ابيك وفوق كل ذلك لم اف حق حبك ولا اتمت بواجباتك لاعيضك بدل ما تلاقينه فاعذريني ولا تلومينني بل سامحيني فان قلبي باقٍ على الحب ولي امل وثيق ان كل هذه الاهوال والمصائب والعذابات ستكون هناء وراحة وسعادة لي ولك فسامح الله اباك الذي اراد ان يقهر غايتنا ويدوس راحتنا ويجلب كل هذا العناء لي ولك لا بل لعن الله بختك الوزير الخائن الناكث الخادع اذ انه منبع العداوة واصل كل هذه الشرور ولولاهُ الان لكانت باقية في المدائن وكان انتهى زفافنا منذ زمان وكنا بجانب بعضنا نلاقي لذة المعيشة وهناء الزواج واني اسال الله ان يقدرني من الوصول اليه لاشفي غليل قلبي منه واذيقه الموت الاحمر جزاء على اعماله والان قد بعثت بالكتب الى سائر الفرسان اوصيهم بالمحافظة على راحتك اذ لا شيء يشغلني عنك وامرك افضله على كل امر واريدك على الدوام ان تكوني مرتاحة مطمئنة البال من نحوي فاني بعد قليل من الايام اكون عندك واشرح لك العذاب الذي لقيته في سفرتي هذه غير انه قد انقضى وزال واصبحت براحة عظيمة وقد التزمت بالرغم عني ان اتزوج باحدى بنات الجان وهي بنت الملك الذي قتلته واسمها اسما بري لانها وقفت في طريق رجوعي الى بلادي وحاربتني محاربة عظيمة ولولا تأكدي ان زواجها قدر عليّ وانه لا بد منه لفضلت الموت عليه وساتركها بعد خمسة عشر يومًا حيث اشرطت عليها ان لا اقيم معها اكثر من هذه المدة فمنّي نفسك بقرب وصولي اليك وكوني براحة مع اخوتك فرساني وها ان اخي عمر قد عاد اليكم بعد ان خطر لكم وتوهمتم انه مات واوصلته الوصية الكبرى

ان يكون يخدمك كما كان وهو يخبرك بحالي انا الغريب عنك وعن وبحالي فمها حصل لي من الراحة وانا على هذا البعاد فاحسبه ويلاً وعذابًا وكدرًا ممزوجًا بالشقاء فراحتي ان ارى في كل صباح ومساء وهنائي ان اسمع عذوبة الفاظك في كل آن فتنزل على مسمعي وعلى قلبي اشهى من كل شيء واردّ من الماء الزلال فسقيًا لتلك الايام القليلة التي صرفناها في ارض مكة المطهرة اراك وتريني واسمع كلامك وتسمعين كلامي وكل واحد منا يقدم للاخر قلبه ويطرح بين يديه نفسه اني اتذكرها ودموعي لا تنقطع دقيقة وقلبي يخفق على تلك الساعات التي كظل الخيال . ثم كتب في اخر التحرير

فؤادٌ كما يهوى هواك معذبُ | وقلبٌ على جمر الاسى يتقلبُ
وعين اذا ما جفت الحزن دمعها | اتت بدموع من دم القلب تسكب
تيقنت ان لا صبر لي عنك ساعة | فاقصيتني اذ ليس لي عنك مذهب
وذلتُ بحكم الحب نفسي ولم تكن | وليس لمن يهوى عن الذل مهرب
وعلمتني كيف التوجع والبكا | وكيف اداري الكاشحين وارهب
واعرضت فاخترت الحمام على البقا | وورد الردى لي دون بعدك يعذب
فان تردني الاشواق مت بحسرتي | وان تبقني قاسيت ما هو اصعب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم | واين من المشتاق عنقاء مغربُ
غريب غريب الهم والقلب والهوى | ونفسي التي تهوى الردى لي اغرب
تري الماء كالسم الزعاف مع الظما | اذا كان من كف المقطب يشرب
اقول لحرٍ يبتغي صفو ساعة | من الدهر ان النجم من ذاك اقرب
اتطلب في الدنيا الدنية راحة | وانت كريم النفس حرٌ مهذبُ
سقاني نقيع السم في الشهد ريقها | على انني طبٌ بها ومجربُ
تغرُ بزور ثم تفتك بالفتى | وقد يخدع الوغد الشجاع فيضرب
فلا تركنن منها لسلم تريكه | فكم غادر يبدي الرضى وهو مغضب
تلين خداعًا للمقلب كشحها | كما لان بطن الافعوان فتسلب
تجنبت اخلاق اللئام فخانني | وعاقبني دهري كاني مذنب
فكم قائل فيك انقباض ووحشة | فقلت له لا بل من الذل اهيب
كأن على الايام حزني واجب | فيا كبدي ذوبي فذلك اوجب

وبعد ان فرغ الامير حمزة من كتابة الكتاب دفعه الى اخيه عمر العيار وقال لكندك المارد اوصله الى القلعة التي جئت بو منها ولا تفارقه الى بعد ان تاخذ العرب القلعة هذا بعد

ان توصل القاضي الى مكة المطهرة فاطاع كندك لما رد الامر وفي الحال حمل الاثنين وطار بهما حتى جاء مكة فوضع القاضي هناك واما عمر فانه لم يقبل ان ينزل عند مكة بل قال للمارد خذني الى ناحية القلعة وانزلني بعيداً عن معسكر العرب بنحو ساعتين فاجاب سؤاله وسار به حتى اوصله الى قرب قلعة قطمين فانزله هناك واقام بعيداً عنه لا يظهر نفسه لاحد ثم مشى الى ناحية العرب ليظهر لهم نفسه

قال وكانت جماعة العربان بعد ان راوا ما راوا من مصاب عمر وشاهدوه وقد دفع الى السحاب ولم يروه فيما بعد فثبت عندهم كل الثبوت انه مات لا محالة وانه وقع في غير جهة من المدينة فلطموا على خدودهم وبكوا وناحوا واقاموا له عزاء لم يسبق ان وقع مثله لاعظم ملوك ذاك الزمان وكان اعظم الجميع كدراً مهردكار لانها كانت تتسلى به وكانت امينة على نفسها من غدر الاعداء ما دام هو قريب منها ولذلك ندبته وبكته بكاء مراً ولبست عليه الحداد وصرفوا نحواً من ثلاثة ايام والعرب تطوف حول الخيام وتندب عمراً مقدامها وقد تقطعت ظهورهم وشعروا بشدة احتياجهم اليه وهم لا يعرفون ماذا تصل اليه حالتهم . وفي اليوم الرابع ضاق خلق اندهوق بن سعدون من الحالة التي هو فيها وفكر ان الامير حمزة هو في جبال قاف وان الامير عمر قد قتل وان مهردكار هي معهم ولا يمكنهم ان يتركوها ولا يعلموا في اي وقت ياتي حمزة واذا اتى فماذا ياترى يقولون له اذا سالهم عن عمر العيار الذي يحبه محبة عظيمة وخاف من ان الفرسان تتفرق وتضعف قوتهم ويقل املهم فينشتتون ويتبددون ولهذا خرج من بين الخيام واوسع في البر ليبعد عن فكره هذه الاوهام ويلتهي بالصيد والقنص ذاك النهار وفي المساء يجمع العرب ويحلفهم بالله ان لا يترك بعضهم بعضاً الى ان تعود اليهم ايام الهناء ويرجع الامير من سفره . وفيما هو سائر بالفلاة واذا قد راه عمر العيار فقرب منه وصاح به وقال له اهلاً يا اخي اندهوق فما بالك لابس السواد وانا اخوك عمر العيار قد عدت اليكم سالماً فارتاع اندهوق عند سماعه هذا الصوت . ونظر الى جهته فشاهد عمر فلم يخطر له انه هو بنفسه بل ظن ان خياله يعارضه ليثقل عليه بالحالة التي هو فيها . فقال له ابعد عني ايها الخيال فقد كفانا ما القينا لمصرع عمر وما لحق العرب من الحزن لاجله واذرف دمعة على خده ومال بوجهه الى جهة ثانية وسار فيها . فعرف عمر ان العرب بحزن عليه وقد لبسوا السواد وان بكل نيتهم انه قتل وشرب كاس الافات . فاسرع الى ناحية اندهوق وقال له اي خيال هنا انا اخوك عمر وقد جئت برسمي وجسمي واسمي واتيتكم ببشارة عن الامير حمزة ومكتوب لك منه تم لمسه وعارضه ودفع اليه المكتوب فنظر فيه اندهوق وتاكده وثبت لديه انه عمر فرمى بنفسه عن الجواد وجعل يقبله وقال له اين كنت هذه المدة وما الذي اوصلك الى الامير حمزة . قال اقرأ اولاً الكتاب وسر فخبر العرب

بقلبه وسوف تسمع قصتي وقصة الامير حمزة فعاد اندهوق راكضاً على جواده حتى دخل بين العربان وهو من الفرح في برج عظيم وجعل ينادي هيا يا امراء العرب وساداتها وقوادها ويا بشرى واهنا فقد عاد اليكم عمر العيار راس العرب وفخرهم فاسرعوا الى ملاقاته واشكروا الله على ما قد اعطاكم فهو الرحيم المعين . وفي الحال قامت الضجة من العرب واكثروا من الصراخ والصياح وانحدروا الى ناحية اندهوق فجعل يشير اليهم بيديه ويقول لهم هيا اسرعوا من هذه الطريق فهو بانتظاركم ان تصلوا اليه فاخذوا يركضون افواجاً افواجاً وصياحهم قد ملأ الارض ولما راوه رفعوه على ايديهم وجعلوا يتناقلونه ويغنون ويزرغطون ولا سيما جماعة العيارون فانهم كانوا لا يعلمون ماذا يفعلون فداروا به من كل مكان والسنتهم تبربر وايديهم تصفق وعادوا به فرحين مسرورين الى ان التقوا بالفرسان وهم المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل والباقين فنزلوا اليه وسلموا عليه وسالوه عن حاله فاعطى كل واحد كتابة من الامير ففضه وقراه وشكروا الله على سلامته وساروا الى صيوان الملك النعمان واجتمعوا واستعادوا منه الحديث فاخبرهم بكل ما كان من امره من حين فارقهم ودخل القلعة وكيف ان حاكم القلعة غدر به وربطه وامر بقتله وكيف ان كندك كان قد جاء في تلك الدقيقة من قبل اخيه ليذهب به الى جبال قاف واعاد عليهم ايضاً قصة اخيه حمزة وانه تزوج في جبال قاف بالرغم عنه بشرط ان يقيم مع اسما بري خمسة عشر يوماً وبعد ذلك توصله الى بلاده فشكروا الله على سلامته وقال له اندهوق ان ميونك جاء بنفع وخير لنا فكم بالحري حياتك فلا زلت علة خير ونجاح ودليل سعادة واقبال وانا في الصباح سنباكر اهل القلعة وناخذ لانفسنا منهم بالثار ونسير الى طنجة الغرب لنلاقي اميرنا وفارسنا هناك فاننا بشوق الى رؤياه وقلوبنا كادت تنفطر عليه . ثم تركهم وسار الى مهردكار

وكانت مهردكار في صيوانها فبلغها بغتة خبر وصول عمر فطار قلبها ولم تعد تعي الى نفسها وكانت بحزن من اجله فنهضت على غير وعي وخرجت من الصيوان الى الخارج تنتظر قدومه وهي لا تصدق بذلك وبقيت واقفة تسمع صياح العرب وصراخهم ومناداتهم بالافراح والمسرات فثبت عندها ذلك ودخلت فنزعت عنها ثوب الحداد وصارت تدخل الى الصيوان وتخرج منتظرة وصوله اليها وقد ضاق صدرها وعيل صبرها فارادت ان تعرف ماذا جرى عليه ولا زالت الى ان وصل اليها فحياها وسلم عليها وقال لها ان غيابي كان نافعاً قد عدت اليك بخبر عن اخي الامير فطفح السرور بزيادة على قلبها وقالت اين اخوك وما هو الخبر الذي جئتني به منه قال ان اخي هو في جبال قاف عند اسما بري وله حديث طويل وعما قليل من الايام يكون عندك واعطاني هذا الكتاب لك . ثم ناولها الكتاب فاخذته منه ووضعته بيدها لتقراه

بانفراد وجعل قلبها يخفق شوقاً الى مطالعتهِ والوقوف على كل ما تضمنهُ والنظر الى تلك الاسطر التي كتبها حبيبها . وبعد ان فرغ من اعادة حديث اخيهِ عليها تركها وذهب الى جماعتهِ العيارين وقال لهم اتبعوني الى الفلا فاني احضرت لكم من ذهب جبال قاف الكبير العيار شيئاً كثيراً . وسار امامهم فساروا من خلفهِ حتى جاء اكمة في تلك الناحية فصعد عليها وقلبهُ فرح مسرور ببذل الاموال لهم واخرج الجراب من وسطهِ ووضعهُ امامهُ وجعل ياخذ قبضة بعد قبضة ويرشها عليهم وهم يتسابقون الى التقاطها وهو يضحك منهم ويسرّ من مسارعتهم وفرحهم بعطائهِ حتى فرغ الجراب فاسود قلبهُ وحزن على فراغهِ وتمنى ان لا ينقطع عن هذا العمل كل عمره حيث كان كريماً نهاباً وهاباً . وبعد ذلك رجع الى المعسكر ومن خلفهِ جماعتهُ وكل واحد منهم قد اصابهُ ما يكفي لغناهُ وهم يشكرونهُ ويثنون عليهِ ويمدحونهُ حتى جاءوا خيامهم واقاموا بها واقام عمر على حراسة مهردكار والتطواف بالمعسكر كالعادة كانهُ لا راح ولا جاء

واما مهردكار فانها بعد ان ذهب عنها عمر العيار اخذت بيدها الرسالة وجلست على سريرها وهي تتنشق منها رائحة الراحة وتتوسم بها الفرح والمسرة وفضتها بايدٍ ترتجف والقت بنظرها على التوقيع وقرأت اسم حبيبها حمزة فالقت براسها الى الوسادة وقد خارت قواها وخفق قلبها كان الامير قد وافاها بعد غيبتهِ ولبثت نحوًا من نصف ساعة وهي ملقاة على الوسادة حتى قدرت ان تضبط نفسها وتنهض جالسة الى قراءة التحرير فاخذتهُ بيدها واعادت بنظرها عليهِ وتجلدت كل التجلد ووضعت يدها اليمنى على قلبها لتمسكهُ عند ما يطلب الغور والخور وبدأت من اولهِ تقرأ سطرًا وتصبر نحو خمس دقائق لتقدر على قراءة السطر الثاني وما برحت حتى وصلت الى اخره وهي على ما تقدم واذ ذاك عادت الى حالة الاضطراب الذي يحدث عند اشتداد الفرح واتكأت على سريرها تتفكر بمعاني الفاظ حبيبها الرقيقة . قالت لا ريب ان شعورهُ واحساساتهِ من نحوي على الدوام حية وهذا الذي يسليني ويتركني اعلق الامل الكبير العظيم بان ما انا بهِ من المشاق ينتهي الى الراحة هو يحمل هم سفري مع انهُ بعيد عني الوف والوف الوف من الفراسخ بل وملايين الوف من الفراسخ فليهنأ قلبي وليفرح بمن احب وان لم يكن اهلاً لان احبهُ لكان خيرًا لي ان اموت من ان اعيش على عناد ابي ومخالفة اهلي وترك بلادي لكنهُ هو افضل من الجميع وارق على ضعفي من ابي واخي وامي ولكن بماذا يا ترى اقدر ان اكافيهُ على مثل هذا الحب والخلوص اني احبهُ نعم ولكن لا فضل لي بحبهِ لان ذلك من موجبات عشقي وتطلبات قلبي فلا فضل لي بهِ فيارب كافئهُ عني بما تختارهُ لهُ واجعل ايامهُ طويلة مقرونة بالسعادة والاقبال . وصرفت كل ذاك النهار وتلك الليلة وهي على مثل هذه الافكار تارة تاخذ الكتاب فتعيد قراءتهُ وتمعن بهِ وطورًا تضعهُ على صدرها وتضمهُ بيدها وتلقي نفسها على السرير وافكارها سارحة الى ناحية جبال

قاف وفي الاخير وجدت نفسها مضطرة الى مناشدة الاشعار فاشارت تقول

لا وبرد اللقا ومرّ الفراقِ ما لقلبي من لسعة البين راقِ
كيف يخفى حريق وجد فؤادٍ صير الجفن دايم الاغراقِ
كتمتهُ جوارحي ففشاهُ ناطق الدمع صامت الاماقِ
يا غزالاً عن المحب نفورًا وشهابًا في البعد والاحراقِ
كم اناديك ضرني ما دهاني كم اناديك شفني ما الاقي
فاجرني من الجفون فقلبي مات صبرًا من النفوس الرقاق
واغثني من القدود فاني لست اقوى على الرماح الرشاق
لست ارضى سواك مالك رقي لا تسمني بذلة الاعناق
سامح الله حاجبيك واسما رشقتني باسهم الاحداق
وحمى واضح الجبين لحسنٍ لسناهُ اهلة الافاقِ
كم قطعنا به ليالي وصلٍ في استلام ولذة واعتناقِ
وشربنا من الوجوه خمورًا في الدياجي شديدة الاشراقِ
ورشفنا من الثغور كؤوسًا راحها فيهِ راحة العشاق
وهصرنا من القدود غصونًا طارحتها بلابل الاشواقِ
يافؤادي عن القطيعة صبرًا قد قضى البين بيننا بفراقي
لا تكن عندما تصاب حزينًا ليس بعد الفراق الاّ التلاقي

وعادت منذ ذلك اليوم وان كانت تتذكر الامير على الدوام انما علقت الامل بان في نفس ذلك الشهر يصل اليها كما افاد في تحريرهِ لها

ولما كان غد ذاك اليوم نهض العرب من مراقدهم وتقدم عمر العيار في الاول وصاح بهم ان يتبعوهُ ليسلمهم القلعة وكان الى جانبهِ كندك المارد وهو عازم على قلع الابواب والفتك بالذين داخل القلعة وفي الحال زحفت الابطال والفرسان وسائر الرجال من كبار وصغار وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وهجم كندك على الابواب ففتحها واندفعت العرب الى الداخل وهي مسرورة بذاك الفتح المبين وعمر العيار كانهُ شعلة نار يصيح ويهجم من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار حتى دخل على حاكم القلعة وقال لهُ ويلك ياخبيث ياغدار اظننت ان عمر العيار يموت وهو محروس بعناية العزيز الجبار فاذا قتل اليوم عاش في الغد فارتاع الحاكم واراد ان يدافع عن نفسهِ فلم يمهلهُ بل ضربهُ بالخنجر في صدره اطلعهُ من ظهره وبمدة ساعة ملك العرب القلعة واعتلوا اسوارها وغنموا كل ما فيها وقتلوا كثيرًا من اهلها وبعد ذلك فرقوا بالرجال في كل

نواحيها واجتمع الفرسان الى قصر الحاكم فوجدوا عمرًا هناك وقد قتلهُ فجلسوا وشكروا من عمر وكندك المارد وقالوا لهُ لولاك لما سهل علينا فتح هذه القلعة لانها حصينة جدًّا لا يمكن الدخول اليها الاَّ بالتسليم فقال اني ملزوم بخدمة سيدي الامير حمزة وقد اوصاني ان لا ارجع عنكم ما لم تفتحوها وها قد تم الغرض واريد الذهاب والرجوع الى جبال قاف في هذه الساعة فكتب كل فارس منهم كتابًا الى الامير يخبرونهُ بما كان من امرهم ويشكون اليهِ اشواقهم ويسالونهُ سرعة العودة اليهم قبل ان تاتيهم رجال كسرى وعساكره لانهُ يجمع الفرسان ليسير في اثرهم. وكتبت اليهِ مهردكار كتابًا تشكو من طول بعادهِ وتثني على اهتمامهِ بها وهو بعيد عنها فاخذ كندك المكاتيب وعاد الى جبال قاف ودخل على الامير حمزة وسلمهُ اياها فاخذها وقراها واحدًا بعد واحد وهو متاثر من بعادهِ عن قومهِ وحجره بالرغم عنهُ في جبال قاف وصبر على امل انهُ بعد فراغ المدة تصدق اسما بري فترفعهُ الى بلادهِ وقومهِ في الحال وبعد نهاية المدة طلب اليها ان تامر كندك المارد ان يوصلهُ الى قومهِ فحاولتهُ وقالت لهُ يجب ان تصبر بعد ايام قليلة واحسب نفسك سائرًا في البرية فانك صرت زوجي ولا بد من اعتك لكن ليس الان فاشفق عليَّ واقم ايامًا قليلة فتكدر منها الاَّ انهُ صبر حتى مضى شهر تمام يسالها الانجاز فقالت لهُ لا بد منهُ فكن مرتاحًا ولا بد من ايصالك الى بلادك ووطنك وتجتمع بقومك لكن ليس في هذه الايام وعما قليل تري نفسك بين قومك فصبر ولا زالت تحاولهُ اسبوعا بعد اسبوع وشهرًا بعد شهر ويومًا بعد يوم حتى مضى عليهِ سنة وهو عندها فضاق صدرهُ وعيل صبرهُ ولم يعد يسعهُ البقاء وتذكر حالة العرب وقال لا بد انهم ينفرطون ويتفرقون وقد وعدتهم اني اكون عندهم بعد ايام قليلة فطالت المدة ولا بد ان يشغل بالهم من اجلي ولا سيما مهردكار فانها تموت كمدًا

ولما اشتد عليهِ الحال نهض واصرَّ على الذهاب وسال كندك المارد ان يحملهُ فامتنع وكذلك باقي المردة فاغتاظ منهم وقال لاسما بري قد غششتني وخنت قولك وكذبت بهِ. فقالت اني لا اقبل بعد ان تصير زوجي تفارقني وتبعد عني وصار من الواجب ان تبقى عندي وهل ان التي تحبها هي احق بك مني فتكدر منها وخرج ماشيًا على قدميهِ وترك القصر واستلم الطريق وهو يلوم نفسهُ كيف سمع منها وانقاد لها وطاعها في امر الزواج حتى ابعدتهُ كل هذه المدة عن قومهِ وانهُ لو بقي سائرًا لا بد ان يكون قد لقي الفرج ووصل الى قومهِ وفي المساء قدم لهُ كندك المارد الطعام فاكل ونام وعند الصباح نهض ومشى وقد خالف الطريق على امل ان يرى الفرج وبقي عدة ايام حتى مرَّ على صومعة في لحف جبل فانشرح صدرهُ وقال ان هذا المحل لا بد ان يكون بهِ رجال من الانس مستخدمي الجان الذين يقال لهم حكماء وكهان فعرج الى تلك الصومعة وهو منشرح الصدر يسال الله ان يكون الفرج هناك ولما وصل اليها طرق بابها فخرج اليهِ

خدمة من الجان فسلم عليهم وقال لمن هذه الصومعة ومن يسكنها فقالوا لهُ هي لاميرنا جوكدان وهو في الداخل فادخل عليهِ واسالهُ غرضك فيجيبك اليهِ في الحال ففرح ودخل على الامير جوكدان وسلم عليهِ وقال لهُ اني اتيتك لاجل قضاء مصلحتي فاعني وارحمني فقال لهُ مرحبًا بك ثم امر ان يقدم لهُ الطعام فاكل وهو مسرور لانهُ راى في جوكدان سمة اللطف والكرامة وبعد ذلك استعاد منهُ حديثهُ فحكاهُ لهُ من الاول الى الاخر وما جرى لهُ مع اسما بري وسالهُ ان يتسبب بوصولهِ الى بلادهِ . فقال لهُ مرحبًا بك فلا بد من ان اوصلك الى بلادك بوقت قريب فاني اعطيك جوادًا سريع الجري وهو يوصلك لكن ينبغي ان تحافظ عليهِ . فوعدهُ بذلك وفي الحال امر ان تدفع اليهِ فرس توصلهُ الى بلادهِ فسلمهُ الخدم الفرس فسرَّ بها وشكرهُ على معروفهِ وركب الفرس وسار واطلق لها العنان فطارت بهِ على وجه الارض مسير الريح الى ان امسى المساء فنزل الى الارض واذا بكندك المارد قدم لهُ الطعام فاكل ونام مسرورًا وفي ظنهِ ان يصل الى بلدهِ قريبًا وفيما هو نائم سمع صوت صهيل قوي فنهض مرتاعًا واذا بهِ يرى جوادًا بقدر الفيل الكبير لم يرَ مثلهُ بطول عمرهِ يعلو ظهر الفرس وقد جاءها من البر فاستل سيفهُ وضربهُ فقتلهُ وكانت قد علقت منهُ والامير لا يعلم بذلك بل بقي باقي تلك الليلة نائمًا وفي اليوم الثاني ركب الفرس وسار كالنجم اذا طار حتى كان المساء فنام وهو ميقن انهُ ما عاد يحتاج الى اسما بري ولا يفكر فيها فيما بعد كونهُ راى منها الغدر والغش والخيانة وفي الصباح نهض وطلب الفرس فلم يجدها فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ لها اثرًا فاغتاظ وتكدر جدًا واذا باسما بري تناديهِ وتقول لهُ لا تفتش على الفرس فهي عندي وقد سرقتها منك في الليل فلا تطمع نفسك بان احدًا يقدر ان يوصلك الى بلدك وقومك غيري فاسمع مني وارجع الى قصري سبعة ايام اخر وبعد ذلك ارسلك الى المكان الذي تطلبهُ فقال لها اني ما عدت اصدقك قط لانك كما كذبت في الاول تكذبين في الاخير واني سأسير ماشيًا واستل سيفهُ وهجم على اسما بري فهربت فاحترق فؤادهُ منها وذهب في طريقهِ ماشيًا مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم منهُ كندك المارد وقال لهُ اعلم ياسيدي ان اسما بري وضعت بنتًا وقد طلبت اليَّ ان اخبرك بذلك فهل تريد ان ترجع اليها وتنظرها فتحركت احشاء الامير حمزة وكان لم يرَ الاولاد بعد وحنَّ الى روية بنتهِ الجديدة فقال لكندك ارجعني لاراها فحملهُ في الحال وعاد بهِ الى جبال قاف الى قصر اسما بري كانهُ ما قطع شيئًا من الطريق ولما دخل القصر وجد انها ولدت بنتًا كما اخبرهُ كندك فاخذها على ساعدهِ وقبلها وهو فرح بها وسماها قريشة ووجد نفسهُ مضطرًا ان يقيم عند زوجتهِ وبنتهِ مدة ايام اخر فسرَّ ذلك اسما بري وبقيت معهُ بسرور وفرح تكرمهُ وهي من شدة عشقها بهِ لا تكاد تعرف ما تصنع معهُ وتتمنى ان يبقى كل عمره عندها وبعد ان صرف مدة طويلة قال لها يكفي

هذه المدة فاني باضطرار الى الذهاب والوصول الى قومي فانهم بحاجة اليّ فقالت ان الوقت لم يحن بعد ومن الضرورة ان تبقى عندي وعند بنتك ودع عنك العرب ومن هناك فهذا نصيبك ان تعيش هنا وتموت هنا فتكدر منها واقسم بالله العظيم انهُ ما عاد يرجع الى جبال قاف وانهُ سيسير في طريقهِ اما يموت واما يعيش و يصل الى رجالهِ وسار من هناك يمشى اياما عديدة وهو صابر على نفسهِ ياكل ويشرب من كندك المارد ولا يعرف من اين يصل ولا ماذا يوصلهُ الى بلادهِ حتى كان في صباح ذات يوم نهض واذا باسما بري واقفة امامهُ فقال لها ماذا تريدين مني فارجعي عني واتركيني فكفى كل ما وصل اليّ منك . قالت اني اتيت بامر فيهِ الخير والنجاح لك وهو ان الفرس التي اخذتها من عند جوكدان ولدت مهرًا لا يوجد لهُ نظير لا بين خيول الانس ولا بين خيول الجان ولا بد اذا رايتهُ فضلتهُ على كنوز الارض وهذا هو الجواد الذي يوصلك الى بلادك فاذا رجعت واقمت عندي مدة ايام الى ان يكبر سرت عليهِ او اوصلك انا . فطار عقل حمزة عند سماعهِ هذا الكلام وتعلق قلبهُ بهذا المهر ومالت نفسهُ الى ان يراهُ لان قلبهُ كان معلقًا عند الفرس وهو يحب و يرغب ان تكون معهُ في بلادهِ ليحارب عليها لشدة جريها وقوة قوائمها . فقال لاسما بري ارجعيني الى قصرك لارى هذا المهر وقد نوى انهُ يحتال ليحصل على الفرس فيركبها و يسير عليها و ياخذها مع ولدها فسرّت من كلامهِ ورجعت بهِ حالاً وهي مسرورة بان يبقى عندها بعض ايام اخر وبعد ان استقربهِ القيام قال لها اريني المهر فذهبت بهِ الى الاصطبل وارتهُ الفرس وفلوها فلما راها طار عقلهُ ونظر الى المهر وهيئتهُ وامعن في شكلهِ فاعجبهُ جدًّا ونسي امهُ عندهُ وكان بظهره ريشة اذا قوّمها تخرق الحديد وفي وجههِ وبين عينيهِ صبحة بيضاء تشير الى ان راكبهُ مسعود . مقلم الاذان واسع الكفل فدعاهُ غزال الجان . وقال لاسما بري اني ابقى عندك الى حين يكبر هذا الجواد حيث مرادي ان اربيهُ على يديّ واعتني بهِ بنفسي ففرحت من ذلك وقالت لهُ افعل ما شئت وعرفت انهُ لا بد ان يحتاج ذلك الى عدة شهور او بالحري سنة كاملة ليمكنهُ ان يركبهُ واقامت معهُ على حسب العادة تصرف اكثر وقتها بجانبهِ وتخدمهُ وتقدم لهُ احتياجاتهِ وبنتهُ قريشة تكبر وتترعرع وهو منصرف بكل همتهِ الى الاعتناء بغزال الجان اي جوادهِ الصغير وامهِ حتى مضى على ذلك عدة اسابيع وشهور حتى اصبح للامير من حين خروجهِ من مكة المطهرة الى ذاك اليوم مدة سنتين ونصف تمامًا

فذات يوم كانت اسما بري غائبة عن القصر وهو منفرد بنفسهِ تذكر اهلهُ وقومهُ ومهرد كار فبكى وحزن حزنًا عظيمًا ولعن تلك الساعة التي جاء بها مع الراعد ونهض الى القصر فاخذ منهُ زادًا لطريقهِ فوضعهُ على الفرس وركبها واطلق لها العنان في مسلكهِ الاول فجرت بهِ كالبرق الخاطف ومن خلفها ولدها غزال الجان يسبقها بالجري وحمزة فرحان بهِ الفرح الزائد ولا برح

يجد السير حتى مضى عليهِ نحو عشرين يوماً وهو مسرور انهُ عن قريب يصل الى بلادهِ وقومهِ وفي اليوم الحادي والعشرين نهض من نومهِ فوجد الفرس مقتولة ومقسومة الى قسمين والمهر واقف بجانبها ينظر اليها حزيناً فطار صوابهُ وغاب عقلهُ واستل سيفهُ وصاح من الذي فعل هذا الفعل لاقطع ايادبهِ واعدمهُ الحياة . فظهرت اسما بري عن بعد وقالت لهُ انا التي قتلتها كي لا نصل بك الى بلادك . فقال لها يا بنت الحرام ونسل اللئام الى متى هذا العذاب لا تاخذيني الى قومي ولا تدعي احدًا يصل بي اليهم فلعن الله اليوم الذي عرفتك بهِ ورايت وجهك هذا المنحوس الطالع فلا عدت تطمعين نفسك قط برجوعي بعد ان قطعت هذه المسافة ولو كنت اموت واذوق كاس الفناء والبلاء

ثم انهُ اخذ لجام الفرس وسرجها واسرج المهر ووضع اللجام في فمهِ وركبهُ وسار في طريقهِ متكدرًا جدًا من عمل اسما بري وحزيناً على الفرس فتركتهُ لترى النهاية وامرت كندك ان يقدم لهُ كل ما يحتاجهُ من طعام وشراب حتى مضى على ذلك عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر نهض حسب عادتهِ واراد ان يركب غزال الجان فلم يرهُ فاغتاظ جدًا وخاف ان يكون قد افلت وسار في البر فاراد ان يفتش عليهِ واذا باسما بري ظهرت عن بعد وهي تضحك وقالت لهُ عبثاً ترجو ايها الامير فانك ما عدت ترى جوادك بعد الان الاَّ اذا كنت ترجع معي الى بلادي فاحضره لك لاني سرقتهُ منك و بعثتهُ الى كنوز السيد سليمان . فقال لها قبحك الله من خبيثة محتالة قلت لك اني لا ارجع فلا ارجع ولو هلكت ومت فقد يئست من الحياة وصار شرب كاس الحمام احب علي جدًا من النظر الى قباحة هيئتك . ثم اعرض عنها ومشي في طريقهِ وهو يكاد لا يرى الطريق لشدة غيظهِ وكدره وحزنهِ وكل اميالهِ وحواسهِ عند الجواد كيف انهُ بعد ان تعب التعب العظيم بتربيتهِ والاعتناء بهِ تاخذهُ وتبعدهُ عنهُ وزاد كرههُ بها حتى صار اذا فكر بها شعر بان الدنيا اسودت في وجههِ وجعل يمشي وهي تحاولهُ وتريد ان تقنعهُ ليرجع عن غيهِ وهي تاتي لهُ بالجواد اذا اقام بعد عندها سبعة ايام اخر وهو لا يرعوي ولا يصغى ولا يسمع بل يسير هائماً على وجههِ مرة الى اليمين ومرة الى الشمال حتى مضى عليهِ نحو ستة اشهر تقريباً وهي ترجع الى جبال وتوكل بهِ كندك المارد ثم تعود الى محاولتهِ ومراوغتهِ فيطردها ويشتمها

قال وفيما هو سائر على تلك الحالة اذ لاحت لهُ عن بعد قلعة مبنية في جانب من الطريق فهلع قلبهُ وطار فوادهُ وامل ان يرى هناك من يساعدهُ ويعينهُ على الوصول الى معسكر العرب ولا زال سائرًا حتى دنا من القلعة فوجدها مقفلة وهي بباب من الحديد فاستل سيفهُ وضربهُ بهِ فخرقهُ ثم اعاد عليهِ الضرب ثانياً وثالثاً حتى فتح بهِ نافذة فدخل منها وصار في الداخل وجعل يطوف فيها من مكان الى مكان فوجد ماردًا من الجان مقيدًا بالسلاسل في احدى الغرف فترحب

به وقال له ادنُ مني وحلّ لي هذه السلاسل فقال له لماذا انت مقيد هنا وما هو السبب الذي اوجب حبسك في هذا المكان . قال هو اني كنت احب اسما بري وعاشق لها وطلبت من ابيها ان اتزوج بها فسالها في ذلك فامتنعت ورفضت طلبي فاردت ان اجبرها عليه لاني اقدر منها فدخلت باب الخداع وابدت قبولها وجاءت عندي واسكرتني وبالاخير امرت قومها بتقييدي بهذه السلاسل وانا ثامل وقليل القوى وجاءت بي الى هذا المكان فحبستني به فاذا حللت قيودي كان لك الخير العظيم ومهما طلبته اقدمه لك . قال واذا اطلقتك ماذا تعمل باسما بري . قال اذا كانت لا تزال بكرًا تزوجت بها ورغمتها ان تقبل بي . فقال اذا كان هذا ظنك فلا وفق ان تبقى مقيدًا . قال ولماذا . قال كي لا تقرب من اسما بري ولا تطمع نفسك بها حيث صارت لغيرك . قال ومن تزوجها . قال تزوجها الامير حمزة فارس برية الحجاز وقاتل ابيها واعاد عليه القصة من اولها الى اخرها . فقال له اني قلت لك انها ان كانت بكرًا تزوجت بها والا فلا عدت اقربها لاني احب الله وارهب جانبه ولا اسلك طريق الحرام والتعدي على الغير فقال اذا وعدتني بذلك اطلقتك تحت شرط انك توصلني الى كنوز السيد سليمان بن داود فاقسم له بالله ان يفعل ذلك فتقدم منه وكسر قيودهُ واطلق سراحهُ وقال له فِ لي بوعدك فاجابه وحمله في الحال وطار به وبايام قليلة اوصله الى كنوز السيد سليمان وتركه هناك وذهب عنه فدخل بين تلك القصور الشاهقة وهو ماخوذ من حسن ابنيتها وارتفاع جدرانها واكثرها مصفح بالذهب والفضة ومشغل بالاشغال العجيبة ومنقوش النقش البديع بما ياخذ العقول وهو لا يرى احدًا يقرب منه او ينظر اليه ليسأله عن حاله وعن محل الجواد وجعل يدور من مكان الى مكان وهو بحيرة عظيمة لا يعرف كيف يفعل ولا في اي جهة يكون الجواد ويتكدر من عمل اسما بري واخيرًا ضاق عليه الحال وعيل صبرهُ وشعر بالجوع والانفراد فصاح من صميم فؤادهِ والدموع تنسكب من عينيه . اه ياخضر الاخضر يا ابو العباس اجعل حدًا لهذا العذاب وهذا المشاق الذي الاقيه الم تنتهِ هذه الايام المقدرة بعد . وفي تلك الساعة ظهر عليه الخضر عليهِ السلام كالعادة وقال له ابشر ياحمزة فقد قرب زمن رجوعك الى بلادك وانقضت الايام وما قدر عليك من لدنه تعالى ان تبقى مشتتًا ثلاث سنوات فخر حمزة بين يديهِ فامرهُ ان يقف وان لا يسجد لغير الله تعالى وقال له ادخل الى هذا القصر فتجد بابًا مقفلاً فادفعه بيدك فينفتح وترى جوادك هناك وائتِ به فاني لك بالانتظار . ففعل ما امرهُ بهِ وذهب الى داخل القصر وفتح الباب المقفل واذا به يرى الجواد فرمى نفسه عليهِ وهو طائر الفؤاد وجعل يقبله والجواد يمرغ راسه عليهِ وبعد ذلك قاده وجاء بهِ امام الخضر فمد يدهُ ولمس ظهرهُ فذهبت الريشة عنه وكان قد سمن وكبر حتى صار يقدر الرجل ان ينام على ظهره بالعرض ومن ثم قال الخضر عليهِ السلام ادخل ياحمزة هذا القصر

واشار الى قصر اخر بالقرب من ذاك فتجد فيهِ عدة لهذا الجواد كان يركب عليها السيد سليمان مرصعة بالجواهر والماس لا تثمن بثمن ولا توجد عند احد ملوك الارض فاتِ بها واسرج الجواد فدخل فرحانًا وجاء بما امره بهِ الخضر وسرج المهر ولجمهُ بلجام سليمان بن داود وكان كلا السرج واللجام مرصعين بسائر انواع الحجارة الكريمة مع اختلاف الوانها حتى يخيل للرائي انهُ كالشمس يضيء بانوار متنوعة . وبعد ذلك التفت الخضر ونادى اسما بري ان تحضر فحضرت بين يديهِ فقال لها اذهبي واتِ زوجك بثوب السيد سليمان الملكي الذي كان يلبسهُ اثناء المواسم والاعياد وهو الثوب الكنوزي المعد لهُ منذ زمان قديم فغابت نحوًا من خمس دقائق ثم عادت والثوب معها وهو يرهج كانهُ الشمس في رابعة النهار ياخذ بالعقول والابصار . فامر الامير حمزة ان يلبسهُ فلبسهُ وهو مندهش منهُ وفرحان بهِ . وظن بنفسهِ كانهُ ملك اربع اقطار الدنيا واخيرًا قال الخضر عليهِ السلام لاسما بري كفاك ما فعلت معهُ فارفعيهِ الان واذهبي بهِ وبالجواد الى حد جبل السد بالقرب من بلاد الانس وهو يذهب من هناك راكبًا جواده فيلتقي بقومهِ ولاعدت تعارضين امرهُ وما انتهى الخضر من كلامهِ حتى اختفى عن العيان وانتشرت رائحة البخور من بعدهِ . وفي الحال تقدمت اسما بري وقبلت يدي الامير حمزة وقالت لهُ اني تحت امرك الان وفي قبضة يدك واسالك المعذرة والعفو عما سبق مني فقال اني عفوت عنك ولولم تاتِ بالجواد الى هذه الكنوز لما حصلت على هذه العدة وهذا الثوب . فارفعيني الان وسيري بي الى المكان الذي امرك الخضر عليهِ السلام فامرت كندك المارد ان يحملهُ ويضعهُ عند جبال السد ففعل ورفعهُ هو والجواد وسار بهِ الى ذاك السد الفاصل بين بلاد الانس والجان فودعتهُ وودعها ودفعت لهُ زادًا كافيًا لعدة ايام ورجعت الى بلادها واقام الامير امام السد كل ذاك النهار الى المساء وفي المساء نام وهو متعجب كيف يقدر ان يخترق ذاك السد ويمر منهُ وصرف ليلهُ مهمومًا وفي الصباح نهض فوجد الخضر عليهِ السلام واقفًا هناك فقال لهُ تقدم يا حمزة وارفع السد بيدك فاعينك اتمر من تحتهِ ولا تخشَ باسًا فان الله معك . فتقدم من السد وهو فرحان الفرح العظيم ووضع يدهُ عليهِ وطلب معونة الله سبحانهُ وتعالى ونادى الخضر الاخضر فارتفع السد في الحال الى فوق راسهِ وهو رافعهُ بيدهِ فمر الجواد من تحتهِ وعليهِ حمزة حتى صار في الجهة الثانية وتخلص من تحتهِ فترك السد فوقع في مكانهِ فنظر اليهِ حمزة متعجبًا كيف قدر ان يرفع مثل هذا الجبل العظيم وشكر الله الذي ساعدهُ على المرور من تحتهِ وفيما هو كذلك سمع الجواد يشرب من الارض وكان ظمآنًا فنظر فلم يرَ ماء فتعجب غاية العجب وفيما هو كذلك واذا بصوت الوحي يناديهِ وقائل يقول لهُ ان جوادك يعيش كثيرًا يا حمزة حيث شرب من ماء الحياة واما انت فلا نصيب لك بهِ فادعهِ يقظان منذ الان . فسماهُ يقظان وتكدر كيف ان جوادهُ سبقهُ الى شرب تلك الماء قبل ان هربت ينابيعهُ

ومن ثم سار وخرج من تلك الارض وبقي سائرًا حتى جاء ارضًا مخصبة فنزل عن جواده وأكل وشرب من مائها وكان معهُ زادًا يكفيهِ لعدة ايام فركب وسار مدة ثم عاد في المساء فنزل وأكل ونام وبقي على مثل هذه الحالة مدة عشرة ايام وقلبهُ مملوءٌ بالفرح حيث كان يرى من ابناء جنسهِ الانس في طريقهِ وتامل قرب الوصول الى قومهِ والاجتماع بهم وفي اليوم الحادي عشر اشرف على مدينة كبيرة جدًا ذات اسوار وحصون وبساتين فعرج نحوها ليقيم فيها اياماً علهُ يعرف شيئًا عن العرب وهل هم قريبون من تلك الجهة وعندما وصل الى المدينة وجد موكبًا عظيمًا خارجًا منها وفي وسطهِ رجل جليل راكب على جواد مسروج بالسرج الذهبي وحواليهِ الخدم والعبيد والى جانبهِ غلام وكانت تلك المدينة مدينة الملك النجاشي ملك الحبشة وذاك الرجل هو نفس الملك ومعهُ ولدهُ ابراهيم ومن عادتهِ ان يخرج في كل صباح الى التنزه ومن ثم يعود مع ولدهِ الى المدينة فصادف في ذاك اليوم خروجهُ عند اتيان الامير حمزة البهلوان ووصولهِ الى قرب الابواب

قال ولما راى النجاشي الامير وشاهد ما عليهِ من الماس والجواهر ونظر الى ذاك الجواد العجيب وراءه سرجهُ المرصع باليواقيت والجواهر تعجب وطار عقلهُ وطمع باخذ هذا الجواد تعشقًا عظيمًا وعاد لا يقدر ان يرفع نظرهُ منهُ وارسل احد خدمهِ اليهِ وقال لهُ اعطِ مهما شئت بشرط ان يسمح بالجواد واذا اصرَّ على الامتناع فتهدَّدهُ اني اخذهُ منهُ جبرًا فتقدم الرجل من الامير وسلم عليهِ وقال لهُ ان سيدي الملك النجاشي صاحب هذه البلاد وسلطان سلاطين الحبشة واسع البلاد وغزير الاجناد وقد ارسلني لاعدك انهُ يعطيك مائة سيف ومائة ناقة ومائة صولجان وعشرين الف ذهب اذا قدمت لهُ هذا الجواد ويكرمك الاكرام الزائد والاَّ اخذهُ منك بالرغم عنك . فاغتاظ الامير حمزة عند سماعهِ هذا الكلام واحمرت عيناهُ في ام راسهِ وقال للرجل ارجع الى مولاك وقل لهُ ان هذا الجواد اخذتهُ بيوم يثير بهِ عثار الخيل الى السماء ولا اسلمهُ الاَّ بيوم تندفق بهِ الادمية وتجرى بحورها فيسبح بها وغير ذلك لا مطمع لاحد بجوادي . فعاد الرجل واخبر سيدهُ وكان النجاشي فارسًا عظيمًا وبطلاً جسيمًا فقال مرحبًا بهِ واني ساخذهُ منهُ حسب ما يقول . ثم استل سيفهُ وهجم على حمزة وهو يقول لهُ خلِّ عن هذا الجواد وسلمني اياهُ فاعفو عنك واعطيك مهما تريد والاَّ فتذهب حياتك بسببهِ . فضحك الامير عند سماعهِ هذا الكلام وتعجب منهُ كل العجب ولم يبدِ كلمة بل استل من وسطهِ سيفهُ المعهود واخذ الطارقة بيسارهِ وتلقاهُ وكان ولدهُ ابراهيم لما راى عمل ابيهِ خاف عليهِ فهجم هو ايضًا مع سائر الموكب على الامير ودار بين الفريقين دولاب الحرب والقتال والطعن والضراب وكل واحد يصيح من ناحية والهجم على فارس العرب وهو يهدر كما تهدر الجمال ويزأر كما تزأر اسود الدحال ويطعن في الصدور

فبدد الرجال على بساط الرمال وكان قد اشتاق الى الحرب وملاقات الابطال . ففعل فعال المردة في ذاك اليوم الكثير الاهوال وهو كلما انقض على واحد قطعهُ قطعتين واما قبض عليه ورماهُ الى الارض فتنكسر اعضاءهُ ولا يقدر على القيام حتى التقى بابراهيم بن ملك الحبشة فصاح بهِ وخبلهُ ونقل السيف من يدهِ اليمين الى يده اليسار ومد يدهُ وقبضهُ من صدره باسرع من لمح البصر ورفعهُ عن ظهر الجواد ورماهُ الى الارض واراد ان يدوسهُ بجوادهِ واذا بالملك النجاسي قد صاح الامان يا حمزة العربان فقد ارتكبنا خطأً وفعلنا غلطاً فاترك قتالنا واغفر ذنبنا واعطنا الزمام فتعجب الامير عند سماعهِ هذا الكلام ورجع الى الوراء وقال للملك النجاسي من اين عرفتني ولم اخبرك عن اسمي ولا قلت لك اني حمزة فقال اعلم ياسيد فرسان هذا الزمان وفخر ملوكها وساداتها انهُ موجود بكتب علمائنا القدماء ان فارس برية الحجاز سيمر من هذه البلاد وهو يكون موفق الاعمال فيذل الفرس ويرفع شان العرب ومن كان ملكاً على ايامهِ سيسير في ركابهِ ويخدمهُ ويقاتل بين يديهِ الى مثل ذلك من الشرح الطويل المستوفي فكنت اتمنى ان اكون انا ذاك الذي اصادفك حتى لاقيت ما تمنيت واني اعدك ان اكون في خدمتك وبين اياديك انا وجيوشي الغزيرة الجرارة فنقاتل كل عدو لك وندفع عنك كل من يقصد ضرك حيث موجود في كتبنا انك ستهدينا الى الدين الحقيقي . فقال الامير واي اله تعبدون وعلى اي دين انتم . قال عندنا آلهة صنمية نقدم لها الضحايا ونعبدها وهي التي اخذناها من ابائنا واجدادنا وفوق كل ذلك فاننا نقدم عبادتنا وسجودنا على الدوام الى زحل الاله الاكبر . فقال لهُ ان هذه العبادة فاسدة وانكم على غير الحق ومن الواجب ان تعبدوا العزيز الجبار خالق الليل والنهار وواجد الوجود فهو الكلمة والحق ونور من ذاتهِ وفي ذاتهِ القدرة واحد يرى ولا يرى وقد تنزه على كل شبه فهو الذي بكلمة واحدة اوجد زحل وكل ما في السموات والارض . واخذ حمزة في ان يزيدهُ عن الله سبحانهُ وتعالى وعن صفاتهِ حتى استنار عقلهُ وراى الحق وفتح الله لهُ الصواب فقال لحمزة اني اشكرك على مثل هذه العبادة وقد جلي الامر ووضحت لي الحقيقة وقد امنت بالله تعالى وصرت منذ الان وصاعداً على دينهِ فشرف المدينة لنبطل منها كل عبادة غير عبادة الله وتاكل ضيافتنا وترتاح عندنا مدة ايام

فاجاب الامير حمزة طلبهُ وسار واباهُ وقومهُ الى المدينة وكلهم فرحون بالامير حمزة متعجبون من قوة باسهِ وشدة بسالتهِ وقد احبهُ الجميع وقبلوا دينهُ وعند دخولهم المدينة جاءوا قصر الملك واولم الولائم ودعا بجميع كبار بلادهِ وفهم بالامير حمزة وانهُ هذا هو الرجل المنتظر الذي قيل عنهُ في كتبنا وقد وجدتهُ قادماً فاردت نزع جوادهُ فلاقيت منهُ الاهوال فثبت عندي انهُ هو وقد علمني العبادة الحقيقية فمن اجاب كان لهُ الخير والصلاح ومن امتنع كان جزاؤهُ الاعدام فسجد

الجميع لله وتعلموا عبادتهُ وكسروا الاصنام وصارت بلاد الحبشة منذ ذلك الوقت تعبد العزيز الجبار وصرف الامير حمزة مدة ثلاثة ايام عند النجاشي وهو على اكرام واعتبار تذبح لهُ الذبائح وتاتي لزيارتهِ الامراء . وفي اليوم الرابع قال الامير للنجاشي اني اريد السفر الى قومي واحب ان اسالك هل من خبر عندك بامر العرب والعجم . قال اعرف ان كسرى هو قد ثار العرب بجيوش جرارة كالجراد الزاحف ومنذ مدة قد بعث اليَّ برسلهِ يطلب ذهابي اليهِ بجيوشي فمنعت طلبهُ ورددت رسلهُ بالخيبة . قال اذن اسالك ان تجمع بعساكرك وتتبعني الى طنجة الغرب حيث العرب هناك واني ارغب الذهاب اليهم حالاً قبل ان يصابوا بمصيبة وعدـــيــ انهم يقدرون على حرب كسرى عدة سنوات ثم انهُ ودعهُ على امل ان يتبعهُ بعد مدة قليلة وسار على جوادهِ اليقظان وهو مومل بالخير والنجاح ومسرور بمصادقة ملك الحبشة حيث ان جنودهُ كثيرة ولا زال في مسيره يجد السير عدة ايام حتى وصل الى برية واسعة ملتفة الاشجار كثيرة الانهار والعيون كانها الجنة في خمائلها فاكل ما اكل منها وفي المساء لجأ الى مدينة بالقرب من تلك البرية كان قد اكتشفها في النهار وجاء الى احد الفنادق فبات فيهِ وسال صاحب الفندق لمن تلك المدينة فقال لهُ هي لفارس الفرسان وحامي حومة الميدان من يهتز عند ذكر اسمهِ طوائف الانس والجان عمر الاندلسي المشهور بين اهل هذا الزمان . فسكت الامير حمزة عند ذلك ولم يرد ان يظهر نفسهُ وفي نيتهِ ان يقيم اليوم التالي في المدينة ليتفرج عليها ومن بعدهُ يسير في طريقهِ . وعند الصباح خرج من الفندق وطاف في الاسواق وهو لا يفارق الجواد خوفاً عليهِ وجعل يتفرج على الابنية والعمران وعلى منتزهات تلك المدينة والناس تتعجب منهُ ومن هيئتهِ وشكلهِ ومن لباسهِ المرصع باليواقيت وعن سرج جوادهِ المذهب المحجر بالحجارة الكريمة وصرف باقي يومهِ على مثل ذلك وفي المساء رجع الى الفندق على نية ان يسافر في الصباح وكان بعض جماعة عمر الاندلسي حاكم المدينة قد راوا الامير حمزة وراوا جوادهُ فوصفوهُ لهُ فتاقت نفسهُ الى الجواد واستخبر عن مكان وجوده فعرف وارسل في صباح اليوم التالي رسلهُ لتشتريهُ منهُ فجاءوا الفندق بينما كان الامير مزمعاً على الركوب والسفر وقالوا لهُ ان سيدنا بعثنا لنشتري لهُ منك هذا الجواد وندفع لك مهما شئت ثمنهُ فاطلب الذي تريدهُ ونحن ناتيك بهِ حالاً فتسلمنا هذا الجواد . فقال لهم ارجعوا الى سيدكم وقولوا لهُ ان صاحب هذا الجواد لا يسلمهُ الا يوم يسود بهِ نور شمسهِ من غبار الحوافر ويظلم نهارهُ . فليقصر عنهُ والاَّ لاقى شرَّ عملهِ . فعادوا الى عمر يخبرونهُ وركب الامير حمزة وخرج من المدينة وفي كل نيتهِ ان الفرسان ستتبعهُ بوقت قريب فهيا نفسهُ وجعل يمشي الهوينا الى ان نظر عمر قد خرج من المدينة ومعهُ نحو اربعين فارساً من فرسان الاندلس العظام لان رسلهُ كانوا اخبروه بخبر الامير حمزة وجوابهِ فتكدر واخذ هولاء الفرسان واستقصى خبر الامير فوجد انهُ قد بارح

المدينة فتاثر ليغتصب الجواد منهُ و يذيقهُ كاس . لمات غير ان الامير حمزة دار بجواده وقوم سنانهُ واطلق عنانهُ عند سماعهِ صياح الاندلسيين و باؤل من ساعة التقى الاثنان في حومة الميدان ودار بينهما الحرب والطعان وهما كانهما اسدان او ذئبان يتناطحان . تارة يفترقان وتارة يلتحمان . كانهما جبلان راسيان . وكان الامير عمر الاندلسي من الفرسان المشهورة فاقام بين يدي الامير حمزة من الصباح الى قرب العصر فتعجب الامير من شدة باسهِ وسرعة قتالهِ فثبت عندهُ انهُ فارس شديد فزاد معهُ بالقتال واظهر لهُ كل ما تعلمهُ من فنون الحرب وفي الاخير ضرب عمر الاندلسي حمزة ضربة ظن انها القاضية فضيعها بمعرفتهِ وخبرتهِ وقد اسودت الدنيا في عينيهِ وخاف ان يمضي النهار ولا ينال من خصمهِ مراماً فيلتزم ان يبقى الى الغد وهو يرغب في السرعة والانجاز ولذلك صاح بصوت ارتجت منهُ السهول والوديان وهجم على عمر الاندلسي وقد ارعبهُ وضيع عقلهُ ومد يدهُ الى جلباب درعهِ واقتلعهُ من بحر سرجهِ واراد ان يضرب بهِ الارض فصاح الزمام الزمام يا حميّ الكرام فاني دخيل عليك ووقيع امامك ولو عرفتك منذ الاول لما اشهرت في وجهك الحسام . فتعجب الامير حمزة كيف ان الجميع يعرفونهُ وهو لم يظهر نفسهُ فانزل عمر واعادهُ الى جوادهِ وقال لهُ من اين عرفتني وانا لم اظهر نفسي قال ان جماعتي المغاربة قد اخبروني ان في هذه الايام يمر على مدينتنا الرجل المسعود فارس فرسان هذا الزمان وهو الامير حمزة الذي سيذل العجم ويرفع مقام العرب وسالوني ان اترقبهُ لاخدمهُ واكون في ركابهِ حيث ان الملك كسرى انوشروان منذ مدة بعث برسلهِ اليّ وطلب مني ان اجمع العساكر واوافيهِ الى طنجة فسالت حكماء بلادي المغاربة فمنعوني وقالوا لي ان كنت مع كسرى تفرقت عساكرك ولاقيت الاهوال فاصبر الى حين مرور الامير حمزة وقاتل مع العرب فتنال خيراً وتكون على الدوام منصوراً وحيث وجدت من قتالك ما لم اجدهُ من غيرك من فرسان العالم قط علمت يقيناً انك الرجل الذي اخبرت عنهُ وها انا الان عتيق سيفك وتحت امرك ثم انهُ نادى فرسانهُ ان تقدم من الامير وتطلب اليهِ المسامحة والغفران ففعلوا فاصطلح معهم الامير وشكرهم وقال لعمر اذاً اجمع رجالك لحرب العجم قال اريد منك ان تصبر عليّ عدة ايام لبينما اكاتب جماعتي وانظر جيشي واحضر لهُ المؤن والذخائر فابقَ عندنا الى حين انتهي من ذلك . قال لا يمكن ان اصبر دقيقة واحدة فافعل ما انت فاعل واتبعني ولا بد للملك النجاشي ان يمرّ من هنا فتسيران معاً وقد وقع لي معهُ ما وقع لي معك

ثم ان الامير حمزة ودع عمر الاندلسي وقومهُ بعد ان اوصاهم ان يخلصوا ضمائرهم لجهة العرب ويذلوا كسرى الى اخر الايام وسار من هناك في طريق طنجة وهو يتفرج على بلاد الغرب ومدنها وبلادها ويسال ابن صار كسرى وفي اي جهة هو فبعض الناس كان يخبرهُ انهُ آتٍ على

الطريق ولم يصل بعد الى العرب وبعضهم كان يخبره بانهُ لا يزال يجمع الجيوش لان مرادهُ ان يزحف على العرب مرة واحدة فيبيدهم ويبددهم فتأكد ان عدوه لا يزال بعيدًا عن قومهِ ولذلك اطمئن باله وارتاح ضميرهُ وصار يؤمل ان يصل الى قومهِ عن قريب . وبقي يتقدم الى ناحية العرب حتى كاد يقرب منهم

قال وكانت جماعة العرب بعد ان فارقوا قلعة قطمين ساروا من هناك يقصدون البلاد التي قيل لهم ان الامير حمزة ياتي منها ولم يصادفوا قط مانعًا في طريقهم وهم يظنون ان حمزة سيكون بعد ايام قليلة عندهم وداموا في مسيرهم نحو ثلاثة اشهر ينزلون في المدن والبلدان فيقيمون بها عدة ايام ثم يعودون الى المسير وقد ملأت اخبارهم تلك الارض وطاعهم الكبير والصغير وفي الاخير وصلوا الى طنجة وكشفوا البحر المالح فضربوا خيامهم في تلك الجهات وخرج حاكم المدينة وسلم عليهم وعرض عليهم طاعتهُ وبلادهُ لتكون تحت امرهم وقال ان كسرى مكروه منا ولذلك نريد ان نكون في يد العرب حيث من المنتظر انهم هم الذين يخلصون من ذل الاعجام كل مظلوم فشكروهُ على عملهِ ومدحوهُ واثنوا عليهِ ولا زالوا بانتظار الامير وهم لا يعلمون لماذا تاخر عنهم بعد ان كان وعدهم انهُ بعد خمسة عشر يومًا يكون عندهم وعدا عن ذلك فانهم كانوا ينتظرون وصول اخبار كسرى اليهم فكانوا يسمعون عنهُ اخبارًا مختلفة الاَّ انهُ كان موكدًا لديهم انهُ لا بد ان يتاثرهم ويصل اليهم عاجلاً كان او اجلاً وصرفوا الاوقات والشهور على مثل هذا الامر وهم على غير الاستواء مشغلون الفكر والضمير ومرتابون في وصول الامير حتى مضت مدة طويلة فاجتمعوا الى بعضهم ودعوا عمرًا وقالوا لهُ لقد مضى اكثر من سنة ونصف على يوم مفارقتك اميرنا ولم نسمع عنهُ خبرًا ولا وصل الينا ولا بد ان يكون قد اصيب بمصيبة والاَّ ما كان يتقاعد ويصبر الى هذه الايام ويترك مساعدتنا . قال اني اعرف انهُ لا بد ان يصل الينا على ما اخبرنا الوزير بزرجمهر الا اني اظن انهُ بعذاب مع اسما بري لانها تريد بقاءهُ عندها ومراوغتهُ واذا اراد المجيء تخلى عنهُ كما فعل بالاول فانها عذبتهُ عذاب الهون في طريقهِ لا تحملهُ الينا ولا تدع احدًا يحملهُ وهذا هو الامر الذي يعيقهُ ومع كل ذلك فان ضميري يخبرني انهُ في هذه الايام يكون عندنا واني ساذهب في كل صباح الى الفلاة وانظر في المرآة التي اخذتها من رجال الصومعة فان كان في الطريق على وجه الارض او تحت الارض كشفتهُ . فقال لهُ اننا متكلون عليك نطلب منك النظر في امرهِ لنعرف خبرًا عنهُ فتركهم وسار الى الخارج وصعد على اكمة ودار وجه المرآة الى وجه الارض ونظر فيها فتبين لهُ كلما على وجه الارض وما تحتها فجعل ينظر في طرقات الغرب ومعابرها فراى حمزة راكبًا على جوادهِ الجديد وهو بذاك السرج والثوب المزركشين بالذهب وقد اسمرَّ وجههُ من حرارة الشمس وطال شعرهُ في السفر فخفي حالهُ ولم يعرفهُ ولما لم ير

احداً تعجب ورجع مأ يوساً وقال في نفسهِ لا بد ان يكون باقٍ في جبال قاف او هو طائر على اكتاف الجان في السماء وبقي على حراسة مهردكار والقبيلة تلك الليلة . وفي اليوم الثاني خرج حسب العادة فراى الرجل اللابس الملابس الذهبية يهب الارض ركضاً على ذاك الجواد فكان ينظر اليهِ بتعجب وهو لا يعرفهُ ويتعجب من امره ورجع اخيراً كاليوم الاول . وفي اليوم الثالث عاد الى مكانهِ فنظر فراى حمزة على حالهِ يتقدم في ذاك الطريق وهو يقرب منهم فتكدر منهُ وقال لا ارى الاَّ هذا الرجل على حالة السفر وهو يتقدم الى جهة البلد الذي نحن فيهِ فماذا كان يضر لو كان هو اخي الامير حمزة وتمنى ان يكون واصلاً اليهِ ليرشقهُ بنبلة في صدره وينزع عنهُ ذاك الثوب ويسلب منهُ الجواد وعاد ذاك اليوم مكدراً اكثر من الاولين فسالهُ الفرسان ماذا رايت يا امير عمر فقال لهم اني ما رايت الامير قط ولا شاهدتهُ على وجه واني متعجب من ذلك ومع كل هذا فلا بد من وصولهِ بعد ايام لاني اظنهُ في الجوّ على اكتاف الجان يحملونهُ ليوصلوهُ الينا

واما مهردكار فانها كانت في كل هذه المدة تحت الامل والريب تعد نفسها في الاول بان ترى حبيبها وتراها وتمحي سواد تلك الايام الماضية وتغسل اقذار الغربة والفراق بمشاهدتهِ وقيامهِ بالقرب منها وعند اعينها غير ان هذا الامل انقضى وذهب بعد مضي سنة وقطعت الرجاء وجعلت ايامها ايام ياس وكدر فلم تعد تقبل ان تقابل احداً او تجتمع باحد وزاد عليها الغيظ والغضب من اسما بري وخافت ان يكون قضي عليهِ عندها او انها ارغمتهُ الى البقاء في جبال قاف فنسي قومهُ ونسيها وترك بالرغم عنهُ ذاك الحب الذي كان موسساً على الصفاء والطهارة والراحة وهي في كل يوم تدعو بعمر اليها وتسالهُ عن اخباره فيعدها المواعيد الفارغة من انهُ لا بد ان يجيء ولو طال المطال وهي لا تقنع بتلك المواعيد حتى اصبح نهارها ليلاً وشمسها ظلاماً وضعفت وانحل جسمها ورق جداً واخذت وردة جمالها تذبل شيئاً فشيئاً وصارت تشعر من نفسها بالضعف والانحطاط وايقنت انها في النهاية ستموت اذا كان يطول غياب حبيبها وبقيت الى ان كان اليوم الاخير الذي ذهب بهِ عمر الى البرية ورجع مكدراً فدعتهُ اليها وسالتهُ فقال لها ما رايتهُ ولا سمعت عنهُ خبراً وليس هو على وجه الارض مطلقاً فشعرت كأن خنجراً وقع باحشائها يمزقها وكدرتها جداً الحالة التي رات عمراً بها وحسبت انهُ ما كان مأيوساً الاَّ وفي سره خبر مكدر والاَّ ما كان على هذه الحالة مع انهُ بطول زمانهِ ما كان يتكدر ولا قطع رجاءهُ من اتيان اخيهِ وبعد ان اعرض عنها وسار الى الخارج جاءت الى سريرها ورمت بنفسها عليهِ خائرة القوى ضعيفة الحيل فاقدة الحواس وتيقنت ان اواخر حياتها سيكون مكدراً مؤلماً وانهُ اذا ما جاء الامير بعد ايام قليلة ستكون عرضة للفناء فتموت ويدفنها العرب في تلك الارض

وتكون قد وفت حق حبها وما قبلت ان تكون لغيره ولا نست دقيقة واحدة ما عليها من فروض الوفاء لما اعطته قلبها ولم تنسب قط طول غيابهِ الى فتور في حبهِ او برود في صفاتهِ او نسيان في مودتهِ بل كان كل ظنها ان اميا بري التي احبتهُ وزاحمتها فيهِ هي من الجان وهي قادرة على حجر الامير عندها طول عمره وبدونها لا يقدر ان يقطع بلاد الجان ويأتي من تلك النواحي اليها وهذا الذي كان يزيد اشواقها ويمزج الامها باكدارها ويجعلها مقطوعة الامل وكانت على سريرها الى اخر الليل وكان كلما اسود الليل كلما زاد عليها الامر واشتدت الحال وفي الاخير جعلت تندب حظها وتبكي نصيبها وتردد ذكر مصائبها وهي كمودعة لهذه الدنيا تنظر الى كل ما حولها نظر المفارق الحزين المأيوس وقد انشدت بغزارة دمعها

فوالله لا يشفي نزيف هواكمُ سوى خمر انس كان منكم بها سكري
وان يخلُ من تكرار ذكر حديثكم فلم يخل يوماً من مدحكم شعري
اطالب نفسي بالتصبر عنكم واول ما افقدت بعدكم صبري
فان كان عصر الانس منكم قد انقضى فوالعصر اني بعد ذلك في خسرِ
فكيف بقي انسان عيني وقد مضى على ذلك الانسان حين من الدهرِ
سقى الروضة السعد من ارض بابل سحاب ضحوك البرقِ منتحب القطرِ
ورب نسيم مرَّ بي من دياركم ففاح لنا من طيبهِ طيب النشرِ
واذكرني عهداً وما كنت ناسياً ولكنهُ تجديد ذكر على ذكرِ
تجاذبني الاشواق نحو دياركم واحذر من كيد العدو الذي يدري
مخافة مذَّاق اللسان يسرُّ لي ضروب الردى بين البشاشة والبشرِ
وينثر لي حب الوفاء تملقاً وينصب لي من تحتهِ شرك الغدرِ
منازل ما لقيت فيها ندامة سوى انني قضيت في غيرها عمري
فيا ايها المولى الذي وصف فضلهِ يجلُّ عن التعداد والحد والحصرِ
ابثك بالاشعار فرط تشوقي ولا اتعاطى حصر وصفك بالشعرِ

وما وصلت مهردكار الى اخر هذا البيت حتى نهضت واقفة كأن قوة طبيعية حركتها ودفعتها الى الاطمئنان فوقفت مبهوتة تنظر في نفسها وقد وجدت راحة في داخلها على غير قصد منها فتكدرت من نفسها كيف ان ضميرها خالفها وعاندها فطلبت ان تعود الى حالتها الاولى فتبكي وتندب فلم تطاوعها عيونها ولا عادت نزلت دموعها فارتاعت من ذلك وجعلت تمشي في صيوانها والفجر قد بعث بطلائع جيوشهِ الى مفاجئة الارض دفعة واحدة. فقالت متعجبة مالي على غير الواجب في هذا الليل كان سلطان الهم والغم يقترب مني ويدنو اليَّ ويحاربني ويبه-

عني كل راحة وامل والان ارى ذاك السلطان يحب ان يبعد عني خوفًا من انتقمنة لماذا تبارحني الاكدار والويلات وانا اطلبها ولا اريد ان اكون بعد من احبهُ قلبي في غير طريق اليأس والحزن صرفت ميلي وحالي اسود من سوادهِ راحتي مغطى بكثافة النوح والتعداد فلما عند اتيان الصباح اشرق بدر الامل ولاحت شمس الارتياح وانعكست كل تلك الاحوال نعم اني كنت في هذه الليلة خائرة القوى ضعيفة الحيل اندب حظي واطلب المعونة للتحرك واما فاقدتها وقد شعرت بان هذه الحياة عدوة لي وايقنت ان الموت سيكون قريبًا مني والان ارى تلك الغيوم الكثيفة قد انقشعت وانجلت انوار بدورها من خلفها رويدًا رويدًا وقوتي قد عادت بالرغم عن احزاني وعن طلبي مفارقة هذه الدنيا لا بد ان الله سبحانهُ وتعالى قد اراد اظهار امر جديد ما هو يا ترى هل يريد تقويتي وتسليتي عن حبيبي فيساعدني ويريد ان اطرد احزاني كلاً كلاً لا تدعني يا الهي اعيش بعدهُ دقيقة لا اطيق المعيشة ستكون حياتي معذبة مهما اردت ان اتسلى وتسليني فالانسانية بالاتباع بهِ والراحة بالقيام عندهُ ابن كان وفي اية حالة وجد مائتًا او غريبًا او معذبًا . وصرفت مهردكار نحو ثلاث ساعات من اليوم المذكور وفيما هي على ذلك واذا طرق ذهنها اصوات التهليل من قومها فاصغت لتسمع واذا بها سمعت العبيد يصفقون ويقولون جاء الامير جاء الامير . فوقعت الى الارض من الفرح واسندت براسها الى السرير وغابت عن هداها

قال وكان في صباح ذاك اليوم نهض عمر العيار واخذ مرآتهُ وخرج من المعسكر ونظر فيها بعد ان وجهها الى جهة البر فراى حمزة يدنو منهُ وهو آتٍ على ظهر ذاك الجواد وقد اصبح بعيدًا عنهُ نحو ساعة فاطمأن بالهُ وقال لا بد لي من ملاقاتهِ ونزع ما عليهِ فان لي اربعة ايام اراهُ يدنو الينا وقصدهُ المرور من ناحيتنا فاغلق المرآة ووضعها في جيبهِ واخذ قوسهُ وسهمهُ واطلق ساقيهِ الى جهة الامير حمزة وهو كالبرق الخاطف وقد حدثتهُ نفسهُ بالانتقام منهُ ولا يعلم انهُ اخوهُ وكان الامير يتقدم بسرعة البرق على ذاك الجواد وهو يخطف مسرعًا في جريهِ حتى كادا يصلان الى بعضهما واذ ذاك اراد عمر ان يضع سهمهُ بقوسهِ ويوترهُ واذا بحمزة قد ناداهُ وكان ادرك غايتهُ وقال لهُ لا تفعل يا وجه القرد فاذا كنت خلصت من الجان فكيف اقتل منك . فلما سمع صوتهُ عرفهُ فقفز في الهواء وصفق من الفرح وانطلق حتى قرب من اخيهِ فرمى بنفسهِ عليهِ وهو يقبلهُ والامير يفعل كذلك وكلٌّ منهما يبكي ثم ان عمرًا تركهُ وكرَّ راجعًا حتى دخل المعسكر وجاء صيوان الملك النعمان والفرسان مجتمعون في ذاك المكان . فلما راوهُ قالوا ما وراءك من الاخبار قال لهم اني موكد ان اخي حمزة مات وشرب كاس الافات . فقال لهُ اندهوق بن سعدون ان حالتك حالة مسرة وفرح فبشرنا بالخبر اليقين ولك مني خمسمائة دينار قال اجمع المال من

الجميع فأخبركم ان اخي حمزة قد جاء فقالوا واين هو الان قال متى قبضت المال اخبرتكم عنهُ فدفعوا لهُ كل واحد خمسمائة دينار فقال لهم اتبعوني لتروهُ وهو على ذاك الجواد بهيئة الملك سليمان بن داود وكرّ امامهم وكرت العرب من خلفهِ وقد عم الخبر الكبير والصغير والسيد والحقير فتحرك الجميع لملاقاتهِ وهم لا يصدقون ان يروهُ بعد ذاك الغياب الطويل فمنهم من كان يركض ماشيًا ومنهم من كان يركب برذونًا بسرج ومنهم بلا سرج ولا لجام واكثرهم كان يركض بلا حذاء حافي الاقدام مكشوف الراس ليسبق غيرهُ الى تقبيل ايديهِ والسلام عليهِ وكان صياح العرب اشبه بغوغاء الحرب عند اشتدادها حتى كان لا يعي الاخ على اخيهِ ولا الوالد على ولدهِ ولا الرفيق على رفيقهِ وبمدة قليلة التقوا بالامير حمزة وهو كالكوكب الوضاح يضيء بانوار ما عليهِ من الماس والجواهر والحجارة الكريمة وحال وصولهم اليهِ جعلوا يقبلون يديهِ وهو يسلم عليهم ولما راى الملك النعمان واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل واسطون الحكيم وباقي الاعيان تقدم منهم وسلم عليهم وسلموا عليهِ وفرحوا بهِ وشكروا الله على رجوعهِ سالمًا ووصولهِ اليهم قبل وصول الاعجام .

وبعد ذلك عادوا جميعًا الى الخيام وهم ... الفرح في ما لا مزيد عليهِ وشعروا براحة البال واطمئنان الخاطر وحسن المستقبل ولما وصلوا ... صيوان الملك النعمان دخلوا اليهِ وجلس كل واحد في مكانهِ وجعل الامير يسال عن عموم الفرسان والرجال وهو يشكر الله الذي ما فقد احد منهم ولا تبدد شملهم ولا تفرقوا قبل مجيئهِ حتى ... راهم مثل ما فارقهم واخيرًا سالهم عن العجم وعن كسرى فقال لهُ اندهوق بن سعدون اننا ... هذه المدة بانتظاره ولم يصل الينا ولا قدم علينا بل اننا على الدوام نسمع الاخبار من السياح والتجار ان العساكر ترد اليهِ وتجتمع عندهُ وهو يتعدد ويتهيأ ومرادهُ ان ياتي الينا بجيش عظيم جدًّا لا يعرف اولهُ من آخرهِ وفي نيتهِ ان يبيدنا دفعة واحدة والحمد لله الذي جئت قبل مجيئهِ ... وان كنا نعرف ان بنا الكفاءة لحرب كسرى ورجالهِ مهما كان عددهم وكانت قوتهم غير اننا نعلم اننا نتعب ويطول علينا المطال لان العرب اذا ما سمعوا صوتك وراوا ... اشتدت اعصابهم وقاتلوا قتال الابطال وبالعكس الفرس اذا ما سمعوا صوتك في وسط المعمعة تضعف عزائمهم ولا يعود لهم رجاء وما ذلك الا من الله سبحانهُ وتعالى وفضلاً عن ذلك ... رجال العرب وانت بينهم يقاتلون كالاسود واذا بعدت عنهم يقاتلون قتال الناس . فقال ... اني اتوكل على الله تعالى واتامل ان لا عدت من الان وصاعدًا افارق جيشي ولا بد من قضاء ... بيننا وبين العجم في هذه المرة وقتل بختك اللعين الذي يحرك النار ويضرمها في كل آن وزمان

وما صدق الامير حمزة ان انتهى من السلام على العرب حتى نهض وسار الى صيوان مهردكار

ولا يمكننا أن نقدر على تفصيل ما وقع بينهما عند الملاقاة فان كلاً منهما كان لا يقدر أن يضبط نفسه ولا يمسك قلبه ولا يحبس دمعه ولا يعقل عقله بل عند ملاقاتهما ارتميا على بعضهما يقبل الواحد الاخر بدون وعي وبدون فكر وقد دعتهما دواعي الحب والتلاقي الى وجوب شفاء الغليل وقتل نفس البعاد والنوى باسب منهما وهما في لذيذ عيش ساعة لم يمر عليهما بعد الذ منها وهما تارة يتهضان ويتعانقان. وتارة يجلسان وينظران الى بعضهما ولا يصدقان بهذ التلاقي وادمعهما ترسل من الاماقي على الخدود استبشارًا وفرحا والسنتهما منعقدة عن الكلام حتى ان مهردكار كانت قد نسيت كل ما مضى ولم تعد تذكر عذاب البعاد ولا فكرت بان تعاتبه على طول غيابه بل كان جل همها ان لا تضيع مقدار ذرة من لذة التلاقي والاجتماع وبالاخير تكلم الامير وقال لها اني كرامة الذي عدت ورايتك بخير وان كنت ارى بجسمك نحولاً وبوجهك بعض تغيير فاني اعرف ان ذلك من كل ما جرى حزنك على بعادي وشوقك الي غير اني كنت مجبورًا الى ... بعود رونقك اذ عدت وتاكدت انني منذ الان باق في الجيش ولا عدت فارقك الى غير ... ولا ... امرء ... يشواقًا ما كنت احسبها قبل مبارحتك . قالت كل ما لاقيته ... عدت استعراد ... لذة قربي منك الان ووجودك عندي وكذلك اني ... لاقيت بكلمة واحدة وهي اني كنت مائتة فعشت وضالة فوجدتك ومن عند ... التصوير عند ثانية من اوقات هذا الاجتماع فلا تذكرلي ... شي ... اذ ... فيه وراحتك في هذ الوقت . فمدح الامير منها واخبرها ... حاله وافهمها ... ذات السهرة وقد تناول الطعام معها وشرب الخمار وصرف وقتًا ... اوقات السرور ... وفي اخر الليل دخل الى صيوانه ونام متمنيًا مرده كان ... وقد نزع عنه ذاك الثوب ونسي كل ما لاقى

وفي الصباح خرج الى الصيوان ... وجاء ... وقال اريد منكم ايها السادات أن لا احد منكم يظهر ... الى ... في ذلك على كسرى وقومه ولا بد انهم يصلوا الى ... الديار ... كل واحد منكم رجاله ومعسكره ان لا احد يعود بكلمة وان ... فاجابوه الى ذلك وامروا سائر المعسكر ان يخرجوا ... امام احد ... على ذلك ... عدة ايام ياتي في الصباح الى الصيوان ويقيم ... في احوال العرب وفي مصالحهم و... يرجع الى صيوان مهردكار فيه كل ... الى اخر السهرة فيدخل صيوانه ويبا وما من احد من العرب يذكر في فيه اسم ... حمزة ويذكر انه جاء بل كان حاضرًا ويعلمو

به وهو كانه غائب عنهم . وفي كل يوم يذهب الامير عمر العيار الى البر فيسال ممن راهُ عن كسرى وعن اخباره ويستعلم من كل رائح وات . حتى اخبر اخيرًا ان بعض المسافرين راى جيوش كسرى تتقدم الى تلك الجهات وهي بعدد رمل البحار وقد غطت السهول والوعور والجبال والاحراش فبلغ هذا الخبر حمزة فاخذ في تدبير امر الجيوش وتهيئتها وتقسيمها وهو يعرف ان تلك الحرب ستكون شديدة وقوية ويكون له فيها ذكر يذكر ومضى على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن ذهب عمر لاكتشاف الاخبار وبعد عن معسكر العرب مقدار ست ساعات وفيما هو على ظهر اكمة من الاكام نظر الى البر فراى عن بعد الاعلام الكسروية تخفق وبينهم العلم الاكبر المخصوص بكسرى المعروف ببيكار الاشتهار وهو يلوح بالهواء والغبار يثير الى الجو ثم يتبدد باندفاع الاهوية فهو تارة فوق الجيوش وتارة ما فلا تعود ترى ثم ينجلي وتظهر من تحته تلك العساكر الفارسية وهي تتقدم شيئًا فشيئًا فوقف نحو ساعة وهو ينظر الى تلك العساكر ليرى اخرها وجناحيها فلم يقدر لانها كانت منتشرة في كل ناحية وفي كل باح ولكثرة عددها لا يقدر ان يرى اشد الناس نظرًا الى اخرها لو كان واقفًا على رصدها فعرف ان العرب ستلاقي شدائد واهوال من هذه الحرب لان الكثرة اذا لم تغلب الشجاعة لا بد ان تضعفها وتتعبها وبعد ذلك كرّ راجعًا الى العرب ودخل على الامير حمزة وهو في الصيوان فاخبرهُ بكل ما نظر وراى . فقال لا يهمني كثرت العساكر او قلت ولا بد من تبديد شملهم وتفريقهم لكني اريد منكم كتم امري الى حين اظهر فان مرادي افاجا كسرى في موقعه وانزع بيكار الاشتهار من حامله والقي في رجال العجم ومن معهم الرعب والخوف فتنة وبينهم انني غائب ولا يظهر امري لاحد منهم الا في وسط المعمعة ثم امر ان تنصب السرادقات والصيوانات الى جانبه في ذلك اليوم وان تجمع في اليوم الثاني وهو يكون متقدمًا فيها وسار كل واحد في ناحيته يفرق المؤن والذخائر ويتفقد اسلحة رجاله وخيولهم ومن كان منهم يحتاج الى شيء دفع اليه

وما جاء مساء ذلك اليوم حتى كان كسرى قد وصل الى مقابل العرب وراهم وهم بذلك الجيش القليل ففرح واطمأن . وكان في كل ذهنه ان حمزة غائب عن العرب ولذلك كان يرجو الفوز والانتصار واسترجاع ابنته مهردكار واخذ بثار خذه العرب ونهب كل ما معهم ولذلك ضرب الخيام في تلك الناحية ومدها من الشرق الى الغرب وسرحت الخيول ونصب صيوان كسرى في الوسط وهو مرتفع على كل المعسكر وعليه الجواهر والماس يضيء بلمعان وكان يساوي مدينة المدائن بحسن اتقانه وزخرفته وما تزين به من الاطلس والحرير وعواميد الذهب ونقشها وترصيعها بكل حجر كريم وضرب امام الصيوان المذكور بيكار الاشتهار وعليه العلم الكبير وهو ايضًا عجيبة من عجائب الزمان تضرب به الامثال في حسن صنعته وما حواهُ من الذهب

الخالص والنقش البديع وكان الوف من ا . تحيط بالصيوان وبالعلم المذكور وكلهم من ابطال الفرس يحملون على الدوام السلاح معهم بايديهم فلا يقدر الطير ان يتعدى على احد الاّ ان يكون باذن كسرى سيدهم ولا سيما في زمن الحرب خوفًا من ان يحتال عليهِ العدو او يصاب بما لم يكن في الحساب

قال وفي الصباح نهضت العرب وذ رت الى البر فارتاعت من كثرة العساكر ومن انتشارها ورات صيوان كسرى الكبير يضيء كانهُ عشرين شمسًا بوقت واحد لا يقدر الرائي ان يحدق بهِ او ينظر فيهِ دون ان يبهر نظرهُ وكذلك بكار الاشتهار واجتمع العرب في صيوان الملك النعمان واخذوا يتحدثون في امر كسرى فقال الامير حمزة قلت ولا بد من اتمام قولي فاني ساحرم كسرى من بيكار الاشتهار واقيمهُ بين العرب لانهُ يساوي خزائن العالم مع هذا الصيوان الذي يحق لكسرى ان يفتخر بهِ على كل ملوك الع فقال اندهوق اني ماسير خلفك ياسيدي على فيلي واضمن لك انك ستاخذ هذا العلم ولو كان شونهُ الوف وكرات من حجاب كسرى انوشروان وعدي انهُ ايضًا بعد تفريق جيوش كسرى سنتهد الى اخذ الصيوان لنجعلهُ لك قال لو كان لي مثل هذا الصيوان اكون اعظم من كسرى شانًا وفيما هو على مثل ذلك واذ بهِ سمع صوت قرقعة في الخارج فنظر واذا بكندك المارد قد سقط من الجوّ ووقف عند باب الصيوان وسلم على الامير حمزة وباقي الفرسان الذين حواليهِ وقال اعلم يا سيدي ان سيدتي اسما بري حيث عرفت انك ستقاتل اكبر ملوك الانس وهو كسرى انوشروان وانك بعد ان حصلت على ثياب السيد سليمان التي لا نظير لها في عالمي الانس والجان وكذلك اليقظان وعدتهُ بعثتني اليك بصيوان ابيها ابيون شاه الذي اذا رايتهُ انبهرت واندهشت منهُ فهو اعظم من صيوان كسرى بالوف مرات وعليهِ في كل عامود من عواميدهِ الذهبية جوهرة بقدر البطيخة لا بل اكبر كان يجلس فيهِ في ايام المواسم والاعياد فتاتي ملوك الجان لتهنئتهِ وكان يفتخر بهِ على كل ملوك الجان ولهُ سبعة ابواب من الحرير الاحمر المقصب بالزخارف الذهبية وفيهِ ٩٠ كرسي من الكراسي الذهبية التي لا يوجد عند بني الانس مثلها ففرح حمزة بذاك الصيوان وخرج في الحال من صيوان الملك النعمان وامر بنصب صيوان ابيون شاه في وسط المعسكر فنصب في الحال وهو كانهُ الافق يتلألأ بلمعان جواهره كتلألاء الكواكب فيهِ وقد اشرقت منهُ تلك النواحي وزاد بهاءً واشراقًا على اشراق الشمس . ودخل اليهِ الامير حمزة وهو مسرور منهُ وجلس على كرسي ابيون شاه ابي اسما بري ومن حولهِ الفرسان والابطال واذ ذاك مدح من اسما بري وشكرها على عملها هذا وقال لكندك اهدها مني السلام واخبرها ان عملها هذا سرني جدًّا ولا انساهُ لما وقد عرفت صدق محبتها ومودتها وحسن اهتمامها بي

قال واما كسرى فانهُ في صباح ذاك اليوم نهض الى صيوانهِ واجتمع اليهِ وزراؤهُ واعيانهُ وفي اولهم بختك الوزير الفارسي وحينئذٍ قال انهُ معروف وثابت عندنا ان حمزة غائب عن العرب وانهم الان كالغنم دون راعٍ ولا قائد ولذلك لا بد ان يكونوا باضطراب وقلق يرغبون في التسليم والطاعة ولا سيما بعد ان لحقناهم الى هذه البلاد لانهم هربوا من بلادهم ولم يخطر لهم قط اننا نتاثرهم ويعلمون اذا انكسروا لا يقدرون بعد ان يهربوا الى مكان اخر او بلاد تقيهم منا واريد منك يا بختك ان تكتب كتاباً الى ملك العرب تدعوهُ الى الطاعة وتهددهُ بكثرة العساكر والموت والصلب اذا امتنع عن التسليم فاخذ بختك وكتب الى الملك النعمان

من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة والسلطان وسيد ملوك هذا الزمان الى خادمهِ واقل عمالهِ النعمان حاكم العربان

انت تعلم ايها العاصي الخائن اني ملكت الارض من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها وحكمي نافذ في كل جهة فمن لم يدخل في خدمتي يخشى باسي ويدفع لي الهدايا في كل عام وانت كنت من جملة خدمي واعواني الذين ياتون الى تقبيل يديَّ في كل مدة حاملاً الجزية فضلاً عن الهدايا حتى ظهر حمزة العربان فاكرمتهُ وقدمتهُ مني وانا اظن ان اكرامي هذا يحل محلهُ وبسببهِ رفعت مقامك وقدمتك في ديواني بعد ان كنت تجلس بين الخدم والحجاب وقد نهاني مرارًا وزيري الامين بختك بن قرقيش وبين لي ان اكرام العرب ينتهي بخلعهم طاعتي وجحدهم الجميل فلم اصغَ اليهِ حتى ثبت عندي بعد ذلك عصيانكم ونكرانكم المعروف وطمعكم بمالي وعرضي واخذتم بنتي كسبية وجعلتم تفرون بها من مكان الى مكان تقاسي عذاب السفر ومشاق الطرقات واهوال الغربة والانتقال بعد ان كانت قد تربت على الدلال والترفه وسعة المعيشة وكان خدمتها كثير من مثل ملوك العرب وقد وقع بيني وبينكم الحرب لما كان حمزة بينكم وبسببهِ انكسرت عساكري ورجعت الى المدائن فجمعت في مدة اكثر من سنتين الف الف وسبعمائة الف فارس من ابطال العرس وشجعان الديلم وغيرهم من الامم وعندي زوبين الغدار الذي لا يصطلى لهُ بنار وقد عزمت ان ابيدكم عن اخركم وانزع اسم العرب من الدنيا غير ان شفقتي عليكم حملتني على التردد في ذلك فارسلت هذا التحرير اطلب اليكم ان تضعوا المناديل برقابكم وتاتوا لتقبيل اقدامي صاغرين طائعين نادمين على كل ما وقع منكم وما ابديتموهُ من المخالفة والعناد ويكون بينكم ولدي فرمزتاج الذي اسرتموهُ وجسرتم على تقييدهِ وفوق كل ذلك فانكم ترجعون اليَّ بنتي مهردكار مع جميع ما وصل اليكم من الاموال واعدكم اني اعفو عنكم واعيدكم الى مناصبكم ولا اواخذ احدًا بجريمتهِ حيث ان الذنب بذلك على حمزة وانتم اخلصتموهُ الود بعد ان تغلب عليكم فهذا اخر ما عندي والاَّ تصادفون الشر والوبال

وبعد ان وقع كسرى على هذا الكتاب بعثهُ الى الملك النعمان وفرسان العرب فوصل اليهم وقرأوهُ وكان الامير حمزة بينهم وهو مختفٍ فاجاب الرسول اذهب الى سيدك واخبرهُ انهُ وإن كان اميرنا غائبًا عنا الاَّ ان كل واحد منا بهِ الكفاءة لان يقوم مقامهُ وسوف ترى منا ابطالاً لا يخافون الموت ولا يرهبون المنايا ولا يفوتهم غن قبض النوس فوت وهذا جوابهُ عندنا وفي الغد يقوم بيننا الحكم الفاصل والقاضي العادل وهو السيف اليمان الذي يقضي بالحق والانصاف . فرجع رسول كسرى اليهِ واعاد عليهِ كل ما سمعهُ من العرب فاغتاظ وتكدر واضطرب وقال ان العرب لفي ضلال مبين واجلهم يعلمهم الكبر والعظمة ولا ريب ان دولتهم ستنقرض وتغضب عليها النار ذات الشرار واني احسب ان هذه الامة ما كانت على وجه الارض ولا دخلت بين ممالكي . ثم قال لبختك اريد منك ان تنشر اعلانًا في كل العساكران صباح الغد يبتدئ القتال واني سمحت بدماء العرب وسلبهم ونهبهم فلتزحف العساكر مرة واحدة عليهم وليحرقوا وينهبوا ويقتلوا ويعذبوا كل من وقع بايديهم من اعدائنا دون شفقة ولا رحمة ففعل بختك في الحال واخذت الفرسان تستعد وتتاهب الى اليوم القادم وبات الفريقان الى ان اشرقت شمس ذاك اليوم المنتظر من العرب والعجم

وما بزغ الفجر حتى ضربت طبول العرب فارتجت لها الجبال والوديان واجابتها طبول كسرى انوشروان تنذر الابطال والفرسان بالاسراع الى الاستعداد . والتهيء لخوض معامع الطراد . فنهض كل ذي حماسة الى سلاحهِ فافرغهُ عليهِ وتعدد وتدرع وجاء الى جوادهِ فركبهُ وانضم الى صفهِ فانتظم بهِ وهو مشهر حسامهُ ينتظر الاذن بالهجوم والقتال وما اشرقت الشمس حتى كان اصطف الصفان . وترتب الفريقان . وركب كسرى انوشروان وامامهُ بيكار الاشهار ومن حواليهِ الحراس والفرسان . وركب حمزة العرب ومن عندهُ من الفرسان . وحالما وقعت العين على العين تحركت الضغائن من المعسكرين . فصاحوا وحملوا وهاجوا وماجوا وفي ايديهم الاشطان . والعواميد الحديدية وعيدان الزان . وراج سوق المنايا اي رواج . واحتاط بالفريقين من جيش الفناء واتخذ لهُ من جيوش العدم امتن سياج . فتدفقت الادمية كالانابيب . وتحدرت من ينابيع الرقاب والصدور كتحدر الماء في المياذيب . واتخذ كل فارس من الابطال لنفسهِ مقامًا في سوق المجال . فباع واشترى . واجرى الدماء انهرا . ولا سيما فرسان العرب وابطالها المشاهير . فانهم اخترقوا تلك الجماهير . وفعلوا افعال المردة الطيارة والجن السيارة . غير ان كثرة العساكر كانت تضيق عليهم المجال فلا يقتل الفارس فارسًا الاَّ انحدر اليهِ اثنان في الحال . لان عساكر العجم كانت كما تقدم تتجاوز ١٧ كرة وعساكر العرب دون الثلثمائة الف فارس وعلى هذا فقد عرف اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل و باقي فرسان العرب انهم اذا ثبتوا هم اشتد جيشهم وتقوى واذا قصروا ضعف واخل ولحق به الفناء ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان يقاتل قتال الاسود و ينحط على الجيوش انحطاط البواشق فيشردها ذات اليمين وذات الشمال وهو مختفٍ عنها لا ينادي باسمهِ ولا يفتخر بنفسه والعجم تزدحم عليهِ ولا تفارقهُ وهي لا تعلم انهُ بلوة الانس والجان ولو عرفتهُ لتفرقت منهُ واشارت ارواحها بالفرار والبعد عنهُ ومن المعلوم انهُ اثناء القتال انهُ لا يثبت في مكان لانهُ كان يخاف ان تصاب جيوشهُ بالاضمحلال او يلحق باحد فرسانهِ سوء فيتفقد الجميع وان كانت جيوش الاعداء مجتمعة فرقها وقد تعب في ذاك اليوم التعب الكلي ليحفظ نظام معسكرهِ الذي كانت تتغلب عليهِ الكثرة واخذ في الرجوع الى الوراء ولولا اعمالهُ واعمال رجالهِ لانقرض واختار التشتيت على البقاء امام اعدائهِ الكثيرين وكان الملك كسرى على الدوام يبعث باوامره بين عساكره يحرضهم على الثبات وان يتهوا امر العرب في ذاك النهار وكذلك بختك الخبيث الغدار فانهُ كان مطمأن البال بالفوز والانتصار . لما راى قلة العرب وكثرة جيشهِ الجرار . وكان اكبر رجائهِ بزوبين الغدار . نسل اللئام الاشرار . حيث كان وعدهُ انهُ في ذاك النهار . لا بد من وصولهِ الى مهردكار واسترجاعها الى عساكر الاعجام بقوة الصارم البتار . وكانت جهنم تشتعل بفيضان لهيب النار فتلتهم كل من يقدم ضحية الفناء والبوار

قال وبينما كانت عساكر العرب في وسط المعمعة وهي ضيقة الانفاس لكثرة الازدحام ومضائقة الاعداء وفرسانها تخبط في عباب ذاك البحر المتلاطم بامواج الاهوال وعساكر العجم وان كانت ترى قتلاها تزداد على الدوام الا انها كانت تتقدم مؤملة انها لا بد من ان تضعف العرب وفي كل ظنها ان غياب الامير حمزة وسيلة كبرى لفوزها وتقدمها والا لو سمعت بذكر اسمه فقط لوقع الرعب في قلوبها وخافت من التقدم وكسرى وبختك مسرورين من بعض النجاح الذي نالهُ العجم واذا برايات اندلسية تخفق وجيوش حبشية تتقدم وفوارس لا تخاف المنية وقد اسرعوا المسير ومن فوقهم الغبار قد علا وثار حتى غيب شمس النهار ثم انقسمت تلك الجيوش الى قسمين قسم مال الى جهة الشمال وقسم الى جهة الجنوب فالقسم الاول كان في مقدمتهِ عمر الاندلسي المتقدم ذكرهُ ومعهُ نحو ثمانين الفًا من عساكر الاندلس وقد صاح وحمل لما راى الحرب قائمة على ساق وقدم وهو ينادي انا عنيق سيف حمزة البهلوان وخادمهُ طول الزمان ومثلهُ كان يفعل صاحب القسم الثاني وهو النجاشي سلطان الحبشة ومعهُ مائة وعشرون الفًا من رجالهِ وابطالهِ وفي الحال باشروا الحرب والقتال وخاضوا ساحة ذاك المجال فارتاع كسرى من اعمالهم وامر ان ترجع عساكرهُ الى الوراء والا احتاط بها الاعداء ووضعوها في الوسط وانزلوا بها البلاء وقد تكدر من ذلك وتعجب كيف ان هذين الملكين جاءا لعضد اعدائهِ ودامت

الحرب الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى الخيام لا يصدقون بالخلاص من شر ذلك اليوم الكثير الزحام ورجع كسرى فنزل في صيوانه وضرب امامه العلم الاكبر وبعد ان تناول الطعام وشرب الشراب جاءه الوزراء والاعيان وشرح كل واحد حالة الجيش وما عرفه منه فقال بختك اني كنت ارى في الاول ان النصر سيكون لنا في هذا اليوم وان في صباح الغد لا بد ان تتفرق عساكر الاعداء ولذلك كنت مسروراً جداً وكان عندي من الفرح ما لا مزيد عليه ونفسي تطلب سرعة النهاية ولكن النار في هذا اليوم لم تكن راضية عنا على حسب الواجب فلم تخولنا النصر التام وقد حفظته اما الى اليوم الاتي او الذي بعده . فقال كسرى اني اعجب من عمر الاندلسي والملك النجاشي فاني انا الذي قد بعثت ودعوتهما الى نصرتي ومعونتي فاعتذرا عن الحضور والان قد انضما الى العرب وجاءا لنصرتهم ولولاهما لكنا فزنا بالمطلوب في هذا النهار ولا اعلم ما هي الرابطة التي دعتهما الى مساعدة العرب لان مثل الملك النجاشي اذا كان مع العرب يقوي شوكتهم ويزيد عتوهم لانه كثير الجنود والاعوان وملك عظيم قوي السلطان . قال ان هذا لا يهمنا ياسيدي فانه لو اجتمع مع العرب كل اهل الارض بالطول والعرض فاننا نحن الفائزون عليهم المنتصرون ما زال حمزة غائباً من بينهم فكن باطمئنان وراحة وسوف تجلي لك حرب الغد الحقيقة . فصبر كسرى وهو مشغل الفكر لا يعرف ماذا يلاقي من حرب اعدائه وقد رآهم زادوا عدداً وكثروا مدداً وان اكثر عساكر بلاد العرب وجميع جيوش بلاد الحبشة تحارب معهم

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا الى الخيام مسرورين بقدوم هذه النجدة القوية وحال وصولهم الى الخيام اجتمع المقيمون بالاتين وسلموا على بعضهم البعض وشكروا من الملك النجاشي وعمر الاندلسي . وسالهما حمزة عن سبب اجتماعهما ببعضهما . فقال النجاشي اني بعد مفارقتك اخذت ان اجمع جيوشي بسرعة عظيمة وفي مدة ثلاثة ايام اجتمع عندي جيش عظيم فاخذت قسماً منه وسرت في اثرك تحت امل اجتمع بك في الحال حيث ما عدت اقدر ان اطيق صبراً على فراقك وما زلت سائراً حتى وصلت الى بلاد الاندلس فرايت عمر الاندلسي قد جمع بعساكره وخرج من المدينة وسار على طريق مراكش فاجتمعت به وعرف كل منا الاخر واننا سائران الى خدمتك وعجلنا مسيرنا حتى وصلنا في هذا اليوم الكثير الاهوال فلم نقبل ان

الى هنا انتهى الجزء السابع من قصة الامير حمزة
ويليه الثامن عما قليل ان شاء الله

الجزء الثامن

من قصة الامير حمزة البهلوان

نضيع الوقت فباشرنا الحرب . فقال حمزة بارك الله فيكما فانكما نصيرا الحق وعندي اننا في الغد نقهر جيوش كسرى ونرجعهُ مبدداً مشتتاً . فقال اندهوق ما زلت لا تظهر نفسك فجيش العجم لا يتفرق ولا يرتعب ولا ينكسر ولو قتل وفني عن اخره لان ظهورك يلقي الخوف على كل واحد منهم فتنحل اعصابهُ و يرجف قلبهُ ويخاف من اللقاء قال اني لا اظهر نفسي ما لم اقبض على علم ابكار الاشتهار واحرم كسرى منهُ فيعرف ان حمزة لا يغيب و يقدر على كل ما يقول . فقال لهُ كن انت في الغد امامي فاحمي ظهرك واجعل عمرًا بين يديك فلا يفارقك ولا يفارقني واننا ناتي بالمقصود . ثم نظر حمزة الى كامل الفرسان فراى معقل البهلوان غائبًا فسأَل عنهُ فقال لهُ عمر اني منذ الغد ما رايتهُ ولا شاهدتهُ ولا عرفت ابن هو وانا اظن انهُ ليس في الخيام حتى انهُ في هذا اليوم ما باشر معنا القتال ولا الحرب والنزال . فقال سر انت واسال عنهُ في رجالهِ و بين قومهِ . فسار عمر وطاف كل العرب وهو يسال الكبير والصغير وما من واحد منهم افادهُ عنهُ او عرف اين هو موجود او راهُ فعاد الى اخيهِ واخبرهُ ان معقلاً غائب عن المعسكر ولا احد يعرف بمكان وجودهِ فقال اخاف ان يكون قتل في هذا اليوم وشرب كاس الافات وانحدرت دمعة الامير حمزة على خدهِ فقال لهُ عمر لا تخف فان معقلاً لم يباشر الحرب واني في صباح هذا اليوم طفت كل المعسكر قبل اشتباك الحرب وتفقدت الكبير والصغير فما رايتهُ قط وفكرت انهُ لا بد ان يكون منذ الغد او قبلهُ في الصيد ولم يرجع بعد فشغل بال الجميع من اجلهِ و باتوا تلك الليلة يتحارسون الى ان اشرقت شمس اليوم التالي فاصطف الصفان وتقدم العسكران ورفعت رايات الابطال والفرسان و باقل من ساعة انتشبت نار الوغى واضطرمت واشتبكت الجيوش واصطدمت . ووقفت جيوش عزرائيل في كل ناح وقد تهيئات لقبض الارواح . وهي فرحة بذاك النهار الكثير الاهوال . حيث تنتظر فناء الوف من الرجال و وقف عزرائيل واخذ بيدهِ بوقهُ لينفخ فيهِ ويدبر جماعتهُ ويحثهم في اعمالهم حتى لا يفوتهم احد من محاربي ذاك النهار

هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . ونفوس المحاربين مسرعة الى العدم . والكل بين السنة لهيب جهنم . تدفعهم اسنة الرماح . وتنشرهم البيض الصفاح . وما برح السيف يعمل

والدم يبذل والرجال تقتل . ونيران الوغى تشعل . حتى ارتفع الغبار الى العنان . وحجبت الشمس عن العيان . واصفر وجه كل جبان . عند مشاهدتهِ هول تلك الوقعة الكثيرة الاخطار . والعظيمة الاهوال والاضرار . واحمر وجه كل شجاع . في موقع القتال والصراع . من كثرة ما رش من أدمية الفرسان . التي كانت تندفق من الاعناق وتشيب الابطال والشجعان . فتصبغهم بازكى الالوان . وتغير من شكلهم عما كان . ثم تنحدر الى بساط الصحصحان . وتجمع في اقنية ذاك المكان . وتسير مجدولة كينابيع الغدران . وكثيرًا ما تطفو على وجه الارض فتغرق بها الخيل او تشرف على الغرق . وقد قل من المتقاتلين النفس والرمق . واخذهم الاضطراب والقلق . وسبحت منهم بحور العرق . وما عاد يرى الاَّ خيولاً غائرة . وادمية فائرة . واكفًا طائرة . واعينًا غير ناظرة . وقد رافقت رجال عزرائيل رجال العربان . وسعت في ركابهم من مكان الى مكان . وهم يسلبونها من ارواح الاعجام . ويكثرون لها من العمل والشغل في ذاك المقام . لان كل فارس من العرب تكون ضربتهُ قاضية في الحال . فيقع خصمهُ دون تاخير ولا امهال . وقبل ان يصل الى الارض . تخطف روحهُ وترسل للحسبان في يوم العرض . فلله در المعتدي حامي السواحل وما فعل في ذاك اليوم الكثير الاهوال . وكم قتل وكم اسر من الابطال . وكذلك قاهر الخيل فقد مدد الرجال . على بساط الرمال . وانزل عليهم الدمار والوبال . ولم تكن افعال باقي الفرسان اقل من افعالهِ . ولا اعمالهم دون اعمالهِ . ولا سيما عمر الاندلسي فانهُ اراد ان يظهر لحمزة صدق خدمتهِ . وعظيم فعلهِ اثناء المعركة وحسن براعتهِ . فبدد الاعداء وانزل عليهم ميازيب العناء . وارماهم في حفر الفناء . وهو ينادي وقومهُ من وراه تقاتل وتضارب . انا عمر الاندلسي عتيق سيف حمزة فارس المشارق والمغارب . وكذلك الملك النجاشي فقد فتك بجماعتهِ فتكًا لا ينتسى ذكرهُ الى آخر الزمان . وبالاختصار ان تلك الوقعة كانت اعظم الوقائع التي مضت على العرب والعجم . لا بل وعلى غيرهما من القبائل والامم . من سكان تلك الاعصر العظيمة الوقائع . والكثيرة المعامع . حيث كان عدد المتقاتلين يزيد عن الخمس والعشرين كرة وفيهم مشاهير الرجال والابطال العظام ما لم ياتِ مثلهم في غير ايام . ولذلك تغطت الارض بالقتلى وحامت عليها غربان الجوّ ووحوش الفلا طالبة رزقها في ذاك المكان ناظرة فيهِ ما يشبعها ويكفيها الى آخر الازمان . منتظرة النهاية لتاخذ نصيبها من تلك الاجسام وتذخرها الى غير ايام . كل هذا وكسرى ينظر ويرى ويشاهد ما يحل برجالهِ وما يقع على ابطالهِ . وهم يقعون ويقومون . ويجرحون ويقتلون . ورماح العرب تخرق صدورهم . وسيوفهم تغمد في نحورهم . وهم تائهون في ديجور تلك المعمعة لا يعرفون ماذا يعملون ولا من يقاتلون ولذلك اسودت الدنيا في عينيهِ . وانطبقت اربع جهات الارض عليهِ وقال لبختك ها ان

عساكري ستنقرض في هذا النهار ويحل بها الفناء والبوار . والعناء والدمار . وتشتت في الاربع اقطار . والتزم الى الهرب والفرار وركوب طريق الذل والعار . فقال لهُ بختك شد عزمك يا سيدي ولا تؤخذ بالظواهر . فلا بد من استظهار فرساننا بالاخر . لان عمل العرب هذا ومن والاهم سيلاقيهم اخيرًا في التعب وتضعف قواهم ويكون لقومنا عليهم الثار . فيبطشون بهم بطش الليث الجبار . قال وفيما هما على مثل ذلك واذا بجيش الحرس قد اضطرب وارتبك وجفل ومال من اليمين الى الشمال واخذ في التقهقر والتاخير والاضمحلال وسمع كسرى من وسطهِ صوتًا تميل لهُ الجبال . وترجف عند سماعهِ اسود الدحال . وتضطرب العواصم والبلاد والحصون والاطواد . وقائل يقول ويلكم لئام غير كرام قد جاكم فارس الفرسان . وبطل هذا الزمان . وسيد ساداتهِ الشجعان . ونقمة كسرى انوشروان . ومطوع جبابرة الانس والجان . الامير حمزة البهلوان

قال ولا يخفى ان الامير حمزة من حين مباشرة القتال اتكل على فرسانهِ واوصاهم بالمحافظة على بعضهم البعض وان يساعد احدهم الاخر . وخاض هو ذاك البحر العجاج . المتلاطم بالامواج ومن خلفهِ اندهوق بن سعدون . البطل الميمون . فاخترقا الصفوف . وشردا الميئات والالوف وانزلا عليها الحتوف . وهما تارة يميلان الى جهة اليمين وتارة الى جهة الشمال . والفرسان تزدحم عليهما وتطلبهما الابطال . وحمزة يضرب في صدورها . فيرسلها الى قبورها . واخوهُ عمر يخطف بين يدي جوادهِ اليقظان ويضرب بالخنجر في صدور الخيول فيرميها الى الارض وتقع عن ظهورها الفرسان . وما برح على هذا العمل وقد قتل الوفًا من الابطال وجرح كثيرًا من الرجال واندهوق يحمي ظهرهُ فلا احد يقرب منهُ الى ان فات الظهر وكلما شردت العساكر عنهُ بعدت ثم عادت وتجمعت من حواليهِ وهي ترى قتالهُ قتال الامير حمزة انما كانت لا تعرفهُ ولذلك كانت نفوسها تطمنها بقتلهِ وفناهُ وهو يتقدم الى الامام حتى كاد يقرب من بيكار الاشتهار وهو العلم الاكبر وابطال العجم من حواليهِ والحراس تدور بهِ من مكان الى مكان حتى انهُ اخيرًا صاح وتكنى باسمهِ ونادى انا حمزة البهلوان نقمة كسرى انوشروان . فلما سمع العجم صوتهُ وقع الرعب في قلوبهم وتيقنوا انهُ هو نفسهُ فطاروا من بين يديهِ اخرهم يضرب باولهم يتسابقون الى الفرار وهو يضرب باقفيتهم حتى سمع كسرى ذاك الصوت وراى ما حل بحرسهِ فارتاع وخاف وقال لبختك ويلك ياخبيث يا غدار تقول ان حمزة في جبال قاف وها هو في وسط عساكري وقد فرّق حرسي وكاد يصل اليَّ . قال اني اخاف ياسيدي ان يكون احد فرسانهم قد تكنى باسمهِ فجفلت منهُ عساكرنا لانهُ لو كان بينهم لما هربوا الى هذه الجهات وفيما هما على ذلك واذا بحمزة قد وصل من بيكار الاشتهار فضرب بحسامهِ كل الذين حواليهِ وتناولهُ بالرغم عن كل ممانعة

ومدافعة وقد صارت مزاحمة قوية عنيفة وتكردست القتول كالتلول ولما صار العلم في يده سلمهُ الى اندهوق وعاد الى مداومة القتال واذ ذاك صاح كسرى بحجابهِ وقال لبختك ويلك عجل بالهرب والفرار والاَّ دفعنا با يدي حمزة ونال منا مرادهُ فان الهلاك قريب منا فقال بختك صدقت ان هذا اليوم يوم بئس ونحوس والنصر بهِ للاعداء فسارعوا الى الهرب . ثم انهُ امر الحجاب ان ترفع كسرى والصيوان وتسرع في التقهقر والفرار ففعلت في الحال ودارت باقفيتها للعرب وطلبت الخلاص من جهنم سيوف الا[illegible] حمزة ورفاقهِ وراى باقي العجم ما فعل كسرى وحرسهُ فجاروهم على عملهم وطاروا ذات اليمين [illegible] ذات اليسار . هذا والعرب قد شكرت من حمزة على هذه النصرة فجودت الطعن والضرب و[illegible] ت ان تشفي غليلها من الاعداء ولا سيما الامير حمزة فانهُ كان مشتاقًا الى وقوعهِ في مثل هذه المعمعة ليشفي غليل قلبهِ بعد غيابهِ وتقاعدهِ عن القتال ثلث سنوات ولذلك كانت القتلى حولهُ كالتلال وهو غارق ببحر من الد[illegible] ء وتجمع عليهِ من الاربع جهات وهو يطعن ويضرب ويصيح وينادي باسمهِ والرعب ينمو بقلوب الهاربين وكل واحد منهم يظن من نفسهِ انهُ وراءهُ وصوتهُ باذان كل واحد يرن ودام العرب في جدهم واجتهادهم حتى حجب الظلام عن اعينهم اخصامهم فكروا راجعين بعد ان بعدوا عن مواقعهم مسافة طويلة فامر الامير حمزة ان تجمع الاسلاب والمكاسب وتوخذ الخيام وترفع الى المعسكر فدار العرب الى جمع الخيول الشاردة ونزع الا[illegible] لحة من المقتولين وقلع الخيام وما فيها من المون والامتعة فكان شيئًا كثيرًا يعجز القلم عن وصفهِ

فامر الامير حمزة ان يقسم على كل من افراد العساكر وضباطهم ولا يترك احد با[illegible] ن ان ياخذ نصيبهُ منهم واول ان اجتمع في صيوان السو[illegible] شاه واجتمعت سائر الفرسان والملوك اخذوا في ان يهنوا بعضهم البعض بهذه النصرة ويمدحوا [illegible] ن الامير حمزة على ما اجراهُ في ذاك النهار حيث شيد لهم اسمًا لا يمحى مدى الدوران فقال [illegible] ن كل هذه النصرة وعواقبها لا [illegible] في عيني ما زال اخي معقل البهلوان غائبًا ولا نعلم [illegible] واذا كان اصيب بضرٍ فهو خير من رجال الفرس كبيرهم وصغيرهم . فقال لهُ اندهوق عندي ان معقلاً بعد عن المعسكر بقصد الصيد فعرض لهُ امر عاقهُ عن الرجوع الينا . فقال الامير حمزة اني لا ارتاح ولا يهدأُ لي بال ما لم اعرف شيئًا عن اخبارهِ وربما كان اسيرًا في احدى الجهات او يكون جرى عليهِ حيلة او خدعة القتهُ في احدى المتاعب والمهالك ولذلك ساعهد الى اخي عمر العيار بالتفتيش عليهِ والبحث والاستقصاء من سائر النواحي ولا بد ان يكون احد الناس عرف شيئًا من اخباره فقال لهُ الامير عمر اني سآتيك بخبرهِ عن قريب واخرج عنك هذه الكربة والضيقة

ثم ان حمزة بعد ذلك نهض الى مهردكار فاكل الطعام عندها وهنئتهُ بالنصر والظفر وقالت

له لو لم يكن الله معك لما قدرت على مثل هذا الانتصار العجيب العظيم بمدة يومين فقط مع انه لو كان غيرك لصرف سنين واياماً يقاتل دون ان ينال المراد. فقال لها القاتل وقلبي مكمود وملسوع باعمال بختك الذي القى العداوة بيني وبين ابيك وجعل احب الناس عندي عدواً لي ولذلك لا احسب نصراً كاملاً للة الا عند ما يقع بيدي بختك الوزير جرثومة الشر والفساد والمكيد والعناد . قالت ان هذا الذي اريدهُ واتمناهُ واعرف اكيداً انك اذا قتلت بختك او ابعدتهُ عن ابي انتهت بينكما الحروب وعدتم الى الوفاق والان اسالك ان لا تنسى اخي فرمزتاج فانهُ اسير من اللازم اكراماً لخاطري ان لا تدعه بالعذاب فقال اني افتكر بذلك ولا بد بعد ارتياح ضميري من جهة معقل البهلوان ان اكرمهُ واجعل لهُ مقاماً عندنا والان هو بخير وقد امرت عمراً بالافراج عنهُ وبجدمتهِ ومداراتهِ وبعد ان صرف وقتاً من السهرة عندها فنهض الى صيوانهِ ونام وهو غارق بلذة مسامرة مهردكار ونفسهُ تطالب ان يغتنم الفرصة بالاقتران بها ويسعد بنيل متمنيات الغرام ويطفي لهيب فوادهِ فيعرف العالم انهُ تروج بها ونال ما تمناهُ وربما عرف ايضاً كسرى بذلك فيصعب حياله عن الرجوع الى الحرب ويعود الى دوام الحب والالفة والسلام

قال وفي الصباح نهض الامير عمر فارس جماعة بالاهتمام والسهر اذا طال غيابهُ وخرج من المعسكر قاصداً التفتيش والبحث عن الامير معقل البهلوان وقد اختار الطريق الاقل اطراقاً لعلمهِ ان الامير معقل البهلوان لا يمكن ان يسلك الا منفرداً بنفسهِ وما زال سائراً حتى قرب نصف النهار وهو محير في اي جهة يسير واي بلد يقصد في الاول وبينما هو على مثل هذا الامر واذا لاحت منهُ التفاتة الى جهة البر فوجد فارساً يسير الى جهتهِ ومن خلفهِ هودج على باذل تقودهُ جماعة من العبيد . فاطلق ساقيهِ الى ناحية ذاك الفارس وقلبهُ يدلهُ انهُ هو الامير معقل وقد اصاب . فكرمُ فانهُ قبل ان يقرب منهُ عرفهُ وتاكدهُ وعرف ان غيابهُ كان لهذا السبب ولما وصل منهُ سلم عليهِ وقال له ان غيابك احدث اضطراباً بالعرب ولا سيما عند اخي الامير حمزة فانهُ قلق زائد وقد بعثني افتش عليك بعد ان تبدد شمل كسرى وانجلى عن هذه الاراضي فاندهل الامير معقل واندهش وقال اصحيح ما تقول كيف يمكن تمزيق مثل هذه العساكر العظيمة بمدة دليلة وانا لم اغب عن قومي الا ثلاثة ايام . قال ان العرب قاتلت فتال الاسود لما شاهدت افعال اميرها وهو على جوادهِ اليقظان يبدد الالوف شرقاً وغرباً حتى وصل الى بيكار الاشتهار فتناولهُ ونزعهُ من حاملهِ بالرغم عن كل ممانع وصار منذ الان ينصب امام صيوان الامير حمزة

قال وكان سبب غياب معقل البهلوان هو انهُ كان قد خرج الى الصيد واوسع بالبر وهو

منفرد بنفسهِ لا احد راهُ ولا رافقهُ وفيما هو يطارد الوحوش والغزلان راى غزالة قد مرَّت بجانبهِ ونفرت مسرعة كالبرق الخاطف فاطلق من خلفها جوادهُ وقد خفق قلبهُ ومالت اميالهُ الى مسكها والقبض عليها وما برح يطاردها وهي شاردة بين ايديهِ حتى دخلت في روض ملتف بالاشجار حول قصر قائم في تلك الجهة فدخل خلفها ومالبث الى ان راها قد دخلت القصر واختفت فوقف هناك متعجبًا من عمل الغزالة ومحرقًا كيف تخلصت منهُ واخذ في ان يتامل في ذاك المكان ويحب ان يعرف من داخلهُ ولمن هو وفيما هو على مثل ذلك واذا بطاقة القصر قد فتحت ووقفت بها صبية من نساء المغاربة ذات خد احمر ووجه جميل رائق وعيون سوداء كبيرة تجرح من اول وهلة فانعطف قلبهُ اليها ومالت اميالهُ الى معرفة اخبارها فوقف محدقًا بها الى ان بدئتهُ بالكلام وحيتهُ بالسلام فاجابها على تحيتها وقد اخذ عقلهُ بعذوبة الفاظها. فقالت ما الذي اوصلك الى هذا القصر وماذا اضعت عندهُ فاني اراك محيرًا. قال اعلمي ياوجه القمران غزالة كنت اطاردها فطارت من بين يدي ودخلت في هذا القصر وقد اوصلتني اليهِ ولم اعد اراها بعد ذلك واحترمت حمى صاحب القصر فلم اعد اسال عن صيدها ولكن قلبي كان لا يطيق فراقها وتركها ولذلك كنت واقفًا بارتباك بين قلبي وارادتي. قالت فعلت حسنًا فما انت الاَّ من كرام الناس وامرائهم وساداتهم فان الغزالة دخلت في حماي وهي لي فهل لك ان تبدل غزالك بمثلهِ وتشرف محلنا فتاكل طعامنا. فسلب عقلهُ وكاد يغيب عن صوابهِ وقال لها من اين لي هذا الشرف وانا غريب عنك وانت لا تعرفي من انا ولا سالتني عن اسمي. قالت ان دلائل الكرام تظهر على وجوههم ولا تخفي عن بصائر اولي الالباب فضلاً عن انهُ ليس من كرم الاخلاق ان اسالك عن نفسك قبل ان تاكل الطعام وترتاح من مشاق الصيد وتعرف من انا

فدخل الامير معقل وهو مسرور الفؤاد وقد اسرع اليهِ الخدم فاخذوا منهُ الجواد وصعدوا بهِ الى اعالي القصر فترحبت بهِ صاحبتهُ وتلقتهُ بالاكرام والبشاشة ودخلت بهِ الى غرفة الاستقبال فاجلستهُ على كرسي من الحرير الاحمر محشوة بالريش النعام وهي من خشب الابنوس فجلس واخذ لنفسهِ الراحة رهة ثم قدم لهُ الشراب فشرب وبعد ذلك قدم لهُ الطعام فاكل وهي معهُ تظهر لهُ كل انس والطاف وسرور بوجودهِ عندها ولا يخفى ان الامير معقل كان جميل الخلقة عظيم الهيكل بهي الطلعة وقورها فعلقت بهِ الفتاة وقدمت لهُ كل ما في وسعها من الترحاب واخيرًا سالها عن اهلها وما سبب وجودها في ذاك القصر. فقالت لهُ ان اسمي ذات الجمال بنت حاكم طينور الغرب وهو صاحب هذه البلاد وهذه الاراضي وقد ابتنى هذا القصر منذ ازمان يقيم فيهِ في زمن اشتداد الحر ولما كبر وشاخ ما عاد يطلع اليهِ فسالتهُ ان يسمح لي اقيم فيهِ كل

سنة مدة ثلاثة اشهر فاجابني وصار كل سنة يرسلني اليهِ مع جماعة من خدمي فاقيم بهِ ويزورني في اكثر الاحيان واريد منك ان تخبرني من انت لاني موكدة انك من قوم العرب النازلين بجوارنا لا بل من ساداتهم واعيانهم . قال لقد اصبت فاني من رفقاء الامير حمزة العرب سيد القبائل وفارس الفرسان واسمي معقل البهلوان صاحب قلعة تيزان وقد جئنا الى هذه الديار للاقية من سفرته فتبعنا كسرى انوشروان بعد ان وصل الينا ا يرنا ولا بد من ان نبطش بهِ ونذله مع قومهِ كما فعلنا معهُ بالسابق . فقالت لهُ نعم الرجل فانت من السادات العظام ولذلك لم يخطئ قلبي وقد اصاب بتعلقهِ بك ومعك ولا ريب انك اذا كنت من كرام الناس لا ترد طلبي ولا تمنع سوالي واريد منك ان تصرف هذه الليلة عندي وفي الصباح تذهب الى قومك ومتى انتهيتم من حرب كسرى بعثت الى ابي فاخذتني منهُ زوجة لك ولا ريب انهُ يجيبك الى ذلك . قال حبًا بك وكرامة وهذا الذي تريدينهُ فاني متشوق اليهِ واذا اطعتيني سرت بك الى قبيلتي من هذه الساعة وارسلت من هناك الى ابيك رسولاً في الحال وسالتهُ زواجك بي . قالت اخاف ان ابي ينسب اليَّ العصيان وطاعتي بالمسير معك يحط من قدري عند قومي فاجابها الى طلبها واقام معها على حظ ومسرة وقد صفت الخمور واحضرت الكاسات والزجاجات ورتبت النقل والازهار واقامت معهُ على مثل هذه الحالة كل تلك الليلة تعاطيهِ ويعاطيها وها بجنة من النعيم

قال ولما دخل الامير معقل القصر وعرف بنفسهِ ذات الجمال كان احد الخدم واقفًا يسمع ويرى فاسرع الى مدينة طيفور واخبر اباها بوجود احد امراء العرب عند بنتهِ وانهُ كان يطارد غزالة فجاءت القصر ودخلتهُ ومن ثم دخل هو واقام عند ذات الجمال . فلما سمع هذا الكلام اضطرب واغتاظ في دخلهِ الاَّ انهُ استعمل الحكمة والدراية وجمع اليهِ اعيان قومهِ وعرض عليهم امر بنتهِ ومعقل البهلوان وسالهم كيف السلوك في هذا الامر الخطر فقال لهُ احد عقلاء قومهِ انت تعرف ان العرب قد جاءوا هذه البلاد منذ زمان طويل وما من احد قدر على عنادهم ومطاردتهم او اشهر بوجههم حسامًا والان قد تبعهم كسرى الى هذه البلاد لاجل محاربتهم ولا ريب ان احد المتحاربين يتغلب على الاخر وعندي اننا نذهب الى قصر بنتك ونحتال على هذا الفارس العربي ونقبض عليهِ وناتي بهِ الى المدينة فاذا انتصر الفرس سرنا بهِ الى كسرى وسلمناهُ اياهُ ونلنا منهُ المكافاة واذا انتصر العرب اعتذرنا اليهِ وسلمناهُ بنتك اذ لا بد لهُ من اخذها واصطلحنا معهُ ومع العرب واما الان فليس من العدل ان نظهر عداوتنا لاحد حفظًا لبلادنا واموالنا من الخراب والنهب وليس من الصواب ايضًا ان نترك هذا العربي عند بنتك على هذه الحالة حفظًا لناموسنا . فاجاب الجميع الى هذا الراي وساروا الى قصر ذات

الجمال وفيما هي مع حبيبها على حظ وفرح وسرور وانشراح وشرب عقار ومناشدة اشعار واذا باحد خدمها قد دخل عليها واخبرها ان اباها قد دخل القصر مع بعض اعيانه فارتاعت واضطربت . فقال لها معقل البهلوان لا تخفي ولا ترتاعي فاني اعرف كيف انصرف مع ابيك فاذا قصد عنادي اخذتك بالرغم عنهم جميعهم وسرت بك الى قبائل العرب واذا وافق على اكرامي اخبرته بالقصة وسالته زواجك وطلبتك منه وكانت هذه الفرصة احسن الفرص وانسبها واذ ذاك دخل ابوها الغرفة مع قومه فنهض لهم معقل واقفًا على الاقدام وهو مدجج بالسلاح . فبش حاكم طيفور في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً بك ايها الامير فقد شرفت منزلنا على غير انتظار واتيت منزلك فعلى الرحب والسعة واني حالما عرفت بقدومك اسرعت لخدمتك لان قومك العرب نزلوا ضيوفًا في بلادنا ومن موجبات الضيف الاكرام . ومثل ذلك فعل باقي قومه وتقدموا من الامير معقل وسلموا عليه واكرموه ومدحوه فشكرهم واثنى عليهم وهو يظن صفاء بواطنهم ولم يفكر بهم الغش والخداع . ثم زادوا من الخمرة وشربوا جميعًا وهو يشرب معهم مستحيًا بنفسه بينهم لعظم اكرامهم له وكذلك ذات الجمال فانها كانت لا تظن ان تلاقي من ابيها مثل هذه المعاملة وما برح الامير معقل هناك الى المساء واذ ذاك وهو جالس في مكانه وقد دارت الخمرة براسه وكاد يغيب عن هداه هجموا عليه ومسكوه واوثقوه وهو غير واع على نفسه ورجعوا من القصر وجاءوا ايضًا بذات الجمال دون ان يعاتبوها على عملها بل بقي ابوها يعاملها بالبشر والانس . حتى وصلوا المدينة ودخلوا قصر حاكم طيفور فوضعوا معقلاً وارسلوا رسولاً الى العرب يراقب اعمالهم مع كسرى ويأتيهم في النهاية بالخبر اليقين وما يكون بينهما وينظر من الرابح ومن الخاسر فسار ذاك الرسول واقام بين العرب يومين وفي اليوم الثالث عاد اليهم في المساء ودخل الى حاكم طيفور وقال له لقد فعلت بنفسك شرًّا يا سيدي فقد شاهدت في هذا اليوم ما كدت لا اصدقه واكذب نظري فلا ريب ان العرب اسود كواسر وابطال صناديد ولا سيما اميرهم حمزة فاني رايته وانا في اكمة عالية يطعن في اقفية فرسان كسرى وهي منهزمة كانه الموت الاحمر لا يعفو عن انسان ولا يرحم ... كانت تنفل فرسان ... كانهم النار الشديدة الاضطرام اذا وقعت على القش اليابس واني انصحك يا سيدي ان تكرم معقل البهلوان وتعتذر اليه وتترضاه وتتخلص من شر العرب فانهم لا يتركون البحث والتفتيش عليه ومتى عرفوا بما حصل له عندك زحفوا على المدينة وبساعة واحدة محوا اثارها فان العجم مع كثرتهم وعددهم الذي لا يحصى لم يثبتوا اكثر من يومين فماذا يا ترى تقدر انت وقومك ان تفعل . فلما سمع حاكم طيفور كلام رسوله قال له لقد اصبت ومن الواجب ان نتلافى امرنا مع العرب ونصطلح مع معقل البهلوان ونسلمه ذات الجمال ثم انه في الحال ذهب بنفسه الى القصر

الذي فيهِ معقل ودخل عليهِ فوجدهُ يزأر كالاسد وهو مغتاظ من الغدر بهِ ووقوعهِ في ايدي حاكم طيفور . فسلم عليهِ . فقال لهُ معقل لم يكن بعهدي ان تسلكوا سبيل الغدر والخيانة وتاخذوني وانا امين بكم ولو انكم اسرتموني وانا على ظهر جوادي لما صعب عليَّ ولكن لا بد ان يتوصل الامير عمر العيار الى معرفة مكاني فياتي مع العرب لخلاصي وتجازون على شرّ اعمالكم فقال ابو دا ... انا ما غدرنا بك لشر ولا قصدنا لك ضرًّا غير ان بعض قومي حكى بعرضي فكدرني فنهاني ... فعلت خوفًا من ان نتركك حتى تذهب الى حالك ويبقى اسم المذلة والعار عليَّ . والان الحمد لله قد ثبت لدينا انك من كرم الناس واوفاهم مروَّة وكرامة وشهامة وقد جئت اليك ... لاعرض عليك صداقتنا واني ارغب في ان تكون صهري وتكون القرابة والنسابة ... لا اكون ... امرًا مكدرًا . قال اني ارغب في بنتك ذات الجمال واريد ان تكون لي زوجة غير اني لا اريد ان اقرب منها وازف عليها الا في قبائل العرب عند قومي . قال كفانا ان نعقد عقد ... عندنا ونسلمك اياها فتصبح زوجتك واخلص من اللزم وبعد ذلك ذلك الخيار ان ابقيتها عندنا او ذهبت بها الى قومك . فوافقهُ معقل على ذلك ... احضر ذات الجمال ... زواجهُ عليها وسلموهُ اياها مع البستها وحلاها ... ركابهِ ... سلم اليهِ ... ناخذهُ وسار بعروسهِ الجديدة يقصد العرب وهو لا يعرف ما جرى عليهم حتى التقى بعمر العيار كما تقدم معنا الكلام فسار واياهُ الى المعسكر حتى وصلا ودخل معقل على الامير ... وسلم عليهِ وسالهُ عن سفرتهِ فاخبرهُ بكل ما توقع لهُ وما جرى مع ذات الجمال وانهُ جاء بها لعمل عرسهِ هناك

قال ... حمزة ذلك تحركت بهِ ... مهردكار واطرق مدة الى الارض . ثم رفع راسهُ ... قال لهم انتم ... اني ... كثيرًا ... كثيرًا لاجل مهردكار وانتم تتعذبون ... تنتقلون من مكان الى مكان وقد احرمتم الراحة وبعدتم عن الاهل والاوطان ... لي ولذلك لا انسى انكم من اكرم ما خلق الله صفاتًا ومروَّة وحيث الان قد انتهينا من امر العجم وانهزم كسرى وانجلت ... هذه الارض وقد طفح الكيل ومضى قسم من ... والاتعاب بقيام العرس والفرح ... ازف ... على مهردكار وعلى الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل ... وعلى ذات الجمال هذه التي جاء بها الان ... الى ... ان يظهر لنا خبر كسرى وما يريد ان يعمل . فقال الملك ... وباقي الامراء ... لقد اصبت يا حمزة فاننا نرغب لك مثل هذه الايام ... زواجك بمهردكار ... وانا ... واحدا واني اشكر الله الذي بعد

كل هذه المتاعب منّ علينا بكل ما نطلبهُ ونسالهُ بهِ والان انشر بين قبائل العرب وكل المجتمعين عندنا من حلفائنا ان ايام الافراح ستبتدئ من الغد ويكون السرح في كل ناحية وفي كل جهة من جهات المعسكر وكل ذلك يصرف من اموال كسرى المحفوظة عندنا التي جمعناها من بلادهِ وعمالهِ ويسلم امر تدبير الزفاف الى اندهوق بن سعدون وعمر الاندلسي ومن اراد من الامراء أن يكون مساعدًا لهما فلا يتاخر لعلمي ان الجميع يسرون من خدمة زفاف اميرهم وفارسهم واذ ذاك تقدم عمر العيار وقال اني لا اريد ولا اوافق على زواج اخي حمزة ولا ارغب فيهِ الان . فقال حمزة اني اعرف غايتك وامتناعك لاي سبب هو ولا بد بعد زمان ان يصبح مال العرب باجمعهِ عند جماعتك العيارين فتاخذ اموال السادات وتدفعها للعبيد . قال نعم كل واحد يسأل عن مخصصيهِ ورجالهِ وجماعتي مساكين يخدمونني بجد واجتهاد ولم اكسهم حتى اليوم . فامر الملك النعمان ان يدفع الى عمر من كل شخص خمسمائة دينار وان يقدم لجماعتهِ ما يكفيهم من الخمور والنوق والاغنام لتكون لهم في ايام العرس ففعل ودفع حمزة لعمر ثلاثة الاف دينار لهُ ولقومهِ العيارين وقال لهُ هذه مقابل اكرامي لهم في مثل هذا الزفاف فكاد عمر يطير فرحًا وما صدق ان قبض الاموال حتى دعى بجماعتهِ وسار امامهم وساروا من خلفهِ كسرب القطا حتى جاء اكمة ونثرها عليهم حسب عادتهِ وهم يلتقطون حتى فرغ وبعد ذلك قال لهم اعلموا ايها العبيد ان في الغد يبتدئ عرس حمزة فاسكروا واخمروا وغنوا وارقصوا وافعلوا كل ما تريدون من اسباب الحظ والمسرات والافراح والتهاني فصفقوا وقالوا انا الى مثل هذا الامر ننتظر وعادوا جميعًا

قال ثم ان الامير حمزة امر في الحال ان يقدم اليهِ فرمزتاج بن كسرى فاتي بهِ وحالما دخل الى الصيوان نهض حمزة واقفًا وتقدم اليهِ وفك وثاقهُ بيدهِ وقال لهُ لم يهن عليّ ايها الملك العظيم ان تهان ويصل اليك الاذى وانت ابن كسرى انوشروان واخو مهردكار واننا نحن العرب وان تكن الحرب بيننا وبينكم قائمة وقد فزنا عليكم وفي وسعنا ان نبيد دولتكم لكننا لا نزال نعتبركم حق اعتباركم ونعرف مقامكم فهو مقدم على كل مقام ولو نظر ابوك موضع النظر ووعى الى صالح نفسهِ لما عمل على عداوتنا بعد ان خدمتهُ حق الخدمة وخلصت لهُ بلادهُ من عدوهِ خارتين فقال لهُ فرمزتاج لعنت النار بختك الف لعنة وربيت روح ابيهِ بجبال الثلج فهو جرثومة الشر ولولاهُ لما كانت كل هذه العداوة بل كان ابي بخير ونعمة وكنتم بطاعتهِ وصداقتهِ . ثم ان حمزة اجلس فرمزتاج بمكان مرتفع على الجميع وامر ان يقدم اليهِ كل اكرام واحتفال وعظم شانهُ . ثم قال لهُ اخيرًا اني كنت احب ان ارسلك من هذه الساعة الى المدائن باحتفال وتعظيم غير اني اريد ان تشاركنا بزفاف اختك وتفرح معنا ومن ثم تسير فتخبر اباك بذلك عساهُ يرجع

عن السعي في خرابهِ وهلاك قومهِ و يعرف ايضاً زو بين الغدار ان املهُ قد انقطع وان التي يعلق آمالهُ بزواجها قد تزوجها من هو احق بها . فشكرهُ فرمزتاج وكان يظن قبل ذلك ان حمزة لا يبقي عليهِ ولا بد ان يقتلهُ جزاء لابيهِ وكيداً لهُ فصادف خلاف ما افتكر وملئ قلبهُ فرحاً وسروراً .واقام مع العرب الى المساء وفي المساء ذهب بهِ الى صيوان مهردكار ولما راتهُ بكت فرحاً بهِ وقبلتهُ وسرت بعمل حمزة وشكرتهُ مزيد الشكر . وقالت لهُ اني لا اقدر ان اكافيك ياسيدي على مثل هذه النعمة العظيمة . فقد عاملتني معاملة الحنو والرفق بحيث شفقت على اخي واكرمتهُ وما اهنتهُ قال اني اعرف قدر ملوك العجم واحترمهم مهما عملوا بي واما عرفت اني اقدر على كيدهم وقهرهم ولكن لا سمح الله ان اكون انا البادئ بالشر واني حتى الساعة اذا سلمني ابوك بختك سرت اليهِ بنفسي وقدمت لهُ طاعتي وخدمتهُ كان ما صدر منهُ مكروه بحقي وضدي . فقال فرمزتاج لاختهِ اني اراك مصيبة بحبك لحمزة فهو رجل من اكرم الناس وارقهم مع انهُ من اشد الفرسان واشجعهم وانا منذ هذه الساعة احاصم كل من يخاصمهُ واحب كل من يحبهُ ولا سيما حيث عاملني هذه المعاملة وما كنت اظن قبل الان الا بالموت والهلاك والقتل حتى سمح لي الله ان احضر زفافهُ في هذه الايام وفي هذه البلاد .

وكانت مهردكار مسرورة جداً بعمل اخيها وبالاتفاق الذي راتهُ بين الامير وبينهُ وهي لا تعرف من نفسها بماذا تكافي الامير على معاملتهِ اخيها تلك المعاملة ومحبتهِ لهُ واملت ذاتها انهُ ربما ينتهي الخصام بين العرب والعجم اذا رجع فرمزتاج الى ابيهِ واخبرهُ بما عملهُ معهُ وعاملهُ بهِ حمزة . وبعد ان ذهب الامير الى صيوانهِ وبقيت هي على مثل هذه الافكار وقد نام اخوها بسرير اعد لهُ وهي جالسة تفكر فيما ستلاقي في هذا الزفاف وما يكون لها مع الامير من الراحة والرفاهية وتنظر في كل مستقبلها نظر السعادة والاقبال كانها كانت تريد ان تدفن الماضي في تلك الساعة وتطلب ان تنسى كل ما وقع عليها ولم يخطر لها قط ان الزمان كثير الغدر وان ما املتهُ من ان بزفافها تكون نهاية مصائبها بل ان بهذا الزفاف تزيد اكدارها ومصائبها ويكثر من حولها الاكدار والاهوال لان حول ابيها رجال المكر والكيد فلا يدعون بالهُ يصفو او ينزل عن بغضهِ ويرجع عن عنادهِ بل كل ما طالت الايام يطيل اصرارهُ على الانتقام من العرب . وما برحت نحواً من ساعة تفكر في مثل هذه الامور وهي تارة ترتاع من زواجها هذا كيف سيكون بعيداً عن بلادها واهلها وليس عندها من نساء قومها او قوم الامير حمزة من تتسلى بهِ او يصلح شانها وليس عندها الا البنات اللاتي سيكون نصيبهن مثل نصيبها ان كل واحدة ستشرب الكاس التي ستشربها هي وطوراً تتسلى من نفسها بنفسها وتقول في ذاتها يكفاني ان يقال باني صرت زوجة لحمزة العرب مهما كان دون ذلك من العذاب والمشاق والوحدة والانفراد واني ساكون

سعيدة بالقرب منهُ واني ساقوم بشان نفسي وما هي الاَّ مدة ايام قليلة تنقضي وبعد ذلك اصبح زوجة شرعية ويكون لي ولمن احبهُ قلبي ما يكون من روابط الزوجين غير اني لا ريب ساكون من افرح عباد الله منذ هذه الساعة وكل ما كنت اتمناهُ سالاقيهِ وانا لهُ بالرغم عن كل حاسد وعدو فقد خلا لنا الجو ولم يبقَ بيننا الان من يكدر عيشنا ويمنع قرانا فبشراك ياقلبي بشراك ستنضم في ليالٍ قليلة الى من احببت وتنتهي بذلك احزانك وتأمل ايام سعودك لاتضطرب ولا ترتع عند ذكر الماضي فكل ما مضى لا يحسب بشيء في جنب ساعة واحدة من الساعات والايام والشهور والسنين التي اعدت لك من حبيبك وصبيك ثم جعل السرور يتتابع على فوادها ويزيد سرورها وتردد ناشدة

لا بلغ الحاسد ما تمنى فقد قضى وجداً ومات منا

ولا اراهُ الله ما يروم منه فينا ولا بلغ سوءاً عنا

اراد يرمي بيننا لبيننا قبله في القول بما اردنا

ابلغكم اني اجحدت حبكم اصاب في اللفظ واخطأ في المعنى

ظن حبيبي راضياً بسعيهِ فشن غارات الاذى وسنا

فمذ راى حبي اليَّ محسناً اساءني فعلاً وساء ظنّاً

يا من غدا للايرى تالقاً ريان الغصن اذا انثنى

ومن سالنا منهُ ما نالمنى فمن الوصل منا رمنا

اشمتني بالضد بعد شدة ومن تعنى بالهوى تهنا

فعد بوصل واغنم طيب الثنا فان ذا يبقى وذاك يفنى

وهي تدفع بكل قواها الفكرية والفوادية تقل ذلك الليل الطويل وتنهي افتراضه وهوه وهي قليلة الصبر الى ملاقاة اليوم القادم اي اليوم الذي سيبتدي به الفرح وتسمع فيه تلك الاصوات المتنوعة اصوات الافراح والتهاليل بداعي زفافها على من احبتهُ وهي تتصور بهاءهُ وحسن منظره وكيف سيكون مشرقاً وضاحاً بين قومهِ ومتمثلاً باكاليل البهاء والسناء ولا يكون بشأنهُ احد فينار جميع من يقرب منهُ من شروق شمس جمالهِ وكان لسان حالهِ يقول

الوجد منك عن الصواب يضلني واذا ضللت نائة يهديني

وتميتني الالحاظ منك بنظرةٍ واذا اردت بنظرةٍ تحييني

وكذاك من مرض الجفون بليتي واذا مرضت فانها تشفيني

فلذاك اشري الوصل منك بمهجتي وابيع دنيائي بذاك وديني

وصرفت كل ليلها على مثل هذه الحالة تفكر فيما تقدم وفيما تكون فيهِ في اليوم الثاني والذي بعدهُ في

مدة الزفاف ولا ترى كيف نظرت وكيف رات باعين افكارها الا ان جمال من احبت يجلي سوداء قلبها ويسهل عليها كل صعب ويعدها بسعادة دائمة وراحة منتظرة

ولم تكن سلوى اخت المعتدي حامي السواحل اقل منها شوقًا الى ملاقاة الامير وطلب سرعة الزواج والوصول اليه وهي بنفس الافكار التي كانت عليها مهردكار غير انها كانت تزيدها بفكر كان لا يخطر لتلك وهو كيف سيكون لها في من نخة ويكون زوجًا لها مشاركًا وقرينًا وكانت تتكدر من وجود مهردكار وكم كانت تحسب نفسها سعيدة لو لم تكن مهردكار محبوبة من الامير وحق لهذه ان تحسد تلك وتتكدر منها لان مهردكار كانت موكدة انه لو وجد للامير الف زوجة لا ينصل واحدة عليها وسيقدمها على الجميع ويخصص لها اكثر اوقاته ولهذا كانت لا تتكدر من سلوى ولا تفتكر انها ستزاحمها بحبيبها نعم انها ستكون زوجته لكن قلبه لا يكون لها بل يبقى في يدها بخلاف سلوى التي كانت تعلم انها ستلاقي بعد زواج الامير بها برودًا وفتورًا منه مهما كان بينها وبينه من الحب والمودة وقد مرّ عليها كثير من البراهين الدالة على ذلك حيث ان الامير كان يمضي بعض ايام لا ياتي لزيارتها مع انه كان لا يطيق تمضية ليلة واحدة لا يزور فيها مهردكار ولا يقدر على النوم دون ان ياتي صيوانها يراها وتراهُ ويسامرها فضلاً عن ان اكله وشربه على الدوام عندها وبقربها . وكانت لا تعرف كيف يكون حالها مع مهردكار وهل تقدر تحوله عنها اذا اصبح زوجها واصرّت بفكرها اخيرًا انها ان كانت مكرمة عنده بعد زواجها مثل مهردكار وعاملها معاملة واحدة بقيت عنده والاّ سالته ان يرسلها الى مكة الى ابيه تقيم هناك

واما درة الصدف وذات الجمال محبوبتا الامير معقل البهلوان فان كل واحدة منها كانت تهتم بنفسها وتفتكر بامرها وتدبر احوالها واصلاح شانها غير ان درة الصدف كانت اكثر اهتمامًا واعظم سعيًا ونظرًا باحتياجها لانها كانت غريبة وليس امامها احد من اهلها ليساعدها في مثل هذا الزفاف بخلاف ذات الجمال فانها في بلادها وكل ما تحتاجهُ يصل اليها ولا بد من ان تاتيها نساء قومها . والحاصل ان كل فتاة من تلك الفتيات كانت قلقة في ذاك الليل ولم ياخذها نوم لعظم تراكم الافكار شأن كل فتاة في ليلة زفافها او قبلها بليلة ولا سيا اذا كان الرجل المزمعة ان تقترن به محبوبًا عندها ومعظمًا في اعينها

ونهض رجال العرب في صباح ذاك اليوم نهوض المهتم بالافراح واجتمع الامراء والسادات الى صيوان الملك النعمان فجيء لهم بالطعام والشراب فشربوا وخمروا وطربوا كل ذاك النهار وكذلك باقي الانفار فانهم انقسموا الى فرق وجماعات وكل فرقة عندها من اسباب الحظ ما يكفيها ويرضيها فكان الفرح سائدًا في كل الجهات وقد عم الكبير والصغير والملك والامير

وكان عمر العيار يطوف فيما بينهم يراقب احوالهم وينظر في من كان منسيًّا فياتيهِ بالاغنام والمدام وباقي الاسباب وقد قدم لجماعتهِ العيارين كل ما يلزم لهم ليكونوا افرح اهل الحلة واكثرهم سرورًا وطربًا وحبورًا وعلى هذا فكانت اصوات الطبول والزمور والموسيقات تضرب في كل ناحية من المعسكر والرقص وتصفيق الايدي عامل في كل فرقة حتى كان المساء فوقع الجميع سكارى وناموا الى تاني الايام فعادوا الى ما كانوا عليهِ مدة سبعة ايام و في اليوم الثامن اجتمع الفرسان والابطال ونصبوا ميدانًا في وسط الساحة وركب كل ذي ساعد قوي من بطل وشجاع واخذوا في لعب الجريد وضرب الرماح وقد جردوها من الاسنة واظهر كل واحد بسالتهُ واقدامهُ وشجاعتهُ فتنوعوا بفنون الحرب وانواع الطعن والضرب وركب الخيل والغارات حتى كان ذاك اليوم يوم القيامة وكان اندهوق ينازل المعتدي حامي السواحل وهما بمنزلة واحدة لا يزيد الواحد عن الاخر مقدار ذرة فتعجب منهما الكبير والصغير كل هذا وحمزة راكب على جوادهِ اليقظان كانهُ من ملوك بني حمير او فراعنة مصر تحيط بهِ الخدم والعبيد والسادات والملوك وصرفوا على مثل هذه الحال مدة خمسة ايام حتى كل اكثر الفرسان ومع ذلك فهم بسرور زائد وفرح لا يوصف الى ان صدر امر الامير حمزه بترك القتال وفي اليوم السادس اي اليوم الثالث عشر نصب الامير عمر صيوان اليون شاه ملك جبال قاف الذي جاء بهِ كندك المارد من اسما ري في وسط القبيلة ونصب عند بابهِ علم كسرى المعروف بيكار الاشتهار وهو يلوح ويخفق وعلى راسهِ بيضة تتوقد من الماس لا تقدر الانظار تحدق بها مقامة على عامود من الذهب الاصفر مصقول من راسهِ الى اسفلهِ ومنقوش بالنقوش البديعة الصنعة وفي مقدار كل قيراطين بقجة من الترصيع تجمع كثيرًا من الحجارة الكريمة كل واحدة بلون واحد من اخضر واحمر وزمردي وابيض وغير ذلك وعلى ارتفاع ذراع من الارض معلق بيكار الاشتهار سرير من الذهب عليهِ افرشة من الحرير محشوة بالقطن الناعم كان يجلس عليها كسرى في وقت الافراح وفي اخر ذاك العلم اربعة قوائم من الذهب كانت تحمل بها رجال كسرى وحجابهُ عندما كان يسير ويجلس على السرير او كان في وقت الحرب وقد طلب الانهزام خوفًا من ان ينفرد بنفسهِ فيعلم قومهُ انهُ تحت بيكار الاشتهار فيسيران من حواليهِ الى ان يخلصوا من العدو . فكان ذاك الصيوان وذاك العلم بهجة للناظرين تاتي قبائل العرب وطوائفها للفرجة عليها

ولم يكن الاَّ القليل حتى جاء حمزة بثياب الملك سليمان المرصعة بالجواهر واليواقيت وقد تقدم الكلام عنها في محلهِ وجلس على كرسيهِ في الصدر ومن ثم دخل الصيوان الملوك والفرسان وجلسوا في مواضعهم وكل واحد منهم بالزينة الفاخرة والاثواب البهجة فاصبح ذاك الصيوان يلمع بالزين ويفتخر بالفرسان ولما تم اجتماع الامراء وانتظموا طلب الملك النعمان قاضي العرب

الذي كان في قومهِ ان يعقد للامير حمزة على عروسيهِ مهردكار وسلوى والمعقل البهلوان على عروسيهِ درة الصدف وذات الجمال ففعل وشهد كل الحضور قبول المتعاقدين والمتعاقدات ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح . ثم بعد ذلك تقدم الملك النجاشي من الامير حمزة وهنأهُ بهذا الزفاف السعيد وقال اني اشكر عناية المولى سبحانهُ وتعالى الذي سهل لي ان اقاتل بين يديك اهل الكفر والطغيان وسهل لي ان احضر زفافك واشاهد فرحك واقاسمك به وافرح لفرحك فزاد الله عظمتك وجعل كل ايامك مقرونة بالفرح والسعادة والاقبال . ثم انشد وقال

تبسم ثغر الافق عن شنب الفجر … فهيج اشواقي الى العس الثغرِ

وشقت جلابيب الشقيق يد الصبا … كما مزقت جيب الهياض يد النهرِ

وناحت على العيدان هاتفة الضحى … فجالت عيون الطل في انجم الزهرِ

وغضت عيون النرجس الغض عندما … تبسم ثغر الزهر عن حبب القطرِ

وابدت نهود الجلنار اشعة … مركبة في [illegible] اعطافهِ الخضرِ

لدى روضة ابدت سماء زمردٍ … عليها نجوم قد طلعن من التبرِ

وحيث الدجى ولى بادهم ليلهِ … وقد جد الى ادراكه [illegible]

وحيث تولى بعدهُ القلب خافقًا … كود كئيب [illegible] [illegible]

وحيث السهى قد رقَّ من عظم شوقهِ … لرؤية بدر التم في رابع العشرِ

وحيث سهيل مقتفٍ اثر زهرةٍ … لحادٍ بنوق قد اظل على [illegible]

وحيث ترى الجوزاء في افق غربها … وشاح لجين قد ادير على [illegible]

وحيث ترى الاكليل في مفرق الضحى … كتاج ورد [illegible] [illegible]

اجل ملوك الارض جدًّا ووالدًا … وحسبك آباء خضارمة [illegible]

تملك رق الجود واستخدم الغنا … فلم يبق عانٍ يشتكي [illegible] الفقرِ

ينيل محبيهِ ويغني عداتهِ … فياتي على الحالين بالدمع والصبرِ

لطيف المعاني كامل الحسن والبها … حليف المعالي طاهر السر والجهرِ

فما الصبح الا ما ابان من الرضى … وما الليل الا [illegible]

وان رام مداح الثنا وصف مدحهِ … فاوصافهُ تملي واقلامه تجري

معاليهِ لا تحصى لفرط اعتلائهِ … كذاك معانيهِ [illegible]

من القوم حلوا كل آفاق دولةٍ … فهم في سماء [illegible]

سراة المعالي زهر افاق سعدها … [illegible]

فحبك يا فرع المكارم والعلا اصول زكت في روضة المجد والفخر
اهنيك بالافراح ياركن عزها وقهر عدوّ الله داغية الكفر
بقيت بقاء الدهر فيما اذ انقضت اواخر عصر عاودت مبتدا عصر
ولا زلت ذا فعل جميل مصدق بقول مطاع النهى ممتثل الامر

وبعد ان فرغ الملك النجاشي من شعره مدحة الامير حمزة وشكر من حبه وغيرته واثنى عليه مزيد الثناء . وبعد ان جلس في مكانه تقدم بعده عمر الاندلسي وبعد ان ادى ما هو واجب عليه من فروض الهناء انشد فقال

لا زال سعدك دائمًا ونحور ضدك داميه
وعدو ملكك هائمًا وسحاب جودك هاميه
وحسود فضلك سائمًا وسعود مجدك ساميه
والنصر حولك حائمًا وصدور ضدك حاميه
مولاي ان اكُ شائمًا تلك البروق الساميه
اغدو لمجدك راميًا ويد النوى لي راميه

ثم ابدى بعدهُ الملك النعمان الهناء للامير حمزة واظهر سرورهُ وافراحهُ سوال غايته وانشد فقال

بيت العلا قبل هذا البناء لذلك اضحى محل الهناء
رحيب الفناء رفيع البناء مشيد الثناء عزيز السناء
فاصبح وهو مقيل الضيوف عرين الاسود كناس الظباء
فلا زلت تلبس فيه الغنى وتسمع فيه لذيذ الغناء

وبعد ذلك تقدم اندهوق بن سعدون من الامير وقبله وذرف دموع الفرح وقال اني لمثل هذا اليوم السعيد كنت اشتهي واريد حتى منّ الله عليّ به واوصلني اليه ولذلك فانا الان من افرح عباد الله اشكرهُ على مثل هذه النعمة التي لا تعد ولا تحصى فساعة من ساعات هذا النهار كافية لان تنسينا كل ما مضى علينا من المصائب والاهوال والغربة والمشاق ومحاربة الاعداء . ثم انه انشد

يا زهر روض يقتطف وهلال تم في سدف
اشرب هنيئًا فالطلا اجلا شراب يرتشف
وانشق ازاهر روضة خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنايا غادةٍ حوت الملاحة والطرف

واطع نصيحك في الهوى　　ودع التحمل والتكلف
يا من علا اعلى شرف　　اذ حاز بالنسب المشرف
اصبحت منهاج الهدا　　ونهجت منهج من سلف
اوضحت شاكلة الصوا　　ب فكنت عن سلف خلف
وطلعت في افق الزما　　ن طلوع نجم في سدف
لو لم تكن روضاً لما　　ابديت زهرًا يقتطف
يا بدر مجدٍ قد اضا　　وسحاب جود قد وكف
لا زلت تبقى جامعًا　　جمل المحاسن والظرف
ولقيت اسباب الهنا　　ووقيت دائرة التلف
ما مد زاخر راجزٍ　　وابان درًّا في صدف

فشكر الامير حمزة من محبة اندهوق واثنى عليهِ مزيد الثناء لعظم ما ابداهُ نحوهُ من الشعور والاحساسات الصادقة التي لم تكن وقعت بين اخوين او صديقين قبلهما . ثم جلس اندهوق في كرسيهِ فتقدم بعدهُ المعتدي حامي السواحل وقبل الامير واظهر مزيد سروره وفرحهِ بزفافهِ وشعورًا بذلك انشد

آلى الزمان عليهِ ان يواليكا　　يثني عليك ولا ياتي بثانيكا
فان سطا فباحكام تنفذها　　وان سخا فبفضل من مساعيكا
ليهن ذا العرس حظ منهُ حين غدت　　علاهُ ثم حلاهُ من اياديكا
مجملاً بايادٍ منك فائقة　　معطرًا بغوالٍ من غواليكا
واني يهني بك الدنيا ونحن بهِ　　يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من يضاهيك فيما حزت من شرف　　ومن يدانيك في حكم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهي قاصرة　　عن بعض ايسر شيء من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها　　والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر　　اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجدٍ فمن علياك مكتسبٌ　　وكل فخر نراهُ من حواشيكا
وما حكى السلف الماضي وحدثنا　　بهِ من الفضل بعض من معاليكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة　　ويحسد الفلك الاعلى معانيكا

ثم بعد ان جلس المعتدي حامي السواحل نهض قاهر الخيل وهنأ الامير واظهر فرحهُ وسرورهُ واشار مادحًا

يا ابن الاماجد انت من — اي الافاضل وأين من
كذب الذي حسب الزما — ن اتى بمثلكم وظن
ايقاس ما غرس العلا — يومًا بخضراء الدمن
والال بالغيث المغيـ — ـث اذا توالى او هتن
والمجد سار الى جنا — بك من ابيك على سنن
وبك المناصب فخرها — دون الورى من قبل ان
فاليك مني روضة — بالشكر يانعة الغنن
لم لا يطير بي الرجا — ء الى حماك مدى الزمن
وبذرت لي حب المنا — ونصبت لي شرك المنن
وملكت رق مدائحي — بالخلق والخلق الحسن

وما برحت الفرسان واحدًا بعد واحد تهني الامير وتمدحهُ حتى فرغ الجميع وانقضى النهار وجاء الليل وصرفت السهرة على مثل ذلك ومن ثم جاء الامير حمزة صيوان مهردكار فوجدهُ مزينًا بالزين الفاخرة ومكللاً بالزهور الزكية الرائحة البهية الالوان وروائح العطر والند تنبعث منهُ ونظر الى مهردكار فوجدها كانها البدر في رابعة النهار وقد برزت بحلة مزركشة نظيفة ووضعت على راسها اكليل من الزهور البيضاء يتخللها بعض زهرات حمراء وزرقاء ومتورية وافرغت عليها ايضًا كل حلاها وجواهرها التي جاءت فيها من بيت ابيها حين خروجها مع اندهوق بن سعدون حتى خيل لهُ انها من ابدع حوريات الجنان قد جاءت اليهِ نعمة من ربهِ ولما راتهُ وكانت بانتظارهِ وقفت اكرامًا لهُ وتقدمت منهُ وقبلت يديهِ فقبلها في خدها وكان نشوق زائد الى قتل هيامهِ وغرامهِ وما لاقى من شدة الفراق والوله في السنين الماضية فتناولها وصرف ليلة على الحظ والراحة والهناء والمسرة يقوم ويقعد ويسكر ويخمر وهي تبدي لهُ كل ما في وسعها لسرورهِ وانشراح صدره غائبةعن الصواب لعظم ما نالها من المسرات لا تصدق انها في نفس تلك الليلة ولا تصدق ان الامير قد قرب منها واصبح زوجها شرعًا وفعلاً وصارت مذ ذلك الحين امرائهُ المعروفة عند الخاص والعام وما برحا على مثل تلك الحالة حتى اغاظتهما مفاجئة الصباح وكدرتهما رحلة الليل الذي كان عليهما اقصر من شبر النملة . وحينئذٍ نهض الامير الى ثيابهِ فلبسها وتزين وخرج بعد ان وعد مهردكار الى العودة في غير ليلة وجاء الى صيوانهِ فوجد امراء العرب وملوكها بانتظارهِ فترحبوا بهِ وهنوهُ بما لاقى وبانقضاء اشواقهِ . ومهردكار تحمل من الامير بولد ذكر يدعى اسمهُ قباط ويكون سلطان العرب وحكمًا فيهم وفي نفس تلك الليلة دخل الامير معقل ايضًا بدرة الصدف ولاقى كل ما يسرهُ وخرج مسرورًا منشرح الصدر فهناه

الامراء والاعيان

قال وصرف العرب ذاك اليوم بالفرح والمسرة والهناء والغناء وقد ذبحوا الاغنام والنوق وفرقوها على عموم الرعية واطعموا الفقراء والمساكين وما بقي طرحوها في الفلاة لتاتي وحوش البر وطيور السماء تتشبع و يمتلئ بطنها فتدعو لصاحب هذه الوليمة وتشكره وتهنيه بزفافه وتعلم انه تزوج بمهردكار وعند انصراف السهرة ذهب الامير معقل الى صيوان ذات الجمال ودخل بها وصرف ليلة بالمسرة والانشراح ومعقل البهلوان هذا لم ياته ولد ذكر قط لا من ذات الجمال ولا من درة الصدف . وجاء الامير حمزة في نفس تلك الليلة الى صيوان الاميرة سلوى فكان مزينًا بكل زينة فاخرة ولم يكن اقل بهاء من صيوان مهردكار فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وابدت له كل مؤانسة وملاطفة واستئناس وجلست واياهُ على صفرة المدام الى ان لعبت الخمرة براسيهما فنهضا الى المنام وقد تقدم معنا ان الاميرة سلوى كانت باعلى درجة من الجمال والاقدام فسلمت بنفسها الى الامير وكان حظها منهُ في تلك الليلة نفس حظ مهردكار الى ان اشرق الصباح فخرج الى الصيوان العام وكان ذاك اليوم هو الاخير من ايام الافراح فبعد التهنية والثناء على الامير ختم العرب افراحهم بالصلاة والشكر لله على توفيقهم ونجاحهم وعلى ما اولاهم من الفوز والنصر والتوفيق ودعوا لاميرهم بالبقاء وطول العمر ودوام السعادة والاقبال وبقي العرب عدة ايام بعد ذلك في تلك الارض والامير يصرف اكثر وقته عند مهردكار وهو لا يمتلئ من حسنها ولا يفتر عن اشتداد غرامه وكانت هي ترى من نفسها انها في مجرى السعادة والاقبال وان العذاب والمشاق قد انقضى ولم يعد اليها الدهر بما تكرهه ولا ترغب فيه وقد غاب عنها ان الدهر كثير الغدر ان اضحك يومًا ابكى اياماً وان اذاقها ساعة حلاوة عيشة اشبعها سنين مرارات غدر وكيد فما كانت تلك الايام الاَّ وسيلة عذاب تتذكرها عند اشتداد احزانها ومصائبها وتتمنى بحرق رجوعها وتندم على فواتها ولتفيس بينها وبين ما تلاقي في زمنها الاتي اذ ما من وسيلة لرجوع السلام بين ابيها وبعلها

واما الاميرة سلوى فانها كانت تصرف كل عنايتها وجهدها لتجعل الامير ينصف بينها وبين مهردكار فلم تنتفع من ذلك ولا قدرت عليهِ لان الامير لم يكن ظالمًا غير ان قلبهُ كان مولعًا كل الولوع ببنت كسرى وما صدق ان نال مراده منها وصارت زوجتهُ فكان لا ياتي سلوى الا في الاسبوع مرة او في كل اسبوعين مرة وهي صابرة عليهِ مؤملة بان هذا الحب لابد ان يقل من جهة مهردكار ويضعف فيعاملها مثلها غير انها كانت في الاخير تراه قد اشتد وكثر وعظم وفتر من جهتها وبرد فاغاظها ذلك ورات نفسها انها حامل ففرحت واقسمت انها تفارق الامير والعرب وتذهب الى مكة فتلد هناك ولهذا عندما زارها الامير وجدها قد هيأَت ملابسها

وكل احتياجاتها فتعجب منها وقال لها لما ذلك قالت اني اريد ان اذهب الى مكة المطهرة الى امك وابيك وانتظر هناك قدومك وانا بانتظارك لاسالك ان تبعثني الى هناك قال هذا لا يمكن ولا اريد ان تفارقيني قالت اني وطدت العزم ونويت كل النية فاذا شئت ان ترحمني ولا تظلمني لا تمنعني من غايتي والا فاني اموت في الحال فلا خير في البقاء فجعل يتلطف بها ويعدها بكل خير وهي لا تقبل ولا ترضى ان ترجع عن عزمها . وفي الصباح اخبر اخاها بذلك وسالهُ ان يترضاها ويسالها البقاء بين العرب فذهب اليها واخبرها بما طلبهُ الامير فابت وقالت اني لا اطيق البقاء واريد من كل قلبي ونيتي ان اذهب الى الحجاز واقسمت الاقسام العظيمة اني لابد ان اسافر او اموت . ولما راى الامير ان لا بد من مبارحتها ومسيرها الى مكة دعا بالامير عقيل وطلب اليهِ ان يسير الى مكة المطهرة مع الامير سلوى وان يصحب معهُ كل ما يحتاجهُ من المؤن والخدم والرفاق ودفع اليهِ كل شيء ثم ان الامير ودع سلوى وبكى لفراقها وخرج مع اخيها وباقي الاعيان لوداعها مدة يوم كامل وعاد حزيناً على بعدها لانها زوجتهُ واخت اكبر فرسان قومهِ ومساعديهِ في ضيقاتهِ وشداتهِ . وبعد ان رجع دعا بفرمزتاج اخا مهردكار وقال لهُ انت مخير الان بالبقاء عندنا وبالذهاب الى بلاد ابيك فاختر لنفسك ما يحلو . قال اريد ان تسمح لي بالذهاب الى بلادي لاخبر ابي بما فعلت معي من الجميل واريد ان اكون واسطة صلح بينك وبينهُ عسى ان الصدف تساعدني فاكيد بختك وافوز بالمطلوب . فاجاب الامير حمزة طلبهُ وجهزهُ بموكب عظيم من خدم وعبيد ومواشٍ ونوق يستعين بها في سفره وخرج مع سائر ملوك العرب وفرسانهم لوداعهِ وودعتهُ اختهُ وبكت لفراقهِ وبكى لفراقها وسالتهُ ان يجهد نفسهُ الى مصالحة العرب والعجم

قال وصرف العرب مدة ستة اشهر في طنجه الغرب بعد تفريق جيش كسرى وارتياح ضمائرهم وهم براحة واطمئنان . وبعد ذلك اجتمع العرب باجمعهم في صيوان الملك النعمان وتفاوضوا فيما يفعلون اذ ليس من الصواب ان يبقوا في تلك الارض وان من الضرورة ان يعرفوا غاية كسرى وماذا يقصد وهم موكدون انهُ بعد هذه الكسرة لا يسكت ولا بد من العود ثانياً الى القتال او استعمال وسائط اخر لاذلالهم وكيدهم فقال الامير عمر ان من رائي الذهاب من هنا الى مدينة حلب فنقيم هناك ونستخبر عن العجم وملكهم ونعرف هل في نيتهم القتال او الصلح والسلام . فاجاب الجميع هذا الطلب وراوهُ عين الصواب وعليهِ صدر امر الامير حمزة بالاستعداد للركوب والمسير عن تلك البلاد ليروا ما كان من امر عدوهم . فاهتم العرب بالرحيل واستعد كل واحد الى السفر حتى كان صباح يوم ركب الامير حمزة على جواده اليقظان وتقدم في اول الفرسان وركب من بعده كل فارس وبطل وركب النجاشي برجالهِ الحبشة وعمر

الاندلسي بابطالهم الاندلسيين ورحلوا عن تلك الارض وبارحوها بعد ان اقاموا بها عدة سنين وقد ملأوا السهل والجبل ومواشيهم ونوقهم وانعامهم تكاد لا تحصى كلها من اموال كسرى انوشروان وما نهبوا وسلبوا منهُ وداموا على مسيرهم مدة ايام وشهور حتى وصلوا من مدينة حلب وتبينوا اسوارها فبعثوا برسول الى نصير حاكم المدينة فسرَّ جدًّا بقدومهم وكذلك اهل البلد لانهم كانوا من الطمع على جانب عظيم يحبون الارباح فيكسبون من العرب الاموال عند حلولهم عندهم

ثم ان نصيرًا خرج برجالهِ واعيانهِ الى ملاقاة الامير حمزة وقومهِ ولما التقى بهم ترجل وترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ثم ساروا حتى وصلوا من ضواحي المدينة فضربوا خيامهم وتفرقوا من حواليها كل فرقة في ناحية . وبعد ان اقاموا مدة ثلاثة ايام دعت العرب بنصير الحلبي وقالوا لهُ نريد ان نعرف ماذا جرى على كسرى وهل عندك طرف من اخباره . قال ان اخباره كانت قد انقطعت عنا ولم نعد نسمع عنهُ شيئًا مدة طويلة غير ان بعض المسافرين في هذه الايام الاخيرة اخبر انهُ راى عساكر قد جاءت الى مدينة المدائن ونزلت حواليها ولا اعرف غير ذلك . فقال حمزة ان كشف اخبار العجم لا بد منهُ ولا يقدر على ذلك الا عمر العيار فقد يمكنهُ الذهاب وكشف الاخبار دون ان يطلع على امره احد ثم امرهُ بالمسير الى بلاد كسرى واوصاهُ بان يقبل عنهُ أيادي بزرجمهر ويستشيره في كل اعمالهم . فاجاب وفي الحال غير ملابسهُ وتزيا بزي الاعجام وانطلق في بر الله الاقفر مدة ايام وليالٍ حتى وصل الى المدائن فراى العساكر متجمعة هناك وقد سدت الفضاء شرقًا وغربًا جنوبًا وشمالاً فثبت عندهُ ان كسرى لا يزال على عناده فتخلل الجيوش وهو يتفرج عليها حتى جاء ابواب المدينة ودخل منها فلم يعرفهُ احد ثم جاء الايوان ووقف بين الحجاب يراقب اعمال كسرى وقد لاحت منهُ التفاتة الى الداخل فراى كسرى كعادتهِ جالسًا في صدر الايوان وحولهُ وزراهُ واعيانهُ وراى رجلاً عظيماً عن يمين الملك يقاربهُ بالعظمة والجلال وهو لابس ملابس الملوك الكبار اصحاب التيجان والصولجان وعن يسار كسرى ايضًا غلامًا امرد الوجه ابيضهُ لا نبات بعارضيهِ وعليهِ ملابس كبار الفرس وكسرى يقدم لهما الاكرام والاحترام . فقال في نفسهِ لابد ان يكون من عظماء الفرس وقد دعاهما لمعونتهِ وصبر الى المساء ليسال من بزرجمهر عنهما وما صدق ان اقبل المساء وارفض المجلس وذهب كل واحد في ناحية فسار عمر في اثر بزرجمهر الى ان دخل قصرهُ فقرب منهُ وحياهُ وقبل يديهِ فعرفهُ وفرح بهِ وسالهُ عن اخيهِ والعرب فقال لهُ هم بخير وقد جاءوا الى مدينة حلب يراقبون اعمال كسرى وقد بعث بي الامير حمزة اليك لاستشيرك في امر القتال ولاقف منك على حال الاعجام وما كان من امرهم وماذا يقصدون أن يعملوا . قال ان كسرى

بعد ان انهزم من امام وجه العرب جاء سبنير مدينة الاكاسرة التي اصلهم منها فاقام هناك مريضاً ستة اشهر ولما شفي وعادت اليهِ صحتهُ جاء المدائن وهو مكدر مغتاظ من عظم ما لحق بهِ وبختك يزيد في غيظهِ ويعظم في وجههِ ذنبكم وفي ذاك الوقت وصل اليهِ ابنهُ فرمزتاج واخبره بما كان من امر زواج اخيك بهردكار وعرسهِ فزاد هذا من غيظ كسرى ولم يسمع لنصيحة ابنهِ الذي سالهُ ان يترضى العرب ويحصم النزاع بينهما بل سمع الى بختك حيث قال لهُ على ما يظهر ان العرب ينوون خلع ملكك وخراب بلادك وربما موتك ولو كانوا كما يزعم فرمزتاج لما هجموا على صبوائك واخذوا بكار الاشتهار وهو العلم الفارسي الذي من ملكة ملك العجم وكان حاكمها وعلى هذا فيكون في نية حمزة ان يجلس على كرسيك اما في حياتك واما بعد موتك حيث ان نسبهُ قد اتصل بسببك وتزوج ستك وجميع قبائل العرب والعجم تخافهُ وتخشاه فلا يرى مما نعاً ولا مدافعاً ففي صلحهِ خطر عظيم علينا اكثر مما في حربهِ فمال كسرى اليهِ ونوى على تجدد الحملة على العرب وكاتب البلدان ان يمدوه بما امكن من العساكر والجيوش والفرسان فوردت عليهِ ولا تزال ترد . قال اني ارجوك ياسيدي ان تفيدني عن الرجل العظيم الذي كان جالساً الى يمين كسرى وعن الغلام الذي كان الى يساره فانهما على ما يظهر من الاجلاء الفخام اصحاب المناصب العالية . قال اصبت فان الرجل هو ابن كسرى واسمهُ افلنطوش واما الذي تقول عنهُ غلام فهي انثى لا ذكر غير انها تدعي انها من الابطال وقد تعهدت لكسرى ووعدتهُ بقتل الامير حمزة واسمها طوربان بنت افلنطوش اي بنت ابن عم كسرى والان كل الرجاء والمعول عليها وقد تعلقت الامال بها ويثق كسرى ان طوربان قادرة على قتل الامير

فضحك عمر وقال أكان من امر البنات ان يعدن بقتل الامير حمزة ولا بد اذا سمع بذلك يغتاظ ويقصد العجم الى هذه البلاد ليرفع الطمع من رؤوسهم ثم ان عمرًا استشار الوزير في كيف يكون القتال فقال لهُ ان كسرى لا بد ان يقصد حلب فالقوةُ هناك ولا بد ان الله سبحانهُ وتعالى يزيد في نجاحك واني على الدوام ادعو لكم لتذلوا دولة الكفر وترفعوا كلمة الايمان فاقرِ مني السلام ملوك قومك ولا سيما اخاك واوصيهِ ان يبقى على عناد كسرى الى ان يفوز بالمطلوب فان هذه غاية الحق سبحانهُ وتعالى نعم انهُ سيمر عليكم ايام نحوس وتلاقون تاخيرًا في اماكن كثيرة غير ان الله معكم ولا يسلم باخيك للاعداء مهما جرى عليهِ . فشكر عمر من الوزير وقبل يديهِ وخرج من عندهِ وجاء الى مدينة حلب ودخل على العرب فتلقوهُ وترحبوا بهِ وشكروا مسعاهُ بسرعة القدوم وقال لهُ حمزة اخبرنا ماذا رايت وهل ان كسرى على نية القتال . قال انهُ لا يزال مصرًّا على اخذ الثار وجمع القوات وقد رايت حول المدائن جيوشاً كثيرة جمعت

مجدداً فوق التي انهزمت معهٔ ولما جئت الى الايوان رايت ملكاً عظيماً الى جانب كسرى وغلاماً الى يساره وسالت بزرجمهر اجابني ان الرجل المهاب هوافلنطوش ابن عم كسرى والغلام هو بنتهٔ وتدعي البسالة والاقدام وقد وعدت بكسر العرب وقتل فرسانهم على اني رايت منها جمالاً وبهاء وانا اظنها فتى اعجبني فقلت في نفسي جعلها الله من نصيب العرب لانها اشبه الناس بمهردكار في تقاطيع جسمها ولون وجهها وسود عينيها ومن لا يحقق النظر بينهما لا يعرف الواحدة من الثانية . فقال الامير حمزة وهل هذه وعدت بقتلي . قال نعم . ثم اخبرهُ ايضاً بما قال الوزير عن ايام النحوس وعن البقاء بحلب . فقال حمزة من يعرف الى اي زمان تكون مدة اقامتنا واعرف جيداً ان كسرى يحب التطويل لانهٔ في بلادهِ ونحن غرباء في هذه الارض ومرادي انهي امر هذه الحرب وارجع الى مكة المطهرة اقيم عند ابي واهلي فهلم بنا نركب في الحال ونسير في عرض البر ونفاجأ كسرى دفعة واحدة فنمتلك بلادهُ ونطردهُ عنها فالوقت اصبح على النهاية بيننا وبينهٔ . ثم ان حمزة نهض واعلن بين العرب الاستعداد للرحيل بعد قليل من الايام وكان اكثر الفرسان والابطال والقواد والجنود قد اتخذوا لهم زوجات من نساء حلب واختلطوا بهم كل الاختلاط

وبعد نحو خمسة ايام ركب العرب باجمعهم مع من انتصر لهم وساروا عن مدينة حلب يقصدون المدائن وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو كانهٔ البرج المشيد مدجج بالسلاح ومن تحتهِ جوادهُ اليقظان كانهٔ السرحان وفوق راسهِ بيكار الاشتهار يلوح ويخفق ويلمع بما عليهِ من الذهب والجواهر ويظهر للراي انهٔ من اعظم الاكاسرة واكابر الملوك العظام وبين يديهِ عمر العيار نقمة الانس والجان وعفريت ذاك الزمان وهو يقفز كالغزال وينطلق باسرع ريح الشمال تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وقد وزع بعيارهِ تسير بين ايادي الفرسان وامام هوادج النساء وما برحوا يتقدمون حتى جاءوا المدائن وتبينوا اسوارها وراوا ما حولها من الفرسان فعرجوا الى ناحية متسعة وضربوا خيامهم بها ونصب الامير حمزة صيوان اليونان شاه في وسط المعسكر وضرب عند بابهِ علم بيكار الاشتهار وصربت صواوين الامراء والملوك من حواليهِ وسرحت من خلفهم النوق والفصلان

وبلغ كسرى خبر اتيان العرب ففرح وقال لقد قربوا علينا الطريق ولا بد من هلاكهم في هذه الارض لاننا في بلادنا نقاتل براحة واطمئنان وننام عند نسائنا وفي اسرتنا . ثم امر ان تخرج امراؤهُ وتضم الى المعسكر فخرج الجميع وخرج هو ايضاً وضرب لهُ صيوان في نصف المعسكر ونظر الى جهة العرب فراى انتشارهم وكثرتهم وشاهد صيوان حمزة وهو كانهٔ الكواكب اللامعة تضيء في وسط الظلام فاستصغر نفسهُ وحكتهُ احساساتهُ بفصل الامير حمزة وانهٔ مسعود

الطالع موفق الاعمال وان شانهُ يعلو ويرتفع على الدوام . ولما وقعت عينهُ على بيكار الاشتهار وراهُ مضروبًا امام الصيوان انفطرت مرارتهُ وكاد يغيب عن صوابهِ والتفت الى وزيرهِ بختك وقال لهُ الم ترَ الى صيوان حمزة وحسنهِ وكيف ان بيكار الاشتهار مضروب امامهُ فقد غاب عني وعيي وطار عقلي . قال الم اقل لك ان العرب يحبون العظمة والفخار وانهم يقصدون . لك نزع سلطتك شيئًا فشيئًا لتكون لهم ويقيمون الامير حمزة مكانك فيا انهُ يقتدي بك ويظهر بعظمتك حتى كل من راهُ لا يظن انهُ انقص مقامًا منك لا سيا وقد اخذ علم العجم الذين يجتمعون تحتهُ وهو من عهد اجدادك وابائك . الاَّ اني اعدك ان في هذه المدة لا بد من ابادة العرب وكسر شوكتهم وانقراضهم وعندي ببركة النار ان تكون هذه الايام اخر ايامهم فنجعل بطون ارضنا مدافن لهم . وكان افلنطوش حاضرًا . فقال اني اقسم بالنار والنور وتربة جدنا سابور لا بد لي من اذلال العرب وهلاك الامير حمزة وكل من انتصر لهُ في هذه المرة . نزع بيكار الاشتهار باقرب وقت ونهب كل الاموال والامتعة التي معهم ولا سيا هذا الصيوان الذي اراهُ اعظم من صيوانك وابهى

قال وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان على نية ان يباكروا الى الحرب والقتال وفي الصباح نهض كسرى من منامهِ وركب جوادهُ وتقدم في الوسط محاطًا من الحجاب والحراس وركب افلنطوش وبنتهُ طوربان وزو بين الغدار وهو الى جانبها ينظر اليها وقد وقعت من قلبهِ وحركهُ خبثهُ الى زواجها فاراد ان يريها قتالهُ في ذاك النهار . وكذلك ركب العرب من كبيرهم الى صغيرهم وتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم الامير حمزة البهلوان فارس الانس والجان وهو على جوادهِ اليقظان . اعظم من كسرى انوشروان . ولما راى ان جيوش العجم قد صارت في وسط الميدان اطلق لجوادهِ العنان ولما صار في الوسط التفت الى جيوشهِ واشار اليهم بالحسام ان يهجموا من اليمين والشمال ويتبعوهُ في الحال . واقتحم ذاك لبحر العجاج المتلاطم باعظم الامواج . وهو ينادي ويلكم يا عبدة النار ونسل الاوباش والاشرار . قد عدتم الى الحرب بعد ذاك الانكسار . وما وعيتم الى افعال حمزة مذل كل جبار ومبيد كل فارس مغوار . فاليوم آخر الايام عليكم فاستعدوا للفناء والبوار . ولم يكن الاَّ قليل من الوقت حتى انتصب سوق القتال واضطرمت نارهُ بلهيب الاشتعال . وقامت القيامة من كل ناح وعلا الصراخ والصياح . والتقى كل خصم بخصمهِ . يقصد اعدامهُ ومحو اسمهِ . فغنى السيف القرضاب . في محكم الرقاب . واتخذ لهُ في الصدور مقامًا رفيعًا . وفصل بين الاجساد والارواح فصلاً سريعًا . فكم من راس قد طار . في ذاك النهار . وكم من دم قد فار . واندفق الى الارض كالانهار . فعظم الخطب وعم الكبار والصغار . ووقع السلب والقتل في كل ناح تحت ذاك الغبار . الذي ارتفع واتسع

بالانتشار، وحجب من الشمس الانوار . واخفاها عن الابصار . حتى ضاقت انفاس الفرسان وتمنت الموت والقلعان، وشرب كاس الهوان . ولا الرجوع بالخيبة والخذلان . وكان زوبين يقاتل في ناحية منفردة من المعسكر وهو يلحق بطوربان ، وهي تبعد عنه وتنفرد من مكان الى مكان . حتى اخيرًا تركت القتال وضجرت من فعل هذا الخبيث الخوان . لان نفسها ضجرت كل الضجر وكرهت في الحياة من ان ترى ذاك الوجه القبيح المهان . واما الامير حمزة فانه اجهد نفسه بالحرب . وجود الطعن والضرب . فقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن . وبدد الفرق في كل الجهات . وانزل عليهم ميازيب الويلات والحسرات . ورماهم بشهب الهلاك والممات . وبرماح القناء والشتات فكان اينما حلّ تفرقوا واضطربوا ومالوا من امامه وهربوا املاً بالنجاة وطمعًا بالحياة لان عزرائيل الاكبر كان يرافق حسامه فلا ينفك عنه لرواج عمله ومهنته وكان الفرس اينما ساروا برو حمزات العرب وافقه فان اندهوق بن سعدون لم يقصر في ذاك النهار . وقاتل قتال كل صنديد جبار . وفعل مثله المعتدي نسل الاخيار . وقاهر الخيل البطل المغوار . ومعقل البهلوان وعمر الاندلسي وكل فارس كرار . وما صدق الاعجام ان مالت الشمس الى الغروب وضربت طبول الانفصال . حتى تركوا الحرب والنزال وعرجوا عن ساحة القتال . ورجع فرسان العرب كاسود الدحال . متكدرين من فراغ ذاك النهار . وانقراضه دون نوال المراد من الاعجام الاشرار

قال وبات الفريقان يتحارسان الى ان اشرق صباح اليوم الثاني فعادوا الى ما كانوا عليه من القتال وخوض معامع النزال فاقتتلوا والتحموا وصرفوا ذاك اليوم بحالة اليوم الاول بل اعظم منه الى المساء فرجعوا عن القتال الى اليوم الثالث وداموا على مثل ذلك مدة عشرة ايام حتى وقع النقص بالعجم ورأوا سرعة انقراضهم وعرفوا اكيدًا انهم اذا قاتلوا مدة خمسة ايام اخر لا يبقى منهم ولا نفر ولذلك دعا كسرى بقومه وقال لهم ان النصر سيكون للعرب على كل حال لانهم قد طالوا واستطالوا ونالوا كل ما تمنوهُ وعن قريب يدخلون المدينة ويجلسون على كرسي الاكاسرة فانظروا في امر نرى به الفرج والاَّ دخلنا وقفلنا الابواب وحاصرنا في الداخل الى ان نرى الفرج وتنعم علينا النار ببركتها وتبعث لنا بالنصر . فقال بختك اني ادبر هذا الامر بنفسي وفي الغد يكون النصر ان شاء الله عن يد زوبين الغدار فيقتل حمزة وتتبدد من بعده قومه وكان زوبين في كل هذه المدة مشغل البال من جهة طوربان ومتكدر من نفورها منه وكرهها فيه وتركها القتال وقد قرب منها ذات يوم وقال لها لما هذا النفار ياذات الجمال الا تعلمي اني سيد في قومي وعليَّ المعول في حرب العرب والعجم قالت اني اكرهك كل الكره ولا اريد انظر في وجهك ولذلك تراني ارغب البعد عنك وانت تتبعني وتقصد القرب مني

قاصد ابتعادك عني فارجوك ان تبعد عني ولا تدنو مني . قال بلاهذا البغض الا تعلمين ان الملك كسرى الذي هو سيد ملوك الارض كان راض في ان يجعلني صهره ويقربني منه ويزوجني بمهردكار فهل انت اعظم من بنت عمك . قالت اني اكره فيك لانك رجل غدار وقبيح المنظر فما عمي كسرى الا مجنون حيث يريد ان يجعلك صهره ويترك مثل الامير حمزة الذي لا نظير له في هذا الزمان ثم اعرضت عنه واظهرت له الجفاء فانفطرت مرارته واغتاظ كل الغيظ وقال في نفسه اني ساصرف الجهد الى مراضاتها واسال بختك في ان يساعدني في ذلك والا غدرت بها واغتصبتها وجعلتها عبرة لغيرها واذللتها فتلتزم ان ترضى بي دفعًا لمصيبتها وكان خبيثه وخداعه يزين له كل عمل شرير

ولما كان ذاك اليوم راى بابًا للفرج في ان يخبر بختك اذا انفرد به وعندما وعد بختك كسرى بان النصر سيكون على يده فرح وقال لا بد ان يكون قد دبر حيلة على هلاك حمزة فصبر الى ان دعاه بختك وذهب به الى داخل المدينة وجاء بصندوق ففتحه واخرج منه ثلاث حراب وقال له اعلم يازوبين ان ذخائر الفرس في يدي وتحت امري وانا الموكل عليها ولذلك اريد ان تعرف فعل هذه الحراب فهي حادة سامة اذا لمست الجسم سرى السم اليه كله ولذلك ارزء في الغد الى الامير واسالهُ ان تضربه ثلاث ضربات بها واغدر به واجهد نفسك ان تصيبه فانه لا يلبث ان يموت بمدة اربع وعشرين ساعة . قال اني اعرف ان في ذلك خطر عظيم غير اني ساسلكه فقط اريد منك المساعدة بامر واحد . قال وما هو . قال اني كنت مؤمل قبلاً بزواج مهردكار حتى خرجت من يدي وتزوجها حمزة ولم يبق لي قط مطمع بها ولذلك علقت نفسي واملي بطوربان بنت افلنطوش واريد منك المساعدة بان ازف منها . قال اني ساجهد النفس في ذلك وهذا امر سهل علينا ولا اظن انها تمتنع عنك . قال اني الحظ منها نفورًا وجفاء ثم اعاد عليه امرها . فقال انها وان تكن قد امتنعت فان اباها سيحل هذه العقدة ويجبرها بطلبي وطلب الملك كسرى الى القبول فهي في يدنا وتحت امرنا ومتى قتلت حمزة كان لك اكبر حق على مملكة الفرس فلو طلبت نصفها سلمناهُ اليك وفوضناك امرهُ . فانشرح صدر زوبين وفرح مزيد الفرح بوعد بختك واخذ الحراب الثلاث وهو مضطرب البال يرغب في النجاح لينال المراد ويرى امامه صعوبة عظيمة بالوقوف في ساحة القتال امام الامير حمزة عدوهُ الالد لاسيما وان له عليه اعظم ثار وهو يتمنى ان يراهُ وكان يعرف من نفسه انه لا يقدر ان يثبت امامه ولا هو ممن يلقاهُ في ساحة المجال غير انه وطد العزم على الخداع وهوّن له حبه سلوك سبيل الخطر والخوف

ولما كان صباح اليوم التالي ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الجيشان وعول

حمزة على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد صار في الوسط وصال وجالَ ولعب على اربعة اركان المجال فامتلأ قلب حمزة فرحاً وسرَّ مزيد السرور وامل انهُ في نفس ذاك يوم ياخذ بثاره منهُ ولذلك اطلق لجوادهِ العنان حتى صار مقابل زوبين وقال لهُ لقد فعلت حسناً في هذا النهار لاني كنت في وقت القتال افتش عليك فلا اراك والان ترى الفرسان ما يكون بيني وبينك ويعرف العام والخاص والحقير والامير نتيجة الغدر كيف تكون . قال اعلم اني ما برزت الاَّ بقصد قتالك واني اريد ان ابارزك على مرأى من الجميع لا طمعاً بان افوز بالنصر عليك بل كرهاً بالحياة لاني اعرف انك اشد باساً مني ولا اقدر على قتالك وحربك ونزالك ولا احد من فرسان هذا الزمان يثبت امامك وينال الغرض منك . نعم اني غدرت بك في الاول وانا اجهل قدر شجاعتك وارغب في زوجتك واما الان وقد اختبرت كرمك وانصافك في القتال وقطعت الامل من الوصول الى مهردكار فاردت ان اقتتل واياك ساعة واحدة لا غير ولابد لاحدنا ان يفوز بالمطلوب فلا نحارب ضرباً وطعناً ذهاباً واياباً الى غير ذلك بل اني اريد ان تضربني برمحك او بسيفك او بهما شئت ثلاث ضربات حتى اذا خلصت منها وبقيت حياً عدت فضربتك بثلاث حربات معي واذا لم ابلغ المراد عدت الى ما كنت عليهِ اي استئنفنا الضرب الى ان يفوز احدنا بالظفر . فقال حمزة اني منصف بالقتال فلا امنع خصمي من ارادة شيء يريدهُ ويتمناهُ فافعل ما انت فاعل فاضربك برمحي وانت تضربني بحرابك . وكان زوبين يعرف جيداً ان حمزة كثير الانصاف وعظيم المروَّة فلا يقبل ان يكون هو البادي ولذلك اراد ان يحاولهُ بعملهِ خداعاً فقال لهُ اعلم ايها الامير اني لا اريد ان اكون البادي بالعمل فاضرب بدورك وانا استعد للمدافعة عن نفسي . فقال الامير حمزة هذا لا اريدهُ ولا اقبلهُ ولا يمكن ان اكون البادي فاضرب حرابك اولاً ومن ثم اعود بدوري . فاجابهُ زوبين وهو مسرور في الداخل وقد انتهى لهُ كل ما اراد . ثم انهُ اطلق لجوادهِ العنان حتى راهُ كل من الفرسان ثم وقف امام حمزة وتناول حرابة ورفعها بيدهِ وزج بها الامير فكان اسرع من البرق غطس تحت بطن الجواد واضاعها في الهواء وباقل من لمح البصر عاد الى بحر سرجهِ وصاح بخصمهِ هات الثانية ولا تبطئ فتكدر زوبين من عدم نجاحهِ غير انهُ امل بالثانية فاخذها بيدهِ ولعب بالهواء وزج بها الامير فمال عنها وعينهُ تراقبها فراحت بالارض حتى امتلأ زوبين غيظاً وكدراً وكادت تشق مرارتهُ وتنفطر ولذلك نوى على الغدر والخيانة وقال في نفسهِ اني لو ضربت الثالثة بالامير فلا ريب انها تذهب سدى لانهُ فارس صنديد سريع الخفة بالقتال يسبق سرعة وقوع الحربة فلا ينال منهُ المراد ولهذا من الواجب ان لا اضيع هذه الحربة فعوضاً ان اصوب بها الى جسمهِ ارمي بها جوادهُ فاقتلهُ من تحتهِ فيقع الى الارض فانحط عليهِ واضربهُ

بالرمح او بالحسام وانال منه الغاية ومن ثم رفع الحربة بيده بعد ان صال وجال وكان الامير يظن انه يضربه بها حتى راها وقد خرجت من يده الى صدر الجواد فطار صوابه وثبت في ذهنه باسرع من لمح البصر انها قاتلة الجواد اذا لحقت به ولذلك ارسل برجله بخفة عجيبة وعارض بين الحربة والجواد حرصاً عليه فاصابت الحذاء وخرقته وجاءت باللحم فجرحته وفي الحال شعر الامير بان نارًا التهبت في كل بدنه وشعلت في احشائه وتمزقت عروق جسمه فرمى بنفسه على رقبة الجواد فكر راجعاً الى الوراء وكان زوبين قصد ان يهجم على الامير لما شاهد حالة غير ان نبلة خرجت من يد عمر العيار الى جواده فرمته من تحته ووقع الى الارض واراد عمر ان ينقض عليه وياخذ بثار اخيه الا انه التهى بما راى من ضياع الامير وما حل به وخاف من ان يقع عن ظهر الجواد الى الارض فاسرع اليه ومسكه وكانت مثلة الفرسان قد ركضت وجاءت حول الامير واخذته من عن ظهر الجواد وهي منفطرة الفؤاد على حالته وهو لا يعي على احد وقد امتلأ كل جسده من سم تلك الحربة وايقن انه هالك لا محالة فانزلوه في صيوان مهردكار وجاء اسطون وجعل يضع له المبردات والادوية ليسكن بها مرضه وهو بحالة الغيبوبة لا يشعر بغير الالم والوجع وقام الصياح في العرب من كل ناح وهم يظنون ان الامير قد مات . وفي تلك الساعة حملت فرسان العجم فرحة مسرورة مؤملة بالنجاح والنصر والاصلاح فكدر ذلك فرسان العرب وتكدر اندهوق بن سعدون فنادى بابطال العرب وقال ويلكم لا تدعوا المساء ياتي وفي العجم بقية رمق والا فموتوا في كيدكم وارسل لنبله العنان وصاح المعتدي حامي السواحل من ملء راسه وهو يضطرم بنار الغيظ وكذلك الملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر والامير معقل وكل فارس وبطل فالتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزعزعت الجبال ومالت من عظم صياح الابطال فكانت وقعة عظيمة الاهوال تشيب لهولها رؤوس الاطفال واندهوق يحط على تلك الخلائق انحطاط الصواعق وهو يفرق الفرسان ويبدد الشجعان ويطلب ان يرى زوبين الغدار في الميدان فلم يقدر على ذلك ولا قدر ان يراه لانه ترك القتال ورجع الى الوراء وكذلك المعتدي حامي السواحل فانه اجرى الدماء من صدور الرجال والقى الرعب على الفرسان والابطال وقلبه مشتعل واي اشتعال على ما لحق بالامير حمزة يطلب ان ياخذ له بالثار في نفس ذاك النهار والحاصل ان كل فرسان العرب كانت تقاتل بجد واجتهاد طالبة ان تقع بزوبين الغدار فلم تنل من ذلك المراد وما برحت حتى ادخلت الاعجام الى الخيام وانزلت عليها مصائب الحرب والصدام ولو لم يسرع الظلام لما رجعوا عن الحرب ولا تركوا الطعن والضرب غير انه حالما اسود الليل العساكر ضربت طبول الانفصال ورجعت العرب على اعقابها مسرعة الى صيوان اميرها ترى كيف حالة

وما صار به في غيابها

قال وكان الامير حمزة في حالة يرثى لها وهو ملقى على فراشهِ يصيح من الالم ويتوجع الوجع الشديد لا يقدر على التقلب على جنبيهِ لا تبرد لهُ غلة ولا يروى لهُ كبد واسطون الحكيم يداويه ويضع لهُ الضمادات على جرحهِ ويسقيهِ المبردات فيمنع اشتداد الالم كثيرًا لكن كان لا يخفف عن حالتهِ ولا يسكن الالم . ولما راى عمر العيار رجوع العرب منصورين قال لاندهوق ابقَ انت عند اخي لا تفارقهُ الى ان اعود اليهِ بالدواء من الوزير بزرجمهر لان هذا الداء علاجهُ عندهُ . فقال لهُ اسرع به قبل ان تحل بالامير مصيبة فنخسرهُ فترك عمر العيار العرب بعد ان غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام . وجاء صيوان الوزير بزرجمهر فراهُ فيهِ فقبل يديهِ واخبرهُ بغرضهِ قال ان الدواء حاضر وكنت اعرف انك لا بد ان تاتي بطلبهِ فهيئتهُ . غير اني قلت لك قبلاً ان لا تاتوا المدائن ولا تحاربوا كسرى في هذه الايام فكيف جئتم وخالفتم الزمان الا تعلمون ان الانسان تمرُّ عليهِ الايام والليالي فبعضها يحمل خيرًا وبعضها يحمل شرًّا وهذه الايام تحمل لكم الاذى والنحوس ومن اللازم ان تنتظروا الايام التي بها السعود والاقبال قال ان الحق بذلك على اخي لاني اخبرتهُ بذلك فقال ان المقدور ما منهُ مفرٌّ وان قيامهُ بحلب يكون سنين واعوام فاراد حسم الحرب والرجوع الى مكة بامان واطمئنان . قال هذا بعيد عنهُ فان كل ايامهِ تنقضي بين السيف والقنا فلا يرتاح الاَّ عندما ياذن الله باذلال الاعجام وقهرهم والان خذ هذا الدواء واسرع الى اخيك في الحال وامر العرب ان يرحلوا في هذه الليلة ويقيموا في حلب الى ان ياتيهم الفرج منهُ تعالى واياهم ان يباشروا حربًا قبل ان ياتي صاحب الفرج فان كل واحد يموت من العرب ظلمًا مسئول بهِ الامير واما على حياتهِ فلا خوف فهو سينهض من هذه المرة ايضًا كما في المرة الاولى . فسرَّ عمر من كلام الوزير وقبل يديهِ وشكرهُ على معروفهِ وخرج من بين يديهِ بعد ان كتب كتابًا الى اسطون الحكيم يقول لهُ فيهِ ان يسهر على حياة سيد العرب ويشير اليهِ في كيفية استعمال العلاج

ولما وصل عمر الى المعسكر وجاء صيوان اخيهِ وجد الناس لا تزال باضطراب وهي مزدحمة بكثرة حولهُ وكلهم يصيحون يالله ويطلبون الى الله شفاء اميرهم فسكن خوفهم وقال ان الامير بخير ولا يلبث ان يشفى ويعود الى ما كان . ثم دخل الصيوان وقرب من اخيهِ وهو يتوجع ويتالم ودفع زجاجة الدواء والرسالة الى اسطون فاخذهما وسكب على جرحهِ من الدواء وسقاهُ حسبما اشار بزرجمهر وباقل من دقيقة سكن الالم وخف قليلاً وجعل ان يهدأ روعهُ شيئًا فشيئًا . واذ ذاك قال عمر لاندهوق ان الوزير يامرنا ان نرحل عن هذه الارض في نفس هذه الليلة حتى اذا جاء الصباح لا يكون لنا اثر هنا وما ذلك الاَّ لعلمهِ انا لا نفوز بالانتصار

ولان يكن لنا بعض نصرات غير ان هذه لا تقف في وجه الخصوص المقدرة علينا وهو يحتم بوجوب بقائنا في حلب الى ان يصل الينا الفرج المنتظر . فاجاب اندهوق وقال ان امر الوزير لا بد منه وهو نصوح للعرب محب لخيرهم ونجاحهم . ولا ريب ان قيامنا بحلب الى حين شفاء الامير اوفق من القيام هنا ومداومة الحرب وفي الحال اعتمد ملوك العرب وفرسانهم على الرحيل الى حلب واللقاء هناك الى ان ياذن الله بالفرج فسار كل واحد الى رجاله وقومه . وما مضى نحو ساعتين من اواخر ذاك الليل حتى اقلعت العرب عن تلك الديار وسارت في طريق حلب بعد ان حملوا الامير في سريره على هودج محمول على ظهري ناقتين وعنده اسطون الحكيم على الدوام وفي النهار ايضاً مهردكار تلازمه ولا تفارقه

فهذا ما كان من امر العرب واما ما كان من امر كسرى انوشروان ورجاله فانهم في المساء بعد الفراغ من القتال اجتمعوا الى بعضهم وجاء بختك وزوبين وجلسوا كلٌّ منهم في مكانه وبختك متخر بنفسه وبعمل رفيقه وقال لكسرى الان قد تحقق لنا النصر والظفر وفزنا بما نريد من قتل الامير حمزة . فقال كسرى وهل تمت قتلته واخاف ان يشفى ويرجع الى اخذ ثاره قبل ان نبدد قومه . قال ان الحربة التي جرح بها هي سامة فاذا لمست الجسم سرى اليه السم فكم بالحري وقد جرح بها وعندي من المؤكد الثابت ان حمزة لا يعيش هذا الليل وفي الصباح نتاكد كلامي ويظهر لك صدق قولي فلله در هذا البطل زوبين فانه ضربه ضربة صائبة وقعت في قسم من جسده فالفضل الاكبر له ولا زال يمنع عنا الشدائد ويدفع المصائب والنوائب وكان يفكر ان تجازيه قبلاً بزواجه بمهردكار فلم تصل اليها لانها هربت الى العرب وسارت معهم اينما ساروا واخيرًا تزوجت من الامير حمزة مغضوبة من النار مكروهة من قومها وعندي ان لا بد من زواجه بسيدة تقابلها وتقارنها وتكون افضل منها عقلاً وادبًا وغيرة على قومها وابناء جنسها . فقال كسرى ان صح ما قلته من موت حمزة فلا بد من تفريق العرب بعده واذ ذاك اعد زوبين اني ازوجه من طوربان وازيده فوق ذلك الانعام والاكرام . قال سوف ترى ما يكون في الغد . ولما سمع زوبين هذا الكلام فرح غاية الفرح وسرَّ مزيد السرور وانشرح صدرهُ وامل نوال غايته وكيد طوربان التي رفضت جدًا ونظر اليها متبسمًا ليرى دلائل وجهها فوجدها قد قطبت في الاول واضطربت ثم اظهرت عدم الاكتراث ونظرت اليه باستهزاء وسخرية واعرضت بوجهها كانها تقول له اذا مت ولقيت العناء لا يمكن ان تنال مني المراد . فزادت هذه الحالة قلقهُ واضطرابهُ واغتاظ منها ولولا شدة حبه لعمل على الغدر بها واغتصبها في نفس تلك الليلة غير ان وعد كسرى له واملهُ ببختك واقتداره على مساعدته حملهُ على الصبر والرضوخ الى استعمال الوسائط الحسنة فيكيدها ويرغمها على الزواج به . وما صدق ان انقضت

السهرة حتى ذهب مع بختك وقال له ان وعد كسرى لي جعلني باماك غير ان امتناعها يخيفني ويجعلني بارتياب من نجاح طلبي ولولاك ولولا ثقتي بحبك لتاكد عندي كل التاكيد ان هذا الوعد لا ينتهي . قال كن باطمئنان قبلت او لم تقبل فلا بد من زفافك عليها بالرغم او بالرضى فكن براحة وما علينا الا تفريق العرب لان حمزة سيموت لا محالة وضميري يخبرني بذلك ويدلني عليه وعندي انه لا يغشني قط . قال اني متكل على وعدك وقد لاح لي بعد ان نصرف الجهد الى اقناعها فاذا امتنعت غدرت بها ذات ليلة واغتصبتها وارغمتها ان تقبل بي بعد ذلك بالرغم على انفها وماذا يا ترى يقول ابوها والملك كسرى . فقال بختك ان هذا العمل يغيظها ولكن افعله سرًّا فلا يعرفان به وهي لا يمكن ان تخبر عن نفسها به بل تظهر قبولها عن رضا واختيار ولكن من اين لك ان تتوصل اليها وتقدر على اغتصابها وهي قادرة على مقاومتك وعنادك . قال اني لا اجيئها جهارًا واماجئها وهي نائمة فاربطها بالحبل واخرج بها مع خادمي تحت ظلام الليل لانها تنام في صيوانها لوحدها وبعد ذلك اعيدها . قال حسنًا تفعل لكن هذا ابقه الان الى حين فراغنا من حرب العرب وتبديد شملهم وبعد العجز عن نوال المراد والزواج بها والا ما زال الملك بعدك وانا اساعدك فلا بد لنا من الوصول الى المطلوب والغاية الوحيدة هي ان تصل اليها وتكون زوجتك . ولم يكن بختك اقل غدرًا وخيانة من زوبين الغدار وقد استحسن فعله هذا ووافقه عليه عن رداءة طبع وشرّ موجود في قلبه لا يفارقه على الدوام وهو لا يعرف الفضيلة ولا عمل الخير ولا يرى من الحسن السلوك على طرق الاداب والمحافظة على الناموس

وبعد ذلك ذهب زوبين الى صيوانه ودخله وقلبه مملوء من حب طوربان وغير شخصها لا يلوح له ولا يفتكر بمعنى غير معنى جمالها وقد زاد به الغرام والهيام ومن المقرر ان الحياء يزيد بالمغرمين اسباب الغرام ويمكنهم من ان يثبتوا عليه اذا كان في قلوبهم حرتومته ولاسيما زوبين فانه فرغ من مهردكار وقطع رجاءه منه وقلبه يكاد ينفطر كيف فضلت البدوي الاجنبي وعاندت اباها وتركت بلادها ولم توافقه على الزواج وهو كان يعد نفسه بالسعادة حالاً اسبـ بالحصول عليها وبالتقرب من اكبر ملوك العالم وهو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان بحيث يصبح صهره ويصير صاحب الامر والنهي في بلاده وانقطع امله منها زواجها وقلب حبه نفضًا وصار يتمنى ان ينتقم منها ومن الامير حمزة لو امكنه وبقي صابرًا على نوال المراد حتى تسنى له ان يرى طوربان ويشاهد فيها المعنى المنتظر من وحدانية جمالها ورقة الفاظها وهي اصغر سنًّا من مهردكار لا تبلغ الثالثة عشر من العمر وصرف ليله قلقًا بين الرجاء والامل فلما يفكر بوعد كسرى يطمأن باله ويقول نعم اني ساكون زوجها وهي تكون لي وفي يدي ولا تقدر ان

بالنفس عمها واباها ثم يطرق ذهنه ما كان منها وكيف نظرتها اليه مستهزئة ساخرة به وبوهبة الملك فيسود قلبه ويتردد في اتمام امله ويقول انها غير راضية من هذا ولولا اصرارها على العناد لما فعلت ما فعلت

ولما كان الصباح نهض كسرى انوشروان وجلس في صيوانه ونهضت فرسان الاعجام على نية القتال في ذاك النهار فلم يروا اثرًا لاعدائهم وروا ان العرب قد بارحوا تلك الديار ورحلوا منها . فاخبروا كسرى بذلك . فقال لقد صدق بختك واصاب ولولا موت حمزة لما رحلت العرب لانهم قد فازوا وقربوا من النجاح التام حتى لو كان حمزة حيًّا وانقرض العرب باجمعهم وبقي هو وحدهُ في قيد الحياة لما انهزم وترك القتال فقال بختك اني اعرف جيدًا ان الحرب ستنتهي بالاخير بالفوز لنا لاننا اكثر رجالاً واعظم ملكًا ووسائط النجاح عندنا كثيرة ولا سيما بيننا مثل زوبين الغدار صاحب البطش والاقتدار والمجد والفخار واريد منك ان لا تنسى له هذه الخدمة ولا تتقاعد عن مكافاته . قال اني اعرف فضلهُ واعترف به واوكد مساعدته لك الان . ولكن انت تعلم ان العرب لم يزلوا مجتمعين وربما عادوا الينا ومن الصواب ان نرسل العساكر في اثرهم اذا عرفنا باي طريق ساروا واعظم غايتي هي حصولي على بيكار الاشتهار ولولاه لكنت اتغاضى الان عن العرب واترك قصاصهم ولكنهم هربوا واخذوهُ معهم وفي نيتهم ان يداوموا على العصيان ولو كان فيهم من العقل مقدار ذرة لكانوا ارسلوا اليَّ به وامدوا طاعتهم واعترفوا بذنبهم وانا اعرف ان الحق بذلك كلهِ على الامير حمزة . فقال بختك لا ريب ان العرب رجعوا الى حلب ليروا بامر انفسهم هناك فارسل في اثرهم العساكر مع زوبين وافلنطوش حتى اذا وصلوا اليهم سالوهم ان يسلموا بالعلم وبهردكار وبالطاعة فاذا اجابوا امنوهم على انفسهم وتركوا حربهم والاّ فاجئوهم وباغتوهم بالقتال ونزعوا منهم كل راحة وبددوا شملهم قبل ان يرتاحوا . فاستحسن كسرى هذا الراي وطلب من زوبين ان يستعد للرحيل في اليوم الاتي مع عساكره ومع ابن عم كسرى افلنطوش وبنته طوربان ويتاثروا العرب الى حلب واين كانوا ثم اوصى افلنطوش ان يكون في راس الجيوش ويسير الى حلب وان يعتمد على زوبين ويتكل عليهِ في كل الامور

وفي اليوم التالي ركب افلنطوش بعساكره وجيوشهِ وركب زوبين برجالهِ وفرسانهِ بعد ان اخذوا المؤن والذخائر وما يحتاجون اليهِ في هذه السفرة وفي كل نيتهم ان حمزة قد مات وشرب كاس الافات وصار يعد من سكان المقابر وان العرب بعدهُ ستسلم الى كسرى وتنقضي هذه الحرب ولا زالوا سائرين مدة ايام وليالٍ حتى جاءوا حلب وشاهدوا ان العرب هناك وقد وصلوا اليها قبلهم بيومين ودخلوا المدينة واقاموا بها وكان الامير حمزة قد اتجه الى الصحة والعافية

وصار يقدر على الخروج الاَّ ان اثار الجرح لا تزال في جسدهِ ولم تضمد بعد . فامر افلنطوش ان ينصبوا خيامهم في ضواحي المدينة وان يسرحوا بانعامهم في مراعيها بينما يكون قد بعث بكتاب الى العرب . وفي اليوم الثاني كتب كتابًا الى الملك النعمان يقول لهُ فيهِ

من افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان الى ملك العربان

قد بعثني اليك الملك الاكبر لاعرض عليك طاعتهُ واخبرك بغايتهِ وهي ان تسلموا علم بيكار الاشتهار صاغرين وتعترفوا بذنبكم وترجعوا مهردكار الى ابيها ليقتص منها على عنادها لهُ وخروجها عن طاعتهِ واما انتم فقد اذني ان اعفو عنكم واسلم برجوع كل واحد منكم الى منصبهِ وبلادهِ لان لا حق عليكم بل كل الحق على الامير حمزة الذي قتل و بقتلهِ نرى ان القتال انتهى وما من عداوة بينكم وبين العجم واذا ابيتم او امتنعتم فاني اباكركم بالقتال ولا انفك حتى ابدد تمامكم ولا يكون بعد ذلك من امل لكم بحلم كسرى وعفوهِ ورحمتهِ . ثم بعث الكتاب مع رسول مخصوص وهو الرسول الذي كان قد اخذ للعرب الكتاب في مكة المطهرة عندما كانت العجم تظن ان حمزة قتل ايضًا في ذاك الوقت

ولما وصل الرسول الى ابواب المدينة دخل وجاء قصر الاحكام حيثما كان الامير حمزة والامراء والملوك مجتمعين ولما وصل الى الديوان تقدم من الملك النعمان فسلمهُ الكتاب ففضهُ وقراه وعرف فحواه . ثم ارجعهُ اليهِ وقال لهُ ادفعهُ الى الامير حمزة فارس العرب وسيدهم ليعرف ما تضمنهُ وبماذا يجيب فاضطرب الرسول ونظر ذات اليمين وذات الشمال فرأى ان الامير حمزة جالس في مكانهِ كانهُ الاسد الكاسر لا يزال عليهِ دلائل المرض والضعف فتقدم منهُ وقبل يديهِ وسلمهُ الكتاب . فاخذ الكتاب وقراه وعرف رموزهُ وكل ما تضمنهُ . وقال للرسول ايظن كسرى اني اموت وبالعجم بقية رمق . فاخبر سيدك افلنطوش اني رجعت الى الحياة بعد الموت ولا بد من الرجوع الى ثل عرش كسرى وخراب ديارهِ واما زوبين الغدار فلا بد من موتهِ وهلاكهِ بخنك الخبيث الخائن وكل آتٍ قريب . ثم امر ان يدفع الى الرسول الف دينار وقال لهُ هذه اجرتك عن تعبك ومجيئك الينا وكان الرسول فصيحًا اديبًا فتشكر من حمزة ومدحهُ وخرج مسرورًا بما نالهُ حتى جاء الى معسكر الاعجام فراى افلنطوش بانتظارهِ فقال لهُ ما وراءك من الاخبار اهل اجاب العرب بالايجاب . قال كيف يمكن ان يجيب العرب الى الطاعة وكلهم فرسان وابطال ولا سيما ان اميرهم حمزة لا يزال حيًّا وقد رايتهُ في مجلسهِ اعظم من كسرى في ايوانهِ وقد كاد يشفى من الجرح ولم يبقَ الاَّ اثارهُ وقد انعم عليَّ بالف دينار واخبرني ان اخبركم انهُ لا يموت وبالعجم بقية رمق ولا بد من الانتقام من زوبين على غدرهِ وفعلهِ فهذا الذي سمعتهُ منهُ ورايتهُ هناك . فلما سمع افلنطوش ان حمزة لا يزال حيًّا عرف ان الحرب ستطول

وخاب امله وظنه وتكدر مزيد التكدر وعزم كل العزم على محاصرة المدينة قبل ان يقدر الامير حمزة على الركوب وعلى الحرب . واسودت الدنيا على زوبين الغدار فخفق قلبه وتكدر مزيد الكدر ولعب بقلبهِ داعي الخوف والهلع ونهض من صيوان افلنطوش الى صيوانهِ لا يعرف يمينهُ من شمالهِ ولا يرى ما بين يديهِ ولا سيما عند ما فكر ان امله قد بعد وربما انقطع من طوربان لانها لا تقبل بهِ ولا يقدر على اجبارها ما زالت الحرب قائمة بين العرب والعجم وما يراهُ منها من النفور الزائد جعلهُ على ان يوطد العزم والنية على اتمام غايتهِ ومراقبة طوربان الى ان يغتصبها ويرغمها على القبول بهِ بعد ذلك وصار منذ ذلك الحين يراقب اعمالها وحركاتها ويقصد ان يتمكن من الانفراد بها وهي نائمة ويغتنم الفرصة باغفال خدمها ليدخل الصيوان وهي لاهية عن ذلك لا تفكر بهِ ولا تعتني بامرهِ وقد خطر لها كل الخاطر انهُ اذا كان ابوها او كسرى اجبراها على الزواج بهِ قتلت نفسها اوفعلت كابنة عمها مهردكار وجعلت اتكالها على العرب واختارت واحداً منهم فان ذلك خير من زواجها بزوبين وهي تراهُ في عينيها كاكبر عدوٍ وتنظر الى اعمالهِ نظر القبح والكره فتعلم انهُ خائن غدار خبيث مكار لا يعرف الناموس والشرف وهي على غير ذلك

وفي ثاني الايام امر افلنطوش ان يحاصروا المدينة فحاصروها وقصدوا الهجوم عليها فارجعهم العرب بضرب النبال عن الاسوار ولا سيما عمر العيار فانهُ اقام مع عياريهِ برشقون النبال وكانوا اعرف اهل الارض بذلك فوقعت على الاعجام كوقوع الامطار فالتزموا الرجوع الى الوراء . وفي اليوم الثاني خرج العرب وصارت موقعة عظيمة من الصباح الى المساء وفيهِ رجعوا ودخلوا المدينة وكان الامير حمزة يريد ان يركب ويخرج الى الحرب فمنعهُ عمر العيار وقال لهُ لا تخرج فانك لا تزال مريضاً والتعب يعيدك الى الضعف ولا سيما ان بزرجمهر منعني من ان ادعك تباشر حرباً واوصاني كثيراً بذلك ولو انقرضت العرب الى ان ياذن الله بالفرج فان الضيقة محاطة بنا في هذه الايام ولا تزول هذه النحوس الاَّ على يد غير منظورة الان منا . فاصغَ الى كلام هذا الوزير ولا تخالف فتندم . فراى حمزة ان من الصواب السكوت عن هذا الامر وما برح القتال عاملاً بين العرب والعجم على غير اهمية كبرى فيوماً تخرج العرب وعشرة ايام لا تخرج ينتظرون باب الله والفتح حتى كان ذات يوم وقد ضجرت العجم من القيام في تلك الارض وضاق عليها الحال وطال المطال فاكرت وفي بينها القتال العظيم وكذلك العرب فانهم خافوا ان يقفوا داخل المدينة وتطول مدة الحصار فيفرغ منهم الزاد والمؤن ويقعون في الضيق والضنك ولذلك قال الامير حمزة لقومهِ الى متى هذا المطال فاني ارى ان العجم مكتفون بالحصار والذخائر والمون قد قلت فاذا بقينا على هذه الحالة عدة ايام اخر فرغت فنحتاج بالرغم

عنا الى الخروج اما للحرب واما للحياة وعندي حيث صرت قادرًا ان اركب جوادي واحارب وما من وجع بي يمنعني ان انزل ساحة النزال واطرد الاعداء عنا فان نفسي سئمت من المطاولة والاستنظار . فقال عمر لا تطمع نفسك بالقتال فما من وسيلة الى ذلك ولا بد ان ينتهي قول الوزير بزرجمهر واما من جهة فرسانك فدعهم يقاتلون ويناضلون ولا ريب ان قوة الاعجام تضعف واذا تاخروا عادوا الى المدينة وانت ما زلت بالحياة لا يحسب تاخرهم فشل او انكسار . فقال اندهوق اني اعدك في هذا النهار بالفوز فكن بامان واطمئنان وليرتح بالك علينا فكلما بخدمتك وخروجك الى الحرب يغيظنا ويكدرنا ولا نريد ان نفعل خلاف ما اشار عمر وخلاف ما امرنا الوزير بزرجمهر . فسكت الامير وقال افعلوا ما شئتم وانا اصغى الان اليكم بالرغم عليّ والموت اهون جدًّا من ان اشاهد الاعداء تحاصرني وانا امتنع عن طردهم والتقاعد عن اذلالهم

قال ثم ان العرب خرجت الى قتال الاعجام وباقل من ساعة نادى منادي القتال فاشتبك الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وتحدر الدم وسال . واختلط الاعراب بالاعجام . اختلاط الظلام بالظلام . وارتفع فوقها كثيف القتام . فاخفى عنها نور السلام والقاها في ديجور الحمام . فلم يكن يسمع الاّ اصوات السيوف على الدرق . ولا يرى الاّ طعنات الاسنة في النحور والحدق فكم من فارس انكب ووقع . وكم من دم انهمر وهمع . وسال كالاماء يسيب في ذلك الموضع . ولم تكن الاعجام تسمع صوت حمزة قط فتاكد عندها انه غائب عن القتال . فثبتت ثبات اسود الدحال . وقاتلت قتال صاديد الابطال . فاتسع سوق المجال . وعظمت المصائب والاهوال وضاقت في وجوه القوم الامور والاحوال . فعرف كل واحد منهم انه سائر في طريق الهلاك والوبال وانه على شفير الانتقال . ولم ترَ العرب التاخير والاذلال . بامر الله الواحد المتعال . بالرغم عن اجتهاد اندهوق والمعتدي وباقي الرجال . الذين كانت اسنتهم تفعل ايشم الافعال . وتحترق الصدور باسرع من ريح الشمال . ورات الاعجام انها إن نجحت في ذاك اليوم فازت الفوز العظيم . وانزلت على اعدائها البلاء الجسيم فلا يعود بعد ذلك للعرب ثبات . ويلتزمون الى التفريق والشتات . وطمعوا بالنصر وحركهم غياب حمزة الى توطيد العزم فداروا باعدائهم من كل ناح . واكثروا فيهم الصراخ والصياح . كل هذا وزوبين الغدار مع طوربان في معالجة ومحاولة وقد راها انفردت الى ناحية ولم تباشر القتال فلم يعد له صبر عن مفاتحتها فقال لها لِمَ اراك ياذات الجمال تتركين القتال وتنفردين على الدوام بنفسك فاني اراقب ذلك حيث اريد ان اكون بالقرب منك احفظك وارعاكِ ولا بد ان لذلك سبب من اعظم الاسباب فابدِهِ ولا تخفي شيئًا فاني صفيك ولا اظهر مرادك . قالت نعم ان السبب الاكبر هو وجودك

في المعسكر وفي المصمة فهذا الذي يثقل عليَّ ويدفعني الى الوراء ويجعلني ان اكره القتال والا لولا ذلك لرايتني الان في اول المحاربين فترى الفرسان والابطال افعالي فارجع عن سوالي ولا تكلمني مرة ثانية ولولا الخوف من غضب ابي لما اتيت مع المعسكر ولا احتملت صعوبة النظر الى وجهك القبيح ولا بد لي من ان ابعد بصيوانى عن صيوان ابي الى اطراف المعسكر فلا اجتمع معكم ولا اراك لا في مساء ولا صباح فاقصر اذن . قال اني اعجب كيف تكرهين النظر اليّ واما ارغب التقرب منك وافضل الموت بجانبك على الحياة بالبعد عنك . فاتركي هذا العناد واصغي الى ما اقوله لك واجيبي سوالي ولا تظني انه يتيسر لك قربين مثلي صاحب عظمة وسلطان ومقدم من عمك كسرى انوشروان اكثر من سائر الابطال والفرسان . ومع ان العالم في هذه الايام اتفقوا ان الامير حمزة هو افرس ممن ركب الجواد فقد كجتهٔ مرتين وجرحته جرحين وفي كل مرة يشرف على الممات ولهذا اكون انا اشد منه باسًا وتشهد لي بذلك ابطال الفرس ونفرها وعالها ودونها . فضحكت منه وقالت انك لا تعرف من نفسك الخيانة والغدر فاين انت من حمزة وقد شاهدت حربك معه وخياناتك فلو قاتلته قتال الابطال لما ثبت امامه ساعة واحدة فارجع عني الان والاَّ طعنت قلبك بهذا السنان فانفطرت مرارته واحترق قلبه ولم يسعه ان يبدي لها كلمة واضمر لها الشر واصرَّ في فكره على اتمام عمله في تلك الايام وهم بصواحي حلب واعرض الى غير جهة

هذا والحرب ما برحت بالاضطرام . والفرسان عاملة على الحرب والصدام . وطوائف العرب تتاخر امام طوائف الاعجام . واندهوق والمعتدي وباقي الفرسان يقاتلون قتال الجان وينادون العرب بالثبات في الميدان وان يفضلوا الهلاك والقلعان . على التاخير والخذلان . فلا يفيدهم ذلك شيء بل داوموا على الرجوع الى الوراء شيئًا فشيئًا قاصدين ان يدخلوا الابواب وقد قتل منهم خلق كثير في ذاك اليوم الكثير العذاب . وفيما هم على مثل هذا الامر والشان . والاعجام تطاردهم وتزاحمهم من كل ناحية ومكان وهي فرحة بذاك التقدم الذي لم ترها قبل ذاك الان وقد قارب الوقت العصر واذا بصياح من ناحية البر قد ملأ الفلاة وبيارق قد ظهرت ومن تحتها جيوش كسرب القطاء وفي المقدمة غلام امرد لم ينبت الشعر بعارضيه وهو فوق جواد مسرج بالسرج الافرنجي وعليه من الحديد ما لا يطيق حمله الجبال ولما راى ان الحرب عقدت بنودها . وقد حكمت قضاتها وتركت شهودها . صاح بلغته وحمل كانه قضاء الله اذا نزل فاخترق الصفوف . وفرق الميئات والالوف . وقد راى ان الاعجام تطارد العرب وعرف منهم ذلك . فانزل عليهم ميازيب المهالك . وقد حملت من خلفه ابطاله وفرسانه وعددهم نحو الثلاثين الفًا وكان يفعل في الاعداء كما تفعل النار في القش اليابس فجفلت من بين يديه الفرسان

ورات من قتاله انهٔ اشبه بقتال حمزة البهلوان فخافته كل الخوف ورجعت الى الوراء متحسرة على ضياع ذاك النصر والظفر ومتكدرين من مجيء تلك العساكر والابطال فدافعت عن انفسها وقاتلت قتالاً عظيماً ورات العرب تلك النجدة وتاخر الاعجام فعادت الى الامام ولا سيما عند ما سمعت عمر العيار يخترق الجموع وهو ينادي بالعرب ان تطارد اعداءها ويقول لهم هوذا الفرج المنتظر قد جاء فجودوا الطعن واكثروا من الضرب ومن رجع ارديتهٔ قتيلاً . وما جاء اخر النهار الا وحلّ بالاعجام البلاء وذاقوا كاس العناء . ومن ثم ضربت طبول الانفصال فرجع العرب الى المدينة فرحين بالنصر الاخير وهم من التعب على جانب عظيم لا يصدقون بنزع العدد عن اجسادهم ووصولهم الى الجلوس على اسرتهم . وعرجت تلك العساكر التي جاءت الى ناحية من تلك الارض وضربت خيامها واقامت لوحدها تنظر ما يكون في الصباح وبعد ان هدأ بالها واكلت الطعام نهض اميرها الغلام واتجه الى جهة المدينة وهو راكب على جواده ومدجج بالسلاح

ولما كان المساء اجتمع سادات العرب في مكان واحد واخذوا في ان يحكوا للامير ما كان من حرب تلك النهار وما لاقوا منها وكيف انهم كانوا يتاخرون الى ان جاءهم الفرج بالنجدة التي كان يتقدمها ذاك الغلام الامرد ثم اخذ كل واحد ان يتكلم عما راى منهٔ وما شاهد من حربهِ وقتالهِ وهم يباهون ويبالغون . فقال الامير عمر العيار اني تاكدت عن بعد ان هذه العساكر هي يونانية لا ريب فيها ولا ارتياب لكن فارسها الذي تعنون عنهٔ لم يكن يونانياً وقد رابني قتالهٔ وقد نظرت منهٔ بطلاً لا كالابطال وفارساً لا كالفرسان فهو اشبه في حربهِ ونزالهِ وحملاتهِ على اعدائهِ باخي حمزة حيث كان لا يستقر في مكان ولا يقاتل في جهة واحدة بل يدخل من الشرق فيخرج من الغرب والرجال تتمدد بين يديهِ على بساط الرمال ونقع تحت حوافر الخيل ولا يجسر احد منهم ان يقرب اليهِ او يدنو منهٔ او يبقى واقفاً امامهٔ . فقال الامير حمزة لقد شوقتموني الى ملاقاة هذا الغلام حتى انهٔ اخذ في فؤادي مكاناً عالياً وصار لهٔ عندي ارفع مقام وكان من الواجب ان ترسلوا اليهِ الرسل وتدعوهُ يدخل المدينة وينضم الينا برجالهِ لانهٔ جاء لنصرتنا وهذا هو الفرج الذي اشار اليهِ الوزير بزرجمهر لاننا لم نكن بانتظار مساعد ولا معين غير ان الله بعث الينا من نعرف فضلهٔ ونعترف بهِ ليبقى شانهٔ مرفوعاً بين العرب والعجم واريد الان منك يا عمر ان تذهب الى هذا المعسكر وتنظر لنا في اخبارهِ وتدعو هذا الغلام ان ياتي الينا لنرى في امرهِ ومن هو واذا ابى عن الاتيان الينا سرنا نحن اليهِ وسلمنا عليهِ وشكرنا فعلهٔ . فاجاب الامير عمر طلب الامير حمزة وكرّ سائراً الى ان قرب من باب المدينة وقبل ان بفتحهٔ سمع صوت طرقهِ فسال البواب من هذا فاجاب الطارق هذا انا الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة العرب فوقع

هذا الصوت في آذان الامير عمر العيار فطار فواده شعاعاً ورأى في معنى الصوت لهجة اخيه ثم
سمع الطارق يقول افتح الباب حالاً واذهب الى عمي عمر العيار وقل له ان ياتي اليّ لاذهب
وإياهُ الى ابي . فاسرع عمر الى الباب وفتحهُ ونظر واذا بهِ يرى الغلام الذي كانَ يقاتل في ذاك
النهار . فدنا منهُ وسلم عليهِ وعرفهُ بنفسهِ وقال لهُ ابشر يا ابن اخي فاني انا عمر العيار ولكن ابن
من انت ومن هي امك لاني كنت في هذه الساعة ذاهباً اليك لادعوك ان تاتي الى خدمة امير
العرب وسيدهم . قال اني اتيت لارى ابي حيث قد عرفت انهُ مجروح وانهُ جاء من المدائن الى
هذه البلاد وانا بشوق زائد الى مرآهُ فاخبرني هل هو بخير وهل صار قادرًا على نقل السلاح
واما سؤالك عن امي فهي زهر البان بنت اسطفانوس اليوناني . فلما سمع الامير عمر هذا الكلام
تحقق عندهُ انهُ ابن الامير فزاد فرحهُ وقال لهُ ان اباك بسلام وعما قليل تراهُ فسارا الى حيث
اجتمع العرب

قال وكان السبب في مجيء عساكر اليونان مع عمر اليوناني هو انهُ كان كما تقدم معنا في
ما مضى ان الامير حمزة عند ما كان يجمع الاخرجة ويلم الميرة جاء بلاد اليونان وتزوج بزهر
البان بنت ملك البلاد وانها رجعت الى بلاد ابيها واقامت هناك وهي تؤمل انهُ عند عودته
من سفرتهِ ورجوعهِ الى بلادهِ يرسل فياخذها اليهِ وتقيم عندهُ وكانت حامل منهُ وبعد مضي
اشهر الحمل ولدت غلامًا كانهُ القمر في تمامهِ صبوح الطلعة مسعود الطالع كامل الهيئة فسرّت
بهِ مزيد السرور ولا سيما عند ما رات انهُ يشبه اباهُ كثيرًا وارسلت فاخبرت اباها اسطفانوس
فجاء اليها ونظر الغلام وهو في اللفافة واخذهُ على يديهِ وقال لامهِ اعلمي ان هذا الغلام هو يشبه
اباهُ ولا بد عند كبرهِ اذا علم بانهُ ابن الامير حمزة تركك وذهب الى اهلهِ ونحن لا نعرف ان
كان زوجك يعود فياخذك ثانيًا او يبقى باقي عمرهِ مشغلاً بالحروب مع كسرى وغيره فلا
يفكر بك فتتسلين بهذا المولود ولذلك اريد منك ان لا تلفظي امامهُ ولا مرة واحدة اسم ابيهِ
ولا ابن من هو بل قولي لهُ ان اباك اسطفانوس فاربيهِ كابن لهُ الى ان ياذن الله بالفرج ونرى
كيف يكون من امر ابيهِ وهل يمكن ان ياتي بلادنا مرة ثانية او يرسل فياخذك اليهِ . قالت اني
اعرف انهُ لا بد من ان يدعوني اليهِ وياخذني عندهُ عند ما يعود الى بلادهِ ويرتاح ضميرهُ من
حرب كسرى . قال ان ذلك بعيد المدة طويلها ولا نعلم ما تكون عاقبة هذه الحروب ومن
يكون الفائز من المتحاربين لان العرب وان كانوا شديدو البطش والبسالة الاَّ ان كسرى قوي
السلطان كثير الاجناد يقدر ان يقاتل العرب خمسين سنة وهو يجرد العساكر حيث يملك على
اكثر اقسام الدنيا شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا . ثم اتفقا على ان يخفيا عليهِ امر ابيهِ واوصيا الخدم
والجواري والمراضع بان تقول على الدوام بان اباهُ اسطفانوس وقد دعيا اسمهُ عمر اليوناني على

اسم عمر العيار . وصار الغلام يكبر ويترعرع منذ ذلك الحين ولما بلغ سنة من العمر كان يمشي ويخرج الى خارج القصر ويتكلم وكل من راهُ لا يظن الاَّ انهُ ابن اربع سنوات . ولما صار عمره اكثر من سنتين طلبت زهر البان من ابيها ان ياتيهُ بالاساتذة والمؤدبين فوضع لهُ المعلمين يعلمونهُ العلوم فكان يتعلم بوقت قريب ولا يضيع الوقت بالباطل وما ادرك العشر سنوات حتى كان قد درس كل الدروس والعلوم اليونانية والعربية والفارسية وفاق بها على من سواهُ وتعجب منهُ الخاص والعام . ومن بعد ذلك صار يخرج الى الساحات ومحلات الاجتماعات ويشاهد الفرسان والعساكر وهي شاكية السلاح فتحرك بهِ العطرة العربية الى تعلم فن القتال فاتخذ لهُ اعواناً وصار يتعلم منهم ركوب الخيل ولعب الرمح وضرب السيف وبمدة سنتين اصبح كانهُ افرس فارس في بلاد اليونان ولم يعد يقدر ان يثبت امامهُ احد من الابطال والفرسان وهو يفتخر بنفسهِ ويتشامخ على ابناء جنسهِ وما من رجل يقدر ان يعلمهُ ان اباهُ حمزة وانهُ وان كان على ما هو عليهِ فلا عجب من ذلك ولا زال يشتد ساعدهُ ويقوى باعهُ وهو يظن ان اباهُ اسطفانوس ولا يعرف غير ذلك ولا خطر لهُ ان يكون ابن عربي وصار يخرج الى البراري والقفار يطارد الوحوش ويبعد في جهات الارض ولا يخاف من احد وامهُ وجدهُ لا يخافان عليهِ بعد ان رايا ما هو عليهِ من الاقدام والبسالة الى ان كان ذات يوم عاد من الصيد والقنص ومعهُ شيء كثير من الذي اصطادهُ فراى امهُ جالسة وحدها منفردة بنفسها تبكي ودموعها تتساقط على خديها فارتاع وجفل قلبهُ فدنا منها وقبل يديها وقال لها لا ابكاك الزمان يا اماه فما الداعي لذلك اهل مات احد اقاربنا ام اصبت بوجع فاخبريني لان بكاك افطر قلبي فزادت بالبكاء رغماً عن جلدها وتكفكف دموعها فالقى بنفسهِ عليها وبكى وقال اني اقسم عليك بحيات ابي ان تخبريني الصحيح ما هو الداعي لهذا البكاء . فقالت لهُ اعلم يا ابني ان لكل بداية نهاية وان لا يصح في هذه الدنيا الاَّ الصحيح ولا بد من اطلاعك على امر ابيك لتعرفهُ وتعرف من هو . قال ماذا تقولين وما طرأ عليك اليس ابي اسطفانوس حاكم هذه البلاد وملكها قالت كيف يكون اسطفانوس اباك وهو ابي فعي الى ذلك واعلم ان اباك الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ومبيد الاكاسرة . فنهض واقفاً وقال ماذا تقولين اني سمعت كثيراً عن هذا الرجل انهُ فارس لا نظير لهُ في هذا الزمان وانا اتوقع ان اسير اليهِ واقاتلهُ لاعرف من منا اشد موقعاً في ساحة القتال . فكيف يكون ابي ومن جاء بهِ الى هذه البلاد . فاعادت عليهِ زهر البان كل ما كان من امر ابيهِ وامرها وكيف جاء الى تلك البلاد وفصلت لهُ الواقعة تماماً وكيف ان كسرى يحاربهُ وقالت لهُ اني ما برحت من حين ذهابهِ وانا اطلب كل من يكون في سفر وفي سياحة فاستخبرهُ عن حالة العرب والعجم فتصلني الاخبار مسرة وقد كسر جيوش كسرى عدة مرار وبددها وتزوج بابنتهِ

بالرغم عليه واخيرًا اخبرني احد التجار وكان قد ذهب الى بلاد العجم فجاء ببضائع منها ليبيعها في هذه البلاد انهُ سمع ان اباك بعد ان كان قد حصر كسرى وكاد ينهي امرهُ غدر بهِ زوبين الغدار فرماهُ بحربة سامة كاد يميتهُ فحملهُ فرسان العرب وتركوا المدائن وجاءوا بهِ حلب لاجل مداواتهِ وهو بحالة خطرة بين الموت والحياة ولذلك تراني ابكي كيف اني بعيدة عن ابيك ولا اقدر على خدمتهِ وربما اصيب بنكبة وهو لا يراك وانت ابنهُ وكم كان يسر اذا راك وشاهدك فهذا الذي ابكاني ويبكيني ولا اعرف ماذا جرى عليهِ

قال فلما سمع عمر كلام امهِ صاح من ملء راسهِ وهو يرغي ويزبد وقال ويلكم وويل جدي ابريد ان يخفي عني امر ابي وهو الامير حمزة فارس الارض من تتناقل اخبارهُ الركبان وانا قاعد عن التقرب منهُ وراضٍ ان يكون ابي هذا الشيخ اسطفانوس وكيف اكون انا بهناء وراحة وابي يخوض معامع القتال ويحارب الاعجام فلا بد لي من المسير الى حلب لارى ماذا حلَّ بهِ فاذا كان لا يزال حيًّا سرت اليهِ وقاتلت بين يديهِ والاَّ سرت الى المدائن واخذت لهُ بالثار ولا ارضى على نفسي العار ويقال عني اني تقاعدت عن نصرة ابي فاستعدي للسفر وانا اذهب الى جدي واسالهُ ان يسافر حالاً بالعساكر لندرك حلب باقرب وقت . ففرحت بذلك ودعت لهُ . ثم انهُ جاء قصر الاحكام ودخل على جدهِ وهو عابس الوجه قاطب فارتاع لذلك وقال لهُ ماذا حل بك ياولدي ولما انت على هذا الامر . قال لهُ من هو ولدك ولاي سبب اخفيت عني امر ابي وهو حمزة العرب . قال من اخبرك بهِ . قال اخبرتني بهِ امي ولذلك اريد منك ان تخرج من هذه الساعة الى المعسكر وتامرهُ بالركوب فما عدت اصبر عن الرحيل دقيقة واحدة فقال اني كنت اخفي عنك ذلك بالاول خيفة عليك لانك لا تزال صغيرًا وتتوق نفسك الى ابيك وانت عاجز عن مساعدتهِ اما الان وقد صرت تعد من فرسان هذا الزمان فما من خوف عليك فاذهب الى امك وفي الصباح نركب بالعساكر ونسير الى حيث تريد لاني مشتاق الى ابيك واحبهُ كشوقك اليهِ . فاطمأن بال عمر اليوناني وعاد الى امهِ فاخبرها بواقعة الحال فهيأت كل ما هو لازمها من ثياب وجواهر وحلى وهي تؤكد انها لا تعود ثانيًا فترى تلك البلاد ومن فيها وقلبها يخفق من السرور والفرح لمشاهدة زوجها التي لم تكن راتهُ واقامت معهُ الا اياماً قليلة جدًا . وفي صباح اليوم الثاني ركب اسطفانوس بثلاثين الفًا من العساكر وركب عمر اليوناني في المقدمة وهو يريد ان يطير ليصل الى حلب ويشاهد اباهُ ورفعت زهربان على هودج عالٍ من الحرير الغالي وسار الجميع عدة ايام وليالٍ الى ان وصلوا مدينة حلب وراوا الحرب قائمة على ساق وقدم فخاضوا معمعة القتال وجرى ما تقدم ذكرهُ بين الفريقين وفي المساء سار الامير عمر اليوناني الى ان التقى بعمهِ الامير عمر العيار

ولما وصل عمر من القصر المقيم به الفرسان ومعهُ ابن اخيهِ دخل ونادى اخاهُ بشراك يا اخي فان هذا الغلام الذي انتم باضطراب وقلق من اجل معرفة اصلهِ وفصلهِ فهو ابنك الامير عمر اليوناني ابن زهر البان بنت اسطفانوس ملك اليونان وقد جاء امهُ وابو امهِ ايضاً هو معي. ولما وقع صوت عمر في اذان الامير نهض بالرغم عن وعيهِ وقلبهُ طائر ونظر الى ولدهِ ورمى بنفسهِ عليهِ وهو فرح كل الفرح ومسرور كل السرور وجعل يقبلهُ ودموعهُ تذرف وكذلك فعل الامير عمر اليوناني فانهُ قبل ايادي ابيهِ والقى بنفسهِ على صدره وكل منهما يضم الاخر وحمزة لا يفتر عن شكر الله. وهذا هو الولد الاول الذي راهُ وشاهدهُ وذاق لذة محبتهِ وحنوهِ ودارت بهما الفرسان من كل ناح وهم يطلبون ان يبعد الامير عن ولدهِ ليتقدم كلٌّ منهم اليهِ ويسلم عليهِ ويتعرف بهِ ومن ثم اخذ يسلم عليهم واحداً بعد واحد وكلهم يتعجبون من صغر سنهِ وبسالتهِ واقدامهِ وما منهم الاّ من يصفق من الفرح واجلسوا الامير عمر الى جانب ابيهِ وهو ينظر اليهِ لا يرفع نظرهُ منهُ وقد سالهُ عن امهِ وجدهِ فاعاد عليهِ ما كان من امرهم جميعاً وحينئذٍ امر الامير ان تخرج الفرسان في صباح اليوم الاتي مع العساكر والرجال الى خارج المدينة وينصبون خيامهم في ضواحي المدينة الى جانب عساكر اليونان ليصرف بعض ايام بالهناء والولائم اكراماً لولدهِ ولزوجتهِ وقال لهم ايضاً ان الفرج المنتظر قد جاء وهذا الذي كان قد اشار اليهِ الوزير بزرجمهر واي فرج للعرب اعظم من هذا الفرج الذي جاءنا وحلَّ علينا بوجود ولدي فارس اليونان ومجلي الكروب عن العرب. وصرفوا اكثر ذاك الليل بالحديث والاستخبار ولم ينم رجال العرب الاّ القليل حتى جاء النهار فنهض كلٌّ منهم باستعد رجالهِ وقومهِ وانتظروا الى ان خرج الامير راكباً على جوادهِ اليقظان وهو كانهُ في عظمتهِ الملك سليمان او كسرى انوشروان وخرج من بعدهِ الملك النجاشي والملك النعمان وعمر الاندلسي واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير وه اشر وكل فارس وبطل مع العبيد والخدم وضربوا الخيام وسرحوا الانعام واصبحوا يعجون ويموجون في تلك الارض وقد ملأوا السهول والجبال وجاء الامير حمزة من الملك اسطفانوس فسلم عليهِ وترحب بهِ وشكر من معروفهِ واعتنائهِ بولدهِ واهتمامهِ بتربيتهِ الى ان خرج بطلاً صنديداً ودنا من زوجتهِ فسلم عليها وبكى عندما راها وحركتهُ محبتهُ القديمة لنحوها واعتذر اليها. فقالت لهُ اني اعرف ان قصورك ما كان عن خاطر منك او ارادة فاني كنت على الدوام اسأل عنك واطلب الى كل غادٍ ورائح ان ياتيني باخبار العرب فتصلني على الدوام وكنت اجازي الجميع واكافيهم بالعطاء ليعودوا ثانية الى الوقوف على ما يكون من امركم. وانا مشغلة بتربية ابني ومهتمة بتهذيبهِ لا اظهر لهُ اسمك وامرك حتى ادرك اشدهُ وصار آفة من آفات الزمان. واذ ذاك بلغني خبر جرحك

من زوبين الغدار فلم يعد في وسعي الاخفاء فبحت لولدي بما كنت اكتمهُ عنهُ الى الان وعرضت واقعة الحال بالتفصيل فكان منهُ ان ارغم ابي اسطفانوس على المجي الى هنا والحمد لله الذي رايناك بخير وصحة جيدة . ثم ان الامير حمزة جاء بزهر البان الى مهردكار وتعرفت كل واحدة بالاخرى

قال وانعكف الامير على عمل الولائم وقيام الافراح والمسرات وقد شغل عن الاعجام وتركهم وشانهم مدة ايام وقال ان الحرب لا تفوتنا ولا بد ان نهلك العجم عن قريب بعد ان نصرف ايام هنائنا ونرى ما يكون من اعدائنا . فذات يوم بينما كان الامير عمر العيار يدور حول المعسكر حسب عادتهِ خوفاً من وقوع امر لم يكن في الحسبان واذ جاءهُ ابن اخيهِ وقال لهُ يا عماه اني ارى الاعداء حولنا ولذلك اريد منك ان تذهب بي الى معسكر الاعجام لانفرج فيهِ وانظر هذا زوبين الغدار ومن هناك من الابطال والفرسان . فقال لهُ هلم بنا لنذهب ولكن لا نبدِ حركة هناك ولا نتظاهر بانك من العرب فيعرفونك ونقع بايديهم فاخذهُ وسار بهِ بعد ان غيرا زيهما وعندما قربا من معسكر الاعجام نظر عمر اليوناني جماعة من الفرس يلعبون بالجريد ويمرحون في تلك الارض فحركتهُ جهلهُ الى الدخول بينهم وقد احتقرهم ولما صار فيما بينهم جاءتهُ جريدة فاصابتهُ فطار الشرار من عينيهِ وكان يظن بنفسهِ انهُ وحدهُ يفني جيش العجم برمتهِ ولذلك صاح ويلكم اوغاد غير امجاد فقد جاءكم الفناء والهلاك ثم استل سيفهُ وهجم عليهم فوعوا اليهِ وعرفوا من صوتهِ انهُ عربيٌ فمالوا اليهِ وجردوا بسيوفهم فالتقاهم واخذ بينهم الضرب والطعن وهو يقتل فيهم ويبددهم على بساط الرمال وينادي انا الامير عمر اليوناني ابن حمزة البهلوان والفرسان تتقاطر من كل ناحية ومكان وتزدحم حواليهِ وترسل باسنتها اليهِ وهو يطعن فيها طعن الابطال ويشردها ذات اليمين وذات الشمال وعمر العيار يختطف الارواح بضربات خنجرهِ ويحمي ظهر ابن اخيهِ الاَّ انهُ لما راى ان الفرسان تتكاثر خاف من ان تحمل عساكر العجم فيقع مع ابن اخيهِ في قبضتهم وراى من المناسب ان يتركهُ قليلاً ما زال قادرًا ان يدافع عن نفسهِ ويذهب الى اخيهِ الامير حمزة يدعوهُ لنصرتهِ فاطلق ساقيهِ للريح حتى جاء معسكر العرب ونادى اخاهُ وقال لهُ ادرك ابنك فهو يحرب الاعداء وكرَّ راجعًا الى محل القتال واسرع حمزة وكل الفرسان الى خيولهم فركبوها وتطايروا من خلفهِ فادركوا عمر اليوناني وهو يطارد الفرسان ويطردهم بين يديهِ كانهُ الباشق يفتك باضعف العصافير هذا ولما وصلت الفرسان ورأت ما رأت صاحت وحملت وهي متعجبة من افعال عمر اليوناني ومن حملاتهِ التي لا يقدر عليها الاَّ ابوهُ . ولا يزالوا يقاتلون وقد ردوا الاعجام الى الوراء وفي المساء رجعوا الى الخيام وقد قال الامير حمزة لابنهِ كيف جئت الى معسكر الاعداء ودخلت بينهم دون ان يكون عندنا علم بذلك فما هذه الاَّ

مخاطرة عظيمة . ثم التفت لعمر العيار وقال له يا وجه القرد كيف اطعت ولدي ورميت به بين الاعداء الا تعرف غدرهم وخداعهم وجهل ولدي وهو لا يعرف الحرب وخدعها . فقال عمر اليوناني لا تغضب يا ابي على عمي فانا الذي سرت والتزم ان يسير معي ولا تحسبنَّ مسيرنا غلطاً فما الاعجام الاَّ اشبه بالنساء ولو لم تاتوا اليَّ لما لحق بي خطر بل كنت افنيت منهم كثيرًا وعدت منصورًا فائزًا

واقام الجميع في الخيام بعد ذلك مدة ثلاثة ايام وفي نية الامير حمزة ان يعودوا الى القتال فيبدد اولئك الذين جاءوا من قبل كسرى وهو مملوء من الفرح والسرور لا يمتلئ من النظر الى ولده وفي اليوم الرابع جاءهُ ابنهُ وقال له لما يا ابتاه نتقاعد عن القتال ونترك امامنا الاعداء ونحن قادرون ان نبيدهم بيوم واحد قال له ان هذه الايام ايام افراح بقدومك علينا واجتماعنا ببعضنا ولذلك لا اريد ان يشوبهُ كدر ولا اريد ان اكون فيها انا البادئ بالشر اذ كل بادي بالشر خسران وهلاك الطائفة التي امامنا لا يفوتنا . فسكت عمر وهو يتوق الى الحرب وجاء عمهُ عمر العيار وقال له قد عرفت يا عماه ان عندك مكحلة اذا تكحل فيها الانسان وطلب ان يغير زيهُ ويتزيا باي زي اراد يصير له وانا اريد منك ان تكحلني بها لاصير كواحد من الاعجام فاذهب بينهم واتفرج عليهم وارى زوبين الغدار واعرف كيف هو ومثلهُ باقي فرسان الفرس . قال هذا لا يمكن ابدًا لاني اعرف جيدًا انك لا تقدر ان تضبط نفسك فمتى صرت بين الاعجام ونظرت افلنطوش وجماعتهُ وسمعتهم يسبون العرب او يتكلمون مثل هذا الكلام لا تصبر على الاهانة ويدفعك جهلك الى اظهار نفسك واخذ حقك منهم فتقع بايديهم ويكون ذلك ويلاً علينا ويعتب ابوك عليَّ ويغضب مني . قال هذا لا بد منهُ واني اعدك اني لا افوه بكلمة مهما سمعت ومهما رايت قال لا تطمع نفسك بالمحال فما من وسيلة لان اجيبك الى طلبك . فقال وانا لا اتركك ولا بد من ان اذهب واياك الى الفرجة على ترتيب الاعجام ومن مشاهدة زوبين الغدار وافلنطوش . واكرر لك القسم بك وبابي اني لا افوه بكلمة ولا ابدي حركة ولو سمعت الف كلمة وافعل كما تفعل انت

ولا زال عمر اليوناني يلح على عمر العيار حتى سمع له ووافقهُ على طلبهِ ووعد انهُ يذهب واياه واشرط عليهِ ان لا يظهر نفسهُ وان يتغاضى عن كل ما يسمع ويرى ثم كحلهُ بالمكحلة وتكحل هو فصار الاثنان كانهما من الاعجام لا شك بهما ولا ارتياب . ولبسا ملابس الحجاب وسارا من معسكر العرب ودخلا بين الاعداء ولا زالا سائرين حتى وصلا الى ديوان افلنطوش فنظر اليهِ عمر اليوناني وراى ملابسهُ وعظمتهُ وقال لرفيقهِ اني اراهُ يفتخر بنفسهِ كثيرًا قال هكذا عادة الاكاسرة يحبون العظمة والفخار ثم نظر الى زوبين الغدار وهو الى جانب افلنطوش فتعجب من

قباحة منظرهِ وكآبة طلعتهِ وكبر شدقيهِ وتشامخ انفهِ وتجعد خديهِ فلعبت نار الغضب في قلبهِ وقال ان هيئتهُ تدل على انهُ اكثر الناس غدرًا واحتيالاً ونظر الى عمهِ وقال لهُ اني سمعت من خالتي مهردكار ان طوربان بنت عمها عند ابيها وهي تشبهها جمالاً وكمالاً الا انها تزيدها بسالة واقدامًا فاين هي الان فاني لم ارها بين الفرسان . قال اني متعجب من ذلك لانها كانت تجلس دائمًا بجانب ابيها والان لا اراها قط ولا اعرف اين هي . وفيما هما على مثل ذلك سمع افلنطوش يقول اني اعجب الان من بنتي طوربان فانها لم تحضر حتى الان ولا جاءني منها خبر عن سبب غيابها . فاستدرك زوبين الكلام وقال اني سالت عن ذلك يا سيدي فقيل لي انها ذهبت في هذا الصباح الى الصيد والقنص وستعود في المساء وقد نسيت ان ابدي لك ذلك وانت تعرف رغبتها في فن الصيد ولا ريب ان خدمها ذهبوا بمعيتها فهي بامان من العرب الان وتعرف ان لا حرب في هذا اليوم . وعلى ما اظن ان العرب الاوباش خائفون منا لا يباشرون القتال والحرب والنزال وكان يظن انهم يسارعون الى اقتطاف ثمرة ذاك الانتصار ولا بد ان يكون لذلك من سبب عظيم وعليهِ فاني عولت ان اباشر الحرب في الغد واذيق العربان كاس الهوان واقتل حمزة البهلوان واذيقهُ كاس المذلة وافعل فعلاً يذكر بعدي الى اخر الازمان . لاني اطلت روحي كثيرًا ولم يعد في وسعي الصبر والسكوت من ذل العرب واهاناتهم . وكان يفكر زوبين ان يشغل افلنطوش عن السوال عن ابنتهِ . فاغاظ كلامهُ هذا عمر اليوناني وقدحت عيونهُ شرار النار وقد احمر واخضر واصفر ووضع يدهُ على سيفهِ وفي نيتهِ ان يجردهُ فلحظ منهُ عمر العيار ذلك فارتاع ودنا منهُ في الحال وقال لهُ لا تفعل والاَّ هلكنا واخرج من هذا المكان وقد اقسمت بابيك ان لا تبدي حركة . فخرج عمر اليوناني وهو يرغي ويزبد . فقال لهُ لما فعلت ذلك قال اني قصدت ان اقتل زوبين وافلنطوش معًا ولو قتلت فيما بعد ولولاك لفعلت ذلك . قال اني اشكر الله حيث قدرت ان تكظم غيظك فاذهب بنا الان من حيث جئنا . وكان عمر اليوناني لا يريد ان يذهب قبل ان يرى طوربان فاراد محاولة عمهِ وقال لهُ اني سمعت منك فاصغَ اليَّ واسمع مني حيث اريد ان اطوف بعد بين طوائف الفرس ارى الخاص والدون حتى ناتي على اخر المعسكر فنخرج من هناك وناتي بعيدين في البر حتى نصل الى معسكرنا قال افعل ما بدا لك ولو اقمت شهرًا بين الاعداء فابقى معك لكن بشرط ان تحافظ على السكينة وتبقى كاتمًا امرك فان من النظر لا احد يعرفنا قال اني اعتدت ان اسكت وسوف ترى مني ما تريدهُ ثم جعل يطوف واياهُ حتى اخر المعسكر وخرجا من هناك وافكار عمر اليوناني مشغلة مضطربة كيف لم يتيسر لهُ ان يرى طوربان فوقف يتامل وفي نيتهِ ان يعود ثانيًا الى بين المعسكر برانهُ فكر ان يقنع عمهُ انهُ يعود بهِ مرة ثانية فتكون قد عادت من الصيد فمشى الى جانب عمر

العيار واوسعا في [illegible] فصعد اكمة عالية ثم نزلا الى حضيض منشعب فرايا صيوانا مضروبا وعند بابه عبد واقف وآخر بعيد قليلاً عنهُ فقصد عمر العيار وتبعهُ رفيقهُ ولما قربا من العبد الاول واراد ان يجتازهُ الى جهة الصيوان منعهُ وقال لهُ ارجع مع رفيقك ولا تقرب من الصيوان فهو لسيدي زوبين الغدار وقد اوصى ان لا ندع احداً لا من العجم ولا من غيرهم يقربهُ والا غضب منهُ وانزل به العبر فارجع الى الوراء قبل ان يحل بك الاجل وتشاهد الموت ولا بد انهُ قريباً يكون هنا . فما تركهُ عمر العيار ان يتم كلامهُ حتى ارسل خنجرهُ الى صدره فرماهُ قتيلاً ولما راى العبد الواقف على الباب ما حل برفيقهِ خاف على نفسهِ من الهلاك فصاح الى عبد اخر كان داخل الصيوان ان يخرج ويتبعهُ وهرب من ناحية ثانية فلم يلحقهُ عمر بل بقي سائراً الى ان وقف في باب الصيوان الامير عمر اليوناني وحالما وقف نظر الى داخلهِ واذا بفتاة هناك كانها الشمس بالاشراق او البدر عند تمامهِ لم يخلق الله احسن منها جمالاً ولا ابهى كمالاً ولقد صح ما قيل فيها

البدر طلعتها والغصن قامتها   والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كانها افرغت من ماء لؤلؤةٍ   في كل جارحة من حسنها قمرُ

وحالما راتهما الصبية صاحت مستغيثة واظهرت لهما انها موثوقة بالحبال وقالت بلغتها الفارسية هلما ادركاني وخلصاني يا اولي المروءة فاني اكافيكما على فعلكما لاني انا طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان ملككم وسيدكم وقد غدر بي زوبين الغدار واحتال عليَّ وانا في فراشي غافلة عن كيدهِ وبعث بي مع خدمهِ الى هذه البرية وفي نيتهِ ان يفعل القبيح فخلصاني قبل ان ياتي المساء وياتي هذا المكان وكانت تتكلم وعمر اليوناني واقفاً ينظر اليها ويحدق بها وهو لا يعي الى ما تقول ولا ماذا تريد بل راها موثوقة فبهت متعجباً من أمرها ماخوذاً من جمالها الباهر ولونها الابيض المتشرب حمرة ومن عينيها السوداوين اللتين يعلوهما حاجبان لا ثخينان ولا رفيعان وامواج النور تتوارد من وجهها وتدفق فضاع من ذلك عقلهُ وحار لبهُ واصبح لسان حالهِ ينشد

بدت تختال في ذل النعيم   كما مال القضيب مع النسيمِ
واشرق صبح واضحها فولى   هزيع الليل في جيش هزيمِ
وكشف الصبح قد سلت نصالاً   تخرق حلة الليل البهيمِ
واجج من شعاع الشمس نارًا   اذاب لهيبها برد النجومِ
فتاة كالهلال فان تجلت   ارتنا البدر في ثوبٍ ذميمِ
وكنت بها احب بني هلالٍ   فمذ تمت هويت بني تميمِ

بخصر مثل عاشقها نحيل ... وطرف مثل موعدها سقيم
وقد لو يمرُّ به نسيم ... لكاد يوده مرُّ النسيم
ايا ذات اللمى رفقًا بصب ... يراعي ذمة العهد الكريم
يعلل من وصالك بالاماني ... ويقنع من رياضك بالهشيم
نظرت اليك فاستاسرت قلبي ... فادركني الشقاء من النعيم
فطرفي من خدودك في جنان ... وقلبي من صدودك في جحيم
ارى سقم الجفون يرى فؤادي ... وعلمني مكابدة الهموم
لعل الحب برفق بالرعايا ... وياخذ للبريء من السقيم

وكان ما يشغل خاطره ويستدعي انعطاف قلبه وجودها ذليلة مقيدة الايدي مع انها ملاك وهي فارسية تتكلم وهو ملتهٍ عن معنى كلامها فشغل خاطره لذلك وضاع وعيه وفقد لبه فتقدم وحاكاها بلسانه العربي مومّلاً انها تجيبه على سؤاله فلم تجب وحينئذٍ تقدم منه عمر العيار وقال له مالك ولهذه الغلة فاذهب بنا ودعها وشانها فان امرها لا يعنينا وكان قد فهم كلامها كله وعرفه حق المعرفة . فقال عمر اليوناني كيف اتركها وهي على هذه الحالة اما من نخوة في راسك ومروة وانت تدعي الشرف والناموس فاقسم بحق خالق الليل والنهار لا برحت من هذا المكان الاّ وهي معي واقتصصت لها من عدوها ايًّا كان ولو كان كسرى انوشروان . قال ان هذه عدوتنا وبنت اكبر اعدائنا هذه طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى وقد غدر بها زوبين الغدار وارسلها الى هذا المكان ولا اعرف كيف فعل ذلك وفي نيته ان ياتيها فدع عبدة النار يفعلون ببعضهم ما يريدون فهم اهل فحش وقبح . فلما سمع عمر ابن الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انها نفس طوربان زاد به الوجد والهيام وهاجت به نار الوجد والغرام لانه كان يضمر في نيته ان يراها على ما سمع عنها من زوجة ابيه مهردكار وهو متكدر من عودته كيف لم يرها وقد راها وشاهد فوق ما سمع عنها وهي بتلك الحالة الموجبة للشفقة والاغاثة فقال لعمه اسرع اليها وفكها حالاً . فاني لا اذهب من هنا الا وهي برفقتي فادرك الامير عمر العيار معناه وماذا يقصد وقال له ماذا يا ترى نستفيد من حلها فاننا اذا حللناها عادت الى قومها الاّ اذا كنت تريد ان ناخذها لك زوجة فنذهب بها قال اني اريد ذلك ولا ابرح الا وهي معي قال وكيف يمكنك ان تتزوج بها وهي على دين النار وانت على دين الله العزيز الجبار الا تعلم ان اهل الله لا يختلطون بالكفار . قال اعرض عليها الايمان . فاذا قبلت خلصناها وذهبنا بها وهي مطلقة الايدي والا اخذناها معنا وهي على الحالة التي هي فيها واخبرها ايضًا بامري واني اريد ان اتزوج بها وتكون عندي دائمًا ويكون حظها كحظ بنت عمها مهردكار . فتقدم منها

عمر العيار وقال لها اعطي باذات الجمال اننا سمعنا كلامك وعرفناك بنت من انت ولذلك نريد ان نخلصك ونذهب بك عن قومك فهل ترضين بذلك . قالت الى اين تذهبان بي وانتما من الاعجام اصحابنا ورجالنا . قال كلا بل نحن من العرب اعدائكم فانا عمر العيار وهذا الذي معي هو الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان صاحب المجد والجاه ورفعة المكان وامه زهر البان بنت اسطفانوس حاكم بلاد اليونان وقد وقعت من قلبه موقعاً عظيماً واحبك من نظرة واحدة ولا يريد ان يذهب من هنا دون ان تكوني برفقته اما مقيدة واما مطلقة الايدي . فلما سمعت طوربان هذا الكلام وقع من قلبها موقعاً حسناً وكانت تحب من كل قلبها ان تخلص من زوبين ومن جيش العجم وتتمنى الموت والبعد ولذلك قالت لعمر اني اعرف جيداً ان بذلك الفخر والشرف لي واتمنى ان يكون نصيبي كنصيب مهردكار واني راضية واقبل بكل ما اشرت اليه وارغب ان اكون زوجة لابن سيد العرب وفارسهم . قال ان ذلك لا يكفينا لان العرب لا يتزوجون بمن هن على غير دينهم ولذلك نعرض عليك اولاً الايمان فاذا قبلت بكلمة الحق وامنت بالله تعالى وبرسله الاطهار كان لك عندنا التعظيم والاعتبار والاً فلا امل بزواجك وانت على دين النار قالت اني اعرف ذلك وما قلت لك اني ارضى بزواج ابن الامير الا وفي نيتي ان اكون على دينه ومنذ الان اترك عبادة النار واتمسك بعبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار . فلما سمع ابن الامير حمزة منها هذا الكلام اسرع الى وثاقها فحله في الحال وقال لها انت منذ الان في زمامي وتحت لوائي ولا يقدر احد ان يصل اليك

ثم طلب اليها ان تسير وراءه فسارت وهي تتامل فيه وتنظر في جماله وصبانه وقلبها يهلع من الفرح ومن السعادة التي عرفت من نفسها انها نالتها ووقعت بها لانها رات غلاماً لا يتجاوز الخامسة عشر من العمر او السادسة عشر باهر الجمال بديع الاوصاف معتدل القامة كامل الهيكل عريض الاكتاف ابيض اللون عليه هيئة الكرامة ودليل البسالة والاقدام وهي لا ترفع نظرها منه وقد فضلت الموت والعذاب وملاقاة كل هول بالقرب منه وقالت في نفسها اين زوبين الغدار من هذا الامير الذي لا يوجد له ثانٍ في ممالك العالم لا من الشبان ولا من النساء فسبحان من خلقه وقدر عليّ ان اكون زوجة له انال عنده السعادة العظيمة والحظ الوافر واتمتع بباهر جماله وبديع محاسنه وبدقائق قليلة اصبحت عاشقة من اكبر عاشقات ذلك الزمان وقد نست اهلها واباها ودينها وتعلقت به وهي تراه كانه

اوضحت نارخده للمجوس حجة في السجود التقديس
واقامت للعاشقين دليلاً واضحاً في جوارهم الدوس

رشا من جآذر العرب لكن حاز ارث الجمال عن بلقيس
لابسًا من بهائهِ ثوب بدرٍ ومن الوشي حلة الطاووس
وشهدنا من خده وسناه كيف تكسى البدور نور الشموس
وجلاها والصبح قد هزم اللي ل وهم الرفاق بالتعريس
والثريا ولّت ومالت الى الغر ب فكانت كالطائح المنكوس
ولدى الشرق شكلها وهو لحيا ن فصارت في الغرب كالانكيس
فعلت مقلتاه في انفس العشا ق فعال السلافة الخندريس
اهيف القد مخطف الخصر ساجي الـ طرف انس النديم روح الجليس
لا نلام العشاق في تلف الار واح في عشقهِ وبذل النفوس
نظروا ذلك الجمال وقد لا ح نفيسًا فخاطروا بالنفيسِ

هذا وعمر اليوناني يسير امامها والى جانبها وكان قلبهُ مملوءًا من الفرح والسرور على نوال غايتهِ وكان لا يزال خاليًا فامتلأ من محبة طوربان وصار لاشغل لهُ الاّ الاهتمام بها والنظر في امرها وكان جهلة وداعي سنهِ يحركانهِ الى التباهي والتفاخر لدى حبيبتهِ واصبح يطلب ان يقاتل امامها لتراهُ وتسرَّ من عملهِ وعليهِ كان وهو سائر يعرج الى جهة الجيوش العجمية وعمر العيار يضادهُ في ذلك ويطلب اليهِ ان يبتعد ولا يدنو من معسكر الاعداء وهو لا يصغى ولا يرجع ويقول لهُ ما من باس علينا واذا رآنا الاعجام وحملوا علينا فاني ارى من نفسي اني كفوءٌ لهم اردهم وحدي وفيما هم على ذلك راى جماعة من الاعجام قد تقربوا منهم وهم يظنونهم مثلهم ففرح عمر وصبر الى ان قرب من الاول فاشهر حسامهُ وضربهُ بهِ على هامهِ فالقاهُ قتيلاً ولما راى رفاقهُ ما حل بهِ حملوا عليهِ وصوبوا اسنتهم اليهم وسار واحد منهم الى المعسكر واخبر بما راى وماسمع من عمر اليوناني ومناداتهِ باسمهِ حتى اجتمع حولهُ خلق كثير وهو يطاعن ويضارب كانهُ القضاء المنزل فيفرق الصفوف ويطعن في الميئات والالوف . ولما رات طوربان ما حل بحبيبها وان اعداها محيطة بهِ تناولت سيفًا ورمحًا من بعض المتقدمين وصاحت وحملت وكانت من البطش على جانب عظيم

قال وكان السبب في وجود طوربان في ذاك الديوان موثوقة كما تقدم الكلام هو ان

انتهى الجزء الثامن من قصة حمزة البهلوان
ويليهِ الجزء التاسع عما قريب

الجزء التاسع

من قصة الامير حمزة البهلوان

زوبين الغدار كان يراقبها كما تقدم معنا وقلبهُ مملوء من الحب والغيظ معاً حيث كانت لا تريد ان تراهُ ولا ترغب في ان تشاهد وجههُ قط وقد صرف كل جهدهِ الى مرضاتها فلم تزد الاَّ نفورًا وبغضاً وعداوة وكرهاً ولا زال الى ان كان قبل ذلك اليوم بيوم استغنم فرصة انفرادها فجاء اليها واعاد عليها حبهُ وقال ياقرة العيون ليس من الصواب ان تعامليني بالجفاء والقطع وانت تعلمين شدة حبي لك وشوقي ولا اريد منك الا شيئاً ممدوحاً بحيث اريد ان تكوني لي زوجة فاحصل عليك بطريقة حسنة شريفة وتكوني قد رحمتي قلباً حزيناً مولعاً لا يرضا الاك ولا يميل الى سواك وبذلك ترضين النار التي ترغب في الازدواج ليكثر نسل بنيها وعبادها فقاطعتهُ وقالت لهُ قلت لك مرارًا اني لا اريد فيما تقول ولا ارغب في الزواج منك ولا من غيرك فدعني وشاني فاني لا اعرف الحب ولا اريد ان اعرفهُ فاجعل اعتمادك على غيرهِ ولا تعلق املاً بي فما من نتيجة بالحصول عليَّ ولا سيما اني اعرفك كما انت واعرف غدرك وخياناتك وقلبي لا يرغب في ان يقرب من الخائنين فوجودك بين جيش العجم جعلني ان اكره فيهِ واتمنى البعد عنهُ واكرر لك ما قلتهُ سابقاً من ان الموت عندي افضل بكثير من الدنو منك ومن ان يقال عني اني تزوجت بزوبين الغدار واما غضب النار عليَّ ورضاها فلا يتعلق بك كيف كان الحال واني مع ذلك لا اسال رضيت ام غضبت فاني حرة من نفسي وما من معبود حقيقي يجبر فتاة على الزواج بمن تكرههُ . قال اسمعي لي ... لقولي ولا تنظري الى بغضك فاني احكمك بنفسي وقومي فتكونين سيدة مالكة واكون لك ... على الدوام وكان عهدي بان قلوب النساء رقيقة شفوقة وارى قلبك اشد من الحـ... صلابة لا يلين لذلي ولا يشفق على توسلاتي واذا كنت تكرهينني لغدري بالامير حمزة فـ... المجد والفخر لان الحرب خدعة وعلى الانسان ان يقهر عدوهُ باي طريق كان اليس وقد ... حمزة كثير من الابطال والفرسان وما منهم من قدر ان يثبت بين يديهِ او يصل باذى ... واما قد قهرتهُ مرتين وفي كل مرة تفاخر العرب وبشرف على الموت والهلاك . فابعدي عنك الاو...ام وارضي بحبي واجيبي طلبي فيكون ذلك بارادتك وقبولك وفي النهاية لا بد منهُ لان ...ي كسرى ووزيرهُ بختك قد وعداني بذلك وعدًا صادقاً لا بد من اتمامهِ وابوك يرغب و... ان اكون زوجاً لك فماذا يا ترى يوقف في

طريق حصولي عليك وهل اذا امرك ابوك وعمك تمتنعين وتخالفين . قالت وماذا يمنعني من ان اقول لهما اني اكرهه ولا ارضاهُ وابغض النظر الى وجهه وماذا يبعدني عن ان اظهر لهما ان قلبي ينفر منه كونه قبيح المنظر خبيث الاعمال لا ريب انهما ينظران الى كلامي بعين الرضا ويعرفان انك كما اقول ولا تخفى عليهما حالتك ولا تظن ان عملك مع الامير حمزة ممدوح من الناس فان الرجل البطل يفضل ان يقتل بين يدي خصمهِ من ان يغدر بهِ او يخدعهُ بطريقة دنية فارجع الى مكانك واتخذ لك زوجة غيري واعمل على سلوي . ومن القبيح على الانسان ان يحب من لا يحبهُ ويعلق قلبهُ بفتاة تكرههُ وتبغضهُ وتتمنى هلاكهُ وموتهُ . فلما سمع زوبين منها هذا الكلام انفطرت مرارتهُ وهاج غضبهُ وتمنى ان يشرب من دمها على هذه الاهانة الا انهُ وجد نفسهُ غير قادر في تلك الساعة ان يبدي حركة وقد اضمر كل الشر في قلبهِ . ولذلك قال لها . اني موكد انهُ لا بد ان يكون قلبك قد تعلق بغيري وانك تهوين فتى وانت عاملة على حبهِ دون علم ابيك واطلاعهِ على ذلك وهذا ما يزيدني غيظًا منك وسوف ترين مني خلاف ما تظنين وان اصرُّ على طلبي ولا بد من قهر غايتك واماللك واجبارك على الزواج مني بوقت قريب لاني منذ وجدت في هذا العالم وانا احصل على كل ما اريد واصرف الجهد الى نوال الغاية . وكنت قبلاً ارغب في زواج مهردكار فهربت وتزوجت بحمزة ومع ذلك فكنت عزمت ان الازم الحرب وابذل الجهد الى الحصول عليها لا حبًّا بها بل كيدًا لها وقهرًا لتقدم ذبيحة للنار وتعرف شرَّ عملها وبغضها فيَّ الى ابن ذهب بها ومنذ رايتك كرهت في مهردكار وعلقت قلبي بك وانا متيقن انك تكونين حكيمة عاقلة اكثر من بنت عمك ويكون لي معك الحظ والسعادة فجاء الامر بخلاف ما ظننت وسوف يكون لي ولك حديث يذكرين قومنا فيما بعد . فضحكت من كلامهِ وهزت راسها وقالت افعل ما انت فاعل فاني لا افكر بك وان شئت ان تغدر بي وانا بالحرب فاني متحذرة منك وها ان سلاحك معك وسلاحي معي فاذا اردت القتال فهلمَّ فاما ان تقتلني واما ان اقتلك . قال ليس لي في قتلك نفع

ثم انهُ تركها وكرَّ راجعًا الى صيوانهِ وفي قلبهِ لهيب النار يتوقد واحشاؤُهُ تتمزق من شدة ما لاقى منها من الاهانة والاحتقار وهو ينظر في الطرق التي توصلهُ من قهرها واغتصابها من نفسها وكانت افكارهُ القبيحة تزين لهُ الطمع والحصول على غايتهِ وتزيد من اهتمامهِ بنوال المراد ومن شدة غيظهِ ذهب الى صيوانهِ ولم يجتمع باحد كل ذلك النهار ولا رضى ان يرَ احدًا الى ان كان المساء واسود الليل فكثرت بهِ الهواجس وقلق القلق الزائد وراى في نفسهِ انهُ اذا مضت تلك الليلة ولم ينفذ غايتهُ في طوربان يموت كيدًا وقهرًا ولذلك دعا بكبير عبيدهِ وكان اسمهُ عدو الامانة فاحضره اليهِ وقال لهُ اني اذخرك لمثل هذا الوقت والان اريدك ان تسرع الى

طلبي ونسعى في غرضي ولك مني مهما طلبت . وكان عدو الامانة شديد الغدر والخيانة يعرف ابواب الحيل والخداع . فقال مرني يا سيدي بما شئت فاني اقضيه لك ولو كان بذلك ذهاب روحي . قال اعلم اني احب طوربان بنت افلنطوش وقد صرفت الجهد الى مرضاتها واقناعها فلم تقنع ولا رضيت بل اكتفت باهانتي واحتقاري وعملت على ذلي وتوبيخي حتى طلبت نفسي الانتقام منها واغتصابها وقهرها ولم اكن ارى وسيلة الى ذلك اقدر ان اخفي بها عملي عن ابيها وخدمها واريد أن يتم ذلك في هذه الليلة . فقال العبد ان ما تزعمه يا سيدي سهل وعندي له طريقة حسنة وهي ان كبير عبيد طوربان هو ابن عمي وبيني وبينه مودة عظيمة ولا يقدر احدنا ان يفارق الاخر ففي كل ليلة بعد نصف الليل اما يجيء عندي فاشربه الخمر واياهُ مع جماعتي العبيد واما اذهب اليه انا واقيم عندهُ على الحفظ مدة ثلاث ساعات بعد ان اوكل بالمحافظة على الصيوان جماعتي العبيد . ففي هذه الليلة اذهب اليه واجتمع به عند صيوان طوربان مع جماعته العبيد فاضع البنج في الخمر ومتى سكروا رفعتهم مع عبيدي الى البرية فيخلو صيوان طوربان ويمكنك ان تذهب اليها وتنال غايتك منها . قال ان بقاءها في الصيوان يوقعنا فيما يظهر الامر وربما لم اقدر ان اتمكن منها وعندي ان تاخذ صيوانًا الى البرية خلف اكمة مستترة تنصبهُ هناك وتاخذ طوربان وهي نائمة الى هناك فتوثقها وتربط ايديها وتبقى على محافظتها الى مساء اليوم الاتي فاذهب اليها واصرف ليلي معها وهي واعية لنفسها لكنها مقيدة الايدي وبذلك اقهرها وانال ما انا طالبهُ وبعد ذلك اعتقك من رق العبودية وازوجك بالجارية التي تريدها واعين لك الاموال الغزيرة . فلما سمع عدو الامانة كلام سيده فرح الفرح العظيم وقال له سوف ترى ما يسرك

ثم انهُ اخذ اربعة من عبيده وبعث صيوانًا مع عبيد اخر واوصاهم ان ينتظروهُ خارج المعسكر في مكان عينهُ لهما وبقي سائرًا الى ان قرب من صيوان طوربان فاوقف العبيد الذين معهُ وسار هو وحدهُ حتى وصل من العبيد فسلم عليهم ودنا من عبد طوربان وقال له اعلم يا ابن العم اني في هذه الليلة جئت قبل الوقت لاني كنت بشوق زائد الى رؤياك اتمنى ان اشرب الخمرة معك وارى من نفسي اني مسرور جدًا ولا يطيب لي الحظ الاَّ بالقرب منك نتعاطى الكؤوس معًا . فقال بارك الله فيك واني بانتظار ذلك غير اني ارجوك أن تصبر عليَّ الى ان تنام سيدتي لاني اراها في هذه الليلة قلقة وفي كل برهة تدعوني اليها وتوصيني بالمحافظة والتيقظ . فقال له اني انتظرك حتى الصباح فما من عائق يعيقني لان سيدي قد نام ولا يقوم الى الصباح ووكلت بالمحافظة عليه اتباعي . وكانت طوربان متكدرة متاثرة في تلك الليلة مما جرى بينها وبين زوبين الغدار وهي حزينة جدًا تتمنى البعد عن المعسكر والرجوع الى المدائن او القيام في مكان اخر

بحيث لا تراهُ ولا يراها وقد شغل فكرها من رعدهِ ووعيدهِ لانها كانت تعرف انهُ غدار خبيث في الاعمال قبيحها ولهذا كانت توصي العبد بان يبقى متيقظًا لتصرف تلك الليلة حتى اذا جاء اليوم التالي اخبرت اباها بعزمها على الرجوع الى المدائن وبعدت عن زوبين هذا . وصرفت اكثر من ثلاثة ارباع الليل وهي ساهرة قلقة الى ان تغلب عليها النعاس وفتك بها سلطانهُ فنامت وغرقت ببحر ثبات عميق . ولما تيمن عبدها انها نامت جاء عدو الامانة وقال لهُ اني اعجب من مولاتي فانها لم تفعل في كل حياتها مثل هذه الليلة فانها خائفة جدًّا على نفسها ولا اعلم ممن ولولا تغلب النعاس لما نامت او لو كان عندها من يسليها لبقيت الى الصباح . فقال لهُ دعها نائمة وهيا ادعُ جماعتك العبيد لنشرب الخمر معًا ونبقى محافظين عليها الى النهار اجابة لطلبها . فاحضروا الخمر واجتمع العبيد حول عدو الامانة فاخذ يسامرهم ويحكي لهم القصص والنوادر ويشغلهم ويلهيهم حتى تمكن من وضع البنج بالزق وهو منضجر قلق على الوقت الذي يمضي وقد خاف كثيرًا من ان تنقضي تلك الليلة ولا ينال مرادًا ولا يتوصل الى غايتهِ ثم سكب الخمر وناول كل واحد منهم قدحه بدوره وصبر عليهم نحو خمس دقائق واذا بهم قد وقعوا الى الارض كالاموات . ففرح مزيد الفرح ونهض الى جماعتهِ العبيد فدعاهم اليهِ وامرهم ان يشدوا عبيد طوربان ويحملوهم في الحال الى الخارج ويخفوهم في المغائر وينتظروهُ في البرية ففعلوا ودخل هو الى الداخل فوجد طوربان نائمة على سريرها فلفها بالفراش وربطهُ من الخارج وقد اخفاها داخلة وهي غير ظاهرة وفمها مسدود بطرف الفراش وحملها على عاتقهِ واسرع بركض الى خارج المعسكر وكان صيوان طوربان منفردًا عن باقي الصواوين وكانت تقصد بذلك البعد عن ان ترى زوبين في غير صيوان ابيها وبقي عدو الامانة يعدو بها حتى التقى بالعبد الحامل الصيوان فسارا حتى جاءا خلف تلك الاكمة فنصبا الصيوان وانزل طوربان وهي ضيقة الانفاس على آخر رمق من الحياة فرفع الفراش عنها واوثق ايديها وسقاها الماء فوعت الى نفسها والتفتت يمينًا وشمالاً فلم ترَ الاَّ ذاك العبد فقالت لهُ ويلك من جاء بي الى هنا ولما ذلك قال ان الذي جاء بك الى هنا هو انا عبد زوبين الغدار صاحب العظمة والفخار وقصدهُ يغتصبك وبذلك لتعلمي من نفسك كيف تكون نتيجة عداوتهِ . فقالت لهُ ويلك وماذا يكون من امرك اذا رجعت الى المعسكر فاني بدون شك اقتلك شرَّ قتلة واقتل معك زوبين الخبيث المحتال وهل يظن انهُ يتمكن مني وانا بقيد الحياة قال انهُ ينال غايتهُ باسهل الطرقات لانك موثوقة لا تقدرين الدفاع عن نفسك وباي شيء يا ترى تدافعين ومتى نال ذلك فلا ريب انك ترضين بزواجهِ وتصبحين سيدتنا ومولاتنا ويكون لنا الفخر الاكبر بعملنا هذا عندك وسوف تكافينا عليهِ المكافاة العظيمة مع اني امين على مطالب سيدي ولا بد من اتمام اوامرهِ ولو كان بذلك هلاكي ولا

ريب انك تعلمين اني خادم ومفروض عليّ طاعة سيدي وقد عملت الواجب ولا اعرف ما يكون بينك وبينهُ

ثم انهُ اعرض عنها وتركها تعض على شفتيها تحرقًا والمًا من فعل هذا الماكر المحتال وقد علمت انها وقعت في حبالهِ وخبيث اعمالهِ وانهُ اذا جاءها زوبين ينال مرادهُ منها فيذلها وتلتزم بعد ذلك على قتل نفسها واخفاء امرها وجعلت تبكي على تهاملها بامر نفسها . وخرج عدو الامانة الى خارج الصيوان وارسل العبد فجمع باقي العبيد وسالهم ماذا عملوا . فقالوا لهُ اننا اخفينا الصهد في المغائر . فابقى عندهُ عبدين وارجع الباقين الى المعسكر واوصاهم ان يدخلوا على زوبين سرًّا ويخبرونهُ بما كان وانهُ يبقى محافظًا على طوربان الى ليل اليوم القادم ولا يدع احدًا يطلع على امرها او يعرف اين هي ولا سيما ان الصيوان بمكان منفرد عن الناس وراء اكمة عالية لا يظن انها هناك وان ما من احد اطلع على هذا السرّ الاَّ العبيد . وكان نور الصباح اخذ في ان يظهر شيئًا فشيئًا فعاد العبيد حسب امر سيدهم وجاءوا الى المعسكر ودخلوا على سيدهم واخبروهُ بكل ما كان من امرهم وما فعلهُ عدو الامانة وانهُ عند طوربان بالصيوان ففرح مزيد الفرح وسقط عن قلبهِ همٌّ عظيم وتكدر من حلول النهار وجعل ينتظر انصراف ذاك اليوم ويذهب بانوارهِ وياتي الليل بظلامهِ فيسير تحت اجنحتهِ لارتكاب القبيح ونوال المراد وكان يرى ان كل دقيقة اطول من سنة وهو يحاول ان يخفي امر طوربان عن ابيها ويشغلهُ عن السوال عنها والبحث عن امرها الى ان وصل الصياح الى افلطوش وهو في صيوانهِ واخبر ان عمر اليوناني في وسط المعسكر يقاتل ويناضل والى جانبهِ طوربان تفعل كفعلهِ . فطار عقل زوبين الغدار وهو لا يصدق بمثل هذا الخبر واسرع مع افلنطوش الى ساحة القتال

قال وكان عمر اليوناني كما تقدم معنا الكلام يصيح وينادي انا عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان وقد جئت لانتقم منكم لغدركم بطوربان وهو يطرد الجيوش فتسير بين يديهِ كانها قطيع من الغنم وهي تزدحم وتتقاطر من كل الجهات وطوربان تحمي ظهرهُ ولا تدع احدًا يقرب منهُ وتمدد الرجال على بساط الرمال وتنزل بهم الهلاك والوبال وهي متعجبة من صبر حبيبها على القتال وبراعتهِ في فنون الحرب خائفة من ان يقع في ايدي قومها لانهُ وحيد وهم كثيرون ولذلك صاحت بعمر العيار وقالت لهُ دع عنك القتال واسرع الى الامير حمزة واخبرهُ بامر ابنهِ قبل ان يصل ابي وزوبين الغدار وتحمل العساكر برمتها عليهِ واني وعمر اليوناني نقدر على الثبات والبقاء الى حين تاتون . فقال لها لا تفارقيهِ الى ان اعود . ثم انطلق حتى جاء معسكر العرب وصاح باخيهِ حمزة وقال لهُ ويلك ادرك ابنك فانهُ في وسط الاعداء وقد فعل بهم العجائب وانزل بهم النوائب ولا بد ان يقع بهِ التعب فيصاب بنائبة او يقع بيد الاعداء وقد توافق

مع طوربان بنت افلنطوش وهي تقاتل معهُ وتحمي ظهرهُ فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابهُ وغاب وعيهُ واسرع الى جواده فركبهُ وحمل على معسكر الاعجام وحمل من خلفهِ اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وكل فارس وبطل عربي وعندما وصلوا الى ساحة القتال وجدوا ان قبائل العجم قد حملت باجمعها على الامير عمر اليوناني وافلنطوش يحركها ويصيح بها ان تتقدم منهُ وتحمل عليهِ وزوبين الغدار مع طوربان في نزال ومحاولة وهي تطلب ان تقتلهُ وهو كذلك وقد امتلأ قلبهُ حنقاً منها وكره في الحياة الاَّ انهُ لما سمع صوت الامير حمزة وشاهد حملة العرب ترك طوربان وغاص بين قومهِ وكان القتال عظيماً والنزال جسيماً وقد اتسع المجال على الامير عمر اليوناني عند وصول ابيهِ وقومهِ ومباشرتهم القتال فجعل يخترق الصفوف ويطعن في الميئات والالوف وطوربان الى جانبهِ وقد دفع اليهما عمر العيار جوادين فركباهما ودام القتال الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى المنازل والخيام ودعا حمزة بولدهِ وباخيهِ عمر العيار ولامهما على مثل هذا العمل وقال لاخيهِ اما أوصيتك في المرة الاولى ان لا تذهب بولدي الى المخاطر . فقال لهُ ليس انا الذي ذهبت بهِ بل هواهُ ونصيبهُ وقد حصل على ما هو طالب ونال غايتهُ لانهُ كان يقصد ان يرى طوربان فحصل عليها وجاء بها وهي هنا الان ويقصد ان يتزوج بها وما سرت معهُ الا خوفاً عليهِ . ثم ان عمر العيار حكى لحمزة كل ما توقع لهُ مع ابنهِ وما توقع لهما مع الاعداء وكيف رايا طوربان موثوقة في البرية تقاسي الذل والهوان . فدعا حمزة بطوربان ونظر اليها فوجدها على جانب عظيم من الحسن والجمال وهي اشبه الناس بزوجتهِ مهردكار وكان قد راها وسط القتال وشاهد منها اشتداد ساعدها وقوة باعها وخبرتها بفن الحرب والقتال فعلم انها تليق بولدهِ واحبها كثيراً واستعاد منها حديثها . فاخبرتهُ بما كان من امرها مع زوبين منذ اتيانها الى معسكر كسرى انوشروان الى ان خلصها ابنهُ . فقال لها اني اعرف ان هذا زوبين من اكثر الناس غدراً وخداعاً وما ذلك الا لانهُ يعبد النار ولو كان على دين الحق ويعبد الله العزيز الجبار لما يقدم على مثل هذه الخيانة واني اسالك الان الزواج بولدي فهل ترضين ذلك عن طيبة خاطر ورضا لان شريعتنا تحرم الزواج الاَّ برضا الزوجين . قالت اني بطلب مثل هذا الشان تركت معسكري وابي واهلي ليكون نصيبي سعيداً كنصيب بنت عمي مهردكار . قال لكن بقي عليك ان تتركي عبادة النار وتتمسكي بحبال الله وتسلكي على حسب شريعتهِ . قالت اني فعلت ذلك وعاهدت ابنك عليهِ . ثم دعا بولدهِ واعرض عليهِ زواج طوربان . قال هو الغاية والمراد فاني ما سرت الى قبائل الاعجام الاَّ لاراها واعرف هل هي كما قيل لي عنها او انها بخلاف ذلك فوجدتها فوق ما وصفت وقد سهلت لي العناية طريق الوصول اليها وهي بحالة مكدرة تحتاج الى مساعدتي فانتشلتها من العار . ففرح

الامير حمزة وعزم بان يزف طوربان من ابنه في مدينة حلب وامر ان نوخذ الى قصر يليق بشانها تبقى به الى حين سنوح الفرصة وذلك بالقرب من مهردكار . فاخذت وجاءت اليها مهردكار وسلمت عليها وقالت لها حسنًا فعلت يابنت العرفان العرب قوم اصحاب وفاء وزمام لا يهينون الزوجة ولا يظلمونها ولهم الشريعة المطهرة والناموس الحقيقي يبذلون كل النفيس والنفائس في المحاماة عن العرض ورفع الاذى بخلاف قومنا الاعجام فان لا اعتبار لمثل ذلك في صدورهم فيكرمون الزوجة احيانًا واحيانًا يتخلون عنها لغيرهم كانها غريبة منهم وفي نياتهم ان غيرها تقوم مقامها . قالت اني عرفت ذلك واعرفهُ ولا سيما ان الفرق بين من احببتهُ واحبهُ وبين زوبين الغدار لا بل عموم رجال الفرس عظيم جدًّا واني اهنئ نفسي بذلك واهنئك على ما سبق منك في مراعاة صالح نفسك والنظر في راحة حياتك

ولما هدأ روع طوربان واختلت بنفسها نظرت الى فعلها والى تركها ابيها وقومها نظر المضطرب وقالت ماذا يا ترى يقول عني ابي وهو يجهل السبب في ذلك نعم انهُ ينسب لي الخداع والمكر والخيانة ويغضب عليَّ وصرفت وقتًا تفكر في ذلك وفي كل خاطرها ان اباها لا يعرف بفعل زوبين فارادت ان ترسل لهُ كتابًا تطلعهُ به على باطن القضية وظاهرها وتشرح لهُ عما فعلهُ معها زوبين الغدار من الاول الى ذاك اليوم وما نوى على عمله فكتبت كتابًا في ذلك وقالت في اخره ولا تعتب عليَّ يا ابي فيما فعلت فاني اصبحت اسيرة لغلام من اشد فرسان العالم بسالة بحيث خلص حياتي من العار والذل فملت اليهِ حبًّا باعماله وكرهًا بزوبين الغدار الخبيث ورايت ان الراحة وحفظ الشرف بالبعد عنهُ . وبعد ان فرغت من الكتاب دعت بعمر اليوناني واخبرتهُ بذلك وقالت لهُ اريد منك خادمًا يسير الى ابي يدفع اليهِ هذا الكتاب ويعود من حيث ذهب فدفع الكتاب الى عبد اخذهُ وسار حتى وصل الى افلطوش في صيوانهِ وعندهُ زوبين الغدار وهو في حالة جنونية وضياع عقل وقد هان عليهِ فقد الحياة وتمني الموت على ما يلاقي من عناد التدابير وثبت في ذهنهِ ان طوربان ستعارقهُ الى الابد ويكون من امرها كابنة عمها مهردكار . فدفع الخادم الكتاب الى افلنطوش فاخذهُ وقراهُ فزادت بقلبهِ نيران الغيظ وقال لزوبين هل وصل بك الغدر الى مثل هذا الحد حتى نويت ان توقع بنتي وتلبسني العار مع انك كنت قادرًا ان تطلعني على امرك فاجبرها ان تتزوج بك بطريقة شريفة . قال ان ما تزعمهُ هو على غير الصحيح لاني رجل احافظ على الشرف العجم جدًّا وان الذي فعل هذا الفعل العبيد . ولا بد من ان اباكر في الغد الى القتال وابذل المجهود لاسترجاع طوربان وحينئذٍ نفحص عن سرّ هذه المسالة فيظهر لك الحق من الباطل . وكان افلطوش يعلم بغدر وخيانة زوبين فثبت عندهُ ان هذا الفعل فعلهُ وان لا احد يجسر ان يصل الى الايقاع بابنتهِ

وعمل مثل سكذا امر الا هو الا انه سكت على غيظه وقد راى نفسه محتاجًا اليه والى رجاله وخاف من الانفلاق والتشتيت وترك هذا الامر الى وقت اخر

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض العجم من مراقدهم وامر زوبين بضرب طبول الحرب والكفاح وهو يريد ان يلقي بنفسه في ميدان الاخطار فاما انه يفوز بالمقصود واما انه يرتاح من الانكيس الحاصل له . وكذلك العرب فانها عند ما رات غاية العجم بالقتال امر الامير حمزة بضرب طبول القتال وركب على جواده اليقظان وركب عمر الاندلسي والملك النجاشي واندهوق بن سعدون وعمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وكل فارس وبطل وحالما وقعت العين على العين . حمل كل من الطائفتين . وقوم السنان . واطلق العنان . فاختلط العربي بالعجمي . والحبشي بالديلمي . وقامت الحرب على ساق وقدم . وحكم سلطان العدم . وجار فيها حكم واستبد وظلم . وقسى وما رحم وسلم بهلاك وفناء تلك الامم . التي اتلفت راحة السلام . ولم يكن لعنادها وقتالها نهاية ولا ختام . فاندفقت الادمية في اثنية الارض كالانهار . واختلطت اجساد المقتولين بالتراب والاحجار . حتى ضاقت منها الصدور ووقعت تحت قضاء الله المقدور . وسلمت انفسها تسليم المؤمن الى القضايا وقربت نفوذها على مذابح الفوز ضحايا ولا زال القتال يعمل والدم يبذل الى ان اقبل الزوال وحان اوان الفراغ من القتال . فضربت طبول الانفصال . ورجع كل من المتقاتلين في الحال . وقد قتل في ذلك اليوم من الاعجام الكثير ورجعوا مقهورين مذلولين الى ان كان صباح اليوم الثاني اصطف الصفان وترتب الفريقان وهجما على بعضهم البعض حتى ارتجت جنبات تلك الارض ودار دولاب الحرب . وتبادل الطعن والضرب . طول ذاك النهار حتى كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان ودام القتال سبعة ايام حتى وقع بعساكر الاعجام الفناء وامتلأت السهول من القتلاء وراى افلطوش ما هم عليه من التاخير والتعب فايقن بالهلاك والدمار . فجمع اليه زوبين الغدار وقال له ان اصل هذا الشر انت وقد ابعدت عني بنتي ولم تدع لي مالاً لان العساكر اصبحت على وشك الانقراض والتاخر ولم نر وسيلة للخلاص من الاعداء فوقع هذا الكلام على زوبين اشد من ضرب الحسام . وقال له اني وعدت بخلاص طوربان ولا بد منه وانما اعرف ان النصر يكون لنا اذا قتل حمزة وقد جرت القتال معه مرتين فتوقفت الى تمامه وقد بدت في المرة الثالثة من النجاح غير انه من الواجب ان نبعث الان بكتاب الى العرب نسالهم الهدنة الى عشر ايام لندفن قتلانا ويكون العسكر قد ارتاح واطمأن نوعا ما ورجع اليه بعض قوته

قال فراى افلطوش ان ذلك صوابًا فبعث بكتاب الى الامير حمزة يسالة ترك القتال

مدة عشرة ايام بينما يكونوا قد دفنوا المقتولين فاجاب الامير سؤالهُ وكانت في نيتهِ ان يزف ابنه على طوربان في هذه المدة حيث كان قد تولع بها كل التولع واحبها الحب الشديد وصار لا يفارقها الا حين القتال وهي لا تصبر على بعدهِ . واذ ذاك دعا اليهِ السادات والاعيان وقال لهم اني احببت ان اعطيهِ الى طلبهِ الا ان نصرف هذه الايام بالافراح والمسرات فنزف ولدي على طوربان لاني احب ان لا يقاسي ما قاسيت ولا يلاقي ما لاقيت من حب مهردكار ولذلك سنبتدي بالعرس من الغد . فسرَّ الجميع لذلك ولاسيما عمر اليوناني فانهُ ايقن بقرب نوال المراد ممن احبها قلبهُ على صغر سنهِ وولع بها كل الولوع واحبها احب الزائد وذهب اليها وهي جالسة بانتظارهِ وقال لها لقد آن اوان الاجتماع وحل وقت الزفاف وقد امر ابي ان يكون في هذه الايام ولذلك تريني مسرورًا جدًّا ولا ريب انك تشاركني في هذا الفرح . فقالت لهُ ان قلبك يدلك على عظم سروري . وان كان من الواجب عليَّ ان لا افرح لبعد اهلي واني واني سارف بك كاسيرة بيدك او كابنة احد اعدائكم غير ان [illegible] تدفعني الى التمسك بحبال الامل الطويل الوطيد ان اكون الان وعلى الدوام [illegible] واعامل منك معاملة المحبوب الامين فانت سيدي وفخري وابي وامي لا امل [illegible] المحبوب والرجاء والامل الوحيد . ثم سكتت وانشدت قائلة

• دنوًّا لقد اوهى تجلديَ البعدُ وصلاً فقد ادمى جوانحيَ الصدُّ
اجنُّ غرامًا فيك خشية كاشحٍ من مدمعي ودق وفي كبدي وقدُ
وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى [illegible] الى ان يجزع الاسد الوردُ
[illegible] [illegible] يلتقي الحب المبرح والرشدُ
تلاعبت بالاشواق حتى [illegible] [illegible] ادري ان هزل الهوى جدُّ
فليت فؤادي يبادل [illegible] [illegible] قد رق لي الحجر الصلدُ
اذا جئتهُ يومًا [illegible] [illegible] على مثلها اغدو
تهددني [illegible] اذا [illegible] [illegible] مهما يصنع الله لا العبد
حداد يلوح الموت [illegible] [illegible] لها في كل جارحةٍ غمدُ
كأن عليها القتل ضربة لازب [illegible] لها مما تحاولهُ بدُّ
تعلم منها الدهر صولة فاتك [illegible] تزداد فتكًا وتشتدُّ
كأنهما في حلبة الضيم فارسا [illegible] وكل منهما سابق يعدو
[illegible] من [illegible] والنحيب [illegible] من اضحى لهُ الحلُّ والعقدُ
تصدى لنصر الدين بعد [illegible] [illegible] على اعتابهِ الزمن الوغدُ

اعني ايا ابن الكرام فانني غرنبة قوم انت لي العون والقصد

فضمها اليهِ وقبلها ومسح دمع عينيها وطيب بخاطرها وهو يعرف انها مولعة بهِ كل الولع شديدة الحب وصرف اكثر ليلهِ عندها على شرب العقار ومناشدة الاشعار . وفي اليوم الثاني اخذها اليها مهردكار ووضعتها في قصرها واصلحت شانها . واخذ العرب في عمل زفاف ابن الامير حمزة وكلهم فرحون بذلك يرقصون ويطربون ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويشربون الخمور مدة سبعة ايام وفي اليوم الاخير عقد للامير عمر على طوربان بحضور سادات العرب وقضاة حلب ودخل بها وامتلأ من حسنها وجمالها وصرف نحو ثلاثة ايام عندها لا يخرج من القصر وهما على اهنى ما يكون من لذة العيش وقتلا الهجران بطيب الوصل والتقرب . وبلغ في اليوم الاخير افلنطوش ان ابنته زفت على عمر اليوناني ابن الامير حمزة فتكدر جدًّا وكاد يفقد صوابهُ وكذلك زوبين الغدار فانهُ اصبح كالمجانين وانقطع املهُ وانفطر فوآده وهان عليهِ الموت بعد ذهاب طوربان من يده وهو صابر على لوم افلنطوش وتوبيخهِ له . وما صدق ان حان يوم القتال حتى نهض هو قبل الجميع وركب على جواده وامر بضرب طبول الحرب والقتال فضربت ونهضت الاعجام الى خيولها فركبتها وفعل مثل ذلك العرب واصطفت الصفان وترتب الفريقان وعولت العساكر على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد سقط الى وسط المجال وهو فوق جواده مدجج بالسلاح فصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان . ثم انهُ وقف في الوسط ونادى . هيا يا سادات العرب فابعثوا الي باميركم حمزة وغيره لا اريد فاما اني اقتلهُ واريح كسرى من شرهِ واما اني اقتل واكون قد لاقيت جزائي منهُ . ونظر الامير حمزة الى زوبين الغدار وهو في وسط الميدان وتعجب من امره وهو لا يصدق انهُ هو ذاتهُ ولذلك اسرع اليهِ خوفًا من ان يندم على البراز ويرجع من ساحة القتال . ولما صار امامهُ قال لهُ ويلك يا زوبين الى متى وانت مختفٍ عني واما اتمنى ان اراك وما الذي حماك على البراز اهل رايت طريقًا اخر للغدر بي والخيانة اجاب اني عرفت ما فعلت معك ولذلك جئت كما تراني واطلب اليك اذا قدرت عليَّ ان تقتلني لاني ارى الى ذنوبي وقد وضحت امام اعيني لاهانتي فاستعد الان فليس في وسعي الكلام فانهُ يزيد احزاني واكداري ويضعف قلبي ويذكرني بخيانتي . فانحط عليهِ الامير انحطاط السواشق وانقض عليهِ انقضاض الصواعق واخذ معهُ في القتال والحرب والنزال . وهو يراقب كل حركاتهِ ويخاف من غدره وخيانتهِ وزاد عليهِ الدرهم قنطار وضيق في وجههِ واسعات تلك القفار حتى ايقن بالهلاك والبوار وشاهد الموت يحيط بهِ احاطة السوار وعرف ان حمزة في هذه المرة لا يترك لهُ طريقًا للخلاص ولا ينخدع اذا اراد خداعهُ ولا يقدر ان يحفظ نفسهُ من الهلاك الاَّ اذا سلم نفسهُ اسيرًا ولذلك صاح الامان الامان يا فارس الزمان وجوهرة

الفضائل والاحسان . فها ان سيفي بين يديك وروحي مسلمة اليك . ثم رمى بسيفهِ الى الارض ووقف ذليلاً فاغمد الامير حمزة سيفهُ في الحال وانقض عليهِ وقبضهُ من جلباب درعهِ ورماهُ الى الارض واذا بعمر العيار قد انقض عليهِ واوثقهُ ورجع بهِ الى الخيام وفي تلك الساعة حمل عمر اليوناني وحمل من خلفهِ فرسان العرب وداروا بالاعداء من كل الجهات وانزلوا عليهم انابيب الويلات وقيدوهم بحبال الشدات ولا زال القتال دائم وعزرائيل الهلاك قائم حتى اقبل الظلام . وقد تقهقر العجم الى الخيام وايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كاس الحمام . فرجع عنهم العرب الى المنازل وهم متيقنون ان حالتهم حالة ذل وويل وانهم ما عادوا ينفعون لقتال ولا يقدرون على المقاومة

وبعد ما رجع الامير حمزة الى الخيام نزل في صيوانهِ اي صيوان اليون شاه وكان العرب من كبيرهم الى صغيرهم فرحون باسر زوبين الغدار وتيقنوا ان الامير لا بد ان يقتلهُ ايشم قتلة ولذلك كانوا قد ازدحموا الى الصيوان ينتظرون امر الامير بالاتيان بهِ وكان زوبين نفسهُ يعتقد انهُ هالك في تلك الليلة وانهُ لا بد من وقوع نظر الامير عليهِ يقتلهُ في الحال . ولما انتهى اجتماع الامراء والملوك في الصيوان . قال الامير لاخيهِ عمر العيار اذهب واتني بزوبين الغدار فسار واحضره وهو مقيد الايدي والارجل والناس تزدحم حواليهِ من كل الجهات حتى أُدخل بهِ الصيوان . فوقف بين يدي الامير حزيناً واطرق الى الارض واظهر على نفسهِ الذل والكآبة فقال لهُ الامير حمزة . ماذا رايت من نفسك يا زوبين وهل ثبت لديك ان عاقبة الغدر وخيمة ذميمة . قال اني عرفت ذلك من قبل ان بارزتك ولذلك سلمت بنفسي لاخلص من حياتي الذميمة وقلت في نفسي اذا قتلني الامير نلت ما انا مستحقهُ وجازاني على شري واذا عفى عني اكون قد تخلصت من خدمة العجم ومن قباحة دين النار الذي لا يمنع من الغدر ولا يعلم عمل الخير فاعيش عندهُ وفي خدمتهِ . وذلك لاني كنت احسد فرسانك وابطالك الذين بين يديك يخدمونك ويتقربون منك وهم معظمون مفضلون . قال كيف يمكن ان اصدق صفاء نيتك وصدق قولك بعد ان رايت ما رايت من غدرك بي وما اوصلت اليَّ من الشرّ وانت توسم الغدار . قال اني لا الام على غدري بك لاني اعرف واعترف انك اشد مني باساً واقوى مراساً ولا اقدر ان اكيدك في ساحة القتال ولا يمكني ان اتخلى عن حربك حيث كان اوصلني الطمع الى ان اعد نفسي بزواج مهردكار وبعدها بطوربان ولو كنت انت مكاني في مثل ذاك الوقت لفضلت الموت على عناد الزمان . ولا سيما اني كنت اوائتذٍ على عبادة النار والآن وطدت كل العزم على عبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار وهذا الذي يجعلني ان اخبرك بالصدق وافضل الصحيح على غيره وكفاك شاهداً برازي اياك وطرح نفسي بين يديك مع انهُ

كان في وسعي ان ابقى مختفياً بين قومي واذا انهزموا انهزمت معهم وعدت الى المدائن انتظر الفرص . فقال له حمزة ان كنت تومن بالله سبحانه وتعالى وتعتبر وصاياه وترضى بان تكون معنا عفوت عنك وجعلت لك مقاماً بين رجالي وابطالي . قال ان ربك يشهد عليَّ ان لا اتكلم الاَّ الصحيح واني لا اخفي في باطني شرًّا ولا اتكذب قط وها انت قادر عليَّ فاما ان تميتني فبحقك واما ان تبقي عليَّ فمن كرمك وعدلك . قال حمزة اني عفوت عنك وتركت لك جريمتك واعدت اليك سيفك فتكون بين رجالي من الآن . وانزع عنك اسم الغدار وادعوك بعبد الله زوبين . فلا يكون اسمك منذ هذه الساعة الاَّ هذا ولا ريب انك تسرُّ من ذلك

قال ولما سمع الفرسان كلام الامير وعفوه عن زوبين . دار بينهم الحديث وتنفقهوا من عمله وما هان عليهم بقاء زوبين حيًّا فصاح عمر العيار لما هذا العفو يا مولاي نحن بحاجة لمثل هذا الخائن الغدار وهل تظن ان ما يقوله حق واني اقسم بالله العظيم انه يقصد الشرَّ والخداع كسابق عادته فما من نفع في حياته بل ان نقتله وتريحنا من شره وكذلك قال باقي الابطال والرجال الذين في الصيوان . فقال تعلمون ان قتل الاسير حرام ولا سيما انه يقول ويوكد بانه قبل الايمان وصار منا . وكيف كان الحال فقتله يحسب اثماً علينا وخطيئة . واذا كان يخفي خلاف ما اظهر فالله يعلمه ويعلمه الله . ثم نهض في الحال واطلق قيد زوبين وارجع اليه سيفه واعد له مكاناً بين رجاله وان كان منهم من يريد ان يقرب منه او يحاكيه بلغو ولا بباطل . وقد تعجب الجميع من حلم الامير وحلمه وحسن طويته وعدله وحبه الله واعتقاده واعتباره لارادته . واما زوبين فكاد يطير من الفرح وايقن بنوال المراد وبلوغ الغاية واعد له الامير حمزة مكاناً يقيم به فنام تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني جاء الى صيوان البهلوان شاه فوجد الامير حمزة والفرسان قد جاءوا واقام كل واحد في مكانه فسلم عليهم وجلس . ثم قال للامير اعلم يا سيدي انه لا خفاك ان افلنطوش قد رحل عن هذه الديار في الليل وسار الى جهة المدائن وقد خطر لي ان اتبعه فاما ان اقنعه واجبرهُ ان ينقاد الى عبادة الله سبحانه وتعالى وينضم الينا ويعادي ابن عمه كسرى انوشروان واما ارجع بقومي ورجالي لانهم ساروا معهُ ويكونون عوناً لنا . وليس من العدل ان اتركهم بيد الاعجام وبينهم وقد جئت استشيرك بذلك فاذا سمحت لي فعلت . قال اما الاتيان برجالك فلا باس منهُ فهو لازم واما اقناع افلنطوش فهذا لا اظنهُ ولا يمكن لانهُ من عائلة الاكاسرة وعبادة النار مزروعة في قلبهِ قال اني اعرف ذلك ولكن اعرف ايضاً انهُ يترك دينهُ وبلادهُ ورجالهُ وكل ما هو عزيز لديهِ اذا قدر ان يكون قريباً من بنتهِ يراها في كل يوم لانهُ يحبها محبة تفوق محبة الالهة . قال لهُ اني اسمح لك فافعل ما انت فاعل . فركب عبد الله زوبين في الحال وسار في طريق المدائن

ركضاً ليدرك عساكر الاعجام

وكان افلنطوش في تلك الليلة قد حدثته نفسه بالهرب وراى انه اذا بقي يوماً اخر هلك واهلك كل رجاله وثبت في ذهنه ان الامير حمزة لا يبقي على زوبين ولا يتركه دقيقة في قيد الحياة وعليه فانه امر رجاله ان تستعد لترحل بعد نصف الليل وتسير على طريق المدائن وهو مكدر كل الكدر على فراق ستيه وعلى مصابه وتاخره . وبعد نصف الليل باكثر من ساعة ركب وركب من تبقى معه من فرسان العجم وساروا في طريقهم وعند الصباح افتقدهم العرب فما راوهم ولا زالوا سائرين الى قرب الظهر وحينئذٍ ادركهم عبدالله زوبين وتبينوه عن بعد ففرحوا وللحال امر افلنطوش بان تقف العساكر فوقفت فرحة الى ان دنا منهم واجتمع بافلنطوش فسلم عليه وهناه بالسلامة وقال له كيف خلصت من بين يدي حمزة . قال اني قبلت كلمة الايمان وعبدت الله سبحانه وتعالى فوجدت في ذلك لذة عظيمة وقد صرت منذ الان على دين حمزة ومن رجاله اقاتل بين يديه وجئت لاطلب اليك ان تجاريني في هذا العمل وتتفق معي على عبادة الله وترك عبادة النار والتخلي عن كسرى انوشروان فتجد في ذلك لذة كبرى وتنال الخير العظيم فضحك افلنطوش منه وقال له بارك الله لك بهذا الدين الجديد ودامت عليك نعمة واما انا فلا تطمع نفسك بي فاني ساسير الى كسرى وعندي انك تسير معي وهناك ندبر في امر هلاك العرب . قال هذا لا يمكن فارضَ بما اعرضه عليك وسترى ما يسرك من امر العرب وسيدهم . وكان زوبين يتكلم بجد حتى توهم الجميع انه عبد الله وترك عبادة النار وصار من رجال حمزة الا انه لما اختلى بافلنطوش قال له انظن اني اترك ما انا عليه واعادي كسرى واجاري العرب على دينهم واضم اليهم . غير اني وجدت من الحيلة ان اكون واياهم على اتفاق وابقى عندهم الى ان ينسوا ما فعلت معهم ويامنوا اليّ واذ ذاك اغدر بهم وادبر على هلاكهم وفنائهم فاذا شئت ان نتمم هذه الحيلة ارضَ بما اعرضه عليك وسر معي طائعاً الى امير العرب واعرض عليه طاعتك وانك قبلت الايمان واطلب اليه ان يدفع اليك رجالاً يعلمونك ويعلمون العساكر الايمان والشريعة ومن العجيب ان حمزة الذي يحسب في هذه الايام من اعظم العالم بسالة واقداماً واشدهم مجداً وفخراً بسيط القلب يصدق كل ما يسمع ولا يظن الشر باحدٍ وهذا يساعدنا على نوال المراد وارى من الضرورة ان تكون انت معي بينهم فيسهل علينا كلما نريد ونوقع بهم ونقتل الامراء والاكابر ولو احتملنا منهم في الاول الاهانة وعدم الركون لكننا سنلاقي فيما بعد النصر وناخذ ثارنا منهم . فاطرق افلنطوش عند سماعه هذا الكلام الى الارض وراى ان كل ما اشار اليه زوبين عين الصواب وما من ضرر بذلك . ثم قال له اني ارضى واجيب الى طلبك فان به الخير والنجاح لكن من الواجب ان نطلع كسرى على كل ما جرى ونخبره

بامرنا وانّنا ما دخلنا مع العرب الا لاتمام الحيلة ونوال المراد حتى اذا بلغة ذلك يعرف سر المسألة فلا يتكدر قال هذا لا بد منهُ فارسل له كتاباً الان ونحن سنجعل الرسل متواصلة بيننا وبينهُ . وفي الغد عد بنا الى حلب

ثم ان افلنطوش كتب كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بما كان من امرهم مع العرب وكيف انهم تأخروا اخيرًا رأوا من الصواب ان يخدعوا العرب ليوقعوا بهم ويذلوهم وهم بامان منهم ويسال منهُ ان يكتم هذا الامر عن الوزراء وكل احد كي لا يعرف العرب بذلك او تصل اليهم الاخبار من احد . وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان وعند الصباح عادوا الى ان جاءوا مدينة حلب وكشفوا معسكر العرب فامر زوبين رجالهُ ان تضرب الخيام بالقرب من خيام الاعداء وان يصيروا هم من العرب ويتصل الطنب بالطنب واعلن بينهم انهم منذ ذلك الحين اصبحوا مساعدين لحمزة ورجالهِ ففعل معسكر العجم كل ما اشار اليهِ زوبين واما هو فانهُ سار بنفسهِ واخذ معهُ افلنطوش حتى جاء صيوان الامير حمزة فوجدهُ على كرسيهِ جالسًا كانهُ الاسد في مربضهِ ومن حولهِ الفرسان والابطال كلٌ الى جهة بحسب رتبتهِ ومقامهِ ولما دخل دنا من حمزة وقال لهُ هذا هو افلنطوش وقد صرفت الجهد الى اقناعهِ وبينت لهُ حسن طويتك وحلمك وعدلك وان لنا الراحة العظيمة والمجد الاكبر بقربنا منك ووعدتهُ لا بد ان تستولي على تخت كسرى فتعهد بهِ اليهِ فاجاب وابان لهُ انهُ متكدر من ابن عمهِ لانهُ لا يعا لهم بحق ولا يقدرهم حق قدرهم . ثم تقدم افلنطوش من حمزة وسلم عليهِ واشار الى باقي الفرسان بالسلام فاجلسهُ عمر العيار في مكان يليق بشانهِ وقلبهُ يتحرق من عمل اخيهِ . وبعد ان جلس قال لهُ حمزة اعلم ايها الامير والسيد العظيم اننا قوم نعبد الله تعالى العزيز الجبار خالق الليل والنهار يعرف ما في الخبايا ويطلع على السرائر والخفايا . فاذا شئت ان تكون معنا وبيننا وتحسب نفسك كواحد منا يجب ان تعبدهُ وتترك عبادة النار والاصنام وكذلك كل معسكرك والذين معك من الكبير الى الصغير ولا بد ان تلاقون راحة ولذة في هذه العبادة . قال لقد اخبرني زوبين بكل ما لاقى منك من الاكرام والحلم وانك بعد ان كنت قادرًا على قتلهِ عفوت عنهُ واكرمتهُ وتركت لهُ جرائمهُ العظيمة ونسيت غدرهُ بك وخيانتهُ السابقة فتعجبت وعرفت انك من كرام الناس ولا ريب ان من كانت هذه الصفات صفاتهُ وهذه المزايا مزاياهُ يفدى بالارواح ولا يعادى وكنت قبلاً متكدرًا من زواج بنتي بابنك والان رضيت وفرحت بهِ لانها وحيدة لي ومن العدل ان تكون زوجة لرجل مثل ابنك فتلاقي الراحة والسعادة . وها انا الان على دينكم وبين يديكم تعلمونا كل ما هو واجب ان نعملهُ وما انا بافضل من بنتي طوربان ولا تطيق نفسي البعد عنها لانها عندي افضل من ممالك العالم واعز من كل ما فيها وهذا احكيهِ لكم عن صدق قلب ونية

لا اقصد الاّ الحقيقة واني منذ هذه الساعة صرت عدوًّا كبيرًا لكسرى انوشروان حيث لم ينظر في مصلحة نفسهِ حق النظر ولو كنت مكانهُ لسلمت بكل ملكي و بلادي اليكم وجعلتكم عونًا لنا وغوثًا لدولتنا . فقال حمزة اني اشكرك على قولك ولا بد من ان ادفع اليكم الاساتذة لتعلمك وتعلم قومك شريعتهُ تعالى لكنني اقول لك امرًا واحدًا فقط . وهو ان الهنا يسالنا ان نسالم العالم ونعرض عليهم الايمان كما فعلت انا فمن قبل حرم علينا قتالهُ وهو لا يغش ولا يغدر بهِ فاذا كان ايمانكم عن رضى وانكم بالحقيقة تقبلون كلمتهُ وشريعتهُ جازاكم بالخير وساعدكم وما ترك الكفرة تتمكن منكم ,الاّ اذا كان ايمانكم عن كذب وانكم تقصدون الشر جازاكم بمثلهِ وانزل عليكم بغضبهِ وما ترك لكم باب الشر مفتوحًا بل سدهُ في وجهكم ورد كيدكم الى نحركم . ومن هذا تعلمون اني اقبلكم كاخوة بالله واترك ما تضمرون لله تعالى . ثم انهُ نهض الى افلنطوش وقبلهُ وترحب بهِ وامر فرسانهُ وابطالهُ وملوكهُ ان تقرب منهُ وتسلم عليهِ ونقبلهُ وتعاهدهُ كواحد منهم فنهض اليهِ الجميع وقبلهُ كل واحد بدوره وهم يتذرون ويتفقهون من عمل الامير ويتعجبون من صفاء باطنهِ وحسن اعتقادهِ باللمع تيقنهم ان زوبين وافلنطوش وقومهما من الكفرة لا يؤمنون بالله سبحانهُ تعالى ولو سلخوا وشووا على النار وان ايمانهم كذب ولابد من الغدر والخيانة ونووا ان يبقوا متحذرين منهم غاية التحذر على الدوام وان عمر العيار كذلك يبقى محافظًا على اخيهِ وابن اخيهِ وزوجتيهما

قال وصار عبدالله زوبين وافلنطوش منذ ذلك اليوم مع اعيان معسكرهما ياتون الى صيوان اليون شاه ويقيمون بين العرب كانهم منهم ولا يظهر من امرهم شيء مكدر يجعل العرب بارتياب منهم نحو خمسة اشهر وفي كل هذه المدة كان يجتمع افلنطوش ببنتهِ ويظهر لها محبتهُ كالعادة وفي قلبهِ لهيب النار كيف انها مكنت منها عدوهم ورضيت عن قصد وطوع ان تكون زوجة لهُ دون ان يكون اباها راضيًا بذلك والرسل على الدوام متواصلة بين كسرى وبينهُ وهو ينتظر نتيجة لهذه الخدعة . الى ان كان ذات يوم وهم جالسون بالصيوان واذا بالعبيد قد دخلوا على الامير حمزة وبشروهُ بان زوجتهُ مهردكار قد ولدت ولدًا ذكرًا وهي سالمة ففرح وسرَّ مزيد السرور واعتق العبيد واجزلهم العطاء وانعم عليهم ووهب الاموال وفرّق الذهب و بعد ذلك جيء اليهِ بهِ وهو في لفافتهِ محمولاً على ايدي العبيد والخدم فاخذهُ وقبلهُ ونظر في وجههِ فراهُ كانهُ البدر في تمامهِ عليهِ دلائل السعد والاقبال فامتلأ قلبهُ من حبهِ ولا سيما لانهُ ابن مهردكار التي احبها الحب العظيم وفضلها على كل نسائهِ . ومن ثم اخذهُ الامراء والفرسان كل واحد بدوره ينظر اليهِ ويقبلهُ ويهني الامير حمزة بهِ ولما اخذهُ افلنطوش ونظر بهِ انفطرت مرارتهُ وهاجت بقلبهِ نيران العداوة وتذكر في داخلهِ كيف يكون هذا ابن بدوي من بنت سيد العجم وملكهم وقد

اخذها بالقهر والجبر رغمًا على ابيها وكل قومها الا انهُ اخفى ذلك وهنأ الامير بهِ كغيرهِ وكذلك
زوبين فانهُ راى به دلائل والدتهِ التي كان احبها وتمنى ان يتزوج بها . وبعد ان طيف بالولد
على الجميع اعيد الى ابيهِ وسأل ماذا يريد ان يسميهِ . فقال اني تركت الحق بتسميتهِ لامهِ ولذلك
من الواجب ان ابعث استشيرها على هذا ثم ارسل احد العبيد يسالها في ماذا تريد ان تدعوهُ
ليكون اسمهُ معروفًا بين قومهِ منذ ذلك اليوم . فقالت للعبد اخبر مولاك اني اريد ان اسميهُ
قباط حيث قد ولدتهُ في غربتي . وحينئذٍ دعا الامير حمزة اسمهُ قباط واعادهُ الى امهِ وامران
تقيم عندها المراضع والجواري لخدمة الطفل وتربيتهِ وهذا المولود يكبر ويسود بين العرب ويكون
لهُ اعظم شانٍ وارفع مقام ويصير ملكًا عليهم كما سياتي ان شاء الله

وكان عموم العرب قد لاحظوا حال افلنطوش وما وقع منهُ عند رؤيتهِ الغلام وكيف
اضطرب وقلق فاجتمعوا ببعضهم وقال اندهوق اني لا ازال الاحظ على زوبين وافلنطوش
حالها وما هما عليهِ ولا ريب انهما لا يزالان على الشر والكفر لا يرضيان من نجاح العرب ولا
راحتهم وظهر لي ذلك عيانًا في هذا اليوم وعندي ان نخبر الامير بذلك ونسالهُ ان يطردهما عنا
او يبعدهما الى مكان اخر مع قومهما فقال النجاشي ان الامير سليم القلب فلا يرضى ان يكون
ظالمًا ويغدر بهما وان كانا مملوءين من الغدر والخيانة ولذلك فليبقَ كل واحد محافظًا على نفسهِ
وقومهِ منتبهًا في الليل والنهار خشية من الغدر حتى اذا ظهر منهما ذلك بطشنا بهما واهلكناهما مع
قومهما ولا ريب ان الامير اذ ذاك يعذرنا ويعرف خيانتهما . قال عمر الاندلسي ان خوفنا على
الامير منهما فانهُ سليم القلب يسلم لهما ويصدق كل ما يسمع فاذا احتالا عليهِ وافقهما وحينئذٍ
يغتنمان الفرصة وينفذان ما ربهما بهِ . فاجاب النجاشي ان الامير محروس منهُ تعالى محفوظ بعنايتهِ
فلا تنفذ فيهِ غاية الاشرار ومع كل ذلك فان عندهُ عمر العيار نقمة الانس والجان من لا تغفل
لهُ عين ولا ينام عن عدوهِ ولا ريب انهُ ساهر على حفظ اخيهِ لا بل على حفظ العرب باجمعهم
وهو يعرف ان افلنطوش وزوبين وسائر الاعجام لم يأمنوا بالله عن يقين وان قلوبهم مملوءة من
الشرّ والخداع والفساد ولا بد من ان تكون نقمة العجم عن يدهِ . وهكذا اصبح كلٌّ من
العرب في حذر من زوبين وافلنطوش ولكن قضاء الله اذا كان واقعًا لا بد من اتمامهِ مهما
تحذر المتحذرون

فهذا ما كان من العرب واما ما كان من افلنطوش وعبدالله زوبين فانهما بعد ان تركا
صيوان الامير حمزة سارا الى معسكرهما وقد قال افلنطوش لعبدالله زوبين اني تكدرت في هذا
اليوم كثيرًا فوق ما انا متكدر لانهُ ما كنا انا اننا في كل يوم نرى اعداءنا ونقيم بينهم ونسمع لهم
ونذل بين يدي اميرهم كسيد لنا ونراهم يتمتعون ببناتنا رغمًا علينا حتى اخيرًا ياتوننا باولادهم منهم

ويعرضوهم علينا لنقبلهم ونفرح فيهم مثلهم وما هذا الا عار عظيم علينا ونفسي لا تكاد تحمله وقد ندمت على الاتيان معك اليهم والصبر على الانضمام اليهم . قال قد مضى الكثير ولم يبق الا القليل وسوف ترى ما يكون من امرنا معهم ولا بد من مسك مهردكار وطوربان وارسالهما الى المرازبة وخدمة النار لتكونا ضحيتين للنار عن ذنوبنا . نحن الذين التزمنا بسببهما ان نكفر بديننا وننضم الى عبدة البطل والكفر . قال افلنطوش هذا لا بد منه فاني ساقبض على كل النساء اللاتي هنا كدرة الصدف وغيرها ولنجعل همنا واهتمامنا ان ناخذ النساء فقط ونسافر عن هذه الديار لان العرب منتبهون الينا كل الانتباه ويطول امرنا معهم اذا اردنا ان نغدر بهم ولولا الامير حمزة لما قبلونا قط ان نكون بينهم ولذلك سابعث اخبر كسرى ان بنته ولدت ولداً ذكراً ودعت اسمه قباط وهذا كان اسم احد اخويها وقد توفي ولم يكفها ان صارت كواحدة من العرب حتى انتحلت اسم اخيها وهو من الاسماء المكرمة عند العجم ودعت ولدها به ولا بد انه يتكدر من ذلك ويخبرنا كيف نعمل ونطالعه على انتباه العرب وتيقظهم منا واننا اذا اردنا ان نغدر بهم لا نقدر الا بعد زمن طويل جداً لا يعرف مقداره اي الى حينما تطمئن افكارهم ويثبت لديهم صفاء بواطننا ويتوهمون ان لا خوف ثمة منا . قال اكتب بذلك الى كسرى واني اوكد لك انه يفضل ان نبقى اكثر من عشر سنين وعشرين سنة بين العرب وهو بامان منهم على امل ان نقتل الامير حمزة

ومن ثم كتب افلنطوش كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بولادة بنته وانها دعت اسم ولدها قباط وسال منه هل يبقى على الانتظار او يترك العرب ويعود برجاله الى المدائن اذ انه لا يرى وسيلة لنوال مراده في الحال ولا يقدر احد من العجم ان يصل الى حمزة البهلوان . وبعث الكتاب مع نجاب ولما وصل الكتاب الى كسرى وعرف ما فيه ارسل له الجواب يقول له فيه ابق مكانك ولا تترك ما انت عليه واحفظ مودتك مع العرب في الباطن الى ان نقتل الامير حمزة ونعدمه الحياة ولو بقيت دهراً واني ساع في ايجاد الوسائط السرية لنوال المراد فكن مطمئناً . وعندما وصلت هذه الكتابة الى افلنطوش بقي على ما كان عليه وما مضى على ذلك الا اشهراً قليلة حتى ولدت طوربان ولداً ذكراً ففرح به الامير اكثر من فرحه بولده وامر ان تزين مدينة حلب خمسة عشر يوماً وتدار الافراح في كل ناحية وعلو وبعد ذلك جيء به الى تيمان البيون شاه وناوله الى الامير حمزة فاخذه وقبله ودفعه الى جده الاخر وهو افلنطوش فمد يده لياخذه فحملت يده ترتجف وخاف من [illegible] الامير فقال لحمزة اني كنت لا اصدق ان بنتي تاتي بولد ذكر وابقى حياً فاراه فهي عزيزة لدي والان لا اعرف ماذا اصنع فاني ارى كل اعضائي تتحرك وتحن ولما اخذ الولد اليه وجده كانه البدر في تمامه جمع بين بهاء ابيه وجمال

امهِ فزاد أضطرام فؤادهِ الا انهُ تجلد وقال لصهرهِ بشراك بهذا الغلام فاني اراه مسعوداً واشكر الله على مثل هذه النعمة واطلب اليهِ ان يعيش كثيراً وينال ما نالهُ ابوهُ وجدهُ من الاقبال والتوفيق . ثم اخذهُ ابوه وقبلهُ في جبهتهِ وقال لابيهِ حمزة ماذا ندعوه . قال حيث ولد في ايام الراحة والهناء فلندعوه سعداً لان السعد بوجهه . ثم اعادوه الى امهِ ووضع لهُ المراضع والخدم واخذ الولدان يكبران ويترعرعان يوماً فيوماً وفي كل مدة يوتى بهما الى بين الفرسان ينظرهما الخاص والعام ويقبلهما الامير حمزة وابنهُ وافلنطوش ودام الامر على مثل ذلك حتى صار الطفلان يقدران على المشي فياتيان مع الخدم الى افلنطوش يوماً بعد يوم ويقبلان يديهِ وهو يكاد يقضى عليهِ من ذلك ولكن كان يظهر في وجهها الرضا والقبول ويهش خشية من اظهار الامر وقلبهُ يتمنى لهما الموت والهلاك ومثلهُ لاميها حيث انهما نجستا عبادة النار واحتقرتاها جداً ودخلتا عن حقيق في دين الاله تعالى

فذات يوم نهض الامير من نومهِ مرعوباً مضطرباً ودعا بفرسانهِ واعيانهِ الاخصاء وقال لهم اني رايت حلماً راعني وارعبني وجعلني قلق الافكار مضطرب البال واني خائف من عاقبتهِ جداً ولذلك دعوتكم لاعرف ماذا ترون في امر هذا الحلم . وهو اني بينما كنت نائماً في اعمق نومي وجدت نفسي كاني في مكة المطهرة بين قومي وهناك رايت اسراباً من الغربان تحوم حول المدينة ورايت بعض هذه الغربان ياتي المدينة ويخرج منها ومن ثم حانت مني التفاتة الى احداها فوجدت واحداً كبيراً يحمل في فمهِ ابي ابراهيم ويسرع في طيرانهِ ورايت بعض هذه الغربان ايضاً تحمل من سادات مكة وتخرج مسرعة فغاظني ذلك واردت ان اتبع بهم واذا بي قد استيقظت فوجدت نفسي في فراشي فحزنت جداً وتذكرت ابي ورجالهُ وتلك الارض التي تفوح بمسك الطهارة وارتبت في راحتهم وقلت لا بد ان يكون قد وقع عليهم امر مكدر وفي ظني اني اركب واسير الى مكة وانظر كيف حال ابي وقومي فقال اندهوق لولا وجود الاعجام بيننا لرحلنا عن هذه الديار الى تلك النواحي واقمنا فيها بضع سنوات الى حين نرى ما يكون امر كسرى غير اننا لا نزال مرتابين من صدقهما ونخاف ان نذهب بهما الى تلك الارض فننجسها بوجودهما عليها وهما على الكفر والنفاق وقلة الامانة وتمكنهما باتباعنا بالاسفار من الوصول الى الغدر بنا . قال الامير ما لنا ولهذا الفكر فهذا لا يعرفهُ الا الله تعالى نعم اني ارى من اعمالهما ما يجعلني في ارتياب لكني لا اريد ان افعل شيئاً قبل ان ارى منهم دليلاً على الغدر واضحاً فلا اكون ظالماً بعد ان امنتهم على انفسهم . فقال المعتدي حامي السواحل اني ارى من الصواب ان يذهب عمر العيار باسرع من البرق الى ارض مكة فيشاهد من بها ويخبرنا بكل ما يرى هناك ويخبر اباك باننا بخير وان الله قد انعم عليك بغلام فيسرهُ بكل هذا . قال عمر اني كنت اخاف ان اسافر فيغتنم

زوبين فرصة غيابي لكنني ساضع في مكاني جماعتي العيارين واحرضهم على الامير وعلى خدمته واوصيكم انتم ايضًا ان تحذروا لانفسكم اياماً قليلة فاني لا اغيب الا القليل وكيف كان الحال فيمكنكم أن تثبتوا على ملاحظة عدوكم الى حين ايابي واني اودعكم من هذه الساعة

ثم تركهم وجاء عياريه فجمعهم اليه واوصاهم بالمحافظة والانتباه وعلمهم كيف يجب ان يعملوا في غيابه وقسمهم الى فرق بعضها في خدمة الامير وبعضها حول صيوانه وصيوان ابنه وبعضها يطوف في المعسكر على الدوام وفي كل ليلة وسار من هناك واستلم طريق مكة المطهرة واسرع في الجري حتى بعد نحو خمسة ايام واذا به اقبل على شجرة كبيرة في جانب الطريق فعرج اليها ليجلس قليلاً تحتها واذا به يرى رجلاً نائمًا هناك ملتفًا بردائه متظللاً بفيئها من حرارة الشمس فدنا منه وصاح به فوعي الرجل واذا به الامير عقيل رئيس الثاني مائة فارس اخصاء الامير حمزة ففرح به عمر وسلم كلٌ منهما على الاخر. ثم سأله ما هو الذي اوجب اتيانه وحدهُ الى تلك الارض وهل جرى على رجال مكة شيء مكدر . قال اني سائر الى جهة حلب اخبر الامير بما كان من امر ابيه واما أنت فالى اي جهة سائر . قال اني كنت سائرًا الى مكة حيث ان اخي راى حلمًا مريعًا دعاهُ الى التيقظ والانتباه وان يعرف ما جرى هناك من الامور في كل هذه الايام والحمد لله الذي رايتك هنا وخففت عني ثقل السفر الطويل اذ لا اريد ان اغيب كثيرًا عن المعسكر . فاعد عليّ ما جرى عليك بعد ان فارقتنا وما جرى على اهل مكة المطهرة . قال اني بعد ان فارقتكم مع الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل سرت بين يديها وفي خدمتها الى ان وصلنا بالسلامة الى المدينة ودخلت على الامير ابراهيم واخبرته بكل ما جرى لنا وكيف انا قهرنا كسرى وطردناه عنا وابدنا كثيرًا من جنوده وان الامير حمزة تزوج بمهردكار ففرح وشكر الله على ذلك وقال كان بودي ان اكون حاضرًا زفاف ولدي لا فرح به واحبر كسر شيخوختي غير ان الله سبحانه وتعالى قضى عليه ان يكون طول زمانه غريبًا بعيدًا عني فاشكره على سلامته وعلى تخصيصه بالسعادة والتوفيق . ثم قربت منه الاميرة سلوى وسلم عليها فقبلت يديه واقامت في بيت اعد لها وبعد ذلك ذهبنا الى البيت وطفنا حوله ثلاثًا وكل اهل المدينة يصلون ويشكرون نعمة الله على هذا النصر الذي ناله الامير وساد به العرب وارتفع صيتهم على رؤوس الكبار والصغار. واما انا فاني بعد ذلك ذهبت الى مكاني واجتمعت باهلي واقمت بينهم املئ باشواقي منهم وصرت في كل يوم احضر الى ديوان الامير ابراهيم ابقى كل نهاري هناك واعود في المساء الى ان كان ذات يوم من هذه الايام الاخيرة جاء مكة جماعة من العرب واظهروا ان قصدهم زيارة بيت الله الحرام فنزلوا في ضواحي المدينة وصاروا يدخلون ويخرجون ونحن بمأ من منهم وفي كل نيتنا انهم من العربان الذين ياتون حسب العادة لقضاء فروض الزيارة . ففي

ذات يومٍ اتينا ديوان الامير ابراهيم فلم نجدهُ هناك ففتشنا عليهِ وطفنا كل المدينة فلم نقف لهُ على خبر وافتقدنا اولئك الزوار فلم نرَ لهم اثرًا فشغل بالنا جدًّا ولا سيما عندما ثبت لدينا ان سادات مكة ايضًا قد فقدوا وغابوا عن المدينة فطفنا كل النواحي والجهات وسالنا من الغادي والصادي فلم نقف لهم على خبر فزاد بنا الغيظ والكدر وحسبنا ان ذلك وقع من الاعداء ففارقت مكة وصرت استخبر عن مكان وجودكم حتى عرفت انكم لا تزالون بحلب فسرت اقصدكم لاخبركم بما كان من امر الامير ابراهيم

فلما سمع عمر العيار هذا الكلام قال لا ريب انهُ عمل عياري الاعداء قد احتالوا على سادات مكة وفعلوا هذه الافعال فهلمَّ بنا بسرعة نقصد فرسان العرب لنطلعهم على هذا الخبر . قال سر امامي فاني لا اقدر ان ارافقك في السفر ولا يمكن للجواد ان يجري كجريك . قال اني اخفف عنك ثقلة المشي . ثم تناولهُ ووضعهُ في جراب اسماعيل وكر راجعًا مثل البرق الخاطف حتى جاء حلب ودخل بين معسكر الاعجام فوجدهم على حالهم فاطمأن بالهُ . ثم جاء معسكر العرب ودخل ديوان الامير حمزة فراى الفرسان مجتمعين من حواليهِ وبينهم افلنطوش وعبد الله زوبين فاشار الى اخيهِ ان يتبعهُ ولما اختلى بهِ على انفراد اخرج الامير عقيل من الجراب وامرهُ ان يعيد القصة ثانية على الامير حمزة ففعل . ولما سمع هذا الخبر اطرق الى الارض متحيرًا مرتبكًا وقد اسودت الدنيا في عينيهِ وكاد يغيب عن صوابهِ كيف يفقد ابوهُ ولا يعرف من الذي فعل هذا الفعل وخاف من ان يكون قد لحق بهِ سوء او ان الاعداء يقتلونهُ . ثم قال لعمر العيار قد اشكل علينا الامر ونحن لا نعرف من اين جاءتنا هذه المصيبة وكيف الوسيلة للاطلاع على حقيقة الامر لنتلافاهُ ونرجع قومنا قبل ان يحل بهم المصاب . قال اني فكرت بامر بهِ الخير والنجاح وهو اني اسير الى المدائن وادخل على الوزير بزرجمهر واعرض عليهِ واقعة الحال واسأَلهُ في ذلك ولا بد ان يكون عرف بما جرى اذا كان كسرى عمل هذا العمل ويدلنا على المكان الموضوع بهِ السادات فنسعى في خلاصهم ونرى ما يدبرهُ الله تعالى . فقال حسنًا تفعل فسر عاجلاً واتني بالخبر اليقين فودعهُ بعد ان اوصى ان لا يدعوا عبد الله زوبين وافلنطوش وكل جماعة الاعجام يعرفون بمثل هذا الامر

ولا زال سائرًا حتى جاء المدائن وترقب الوزير حتى راهُ خرج من الديوان وذهب الى قصره فتأثره حتى دخل ودخل من خلفهِ وتقدم اليهِ وسلم عليهِ ففرح بهِ وسالهُ عن العرب وعن اخيهِ هل هم بخير فاخبرهُ بكل ما جرى للعرب من السعادة والاقبال والنصر والافراح . قال اني لمثل هذا اتمنى لهم واعرف انهم سيلاقون بعد اعظم من ذلك . والان اتيت على ما اظن تسأل عن الامير ابراهيم وسادات مكة الذين سرقوا قال نعم لقد وصل الينا الخبر بذلك

ونحن نجهل السبب فاتيت لاعرفهُ واعرف ابن وجودهم حيث لم يكن لنا من سيد نطوئه مثلك نلتجئ اليهِ ونستمد اراءهُ ونطلب مساعدتهُ . قال اعلم ان الامير ابراهيم والسادات قتلوا وارسلوا الى نهروان يشتغلون هناك بناء القلع . وسبب اسرهم ان عيارين من عياري العجم وهما عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي ذهبا بجماعتهما الى مكة المطهرة ومعهما جماعة العيارين وتزيوا جميعاً بزي العرب واحتالوا على الامير ابراهيم فسرقوهُ وسرقوا اعيان قومهِ وجاءوا بهم الى كسرى ففرح بذلك وانعم على العيارين وارسل الاسرى الى نهروان وامران يشتغلوا بالاشغال الشاقة هناك وان يهانوا كل الاهانة ولو سبقت نحو ثلاثة ايام لكنت وجدتهم هنا ولكن الان قد بعدوا كثيراً فارجع الى اخيك واخبرهُ واطلعهُ على سر المسالة واعلمهُ ان هذا كان بتدبير بختك الوزير قصد بهِ اهانة حمزة ليشغل لهُ باله ولا يدعهُ مرتاحاً ويلتزم ان يسعى خلفهُ ويفتش عليهِ وهو لا يعرف في اي مكان فاسعوا في خلاصهِ وخلاص السادات حالاً ولا تتاخروا ولا دقيقة واحدة . فشكرهُ عمر العيار على ذلك وقبل يديهِ وكرّ راجعاً في الطريق الذي جاء منهُ حتى جاء حلب فدعا اخاهُ سرًّا واطلعهُ على كل ما عرفهُ من الوزير بزرجمهر فمّا غيظهُ وقال قبح الله كسرى وبختك فانهما لا يسعيان الاَّ بالمكر والاحتيال. واذا كانا قد ظنا اني اعجز عن تخليص قومي فقد اخطاءا ولا بد لي من المسير في هذا اليوم الى نهروان لارى اعدائي كيف حالهم . ثم انهُ دعا بمعقل البهلوان واخبرهُ بغايتهِ وقال لهُ كن على اهبة السفر فاني مزمع ان اسير الى نهروان . فاجاب طلبهُ وفي الصباح ركب الامير ومعهُ معقل البهلوان وعمر العيار وما زالوا سائرين عدة ايام حتى كشفوا نهروان فوجدوا البناء مشتغلاً في قلاعها من كل باحٍ والفعلة تنقل الاحجار وتحمل التراب وكان نحو خمسة وعشرين الف رجل يشتغلون في تلك الناحية وعليهم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وعيار وهما ومن الجملة الامير ابراهيم وسادات مكة وهم يهانون اكثر من الجميع فنزل الامير عن جواده الى الارض وفك كربهُ وسقاهُ واطعمهُ ثم عاد فركب عليهِ وفعل مثلهُ معقل البهلوان . ثم ان حمزة قال لهُ اريد منك ان تسير الى جهة الشمال وانا الى جهة اليمين ونحط بغتة على هذا الصيوان المحرف الذي في طرف القلاع لان يظهر من امرهِ انهُ صيوان رئيس القوم وربما كان للعيارين الخبيثين اللذين سرقا ابي ومن ثم نحط على الباقين فمن سلم عفونا عنهُ ومن امتنع قتلناه فاجاب معقل البهلوان امرهُ وافترقا وهجم كل واحد من جهة فثار العيارون وهاجوا واضطربوا ولما سمعوا ان الصياح هو صياح الامير حمزة تركوا الاسارى وطلبوا الفرار فادرك حمزة عمر بن شداد الحبشي فشد وثاقهُ ومعقل البهلوان اسر سقلان الرومي وبعد مضي ساعة من الزمان تفرق كل من كان في ذاك المكان وحينئذٍ تقدم الامير من ابيهِ وترجل عن جوادهِ وقبل يديهِ وبكى لما راهُ بتلك الحالة

وقال له قبح الله كسرى الخبيث الغدار فانه يستحق اعظم من هذه الاهانة فهو لا يراعي حرمة العظماء ولا يقدر للشرفاء حق قدرهم . فقبله الامير ابراهيم وشكر الله سبحانه وتعالى على خلاصه وقال لولده لا تتكدر ياولدي من وصول مثل هكذا امر اليّ فما ذلك الا بسماح منه تعالى فقد قدّر عليّ ان اشتغل بالتراب لاعرف حالة الانسان وتعبه وان الله لا فرق عنده بين الرفيع والوضيع وبيما كنت الاقي مثل هذه الاهانة كنت ارى نفسي مسرورًا والتذ اللذة التي ما كنت اشعر بها عند ما كنت اجلس في ديواني بين اعياني فاشكر الله سبحانه وتعالى تكرارًا على نعمته وفضله

ثم ان الامير سلم على باقي سادات مكة وصرف ذاك النهار في ذاك المكان وفي اليوم الثاني قال لمعقل البهلوان اريد منك يا اخي ان تذهب من هنا مع اخي عمر العيار الى حلب وتخبر العرب بما كان من امرنا وتطلعهم على سرّ هذه المسألة وتوصيهم ان يكونوا على التحذر والانتباه وانا مرادي الذهاب الى مكة لاوصل ابي واشاهد امي وزوجتي الاميرة سلوى ومن ثم اعود الى حلب . فقال له افعل ما بدا لك . ثم ركب الامير وركب ابوه وباقي السادات واوتقوا عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وساروا بعد ان ودعوا الامير معقل البهلوان وعمر العيار وساروا كل فريق في طريق . واما العيارون الذين هربوا من امام حمزة داوموا المسير حتى جاءوا المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بان الامير حمزة قد فاجاهم الى تلك الجهات وخلص اباه وقومه وباقي الاسارى واسر العيارين فتكدر كسرى واغتاظ وتعجب من وصول الخبر الى العرب في الحال مع انهم بعيدون عن مكة وكان اعظم الحنق واقع على بختك الوزير وقد وقع في سوء التدبير واحتار في امره . واما الامير حمزة فانه ما برح سائرًا مع قومه حتى جاء مكة المطهرة وعرف به اهلها وكانوا باضطراب عظيم فخرجوا افواجًا افواجًا نساء ورجالاً واطفالاً وهم فرحون برجوع السيد ابراهيم اليهم ولما التقوا به قبلوا ايديه ونادوا بالافراح ولا سيما عندما راوا الامير حمزة سيدهم وسند قبائل العرب باجمعها . وعادوا الى المدينة ودخل الامير حمزة على والدته وقبل يديها وسلم عليها فقبلته ودعت له بالبركة وطول البقاء . ومن ثم جاء الى زوجته سلوى واقام عندها ليلته وقد طيب بخاطرها واظهر لها شوقه واقام في مكة سبعة ايام وقد طاف بالبيت وادى فروض الزيارة وسلم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي الى محافظين من رجال المدينة واوصاهم بالمحافظة عليهما وان يكون شغلهما على الدوام تنظيف الازقة والشوارع ورفع الاقذار الى الخارج الى ان يموتا وهذه الاهانة كان يراها الامير ضرورية لهما . ثم انه ودع اباه وقومه والاميرة سلوى وهذه هي المرة الاخيرة التي يراها بها حيث لم يعد يراها فيما بعد وخرج من مكة وهو مطمأن الخاطر قرير الناظر على اهل البيت ووجه بكل افكاره الى جهة حلب وهو يود ان

يصل الى هناك ليعرف ماذا جرى على قومهِ وهل ان زوبين وافلنطوش لا يزالان على الامانة او انهما عادا الى الشر والخيانة . ثم خطرت في ذهنهِ مهردكار فاضطرب قلبهُ من اجلها وارتاع وقال في نفسهِ ان كان زوبين يرجع الى الغدر والخيانة فلا ريب انهُ لا يتمكن من الغدر باحد الا بمهردكار وطوربان وانجلت لهُ افكار جديدة فندم على البقاء عليهما وقال ماذا يا ترى جرى عليَّ حتى عاندت قومي وفرساني وتركت الافعى تسكن بينهم . ولا ريب ان هذا سيعود عليَّ بالشر والوبال ووطد العزم انهُ عند عودتهِ الى حلب يبعد العجم عن العرب ويعين لهم مكان اقامة ببلاد الشام فاذا كانوا على دين الله يبقون على الراحة والسلام واذا كان بينهم الغدر والخيانة فيظهر امرهم في الحال ويرتاح منهم ولا سيما انهُ ليس في حاجة لان يطلب مساعدتهم او يرجو منهم خيرًا وعونًا. ثم زاد عليهِ الامر وقال وربما كان زوبين عدربمهردكار قبل ان اصل الى المعسكر وهرب فماذا يا ترى اعمل وهذا الفكر اشغلهُ جدًّا وصعب لهُ صوابهُ فجعل يسوق جوادهُ وهو يتمنى ان يصل باقل من ساعة الى حلب ويشاهد مهردكار وابنها هل هما بخير وسلام وقد هاجت عليهِ البلابل فانشد

بكيت لتغريد الحمائم في الفجر ... وبرَّح بي وجدي وزايلني صبري
وملت كما مال النزيف كانما ... سقاني حنين الورق كاسًا من الخمرِ
وسار بما ابقين لي من تجلدي ... نسيم سريًّا الظاعنين التي يسري
خذي جسدًا يا ريح يحكيك رقة ... فلاقي بهِ قلبًا مع الركب في اسرِ
ايا جسميَ البالي تجسمت من ضنى ... ويا كبدي الحرا تكونت من جمرِ
رأى الاسى والحزن بعد رحيلهم ... فلم يتركا مني سوى عبرة تجري
غدوا يستحثون المطيَّ على السرى ... فهل في جمود الدم للصب من عذرِ
وبانوا وجسمي فيهِ بعض بقيةٍ ... فلم يبقَ منهُ ما يصور في فكرِ
تنازع روحي للخروج يد النوى ... فتحبسها عنهُ الاماني في غربي
اعلل قلبي بالمنى ان سنلتقي ... واحسبها كالآل يلمع في القفرِ
سفكتم دمي عمدًا ولم تتحرجوا ... وعاقبتموني بالمنون بلا وزرِ
لقد رقَّ لي مما تجرعت من اسى ... فؤاد عذولي وهو اقسى من الصخرِ
سهاد وسقم واشتياق ولوعة ... وصبح بلا ضوء وليل بلا فجرِ
ودمع بلا جفن وعين بلا كرى ... وقلب بلا انس وسرٌّ بلا سترِ
وكم قائل جهلاً تسلَّ بغيرها ... ولا تجرِ ذكراها بسرٍّ ولا جهرِ
وكيف ترى يسلى العليل شفاءهُ ... وليس سلو الالف من شيم الحرِّ

الا فأدر ذكراهُ صرفًا فانني ... اغيب بو عن حالة الصحو والسكرِ
احب نمو الوجد فيو صبابة ... وان كان يفضي بي الى البوس والضرِّ
فلو ثم وجدٌ فوق وجدي لعاشق ... تمنيتهُ ان يستحيل الى صدري
ولم انسَ اذ احيي قتيل صدودها ... وقد برزت خوف الوشاة على ذعرِ
وقرطس احشائي سهام لحاظها ... رمتني بها عمدًا عن النظر الشذرِ
فعاطيتها كاس العتاب مشوبة ... بدمع حكى في فيضهِ زخرة البحرِ
واخجلتها حتى تلهب خدها ... تلهب احشائي من الصد والهجرِ
ورضت بها اخلاقها وهي صعبة ... فلانت واهوى من قطوب الى بشرِ
وحيت بمسك عطرتهُ اكفها ... وانفاسها ازكى من المسك والعطرِ
وبتنا ندبر الانس والليل قد سجا ... وقد غربت شمس المدامة في البدرِ
وحليت بالياقوت فضة نحرها ... رجيد الدجا حالٍ بانجمهِ الزهرِ
تقول وقد اوهى النعاس جفونها ... واغمد سيف اللحظ منها على قسرِ
اريد تعيد الانس قلت لها متى ... فيوم تلاقينا ابيع بهِ عمري
فقالت وبدر الليل المغرب قد هوى ... وجفن الدجا يبكي من الهجر بالقطرِ
اذا امتلأت من دمع هذا ثغور ذا ... فقلت لها ماذا فارمت الى البدرِ
واخنت واستار الظلام تكشفت ... قليلاً وقد كاد الصباح بنا يغري
سقيت السحاب الجون يا زمنًا مضى ... ولم يبقَ منهُ للمشوق سوى الذكرِ
احبتنا لم يبقَ صبر ولو بقي ... لنا بعدكم صبر لكان من الغدرِ
طوينا بساط الانس واللهو بعدكم ... وهذا بساط الحزن والدمع في نشرِ
عسى تبرد الاحشاء من حرقة الجوى ... دموع الاسى بالشوق ان لم تكن تبري
تناسيتمونا بعد انسٍ والفة ... احب الى الجاني من الامن والنصرِ
اتاح لنا تفريقنا الدهر غادرٍ ... ولا غرو ان الغدر من شيم الدهرِ
فياقلب صبرًا للقضا وتوكلاً ... فليس لغير الله شيءٌ من الامرِ

وكان ينشد وهو يسير مسرعًا وقلبهُ وعقلهُ وكل حواسهِ تتشوف في معسكر حلب يرى ما جرى هناك وهل من حادث وقع في اثناء غيابهِ يستدعي قلقهُ وقد عدتهُ ضرورةٌ بان عبد الله زيبين لابد ان يعذر بذكار وان قبولهُ عنده كما يسمع من انهُ رفيا هو على مثل هذه الافكار مطلق الجواده العنان . واذا باسما برمي بنت البيون تاه قد سقطت من الجو الاعلى ووقفت امام الجواد ومنعتهُ من الجري وقالت السلام ايها الامير لقد نسيتني ولم اعد اخطر لك على بال فنظر

فيها وعرفها فاندهش وخاف من ان تثاقل عليهِ وهو على تلك السرعة الأَّ انهُ اجابها على سلامها وسلم عليها وترحب بها وقال لها اين تقصدين وماذا تريدين . فقالت اما قصدي فانت واما ما اريدهُ فهو ان تذهب معي الى جبال قاف لاني بشوق زائد اليك وما برحت اصبر القلب وهو لا يصبر حتى عيل صبري فجئت لاذهب بك تقيم عندي بضع ايام وتنصفني منك وتعاملني كغيري من زوجاتك . قال دعيني الان فاني مشغل الافكار ومتى وصلت الى معسكر حلب ووجدت فرساني بخير وما من سوء عليهم سرت معك الى حيث تريدين . قالت اني اعرف انك ترغب في سرعة الجد لترى مهردكار وتحب ان تصل الى فرسانك لتقيم عندها بعض ايام فانا احق من الجميع وما كفاك كل هذه الايام الماضية حتى تريد ان تخدعني الان لتصل الى زوجتك . ثم انها اختطفتهُ عن جواده وسارت بهِ في الجو الاعلى وهو غائب الصواب لا يعرف ماذا جرى عليهِ يتعجب كيف انها جاءت اليهِ وهو في مثل تلك الحالة حتى جاءت بهِ الى جبال قاف وهو يلعن ويسب الساعة التي جاءت بها وقال لها اترضين في عذابي وقهري وقد وعدتك ان تصبري عليَّ الى ان اشاهد قومي . قالت لا شيء عليهم فان عندهم من الفرسان ما يجعلك مرتاح البال وانا اريد منك ان تبقى عندي فقط سبعة ايام ومن ثم اوصلك الى قومك فصبر على مضض وقلبهُ يتلهب بنار الاشتعال

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من العرب فانهم كانوا باضطراب على غياب الامير وقد ظنوهُ في الاول انهُ ذهب للصيد والقنص مع عمر العيار ومعقل البهلوان الى ان جاءهم معقل واخبرهم بكل ما كان من امر الامير حمزة وابيهِ ابراهيم وسادات مكة وكيف انهما سارا لخلاصهما وبعد ذلك ذهب الامير الى مكة ليوصل اباهُ ففرحوا بذلك وارتاح بالهم واقاموا في حلب على ما كانوا عليهِ قبلاً وهم ينتظرون عودة الامير الى ان مضت مدة ايام وذهب الاجل الذي كان عينهُ لمعقل البهلوان وصبروا بعد ذلك ايضًا بعدة ايام فلم يرجع فاجتمعوا مع بعضهم ودعوا عمر العيار وقالوا لهُ نريدك ان تذهب الى مكة وترى لنا كيف حال الامير وما السبب لتاخره عنا . فاجاب وذهب عنهم وكان افلنطوش وزوبين قد علما بما كان من امر حمزة وخلاص ابيهِ فكتبا بذلك الى كسرى وعداهُ من حيث ان حمزة غائب لا بد ان ينالوا المراد باقرب وقت . وبقي عمر العيار ذاهبًا في طريق مكة حتى وصل الى نصف الطريق وهناك لاحت منهُ التفاتة الى جهة البر فرأى جواد اخيهِ اليقظان يرعى في تلك السهول وهو نافر عن الطريق العام فارتاع وارتبك وقصده فنفر منهُ فصاح بهِ فلما سمع الجواد صوتهُ عاد اليه وجعل يشمهُ فقبلهُ عمر ورأى رمح اخيهِ معلقًا بسرجهِ فارتاع وجعل يفتش بتلك الارض علهُ يجد لهُ اثرًا فلم يرَ فتكدر مزيد الكدر ووقف مبهوتًا وهو لا يعرف اين ذهب اخوه . فقال في

نفسهٖ لا ريب انهُ خرج من مكة قاصدًا حلب وفقد في هذه الطريق ولكن كيف فقد لا اعرف ومن الصواب ان ارجع الى العرب وابقي الجواد هناك واسير من ثم افتش على اخي . وكرَّ راجعًا حتى جاء مدينة حلب ودخل على الامراء واخبرهم بما كان فخافوا جدًّا على الامير وقالوا ان امره مشكل علينا ولا نعرف ما حل بهِ وهل هو بقيد الحياة ام مات واصبحوا بارتباك واضطراب وشاع هذا الامر في كل القبيلة حتى وصل الى زوبين وافلنطوش . فاجتمعا وقال الثاني للاول الان وقت نوال المراد وغير هذه الفرصة لا يتيسر لنا فان الاعداء الان مشغولون بغياب الامير وقد التهوا عن مراقبتنا وحمزة غائب عن المعسكر فمهما نريد ان نفعلهُ الان نفوز بهِ . قال نعم ان هذه فرصة كبرى لكن نحن لا نخاف من حمزة بقدر ما نخاف من عمر العيار واني اعرف جيدًا انهُ ما زال بين معسكر العرب لا نفوز بالمطلوب لاننا اذا قصدنا ان نبدي حركة راقبها قبل وقوعها واظهر امرها لقومهِ ولا بد ان في هذه الايام للتفتيش على حمزة فاصبر قليلاً ترى العجائب وجعلا يترقبان غياب عمر منذ ذلك اليوم

واما العرب فانهم بعد ثلاثة ايام من رجوع عمر اجتمعوا واستشاروه فيما يفعلون فقال لهم ان صدقني حذري يكون عند اسما بري وقد لاقتهُ في الطريق واخذتهُ بالرغم عنهُ وهو غير منتبه وفضلاً عن ذلك فاني عزمت على المسير الى المدائن لاجتمع بالوزير بزرجمهر واسالهُ علهُ يعرف عنهُ خبرًا او يفيدنا بامر يرتاح لاجلهِ بالنا . فقالوا افعل ما انت فاعل واسرع في الجواب فاننا على مقالي النار . فودعهم وسار يقصد المدائن وبعد مسيرهِ بقي العرب على حالهم من انشغال البال والخاطر وكلهم مرتابون في صحة حياة الامير ويتوهمون انهُ ربما قتل في الطريق غدرًا او مات او وقع في اسر الاعداء . واما زوبين الغدار فانهُ اجتمع بافلنطوش وقال لهُ اني في كل هذا اليوم ما رايت عمرًا في المعسكر وقد بعثت بعشرين رجلاً من رجالي طافوا كل معسكر العرب ما وجدوا لهُ اثرًا ولا ريب انهُ سافر للتفتيش على اخيهِ قال الان قد جاء الوقت المنتظر فهلمَّ بنا نكبس العرب في هذه الليلة فنذيقهم العذاب الاليم قال يجب ان نصبر على ذلك الى بعد الغد لانهُ اذا كان ذهب باحثًا لا يعود باقل من شهر واخاف ان يكون مختفٍ يترقب اعمالنا قبل ذهابهِ فكن على حذر الى بعد يومين واتفقا على مثل هذا الامر . وفي كل يوم يذهب زوبين وافلنطوش بين العرب ويظهران تاسفهما مع العرب والعرب في شاغل عنهما الى ان تحقق زوبين غياب عمر العيار وبعدهُ عن العرب فسرَّ مزيد السرور . ورجع الى المعسكر يدبر امرهُ وبقي افلنطوش الى المساء . وبعد انقضاء السهرة تفرق كل واحد من العرب الى ناحية ودخل صيوانهُ على الحالة التي تقدم ذكرها وقد اشغلهم غياب الامير عن ملاحظة اعدائهم وناموا مطمئنين من غدرات الزمان الى ان مضى نصف الليل واذا بعساكر العجم قد

حملت من كل ناح واكثرت من الصراخ والصياح واغتنمت هذه الفرصة فبذلت سيوفها في اعدائها وانزلت عليها شرار شرها وبلائها وغاصت بين الخيام ولم تترك للعرب سبيلاً للرجوع الى الحرب والصدام وزوبين الغدار يصيح وينادي اليوم يوم الاعادي وقد قصد صيوان طوربان وفي نيته ان يقتل عمر اليوناني وياخذ طوربان ليعذبها ويذيقها كاس الهوان ولما وصل الى الصيوان وجد عمر اليوناني قد خرج منه وبيده الحسام وعول على الركوب والمدافعة عن العرب . فلم يتركه زوبين ان يستوي على ظهر الجواد حتى فاجأه من قفاه وضربه بسيفه على راسه فجرحه جرحاً بالغاً لان عمرًا لما استيقظ ووجد الصياح قد ملأ الارض وسمع صراخ الاعجام وعويل العرب ايقن ان زوبين قد غدر بهم وخاف من ان يلحقوه وهو في الصيوان فيذيقونه الممات ولذلك تناول سيفه ولم يعد يصبر ليفرغ عليه درعه ويلبس خوذته وفي فكره انه اذا استوى على ظهر جواده وبيده الحسام يكفيه للدفاع عن العرب ورد الاعداء عنها الأ انه جرح قبل ان تمكن من غايته فغاب صوابه وضاع وعيه وما عاد عرف حالة في اي مكان هو فشرد به الجواد وخرج من بين المعسكر ونفر في البر الاقفر وهو عليه ضائع الوعي لا يسمع ولا يرى والدم يسيل من جرحه كالانبوب واما باقي العرب فانهم نهضوا مرتاعين فبعضهم شرد في الفلاة وبعضهم قتل من سيوف الاعجام واكثر الفرسان نهضوا من مراقدهم فوجدوا خيولهم مفقودة فارتاعوا وطلبوا الامان لانفسهم بالالتجاء الى البراري ليروا بعد اتيان النهار ما يكون من امر الاعداء وما منهم الاّ من يلوم حمزة ويعنفه على تركه زوبين حيًا . ودام القتال على مثل تلك الحال حتى كاد الفجر ان يظهر للعيان واذ ذاك امر زوبين بان ترجع الفرسان وكل واحد يصحب معه ما وصلت اليه يده من الاموال والخيل والانعام وقد قبض على طوربان ومهردكار وولديها وغيرهما من النساء وقيد الجميع أذلاء حيارى وقد نكبت العرب نكبة لم تذقها قبل ذلك اليوم وتشتتوا اي مشتت وشردوا في البراري وما منهم من يعي على نفسه او يقدر ان يعرف في اي مكان هو

ولما رجعت عساكر الاعجام الى الوراء امرهم افلنطوش ان يسيروا في الحال على طريق المدائن وان لا يتركوا عقالاً في تلك الارض قبل ان تجتمع العرب وتنضم الى بعضها فساروا وهو فرح بالنصر والظفر يشكر من زوبين ويقول له حسنًا فعلت في العرب ولولا هذه الحيلة التي عملناها عليهم لما نلنا منهم المراد وعندي انهم من بعد الان ما عادوا يقدرون على حرب وثبات ولا ريب ان حمزة قتل ونال شرّ عمله ولاقي كل بوس وضير ولا بد ان يرى ابن عمي كسرى عملنا هذا بعين الشكر والرضا . قال اني اعرف ذلك وافرح لاجله واعظم فرحي بطوربان ومهردكار فاني ما زلت حتى قهرتها ولا ريب انهما يستحقان الحرق بالنار حيث قد خانتا حقوق

الوالدية وانضمتا الى الاعداء وكل واحدة منهما طلبت ذلي وقهري ونفرت مني كيداً لي . قال لا بد ان يقدمهما كسرى تقدمة للنار لتحرقا مع ولديهما قباط وسعد . وداوموا على المسير الى المدائن على تلك الحالة . واما العرب فانهم في اليوم التالي اخذوا يجمعون ويلتمون الى بعضهم ولا سيما بعد ان راوا ان تلك الارض قد خليت من الاعجام وقلوبهم تضطرب ناراً من عملهم ويعضون على زنودهم ويحرقون من عمل اميرهم كيف بعد ان كان قادراً على هلاك هذه الطائفة سلم اليها بزمام امانهِ وقربها منهُ وجعلها بينهم كواحدة منهم غير انهُ كان قد انفذ فيهم قضاء الله المقدور وتفرقوا ونهبوا وسبيت نساؤهم واولادهم ولم يروا وسيلة الا الصبر على هذه المصيبة الى حين يجمع الله شملهم ويعيد اليهم النصر فياخذون لانفسهم بالثار ويرون ما يقدرهم الله عليهِ وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام جاءهم عمر العيار وراى ما راى من حالة العرب وشاهد القتلى قد ملأت الارض فناح وبكى وحث التراب على راسهِ وتقدم من الفرسان وسالهم عن السبب فاخبروهُ بكل ما جرى وقالوا لهُ كل ذلك جرى علينا من ايدينا لانا لو اوقعنا بالاعجام وقتلنا زوبين وافلنطوش لارتحنا من كل هذه المصائب والويلات وتقدمنا في طريق الراحة والسلام خطة عظيمة واما الان فقد تاخرنا وضيعنا كل النصر واخذت طوربان ومهردكار وباقي الحريم والاولاد . قال ان هذا وقع بقضاء منهُ تعالى وهو الذي جعل اخي ان يرى فيهم التوبة والامانة قالوا وماذا عرفت عن اخيك وفي اي مكان هو . قال اني لما وصلت الى الوزير بزرجمهر واخبرتهُ بفقدان اخي . قال لي ان حمزة حيٌّ وان التي اخذتهُ هي زوجتهُ اسما بري وسياتي عن طريق قماصيا فعدت وانا لا اعرف شيئاً مما جرى عليكم فقالوا اهل رايت الاعجام في طريقك سائرين الى بلادهم . قال لا ريب انهم يسيرون في الطرقات العامة الواسعة لكثرة عددهم واما انا فاني في اكثر الاحيان اسير في الشعاب والهضاب فاتسلق الاكام وانزل الوديان اختصاراً للطريق وتقريباً للمسافة فاذا وصلت الى مكان ووجدت ان الطريق طويلة وانها ماخوذة بميلة ودورة اخترقت الادغال وقربت الوصول الى راسها الثاني وعلى هذا لم يتيسر لي ان اراهم . وفي كل نيتي اننا نسير الى قماصيا للتفتيش على الامير واما الان فصار لنا شاغل مهم واريد ان اعرف ابن ذهب عمر اليوناني ابن الامير حمزة واخاف ان يكون قتل وشرب كاس الافات . قالوا لا نعرف كيف ذهب هل هو اسير او هرب بالفلاة او قتل وهمنا الان ان نعرف ماذا جرى على نساء الامير واولادهُ فاذهب الى الوزير بزرجمهر واسألهُ عنهم واستشيرهُ في امرهم فقال اني كنت عزمت على ذلك ولا بد من الرجوع الى المدائن واسال الله العزيز الجبار ان يوصلني الى خلاصهم اجمعين

ثم ان عمر العيار ترك الفرسان في حلب وكرَّ راجعاً وهو كئيباً حزيناً على ما حل بهم ويريد

ان يعرف ماذا جرى على عمر اليوناني هل قتل او اخذتهُ الاعجام اسيرًا . وما برح في مسيره حتى جاء المدائن ووجد الناس في هرج ومرج وعساكر زوبين الغدار وافلنطوش حول المدينة مع عساكر كسرى وهم بفرح لا يوصف فصبر الى ان خرج بزرجمهر الى قصرهِ فتبعهُ حتى انفرد بهِ فسلم عليهِ وقال لهُ لا خفاك ياسيدي ما جرى على العرب ولذلك جئت اليك مستخبرًا . قال اني عرفت كل شيء ولذلك تراني متكدرًا جدًا كيف ان اخاك ترك زوبين وسمح لهُ ان يتمكن من الغدر بهِ وبقومهِ . قال انت اخبر الناس بسلامة قلب اخي حمزة وحسن طويتهِ وقد نهيتهُ عن ذلك فقال ان الله اخبر بما في قلبهِ وانهُ بعد ان طلب اليهِ الامان وعاهدهُ على عبادة الله لم يرَ ان في قتلهِ صوابًا وما ذلك الا حكم العزيز الجبار والان قد مضى ما مضى واريد منك ان تخبرني ياسيدي ماذا جرى على مهردكار وطوربان واولاد اخي حمزة عمر وقباط وابن عمر اليوناني سعد . قال ان عمر اليوناني هو مشتت الان لم يقع قط بيد العجم واما مهردكار وطوربان فانهما وضعا في مكان منفرد تحت الحفظ ليقدما الى النار . وذلك انهُ لما وصل افلنطوش الى هذه الديار وبلغت اخباره كسرى انوشروان وان زوبين الغدار قد شتت العرب فرح وامر الوزير بختك ان يخرج الى ملاقاتهما في الحال بالموسيقات والدفوف وزينت المدينة وكان لعملهما هذا موقع عظيم عند عموم الفرس من الكبير الى الصغير ولما قدمت مهردكار وطوربان الى كسرى اراد ان يوبخهما ويجازيهما بالعذاب فمنعهُ بختك وقال لهُ من الصواب ان لا تضيع كلمة معهما فهما قد خرجتا من مصاف الاعجام ونجستا دين النار وحيث ان لا غاية لنا فيهما الان وما عاد احد من قومنا يرضى ان يكون زوجًا لواحدة منهن فمن الواجب ان تضعهما في قصر منفرد مع الاولاد والنساء وتضع عليهم الحراس بكثرة وترسل كتابًا الى هدهد مرزبان قاعدة دين المجوس وسيد المرازبة وامام النار فياتي الى هنا وياخذهم جميعًا ويقدمهم ضحية للنار فتاكلهم وترضى عنا فيما بعد بحيث تعرف اننا ما بخلنا باولادنا عليها اذ خرجوا عن عبادتها . فاستحسن كسرى هذا الراي ولم يرضَ ان يرى وجه احد منهم وامر ان يبقوا تحت الحفظ ووضع عليهم الحرس الزائد الكثير والحجاب حتى لم يعد للطير طريق ان يمر من جهة فيرى احدًا لا من النساء ولا من الاولاد فاذا ثم ما يقصدون تكون خطيئة هولاء الابرياء برقابكم لان مهردكار وطوربان سلمتا بانفسهما اليكم وفي نيتهما انكم تحافظون عليهما فوضعتوهما مع اعدائهما وكان موتهما وموت اولادهما بسبب تهاملكما فاطرق عمر العيار الى الارض برهة وسقطت الدموع من عينيهِ . ثم انهض راسهُ وقال في اي يوم يقدم النساء والاولاد الى النار فقال في عيد النيروز بحيث ان في تلك الايام يكون هدهد مرزبان قد وصل الى هذا المكان . قال وكم من المدة باقٍ لهذا العيد . قال بعد ستة اشهر من هذا التاريخ . قال اني اعدك ياسيدي وعدًا لا يمكن وحياتك ان اكذب بهِ وهو اني لا تمضي

هذه الايام حتى أكون خلصت الجميع من الكبير الى الصغير . قال ان هذا يصعب عليك جداً ولا اظنهُ يتم او ينتهي لان الاحتياط متخذ من كل جهة ولا يمكن ان تهرب بهم وتنجو . قال اني اعرف كيف اقدر على خلاصهم وفي كل ذلك اني اعدك ايضاً بان اضع في قلب كسرى حسرة لا ينساها الى الابد وهو اني احتال عليهِ واجعلهُ يقبل يدي عن طوع واختيار مع وزيره بختك وكل اعيان الفرس وسوف اذكرك بكل شيء قال ان قدرت على ما تقول شهدت لك وتكون قد فعلت ما يعجز غيرك عن فعلهِ فاذهب موفقاً بعنايتهِ تعالى وانا على الدوام ادعو لك بالسعادة والتوفيق في سائر اعمالك وادعو لمهردكار وطوربان بالخلاص فان قلبي حزين عليهما جداً واريد ان يتخلصا من العذاب ومن الحريق

وبعد ان ودع عمر العيار الوزير بزرجمهر سار من المدائن الى ان جاء حلب واجتمع بالفرسان والابطال وطمنهم على مستقبلهم وقال لهم كونوا براحة واطمئنان ولينضم بعضكم الى بعض وادخلوا البلد الى ان اعود اليكم فاني ما زلت حيًّا اجريت غايتي في كسرى انوشروان وجعلت العرب على النجاح والتوفيق واعدت اليهم نساءهم واولادهم واموالهم وتركت حالة الفرس من اسوإ الحالات . غير اني اريد اولاً ان اسير الى قماصيا وانظر هناك الامير حمزة قبل كل شيء ومتى عدت بهِ تم لنا كل ما نريدهُ ونختارهُ . قالوا افعل ما بدا لك ولا تطيل علينا غيابك فاننا في حالة تاخير نحتاج بعدها الى الاصلاح والراحة ولا نريد ان نصبر على الاهانة والاحتقار . ولما قصد السفر جاء اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي اني اريد الذهاب معك الى الامير حمزة ولا اطيق فراقهُ اكثر من هذه المدة فخذني معك الى قماصيا قال اريد ان تكون رفيقي غير اني مستعجل جداً ولا اريد ان انعوق وانت لا تقدر على رفقتي لان الذي اقطعهُ بيوم لا يمكن ان تقطعهُ انت بشهر . قال كيف كان الحال فاني رفيقك ومتى راينا الامير حمزة سرت انت الى قضاء ما تروم وبقيت انا مع الامير حمزة . فالتزم عمر ان ياخذهُ معهُ لما راى اصرارهُ على الذهاب معهُ وسارا عن حلب يقطعان البراري والقفار والسهول والاوعار يقصدان قماصيا وتلك الجهات

فهذا ما كان من امر العرب والعجم بعد ذهاب حمزة البهلوان عن تلك الديار واما ما كان منهُ بعد وصولهِ الى جبال قاف فانهُ امل بعد مضي اسبوع تذهب بهِ اسما برّي الى حلب فاقام عندها على الحظ والهناء الى ان مضى الاسبوع فقال لها اريد منك ان توصليني الى قومي فقد كفى ان لاقيت ما لاقيت من الاضطراب بالبعد عن العرب ولا اعرف ما جرى عليهم من بعدي . قالت اني فارقتك كل هذه المدة وقلبي بشوق لا يوصف اليك فهل تظن ان سبعة ايام لا تكفيني لان اسلم عليك بها فاصبر بعد سبعة ايام أُخر فما من خوف على العرب بعدك فكلهم

فرسان يقدرون على حماية انفسهم فقال لها اذا لم اكن بينهم لا يتوفقون . قالت انك غبت عنهم قبلاً عدة سنوات وعدت اليهم فوجدتهم كما كانوا والان اذا عدت اليهم تراهم على الخير والراحة ثم انهُ اقام عندها سبعة ايام اخر وطلب اليها ان تحملهُ فحاولتهُ وقالت لهُ لا بد من بقائك عدة ايامٍ اخر اكراماً لخاطر بنتك قريشة فقد سالتني بذلك وما زالت تطيل مدة قيامهِ سبعةً بسبعة وهو صابر عليها وقلبهُ يتحمل ذلك حتى ضاق صدره وعيل صبرهُ فقال لها الى متى هذا التطويل فاني اذهب لوحدي ماشياً على اقدامي ولا عدت اقدر ان احتمل منك اكثر مما تحملت . قالت اصبر عليّ الى ان اعود فقد خطر لي ان اذهب لزيارة بعض مدني وبلادي ومتى عدت اوصلتك . ثم تركتهُ واوصت مردة الجان والطوائف ان لا احد يوصلهُ وفي نيتها ان تحاولهُ سنين واعواماً . وبعد ان ذهبت جلس الامير مفتكراً باهلهِ ووطنهِ فبكى على فراق الجميع وكان قلبهُ يحدثهُ بوقوع مصيبة على العرب وانطبقت الدنيا في عينيهِ وفيما هو على مثل ذلك جاءتهُ بنتهُ وقالت لهُ لما يا ابتاه تبكي هل كل ذلك لاجل ان فارقتك امي في هذا اليوم . قال كلاً يا بنتي فاني ابكي لوقوعي بين يدي امك وهي تريد ان تبقيني عندها الدهر بطولهِ وكنت اريد ذلك لو لم يكن عندي شغل مهم وقد تركت العرب قومي بضيق واخاف ان يصابوا بضرٍ واذا هلكوا قتلت نفسي لا محالة واريد منك ان توصليني الى اول العمار ومن ثم اسير انا الى بلادي . قالت اني افعل لك ذلك اكراماً لك ومهما شاءت امي فلتفعل فاني لا اخافها . ثم انها حملتهُ وطارت بهِ في الجوّ الاعلى ولا زالت سائرة حتى وصلت الى اول العمار فانزلتهُ وقالت لهُ ان بلادك من هنا قريبة وانا اريد الرجوع الى جبال قاف فقبلها وقبلت يديهِ وودعتهُ ورجعت الى بلادها واقامت في قصرها الى ان جاءت امها وهي بشوق زائد الى الامير وفكرها مشغل عليهِ ففتشت عليهِ فلم تجدهُ فسالت ابنتها قريشة عنهُ . قالت قد اوصلتهُ الى بلادهِ . قالت وكيف قدرت على ذلك ولم تساليني بهِ وانا لا اقدر على فراقهِ . اجابت كفاك ما فعلت معهُ وهو يتحرق على بلادهِ وقد ترك معسكرهُ في حلب ولا يعلم ما جرى بهِ واذا كنت لا تطيقين فراقهُ فاذهبي اليهِ واقيمي على الدوام عندهُ وبين نسائهِ كواحدة منهن . اجابت انا لا اطيق ان اراه مع غيري فكيف اوافق ان اكون عند مهردكار وهو يحبها اكثر مني ولا بد لي من ان اذهب اليهِ واعيدهُ الى هنا ولا يمكنني ان اترك ملكي وابقى عندهُ . قالت قريشة اذا اتيت بهِ الى هنا عدت انا فاوصلتهُ ولو كان ذلك الف مرة الاّ ان يقبل بالقيام هنا ولا بد لهُ بعد مضي زمن الحرب من الراحة فاذا جاء واقام عندنا عدة سنوات لا يكون خلفهُ ما يشغلهُ . فتألمت اسما برّي من كلام ابنتها الاّ انها كتمت امرها وسكتت وعرفت ان من اللازم الصبر على الامير الى ان يصفو لهُ الجوّ ورات انهُ ليس من المناسب عناد قريشة

واما الامير حمزة فانهُ بقي سائرًا في الطريق الذي وجد عليهِ وهو لا يعرف من ابن يأتيهِ وقد تيقن انهُ عن قريب يصل الى احدى المدن والبلدان ومنها ياخذ لهُ جوادًا ويسير من بلدٍ الى بلد حتى ياتي حلب ويجتمع بقومهِ وهو مسرور غاية السرور وفرح بالخلاص من جبال قاف ولا زال في مسيره الى ان قرب من البحر المالح فجعل يمشي على الشاطي وسيفهُ وطارقتهُ عليهِ وصرف ثلاثة ايام دون ان يرى انسانًا او يمر على بلدة فضاق خلقهُ وفرغ منهُ الزاد ولعب بهِ الجوع فعرج قليلاً عن الشاطي وسار حتى دخل بين خميلة من الاشجار ملتفة وكلها مثمرة فجعل يقتطف من اثمارها ويأكل لسد رمقهِ وفيما هو على تلك الحالة واذا بهِ يرى رجلاً جالسًا تحت شجرة من تلك الاشجار مطرقًا براسهِ لا ينظر الى ما حواليهِ ولا يرى غير بين يديهِ فتقدم من ورائهِ ونظر اليهِ فراهُ مسندًا بظهرهِ الى جذع شجرةٍ وقد وضع بين يديهِ ورقة ينظر فيها ويتامل بما عليها فنظر الامير حمزة الى تلك الورقة واذا بهِ يرى عليها صورة فتاة جميلة المنظر بديعة المحيا حسنة التركيب على راسها اكليل من الزهور وفي عنقها عقد من الجوهر وعليها ثوب اسود يزيد في بياض وجهها . فتعجب من ذلك وغاب صوابهُ ورأى ان داخل قلبهُ واحشائهِ تتحرك الى صاحبة تلك الصورة وسبح الله الخالق وظن في نفسهِ انهُ لا يمكن ان يوجد في عالم الانس من هي توافق تلك الصورة وفيما هو على ذلك انتبه اليهِ الرجل وراهُ من خلفهِ فارتاع منهُ ونهض اليهِ وقال من انت ولما اتيت الى هذا المكان قال لهُ اني مسافر فمررت من هذه الجهة ودخلت بين الاشجار فرايتك جالسًا فعرجت اليك وتعجبت عند ما وجدتك تنظر الى هذه الصورة بتامل فهل هي ذات اصل او انها صورت وهمًا . اجاب لا بل هي ذات اصلٍ وصاحبتها لوعة القلوب بنت ملك قماصيا التي ضرب بحسنها المثل في هذا الزمان . فقال لهُ من اين وصلت اليك واين صاحبة هذه الصورة . اجاب اخذتها من بعض الدراويش وعند ما رايتها وجدت مكتوبًا تحتها . ان هذه صورة لوعة القلوب بنت ملك قماصيا . وتحت ذلك هذين البيتين

الم ترَ ان الحسن خير بضاعة تباع وتشرى بين كل الخلائقِ
فسبحان من خص الجمال جميعهُ بغادة حسنٍ كالشموس الشوارقِ

فمال قلبي الى صاحبتها ولعبت بي لواعج الغرام فتركت ملكي وسرت اطلبها . فقال لهُ وهل انت ملك اجاب نعم واسمي شرشوح واسم مدينتي منابع الجوهر . قال وكيف وصلت الى هذه النواحي ودخلت بين هذه الاشجار وجلست في هذا المكان . اجاب اني اتخذت مركبًا وسافرت عليهِ قاصدًا قماصيا فهاجت علينا الرياح واضطرب البحر وقذفت بالمركب الى البر فتكسر وغرق كل من فيهِ . الاَّ انا فاني صعدت سالمًا الى البر ومشيت حتى وصلت هذا المكان فاقمت الى ان جاءني النعاس فنمت ثم قمت وتذكرت هذه الصورة وكنت قد وضعتها في قماشٍ مطلي بالقير

ووضعتها في جيبي . وخفت كثيرًا من أن تكون قد عُدمت فاخرجتها من جيبي واذا بها كما
تراها ففرحت جدًّا وصرت انتقل كل يوم الى جهة انتظر الفرج حتى وصلت الى هذا المكان
فاعجبني جدًّا واكلت من اثماره . ثم جلست اتامل في هذه الصورة وعرفت يقينًا ان لا نصيب لي
بها والاّ لما كان صار عليّ ما صار وفيما انا اتامل فيها وجدت مكتوبًا في اربع زواياها اربعة
احرف كل حرف بزاوية ففي الاولى حرف ح وفي الثانية م وفي الثالثة ز وفي الرابعة ة . وما احد
يقدر أن يعرف سرّ هذه الاحرف . فاحدق الامير بتلك الاحرف فراى كما اخبرهُ شرشوح
فاحتار وقال ان هذا اسمي ولا ريب ان صاحبة هذه الصورة تقصد هذا الاسم . وشغل باله
زيادة عن الاول وطلبت نفسهُ ان ترى لوعة القلوب ويجتمع بها ويشاهد غايتها واخفى ذلك
عن الملك شرشوح وقال له هلمّ بنا نسير الان فما في جلوسك في هذا المكان فائدة عسانا نصل
الى باب الفرج فندخل منهُ ونجتمع بالناس من ابناء جنسنا . فنهض شرشوح صاحب مدينة
منابع الجوهر ومشى مع الامير حمزة وهما يتحادثان بشان لوعة القلوب والامير يسالهُ عن بعد بلاد
ابيها وقوته ودينه وعدد رجاله وفيما هما على مثل ذلك واذا به يرى شخصًا يركض خائفًا من
مطارد يطاردهُ وجاء الى تحت الامير واحتمى به فنظر الامير اليه بتعجب وقال له ما بالك وممن
تخاف . فلم يتمكن من الجواب واذا به يرى صبية من الجان قد انحطت امامهُ وقصدت ان
تتناول خصمها وتضربهُ بسيفها فتقطعهُ قسمين فاعترضها الامير حمزة وامتشق من وسطه الحسام
وضربها به فجاء في بطنها ودخل الى احشائها فصاحت وتالمت ووقعت الى الارض مائتة .
وحينئذٍ نهض الرجل ورمى بنفسه على ارجل الامير يقبلها وهو يتعجب من شجاعته وكذلك
شرشوح فانهُ خاف كل الخوف وقال لا ريب ان هذا الرجل من اشد الابطال حتى يقدر ان
يفتك بالجان ولا يخاف ولا يرتاع . ثم ان الامير حمزة سأل الرجل عن سبب خوفه من الجنية
وما هو الداعي للحاقه وقتله . اجاب اعلم يا سيدي اني منذ مدة وهذه الجنية تحاولني لتتزوج بي
وانا امتنع عليها وفي هذا اليوم جاءت اليّ وحملتني الى هذه الارض وراودتني من نفسي فحاولتها
كثيرًا فلم ترجع وقالت لي لم يبقَ لي قط درهم صبر عن وصلك فاما تجيب طلبي واما اقتلك
وارتاح من شرك ولما رايت نفسي مغتصبًا وان لا نجاة لي اردت ان اجيبها الى طلبها غير اني
ترددت وفضلت الموت على التقرب منها حيث ان نفسي كانت تكره ان تراها واذ رايتكما مررتما
من هذه الجهة خطر لي ان التجي اليكما وقد فعلت ذلك على غير انتباه ولا قصد . فكان لحسن
حظي ان قتلتها وارحتني من شرها وصار لك عليّ الفضل والجميل . قال الامير حمزة وما هو
اسمك انت . اجاب اسمي شمروخ . قال الحمد لله صار معي شرشوح وشمروخ وهذه رفقاء
اخر الايام

ثم انهُ صار سائرًا معها من تلك الناحية الى جهة البحر فمشوا عند الشاطي الى قرب العصر حتى وصلوا الى نهر يصب في البحر المالح و وجدوا عند فم النهر جماعة من النوتية يملأُون ماء ومعهم جماعة من التجار في قارب هناك فدنا الامير منهم وسلم عليهم فردوا عليهِ السلام وسالوهُ عن سبب وجودهِ في ذاك المكان قال نحن كنا في مركب فهاجت الارياح وغرق المركب وصعدنا على اليابسة ولنا عدة ايام نطوف في هذه الجهات الى ان رايناكم هنا فاستانسنا بكم فمن انتم ومن اين آتون . قالوا نحن تجار نقصد مدينة منابع الجوهر وقد فرغ معنا الماء فرسي المركب الذي كنا فيهِ وطفنا في هذا القارب على الماء حتى عثرنا على هذا النهر ونحن نملي منهُ وسنرجع الى مركبنا قال الامير هل لكم ان تكرموا علينا وتاخذونا معكم الى تلك المدينة فتحيون نفوسنا ويكون لكم بذلك الاجر والثواب . قالوا حبًا وكرامة . و بعد ان فرغوا من اخذ الماء صعدوا القارب جميعًا وساروا الى جهة المركب فركبوهُ وقد فرح الامير بسيره الى مدينة شرشوح ليسير من هناك الى مدينة قماصيا ويرى لوعة القلوب وكان قلبهُ قد تولع بها جدًا وصار في كل مدة ياخذ الصورة من سرشوح وينظر فيها و يتعجب من ذاك الحسن البديع العجيب وهو لا يصدق ابدًا ان لوعة القلوب تكون في جسمها كما في رسمها وما زال المركب سائرًا والريح موافقة لهُ حتى قرب من مدينة منابع الجوهر فرسي المركب وبعد ان استقر جاء محافظو البحر وصعدوا على المركب وفتشوا فيهِ فراوا البضائع التي فيهِ فطلبوا من اصحابها رسماً عليها يعادل قيمتها . فقال التجار ما هذا الظلم فان كلها لا تساوي هذه القيمة ولا تباع بها واذا كنتم لا ترحموننا نرجع من حيث اتينا . قالوا ان هذا لا يفيدكم فان طلبكم السفر لا تحصلون عليهِ ولا بد من دفع الرسم المطلوب او نحجز البضاعة ونذهب بها الى البر فارتاع التجار وخافوا على اموالهم ولم يعد في وسعهم الامتناع ولا التسليم ووقفوا محتارين في امرهم . وكان الامير حمزة واقفاً يشاهد كل ما يجرى وقد اغتاظ جدًا من المحافظين فدنا منهم وقال لهم هل انتم على الدوام تاخذون هذا الرسم ام ضربتم ذلك موخرًا . قالوا كلاَّ فان قبل هذه الايام كان يحكم علينا ملك عادل اسمهُ شرشوح فكان لا ياخذ الرسم قطعًا ويسهل للغرباء ان ياتوا بلادهُ غير ان هذا الملك قصد السفر منذ ايام فوكل مكانهُ رجلاً ظالمًا غاشماً لا يخاف العاقبة ولا يراعي حرمة الانسانية فجعل يفعل الفحشاء ويضع الضرائب على العباد وزاد دخلهُ فكانهُ يسلب الاموال عيانًا من اصحابها حتى ترى المدينة في قلق وضجر وكل الناس يتمنون هلاكهُ ولا يقدرون على الاتيان بحركة ضدهِ . وعليهِ يكون الرسم هذا لهُ لا لنا ونحن لا ذنب علينا وجل ما نتمناهُ ان يرجع الينا ملكنا شرشوح لنخلص من ظلم هذا واذا ما انفذنا امرهُ قتلنا واهلكنا . فقال لهم حمزة اصبروا هنا الى ان اعود اليكم . ثم انهُ نزل الى القمرة فوجد شرشوح جالساً والصورة بين يديهِ ينظر اليها و يبكي فلعبت بهِ الغيرة والحمية

فتناولها من امامهِ ومزقها ورماها وقال لهُ انهض حالاً فان بلادك قد خربت وماذا يفيدك العشق ولا نصيب لك بهِ فاراد شرشوح ان يدافع وقد احترق قلبهُ فدفعهُ دفعة اربعتهُ وسار معهُ الى ان جاء المحافظين وقال لهم هوذا ملككم شرشوح وقد عاد اليكم فانزعوا عنكم ثقل هذا الحاكم الظالم الجديد وعودوا الى المدينة وبشروا اهلها برجوعهِ وها نحن في اثركم ولما راى الرجال ملكهم فرحوا بهِ جدًّا وقبلوا يديهِ وسلموا عليهِ واخبروهُ بما لاقوا من الحاكم الجديد . فقال لهم سيروا امامنا الى البر ثم نزل في القارب وامر حمزة التجار ان تخرج بضائعها الى البر وتبيعها بغير رسم ونزل المحافظون على الشاطي ودخلوا المدينة وجعلوا يطوفون في اسواقها وينادون بشراكم يا اهل مدينة منابع الجوهر لقد رجع اليكم ملككم شرشوح وتخلصتم من ظلم الحاكم الحاضر اليكم الامان والاطمئنان . فكانت الناس تجتمع من مكان الى مكان وتتبع المنادي وترى ملكها فرحة بهِ وهو سائر الى ان دخل دار الحكومة واذا بجماعة العسكر قد اعترضوا حمزة وشرشوح فجرد سيفهُ وانحط عليهم وفرقهم وقتل منهم اكثر من عشرة انفار ثم دخل الديوان فوجد الحاكم الجديد جالسًا على كرسيهِ فصاح بهِ وقال لهُ من حيث انك ظالم غاشم لا تراعي حرمة العباد وراحة خليقة الله فقتلك لا بد منهُ كيف كان الحال ولا تستحق ان تبقى في هذه الدنيا . ثم ضربهُ بسيفهِ فقطعهُ نصفين والتفت بعد ذلك الى ارباب الديوان وقال لهم هوذا ملككم شرشوح قد عاد اليكم فاما ان تطيعوهُ واما يكون نصيبكم كنصيب غيركم من المعارضين . فقال الجميع اننا لا نريد لنا ملكًا غير شرشوح ونحن ما اطعنا هذا الا خوفًا منهُ والحمد لله على خلاصنا . وجاء بشرشوح فاجلسهُ على كرسيهِ وعاد حال المدينة كما كان سابقًا . ثم ان الامير حمزة اظهر نفسهُ لاهل المدينة وعرفهم عن سبب وصولهِ اليهم وكانت اخبارهُ واصلة الى تلك الجهات فاكرموهُ مزيد الاكرام واولموا لهُ الولائم وعملوا لهُ الافراح مدة سبعة ايام واهل المدينة ياتون اليهِ ويتفرجون عليهِ . وقد نصح حمزة لشرشوح ان يترك لوعة القلوب اذ ما من وسيلة لهُ للوصول اليها . فقال لهُ اني تركتها لاني كنت قبلاً ارى صورتها فاتذكرها والان نزعتها عن افكاري شيئًا فشيئًا وما من نصيب لي بها

وبعد ان قام حمزة سبعة ايام في مدينة منابع الجوهر سال شرشوح ان يحضر لهُ مركبًا يسافر عليهِ الى البصرة فاجاب سوالهُ واحضر لهُ مركبًا كبيرًا واسعًا . فودع شرشوح واهل المدينة وسار من هناك على ظهر البحار مسافرًا الى جهة البصرة وقلبهُ يضرب في جهة قماصيا ونفسهُ تطلب ان ترى لوعة القلوب بنت حاكمها وما زالت الريح موافقة والبحر ساكنًا حتى رسى المركب عند شاطي البصرة فنزل على قماصيا وسار الى جهة المدينة وكان الوقت بعد غروب الشمس بساعة فراى ابواب المدينة مقفلة فطرق الباب وسال الحارس فتحهُ فقال لهُ يجب ان تبقى الى الصباح

لان ابواب البلد لا تفتح الا في النهار واما في الليل فتقفل ولا يؤذن بفتحها قط لاحدٍ . فوقف الامير مبهوتًا ثم التفت الى شمروخ وقال له سر بنا لنلتجي الى كهف نبيت فيهِ هذه الليلة او نرى فندقًا ناوي اليهِ الى حين الصباح . فعرجا وسارا مقدار نصف ساعة واذا بالامير قد راى قصرًا منيرًا في تلك الناحية فمال الى ناحيتهِ وقرب منهُ فوجد بابهُ مقفلاً فجلس عند جذع شجرة هناك على مصطبة نظيفة ومكان مرتب للجلوس وقال لشمروخ اجلس قليلاً هنا ولا بد من السوال عن اهل هذا القصر وسكانهِ فاذا قبلونا هذه الليلة بتنا عندهم واذا كان في ذلك ثقلة عليهم بقينا هذه الليلة هنا الى الصباح فان المكان يوافق للمنامة . وفيما هما على ذلك واذا بثلاثة من الخدم قد حضروا امام الامير وقدموا له مائدة عليها الوان الاطعمة فتعجب من ذلك وقال لمن هذا الطعام . قالوا هو لكما . قال ومن اين عرفتمانا حتى قدمتما لنا الاكل ومن الذي بعثهُ . قال ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قاصيا تقيم فيهِ ايام الحرّ وقد اعدت هذا المكان الذي انتما عليهِ الان لجلوس المسافرين فيمرون على الدوام من هنا ويبيتون بانتظار الصباح لكي يدخلوا المدينة وسيدتنا اعتادت ان ترسل لهم الماكل بحيث يكونون قد دخلوا في ضيافتها . فلما سمع الامير هذا الكلام طار قلبهُ فرحًا وقال لقد وصلت الى المطلوب من اقرب طريق . ثم تذكر الصورة وما راى مكتوبًا عليها من الاحرف فاراد ان يمتحن القضية . فقال للخدم هل في وسع سيدتكم ان تقبلنا لنبيت في هذا القصر باقي ليلنا وفي الصباح نرحل عنها الى المدينة . قالوا هذا لا يمكن قط لانها مقيمة في اعالي القصر وليس عندها ذكر قط ونحن لا نراها الا نادرًا وعندها قهرمانتها فانوس فنخاطبها بواسطتها وما من احد من جميع الذين ضافونا طلب هذا الطلب او بات داخل باب القصر بل في اعالي الشجرة . قال اذهبوا الى سيدتكم واخبروها ان الذي ضافنا هو الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز وطلب الينا ان يدخل هذه الليلة الى القصر فيبيت فيهِ . فلما سمع الخدم هذا الكلام ما منهم الاَّ من ارتاع واضطرب لانهم كانوا يسمعون بان الامير حمزة يحارب كسرى وقد اذل العجم وخافت باسهُ السلاطين والملوك فعادوا متحيرين وجاءوا سلم القصر ونادوا القهرمانة فانوس فجاءتهم وقالت لهم هل يحتاج ضيوفنا الليلة الى شيء غير الطعام . قالوا اخبري سيدتنا ان ضيفنا هذه الليلة هو بحاجة الى ان يدخل القصر وقد ذكر لنا اسمهُ ونحن نكاد لا نصدق انهُ هو . قالت وما اسمهُ . قالوا قال لنا انهُ الامير حمزة البهلوان ابن امير مكة المطهرة الذي انتشر صيتهُ في العالم من مشرق الشمس الى مغربها ولا نصدق ان ذاك الرجل ياتي هذا المكان على مثل هذه الحالة وعندهُ الملوك والفرسان في خدمتهِ وتحت طاعتهِ . فلما سمعت هذا الكلام وقفت مبهوتة نحوًا من خمس دقائق . وكانت لوعة القلوب قد سمعت بعض هذا الكلام فنزلت من غرفتها للاستفسار ودنت من فانوس وقالت

لها ماذا يقول الخدم . قالت لها والله يا سيدتي ما يقولونهُ يحير الافكار ويضيع العقول وهو انهم اخذوا الطعام لضيفين زارا مضيفنا هذه الليلة فطلب احدهما ان يدخل هذا القصر وسأل الخدم ان يطلبوا الى سيدتهم ان تاذن له بالدخول وادعى انهُ الامير حمزة صاحب البند والعلم ومذل الجبابرة والابطال الذي لا يخفاك امره وعلو منزلتهِ في هذا الزمان وهذا لا يكاد يدخل عقلنا قالت ويلك كيف لا يدخل عقلك وهل من العجب أن يزور سيد العرب لوعة القلوب وقد سألت الله ذلك الوف مرات . فامري الخدم ان يطلعوهُ الينا ومتى رايناهُ عرفناهُ . وفي الحال رجع الخدم الى الامير حمزة وقالوا له ادخل فان سيدتنا بانتظارك . فدخل وترك شمروخًا في الخارج وحالما دخل نزلت اليهِ فانوس وترحبت بهِ كل الترحيب واصعدتهُ الى اعالي القصر وهي تتعجب من حسن طلعة الامير وهيبتهِ وقد ثبت عندها انهُ هو هو الامير حمزة بعينهِ . ولما صار في الطابق العلوي تقدمت منهُ لوعة القلوب وسلمت عليهِ وقالت له لقد شرفت فتاة صرفت اشهرًا واعوامًا تتمنى لقاك وترغب ان تراك فالحمد لله على هذا الملتقى الغير منتظر وقد عملت جميع الوسائط لتعلم بي واني عشقتك بمجرد السماع . قال ان من حضر ما غاب ولو رايت صورتك من قبل لما تاخرت الى هذه الايام . فالحمد لله الذي وصلت اليك ورايتك وكنت لا اصدق ان هيئة جسمك تنطبق على رسمك والان اراك ابدع صورة مما في الصورة ولم يقدر المصور ان ياتي ببراعة الصنعة بل قصر جدًّا عن الاتيان بكل معناك وها اراك الان ربة الجمال والهتهُ ثم وضعت يدها بيدهِ وهي طائرة الفواد لا تعي على نفسها من شدة الفرح والمسرة ودخلت الى غرفة فسيحة مفروشة بالاثاث الفاخر والبسط العجمية وجلست على مقعد من الحرير واجلستهُ الى جانبها وهي لا تفتر عن شرح حالها له وقد قالت ملأت الارض صورًا وانا متيقنة بان لا بد ان تقع في يديك احدى هذه الصور فتقصد ان تراني . قال ومن اين عرفتِ بي . كنت ذات ليلة في قصر ابي واذا بتاجر من نواحي حلب قد دخل مدينتنا وهو من اصحاب الفكاهات والنوادر فزار ابي حسب عادتهِ وكان رجلاً شيخًا اعتاد الاسفار والتجارة في نواحي الارض شرقها وغربها محبوبًا من الملوك والوزراء وكان ابي سامعًا طرفًا من حديثك فسالهُ عنك فاعاد عليهِ قصتك من الاول الى ان رجعت من جبال قاف وان كل من راك من النساء احبك وقد تزوجت بعدة نساء وقهرت كسرى انوشروان . وكان الرجل وقلبي يهلع ويخفق ووقعت من قلبي موقعًا عظيماً حتى صرت احسب نفسي من نسائك وانا اصلي الى الله تعالى ان يقيدك اليَّ ولا يحرمني منك ثم خطر لي ان اصور نفسي وانشر صوري بيد الدراويش والسياح عسى ان واحدة منها تصل اليك فتدرك الغاية وتاتي اليَّ فهلاً وقعت واحدة منها بيدك . قال نعم لقد رايت واحدة منها ولهذا السبب جئت اليك . واعاد عليها حديثهُ مع شرشوح وشمروخ حتى وصل الى قصرها و

فشكرت الله وامرت قهرمانتها ان تقدم لهما الطعام ففعلت واكلا وهما غارقين ببحر الغرام والهيام وبعد أن فرغا من الطعام قدمت لهما القهرمانة صفرة المدام والنقل والزهور وارادت الانصراف فقالت لهُ لوعة القلوب لا تنصرفي بل ابقي عندنا واحضري العود واضربي لنا عليهِ فان ليلتنا هذه ليلة حظ وما من باس بقيامك معنا فاجابتها واحضرت العود وجعلت تضرب عليهِ وكانت ذات صوت رخيم جدًا وبراعة بضرب العود وبعد ان شدت الاوتار واصلحت شانهُ وضربت بهِ انشدت

لك لا لغيرك اشتكي　　جور الصدود المهلكِ
فارحم اسيرك انني　　الفي السلاح ام افتكِ
اشكو الى من لا يجيـ　　ـب ولا يرق لمشتكي
واقول يا عين اسمحي　　فيقول ياعين اسفكي
يامعرضًا فضح استتا　　ري واستباح تهتكي
اني فنيت وانما　　امل التلاقي ممسكي

وكانت تلك الغرفة ترقص من الحظ والفرح والامير يشرب الخمر من يدي لوعة القلوب وهي تشرب من يدهِ وتطلب ان لا ياتي صباح تلك الليلة فيبقى حبيبها عندها وتطول حالتهما على مثل هذه الحال غير ان ليل الاجتماع قصير كما ان ليل الفراق طويل فداما على الحظ والمسرة والهناء ومناشدة الاشعار ومعاطاة الخمار الى ان تبلج وجه الصباح وحينئذٍ قال الامير اني رجل اود سرعة العودة الى بلادي ولذلك ارغب في ان اذهب هذا اليوم الى المدينة واسعى في التقرب من ابيك فاتزوج بك واعود الى بلادي لارى كيف حال قومي ورجالي مع كسرى وقومهِ قالت ان هذا اريدهُ واني مثلك ارغب في سرعة التقرب من بعضنا فافعل ما استفاعل وتراني مطيعة لك في كل ما تريد . قال لكني اريد ان اسألك سوالاً عن سبب قفل ابواب المدينة من حين غياب الشمس وقد تاكدت ان لا بد لذلك من سبب عظيم . قالت نعم وهو انهُ منذ سنة تسلط على مدينتنا اسد هائل المنظر فيدخل اليها ويفترس منها اثنين او ثلاثة اشخاص وقد صرفوا الجهد الى قتلهِ فلم يقدر عليهِ احد ولما اعياهم الامر اتفقوا ان يقفلوا ابواب المدينة في المساء ويفتحوها في الصباح وعليهِ فقد ردوا عنهم شرهُ فياتي الليل والابواب مقفلة فيطوف حول المدينة ولا يقدر على الدخول اليها الاَّ انهُ كان يفترس كل من يصادفهُ وعليهِ فاني لا اخرج قط خارج قصري في الليل ولا ادع احدًا من قومي يخرج بعد اشتداد الظلام . قال وهل ياتي الى نواحي هذا القصر . قالت لا اعرف فاني ما علمت انهُ جاء قط ولكني اتوهم انهُ لا بد ان يمر من هنا . قال والذين ياتونك ضيوفًا . قالت بعد ان اقدم لهم الطعام انصح لهم ان يبيتوا في

جوف الشجرة فيعملون من الاغصان سريرًا و يبيتون فضلاً عن اني امرت خدمي ان يعملوا اسرة في جوف الشجرة حتى اذا مرّ الاسد لا يرى بشرًا ولم يعتدِ عليّ الاسد قط ولا اظنهُ يعتدي عليَّ فلما سمع الامير منها هذا الكلام ظهر عليهِ الكدر والاضطراب وقال لها كان من اللازم ان تخبريني بذلك منذ اول الليل فان لي خادمًا اسمهُ شمروخ تركتهُ في الخارج واخاف ان يكون الاسد قد افترسهُ . قالت اني شغلت بك ولم يخطر في ظني ان معك رفيق كما انك شغلت بي عن خادمك وعلى ظني انهُ لا يزال حيًّا . فنهض الامير الى شباك القصر ونظر واذا بهِ يرى الاسد جالسًا يفترس شمروخًا ويرمش عظامهُ فصاح واحسرتاه عليك ياشمروخ خاصتك من الجان ورميتك بانياب الاسد . ثم استل سيفهُ وكرّ في سلم القصر فتعلقت بهِ لوعة القلوب وقالت لهُ لا تخاطر بنفسك يا سيدي فان خادمك قد هلك ومات ولا بد للاسد بعد ان يفرغ منهُ يذهب قال لا بد من قتلهِ بثار خادمي وحيث قد اصطاد انسانًا في هذه الناحية فلا بد من تكرار رجوعهِ قالت ان حياتك عزيزة عندي . قال سوف تريني اذبحهُ كالشاة فهو عندي كالهرة فقفي في الشباك وانظري اليَّ قبل ان يذهب وما من وسيلة للتقاعد عنهُ فكوني راحة من جهتي فقد قتلت مثلهُ كثيرًا والاَّ كيف اكون حمزة العرب وسيد السيف والسنان اذا كنت ارهب الاسود فتركتهُ ورجعت الى الشباك واذا بهِ خرج من باب القصر وبيدهِ الحسام وصاح بصوت اشبه بالرعد القاصف وقال ويلك يا كلب البرية اما حلا لك غير خادم حمزة العرب اما وصلك طرف من اخباري اما عرفت بطشي وقوة ساعدي حتى قدت نفسك الى حفرة الهلاك فلما رأى الاسد الامير وسمع ارعداد صوتهِ تنفض واستعد للهجوم عليهِ وقد احمرت عيناهُ منهُ وزئر زئيرًا عاليًا جعل لوعة القلوب ان تخاف على حبيبها وقد تمسكت بيديها في جهتي الشباك ونويت ان رات الامير وقع بين يدي الاسد رمت بنفسها الى الارض فتموت ويكون قبرها وقبر حبيبها جوف الاسد . ومن ثم قد رات الاسد اجتمع على الاربع وانحذف بكليتهِ على الامير وهو مكشر الانياب مقوم الاظافر فزاد خوفها وعولت على رمي نفسها واذا بها قد ارتاحت الى ضربة سيف وقعت من كف الامير بين عيني الاسد فشقت راسهُ وعنقهُ وصدرهُ وجوفهُ الى ما بين افخاذهِ وانحذف نصفاهُ يمينًا وشمالاً ثم مسح سيفهُ بجلدهِ وقال ويلك ايها المعتدي اظننت ان حمزة كغيرهِ يصبر على عدوهِ . ثم عاد الى ما بقي من جسم شمروخ وجعل يبكي عليهِ وقد تكدر لاجلهِ مزيد الكدر وذم الهوى الذي جعلهُ ان ينسى خادمهُ ورفيقهُ ويلتهي بمحبيتهِ وامر بعد ذلك الخدم ان تدفنهُ التراب وصعد الى اعالي القصر فوجد لوعة القلوب لا تزال واقفة في الشباك وهي غير منتبهة اليهِ بل ماخوذة العقل والفؤاد من عظم ما نالها من الفرح فدنا منها واخذها الى صدره وسقاها الماء فعادت الى وعيها وقالت لهُ اصحيح ايها الامير انك تحسي واني

استحق ان اكون زوجة لرجل باسل نظيرك تخافهُ الاسودُ وتذل لدبهِ الابطال . فقال لها هدئي روعك فانا حبيبك ولا انفكاك لي عنك فساتزوج بك وارجع الى بلادي وانت تكونين من سيدات العرب وزوجة كبيرهم واميرهم . قالت اذن من الواجب ان تذهب الى المدينة وتدخل على والدي وتعرفهُ بنفسك ومن ثم تطلب اليهِ ان تتزوج بي فيسأَلني فاجيب ولا تظهر لهُ انك اتيت عندي او عرفتني . قال هذا اعرفهُ وافعل كل ما يرضيك فكوني في قصرك كما انت وساعود اليك في كل ليلة الى ان نزف من بعضنا

ثم انهُ ودعها وخرج من القصر وهو محروق الفواد على شمروخ وبعد دقائق قليلة وصل من ابواب المدينة فوجد احدها بفتح وحالما فتحهُ البواب وجدهُ عندهُ فاظهر التعجب والاندهاش وقال لهُ اين كنت نائمًا طول هذه الليلة قال كنت نائمًا عند الباب . قال وكيف لم يفترسك الاسد قال جاء اليَّ فطاردتهُ ففرَّ من امامي فادركتهُ وقتلتهُ وهنذا ترونهُ مقتولاً في الخارج فهلموا اليهِ لتتفرجوا عليهِ . وكان جماعة من اهل المدينة واقفين يسمعون هذا الكلام فتعجبوا منهُ وساروا معهُ حتى قربوا من قصر بنت الملك وراوا الاسد قسمين واقعًا الى الارض فتعجبوا وارتاعوا من الامير واستعظموهُ في اعينهم وعادوا راجعين الى المدينة وبادوا بها بقتل الاسد وصارت الناس تخرج وتتفرج عليهِ وكلهم من الفرح على جانب عظيم وبرهة قليلة وصل الخبر الى حاكم قماصيا فسقط الهم عن قلبهِ وطلب ان ياتوه بالرجل الذي قتل الاسد فقدم اليهِ الامير وسلم عليهِ وجلس امامهُ فقال لهُ انت الذي قتلت الاسد قال نعم . قد قتلتهُ عندما اراد ان يعتدي عليَّ وهذا ليس بعجيب فقد قتلت مثلهُ كثيرًا في زمني . قال من اين انت وما اسمك وما الذي جاء بك الى بلادي . قال اما انا فاسمي عبد الله واصلي من بلد الله جئت هذه البلاد لاتوصل اليك واتعرف بك والان اسالك هل من عدو لك في كل هذه النواحي وهل من احد من اتباعك عاصٍ عليك وخارج عن طاعتك . قال نعم ان كل القبائل التي حول جبل قماصيا لا تدفع الجزية منذ خمس سنوات وحتى اليوم خارجة عن طاعتي . قال سوف اجعلها كلها كالعبيد بين يديك . ففرح به جدًّا وعمل لهُ وليمة فاخرة ذلك النهار هذا والناس تاتي من كل ناحية للفرجة عليهِ . وعند المساء طلب من الحاكم ان يدفع اليهِ مائة رجل من رجالهِ ليكونوا في رفقتهِ ويستدل منهم على القبائل العاصية . فاجابهُ ودفع اليهِ مائة رجل فخرج بهم وانحط على الاعداء فانزل بهم الويل وقتل منهم كثيرًا وارغمهم على الطاعة الى حاكم قماصيا ثم انتقل الى جهة ثانية وفعل فيها كالاولى حتى انتشر الخبر بين كل تلك القبائل المجاورة ووقع الرعب في قلوبهم واخذوا يتقاطرون من تلقاء انفسهم الى المدينة صاغرين مظهرين الطاعة نادمين على ما جرى منهم . والحاكم يطلب اليهم ان يدفعوا الجزية عن السنين الخمس الماضية

فيدفعون اليهِ وهو مسرور من عمل الامير حمزة فرح بهِ . ولما رأى الامير ان جميع العصاة قد انقادوا الى سيد البلاد عاد اليهِ . وقال لهُ لقد فعلت ما يرضيك فهل من حاجة بعد في قلبك . قال اني اعرف ان بلادي قد ءاشت بك بعد ان كادت تخرب واريد منك ان تسمح مني وتبقى عندي في بلادي وانا اشاركك في الحكم واجعلك غفير البلاد وحاميها من الاعداء . قال هذا لا ارغبهُ ولا اريدهُ واني بعد ايام قليلة اسافر عنك فاذا كان في نفسك حاجة فابدها . فلما سمع الحاكم هذا الكلام تكدر وخاف من غيابهِ وتمنى ان يبقى عندهُ لترتفع بهِ شوكتهُ وتتسع بلادهُ . فقال اني لا اريد ان افارقك وصار لك الحق في البلاد اكثر مني ولا ريب انك تسرّ بالبقاء هنا فاني وجميع اهل بلادي نعرف قدرك ونعترف بفضلك ولا يصير لك عند غيرنا ما يصير لك عندنا . قال لا بد من السفر بعد ايام قليلة . ثم خرج من دار الاحكام الى المكان الذي اعد لهُ ولما كان المساء ذهب تحت ظلام الليل الى قصر لوعة القلوب فوجدها بانتظاره فسلم عليها وسلمت عليهِ وترحبت بهِ وقالت لهُ قد مضت كل هذه الايام وانت بعيد عني ولم اسمع عن طلبك الزواج الى ابي مني فلما ذلك . قال اني اردت في الاول ان ابادية بالجميل والمعروف ليعرف قدري ويتعلق بي وحتى الساعة لم اذكر لهُ اسمي ولا عرفتهُ بحالي بل قلت لهُ ان اسمي عبد الله وفي هذا اليوم استاذنتهُ ان يسمح لي بالسفر الى بلادي فتكدر وقدم لي بلادهُ لاكون حاميتها وصار لا يقدر على فراقي ولا ريب اني اذا طلبت اليهِ الآن الزواج منك اسرع فاجاب وفرح كل الفرح وفي الغد اسالهُ في ذلك . فقالت لهُ حسناً فعلت . ثم تناولتهُ من تحت ابطهِ ودخلت واياهُ غرفة الطعام وجلست معهُ على المائدة فاكلا وشبعا . ثم خرجا الى غرفة ثانية حيث كانت فانوس القهرمانة قد اعدت صفرة المدام وصفت عليها الزجاجات والاقداح وجلست هي بالقرب منها تضرب على العود وكانت كما نقدم رخيمة الصوت ناعمتهُ حسنة الضرب . فجعلت لوعة القلوب تشرب وتسقي حبيبها وتسمع صوت الالة وكلٌ منهما غارق ببحر هواهُ ضائع العقل عند الاخر وما زالا على ذلك الى ان فاجئتهما سنة الكرى فنهض كل واحد الى فراشهِ وهو ثامل من شدة شرب العقار . وعند الصباح نهض الامير حمزة وودع لوعة القلوب وجاء المدينة ودخل على حاكم قماصيا

قال وكان ابو لوعة القلوب بعد ان خرج الامير من امامهِ قال لقومهِ ماذا ترون في امر عبد الله فاني لا ارغب ان يسافر عنا ويترك بلادنا ونحن في حاجة اليهِ ولا ارى كيف العمل لنجعلهُ ان يبقى عندنا طول عمره ولا يبارحنا . قالوا ان الراي عندنا ان تعرض عليهِ الزواج من بنتك لوعة القلوب وهذا الامر يربطهُ بك ويجعلهُ بالرغم عليهِ ملزوماً ان يحافظ على البلاد ونطلب الى لوعة القلوب ان تقنعهُ بذلك . قال اخاف ان لا يرضى عبد الله بهِ ويذهب عنا

ويتركنا . قالوا لا ريب انهُ يرضى ويكون ممنونًا من هذا لان لوعة القلوب نادرة المثال لا نظير لها في كل العالم فاذا عرف بذلك فرح وسلم امرهُ اليك . فاتفقوا على ذلك ولما كان اليوم الثاني وجاء الامير الى مجلس ابي لوعة القلوب ترحب بهِ واجلسهُ الى جانبهِ وزاد في اكرامهِ وقبل ان يبدي الامير كلمة تتعلق بشان لوعة القلوب قال ابوها اني ارجوك ان تبقى في بلادنا وخطر لي ان ازوجك من بنتي لوعة القلوب التي لا نظير لها في هذا العالم وقد طلبها كثير من الشرفاء والعظماء ولم تقبل ان تكون زوجة لاحدهم واريد منك ان تقبل هذا وترضاهُ ولا ريب ان بنتي ايضًا تسرُّ بهِ بعد ان بلغها شدة بطشك وعظيم قدرك وجسيم بسالتك . قال اني كنت لا ارغب ان اقيم في هذه البلاد اكثر من ايام قليلة وحيث قد انعمت عليَّ بلوعة القلوب فاني اعرف منك هذه النعمة واقدرها حق قدرها واشكر لك هذا المعروف . فلما سمع حاكم قماصيا هذا الكلام سرَّ بهِ جدًّا وفرح فرحًا ما عليهِ من مزيد . وقال لهُ انت منذ هذه الساعة صهري ومساعدي ومعيني ولك الحق في بلادي وفي تدبير امرها كما لي . فكن انت المتصرف والحاكم مثلي ولي ثقة كبرى انك تزيد في شان قماصيا وترفع قدرها وتوسع دوائر حكومتها وتاتي لها بكل نفع

ثم ان حاكم قماصيا ارسل الى بنتهِ وجاء بها الى قصرهِ وعرض عليها امر عبد الله وقال اريد منك ان تقبلي بالزواج منهُ لاننا بحاجة اليهِ واذا ذهب عن بلادنا ساء حالنا واذا كان صهري زوجك خاف باسنا الملوك الكبار والفرسان والابطال وقد رايت من افعالهِ ما ادهشني فقد قتل الاسد الذي عجزت عنهُ انا وكل جيوشي واذل العصاة وسهل لي ولبلادي طرق الانساع فهو بدون ريب نادرة المثال سينتشر صيتهُ في الافاق كانتشار صيت حمزة العرب وربما كان اعظم منهُ ثباتًا في ساحة القتال . قالت افعل ما بدا لك فاني لا اخالف لك امرًا في الزواج بهذا الرجل حيث اني احب الابطال واريد ان اكون زوجة لرجل يدفع عني الغارة وكل معتدٍ ويحمي بلادنا من حملات الاعداء فسرَّ ابوها من كلامها ومدحها وهو لا يعلم ما بينها وبين الامير وعاد اليهِ فاخبرهُ بجواب بنتهِ . ومنذ تلك الساعة اشهر خبر زواج لوعة القلوب بعبد الله ففرح الناس وبدأ بعمل العرس ودعا القريب والبعيد وقد قامت الافراح في كل ناحٍ مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عقد للامير على لوعة القلوب ودخل بها وسرَّ منها سرورًا لا مزيد عليهِ وصرف عندها وقتًا ليس بقليل واطمأن بال حاكم قماصيا من جهة عبد الله وثبت عندهُ انهُ سيبقى الى الممات في بلادهِ . والامير في قصر زوجتهِ مجتمعًا بها يشرب ويسرُّ ويطرب وهو لا يحب ان يفارقها وان ينصرف ايامًا بقربها يتمتع بجمالها وعذوبة الراحة عندها . وهذه تروح من الامير حامل بولد ذكر يدعى سعد الطوفي ويكون من الفرسان والابطال ويخرج عن العرب الشدة

والضيق كما سياتي في محله

فهذا ما كان من الامير حمزة ولوعة القلوب وحاكم قماصيا ولنرجع الى عمر العيار ومعقل البهلوان حيث قد تركناهما سائرين الى قماصيا ليجتمعا بالامير كما تقدم معنا ولا زالا سائرين من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة يخترقان السهول والاوعار ويتسلقان الجبال والآكام وعمر يلتزم ان يسير الهوينا ليساوي في مسيره معقل البهلوان الى ان وصلا قماصيا وصادف انهما جاءا نحو الساعة واحدة من الليل قصر لوعة القلوب وهي فيه مع زوجها الامير حمزة البهلوان فعرجا اليه وجلسا تحت الشجرة التي عند بابه وقد اعجبهما ذلك المكان وقال الامير عمر لرفيقه حيث قد وصلنا البلد والوقت ظلام فننام هذه الليلة هنا وفي الصباح ندخل المدينة ونفتش على الخبر . قال قد اعجبني هذا المكان . وجلس واياه واخرجا ما معهما من الطعام لياكلا واذا بخدم القصر قد خرجوا منه حسب العادة وجاءوا لهما بالطعام فقدموه بين ايديهما . فقال عمر لهم لمن هذا القصر وكيف ارسلوا لنا هذا الطعام . قالوا ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قماصيا ومن عادتها ان تكرم ضيوفها فمن جاء هذا المكان قدمنا له الطعام حيث يكون في ضيافتها فهي كريمة الفعل والطباع . قال جزاها الله خيرًا . ثم تناول الطعام وذهب الخدم في حال سبيلهم فقال عمر يظهر لي ان بنت صاحب قماصيا كريمة وصاحبة فضل ومعروف . قال لا بد ان نجازيها على فعلها هذا اذا ساعدنا الزمان ولا عجب اذا صار منها ذلك فان اهل هذه البلاد اهل كرم وسلام . ثم صرفا ساعات قليلة يتسليان بالكلام . ومن بعدها نام معقل البهلوان وعلا غطيطه . فتركه عمر العيار وقال لا بد لي من ان اعرف لوعة القلوب هذه واعرف من داخل القصر لاني ارى انوارًا كثيرة فيه واسمع اصوات الغناء والعود وجاء القصر وجعل يدور من حوله من كل جهاته حتى ادرك المكان الذي يمكنه الدخول منه فتسلق الحائط وجاء النافذة وانسحب منها ثم قلب الى الداخل وانسل في دهاليز القصر وصعد سلالمه حتى جاء الغرفة التي فيها لوعة القلوب والامير حمزة وكانا اوانتذر على صفرة المدم فقرب من نافذتها ونظر الى الداخل واذا به يرى الامير حمزة جالسًا مع لوعة القلوب وهي كانها الكوكب الوضاح يلالئ في ظلام الليل الحالك وامامها القهرمانة فانوس وقد وضعت العود بين نهديها تضرب به وتغني برخيم صوتها والامير مشغل مع محبوبته بالكلام وقد سمعه يقول لها . اني اسر الان بك جدًا ويفرح قلبي الفرح العظيم ولكن فكري لا يزال يشتغل عند ضواحي حلب حيث ان جيشي مقيم هناك ولا اعرف ماذا صار به واريد منك ان تذهبي برفقتي الى هناك كي تكوني مع نسائي . قالت لا ازال اراك مشغل البال عند قومك وهم بامان وسلام وراحة وعندهم عمر العيار الذي حكيت لي مرارًا انه صاحب الراي الحسن والتدبير العظيم وان العرب بدونه لا تصلح بشيء ولا لشيء .

قال انا اعرف انه ما زال عمرًا بينهم لا خوف عليهم ولا تصلهم اذية لكنهم لا بد من ان يضطربوا لغيابي ويلتزم عمران يسعى خلفي بالتفتيش عليّ واذ ذاك يترك المعسكر ويبعد عنهم وربما جاء هذا المكان ايضًا واعظم شي يدفعني الى الذهاب هو شوقي لولدي ورجالي ونسائي ولا سيما اخي عمر. قالت دع عنك الان هذا الحديث وخذ هذا القدح فاشربهُ بصحة اخيك عمر ودع فانوس تنشدنا عليهِ شيئًا من الشعر تضربهُ على عودها. فضربت القهرمانة ضربًا يحرك الحواس من داخلها ويطرب الشجي الولهان وانشدت

نفسي الفداء لشادنٍ حشمتهُ — وشفيت بالتقبيل منهُ غليلي
ظفرت يداي بصيدهِ بوصيدهِ — فاجدت ثم توصلي بوصولي
صادفتهُ واكفهُ مشغولــة — بابارق قد اترعت بشمولِ
فمنعتهُ بالضم من القائها — وجعلتها تحتيهِ للتقبيلِ

فلما سمع عمر العيار من الخارج ذاك الصوت وشاهد تلك الجلسة غاب صوابهُ ودخل بغتة وقال السلام يا اخي حمزة انت جالس هنا على الحظ والانشراح وضرب العود وشرب الخمار ونحن ندور البلدان ونسأل الركبان ولم نرك قط في مكان. فاندهش الامير ولوعة القلوب من عمر ونهض اليهِ وقبلهُ وسلم عليهِ وقال لهُ اني لا ازال اتذكرك فاهلاً وسهلاً بك. ثم سلم على لوعة القلوب والقهرمانة فانوس وقد مال قلبهُ اليها ورا فيها من معاني الحسن ما جعلهُ يميل اليها كل الميل ويحبها محبة عظيمة. فقال لاخيهِ ابقَ يا اخي على ما انت عليهِ فما اتيت لانغص عيشك بل اتيت لاطمئن عليك والحمد لله انت بخير وسلام. قال اجلس الان معنا وشاركنا في سرورنا فهذه زوجتي لوعة القلوب وقد جئت قاصيا لاجلها وتزوجت بها. فقال عمر لقد احسنت. فهي وقهرمانتها نادرتا المثال. فادرك الامير غايتهُ واجلسهُ الى جانبهِ وهو مسرور بهِ كل السرور وقد تناول قدحًا وناولهُ اياهُ فشربهُ وامر فانوس ان تنشدهُ شيئًا من الشعر. فاخذت العود وضربت ضربًا ناعمًا لطيفًا ترقص لهُ بنات الافكار وتطرب عند سماعهِ الحور والولدان وانشدت

رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا — من كل قد كالقضيب اذا انثنى
ونضوا من السود المراض صوارمًا — بيضًا فلم نعلم علينا ام لنا
هزوا الغصون وكلفوا اعطافهم — حمل الجبال فكان ظلمًا بيننا
من كل ردفٍ كالكثيب مجاذب — قدًّا اغض من القضيب والينا
صدوا وردوا سافرين وجوههم — نحوي فشاهدت المنية والمنا
ضمنوا قرى اسماعنا وعيوننا — للعين رقصهم وللسمع الغنا

فتكدر الامير عمر العيار عند سماع صوتها وغاب صوابهُ وزاد في قلبهِ الغرام ولم يتمالك نفسهُ عن ان ينشد

شجى وشفا لما شدا وترنما ... فانعش ايقاظًا وايقظ نوَّما
وجس من الاوتار مثنى ومثلثا ... فحفت بنا الافراح فردًا وتوَّما
اغن كان العود ضمَّ صدى لهُ ... يحاكيهِ في الناطقِ ان تكلما
يحاكيهِ في الحالين صوتًا ولهجة ... فقد كاد يلقى ضاحكًا متبسما
اذا رتلت الفاظهُ الشعر معربًا ... وعادت لنا اوتارهُ اللفظ معجما
لهُ منطق يستنزل العصم عندما ... يحرك في الاوتار كفًا ومعصما
يضم الى نهديهِ عودًا تظنهُ ... نسيمًا مجزَّى او نعيماً مجسما
كان حشاهُ ضمَّ سرًّا مكتمًا ... يكتم عنهُ او حديثًا مجمجما
يطارحنا شرح الضروب مبرهنًا ... فناخذ نقل اللهو عنهُ مسلما
وان حركتهُ الكف ابدى تململاً ... فحرك منا يذبلا ويلملما

وعندما راى الامير حمزة الى حالة اخيهِ عمر التفت الى لوعة القلوب فراها تنظر اليهِ كعالمة بحالهِ فغمزتهُ ان يجمع بينهما فاجاب في الحال والتفت الى عمر وقال لهُ اني اعرف انك احببت فانوس وهي تستحق هذه المحبة وقد عزمت ان ازوجك بها في هذه الساعة فتكون زوجة لك وتكون انت بعلاً لها وتساوينا بالمسرة والحظ. قال حسنًا تفعل فاني ما شغلت زماني بفتاة ولا عشقت فتاة كعشقي لهذه الفتاة. ثم قالت لوعة القلوب لقهرمانتها اني ازفك الان من الامير عمر العيار فتكونين عندهُ على الدوام لانهُ سيد في العرب ونافذ الكلمة عليهم فاطاعت فانوس كلام سيدتها وفي الحال حسبت زوجة لهُ وبعد انصراف السهرة ذهب كل بزوجته يصرف باقي الليل معها وفانوس هذه تلد من الامير عمر ولدًا ذكرًا يسمى الغماه ذئب ويكون لونهُ احمر وسياتي ذكر حديثهِ ان شاء الله

وفي الصباح نهض الامير واجتمع بعمر وهناهُ بليلتهِ وقال لهُ هل جئت وحدك من حلب او صحبك احد من العيارين والامراء فانتبه اذ ذاك الامير عمر الى حالهِ وافتكر بانهُ ترك في اسفل القصر معقل البهلوان وقال لاخيهِ قد ارتكبنا غلطًا عظيمًا وفعلنا فعلاً جسيماً نستحق لاجلهِ اللوم وشغلت بفانوس وبك عن ان افتكر بمن تركتهُ في اسفل القصر وهو معقل البهلوان وقد تركتهُ نائمًا وجئت انظر من في القصر على امل ان اعود في الحال. فلما سمع حمزة ذلك تكدر وقال لهُ ياوجه القرد كيف لم تخبرني بذلك منذ اول الليل وماذا ياترى يقول عنا معقل وكرَّ الامير من اعالي القصر قاصدًا ملاقاة صديقهِ ليسلم عليهِ ويصعد بهِ القصر ويعتذر لهُ عن

بقائهِ في الخارج وكان في الصباح نهض الامير معقل ونظر الى ما حواليهِ فلم يرَ عمرًا فخاف أن يكون قد اصيب بمصيبة او انهُ وقع في ايدي اهل القصر فتفضلوا عليهِ ولذلك استل سيفهُ وهجم على باب القصر ونادي ويلكم يا اهل هذا القصر اخبروني هل ان رفيقي الاسود الذي كان معي بالامس دخل القصر فاذا كان عندكم ردوهُ اليَّ والاَّ هجمت وقتلتكم باجمعكم وفعلت معكم فعلاً يذكر الى اخر الزمان وهدمت على رؤوسكم قصركم. فاجابهُ الامير من الداخل مرحبًا بك يا اخي معقل فانهُ دخل القصر وجاء الينا. ثم انهُ فتح الباب ونظر كل واحد الى الاخر ورمى بنفسهِ عليهِ يقبلهُ ويضمهُ الى صدره ومعقل يتعجب من وجود الامير في ذلك المكان. ثم ان الامير اخبرهُ بما كان من امر حمزة العيار وقال لهُ ارجوك المعذرة يا اخي فاني لم اطلع على امرك الاَّ الان وعمر لم يخبرني بهِ قط وقد شغل عنك بزوجته الجديدة. قال اني لا اعتب عليهِ فان النساء يشغلن البال ويلهين الاخ عن اخيهِ والاب عن ابنهِ. ثم ان الامير صعد بهِ الى اعالي القصر واجلسهُ هناك وامر الخدم باكرامهِ وان يقدم لهم الطعام جميعًا فاكلوا وشربوا وسروا وطربوا فرحًا ببعضهم. وعاتب عمرًا كيف نسيهُ وتركهُ لوحده في الخارج. قال اني وجدت الامير على صفرة المدام فسهت ان اذكر لهُ انك في الاسفل وارجوك المعذرة واريد منك ان تبارك لي ولاخي بهاتين الزوجتين اللتين امامك فان لوعة القلوب قد تزوج بها الامير حمزة الذي اذا طال عليهِ الزمان تزوج بنساء العالم اجمعها وما ترك فتاة جميلة الاَّ واختارها لنفسهِ وتمنى ان تكون لهُ والثانية وهي فانوس كانت من نصيبي. قال بارك الله لكما بهما. ثم ان الامير حمزة قال اريد الان ان اذهب الى المدينة فهلما بنا ننزل معًا فتتفرجان عليها وتريان اهلها فاجاباهُ وذهبا جميعًا. ولا زالوا في مسيرهم حتى جاءوا دار الحكومة فوجدوا عندها خيولاً غريبة مربوطة وعليها سروج رومية مزركشة بالذهب والفضة فتعجب حمزة من ذلك وقال لا بد من ان يكون قد زار المدينة قوم غرباء لامر مهم ودخل الى الديوان ووقف ببابهِ واذا بهِ يرى رجلا عليهِ ملابس العظمة والجلال جالسًا على مقربة من حاكم قماصيا وهو يوبخهُ ويعنفهُ ويلومهُ بكلام عالٍ وهو مطرق الى الارض لا يبدي خطابًا ولا ياتي بحركة فلعب الغضب بالامير وقامت عيناهُ في ام راسهِ ودخل بغتة الى وسط الديوان وصاح بالرجل ماذا تريد ولاي سبب هذا الكلام. قال ان سيدي قد بعثني بمهمة لهذا الحاكم الغاش ولا بد من خراب بلادهِ وهلاك فرسانهِ وكل رجالهِ وقلع اثاره وهرق دماهُ. ثم اخذ الرجل في ان يبدي للامير حمزة واقعة امره وسبب تهكمهِ على حاكم قماصيا

وذلك انهُ لما انتشر خبر لوعة القلوب في كل البلاد وذاع صيتها في جهات كثيرة من العالم وصل خبرها الى الملك عج ملك الصقالبة وراى بعض تلك الصور التي كانت تصورها فهام بها

وعشقها على السماع وارسل وزيره الى ابيها يطلبها منه زوجة له فلما جاء الوزير الى ابي لوعة القلوب وسالهُ زواجها بسيده احضرها واخبرها بذلك فابت وقالت اني لا احب الزواج ولا اريد ان اكون زوجة لاحد من الناس بل احب ان ابقى منفردة بنفسي بعيدة عن هذا العالم صارفة كل وقتي في قصري فالح عليها ابوها بان ترضى بهذا الملك لانهُ جبار صنديد وفارس مجيد وبطل عنيد وعندهُ من الجيوش ما لا يعد ولا يحصى. قالت اني اعرف ذلك واعترف ان هذا الملك هو اعظم الملوك واشدهم ولو كنت احب الزواج ما اخترت سواهُ ولكنني لا اريدهُ ونفسي تطلب البعد عنهُ. فعاد الوزير الى سيده واخبرهُ بما سمع من لوعة القلوب. فقال اني لا ارغمها على الزواج فربما كانت تكره فيه لكن اذا كانت حكت ذلك عن غش وخداع وتزوجت بغيري لابد من خراب بلاد ابيها وسبيها بالرغم عنهُ. ووضع منذ ذلك الحين العيون والارصاد في قماصيا واقام الجواسيس في قصر حاكمها تخبرهُ بما يكون من لوعة القلوب هل ترد طالبًا اخر او تتزوج بهِ وبقي الامر الى ان جاء الامير حمزة الذي كانت بانتظارهِ ولا ترضى احدًا سواه فتزوجت بهِ كما جاء معنا وحينئذٍ عادت الرسل الى الملك عج واخبرتهُ بما كان من حمزة وان لوعة القلوب زفت عليهِ فقام وقعد وارغى وازبد وقال لا بد من هلاك ابيها وخراب بلاده فقال لهُ وزيرهُ ان لوعة القلوب ذات حسن وجمال وهي معظمة بنفسها وما امتنعت الاشتغال الاكرهًا بك لا بالزواج واراد ابوها ان يجبرها عليهِ فما قبلت فهي المسئولة لديك والخطيئة عندك فالمجازاة يجب ان تقع عليها. قال اريد منك قبل كل شيء ان تذهب الى قماصيا وتطلب من حاكمها ان يرسل لي لوعة القلوب معك سبية فاتمتع بها زمانًا ثم اردها الى زوجها او ابقيها عندي فاذا اجاب عفوت عنهُ وعن بلاده. والاَّ زحفت بجيشي على قماصيا واهلكت كل ذي نفس فيها فاجاب الوزير امر سيدهِ وسار حتى جاء قماصيا ودخل على ابي لوعة القلوب وجعل يتهددهُ بمثل هذا الكلام ويهينهُ ويطلب اليهِ ان يسلمهُ بنتهُ لياخذها ويعود بها الى سيدهِ وهو مطرق الى الارض لا يعرف ماذا يجيب وقد وقع الخوف والرعب على قلبهِ وارتاع واضطرب وايقن اما بخراب بلادهِ واما بتسليم بنتهِ. وفي تلك الساعة دخل الامير حمزة وراى ما راى واعاد عليهِ الوزير طلب سيدهِ الملك فقامت قيامتهُ وصاح بصوت اهتز منهُ القصر من اربع جهاتهِ واشهر سيفهُ وضربهُ بهِ وهو غائب عن الصواب فاصاب راسهُ فشقهُ ورماهُ الى الارض قتيلاً فاضطرب حاكم قماصيا واعيانها وصاحوا بالويل والحرب وقالوا لقد رميتنا يا عبد الله بويل عظيم وشرٍ جسيم فما امامنا الاَّ خراب الديار وقلع الاثار وعما قليل تروح ارواحنا وتدوس رؤوسنا خيول الصقالبة وان ملكهم جبار لا نظير لهُ في جبابرة هذا الزمان وقد اعد عشرة الاف فارس. فقال حمزة لا بد من قتل هذا الرجل وتشتيت عساكره وهلاك رجالهِ وتدريبهم فقال ابو لوعة القلوب

يلبث الا قدر على ذلك لا انت ولا الوف مثلك وعما قليل ترى رجالة مثل الجراد المنتشر حول بلادنا تهدم اسوارنا وتخرب ديارنا وتنزل بنا البلاء الجسيم . قال لقد آن الاوان وصار من الواجب ان نعرف من انا وما هو السبب الذي جئت لاجله بلادك واذ ذاك تعرف ان الذي فرق جيوش كسرى انوشروان وانزل عليه ميازيب العذاب والهوان بعد ان جمع عليه جيوش الشرق والغرب وكل فارس قدر على الطعن والضرب . انا الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ونقمة الاكاسرة وسيد الحق والعدل في هذا الزمان وقد جئت اتزوج بلوعة القلوب حيث قد سمعت بجمالها وانا عائد من جبال قاف

قال فلما سمع الحاكم وجماعته هذا الكلام سقطوا عن كراسيهم الى الارض وصاحوا بصوت واحد بفراك يالوعة القلوب لقد نلت السعادة والاقبال وقارنت بنت كسرى انوشروان ودنوا من الامير يسلمون عليه سلاماً جديداً ويترحمون به وهم ماخوذون من هذه الكرامة التي اخصهم بها الله سبحانه وتعالى بان جعلهم قريبين من رجل ذاك الزمان ووحيد العصر والاوان . فمدحهم وقال لهم كونوا براحة وامان وسوف ارسل اخي عمر العيار لياتي ببعض فرساني وابطالي لكبح هذا الملك الذي يريد ان ينزع مني زوجتي . ثم اخبرهم بخبر عمر ومعقل البهلوان فسلموا عليهما وجلسوا جميعاً ثم ان حمزة دعا برجال الوزير وقال لهم احملوا سيدكم وخذوهُ الى بلادهِ واخبروا ملككم انهُ اذا حدثتهُ نفسهُ بالاتيان الينا لاقى ما لاقاهُ الوزير فحملوه وساروا وبعد مسيرهم امر حمزة اخاه ان يسير الى حلب ويسرع بالاتيان بفرسانهِ الاخصاء ويخبرهم ان مرادهُ خلاص زوجتهِ ومن ثم يعود معهم الى المعسكر . فسار عمر الى حلب وبعد مسيرهِ سال حمزة عمهُ ان يجمع العساكر التي عندهُ وينظر في عددهم قال ان كل ما اقدر ان اجمعهُ هو نحو عشرين الف فارس . قال مرهم ان يجتمعوا في هذه البلد قبل ان يصل الينا ملك الصقالبة اذ انهُ لا ريب يصل قبل ان تصل عساكري ورجالي فبعث برسلهِ الى القبائل المتفرقة حول المدينة ان تجتمع عنده وبمدة عشرة ايام اجتمع عندهُ العدد السابق ذكرهُ اي عشرون الف نفر . وما مضى على ذلك ايام قليلة حتى وصل الخبر بوصول الملك عج برجالهِ وهم بعدد الرمل الذي على شاطيء البحر حيث كان رجال الوزير قد حملوه اليه واخبروهُ بقتلهِ فارغى وازبد وقام وقعد وحلف انهُ لا بد ان يقلع بلاد قماصيا وان لا يترك ذات نسمة فيها . ونهض في الحال وسار بنحو مائة الف فارس

انتهى الجزء التاسع من قصة حمزة البهلوان

ويليهِ الجزء العاشر عما قريب ان شاء الله

الجزء العاشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

من فرسانه الاشداء وسار بهم في البحر الى ان وصل الى قماصيا فصعد البر وضرب خيامهُ بالقرب منها وسرح خيولهُ وعزم على الهجوم عليها في اليوم التالي حيث تكون عساكرهُ قد ارتاحت من سفر الطريق ولما راى حمزة ذلك دعا اليهِ معقل البهلوان وقال لهُ اعلم يا اخي ان اهل هذه المدينة قوم جبناء يشبهون نساء العجم فما من رجاء بهم على القتال واريد منك ان تبذل الجهد في قتال هذا الجمع الكثير الى ان يصل الينا رجالنا وابطالنا . قال سوف ترى مني ما تعهدهُ بي . وحينئذٍ اخذ حمزة العساكر وخرج بهم الى مقابل عساكر الصقالبة وضرب خيامهُ واقام ينتظر صباح اليوم التالي واهل المدينة في اضطراب عظيم بعضهم يومل النجاح والفوز لما يعهدهُ بالامير حمزة من القوة والبطش وبعد الصيت وبعضهم يخاف من الفشل وخراب البلاد عند ما يرى ازدحام الاعداء وكثرتهم

وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق صباح اليوم الثاني وسطت انوارهُ على البسيطة فهبت العساكر من مراقدها ونهضت الى خيولها فركبتها وركب الامير حمزة ومعقل البهلوان وركب الملك عج ومن خلفهِ ابطالهُ ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان صاح الامير حمزة وحمل كانهُ قضاء الله المنزل وكان منذ زمان طويل ما باشر حربًا ولا قتالاً ولا خاض معمعة ولا نزالاً وفعل مثلهُ معقل البهلوان فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وطال سلطان الموت واستطال وكان ذاك اليوم كثير الاخطار . عظيم الاهوال فيهِ ارتفع الغبار . وحجب نور الشمس عن الابصار . وانزل على المتقاتلين امطار الدمار . فلله در الامير حمزة وما فعل وكم من فارس وسيد قتل ولم يكن الملك عج قصر في قتالهِ . او تهامل في قتالهِ . وقد اوقع بعساكر قماصيا اي ايقاع وهم لا يحسنون على ثبات ولا دفاع ولولا حمزة ومعقل البهلوان . لتشتتوا بين البراري والكثبان واختاروا الهرب على البقاء في ساحة الميدان . ودام القتال الى المساء وفيهِ رجع الامير مع رفيقهِ الى الخيام وبات الى اليوم التالي فنهض القومان وتحاربا الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجعا الى المبيت ودامت الحال على مثل هذا المنوال مدة خمسة ايام حتى كاد يتفرق جيش قماصيا لضعفهِ وقلتهِ والامير يشجعهُ ويطيب بخاطرهِ ويعدهُ بقرب النصر وفي الليلة الاخيرة اجتمع بمعقل البهلوان وقال لهُ لم

ارَ بزماني قوماً يخافون الحرب ويهابون الموت مثل اهل هذه المدينة واني تعبت جدًا في هذه الحرب حيث اريد ان افني الاعداء واريد ان احميهم ولا اتركهم عرضة بانياب الاعداء ولهذا ارى ان الحالة التي نحن فيها صعبة جدًا واذا تاخر فرساننا التزمنا ان ندخل عساكر قماصيا الى المدينة ونبقى نحن نقاتل على قدر جهدنا الى ان يفعل الله ما يشاء . فقال معقل لا بد في الغد او ما بعده ان تصل الينا الفرسان لان عمرًا يكون قد وصل اليهم بايام قليلة فساروا في الحال وكيف كان الامر فاننا قادرون على الثبات الى ان ياتينا بالفرج فهذا ما كان من العرب واما ما كان من الصقالبة فان ملكهم اضطرب وتعجب من فعل الامير حمزة وقال لاعيان قومهِ اني ما كنت اظن ان عساكر قماصيا تثبت امامنا ساعة واحدة واني اعرفهم واعرف انهم من اكثر الناس جبنًا ولكنَّ زوج لوعة القلوب هذا الذي يحميهم ولم يسمح لي القتال ان التقي به لاضربهُ ضربة واحدة ازيل بها راسهُ عن جسدهِ وعليهِ فاني عولت في الغد ان اقسم عساكري الى قسمين فعند هجوم عساكر قماصيا ورجالها نضربهم من جهتين ونتركهم في الوسط ولا ندع لهم مجالاً ونبيدهم عن اخرهم كبيرهم وصغيرهم

قال ثم انهُ قسم العساكر الى قسمين واشار اليهم كيف من الواجب ان يفعلوا مع الاعداء وكيف يقاتلوا . وعند اقبال الصباح هبوا من مراقدهم ونقلدوا بنصولهم . وركبوا على خيولهم . وانقسموا الى قسمين وفي كل نيتهم انهم في ذلك اليوم يبيدون الاعداء وينزلون عليهم ميازيب الفناء . واذا بالامير حمزة صاح وحمل ومال الى جهة اليمين ومعقل البهلوان الى جهة الشمال وقامت الحرب على قدم وساق ومدت لاسنة الرماح والبيض الصفاح طوال الاعناق . ولعبت فيهم ريح المحاق . واخذ عزرائيل وقومهِ الى قبض الارواح بالسباق . هذا والحرب تضطرم والرجال تصطدم . ورواق العذاب ينتشر من الشرق الى الغرب . ويرسل من اوتار كبدهِ سهام الويل والكرب . ورأى الملك مع افعال الامير حمزة في رجالهِ فخاف واضطرب . واقسم انهُ لا بد من ان يضيق عليهِ في ذاك اليوم ولا يتركهُ ينجو فصاح برجالهِ ويلكم قوّموا بزاريقكم وارسلوها الى هذا العاتي ومتى قتل انتصرنا انتصارًا عظيماً وملكنا المدينة بساعات قليلة ومن هرب منكم كان جزاؤُهُ الموت والاعدام فقومت العساكر اعنتها وارسلت اليهِ باسنتها واحتاطت بهِ من اليمين والشمال وكان الصقالبة من الرجال الاشداء الذين تضرب بهم الامثال في الشجاعة والاقدام ففضلوا الموت على البقاء واصروا انهم لا يرجعون عن ساحة القتال ما لم يقتلوا الامير حمزة ولو قتلوا عن اخرهم ورأى الامير عنادهم فجعل ينحط عليهم انحطاط البواشق ولو كان عنده جوادهُ اليقظان لما وقع في ارتباك وضيق ولكن الجواد قصر من تحتهِ ولم يجبهُ الى غايتهِ حيث كان من عادتهِ عند ازدحام الفرسان من حواليهِ ان يخترقها من اولها الى اخرها ويقلبها من باطنها

الى ظاهرها . وعليهِ فقد شعر بالتقصير وخاف من ان يقع من تحتهِ الجواد اذا طال عليهِ الحال في ذاك المكان محاطًا بالرجال والابطال . فبذل جهدهُ وابدى من الشجاعة ما يعجز عنهُ كل من حمل سيف و باشر قتال من فرسان الزمان من عهد ادم الى ذاك اليوم وكذلك معقل البهلوان فانهُ وقع بالضيق والشدة واحاط بهِ الاعدا من كل جهة ولم يكن من فارس يفرج عنهُ او يساعدهُ في القتال ليتسع عليهِ المجال وعرف ان الاتكالة على نفسهِ وان الامير لا يقدر ان يصل اليهِ حسب عادتهِ لبعدهِ عنهُ ففعل افعال الجان . وقاتل قتال عفاريت السيد سليمان وراى الصقالبة بدء ذاك النجاح ولاح لهم شخص النصر من خلال ذاك القتال فما قبلوا ان يضيعوا تلك الفرصة فزادوا في القتال وابدوا اشد الاعمال و بربروا بلغاتهم ورموا بانفسهم على الاعداء حتى سالت الدماء . واكتست منها الارض بالاحمرار . وصبغت بلون البهار . وفيما القوم على مثل تلك الحال والامير حمزة ومعقل البهلوان في ضيق المجال . وقد تفرق رجال قماصيا وتركوا الحرب واختاروا السلامة على المات . واذا بعمر العيار قد خرج من بين تلك القفار . كانهُ السهم الطيار وهو ينادي و يلكم ايها الاوغاد قد جاءكم البوار . وحاق بكم الدمار . فخلوا عن الحرب والقتال واطلبوا رؤوس البراري والتلال . حيث وصلت اليكم فرسان العربان . لتلبسكم اثواب المذلة والهوان . وما انتهى من كلامهِ حتى ظهر من خلفهِ اندهوق بن سعدون فوق جوادهِ والمعتدي حامي السواحل . وباقي الابطال الحلاحل . كعمر الاندلسي والنجاشي وقاهر الخيل و بشير ومباشر ولما راوا الحرب قائمة صاحوا وحملوا حملات الاساد وخاضوا معمعة البراز والطراد . فاهتزت الارض لحملتهم . واضطربت الصقالبة عند سماع اصواتهم ودمدمتهم . وظنوا ان الارض انطبقت عليهم من كل الجهات وان اسوار العزاء احاطتهم بحيطان الشدات ولا سيما عند ما راوا رماح العرب تخترق الصدور وتلقي بالاعداء الى وهدات صعاب الامور وسمع حمزة صوت اخيهِ عمر و باقي الفرسان فعاشت روحهُ وانتعشت نفسهُ وباقل من نصف ساعة راى عمرًا حواليهِ يدافع عنهُ و يقاتل ويحمي ظهرهُ ولذلك صاح ونادى بالبشر والامان وسمعت العرب صوتهُ بعد ان غاب عنهم كل تلك المدة فسرت الراحة في ابدانهم وجودوا الطعن والضرب كل اثنين في جهة وقرب العصر التقى الامير حمزة بالملك عج فصاح بهِ وخبلهُ وتجاول واياهُ مقدار ساعة ثم ضربهُ بحسامهِ على راسه شقهُ نصفين فالقاهُ قتيلاً فقطع عمر راسهُ ورفعهُ على خنجرهِ وجعل يصيح بين الفرسان هذا راس ملككم ياصقالبة واذا ثبتم فنيتم عن اخركم ولما راي الصقالبة ذلك فروا من امام ابطال العرب وطلبوا الهرب وغابوا عن تلك الناحية والفرسان تضرب باقفيتهم الى ان جاء الليل فرجعوا فرحين ولما راى عسكر المدينة انهزام الصقالبة فرحوا جدًّا واخذوا في جمع الاسلاب والغنائم والتقى حمزة برجالهِ فسلم عليهم واحدًا

بعد واحد واذا بابي لوعة القلوب قد وصل اليهم فسلم عليهم وترحب بهم ودعاهم الى المدينة فدخلوا بالفرح والاستبشار ولاقتهم النساء بالمزاهر والدفوف وبايديهم المصابيح وهم يدعون لحمزة وقومهِ ويشكرون من اعمال العرب . وقد امر الامير ان تجمع الخيول والمؤن وكل ما تركهُ الصقالبة ويعطى الى حاكم المدينة ورجالها وصرفوا تلك الليلة مع بعضهم البعض وحاكم قاصيا يذبح لهم الذبائح ويقدم لهم الطعام والخمور وهم فرحون بسلامة الامير حمزة ولم يرضَ احد منهم ان يخبرهُ بفعل زوبين الغدار وافلنطوش خوفًا من تصديع خاطرهِ على مهردكار وابنه عمر اليوناني بل ابقوا ذلك الى حين يعودون معًا . وكانوا وهم بحلب ينتظرون عودتهُ الى ان جاءهم عمر ودعاهم اليهِ فاجتمع مائة فارس من روساء العرب وساروا في الحال بعد ان ادخلوا الجميع الى البلد خوفًا ان ياتي كسرى في غيابهم ويبطش بهم ويذيقهم العذاب الاليم

هذا والامير في تلك الليلة فرحان بقومهِ وفكرهُ عند لوعة القلوب لانها كانت في القصر وحدها ولا بد انها تحب ان تراهُ ليطمئن بالها ويرتاح ضميرها عليهِ ووطد العزم انهُ في الصباح يذهب اليها ومن ثم يرحل في الحال الى بلادهِ وينتهي من غيابهِ وسفرتهِ ولم تدعهُ مروتهُ ان يفارقهم تلك الليلة بل بقي بينهم الى الصباح وعند الصباح ركب وخرج الى قصر لوعة القلوب فوجد بابهُ مفتوحًا فدخل قليلاً واذا بهِ يرى الخدم مقتولين ومتروكين على سلم القصر فارتاع وخفق قلبهُ وخاف على زوجتهِ فصعد القصر في الحال وفتش على لوعة القلوب وعلى قهرمانتها فانوس فلم يرَ لها اثرًا فزاد قلقهُ وفتش في كل نواحي القصر دون ان يحصل على نتيجة وحينئذٍ كرّ راجعًا في الحال واخبر اباء لوعة القلوب بما كان من امرهِ في القصر وكيف ان الخدم مذبوحون وهي مع خادمتها مفقودتان فاضطرب الجميع وخافوا ان تكونا قد سرقتا واخذتا مع جماعة الملك عج الذين هربوا وساروا عن تلك النواحي . وكان عمر باضطراب على زوجتهِ فقال لاخيهِ اذا شئت ان تفتش على زوجتك وزوجتي فهلمّ بنا نسير في البحر على احدى المراكب فنلحق بالاعداء ونفتش المراكب ومن كانتا في مركبهِ غرقناهُ ورجعنا بهما . فاسرع حمزة الى البحر وركب على مركب وسار يخترق البحار واينما وجد مركبًا سائرة عرّج اليها حتى وصل الى مركب قد جمع شراعهُ ووقف في وسط البحر فقرب منهُ ودخلهُ مع اخيهِ عمر واذا هو من مراكب الصقالبة فقبضوا عليهِ وعلى من بهِ وسالوهم عن لوعة القلوب فما منهم من اجاب . واخيرًا كان بينهم رجل يعرف الفارسية فحاكاهما بها وقال ان جماعة الصقالبة جاءوا بفتاتين الى مركبنا هذا ونزلوا معهما وساروا جميعًا وانا بينهم حتى وصلنا الى هذه الناحية والريح طيبة معنا والمركب على اتم سرعة واذا بفتاة من فتيات الجان قد انحدرت من الجو الاعلى الى قاع المركب فاختطفت الفتاتين وطارت بهما في الجوّ الاعلى فارتبكنا في امرنا وجمعنا شراع المركب ونحن كما ترانا

متحيرين مضطربين . فقال الامير ومن الذي جاء بها فدلة عليهم فهجم عمر العيار ورماهم الى البحر وعاد الى اخيهِ ونزلا في مركبها ورجعا الى المدينة حزينين . ولما صارا في البر قال حمزة لعمر اني لا ارجع ما لم ارجع لوعة القلوب وعليهِ فاني ساطلب من فرساني ان ترجع الى حلب وتنتظرني الى ان اعود . واسير واياك نفتش على بركة الله عساهُ يوصلنا الى نسائنا فنرجع بهما . فقال لهُ كفى يا اخي فاننا الان في ويل اعظم وقد حان الوقت الذي يجب فيهِ ان ارجع مهردكار وابنها وطوربان وابنها . قال ويلك اين مهردكار وطوربان قال اعلم يا اخي اني لما جئت هذه المدينة وجدتك بحظٍ وسعادة وهناء فما اردت ان انغص لك عيشك بل صبرت وفي نيتي ان اعود واياك بعد زمن قريب فاخبرك بما وقع على العرب ثم كان ما كان من امر الصقالبة والان تحب انت ان تطيل المدة وتسير في براثن الاقفر فتهلك زوجتك ولا تعود تراها في كل حياتك . ثم اخبرهُ بكل ما كان من امر العرب مع زوبين الغدار وافلنطوش المكار وكيف غدرا بهم وسرقا النساء وبعد الجميع عن حلب . قال ويلك وابن ابني عمر اليوناني . قال لا نعرف اين مكانهُ ولا باي ارض هو فاننا في صباح اليوم الذي كبس به الاعجم العرب افتقدناهُ فما وجدناهُ ولا علمنا في اي مكان هو وقد سرت الى المدائن واجتمعت بالوزير بزرجمهر فاخبرني ان كسرى ارسل خلف هدهد مرزبان ليأتي باخذ مهردكار وطوربان وباقي النساء والاولاد ليقدموا في عيد النيروز ضحية للنار وانا عازم على خلاصهم لكني اخرت ذلك الى حين مجيئك الى قومك فيبقى فكري براحة والان قد كاد يقرب زمان هذا العيد الذي تحترمهُ الفرس وتعتبرهُ وتقدم ضحاياها فيهِ . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام غاب عن الصواب وسار الى ديوان ابي لوعة القلوب فسالهُ عنها . فقال ما وجدتها وضاع فكر الامير وغاب وعيهُ ونسي لوعة القلوب وصار كل فكره عند مهردكار واولادهِ . ثم اجتمع بفرسانهِ وقال ويلكم كيف ما اخبرتموني منذ الاول بامر مهردكار وما فعل بكم الاعجام . فقال لهُ انَّا ما جئناك بوقت سلام بل وصلنا اليك وقت القتال . ومع كل ذلك فان الحق باجمعهِ عليك لاننا طالما اخبرناك ان الفرس لا يعبدون الله وان زوبين لا يمكن ان يقلع عن غدره ولو ملكتهُ الدنيا باسرها ولولاك لقتلناهُ وقتلنا افلنطوش وكنا الان براحة منهما ومن قومهما قال قد مضى ما مضى ولم يبقَ الا السعي في سبيل خلاصهم ومجازاة كسرى وقومهِ على الغدر والخيانة . ثم انهُ في الحال ودع حاكم قناصيا ووعدهُ انهُ لا يترك لوعة القلوب ولا بد من ان يفتش عليها وسار من هناك بكل عجلة مع قومهِ وابطالهِ

قال وكان السبب في فقد لوعة القلوب هو انها كانت في قصرها عندما كانت الحرب واقعة بين زوجها والصقالبة واذا بعشرة رجال قد دخلوا بغتة القصر وقتلوا العبيد وجاءوا لوعة القلوب فحملوها وحملوا فانوس وساروا بها الى البحر وكان الوقت في اول الليل والصقالبة

قد هربوا وركبوا المراكب وساروا منقطعين خوفًا من ان يلحقهم العرب ويمنعوهم عن دخول البحر فنزل هولاء في مركب كان باقٍ بانتظارهم وساروا بلوعة القلوب وفانوس وفي كل نيتهم انهم فازوا بالمطلوب وحصلوا على الفتاة التي وقع الحرب لاجلها وقهروا الامير حمزة بالحصول عليها وسار المركب بهم الى ان بعد كثيرًا وقد انفرد عن باقي المراكب ليعرج الى احدى الشواطي وينزل الرجال هناك يتمتعون بغنيمتهم ولما اشرق النهار ووضحت الشمس نظر الصقالبة الى لوعة القلوب فوجدوها حورية من حوريات الجنة لا نظير لها في بلادهم فمالت قلوبهم لها وتمناها رئيسهم وقال لهم اني احب ان اخذها لنفسي ولا اترك احدًا منكم يصل اليها وكفاكم الفتاة الثانية فافعلوا بها ما تريدون. قالوا لا بل هي غايتنا فاننا نطيع لك في كل شيء اما في ترك هذه الفتاة فلا فاننا نفادي بحياتنا من اجلها. قال لا بد لي من ذلك فاصرّوا على العناد وكاد يقع بينهم القتال. وبالصدفة كانت اسما برّي طائرة في الجوّ الاعلى ومن خلفها بنتها قريشة حيث كانت لا تفارقها خوفًا من انها تصادف اباها فتاتي به كالعادة لتعذبهُ وتبعدهُ عن قومهِ عند حاجتهم اليهِ فرات ما هو واقع في المركب فسقطت من الجوّ الاعلى لما رات لوعة القلوب تبكي وكذلك فانوس واخذتها من المركب الى البرية وسالتها عن حالها. فقالت لها لوعة القلوب اني بنت حاكم قاصيا وزوجة الامير حمزة البهلوان. وحكت لها كل ما هو حاصل لها وواقع عليها وعلى قومها وزوجها وكيف انهُ يحارب الصقالبة وقد كسرهم في ذلك اليوم وابعدهم عن المدينة وفيما هم هاربين انفرد منهم عشرة واخذوها وهم يتقاتلون لاجلها. فتكدرت اسما برّي عند علمها انها زوجة الامير حمزة وقالت لها من ابن صرت زوجة لهُ وفي اي يوم تزوج بك فاخبرتها بامرها معهُ. فالتفتت اسما بري الى بنتها قريشة وقالت لها كيف رايتِ اباك وانت تلومينني فانهُ اينما سار يتزوج ويقيم عند نسائهِ اشهرًا ويحارب من اجلهنّ وانا لا يقيم عندي الاّ بالرغم عليهِ وكيدًا لهُ اريد ان اقتل هاتين الجاريتين واقتل كل نسائهِ كي لا يبقى لهُ زوجة غيري. قالت ان ابي حرٌّ بذاتهِ لا تقدرين على عنادهِ ولا ادعك تمدين يدًا الى هذه الفتاة فانها خالتي زوجة ابي وقتلها يغيظهُ فاذهبي في حال سبيلك ودعيها وشانها مع رفيقتها. ثم حملتها قريشة ووضعتها بالقرب من قرية هناك وقالت لهما سيرا على توفيق الله فهو يعينكما على الحياة الى ان تصلا الى بلادكما. وتركتهما ومضت الى والدتها وذهبتا من هناك ودخلت لوعة القلوب مع جاريتها الى مدينة صغيرة هناك وكلتاهما حاملين وصارت تبيع من حلاها وتصرف على نفسها ولنتركهما هناك الى ان ياتي الكلام عليهما في محلهِ

واما الامير وجماعتهُ داوموا المسير يقصدون حلب حتى وصلوا الى وادٍ اسمهُ وادي الكمال فنزلوا فيهِ ليرتاحوا وقال لهم عمر العيار ابقوا هنا الى ان اعود اليكم ومرادي ان اسير الى المدائن

وارى كيف حال مهردكار وهل وقع شيء جديد بشانها وربما قدرت على خلاصها وخلاص الذين معها. فارجع ومعي الجميع ولا بد لي في هذه المرة من ان القي بقلب كسرى حسرة لا تستأصل الى اخر الايام. فاجابوه واقاموا في ذاك الوادي ينتظرون رجوعه وسار هو الى ان وصل الى المدائن في نصف النهار فدخل حسب عادته الى الديوان ووقف ينتظر خروج بزرجمهر الى ان خرج فسار في اثره حتى دخل قصره فتاثره ودنا منه وسلم عليه. وقال له اني عدت ياسيدي من قماصيا ومعي اخي والفرسان وقد تركتهم في وادي الكمال بانتظاري وجئت اليك اقبل ايديك وارى ماذا جرى في كل هذه المدة اي في حين غيابي وهل لا يزال الملك كسرى مصرًّا على تقديم النساء ضحية للنار. قال كيف يعدل ويخنك الوزير يذكره به في كل يوم وانا قائم على مقالي الجمر الليل والنهار خوفًا من احراقهن مع الاطفال وقد قرب عيد النيروز وعما قريب سيصل هدهد مرزبان فياخذهم الى خراسان يضحيهم جميعًا فتاكلهم النار. ويكونوا قد اصيبوا بهذه المصيبة بسببكم ولا بد ان الله يجازيكم عليها لانهن قد تركن دينهن وتمسكن بدين الحق وخالفن ابائهن وسلمن بانفسهن اليكم فلا سامح الله اخاك اذا اصبن بشيء حيث تقاعد عن قتل زوبين وسلم الى غدره وخيانته. قال لا تخف يا سيدي على النساء فاني قادر على خلاصهن وسوف اذكرك بذلك وتراني قد فعلت شيئًا عجيبًا يذكر الى اخر الزمان. واريد منك فقط ان تخبرني انه عندما يجيء هدهد مرزبان ماذا يفعل وكيف يكون مجيئه ومن الذي يرافقه وكيف تكون عبادة النار فاخذ الوزير في ان يشرح له بالتفصيل كل شيء وكيف في كل عام ياتون المدائن وماذا يكون من كسرى عند وصولهم. ثم قال له اخيرًا لا تتهامل يا عمر فان هدهد مرزبان سيكون هنا بعد عشرة ايام وقد وعد رسول كسرى بذلك وعين له الزمان فاذا تاخرت هلك الجميع واحتملتم خطيتهم وحاسبكم بها الله في اليوم الاخير ولا سيما مهردكار وطوربان فانهما عاملتان على البكاء الليل والنهار لا تنفكان وقد قطعتا الياس والرجاء من الحياة وخصوصًا عند ما تريان ان الوفًا من العساكر والحجاب تحيط بهما خوفًا عليهما من الخلاص قال كن راحة يا سيدي فاني قريبًا اريك بعينك ما اريد ان افعله وتشهد لي باني اقدر على اتمام ما اقول ثم انه ودع الوزير وخرج من عنده عند نصف الليل وهو لا يريد ان يضيع دقيقة من الزمان وسابق البرق بسيره حتى وصل الى وادي الكمال حيث كان الفرسان والابطال بانتظاره. فقال لا تبارحوا هذا المكان حتى اعود اليكم بالنساء وافعل ما خطر لي فعله لان عيد النيروز قد قرب والمرزبان الاكبر سياتي المدائن وياخذ النساء والاولاد الى المعبد ليقدموا ضحية للنار كفارة عن خطايا اولئك الاشرار. فقال حمزة دعنا نكمن لهم في الطريق فمتى جاءوا بالنساء كبسناهم وخلصناهن منهم قال ان الوزير اخبرني انه سيكون مع هدهد مرزبان نحو خمسين

الف فارس فيحتاج الامر الى قتال عظيم بينكم وبينهم واني اعرف انكم تقدرون على تشتيت اولئك الفرسان غير انهُ ربما ما قدرتم على خلاص النساء والاولاد فيهربون بهم عند شعورهم بكم ومع كل هذا فاصبروا هنا الى ان اعود اليكم واري كيف تكون الحال . ثم دعا بكبير عياريه واسمهُ شيحان وامرهُ ان يسير خلفهُ ومعهُ خمسة عشر عيارًا من عياريه فاجابهُ وساروا جميعًا الى ان وصل من وادي خرسان وكشف عن بعد ضواحيهُ فراى خيامًا منصوبة وخيولاً تسرح ورجالاً تمرح في ذاك الودي . فتاكد انهم من الفرس فاوقف عياريه في ذاك المكان واوصاهم ان يختبئوا الى ان يعود اليهم وجاء الى ذاك المعسكر واختلط بهم . ثم انفرد بواحد منهم وسلم عليهِ وقال لهُ اظنكم يا سيدي سائرون الى المداين فاني منذ اربعة اشهر سمعت بان سيدنا الاعظم وركن ديننا هدهد مرزبان سياتي لياخذ الكافرات اللاتي نجسن دين النار واركبن علينا العار فيقدمهن مع اولادهن ضحية للنار فهل انتم الان سائرون الى قضاء هذا الامر . قال نعم وقد خرجنا مع مولانا لنكون في خدمتهِ نستمد بركاتهِ ونستضيء بنورهِ وندافع عنهُ غارات الاعداء اذا تجاسروا ان يفكروا بهِ شرًّا وهو الان في صيوانهِ مع مرازبتهِ الاثني عشر وبعد قليل من الايام نكون في المداين فناخذ هدايا كسرى وكل ما يريد ان نقدمهُ اكرامًا لعبادتنا وناتي ايضًا بمهردكار واخيها وطوربان وابنها ومن معها لنرميها بالنار يوم عيد النيروز ونسالها السماح والرضى عن الفرس . فصبر عمر الى ان انفرد بنفسهِ وجاء الى ناحية صيوان هدهد مرزبان فوجد عند بابهِ اربعة من الحجاب يمنعون الناس من الدخول فوقف ونظر الى الداخل فراى في الصدر رجلاً مسنًا جليل القدر عظيم الهيبة والوقار جالسًا على تخت من الفضة محلى بالذهب وعلى جانب من التخت كرسيًا من الفضة ايضًا جالسًا عليها رجل يقربهُ بالعظمة والجاه والى جانب هذه الكرسي ١١ كرسيًا يجلس عليها ١١ رجلاً وكلهم من المرازبة وفي وسطهم تنور من الفضة تضرم بهِ النيران ويفوح منها الروائح الزكية وكلما خف اشتعال تلك النار اضرمها اولئك المرازبة نصبر يفكر فيما يعمل وهو يتامل في تلك الحالة ويستفيد منها وقد عرف ان الرجل الثاني هو كاتم اسرار المرزبان الاكبر والواسطة بينهُ وبين باقي رفاقهِ وبين من يريد سهُ بركة او يسالهُ امرًا . وفيما هو على مثل تلك الحالة واذا بهِ راى ذاك الرجل قد خرج فسجد لهُ الحجاب وانفرد قليلاً لقضاء حاجة فباغتهُ عمر ولف راسهُ بعباتهِ وعدا بهِ بعيدًا عن الصيوان ولم يمكنهُ من ان يصيح صوتًا واحدًا قبل ان صار في البرية وحالاً انزلهُ الى الارض ورفع عن راسهِ العباة . وقال لهُ اذا حدثتني بكل ما اسالك اياهُ عفوت عنك والاَّ اخترقت صدرك بهذا الخنجر فارتجف وقال لهُ اسالني ماذا تريد اجيبك قال ما هو اسمك وما هي خطتك عند المرزبان الاكبر . قال اسمي مرزان كبير مراز بن هدهد مرزبان وحافظ سره والواسطة بينهُ وبين الناس وكل من يريد منهُ امرًا

حيث ان من قواعد ديننا انهُ لا يجوز لمن كان رئيساً للدين ان يخاطب حتى اذا شاء لا يخاطب كسرى انوشروان فلا يجسر على الوقوف امامهُ فيسالهُ ما يريد بواسطتي . قال والى اين سائرين الان قال اننا سائرون الى المدائن لناتي بمهردكار وطوربان ومن معها لنحرقها يوم العيد وفي مساء امس اخبرني ان مرادهُ يبقي المعسكر في هذا المكان ونسير به نحن الى المدائن فياتي بالنساء ونعود جميعاً حيث ان الطريق امان وما من عدو فيها وعند رجوعنا نقيم في هذا الوادي مدة ايام فنعمل العيد فيهِ ونضرم النار في كل مكان للعبادة والسجود وندعو كسرى بتبعنا اليهِ . وبقي الامير عمر يسالهُ كلما يحتاج ان يسالهُ اياهُ ولما فرغ ضربهُ بالخنجر فقتلهُ وواراهُ التراب بعد ان نزع ثيابهُ ولبسها ونظر في المرآة وطلب ان يصير كهرزان المقتول فصار في الحال نظيرهُ وجاء الى المكان الذي بهِ شيحان وجماعتهُ فجاء بهم وامرهم ان يكمنوا حول الصيوان الى ان يدعوهم ودخل هو فقام لهُ المرازبة احتراماً ثم تقدم الى النار المتقدة ورمى فيها من البنج شيئاً كثيراً وسد انفهُ فوقع الجميع كالاموات فدعا بعياريهِ ان يدخلوا وينزعوا ثيابهم ويلبسوا ثياب اولئك المرازبة ففعلوا وطلب من المرآة ان يصيروا كمرازبة النار فصار الجميع ثم تناول خنجرهُ وقتل الجميع وطمرهم في ذاك المكان ولبس هو ملابس هدهد مرزبان وجلس على تختهِ والبس شيحان ملابس هرزان الذي قتلهُ في الخارج وجلس الجميع حول النار واقام اربعة من الحجاب عند الباب وهم الذين زادوا من عياريهِ وبعد ساعتين اصبح ذاك الصيوان يجمع عمراً ورفاقهُ وهم كانهم من اعظم روساء اديان الفرس وناموا تلك الليلة فرحين بالفوز وعمر على ذاك التخت الفضي وعليهِ الملابس الذهبية وعند الصباح نهض من فراشهِ ونظر الى العيارين وصار يضحك في قلبهِ منهم ثم نظر في المرآة وراى وجههُ واذا هو كهدهد مرزبان الذي كان راهُ في الليل وحينئذٍ دعا بشيحان وقال لهُ يا هرزان قل لباقي المرازبة ان يتقدموا مني ويقبلوا يديّ قبل ان يدنو من النار ويسجدوا لها . فبلغهم شيحان ذلك فتقدموا وسجدوا بين يديهِ وقبلوا اذيالهِ ورجعوا جالسوا حول النار فقال لهم عافاكم الله اتقنتم الصنعة واحسنتم الطاعة والعبادة . ثم انهُ التفت الى شيحان وقال لهُ اخرج انت الى باب الصيوان ونادي بقواد العساكر ان ياتوا الى امام الصيوان ويسجدوا للنار حسب عوائدهم وبعد ذلك اخطب عليهم ما هو كذا وكذا واعلمهم بان غايتي ان يبقوا في في هذا المكان واسير انا بكم الى المدائن ومن ثم اعود بالنساء ونفعل العيد في هذا المكان مدة ثلاثة ايام . ثم توسد عمر على التخت وتمدد . فقال لهُ شيحان بارك الله فيك من مرزبان لا نظير لهُ بين عبدة النار . ثم ان هرزان وقف في باب الصيوان وصاح بالقواد والاعيان فحضر الجميع ومن خلفهم العساكر . فقال لهم ان النار قد اتقدت فاسجدوا لها وفي الحال خرَّ الجميع وسجدوا بكفرهم وضلالهم الى ذاك اللهيب وبقوا نحواً من ساعة . ثم رفعوا روُّوسهم ووقفوا ينتظرون ما

يامر بهِ سيدهم هدهد . فقال شيحان

اعلموا ايها القوم الذين اصطفاكم سيدكم الاكبر قاعدة دين النار الحائز على رضاها والخادم الامين على عبادتها سيد الانقياء وينبوع البركات انهُ راضٍ عنكم مسرور منكم (فصاح الجميع فلتنعم علينا النار ببركاتهِ) ولذلك لا يريد ان تتحركوا من هذا المكان حيث انهُ يريد ان يعمل العيد فيهِ فاسرحوا وامرحوا واحضروا ملابس العيد وانتظروهُ هنا الى ان يذهب الى المدائن ويبارك كسرى انوشروان ويستلم منهُ النساء اللاتي اعددن للضحايا والاموال التي اعدها لكم لتقسم بينكم والهدايا التي تقدم اليهِ . وحيث من عوائدكم في مثل هذا العيد المبارك ان يقدم كل منكم تقدمة للنار لتحرق على نيتهِ فتكون راضية عليهِ وحافظة لروح ابائهِ واجداده فاحضروها الى حين عودتهِ واعظم شيء اوصاني سيدي وسيدكم هدهد مرزبان ان لا يقرب احدكم من المكان الذي ضرب بهِ صيوانهُ لانهُ مقدس ومبارك وغايتهُ ان يجعل الانون الكبير في هذا المكان فاياكم ان تدنو منهُ او تقربوا اليهِ فيغضب عليكم ومن قرب او افتكر ان يقرب يكون محروماً ومغضوباً من قاعدة الدين . واخيرًا اني اطلب الى النار ببركة هذا السيد العظيم ان تقبل ارواحكم وان تحرق ارواح ابائكم واجدادكم وتحفظها فيها الى ابد الابدين وان تحرم منها ارواح اعدائكم وكل الذين على غير دينكم امين

وعند فراغ هرزان من خطبتهِ ضج الجميع بالدعاء للمرزبان الاكبر وحينئذٍ اشار اليهم ان ينصرفوا فانصرفوا شاكرين متعجبين من فصاحة هرزان ومحبة هدهد مرزبان . وبعد ان انصرفوا تقدم شيحان من سيدهِ وقال لهُ لقد انفذت غايتك وبلغت القوم ما امرتني فماذا تريد بعد ذلك قال اريد ان تجمع هذا الصيوان وترفعهُ على البغال وتتقدموا انتم الاثنا عشر مرزباناً وتحملون هذا التخت وتسيروون بي في طريق المدائن . فقال لهُ شيحان ان هذه ثقلة كبيرة تريد ان تحملنا اياها فكيف نحملك انت والتخت الى المدائن فقم امشي مثلنا واي متى صرت تحمل على العواتق قال قلت لك افعل ذلك والا امرت النار ان تحرقكم وجعلتها تغضب عليكم اذا عصيتم لي امرًا . فضحك حينئذٍ هرزان وقال لهُ اننا نحملك الى ان نغيب عن المعسكر وبعد ذلك نرميك الى الارض ودع النار تفعل ما تشاء بنا . ثم انهم جمعوا الصيوان ورفعوه على ظهور البغال وساقوها امامهم ومن خلفها الحجاب من عياري عمر وتقدم الاثنا عشر مرزباناً فحملوا التخت على عواتقهم وطافوا بهِ من كل جهاتهِ وساروا عن تلك الارض الى ان قرب العصر فنظروا الى ورائهم فلم يروا احدًا وتاكدوا انهم بعدوا كثيرًا عن المعسكر . فقال شيحان انزل يا عمر فقد تعبنا منك . قال قلت لكم سيروا والا عزلتكم وجعلت النار تغضب عليكم فاني مرتاح من هذا الحمل وما ذقتهُ زماني بطولهِ . فامر شيحان باقي العيارين ان يضعوا التخت ففعلوا وقال

لعمر جعلناك مرزبانًا كذابًا على الاعجام لا على العرب فقم وامش . فنهض وهو يضحك منهم ورفعوا التخت وساروا على تلك الحالة حتى كادوا يقربوا من المدائن وحينئذٍ قال لهم عمر قد اشتقت للحمل وصار من الواجب ان تعودوا الى وظائفكم وتوقدوا النار ولا تظهروا خلاف ما علمتكم كي نتمم حيلتنا ونقهر الفرس ونسترجع النساء والاولاد ففعلوا وحملوه وساروا به حتى لم يعد بينهم وبين المدينة الا ساعة واذ ذاك ارسل شيحان وقال له اذهب الى كسرى واطلعهُ على قدومي وامرهُ ان يخرج الى تقبيل يدي هو ومن عندهُ وان لا يتاخر ولا دقيقة . فاجاب وسار حتى دخل باب المدينة فراهُ الناس وفرحوا بهِ وجعلوا يزدحمون عليهِ ويقبلون يديهِ ويرفعون اذيالهُ على رؤوسهم يتباركون بهِ لعلمهم انهُ كبير مرازبة هدهد مرزبان وحافظ سرّ النار وحامل اوامر قاعدة الدين واساسهُ المتين . ولا زال سائرًا حتى وصل من ديوان كسرى فركض الحجاب واخبروا الملك كسرى فارسل وزيرهُ بختك للاقاتهِ ففعل ودنا منهُ وزاد في اكرامهِ ودخل بهِ على الملك كسرى انوشروا فترحب بهِ مزيد الترحاب واكرمهُ غاية الاكرام وسالهُ عن هدهد مرزبان فقال لهُ قد جاء وهو في خارج المدينة محمولاً على اعناق المرازبة وارسلني لاخبرك بقدومهِ لتخرج اليهِ وتقبل ايديهِ مع اعيانك ووزرائك فلا تخسرون البركة والرضا فاظهر كسرى الفرح والاستبشار وقال هذا فرض عليّ فاني اذهب منذ هذه الساعة ثم امر العساكر ان تقيم على الطرقات من باب المدينة الى الديوان وان تزين كل الجهات وخرج بموكبهِ وسار الى ان خرج من باب المدينة وسار قليلاً واذا بهِ قد اشتم رائحة المسك فانتعشت روحهُ وروح قومهِ وسجدوا لعلمهم انها منبعثة من النار التي تضرم امام هدهد مرزبان ولما وصلوا من التخت وقفوا بعيدًا عنهُ وقال كسرى لهرزان تقدم من سيدي هدهد واخبرهُ بقدومنا واسالهُ في ان يرضى علينا ويسمح بتقبيل ايديهِ فدخل على عمر وهو موسد على التخت غير مهتم بمن حضر ولا بمن جاء فسالهُ هرزان السماح لكسرى بتقبيل ايديهِ فاشار بيده الا فاصبروا فبقي كسرى وقومهُ واقفين منتظرين الامر بالسماح ليدنوا منهُ ويقبلوا يديهِ ويتباركوا من اذيالهِ ومن الفاظهِ . ثم بعد ساعة اشار اليهم ان يذهبوا امامهُ واشار الى المرازبة ان تحملهُ وتسير الى المدينة فتعجب كسرى من ذلك واشتعل في قلبهِ لهيب الخوف وقال لبختك ماذا تظن يا وزيري واي شيءٍ عملناهُ فاغضب استاذنا وسيد ديننا فاننا بانتظار امرهِ لنقبل ايديهِ فلم يقبل مظهرًا غضبهُ منا . قال لا اعرف واني محتار بذلك واخاف ان يذهب بالنساء ولا يسمح لنا بهذه البركة العظيمة ولا بد لهُ من رحمتنا والشفقة علينا فياذن لنا بتقبيل يديهِ وبقي كسرى سائرًا الى الايوان وهو مرتعب القلب خائف ان تكون النار غير راضية عنهُ ومن بعد ذلك امر عمر المرازبة ان تسير بهِ وان توقد التنور ويحمل بين يديهِ ففعلوا وحال دخولهم المدينة سجد الناس الى الارض مكرمين النار

ومحترمين قاعدة الدين هدهد مرزبان يتباركون من النظر الى وجهه والنساء تزدحم من كل الجهات وتدعو له وتساله بان ترضى عليهن وعلى اولادهن واكثرهن يرمين عليه الزهور من الشبابيك والمحلات المرتفعة وهو على التخت غير مهتم بكل هذه الامور الى ان قرب من الديوان فدخل والحجاب سجود الى الارض ووضعه المرازبة في الوسط وحينئذٍ نهض الجميع وقوفاً وكشفوا رؤوسهم واطرقوا الى الارض ينتظرون الامر بالاذن كي يتقدموا منه ويقبلوا يديه ويستعطفوه بالرضا ودام ذلك مقدار نصف ساعة . واخيرًا قال كسرى لبختك تقدم من هرزان ودعه يسال لنا سيده بقبولنا ويسمح لنا بتقبيل ايديه وكان شيحان يتكدر من برادة عمر وعمله فدنا منه على اعين الناس وسجد امام التخت ودنا من يده فقبلها وقال له سرًّا كفاك تعظمًا وافتخارًا فمر كسرى وقومه بتقبيل ايديك فانهم على الانتظار وقوفًا وارجلهم تكاد لا تحملهم من التعب ومن الخوف ان تكون غضبانًا عليهم فتحرك حينئذٍ عمر وابدى اشائر الرضا ثم جلس واشار الى كسرى وقومه ان يتقدموا فتهللت وجوههم من الفرح وصفقوا بايديهم ودنا في الاول كسرى انوشروان وقد رفع التاج عن راسه واطرق به قليلاً الى الارض ثم تقدم من السرير فمد له عمر يده فقبلها باحتشام ورجع بترتيب الى الوراء ثم تقدم بعده افلنطوش فقبل يده واراد الرجوع فمسكه ونظر اليه نظرة القبول وقال له ان النار راضية عنك انت حيث فعلت مع اعدائها فعلاً يذكر امامها فاعاد التقبيل ثانية ورجع والدنيا لا تسعه من شدة الفرح . وتقدم بعده بختك وقبل يده ثلاثًا . فقال له انت مكرم ومحبوب من النار لانك حافظت على دينها وقواعدها ولا تزال تخدمها بامانة . فرجع ايضًا مسرورًا وتقدم بعده بزرجمهر وقلبه يلتهب من الغيظ والحنق وهو خائف كل الخوف على مهردكار وطوربان وثابت عنده انهما ستسلمان الى هدهد مرزبان في ذاك اليوم وتحرقان مع باقي النساء والاطفال . ولما اخذ يد عمر واراد ان يقبلها ضغط له على يده وقلبها فانتبه الوزير وطرق ذهنه حالاً كلام عمر العيار الذي قاله له من اني لا بد ان ارمي بقلب كسرى حسرة لا ينساها الى اخر الزمان فقبل اصبعه ورجع وهو يقول لله درك يا عمر ما اشد حيلك واكثر خداعك فقد فعلت الان فعلاً عظيمًا والقيت بقلب كسرى حسرة لا تمحى الى اخر الايام حيث قبل يديك وسجد لك . ومن بعد ذلك تقدم زوبين فهش في وجهه والتفت الى كسرى وقال له اوصيك ايها الملك ان تكافي زوبين احسن مكافاة فقد نصح في خدمة النار وهي راضية عليه كل الرضا . فقال سمعًا وطاعة ساجعله حاكمًا في بلادي ولا اعز عنه عزيزًا . وبعد ذلك تقدمت الاعيان والامراء واحدًا بعد واحدٍ يقبلون يديه ويرجعون باحتشام وهو يتظاهر بالعظمة والمجد ويرضى عليهم ويشكر منهم . ولما فرغ الجميع من تقبيل يديه وعادوا الى الوراء اشار اليهم بالجلوس فجلسوا في مراكزهم . ثم اخذ كسرى كاسًا من الشراب

واراد ان يقدمهُ بنفسهِ لهُ . فعارضهُ هرزان وقال لهُ لا تفعل فان سيدي صائم للنار ولهُ عشرين يومًا ما اكل طعامًا ولا شرب شرابًا يواظب الدعاء لك بالنصر والظفر على العرب حتى وعدهُ الوحي بان النار اكرامًا لخاطره تساعدك وترسل بلهيبها فتحرق العرب وتبددهم في اربع اقطار الارض شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا فاضطرب كسرى وقال العفو يا سيدي فاني ما عرفت ذلك وارجو منهُ المعذرة والرضى ولا يتكدر عليَّ ثم رجع الى مكانهِ وبعد ذلك دعا هدهد مرزبان بهرزان وبلغهُ ان يخطب عليهم خطابًا ويدعو لهم برضا النار ذات الشرار فاجاب الى ذلك ووقف في الوسط وقال

ان الاستاذ الاعظم والسيد المكرم قاعدة دين النار والرافع عن خبايا الكفر الاستار قد امرني بكلام اقولهُ بينكم واعرضهُ عليكم وهو انكم اعزتكم النار وحفظتكم مدى الادهار هي العبادة التي لا ينكر فضلها ولا يجحد نفعها وفعلها . ظاهرة للعيان . وعليها مدار الاكوان . ومنها تسري الحرارة في الابدان . وتنتعش روح الانسان . لولاها لما وجد الجائع طعامًا ولا حفظ في مسيره على الارض ترتيبًا ولا نظامًا . فمنها تنفصل الانوار . وتنير ظلام الاعتكار . فترون في الليل الحالك كما في النهار . مستعرة بذاتها . منفردة باياتها . لا يقدر المرء ان يدنو منها في اي وقت شاء . وضرامها متصل على الدوام الى الاعداء . محبة للسلام . تزور بيوت الاصدقاء والاخصام . على امل انهم مع التمادي يشعرون بفضلها . ويعترفون بغزارة نفعها وفعلها . فيسرعون الى عبادتها . ويجودون بكرامتها . فلا تمضي السنون القليلة الا ويصير كثير من الناس على دينها القويم . ويتقاطرون من كل فج مقدمين لها التبجيل والتعظيم . وان استاذي اوصاني ان اقول لكم ان بين العرب رجل كثير الاحتيال كانهُ شيطان محتال اسمهُ عمر العيار فاحذروهُ كل الحذر . واذا وقع بايديكم فاذيقوهُ موارد الضرر . لان النار غضبة عليهِ . ساعية بالشر اليهِ . فزيدوا في عذابهِ ولا تقتلوهُ بالحال بل ابقوهُ واستشيروه في ماذا يريد ويكون لكم بذلك الاجر السديد . ودوموا انتم ببركة النار . وعيشوا مدى الاجيال والادهار . محفوظين منها باشد الحرارة واللهيب وارواح ابائكم واجدادكم فيها الى ابد الابدين

فلما سمع كسرى وقومهُ هذا الخطاب صاحوا بالدعاء للاستاذ الاكبر وهم متعجبون من غزارة علمهِ وسعة معرفتهِ واذ ذاك قال هدهد مرزبان الى كسرى انوشروان . اني اريد منك الان ان تسلمني مهردكار وطوربان وباقي النسوان مع الاموال التي اخذها افلنطوش وزوبين الغدار من العرب لاسير بهم الى وادي خراسان حيث مرادي احرقهم في ذاك المكان واما انت فاتبعني بعد ثلاثة ايام مع كل فارس وبطل وامير ووزير لتشاهدوا حريق الجميع واطلب من النار ان تبليكم ونقدم لها الدعاء المخصوص لتبديد العرب وتفريقهم وهلاك حمزة واخيهِ عمر العيار

وجميع اولئك الفرسان الاشرار. ثم ان عمرًا نزل عن السرير ومسكهُ اثنان من المرازبة من تحت ابطيهِ وامر كسرى وحدهُ ان يسير امامهُ الى القصر المختص بهِ النساء فاطرق كسرى الى الارض وسار بين يديهِ ذليلاً لا يقدر ان ينظر في وجههِ او يحدق احترامًا للدين ولهُ وكذلك الناس في الطرقات كانوا يلثمون التراب والحجارة التي يدوس عليها ويتبركون منها ويفرقونها على بعضهم البعض وهو يظهر رضاه منهم ويباركهم ومن ثم وصل الى سراية الحريم ففر الحجاب من كل ناح وفتحوا طريقًا فدخل كسرى ومن خلفهِ هدهد مرزبان ولما صارا في وسط القصر قدم الى هدهد مرزبان سريرًا من العاج فجلس عليهِ ليرتاح. ثم امر ان تقدم اليهِ مهردكار وطوربان وابناها. فقدموا جميعًا ووقفت مهردكار فمد لها يدهُ وقال لها قبلي يدي. فقالت اني امرأة عبدت الله سبحانهُ وتعالى وعرفت الحق فلا اميل لغيره. وليس لي في تقبيل يدك من نفع قال نعم انت عاصية النار وقد نجست عبادتها حتى غضبت على ابيك ولا ترضى عليهِ الاَّ بعد ان يسمح بك وتحرقين بها وسوف ترين ما يحل بك. قالت اني اعرف النار التي تعظمها انت وغيرك من الاعجام هي من القش والحطب الذي يوجدهُ الخالق سبحانهُ وتعالى فتضرمونها بايديكم ثم تطفئُ بقليل من الماء او ببول الحمير فلذلك انتم تعظمون ما لا نفع فيهِ واني اعتقد ان الاله الذي يعبدهُ زوجي يسهل لي الخلاص من يديكم ويبعدني عن الضرر ويحفظ لي ولدي ويرجعني الى زوجي. فاظهر هدهد مربان الغيظ والحنق وقال لابيها قد تمادت بنتك بالكفر وخرجت عن طريق الصواب وصار من الواجب حرقها باقرب آن والا غضبت عليك النار غضبًا ليس بعدهُ رضا. قال اني اعرف ذلك ياسيدي ولاجلهِ ارسلت اخبرتك بامرها وطلبت احراقها. وكانت ام مهردكار موجودة فرمت بنفسها على ارجلهِ وقالت ياسيدي لا تواخذها بكلامها بل اعفُ عنها واصبر عليها فلا بد من ان تعرف الحق وترجع الى عبادتها فهي جاهلة الان. قال كلا لابد من احراقها والا افسدت دين النار ثم دفع ام مهردكار بصدرها وابعدها عنها وقال لها ابعدي عني ولا تلمسيني بيدك فرجاؤُك غير مقبول

ثم التفت الى طوربان وقال لها وماذا حملك انت ان تتركي اباك وقومك وتتعلقين بالاعداء وقد رفضت الزواج بزوبين الغدار وهو من الحائزين على رضا النيران. قالت حملني على ذلك الحق والسعادة وبغض الغدر والخيانة لان زوبين الغدار اراد لي الشر وفعل القبيح فارسل لي الله عمر العيار وزوجي فخلصوني ومن ثم عرفت ان الله الذي يعبدهُ العرب هو القادر على كل شيءٍ وهو سبحانهُ وتعالى يحيي ويميت خلق المخلوقات وعلمها ما لا تعلم. قال ادعي هذا الاله الذي تدعين بقدرتهِ على كل شيءٍ ان يخلصك مني ومن النار التي عما قليل تاكل جسمك وتذهب بروحك. قالت اني اعرف انها لا تقدر ان تصل اليَّ ولا تحرقني ولا يلبث الله ان يرسل لنا ...

العيار فيخلصنا من ايديكم ولو فعلتم معنا مهما فعلتم ماذا قتلتمونا فنموت على الحق ويبقى لنا الرجاء باليوم الاخير فاقصر يا هدهد مرزبان ولا تهددنا فاننا لا نخافك ولا بد ان الله ينتقم لنا منك فلما سمع هذا الكلام اظهر الغيظ والحنق ونهض مكدرًا وقال لا بد من احراقكم جميعًا فهلموا سيروا امامي . فعاودت ام مهردكار الى بين يديهِ وبكت وشكت حالها وقالت له العفو ياسيدي فاني احب بنتي وارجو لها السماح منك واني اضمن لك انها تعود الى عبادة النار وتترك عنادها هذا . قال محالاً ترجين فاني لا اقبل الا بهلاك الكافرين لتستعز النار وتحفظ من الشوائب فيرى ذلك باقي البنات فيعلمن صدق هذه العبادة التي لا نتقاعد عن الخارجين . ثم دفع ام مهردكار وتركها تنوح وخرج من القصر وبين يديهِ كسرى والنساء والاولاد وهم صاغرين ولا زال في مسيره حتى جاء الى الديوان فنهض له الجميع وقوفًا وقبلوا يديهِ ثانيًا فباركهم وامران يرفعوه على السرير ففعلوا . ثم قال اي كسري انوشروان مر الان خدمك ان نسوق الاموال التي كانت مع العرب امامي وتسير تحت امري ولا تبقي منها عقالاً في هذه المدينة فهي من خصائص معابد النيران لا حق لك بها لانها اخذت من الاعداء واما انت فاني آمرك انك تتبعني بعد ثلاثة ايام محفوفًا بالزين الفاخرة المخصوصة بمثل هذا العيد المبارك ويكون العيد في وادي خراسان . فاجاب بالسمع وفي الحال اخرج جميع ما كان سلبهُ ونهبهُ افلنطوش وزوبين وحملهُ على البغال والجمال وساق الانعام ولم يبق منها ولا واحدة وقد ملأت السهل والوعر . ثم جاء كسرى بهدية فاخرة من الجواهر والماس والذهب الخالص وقدمها له وترجاهُ قبولها فاخذها ومن ثم تقدم بختك وقدم له مثل ذلك وبعدهُ بزرجمهر وباقي الامراء والاعيان وهو ياخذ هداياهم ويباركهم حتى اجتمع عندهُ ما يعجز عن وصفهِ القلم فامران يحمل على البغال فحمل . وبعد ذلك اشار بيدهِ مودعًا الجميع فخروا له ساجدين فباركهم وفي قلبهِ يلعنهم وامر شيحان ان يحملوا السرير ففعلوا ورفعوهُ على عواتقهم وهو موسد فوقهُ وقد اغمض بعينيهِ وجعل نفسهُ نائمًا وسار بين يديهِ النساء والاولاد وامامهم الاموال شيءٌ كثير جدًّا وهو مسرور بنجاح غايتهِ ونوال مراده وخلاص النساء والاولاد وبعد ان خرجوا من المدينة التفت فراى الملك كسرى سائرًا على الاقدام مع سائر بطانتهِ لوداعهِ فاشار اليهم بالرجوع فرجعوا جميعًا وسار هو محمولاً على طريق خراسان كل ذاك النهار حتى المساء وعند المساء انزلوهُ عنهم وقال له شيحان كفاك دلالاً فاننا نكاد نهلك من التعب وانت مسرور . قال بارك الله فيكم فانكم مرازبة امناء على خدمة سيدكم ولا بد ان اجعل النار ترضى عليكم وتباركم وانت ياهرزان ساوصي بعد موتي ان تكون انت مكاني فيكون لكم اعظم اكرام واعتبار ويقبل كسرى الملك الاكبر يدك ويذل بين يديك وانت تعرف ياهرزان اني مسموع الكلمة عند الفرس لاني قاعدة دينهم ورسول النار

عندهم . فقال له شيحان دع عنك هذا الهذيان فقد انتهت اعمالنا ومن الان وصاعداً ما عدنا نحملك ولا نسير بك وما عدنا نعرفك الا عمر العيار . ونريد ان لا تسانا من نصيبنا من هذه الهدايا التي وصلت اليك . قال هي لكم ولاخي حمزة ثم نصب الصيوان وجلس فيه وامر ان تقدم اليه مهردكار وطوربان لوحدها فقدمتا فمسك مهردكار من يدها وقال لها ادني مني فانتشلت يدها وقالت له دعني منك ايها الكافر ومن لا دين له فلست انا كمن تعهد وما انت عندي الا رجل الاحتقار والاهانة . قال اني قادر على هلاكك وبعد قليل ساقدمك للنار ضحية على التصاقك بالعرب اعداء الدين وعلى نكرانك جميل الدين الذي ولدت فيه وربيت عليه فهو الذي القاك بيدنا . قالت كذبت فانت وكل عبدة النار عاجزون عن ايصال الاذى الي ما زلت اعتقد بالله سبحانه وتعالى واعرف جيداً انه قادر على خلاصي واومل ان عمر العيار اخا زوجي سهران على خلاصي ولا يمكن ان يتقاعد عنا . قال ومن اين يقدر ان يصل اليك عمر وانت صرت قريبة من الاحراق وبين يدي . قالت هو في كل ساعة قريب منا ينتظر الفرص بدون ريب ولا بد قبل ان تصل بنا الى خراسان وتحرقنا هناك يحط عليك مع اخيه حمزة وباقي الفرسان فيهلكونك ويستشلوننا من بين ايديكم . فاقصر عن غايتك ودعني وشاني . فلما سمع عمر كلامها لم يقدر ان يتمالك نفسه عن تحريك حواسه واسقاط الدمعة من عينيه وقال لها مرحباً بك يامهردكار لقد اصبت فانت بالحقيقة جوهرة النساء وقد شاهدت منك من الثبات والحب والطاعة لله ما لم اكن اظنه فيك قبلاً فانا اخوك عمر العيار وقد خلصتك وفعلت كل ما فعلت بتوفيق منه تعالى . فافرحي وانفي عن قلبك الاحزان فان اخي والفرسان قريبون من هذا المكان

فلما سمعت مهردكار بذلك اغرورقت عيناها بالدموع لشدة الفرح ومثلها طوربان وجعلت كل واحدة منهما تشكره وتدعو له بالبقاء وطول العمر وشي على اعماله . ثم قال عمر لمهردكار هل صحيح ما تقولين من املك بالخلاص على يدي . قالت نعم اني كنت في كل دقيقة انتظر وصولك باي حيلة كانت وهذا الذي كان يقويني ويشد من عزمي وهاك طوربان فاني كنت اقول لها لا تخافي الموت فان عمراً لا يتركنا حتى ولو وصلنا الى باب اتون النار لوجدناه داخلة بانتظارنا ليخلصنا وما ذلك الا لعهدي بك ورجائي بالله سبحانه وتعالى فهو يحب بنيه ولا يترك نساء مثلنا تركنا اهلنا وتعلقنا به ولا يسلم بهلاك اطفال مظلومين كاطفالنا فيموتون محروقين بالسنة اللهيب ولا ذنب عليهم . قال حقاً انك وحيدة بين النساء وانا منذ هذه الساعة سنسير ليلاً ونهاراً حتى ندرك اخي ولا بد انه يكون على مقربة من النار في وادي الكمال . ثم امر ان يقدم الطعام فاكل واكل الجميع وشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه وبعد ذلك تقدم من

السرير [illegible] وضعها في [illegible]

نحن [illegible] قال هو كله لكم ولا امنع عنكم شيئاً و[illegible] عليكم فاعطوني [illegible] وادفعوها اليّ قالوا كلا بل هي لنا ولا يمكن ان نتخلى عنها الا ان [illegible] من الذهب يغنينا قال اني لا احرمكم من شيء فاخذها كلها ووضعها في جراب اسماعيل وسار [illegible] هناك الى وادي الكمال وسبق شيحان الى الامير واخبرهُ بكل ما فعل عمر وانهُ خلص مهردكار وطوربان والاولاد ففرح مزيد الفرح وخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وهو يكاد لا يصدق ان براهم بخير وبعد ان استراحوا قليلاً واكلوا الزاد نهضوا الى خيولهم فركبوها وساروا من هناك حتى قربوا من مدينة حلب فخرج اهلها الى ملتقاهم مع من بقي من فرسان العرب الكبير والصغير وكان لهم يوماً عظيم الشان وقد اولموا الولائم ونشروا الافراح في كل ناح . واجتمع الصديق بالصديق والصاحب بالصاحب

فهذا ما كان من العرب وعمر العيار واما ما كان من كسرى انوشروان فانهُ اخذ يستعد للسير في اثر هدهد مرزبان بعد ثلاثة ايام وامر جماعتهُ واعيان دولتهِ ان كل واحد منهم يكون حاضراً ومتهيئاً لصرف العيد في المكان المعهود فجعل كل واحد يجمع من الخمر والماكولات ما يكفيهِ الى ثلاثة ايام ويحضر الهدايا والتحف والاموال ليقدمها الى المرازبة والنار وبعد مضي الاجل المعهود ركب كسرى وركب بختك الوزير وبزرجمهر وافلنطوش ابو طوربان وزوبين الغدار وكل فارس عظيم الشان رفيع المقدار واعلنوا في المدينة ان مرادهم الذهاب الى هدهد مرزبان ومن شاء فليتبعهم . وسار كسرى واعيانهُ من حواليهِ والموسيقى تضرب بين يديهِ والناس تتقاطر افواجاً افواجاً بعضهم ماشٍ وبعضهم راكب وتبعهم كثيرون من كهول وشيوخ وشبان ونساء واولاد لان ذاك العيد عندهم من اعظم الاعياد وافضلها ولا زال كسرى في مسيره حتى قرب من وادي خراسان وعرف بقدومهِ الرجال الذين تخلفوا في ذاك المكان فخرجوا جميعاً وقد ملأوا السهل والوعر وفي كل نيتهم ان هدهد مرزبان وباقي المرازبة موجودون مع كسرى وبعد ان ترجلوا وحيوا ملكهم ولم يروا مرزبانهم الاكبر سألوا كسرى عنهُ . فقال لهم انهُ منذ ثلاثة ايام رحل من المدائن يقصد هذا المكان بعد ان سلمتهُ مهردكار وطوربان وباقي النساء والاموال وكل ما جيء بهِ من العرب والاموال ولم يبقوا ولا عقالاً فقالوا انهُ لم يصل الينا ولا رأيناهُ قط ونحن بانتظاره قائمين في هذا المكان كما امرنا . فطار صواب كسرى عند سماعهِ هذا الخبر والتفت الى بختك وقال لهُ هل تظن ان هدهد مرزبان سار في غير طريق او تأخر في جهة من الجهات . فخفق قلب بختك لما علم بغياب هدهد مرزبان وحدثهُ فكرهُ ان لا بد من وجود حيلة في سرّ المسألة . فقال لكسرى اني لا اظن ياسيدي ان

هدهد مرزبان بضيع عن الطريق او يعرج الى جهة ثانية واذا صدقني حذري يكون قد راقبهُ عمر العيار وهو عائد ومعهُ فرسان العرب فبطشوا بهِ وقتلوهُ مع المرازبة واخذوا النساء والاموال . فزاد غيظ كسرى من ذلك واضطرب واطرق الى الارض لا يبدي خطابًا ولا كلمة نحو ربع ساعة ثم التفت الى بختك الوزير وقال اريد منك تحقيق هذا الامر لاعرف اين سار قاعدة ديننا ومرزبان ايماننا واذا كان اسرهُ العرب او فعلوا بهِ شرًّا يكون ذلك من اكبر الويلات التي وقعت علينا من هذه الطائفة الدنيئة فنظر بختك الى جماعة خراسان وقال لهم هل رأيتم احدًا غريبًا قبل سفر سيدكم من هذا المكان وهل جاءهُ رجل بحيلة فارسيًا كان او عربيًا وكيف كان عملهُ قبل سفره . قالوا ما رأينا احدًا قط ولا سمعنا بوصول احد اليهِ ولكن قبل سفره خرج الينا هرزان المرزبان وخطب فينا واخيرًا اوصانا ان لا نقرب من المكان المضروب بهِ صيوانهُ وان نبقى بعيد بن عنهُ ومن خالف ذلك غضبت عليهِ النار ورفضت روح آبائهِ واجداده واخرجتها الى البرد والثلج فاجابة لامره ما قرب احد منا من ذاك المكان ونحن متعجبين من ذلك لان من عادتنا ان نأتي المكان الذي يكون بهِ الصيوان ونتبارك من ترابهِ ومن اثار النار ومن ثم سار هدهد مع مرازبتهِ ونحن حتى الساعة بانتظاره . فقال لهم بختك دلونا على المكان الذي كان قد ضرب بهِ الصيوان لنفحص هناك ما السبب من ذلك فساروا جميعًا الى ذاك المكان وقبل ان يصلوا اليهِ بمائة خطوة شموا رائحة كريهة جدًّا فتعجبوا وارتابوا وتقدموا واذا بتلك الرائحة تزيد حتى تكاد لا تحتمل وعندما وقفوا على مكان الصيوان المذكور اشاروا اليهِ فنظر بختك واذا بهِ يرى التراب محفورًا جديدًا فامر ان يرفع التراب ففعلوا واذا بهِ يرى هدهد مرزبان مذبوحًا مع جماعتهِ ومطمورًا بالتراب فغاب صوابهُ وحث التراب على رأسهِ وقال حيلة عظيمة ومصيبة اعظم ياسيدي فان العرب فعلت بنا فعلاً قبيحًا ورمتنا بسهام الخيانة فقد قتل مرازبة ديننا ولم يبقَ منهم ولا واحد قط وان الذي فعل ذلك هو عمر العيار وجماعتهُ ولا احد غيرهُ يقدر ان يتوصل لمثل هذا العمل الخطير . فلما سمع كسرى هذا الكلام وقع الى الارض من شدة الكدر وغاب عن الوجود نحو ساعة من الزمان وقد ظن الجميع انهُ فارق الحياة . ثم وعي الى نفسهِ ولطم على وجههِ وقال اكان من قدر العرب ان تفعل بنا مثل هذه الافعال وتذبح لنا المرزبان الاكبر وجماعتهُ ولم تبقِ لنا واحدًا منهم نقيمهُ مرزبانًا كبيرًا وفوق كل ذلك فان هذا العبد الخبيث القبيح المنظر تجاسر بان جعلني انا ملك ملوك العرب والعجم والفرس والديلم وسيد هذا الزمان ان اقبل يديهِ واسجد كعبد لهُ واقف ذليلاً حقيرًا فاهلكتهُ النار ولعنتهُ الف لعنة واني اقسم بالنار والنور وقبر جدي سابور ان من جاءني بعمر العيار لاقتلهُ واشفي غليل قلبي من عذابهِ اعطيتهُ نصف مملكتي . ثم صعد الزند على

اشداقهِ وضرب الدم في دماغهِ واحمرت عيناهُ وتفجرت انابيب انفهِ وكاد يختنق فلم يجسر احد ان يقف امامهُ او يدنو منهُ او يفوه بكلمة ومضى عليهِ وهو على ذلك نحو ساعتين حتى رجع الى صوابهِ فبقي مطرقاً الى الارض برهة . ثم نظر الى بختك وقال لهُ انت اصل كل هذه البلايا والمصائب فما كنت افكر اني اعادي العرب قط حتى حملتني على عداوتهم واوصلت اليَّ اذيتهم فتجاسروا على اخراق حرمتي واخذوا بنتي جبرًا وارغموني على ان اسكت عنهم وقد جمعوا اموال بلادي وغنائمها ونزعوا مني علم بيكار الاشهار الذي افضلهُ على المدائن وخراسان وكل بلد عظيم في طاعتي فهم يجتمعون تحتهُ كاكبر ملوك الاكاسرة واخيرًا احتالوا عليَّ وقتلوا شيخ النار وسيد الدين واهلكوا جماعتهُ وفوق كل ذلك فاني كنت اتشوق ان اقبل ايدي عبدهم النحس ولا يسمح لي بذلك . فلعنت النار العرب وكل من يميل اليهم واقسم بابائي واجدادي ان كل من ذكر لي العرب منذ هذه الساعة قتلتهُ ولو كان ابني الاكبر واعز الناس عندي . ثم افتكر بما كان من عمر وتصور تلك الحالة التي كان فيها وكيف مد يدهُ ليقبلها بعد الرجاء والامتنان فعاد غاب صوابهُ ولما وعي نهض الى جوادهِ فركبهُ وترك تلك الارض غير ملتفت الى النار ولا الى من يقيم مرزبانًا لان ما من واحد كان يقدر ان يخدم النار ويعرف قاعدة الدين الا المرزبان الاكبر وهذا يختار لنفسهِ جماعة يعلمهم ويقدمهم واحدًا على واحد ويدرس عليهم واذا مات يقوم مقامهُ الاكبر منهم واذا مات واحد منهم اختار عوضهُ من الشعب فيعلمهُ ويشدهُ مرزبانًا ويقدمهُ شيئًا فشيئًا وسار خلف كسرى جماعتهُ وهم على تلك الحالة مكدرين مأيوسين مغتاظين يلعب الغيظ في قلوبهم حتى وصلوا الى المدائن ودخلوا المدينة ودخل كسرى قصرهُ وصرف عدة ايام على الحزن والكآبة وقد لف قصرهُ وايوانهُ بالقماش الاسود وفعل مثل ذلك كل اعيان البلد وكان الحزن شاملاً الكبير والصغير وصار عند ما يخرج الى ديوانهِ يجلس صامتًا لا يفوه بكلمة ولا يفكر الا بما وقع عليهِ ويلوح امامه شخص عمر العيار فيضطرب ويغتاظ وما من واحد من قومهِ يقدر ان يذكر لهُ العرب او اسم واحد منهم

فلنترك كسرى حزينًا ونرجع الى العرب فانهم كانوا بغاية الفرح والسرور وما من شيء يكدرهم الا غياب عمر اليوناني ابن الامير حمزة فكان يفكر على الدوام بهِ ويتمنى ان يعرف في اي مكان هو وهل باقٍ بقيد الحياة او فقد في ذاك اليوم الذي غدر بهِ العجم بالعرب . وارسل بعض العيارين في تجسس الاخبار واستطلاع الاحاديث والبحث في الجهات المجاورة عسى ان يقف لهُ احد على خبر . واما طوربان فانها كانت مسرورة جدًّا بخلاصها من يد الاعجام وخلاص ابنها من الحريق ولكن عند ما علمت بغياب زوجها وانقطاع خبره كل هذه المدة تكدرت جدًّا وشعرت بضياع رجائها وخافت من ان يكون قد قتل واختفى امرهُ وكانت تتمنى الموت

وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب اوحرقت بالنار ولارات تلك الوحشة ولا علمت بفقدان من احبتهُ الحب العظيم وجعلت كل اتكالها عليهِ واملت ان تقيم واياهُ كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منهُ وكانت حالتها حالة الحزن واليأس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما انشدتهُ

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي ... قد حرت ما بين نظّار وغزّال

يا حبذا في الهوى وجد اكابدهُ ... من جوهر الثغر او من عنبر الخال

روحي فداؤك من بدر محاسنهُ ... قد ناسبت بين اسماء وافعالِ

املكت قلبي بانواع الغرام وقد ... ملكتهُ فارعَ حفظ المال ياماليّ

كحلت عيني بميل السهد فاتصلت ... مسافة البعد ياعيني باميالي

ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ... ان لوغدا ناظرًا بالخير في حالي

افديهِ من ناظرٍ ماضي الولاية بل ... واحرّ قلباه من ذا الناظر الوالي

ناديتهُ يا غزالاً جلّ عن شبهٍ ... ما كفو جيدك الاّ عقد اغزال

وعاذلٍ رام يسليني فقلت لهُ ... ما عذل مثلك يسلي عنهُ امثالي

ان المحبة للاهواء فائدة ... وللهوى خطرات ذات ارقالِ

صمت عن العذل آذاني بهِ فلذا ... قد ارغم الله فيهِ انف عذالي

ليت الثغور حكت برقًا بهم فراوا ... سحاب دمع على الخدين هطال

حسبي وحسبي الهوى اني فنيت بهِ ... ارجو البقاء باوجاعٍ واوجالِ

آيات اوصافهِ ام عمر ريقتهِ ... تتلى عليّ بالحان وتجلى لي

اذاب جسمي بنار الهجر ثم قلى ... قلبي وقال نعم هذا هو القالي

ورام يشري بغالي الهجر انفسنا ... رخصًا فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احيانًا واحيانًا يكون وسيلة تذكرها بهِ فتبكي على بعدهِ مشخصة امام اعينها تلك الايام الملذة القصيرة العهد التي صرفتها بجانبهِ ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسوال عن ولدهِ لسلمت بنفسها الى الهلاك يأسًا واختارت الموت على الحياة من دونهِ

ومضى على العرب نحو اربعين يومًا في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليهِ بعد علمهِ بحيلة عمر وموت مرازبتهِ فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الامير انهُ مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل على حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليفاجئنا

الى هذا المكان طلبًا لثار مرازبتهِ وانتقامًا من عمر العيار . قال عمر اني اسير بنفسي حسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مصرًا عليهِ قال اندهوق نخاف عليك ان تقع بايديهم وانا اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان يأكل لحمك باسنانهِ على ما فعلت معهُ . قال اني اعرف ذلك واعرف ايضًا ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيهِ يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل . ثم ان عمرًا غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقهِ حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يمينًا وشمالاً فيرى كل انسان في عملهِ وما راى قط اهتمامًا كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فراهُ مسودًا وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامهُ والايوان بجماعتهِ ورجالهِ هادٍ ساكت كان لا رجل هناك فزاد تعجبهُ وشعر بان كل ما هو جارٍ من هذا القبيل بسببهِ وان سقوط شرف كسرى امام قومهِ من تقبيل يدهِ دعاه ان لا ينسى ذلك بل يتذكرهُ على الدوام وكلما تذكرهُ تهيج في احشائهِ نيران الغضب فصبر يضحك في داخلهِ الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيلهِ فتاثر بزرجمهر حتى دخل قصرهُ فدخل من خلفهِ واغلق الباب فلما راى عمرًا وقد تقدم منهُ وقبل يدهِ عرفهُ فهش لهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ مرحبًا بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت اود ان اراك لاشكرك على عملك الذي فزت بهِ ونلت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى آخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلتهُ انت بيوم واحد اوقعهُ بالحزن وراهُ ثقيلاً عليهِ اكثر مما حاربهُ العرب منذ البداية الى هذا اليوم . قال اني لحظت منهُ ذلك وعرفت ان سبب غيظهِ وغضبهِ وسكوتهِ عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليهِ الخملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءهُ بك حيًا او ميتًا اعطاهُ نصف ملكهِ ومالهِ وقدمهُ على سواهُ من رجالهِ وما قصدهُ الاَّ ان يشفي قلبهُ منك ويراك ميتًا . قال ان هذا لا ينالهُ ولا في المنام وسوف يرى مني في حياتهِ اعظم مما راى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والان اريد منك ان تخبرني ما نيتهُ وعلى ماذا عوّل وما يريد ان يفعل في هذا الشان وهل لا يزال يصرُّ على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على آرائهِ . قال انهُ منذ يوم علمهِ بموت مرازبتهِ اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامهُ العرب قتلهُ واعدمهُ الحياة وعليهِ فان هذه الملة كان كما ترى وما من احد جسر ان يفاتحهُ او يخاطبهُ او يسالهُ امرًا من هذا الوجه وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانهُ وتعالى

وتزوجن بكم وهذه اكبر وصية أوصيكم بها فوعده عمر بكل خير وطلب رضاءهُ ودعاءهُ وسار من المدائن عائدًا الى حلب وقد التقى بقومهِ واخبرهم بكل ما كان من امر كسرى و بزرجمهر فسروا وقال حمزة فلندعهُ وشانهُ يعض على زنوده ويحترق بنار غضبهِ فقد راق لنا العيش وصفا الزمان ولم يكن من شيء يكدر الاَّ غياب ولدي عمر اليوناني ولي رجاءٌ بانهُ في قيد الحياة واني سالتقي بهِ بعد امد قريب

قال وصرف العرب اكثر من ستة اشهر وهم على السلم والامان لا حرب ولاقتال ولاطعن ولا نزال يجتمعون في كل نهار عند اميرهم و في المساء يتفرقون الى بيوتهم وابن مهردكار وابن طوربان يترعرعان ويكبران والامير يعتني بهما و يعلمهما ما يحتاجان اليهِ وكانت طوربان صارفة كل عنايتها واجتهادها في تخريج ولدها بطلاً من الابطال فعلمتهُ بنفسها كل فنون الحرب وكان وهو ابن اقل من تسع سنوات كانهُ في العشرين من العمر وذلك لضخامة جسمهِ ومتانة اعضائهِ . وفي ذات يوم بينما كان الامير جالسًا في صيوانهِ وعنده فرسانهُ وابطالهُ واذا بخادم اصطبلهِ قد وقف بين يديهِ وهو مطرق الى الارض حزينًا فارتاب من امره وقال لهُ ما السبب لحضورك اليَّ في مثل هذا الوقت اهل اصيب جوادي اليقظان بامر او جرى شيء اخر قال اعلم يا سيدي اني منذ ثلاثة ايام خرجت بالجواد الى احدى الحقول وسرحتهُ هناك يأكل من ربيع الارض على حسب العادة وعدت لقضاء بعض مصالحي وانا امن من وجود عدو في المعسكر ومن ثم عدت الى ذلك الحقل وفتشت فيهِ فلم ارهُ فسالت عنهُ وفتشت كثيرًا في مدة هذه الايام الثلاث دون ان اصل الى علم يريح لي فكري من هذا القبيل فعلمت ان الجواد قد سرق واخذ الى خارج القبيلة وكنت اخاف منذ الاول ان ابدي لك ذلك الا انهُ لما كان لا بد لك ان تسال عنهُ وتطلبهُ اتيت اخبرك بواقعة الحال فاعفُ عني يا سيدي اذا كنت تراني قد قصرت في عدم انتباهي وتيقظي غير اني مطمأن البال والخاطر من وجود لص بيننا فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وقع عليهِ اشد من ضرب الحسام وتكدر مزيد الكدر واغتاظ الغيظ العظيم وبقي برهة غائب الصواب ثم التفت الى عمر وقال لهُ سر انت وفرق عياريك في سائر الطرقات والنواحي عسى ان احدًا منكم يعثر بهِ او يعرف بمكانهِ فانطلق العيارون بالتفتيش عليهِ والبحث على امره وقال حمزة لخادم الاصطبل ارجع انت وابحث عسى ان الصدف توقعك على امره وتعرف من الذي سرقهُ

وبقي الامير في غيظ وحرد لا يلتذ بطعام ولا بشرب المدام وهو مشغول الفكر والخاطر من اجل جواده اليقظان حيث كان يحبهُ محبة عظيمة و يفضلهُ على نفسهِ ويحترق ليعرف من الذي تجاسر وفعل هذا الفعل وسرق الجواد وهو وقومهُ على غير انتباه اليهِ وبعد

ذلك اخذ العيارون في ان يرجعوا الى حلب بالخيبة دون ان يقفوا له على اثر ورجع عمرو وقال لاخيهِ اني فتشت في كل هذه النواحي فما وقفت على خبر اليقظان ولذلك عدت لاخبرك اني ذاهب الى المدائن لتيقني ان الذي سرقهُ يذهب بهِ الى هناك ولا بد ان يطلع على امره الوزير بزرجمهر . قال سر متكلاً على الله سبحانهُ وتعالى فهو يدلك الى الصواب فسار عمر بعد ان غير زيهُ وصار كواحد من الاعجام وقد دخل المدائن ووقف في ديوان كسرى على حسب العادة فراه كالمرة الاولى لا يبسم ولا يضحك ولا ينظر الى احد بل راه مطارقًا الى الارض فعرف انهُ باقٍ على الغضب والحنق فصبر الى ان انصرف الديوان وخرج بزرجمهر فسار في اثره واجتمع بهِ في قصره فسلم عليهِ وقبل يديهِ فقبلهُ وسالهُ عن اخيهِ و باقي العرب فقال لهُ هم بخير ولكن جواد حمزة قد سرق وما عرفنا من الذي اخذهُ فجئت المدائن اكشف امره واستعلم منك لعلمي انك تكون قد عرفت شيئًا من امره قال نعم اني عرفت ذلك واظن ان اخاك حرم من هذا الجواد بالكلية وما عاد يقدر ان يصل اليهِ ولا يراه بطول حياتهِ قال ولما ذلك ومن الذي سرقهُ وسار بهِ واين هو الان قال اعلم ان الذي سرق الجواد هما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اللذين تركهما اخوك في مكة المطهرة يكنسان اسواقها فقد احتالا وهربا من هناك وجاءا الى المدائن واجتمعا بخنك واخبراهُ ان مرادهما الايقاع بالعرب واستعمال حيلة يقتلان بها الامير حمزة فقال لهما اذهبا من هنا الى حلب ولا تخبرا كسرى بشيء من هذا والا قتلتكما ولا تخبرا احدًا بانكما اجتمعتما بي واعلمهما بما وقع منك على كسرى وكيف انهُ صار يكره ذكر العرب ولا يريد ان يسمع من احد ذكر احدهم فقالوا لا بد لنا من مسك عمر العيار في هذه المرة والاتيان بهِ الى كسرى ليقتلهُ فقال اذا فعلتما ذلك اعطاكما نصف ملكهِ وقدمكما على غيركما من سائر الناس فسارا حتى اختلطا بالعرب واقاما فيما بينكم يختفيان في النهار ويظهران في الليل يتوقعان الايقاع بك او باخيك دون ان ينالا مرادًا لانهما راياك ساهرًا كل السهر على نفسك وعليهِ وفي ذات يوم كانا خارج المدينة في احدى الحقول فرايا اليقظان جواد اخيك فقال احدهما للاخر هذا جواد الامير حمزة وهو عنده بمقام نفسهِ فاذا اخذناه تركناه يتحرق عليهِ ولا بد انهُ يفتش عليهِ ويسير في اثرنا من اجلهِ او يرسل عمرًا العيار فنقبض عليهِ ونمسكهُ وننال المراد ثم تقدما من الجواد ليمسكاه فلم يقدرا فجاءاه بفرس وقدماها منهُ واحتالا عليهِ بجنبها حتى قيداه فجراه خلفهما وجاءا الى المدائن فرحين مسرورين بذلك ودخلا على كسرى ومعهما الجواد ولم يبديا كلمة فاستشاط غضبًا وسال بختك من الذي ذكر لهما ان ياتياه بالجواد فانكر انهُ ما راهما ولا عرف شيئًا من مرهما فطردهما كسرى من امام وجههِ وامرهما ان لا يبقيا الجواد في المدائن قط والا قتلهما فخرجا وفي المساء اجتمعا بالوزير الخبيث بختك بن قرقيش فقال لهما ان كسرى

لا يطيب خاطره ولا ينزل عن غيظهِ ما لم يقبض على عمر ويقتلهُ ويشفي فؤادهُ منهُ فاخبروه بكل ما كان لهما عندكم وكيف انهما ما قدرا الا على سرقة الجواد ولهما الامل الاكبر بمسك اخيك او مسكك فقال لهما حيث ان الملك الاكبر لا يقبل ان يبقى هذا الجواد في المدائن خوفًا من وقوع حيلة ثانية من عمر العيار عليهِ فاذهبا بهِ الى بلاد العبيد والسودان الى فرهود صاحب التكرور وهو قادر ان يحميكما من غدرات الايام وانا اعرف ان العرب لا يتركون الجواد ولا بد من ان يعرفوا انهُ هناك فيسيرون في طلبهِ وينقرضوا في تلك النواحي واني اكتب كتابة لفرهود على لسان كسرى اوصيهِ بكما واسالهُ ان يعتمد عليكما في كل اموره فاستحسنا هذا الامر واخذا كتابة منهُ الى فرهود وفي نفس ذاك اليوم عرفت بهذا الامر واخبرني احد خدام بختك بكل ما سمع وهو من اتباعي ومحبيَّ يظهر لدى مولاه ببغضي وبغض العرب وفي السر يحبنا جميعًا ويعبد الله العزيز الجبار وقد تكدرت من هذا الخبر لعلمي ان الجواد اخذ الى تلك النواحي ولا يمكنكم المسير اليها لبعدها وصعوبة مسالكها وحزنت جدًا على ذاك الجواد الذي لا نظير لهُ وانا قاطع الرجاء من رجوعهِ الى اخيك قال اني اعدك ان اخي يذهب الى تلك النواحي وياتي بالجواد ويقتل فرهودًا ويجازي اللصين اللذين سرقا جواده وسوف تصل اليك الاخبار قال وفقهُ الله وابعد عنهُ كل شر وويل وقهر اعداءه بين يديهِ

فشكره عمر على غيرتهِ وقبل يديهِ وخرج من المدائن وهو يتعجب من عمل عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي كيف انهما كانا في حلب واقاما بينهم عدة ايام وهو ساهٍ لاهٍ عنهما وما عرفهما ولما وصل الى حلب دخل على اخيهِ وعاد عليهِ كل ما سمعهُ من بزرجمهر عن الجواد وانهُ اخذ الى داخل بلاد السودان الى فرهود صاحب التكرور فغضب حمزة وقال اني ابقيت على هذين الشريرين علة لنا ونقمة واني ساسير في اثرهما ابن سارا ولا اترك جوادي ولو اخذاه الى داخل البحور السبعة او الى ما وراء جبال قاف ثم التفت الى قومهِ وفرسانهِ وقال لهم انكم سمعتم ان اليقظان هو الان في بلاد السودان وعليهِ فاني عولت ان اذهب الى خلاصهِ واعيده الي اذ لا صبر لي على فراقهِ وتركهِ بيد اعدائي فمن منكم اراد المسير معي فليكن على حذر ومن اراد البقاء في هذه البلاد فلهُ الخيار فقال لهُ الجميع اننا لا نفارقك ولا نبعد عنك ولو سرت الى الموت كنا معك ولا حياة لنا الا بقربك ولا بد من تاتر هذين الخبيثين وارجاع الجواد من تلك البلاد الصعبة فشكر الامير من اهتمامهم وحبهم واوصاهم ان يكونوا على اهبة المسير فيبارحون تلك الارض في مدة ثلاثة ايام فاخذ كل في تدبير امر نفسهِ وحملوا الاحمال والخيام وقادوا الجنائب وسرحوا الاغنام وكل ما يلزمهم من المؤن وفي اليوم الثالث ركب الامير على جواده الاشقران وركب الى جانبهِ اندهوق بن سعدون والملك النجاشي وعمر الاندلسي والمعتدي حامي السواحل

وقاهر الخيل و بشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وكل بطل من ابطال الكفاح وساروا عن حلب و بعد ان حصنوها وتركوا اثارهم فيها ولا زالوا في مسيرهم مدة ايام وليال حتى جاءوا دمشق الفيحاء وكان ذلك في زمن الربيع وقد فتحت الازهار وفاحت الروائح الزكية واكتست الارض ثوبًا اخضر بما يبهج الانظار ويذهب بالافكار فسر الامير من تلك الارض وامر عساكرهُ ان تنزل في ضواحي البلد واوصى ان لا يضر احد بالمزروعات والحياض وكل ما ياخذونهُ من المدينة واهلها يدفعون ثمنهُ مضاعفًا فخرج اليهِ اهل البلد وقدموا لهُ طاعتهم وشكروه على نزولهِ عندهم وترحبوا بهِ كل الترحيب وقدموا لهُ الاكرام الواجب . فعظموا في عينيهِ وحب القيام بينهم وصرف مدة الربيع هناك وقد راى منهم من الانس واللطف والظرف ما لم يرهُ في بلد من كل البلاد الذي جاءها ودخلها وعرف ان ما كان يسمعهُ عن اهل تلك المدينة هو اقل من الحقيقة . ولذلك قال لزوجتهِ مهردكار اذا سمح لي الزمان وتركت الحرب ما اخترت غير هذه المدينة موطنًا لانها جنة عدن واهلها ملائكة الوداعة والعذوبة فهم عائشون في نعيم وقد نظرت منهم ما يكاد ينسيني اهلي وجوادي الذي انا سائر في طلبهِ . قالت اني عرفت ذلك وما سرورك باعظم من سروري واني كنت احب ان ارجوك البقاء في هذا البلد ولو اشهرًا واذا خيرتني رضيت البقاء فيها طول عمري قال اليك ما تطلبين فهذه فرصة ولذة عيش ينبغي ان نختلسها و يطيب قلبك فيها ولا اعلم هل يسمح لنا الزمان بالرجوع الى هذا الفردوس البهيج مرة ثانية ام لا . وصار الامير يزور رياضها وجناتها و بساتينها وفي كل يوم يسهرون الى ان يقرب الصباح وهم على اللهو والحظ والانشراح يتمثلون بقول القائل

دعك من نهي النهاةِ وملام العاذلاتِ
ودیار خالياتٍ وطلولٍ بالياتِ
لا يروق الشعر الا في رقيق الوجناتِ
واعتبر في تركك الرا ح باموات الصحاتِ
في قصور عالياتٍ ورياضٍ عطراتِ
تحت استار غصونٍ فوق ديباج نباتِ
قولهم افديك مولا ي خذ الكاس وهاتِ
فاختلس فيهِ التصابي سابقًا وشك الفواتِ
واطرح وصف الفيافي ووخيد اليعملاتِ
ما الذي يحسن من نعـ ـت رسوم دارساتِ
فابذل المجهود في وصـ ـف مدامٍ وسقاتِ

واسرق اللذات ما دا م لك الدهر موات
بين تغريد حماما ت وانشاد رواة
وندامى هم نجوم بل بدور الداجيات
واقاح الروض في الوصـ ـف ثغور الغانيات
واشفع اللهو باصوا ت المثاني المطربات

وما برحوا في ذاك النعيم مدة غير قصيرة حتى قارب فصل الخريف فرحلوا من هناك آسفين على هذا الرحيل وما منهم الاَّ من يتمنى لو طال زمان قيامهِ بين اولئك الاقوام الذين ضربت بانسهم وكرمهم الامثال ما عدا طوربان فانها كانت طول تلك المدة ضيقة الصدر مفطورة القلب باكية العين تندب بعد زوجها وغيابة كل هذه الايام وليس عندها الا ولدها سعد وقد قارب العشر سنوات الا انهُ اصبح كالغول وهو يتمنى ان يلتقي بابيهِ وداموا في المسير مدة ايام وليالٍ حتى قربوا من مصر وشاع خبر وصولهم الى تلك الديار فجعلت العمال وحكام القطيعات تاتي اليهم وتزورهم وتقدم لهم كل احتياجاتهم والامير يردها اليهم ويشكرهم على طاعتهم وفي كل مكان يقيم اياماً واخيرًا خرج اسمندار حاكم مصر الذي كان اقامهُ عليها حاكماً كما تقدم معنا فترجل بين يدى الامير وسلم عليهِ وسار بين يديهِ الى المدينة وقد خرج الكبير والصغير الى ملتقاه والسلام عليهِ وقد زينوا لهُ البلد وذبحوا الذبائح واولموا الولائم واكثروا من الدعوات والامير يزور الكبير والصغير ويحرصهم على الطاعة والسلام ويمدح من التفاتهم وبقي هناك عدة ايام . ولما عزم على المسير والرحيل وصل الامير اندهوق كتاب من عمهِ الذي اخلفهُ في سرنديب يقول لهُ فيهِ . اعلم يا ابن اخي انهُ منذ غيابك عنا والبلاد في امان واطمئنان غير ان هذه الايام قد طمع بنا ملوك التركمان وهم ثلاثة ومعهم العساكر الغزيرة وقد زحفوا على البلاد وفي نيتهم ان يملكوها فدافعنا الدفاع العظيم الا اننا لم نقدر ان نمنعهم عنا ونفوز عليهم بل بالعكس انكسرت شوكتنا فتاخرنا وحاصرنا داخل المدينة مؤملين ان نبقى على هذا الحصار الى حين مجيئك فاياك من الاهمال والتاخير فان البلاد ستخرب والنساء ستسبى والرجال ستقتل ولا يبقون على احدٍ واذا وقعت بايديهم لا بد من ان يقتلوني وينزلوا بي العبر فاسرع بقومك والسلام

فلما قرأ اندهوق الكتاب تكدر غاية الكدر واطرق الى الارض برهة كانهُ واقع بحيرة عظيمة فقال لهُ الامير هيا بنا نسير يا اخي الى بلادك ونفرج عنكم هذا الكرب ومن ثم نعود الى بلاد السودان ونخلص الجواد من آخذيهِ . فقال لهُ الامر لا يحتاج الى مسيرنا كلنا فاني اعرف من نفسي اني كفوءٌ لهلاك المعتدين ومهاجمي بلادي غير ان غيظي وكدري من وقوع مثل هذا الامر وانا بحاجة لان ابقى بين يديك واقاتل في ركابك خدمة للعرب . قال اننا لا نعدم

من بسالتك واقدامك فسر الى بلادك وافرج الكرب عن قومك واذا رايت ان الامر بحاجة الينا سرنا اليك وكشفنا عن بلادك الضيم واهلكنا التركمان عن اجمعهم . فاجاب اندهوق راي الامير ونهض بقومهِ وودع العرب وهو باكي العين حزين القلب على فراقهم وكذلك هم فانهم حزنوا جداً وودعوه بدموع الحب والمودة ودعوا لبعضهم بالبقاء والسلام وسار اندهوق لنحو سرنديب الهند بقومهِ ورجالهِ الذين جاء بهم وهو يتمنى ان يصل باقرب آن . ومن بعد مسيره امر الامير العرب ومن معهم ان يركبوا ويسيروا في طريق السودان ليزحفوا من هناك على التكرور فركبوا ومشوا والامير في مقدمتهم وهو حزين جداً لا يفوه بكلمة قط وقد لاح في خاطره ان فرحهُ بقومهِ وفرسانهِ المجتمعة ربما انقلب الى حزن ووبال لانهُ فقد ولدهُ وهو ركن عظيم في العرب تفتخر بهِ وقت القتال وكذلك اندهوق بن سعدون ولا يعلم ماذا يكون من امره هل يسمح لهُ الزمان ان يراه مرة ثانية ام لا . وما بعد عن مصر الا ساعات قليلة حتى ظهر من خلفهِ غبار مرتفع الى العنان ومن تحتهِ فرسان تسير مسرعة الى ناحية مصر فوقف الامير في مكانهِ وقال لاخيهِ عمر العيار سر الى كشف اخبار هذه الشرذمة لنعلم من عليها ومن اين آتية واخاف ان يكون قصدها نحن فاذا بعدنا عن البلاد نضيع عنهم ويضيعوا عنا فاجاب عمر سوال الامير وانطلق الى ان قرب من ذاك الغبار وتبين ما تحتهُ فاذا هم قوم من الاكراد فتقدم قليلاً ليرى من عليهم والى اي جهة سائرون واذا بهِ يرى في مقدمتهم الامير عمر اليوناني والى جانبهِ رجل عظيم ايضاً من الابطال فصاح صياح الفرح وصفق بيديهِ وتقدم نحوهُ فلما راهُ ابن حمزة ترجل عن الجواد ورمى بنفسهِ عليهِ وجعل يقبلهُ وهو يشكر الله على سلامتهِ واخبره بان اباه ارسلهُ لكشف خبره وانهُ بكدر عظيم من اجلهِ ثم انهُ كرَّ راجعاً حتى وصل من الامير ونادى بشراك يا اخي فقد فرج الله كربك وارجع اليك ولدك وهو سالم من غدرات الزمان ونوائب الايام فطار فواد الامير فرحاً وكاد يغمى عليهِ من شدة الفرح وما لبث حتى وصل منهُ ابنهُ فترجل وتقدم منهُ ففعل هو ايضاً وجعل يقبلهُ ويشكر الله على رجوعهِ اليهِ سالماً وفعلت مثلهُ جميع فرسان العرب من الكبير الى الصغير وكان الفرح شاملاً الجميع وسلموا ايضاً على باقي الذين معهُ وقال الامير ودعت في هذا اليوم اخي ولاقيت ولدي ومن الواجب ان افرح بهِ وامر ان يعود الجميع الى مصر ليبقى هناك بعض ايام اكراماً لهُ ليرتاح من مشاق السير والجد في تلك الطرق المقفرة الطويلة فرجعوا ثانية الى المدينة وقد ترحب بهم اسمندار كل الترحاب وهنا الامير بولدهِ واولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة اكراماً لهُ وزين المدينة زينة فاخرة وبعد ذلك سال الامير ابنهُ اين كانت غيبتهُ وفي اي مكان بقي كل هذه المدة ومن الذين رفقوه فاخبرهُ بقصتهِ من الاول الى الاخر

قال وهو ان عمرًا لما جرحهُ زوبين الغدار كما تقدم معنا وشرد بهِ الجواد في البر الاقفر كان هو غائب عن الصواب لا يعي الى اي جهة يسير فسار بهِ الجواد ركضًا الى ان وقف في ناحية من الارض مقفرة بعيدة عن الخوف وحينئذٍ انتبه الامير الى نفسهِ قليلاً ورمى بنفسهِ الى الارض وشعر قواه لان الدم كان يسير بغزارة من بدنهِ ولا يقدر على ضمد جرحهِ من نفسهِ ولم يعي على مثل ذلك وقد يئس من الحياة وشعر بفقدان القوى وصار يودع هذه الحياة وكان وهو في تلك الحالة يفكر بقومهِ وما حل بهم واعظم همهِ كان طوربان وولدهِ سعد الطوقي كيف انهُ يموت ولا يراهما وماذا يا ترى يصير بزوجتهِ اذا فارق هذه الحياة وعرفت بذلك وفيما هو على ذلك واذا بثلثمائة من الاكراد تحت رئاسة الامير الغضبان قد صادف مرورهم من الناحية فراوا الجواد عن بعد فتقدموا منهُ وراوهُ ملقى الى الارض وهو يأن من الوجع والالم فشفقوا عليهِ وتقدموا منهُ وحملوه معهم بعد ان ضمدوا جرحهُ وربطوه بمنديل وغسلوهُ بالماء وساروا بهِ حتى جاءوا قبيلتهم وكانت تلك القبيلة تحت امرة اخت الغضبان وهي من البنات ربات الجمال قد اعطيت من الحسن ابهاهُ ومن الشجاعة اسماها اسمها الاميرة هدلا فعرضوا اليها امر الامير عمر اليوناني وكيف راوهُ يكابد نزاع الموت على تلك الارض منقطعًا عن المساعد والمعين فحنت اليهِ وقالت حسنًا فعلتم لان الانسان يحتاج الى مساعدة بني جنسهِ ونظرت اليهِ وامعنت فيهِ وكانت ذات فراسة وامعان فعرفت انهُ من اولاد الملوك او الامراء وان لا بد ان يكون لهُ حديث وشان فامرت ان يوضع في بيتها وان يلازمهُ الطبيب في المساء والصباح . وان تبقى عندهُ الخدم الى ان يشفى وتذهب عنهُ الالام ويمكنهُ الجلوس وصارت في كل يوم تاتي اليهِ وتخدمهُ بنفسها وتلازم مداراتهِ وقد رأت منهُ شابًا جميلاً وهيبة ووقارًا فاخذ من قلبها موقعًا عظيمًا وصارت تتمنى ان يشفى لتسالهُ عن حالهِ وتعرف من هو وما الذي جرى عليهِ ومن الذي جرحهُ ولما كان جرحهُ بليغًا اقتضى لهُ وقتًا طويلاً للشفاء وصرف اكثر من ستة اشهر في الفراش حتى صار اخيرًا يمكنهُ الاستواء والجلوس والكلام واذ ذاك دنت منهُ الاميرة هدلا وهي مسرورة السرور العظيم وقالت اعلم ايها الرجل اني لست من الناس الذين يتباهون بعمل الجميل ولا اريد ان اذكرك باني وجدتك في البرية بحالة الياس وقطع الرجاء فعاملتك معاملة الام الحنونة لان الانسان ملزوم بان يعول ابن جبلتهِ ولا سيما من كان مثلك عليهِ دليل الكرامة والجلال وكنت احب ان لا اسالك عن نفسك ولا اريد ان اعرف من انت كي لا يقال باني عملت ما عملت لاجل غاية حتى ان نفسي لا تساعدني ان اعرف من هو الذي عملت معهُ المعروف ويكفاني ان اعرف فقط انهُ انسان لكن لما كانت غايتي الوحيدة ان اتوصل الى سبب جرحك لاعرف من الذي جرحك وبنفسي شيءٌ اخر اريد من اجلهِ ان اعرف اصلك وفصلك وهل اني مخطئة بظني لتاكدي انك من

السادات العظماء قال اني لا اريد ان اباهي بنفسي وكان بقصدي ان اخفي امري الى ان يسمح لي الزمان بمكافاتك على معروفك معي وانعطافك عليّ غير اني لا ارغب في الكذب وحيث سالتني عنهُ فاشرحهُ لديك لعلمي بانك وضعت الجميل في محلهِ فانا ابن من رجح ميزان العرب واخفى شمس العجم تحت حجاب الغرب . فاهتزت طربًا ومالت من الاعجاب وقالت انعم واكرم لقد عرفت بانك من فارس برية الحجاز وسيد سادات هذا الزمان الامير حمزة البهلوان الذي طالما تمنيت ان اكون في ركابهِ وبين يديهِ ونفسي تحدثني على الدوام ان اراهُ واری كيف هو فهل انت من زوجتهِ مهردكار فقال كلا ثم حكى لها قصتهُ من الاول الى الاخر الى ان جرحه زوبين الغدار غدرًا وخيانة وشرد بهِ الجواد وهو عليهِ يمسك نفسهُ فوقهُ على غير انتباه فقالت قطع الله يد زوبين الغدار واسكنهُ رمسهُ واني اشكر الله الذي اوصلك اليَّ وسمح لي ان اخدمك واقوم بين يديك فتكون مكافاتي عندك قبولي خادمة لك واكون عندك الى الابد فادرك عمر غايتها من انها تريد ان تتزوج بهِ وقد اعجبهُ حسنها وتعقلها وكرامة اخلاقها ولذلك سكت وكان يريد ان يمتنع كي لا يغيظ طوربان ولا ياخذ عليها زوجة ثانية الا انهُ كان يشعر بمعروفها معهُ واهتمامها بهِ وما اراد ان يبدي حركة او اشارة بل اظهر على نفسهِ انهُ متالم وصبر الى حين شفائهِ وكانت قد ادركت ذلك بفراستها وزكائها وعرفت ان اصل منشئهِ كونهُ متزوجًا بغيرها وكانت تتكدر من ذلك وتحترق كيف سبقتها اليهِ طوربان وساعدها الزمان بان تكون زوجتهُ الاولى والامرأة التي احبها قبل كل امرأة فاخذت المركز الاول من قلبهِ ومع كل ذلك فقد علقت املاً كبيرًا بانها ذات يوم تكون زوجتهُ وقالت في نفسها انهُ لا يزال مريضًا ومن اللازم السكوت عن هذا الامر الان الى وقتهِ وقد تعلقت بهِ كثيرًا وزاد هيامها وغرامها عندما تاكدت انهُ من اشرف الناس وسادات ذلك الزمان وان اباهُ الامير حمزة البهلوان شريف العمل والاصل وزادت في اكرامهِ وانتشر خبر ذكرهِ في كل القبيلة فصار كل واحد منهم يرغب ان يراهُ ويشاهدهُ ويخدمهُ ويكون بين يديهِ ليتوصل الى تقبيل ايادي ابيهِ وبقي الامير عمر على ذلك مدة اشهر ايضًا الى ان شفي تمام الشفاء وصار يمكنهُ ان يركب ويذهب الى البراري والقفار ويسير الى القبائل المجاورة مع الاميرة هدلا ومع اخيها ويسطو على كل عاصٍ حتى جعل للقبيلة صيتًا واسعًا بعيدًا وكل هذه المدة وهو مع هدلا على الحظ والانشراح وراى نفسهُ مضطرًا لان يحبها ويباديها على جميلها بالجميل واللطف فتكون قد اشترت حياتهُ وخدمتهُ لاجل نفسها ولا سيما عند ما راى من صفاتها الكريمة ما اعجبهُ وابهرهُ وما تصوره بغيرها من ربات الخدور وفي النهاية اخذها زوجة لهُ وزف عليها وسرَّ من قربها وصرف اياماً اخر على الحظ والهناء والسعادة والراحة وبعد ان انقضت هذه الايام قال لها قد انتهى كل شيء ولم تبقَ حاجة بنفس

يعقوب ولا خفاك اني مشغل البال بسبب اهلي ولا اعرف ما جرى عليهم في غيابي ولا ارى ماذا حلّ بابي وهل رجع اليهم اولا يزال بعيدًا عنهم وهل لا يزالون مجتمعين او انقرضوا وذهب كل منهم في ناحية ومن الواجب المسير الى حلب والانضام الى العرب قالت اليك ما شئت فاننا كلنا الان عبيدك وبين يديك وما من واحد يخافك وجميع من في القبيلة يرغب ان يسير الى ابيك ليقبل يديهِ ويكون بين العرب في خدمتهِ وهاك اخي الغضبان فانهُ رئيس القوم واميرهم وهو منتظر امرك واما انا فما عاد يمكني الاَّ الاقامة في البيوت والامتناع عن الركوب فوق الخيول ومباشرة الحروب كوني صرت مملوكة

وفي الحال ركب عمر اليوناني وركب معهُ كل فارس من الاكراد وحملوا الاحمال ورحلوا عن تلك الارض وداوموا المسير مدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى حلب فلم يروا هناك احدًا من العرب فخفق قلب عمر اليوناني وتقدم من المدينة فخرج اليهِ نصير الحلبي صاحب حلب وسلم عليهِ وهناه بسلامتهِ واخبره بان اباه سار بالعرب في طريق مصر على بلاد العبيد والسودان واخبره بقصة الجواد وانهُ سرق واخذ الى هناك . فاقام عمر اليوناني تلك الليلة في المدينة واخذ ما يحتاج اليهِ في سفره من المؤن ورحل من هناك في اثار ابيهِ يجد السير ويقطع الفيافي والقفار حتى وصل الى الشام فاخبروهُ انهُ سار عنها فرحل من هناك ولا زال ياخذ اخبارهُ حتى اجتمع بهِ في مصر كما تقدم معنا وفرح كل واحد وكانت طوربان اشد الجميع فرحًا وسرورًا وقد زالت عن قلبها الاكدار والاوصاب واطمأن بالها وخاطرها وسكن جاشها وصبرت الى ان جاءها فتلقتهُ وترحبت بهِ وسلمت عليهِ وبكت بكاء الافراح وكان من امرهِ ان اخذها الى صدره وقبلها في جبينها وشكر الله الذي راها سالمة وكذلك ولدهُ سعدًا وراه قد كبر وصحتهُ جيدة جدًا . ففرح بهِ واخبر زوجتهُ بما كان من امره فقالت اني سعيدة من الله الذي ارجعك اليَّ سالمًا وفرج كربي لاني كنت في كدر عظيم وتخلصت منهُ بعنايتهِ تعالى فعشت انا وعاش ولدي ورجعت انت بخير . ثم انها حكت لهُ كل ما كان من امرها عند كسرى انوشروان وكيف ان زوبين الغدار واباها قصدا هلاكها وهلاك ولدها مع باقي النساء والاولاد الى ان جاء عمر العيار وخلصهم جميعًا وحكت لهُ كيف عمل حتى خلصهم فضحك من عملهِ وقال لها ياذل العرب من بعدهِ لانهُ ساهر عليهم لا يغفل دقيقة عن صوالحهم ولا يقدر العدوان يصل شرًا الينا الا اذا كان غائبًا عنا واما زوبين فقد نويت على هلاكهِ ولا بد عند وقوعهِ بيدي ان اهلكهُ واميتهُ شرَّ ميتة فقد طال في غدره وتمادى في شره ولولا ابي لقتلناهُ في هذه المرة وارتحنا منهُ . وصرف باقي ليلتهُ عندها الى الصباح

وبقي الامير حمزة في مصر سبعة ايام أُخر وبعد ذلك رحل من هناك في طريق بلاد

السودان بتلك الحملة العظيمة ودام في المسير على تلك الاراضي الحارة المحرقة وكل ما وصلوا الى ارض نزلوا بها للراحة واقاموا عدة ايام لياخذ العسكر راحتهُ ولا يتكدر احد منهم من التعب وشدة الحر وانتهى المسير بعد ذلك الى بلاد الملك فرهود صاحب التكرور فضربوا خيامهم ونزلوا في ساحة فسيحة وقد سدوا السهل والجبل وضرب الامير حمزة صيوان اليون شاه ونصب عند بابهِ علم بيكار الاشتهار حتى ابتهجت منهُ تلك الارض وتزينت من جمالهِ وبهائهِ ولما استقرَّ بالامير المقام كتب رسالة الى فرهود وبعثها اليهِ وانتظر الجواب

قال وكان فرهود من الابطال العظام اصحاب البسالة والاقدام وكان يندر وجود مثلهِ في زمانهِ طاغ باغ فذات يوم جاءهُ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ومعهما اليقظان فسلماه اليهِ ودفعا كتابة كسرى فقراها وقال لا بد لي من الاتمام والاجابة ولا بد ان برى ماذا افعل لهُ بالعرب اذا جاءوا بلادي واما انتما فعلى الرحب والسعة واكرامًا لخاطر كسرى اقدم بلادي بين ايديكما فسيرا واحكما وما من معارض يعارضكما . قالا اننا لا نريد امرًا ولا نحملك ثقلة بل اقبلنا في بلادك الى حين نتخلص من ظلم العرب ولا بد ان يعلموا بنا ويأتوا الى هذه النواحي . قال سوف يظهر لكما عملي وكان قد سرَّ جدًّا من الجواد اليقظان واعجبهُ واراد ان يركبهُ فامتنع عليهِ فتجاول واياه وقتًا فلم يقدر ان يعلو ظهره وهو يضرب برجليهِ الارض ويعلو بايديهِ ويهجم على كل من يقرب منهُ حتى قتل خمسة من العبيد فغضب منهُ فرهود واراد ان يقتلهُ لولا حبهُ لهُ ومعرفتهُ انهُ اذا كان على ظهره وقاتل اعظم الابطال فاز عليهِ فقاده العبيد الى اصطبل مخصوص وضعوه فيهِ وجعلوا يقدمون لهُ الاكل وصبر فرهود الى ان ينال مرادهُ منهُ وصار في كل مدة ياتي ويجرب نفسهُ دون ان يحصل منهُ على نتيجة الى ان وصل العرب تلك الديار واخذ مكتوب الامير حمزة ففضهُ وقراهُ واذا بهِ

بسم الله الحي القيوم

اعلم ايها الملك الجاهل اني انا الامير حمزة فارس برية الحجاز ومذل الاكاسرة وابطال هذا الزمان قد جئت بلادك لاجل غاية واحدة لا اريد سواها وهي انهُ بلغني ان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد سرقا لي جوادي وهربا اليك فقبلتهما واكرمتهما واخذت الجواد لنفسك فاريد منك ان ترجع اليَّ جوادي في الحال وتسلمني هذين الخبيثين اللصين فاسير عنك في الحال ولا اضر باحد من بلادك وتكون قد حقنت دماء بني البشر ورفعت عن قومك ثقلة حرب العرب ورفعت العداوة من بيننا والاَّ فاني لا انفك عن بلادك ما لم اضربها واقتل كل امير وسيد فيها واسترجع جوادي قوةً واقتدارًا فلا ينفعك العناد ولا توخذ باقوال عمر ابن شداد وصقلان الرومي فهما يقصدان غشك والسلام

فلما قرأ فرهود هذه الرسالة التفت الى عمر بن شداد وقال له اسمعت ما يقول امير العرب كأنه يظن باني اخافه او اخاف رجاله وسوف يرى مني حرباً لم يرها زمانه بطوله وهو يتهددني قاصداً اخافتي وفزعي قال له اعلم ياسيدي ان العرب قوم كذابون وما هم الا اهل بادية ومتى حاربتهم عرفت انهم من اجبن اهل الارض لا يثبتون امامك ولا يطيقون حربك وخصامك فاخرج اليهم بالعساكر والابطال حتى اذا رأوا منك ذلك خافوا واضطربوا وعرفوا انك من الابطال الاشداء اصحاب الصولة والعظمة فيرجعون في الحال على اعقابهم او انهم يفنون بسيفك وحسامك ولا ريب انه اذا عرف الملك الاكبر بانك قتلت حمزة وبددت العرب انعم عليك الانعام الكثيرة ومدح منك ومن معروفك وشاع صيتك بين الناس اجمعها في اربعة اقطار المسكونة فيعترفون بانك فارس هذا الزمان الامجد وبطله الاوحد فيطيعك البعيد والقريب ويمكنك ان تملك على قسم كبير من العالم من مصر الى اقاصي الارض فامر فرهود في الحال بجمع العساكر والاستعداد للحرب والقتال وارجع رسول حمزة بلا جواب واقام العرب مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس خرج فرهود برجاله وابطاله السودان وهم كالجراد المنتشر ويدبر امرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وضرب خيامه مقابل خيام العرب ونزل بعساكره هناك فعرف الامير حمزة ان في اليوم التالي ينتشب الحرب والقتال فاستعد مع قومه الى ان كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وخرجت الفرسان من مرابضها كانها اسود البطاح وقد اشهرت بيض الصفاح وهزت عوامل الرماح ونقدمت من بعضها البعض وانتظرت الاوامر بالهجوم وكان الامير حمزة في الوسط فاخرج سيفه من غمده واشار الى العرب بالهجوم والقتال واقتحم تلك المعركة بقلب قد من صوان الجبال وهو ينادي انا حمزة العرب سيد الفرسان والابطال وحبيب مهردكار ذات الحسن والجمال وفعل مثل ذلك الامير عمر اليوناني وهو يهدر كالجمال . ويزأر كاسود الدحال . وعمر الاندلسي والنجاشي والمعتدي حامي السواحل الاقيال . واصفران الدربندي ومعقل البهلوان وفاهل الخيل ومباشر وبشير فتعاظمت الاحوال وعظمت الاهوال . وانتشر غبار الموت . واندفع عزرائيل الى قبض الارواح خوفاً من ان يفوته الفوت . واما فرهود فانه قوم سنانه . واطلق لجواده عنانه . وغاص بين العرب . وانزل عليهم ميازيب العذاب والكرب . وقد قلب المياسر على الميامن والميامن على المياسر . وابهج بقتاله الخواطر . وحير النواظر . وما قصد كتيبة الا فرقها . ولا وقع على فرقة الا ومحقها . هذا وقد اشتد القتال والطعان . وراج سوق الموت والهوان . ونادى منادي الهلاك والقلعان . الا هبوا الى الرحيل فقد آن الاوان . ونصبت كفة الميزان . ليظهر الرابح من الخسران . والناقص من الرجحان . وقد كثر الهول وقلّ الامان . وانتشبت اظافر الهلاك

في افئدة الشجعان . فالقت بها الى بساط الصحصحان . تقلبها في حجر الفناء تقلب الموجوع السهران على فرش الضنا من لسع السنان . فصمت الاذان . وعميت العينان . وثبت الشجاع وفرَّ الجبان يتخبى في مغاير ذاك المكان . الى ان ينقضي النهار . ويقبل الليل بالاعتكار . ويعود متظاهرًا بالقتال مفتخرًا بالنزال . وما برحت الحرب قائمة على ساقٍ وقدم . ونيران الوغى تزاد وتضرم الى ان ولى النهار وانهزم . واقبل جيش الظلم . فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى المضارب والخيام بعد ان صبغوا وجه الارض بالاحمرار . وكسوا البسيطة ثوبًا بلون البهار . وتركوا القتلى والجرحى فيها اكثر من رمل البحار . فسبحان العزيز الجبار . والواحد القهار . الذي قدَّر على الانسان ما شاء واختار . وجعل من مزاياهُ حب الانتقام . من الاعداء والاخصام كما جعل في قلبهِ حب الامان والسلام . من الاحباب والاهل والاصحاب

وبات القومان وهما من التعب في هم وغم وكان قد تعجب الامير حمزة من ثبات السودان وجلادهم على الحرب والطعان وهم لا يخافون الموت ولا يحسبون حسابًا للقتل والهلاك كأَن البربرية فرضت عليهم ان من الواجب على الانسان الموت في ساحة الميدان وعند ما اشرق وجه الصباح ولاح نورهُ وانبسط على تلك البراري والبطاح . نهضت الفوارس الى خيولها فركبتها والى اسلحتها فنقلتها . وتقدم الصفان . وترتب الفريقان . وباقل من ساعة من ساعات الزمان . حمل الجميع على بعضهم البعض . وابتدوا يتضاربون ويتطاعنون ويبربرون بما يخيل للناظر انهُ جاء يوم العرض . وكان القتال في هذا اليوم اعظم من اليوم الاول . والموت اشد واعمل حتى تحرك الظلام واقبل . فرجع المتقاتلان الى الخيام وفي الصباح رجعا الى الحرب والكفاح . ودام الحال على هذا المنوال مدة عشرين يومًا على التمام . وفي الاخير ضجر كل من الفريقين وقد قال فرهود لقومهِ اني ما كنت احسب ان فرسان العرب بهذا المقدار قوية الجاش ثابتة العزيمة فقد اهلكوا اكثر من نصف قومي وان كنت اهلكت منهم كثيرًا لكني لا ارى وسيلة لانقراضهم لانهُ لو بقي منهم لثبت وقاتل ووقف في وجه فرساني . وقد كدرني هذا كثيرًا وجعلني بحالة ياس وخوف على رجالي ان يفنوا قبل ان اتم عملي واهلكهم جميعًا . فقال لهُ عمر بن شداد الحبشي ان العرب كثيرون وهم من عالم مختلف وبينهم كثير من الفرسان الذين اذا قتلوا انقرضت بسالة جماعتهم وتفرقوا ومن الراي عندي ان لا تلقي برجالك الى ساحة القتال بل ابرز انت وادعهم واحدًا بعد واحد فاذا قتلتهم واقتلعت فرسانهم هرب الباقون او سلموا ولا سيما الامير حمزة وولدهُ عمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل . فقال لقد اصبت ولا بد لي من ان اترقب ذلك واباشر القتال بنفسي وامنع قومي وسوف ترى ما افعل بالامير حمزة وفرسانهِ

فهذا ما كان منهُ واما ما كان من الامير حمزة وقومهِ فانهم عند رجوعهم من ساحة القتال

دار بينهم الكلام في هذا الشان . فقال الامير اني اريد ان اعرف فكر فرهود في امر القتال وكيف انهُ لم يحاربنا على الجواد واخاف ان يكون جوادي قتل او ابعدوهُ عن هذا المكان . والاَّ لو كان بيد فرهود لكان حارب عليهِ وافتخر بهِ . فقال عمر العيار اني ساذهب في هذه الساعة واكتشف خبر السودان وارى اين هو الجواد واذا تسهل لي ان اصل اليهِ احتلت واتيت بهِ ولو كان دونهُ الف عيار ومحتال . فقال لهُ الامير سر على توفيق الله ونجاحه عسى ان الصدف تخولك في هذه المرة كما في غيرها فتاتيني باليقظان . فاجاب عمر في الحال ولبس ملابس السودان وتزيا بزيهم حتى صار كواحد منهم وانطلق الى معسكرهم واختلط فيهم وهو سائر من مكان الى مكان حتى وصل الى صيوان فرهود فدخلهُ ووقف بين الخدم ونظر الى فرهود في الصدر ومن حواليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسمع عمر بن شداد الحبشي يكلمهُ بشان العرب الى ان قال لهُ اخيرًا واني اكفل لك النصر ياسيدي والفوز لانهُ خطر بفكري خاطر وهو انهُ عندي سلسال من الحديد اذا القيتهُ على الفارس ولو كان بعيدًا علق بهِ فتسحبهُ اليك اسيرًا وحيث قد نويت على البراز فلا بد ان يكون معك فتنال المراد وانا منذ هذه الساعة ساذهب الى صيواني وارجع اليك بعد قليل ومعي السلسال . فقال افعل ما بدا لك وعجل بالسلسال فنهض عمر وخرج امام الجميع من الصيوان وبقي عمر العيار ينظر اليهِ ويتعجب من خباثتهِ حتى راهُ قد خرج من الصيوان وبعد وما عاد بان فاعاد بنظرهِ الى فرهود وهو آمن من غدرات الزمان ولم يخطر بفكره بان احدًا يعرفهُ من اولئك الحضور ولا غيرهم من عالم الانس والجان وفيما هو كذلك ما شعر الا وعمر بن شداد الحبشي قد قبض عليهِ من الوراء وصاح هذا هو عمر العيار ياسيدي قد وقع بايدينا وجاء ليحتال علينا فهلموا ياخدم الى مسكهِ فاسرع الجميع اليهِ وقبضوا عليهِ فانبهر كيف اخذ بغتة وكيف عرف واراد ان يحاول وينفي عن نفسهِ فلم يسمع لهُ احد بل كتفوهُ وقربوهُ من فرهود وقال لهُ هذا ياسيدي راس العرب وفخرهم فلولاه لما نجحوا ولا فازوا وهو حاميهم في الليل والنهار وطالما قصدت ان اسرق الامير حمزة او غيره من الفرسان فامتنعت خوفًا منهُ لانهُ ساهر العين متيقظ الخاطر لا يغفل عن احد ولا يرى فوزًا بالعرب بدونهِ . ففرح فرهود غاية الفرح وقال طالما سمعت عنهُ انهُ شيطان في صورة انسان ولكني اراه كواحد منا وليس من العرب ومن اين عرفتهُ ولو رايتهُ الف مرة لما تاكدت الاَّ انهُ من قومي . قال هذا لا اعرفهُ ولا اعرف حيلة من هذا الوجه وجل ما اعرفهُ عنهُ انهُ يتزيا بزي كل رجل من رجال هذا العالم حبشيًا كان او عجميًا . ثم اخبره بما كان من امر هدهد مرزبان وكيف قتلهُ واحتال على كسرى فتركهُ يقبل يديهِ وخلص النساء فتعجب فرهود وانبهر وقال هذا لا بد من قتلهِ وهلاكهِ لترتاح الناس من شرهِ وكيدهِ فخذهُ واقتلهُ قال ليس في قتلهِ فائدة الان ياسيدي لاننا

اذا ذهبنا بهِ الى كسرى انوشروان وسلمناهُ اياهُ حيًّا يقتلهُ وينتقم لنفسهِ منهُ اعطانا نصف ملكهِ واصبح ممنونًا منك شاكرًا من صدقك ومودتك وهكذا كل فارس اسرناه سرنا بهِ الى المدائن ولا بد لي من الاحتيال بسرقة الامير حمزة حتى اذا فرغنا من الحرب سرنا بهما الى الملك الاكبر وسوف ترى ما يكون لك من الاكرام عندهُ والانعام . قال صدقت ولا بد من المحافظة عليهِ والتشديد في اسره واني ساسلمهُ الى عياري الاكبر فرار واوكلهُ بالمحافظة عليهِ الليل والنهار ولا يفارقهُ ابدًا حتى ابدد قومهُ

قال وكان السبب بمسك عمر العيار هو ان ابن شداد كان كما تقدم معنا خبيثًا محتالاً متيقظًا منتبهًا من اكبر العيارين واعظم السلالين وقد عرف ان الامير عمر لا بد لهُ ان ياتي الى صيوان فرهود في كل الاوقات ويغير زيهُ حتى لا يعرفهُ احد وعرف هو ايضًا انهُ اذا راهُ ربما اشكل عليهِ امرهُ وما انتبه اليهِ فعد عدد الخدم الموكلين بخدمة الصيوان فاذا هم عشرة ففكر انهُ متى راهم زادوا واحدًا يكون الزائد عمر لكنهُ بقي عليهِ ان يعرفهُ ويعرف من هو من بينهم ليقبض عليهِ فدعا بالخدم المذكورين واخبرهم بهذه القضية وقال لهم اني موكد بان هذا الخبيث لا بد ان ياتي يسترق منا الاخبار او بالحري يسرق سيدكم واني نويت على مسكهِ واخاف ان لا اعرفهُ من بينكم فمتى رايتموني نظرت اليكم ووضعت يدي على راسي فليقبض كل واحد بيدهِ اليمنى اذنهُ اليسار واحدًا بعد واحدٍ ومن لم يقبض اذنهُ يكون هو فيقبض عليهِ ولا نعفو عنهُ واياكم من التقصير واوصاهم بذلك كثيرًا ويكتم هذا الامر بينهم وجعل في كل ليلة دابهُ ان يعدهم في كل دقيقة فيراهم على حالهم وهو مكدر كيف لم ياتِ عمر لانهُ يشتهي ان يقبض عليهِ لياخذهُ كسرى ويقبض انعاماتهِ التي وعد بها وصرف نحو عشرين يومًا قلقًا ولكنهُ ما فتر عن الانتباه وفي كل يوم يعيد الامر على الخدم ويوصيهم بالطاعة ويومل انهُ في اليوم القادم ياتي حتى تلك الليلة فعد الخدم بلحظة وهو يكلم فرهود فراهم قد زادوا واحدًا فسقط الهم عن قلبهِ وتاكد مجيء عمر العيار وكاد يطير فرحًا لكنهُ اخفى حالهُ وخاف ان اظهر امره حالا فرَّ وطار ولا يقدر على مسكهِ فمد يده الى راسهِ فانتبه الخدم وجعل كل واحد بدوره يقبض اذنهُ ما عدا عمر العيار فانهُ ما عرف هذه الحيلة وما انتبه اليها ولما عرفهُ اكيدًا نهض واحتال بقولهِ ان مرادهُ ياتي بالسلسال حتى يبعد عن الصيوان ثم عاد متلصصًا وقبض عليهِ بغتة . فانفطر قلب عمر من عملهِ واحتار كيف ان هذا الخبيث عرفهُ مع ان لا احد في الدنيا يقدر ان يعرفهُ وصار عمر بن شداد الحبشي يعد نفسهُ بانهُ ينال نصف اموال كسرى ويتقدم في دولتهِ كثيرًا وقال في نفسهِ لا بد لي من اتمام العمل واسر الامير حمزة . ثم ان فرهودًا دعا اليهِ عياره فرارًا وقال لهُ اني اسلمك عمر العيار هذا واوصيك ان لا تفارقهُ دقيقة وانا الان في غنى عنك ما زال عندي ابن شداد وصفلان

الرومي وإياك من الغفلة فاجعل دابك المحافظة عليهِ وإذا هرب كان جزاؤك الاعدام . قال: يا سيدي اني لا افارقهُ دقيقة واحدة فانام عندهُ واقوم عنده واطعمهُ من يدي ولا ادع احدًا براه فسلمهُ اياه فرهود فاوثقهُ بالحبال وربط يديهِ وشدهما الى بعضهما وقادهُ الى خيمتهِ واقام عندهُ وجعل يطعمهُ ويسقيهِ من يديهِ وقد شده الى وتدٍ في الخيمة مربوط الرجلين والايدي وهو يحرق ويتحسر على ما اصابهُ

فهذا ما كان منهُ واما ما كان الامير حمزة والعرب فانهم صرفوا قسمًا من الليل في صيوان اليون شاه بانتظارهِ فلم يرجع فشغل بال الامير من جهتهِ وقال لا اعرف كيف بقي الى الان وما رجع الينا فقال النجاشي ربما تاخر ليسرق الجواد و يرجع بهِ واني اوكد بان لا احدًا يعرفهُ منهم لتغيير حالتهِ واخيرًا نهض الامير الى صيوان منامتهِ فنام وتفرق العرب كل الى صيوانهِ . على امل ان ينهض في الصباح الى الحرب والكفاح . واما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانهما بعد ان انصرفا من حضرة فرهود قال الاول للاخر قد تاكد لدينا النجاح ولا بد لي بعد نهاية الحرب ان اخذ عمر العيار الى المدائن واسلمهُ الى كسرى فننال انعامهُ . قال لا بد ان الملك الاكبر يسر منا سرورًا لا مزيد عليهِ ولكن يبقى عليهِ عداوة العرب لانهم لا يتركون عيارهم وعندي ان نحتال على مسك حمزة العرب فاذا فعلنا ذلك انطفئت جمرة العدوان وتفرق العرب بعد انكسار شوكتهم وسرَّ كسرى سرورًا كاملاً فيقتل الاثنين معًا . قال صدقت واذا كان لذلك من فرصة فهي الان لان امير العرب ينام مطمئنًا لجهلهِ ما وقع على عياره ولا ريب انهُ بدون محافظة ولا حارس ينتظر عودة حارسهِ فهلمَّ بنا الى معسكر العرب فناتي بحمزة فاجابهُ الى ذلك وانسل الاثنان بين العرب يتلبدان من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة والعرب نائمين في حجر الامان . حتى وصلا الى مكان الامير حمزة فلم يريا احدًا عند بابهِ سوى خادمين تغلب عليهما النعاس وسطا عليهما سلطان النوم فهجم كل واحد على واحدٍ وبغتة سد فمهُ والقاه الى الارض واخذا قليلاً من البنج فاشعلاه وحذفاه الى داخل الصيوان وصبرا بريهة ثم دخلا وربطا الامير حمزة وحملاه وسارا بهِ في الجهة القريبة من البر . ثم عرجا الى المعسكر وهما بمزيد الفرح والمسرة وكلاً منهما يعد نفسهُ بالسعادة والاقبال ولما وصلا الى معسكر السودان دخلا على فرهود وهو نائم وايقظاه من فراشهِ ودفعا اليهِ الامير ففرح غاية الفرح وقال حسنًا فعلتما وكيف قدرتما على ذلك فاخبراهُ بعملهما . وبعد ذلك امرهما ان يعطياه ضد البنج ففعلا ولما استيقظ حمزة وجد نفسهُ بين الاعداء وامامهُ فرهود وعدواه الالدان ابن شداد وصقلان فعض على كفيهِ من شدة الاسف وتاكد وقوعهُ بايديهم وبقي صامتًا . الى ان قال لهُ فرهود كيف ترى نفسك الان فهل عرفت ان عداوة كسرى لا تطاق وان العالم باجمعهِ يخدمهُ وانهُ اذا حاربكم

الى اخر الزمان لا يكل ولا يمل ويقدر ان يسحب بعساكره لقتالكم مهما قتلتم ولا بد من هلاككم وموتك باقرب وقت لاربح الدنيا من شرك واخدم الملك الاكبر خدمة صادقة . فقال صقلان سنسير بهِ الى المدائن ونذبحهُ عند اقدام كسرى مع اخيهِ . ثم قال لحمزة اعلم ان اخاك قد وقع بايدينا وما من سبيل لنجاتهِ بعد الان وهو مربوط الايدي والارجل لا يقدر احد الى الوصول اليهِ . فاغتاظ حمزة من هذا الامر وتأكد عنده ان العرب ستباد بعدهُ وبعد اخيهِ وندم غاية الندم كيف انهُ ابقى على هذين الشقيين ولم يقتلهما ويرتاح من شرهما ولكنهُ اظهر الجلد وقال لفرهود ان كنت تظن حمزة وقع في اسرك وانك تقدر على هلاكهِ فقد غلطت لان الهي يقدر على خلاصي في كل دقيقة وسوف تدور الدائرة عليك فتذهب طعاماً للاسنة لان بين جيوشي كثير من مثلي ولا بد من اخذ ثاري ولو انك اسرتني في ساحة الميدان لحق لك ان تفتخر وتباهي ولكن الحيلة عار على فاعلها ولو كنت اريد ان اخذك غدراً كما اخذتني لما صعب عليّ ولكني اكره الاسراف واحب ان اخذ خصمي مواجهة وجهاً لوجهٍ فافعل الان ما انت فاعل فغضب فرهود من كلامهِ واراد ان يميتهُ في الحال فقال عمر بن شداد الحبشي ابقهِ الان تحت الحفظ حتى نهلك قومهُ ونسير بهما الى المدائن . وعندي ان ترسلهُ الى قلعة الحديد عند شاطئ البحر وتوكل بهِ حاكم القلعة الى ان تطلبهُ منهُ واوصهِ ان لا يسلمهُ الى احد حتى ولا الى ملك ملوك السودان وحاكم العبيد باجمعها حتى ولا الى كسرى انوشروان الاَّ انت بنفسك . فاستصوب هذا الامر وارسلهُ مع جماعة من عسكره الى محافظ القلعة وكتب لهُ ان يحافظ عليهِ ولا يسلمهُ الى احدٍ مطلقاً . فاخذهُ المحافظ وكان اسمهُ الامير هداد ووضعهُ داخل القلعة واقفل ابوابها واعتمد ان لا يفتح لاحد وراى الامير حمزة نفسهُ مقيداً وماسوراً في ذاك المكان فانطبقت الدنيا عليهِ وشعر بانسلاخ حياتهِ وخاف كثيراً على العرب ولا سيما على اولاده وزوجاتهِ من كيد الخبيثين واخيراً صلى الى الله وطلب منهُ المعاونة والاغاثة وبقي على امل الفرج منهُ تعالى

وفي صباح اليوم الثاني نهض العرب من مراقدهم وافتقدوا اميرهم فما وجدوه ورأوا الخادمين على تلك الحالة ففكوهما وسالوهما عما كان من امر الامير فاخبراهم بعمل السلالين فتكدروا من ذلك وخافوا على حمزة ووقعوا باليأس والمصائب وعند ما راى عمر اليوناني حالهم قال لهم لا ترتاعوا ولا تضطربوا فشدوا عزائمكم وقووا قلوبكم واحملوا على الاعداء فاذا فزتم خلصتم الامير ولا ريب ايضاً ان عمر العيار وقع بايديهم واصابهُ ما اصاب ابي فالاتكال علينا والاَّ ذهبنا ذري الرياح وطمع السودان فينا واصابونا باكبر مصيبة وان كان ابي قد اسر فانا مكانهُ وترونني افدي روحي في سبيل النجاح والفوز . فقالوا لهُ اننا نقسم بالله العظيم ان تكون ارواحنا فدية عن الامير ولا نرجع عن القتال حتى نخلصهُ ونهلك الاعداء او نهلك عن اخرنا فمدح منهم

وامر في الحال بضرب طبول الحرب والقتال فضربت وارتجت منها السهول والجبال وتقدمت عساكر العرب كانها اسود الدحال وكان فرهود يظن بان العرب لا تقدر بعد الامير حمزة على القتال ولا يمكنها الثبات في ساحة المجال حتى راهم وقد حملوا فتعجب من عدم تاثيرهم وركب بعساكره وفي كل نيته انهٔ يوقع بهم في ذاك النهار ويفنيهم عن اخرهم . وباقل من ساعة حمل العرب على السودان . واشتبك القتال في كل مكان وكثر الضراب والطعان . وفعلت فرسان العربان . افعال مردة الجان . او عفاريت السيد سليمان . وقد القت بارواحها في حفر المخاطر . والقت باجسادها بين مشتبك الرماح والخناجر . حتى تركت القتول كالتلول والدماء كميازيب السماء وما جاء اخر النهار حتى اظهرت لفرهود عظيم فعلها وغزير بطشها ورجعت عند المساء و في مقدمتها عمر اليوناني كانهٔ شقيقة ارجوان . مما سال عليهِ من ادمية الفرسان وقد سر من عمل العربان باعدائهِ السودان ورجع فرهود وهو متكدر الخاطر مما راى في ذاك النهار وما حل بقومهِ من اعدائهِ الاَّ انهٔ كان بطلاً صنديدًا يتكل على نفسهِ كل الاتكال ويعرف انهٔ يقدر وحده على ابادة الرجال ولو كانوا بعدد الرمال فعول ان يبارزهم فيما ياتي من الايام اذا عادوا الى الحرب والقتال غير ان العرب في ثاني الايام ما باشروا القتال وقد اختاروا ان يريحوا اجسادهم اياماً قليلة من تعب ذاك اليوم حتى يتمكنوا من الثبات ومن فعل يوم اخر كذاك اليوم

قال وكان الامير عمر عند فرار العيار على ما تقدم معنا يلازمهٔ الليل والنهار ولا يبعد عنهُ الا قليلاً من الوقت ولم يترك لهٔ مجالاً لان ينظر الى احد او يحتال لنفسهِ في الخلاص وقد قال لهُ بعد اسره بثلاثة ايام ان نجم سعد العرب قد افل وسوف يبادون ويبددون وتكون بطون وحوشنا مدافن لهم جميعاً . فقال لهُ عمر ماذا يهمنا يا ابن خالتي اذا سلم العرب وهلكوا فاني غريب عندهم وما انا الا عبدهم وما صدقت ان خلصت منهم ووقعت بيد اناس من السودان اعداء البيضان يخلصوني منهم ويعيدون اليَّ الحرية فاذا هلكوا اخلصت الود الى سيدي فرهود وخدمتهُ معك وتعينت من رجالك لانك على ما يظهر لي من السادات الكرام اصحاب الفضل والاحسان تغار على ابناء جنسك وتراعي حرمة الانسانية واني ارجوك متى لحق بالعرب مصيبة لا تخفها عني لاني افرح لها واتامل انقراضهم باقرب وقت لاتخلص منهم . قال انهم بويل وشدة وقد سار عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي الى معسكرهم ليلاً وسرقا اميرهم حمزة وجاءا بهِ الى ملكنا وسيدنا فرهود مقيدًا ذليلاً فارسلهُ الى قلعة الحديد في وسط البحر ووكل بهِ الامير هداد واوصاه بالتشديد عليهِ ولا يمكن ان يتخلص من هناك ولا بد ان ياتوا بالعرب واحدًا بعد واحدٍ ولا يتركوا منهم سيدًا ولا خادماً وعندي انهم يتفرقون وينقرضون بايام قليلة . فلما

سمع عمر هذا الكلام كادت امعاءهُ ان تتمزق وتتقطع وقال في نفسهِ هلكت والله العرب فاذا تقاعدت عن نصرتهم وعن التحيل بالخلاص اصيبوا وانقرضوا الى آخر الازمان وما بقي منهم انسان الا انهُ اظهر الفرح وابدى خلاف ما اضمر وقال لفرار بشرك الله بالخير يا اخي فهذا الذي كان يجبرني الى خدمتهِ ولا خفاك اننا نحن السودان مهما خدمنا البيضان لا نخدمهم الا خوفاً منهم ومتى لاحت لنا فرصة للخلاص تخلصنا ولو هلكوا . واريد منك يا اخي ان تطلق سراحي لاذهب الى فرهود واعرض عليهِ خدمتي وانوقع على اقدامهِ علهُ يقبل ما اسألهُ اياهُ . قال اني اكرمك واطعمك واراعيك واما اطلاق سراحك فلا امل بهِ لاني اعرف يقيناً ان سيدي لا يقبل بخدمتك وانهُ مصرٌّ على هلاكك ولا بد من ارسالك الى كسرى انوشروان لتموت هناك . فبكي عمر على حالهِ وقال لهُ صدقت يا اخي فما من سبيل للحياة وقد نسيت ذلك واني لا ابكي الان على نفسي ولكنني ابكي على ما معي من الذخائر التي كنت افوز بها على كل سيد وبطل ومولى واخاف اذا مت ياخذهم كسرى انوشروان او الاعداء اللئام . وهي اذا اردت ان اتزيا بزي فرهود سيدكم لما صعب عليَّ واذا اردت ان اعرف طرقات الموت والبلاد كلها عرفتها بدقيقة واحدة واذا قصدت الاكتشاف على خبايا العالم وكنوز الارض ظهرت لي كأنها بين يديَّ . وغير ذلك مما لا يوجد عند احد من العالم . فلما سمع فرار هذا الكلام مال قلبهُ الى اخذ هذه الذخائر وحدثتهُ نفسهُ ان يحتال على عمر العيار وياخذها منهُ . فقال لهُ لا ريب يا ابن الخالة اذا مت اخذوها منك وانتفعوا بها ولا سيما هذان الخبيثان اللصان اللذان سرقا جواد اخيك . قال واين هو الان فاخبرهُ بقصتهِ وجعل يقدم لهُ الاكرام ويراعيهِ ويعطيهِ الاكل اضعاف ما تعين لهُ حتى جاءه ذات يوم وقال لهُ اني حزين جدًّا يا ابن خالتي على مصابك ولا اعرف ماذا يصير بك واسال زحل والنجوم السيارة وكل معبود ان يرضى عليك ويخلصك من ايدي هولاء الظالمين قال لا امل لي بالخلاص لكن يا اخي اريد منك ان تقبل مني الذخائر التي اشرت لك عنها فتاخذها ولا تطلع احدًا انها عندك والا نزعوها منك واحرموك اياها فهي تساوي ملك كسرى انوشروان ولا تثمن بثمن من الاثمان . فانت احق بها من غيرك لانك راعيتني واحترمتني واحسنت معاملتي . فلما سمع فرار هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وما صدق هذا الكلام وقال لهُ اصحيح ما تقول . قال اي وابيك فاطلق لي يدي الواحدة فقط فادفع اليك الجميع واعلمك عن كل واحدة ماذا تعمل بها وكيف تستعملها وبذلك يظهر لك صدق حبي وتعرف اكيدًا اني لا اترك مكافاتك واني اعرف الجميل . قال وكيف اقدر على اطلاق يدك وقد منعني سيدي من ذلك واخاف ان تتخلص ويحصل لي من بعدك العذاب ويقتلني سيدي . قال من اين اتخلص وانا مقيد الارجل ويدي الثانية مربوطة وانت واقف

امامي لا تبارحني تنظر اليّ وتراقبني ومع كل ذلك فانا لا ارغب في اطلاق يدي الا لاجلك فاذا رفضت ذلك تندم فيما بعد و ياخذ ما معي غيرك وتكون قد رفضت السعادة بيدك فتحركت عواطف فرار الى الحصول على هذه الذخائر وقال في نفسهِ اذا فككت لهُ يدهُ ماذا يا ترى يقدر ان يفعل وانا بين يديهِ ورجلاه مقيدتان ويدهُ الثانية مربوطة ومتى اخذت منهُ هذه الذخائر وتعلمت كيفية العمل بها اعدتهُ الى الكتاف . ثم قال لعمر اني لا اخاف منك يا اخي واجيبك الى ما تطلب وها انا الان افك لك اليد الواحدة واطلقها الى حريتك فافعل ما انت فاعل واعذرني على امتناعي لاني اخاف من فرهود فاقاص على هذا العمل . قال اني اعرف ذلك ولو كان لي اقل امل بالخلاص لما سالتك هذا السوال ورجوتك قبول ما معي ولكني موكدًا موتي فياخذ اعدائي متاعي واكون مت مغتاظًا مقهورًا محصورًا فمتى اطمأن بالي اموت براحة واعرف ان اعدائي السبب الذي كنت انقلب بهِ عليهم

واذ ذاك تقدم فرار من عمر وفك يده الواحدة وقال لهُ قم بوعدك يا اخي فقد اجبتك الى طلبك قال مرحبا بك ثم مد يده الى داخل ثيابهِ واخرج السيف ذا الشطلين وقال لهُ هاك السيف الذي لا يوجد مثلهُ عند كسرى انوشروان وهو من عمل اليونان القدماء فاخذه فرار ونظر فيهِ فاعجبهُ جدًا فقال جزاك الله خيرًا فما معك غيرهُ فاعطاه الخنجر وقال لهُ هذا يصلح لك لا لغيرك فاعجبهُ جدًا ثم دفع اليهِ المرآة والمكحلة وقال لهُ هاتين الذخيرتين لا نظير لهما فانك اذا نظرت في المرآة عرفت خبايا العالم وتعلمت طرقاتها وما اختفى عليك شيء مما تريده واذا تكحلت بالميل واردت التزيي بأي كان لا يصعب عليك ذلك . قال حسنًا وهبت يا اخي فجزاك الله خيرًا ونظر في المرآة فانبهر وتحير وكاد يطير من الفرح . ثم قال لعمر وهل باقٍ معك شيء اخر يا اخي . قال نعم باقٍ معي ذخيرة واحدة يصعب عليّ التسليم بها واريد ان احفظها لي قال وما هي . قال هي علبة صغيرة من النحاس فيها برغي اذا حللتهُ ورفعت الغطاء وطلبت اسم نوع من الطعام حضر في الحال كانهُ مغروف من الوعاء ومرفوع عن النار . قال يا اخي انت لم تبخل عليّ بغيرها فكيف تبخل بها ولا ريب انك مائت لا محالة فياخذها غيري قال صدقت فخذها الان واحضر لنا الطعام الذي تريده لناكل معًا . ودفع اليهِ علبة بقدر الجوزة وفي راسها برغٍ مثقوب فاخذها وقصد ان يفتحها فلم يقدر فقال لهُ عمر امسكها بيدك وشد البرغي بفمك فاخذ العلبة بين يديهِ وجعل يشد عليها باسنانهِ وقد توجه البرغي المثقوب الى انفهِ وكان في تلك العلبة بنجًا فلعب في انفهِ وفي فمهِ وفي الحال وقع الى الارض كالقتيل غير واعٍ الى نفسهِ فتناول عمر الخنجر وقطع بهِ وثاقهُ وتيقن بالخلاص وفك رجليهِ في الحال وتقدم من فرار فربطهُ وهو غارق بالثبات واخذ منهُ ما كان اعطاه وخرج من الخيمة مسرورًا وكان الوقت اذ ذاك

ظلامًا فلم يقصد صيوان فرهود بل بقي كامنًا الى ان عرف الصيوان المقيم فيهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانتظر بعيدًا مستترًا بالظلام الى ان راهما قد جاءا الصيوان ودخلاه فصبر ايضًا ساعة الى ان تاكد نومهما فجاء من ظهر الصيوان ومزقهُ بخفة بخنجرهِ ورمى قطعة من البنج مولعة الى الداخل وصبر قليلاً حتى تاكد فعلها بهما فوسع الخرق ودخل منهُ بخفة وتقدم من اللصين فربطهما واخذ خنجرهُ وقطع اذانهما وانفيهما واخرج من عبهِ مرهماً وضعهُ على مكان الجرح ليقطع الدم فقطع في الحال فاعطاهما ضد البنج وتركهما وخرج وهو يقول في نفسهِ اني لوقتلتهما لما فعلت حسنًا واذا استيقظا ورايا حالتهما وعلما اني انا الفاعل انفطرت مرارتاهما وبقيت هذه الحسرة بقلبهما الى اخر الزمان ودام في مسيره حتى وصل الى معسكر العرب وجاء الى المكان الذي فيهِ العيارون فنهضوا اليهِ واعترضوه وصاحوا بهِ فاظهر لهم نفسهُ ولما تاكدوا انهُ عمر سيدهم صفقوا من الفرح وقام الصياح بالافراح من كل ناح وانتشر الخبر بين الجميع وما من رجل الا استيقظ وجاء يستخبر من عمر عن حالهِ ونهض عمر اليوناني ورؤساء القبائل وجاءوا جميعًا الى الصيوان الاكبر واجتمعوا بعمر وهنوه بالسلامة وسالوه عن حالهِ فاخبرهم بما توقع لهُ حتى تخلص من الاسر فمدحوهُ على فعلهِ وقالوا لهُ اننا نخاف على الامير من العذاب والهول لانهُ تحت الحفظ وربما فعل بهِ فرهود شرًّا قال كونوا براحة فما زلت مطلق الحرية اقدر على كل عمل ولا يصعب عليَّ خلاص اخي واريد منكم فقط مداومة الحرب والثبات في الميدان وان تباكروا الى الهجوم على فرسان العبيد الى ان يعود اليكم فارسكم . فقالوا هذا نداوم عليهِ واننا ثابتون على الحرب ولو بقيت سنين عديدة . ثم انهم صرفوا باقي تلك الليلة دون نوم الى ان اشرق الصباح

وكان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد نهضا من نومهما في ذاك الصباح ونظر احدهما الاخر مشوهًا على تلك الحالة فجعل يضحك منهُ . واخيرًا عرف كل واحد انهُ اصيب بما اصيب بهِ رفيقهُ فتكدرا جدًّا من هذا العمل وضاق صدراهما وقال صقلان اني اوكد لك ان ما فعل هذا الفعل الا عمر العيار وقد تخلص من الاسر وجاء الينا ليترك بنا اثرًا سيئًا . قال ياليتهُ قتلنا لكان افضل من بقائنا وكيف يمكننا ان نواجه احدًا ونحن على هذه الحالة وانا لا اخرج الان من الخيمة . وفيما هما على ذلك وصل اليهما رسول فرهود وقال ان سيدي نهض منذ الصباح وجلس في صيوانهِ واجتمع عنده كل رجالهِ ولما لم تحضرا شغل بالهُ جدًّا وتكدر عليكما فبعثني ادعوكما اليهِ وانظر في امركما . وفي الحال نهضا وتقدما معهُ الى صيوان فرهود وكل من راهما في الطريق ضحك وتعجب من حالتهما وهما صابران على ذلك حتى دخلا الصيوان وراهما الجميع على تلك الحالة بلا آذان ولا انوف فضحكوا من هذا العمل وهم لا يعرفون سببهُ وسالهما فرهود عما حل بهما فقالا اننا لا نعرف السبب وجل ما نعرفهُ اننا في الصباح نهضنا ونظرنا الى بعضنا واذا

نحن على هذه الحالة وان صدقني حذري يكون عمر العيار قد تخلص وجاء الينا . فارسل فرهود الى فرار واذا هو على تلك الحالة فاحضروه اليه ففك وثاقه وسأله عن اسيره فاطرق الى الارض فقال لا تخف اخبرنا بما احتال عليك عمر العيار ولك الامان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها . وقال ما كان بظني انه يفعل هكذا وهو مقيد الرجلين واليد وانا الى جانبه . فقال صقلان انه شيطان رجيم يفعل كل ما يريد وقد حذرناك كثيرًا ونحن خائفين أن يفعل ما فعل واعظم . وفيما هم على مثل ذلك واذا بقبائل العرب قد تقدمت طالبة القتال حاملة من كل ناح وارتجت الارض من وقع حوافر خيولها فالتزم فرهود ان يحمل بابطاله وفرسانه وفي الحال انتشب القتال . وراج سوق المجال . وبطل القيل والقال . وزادت الاهوال وعظمت الاحوال . فما كنت ترى الا راسًا طائرًا . ودمًا فائرًا . وجوادًا غائرًا . وغبارًا ثائرًا . وقد فعل عمر اليوناني في ذاك اليوم افعال عنترة بن شداد وطعن في الصدور والاوراد . والقى بالوف من الفرسان على بساط الوهاد . ومثله فعلت بقيت الفرسان الشداد . حتى تركوا الارض مغطاة من اجسام المقتولين ودام القتال الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجع العرب مسرورين بفعل ذاك النهار وعمر العيار يمدح من اعمالهم ويشكرهم على افعالهم ولا زالت الحرب مدة ثلاثة ايام حتى ضاقت الارض من كثرة ما تكوم فيها من القتلى وحينئذٍ اتفق القومان على عقد هدنة الى عشرة ايام لترفع الاموات من ساحة القتال وتدفن في التراب . وكان ذلك بطلب عمر العيار حيث كان قد قصد ان يذهب في خلاص اخيه من قلعة الحديد وفي نفس تلك الليلة ذهب الى صيوان مهردكار ليخبرها بانه يقصد الذهاب الى خلاص زوجها فسمعها تبكي وتنوح وتندب بعد زوجها واسره وتنشد وتقول

بلغ النوى مني مناهُ	والشوق جاوز منتهاهُ
يبكي ويبكيهِ الحبيـ	ـب وليس ينفعهُ بكاهُ
اهلاً بطيف زائرٍ	كشف الدجى عني سناه
حيا فاحيا في الكرى	فقضى عليَّ الانتباهُ
فعل الغريب بنفسهِ	ما ليس تفعلهُ عداهُ
اهلاً بطيف طارقٍ	زاد الردى عني سراه
يحظى بهِ القلب المشو	ق ومقلتي ليست تراه

وبعد ان فرغت من هذا البكاء تنهدت ثانية وقالت تخاطب نفسها كيف اصبر على بعدهِ وهو في يد اعداه يقاسي العذاب والاسر لا اعرف هل يبقى عليهِ او يقتله الاعداء وما من مجير ولا نصير غير البكاء والنواح لقد تغافل عمر العيار وتقاعد القوم عن مساعدتي فهل من منجدٍ لي

وهل من مسعف فاليك يارب اشكو ذلي وضعفي فارحم قلبي واجبر كسري وارحمني . ثم عادت فانشدت

يا راحتي وارتياحي و بهجتي وسروري
ذكراك مونس قلبي في غربتي وسميري
لي انة كل وقت مقرونة بزفيري
لاحرقتها بجمر في صدري المصدور
يا مونسي ونديمي في غيبتي وحضوري
لانشرح الرسل والكتب بعض ما في الضمير
لو لامست نار شوقي اليك نار السعير
قد ضاق غل التناءي على خناق الاسير

فلما سمع عمر منها هذا النوح والتعداد حن لها وشفق على حالتها وعرف انها صادقة المودة كثيرة الحب لاخيه فتقدم منها وطمنها على مقصدها و وعدها انه سيذهب الى خلاص اخيه ولا تمضي ايام قليلة حتى يكون في معسكره عند قومه وتراه و يرتاح بالها من اجله . فشكرته على ذلك ومدحته وقالت له اني رايتك لاهٍ عني وعنه فكدرني ذلك واني غريبة منقطعة لا احد يسليني فاشكو اليه مصابي . قال اني ما التهيت قط ولكني اشغلت فرهود بالحرب حتى خسر كثيرًا من قومه وتعب كثيرًا ولذلك ما عاد يمكنه الا الراحة و ينشغل عن اخي بجمع العساكر ودفن الموتى واريد منك الان ان تدفعي اليَّ كل ما عندك من الحلى والجواهر ولا تظني انها ترجع اليك قالت اليك الجميع فاني لا اسال عن شيء ولا ارغب في شيء وجل ما ارغبه خلاص اخيك فقط فاسعى بذلك قريبًا ولو فقدت جواهري . ثم نهضت واحضرت له كل ما طلب فكان شيئًا كثيرًا فاخذهُ منها وذهب الى حاله بعد ان وعدها بكل خير واوصاها ان تبدل حزنها بفرح وتصبر مدة خمسة ايام او ستة فيكون عندها . وجاء بعد ذلك الى فرسان العرب وقال اريد منكم ان تجمعوا كل السلاح القديم الموجود عند العرب من سيوف ورماح ومجنات وغير ذلك فاخذ العرب في جمع ما طلب وسار هو من هناك ومعهُ بعض عياريه مسافة يومين حتى جاء البحر وراى هناك مركبًا راسية فنزل اليها مع جماعته بقصد الفرجة ولما صار فيها امر عياريه بان لا يبقوا على واحد من الملاحين ففعلوا وقتلوا الجميع وجاء بالمركب الى شاطي اخر منفرد بعيد عن السكان وامر العيارين ان يذهبوا الى المعسكر ويحضروا السلاح الذي طلبه ليشحن به المركب فنقل العيارون السلاح على ظهور البغال والجمال وانزلوه المركب ولما امتلأ امر العيارين ان ينزلوا اليها ولبس هو ملابس ملك كبير عظيم السطوة والمقدرة وافرغ عليه تلك

الحلى والجواهر من راسهِ الى قدميهِ واخذ المرآة في يدهِ وتكحل بميل المكحلة وقال بحق ما كتب عليك من الاسماء ان تغيري حالي الى حال قابض بن مخلص ملك ملوك السودان وسلطان العبيد الاكبر حتى من رآني لا يظن الا اني هو نفسهُ ونظر في المرآة فاذا هو كما قصد وحينئذٍ امر جماعتهُ ان تحل المراسي وتنشر الشراع وتسير الى ظهر البحر ففعلوا وما مضى الا ساعات قليلة حتى غابت السفينة عن الشاطي وبعدت كثيرًا واذ ذاك امر عمر بان يديروا مقدمة السفينة الى جهة قلعة الحديد ففعلوا وصارت السفينة سائرة والريح موافقة لها تخترق البحار وقد نشرت علمًا كبيرًا يدل ان فيها رجلاً عظيمًا ذا قدر ومقام وفي اليوم الثاني وصل المركب من القلعة وقاربها فخرج الامير هداد محافظ القلعة واعترض على المركب السائرة ان لا تقرب من القلعة اذ ما من اذن لاحد بالدنو منها فصاح بهِ بعض الملاحين وقال لهُ ويلك ما هذه الجسارة القوية هلمَّ الى تقبيل يدي الملك الاكبر قابض بن مخلص سيد السودان وفخرهم وهو يدعوك الى تقبيل ايديهِ ويريد ان يسالك بعض سوالات يجب ان تجيبهُ عليها . فلما سمع هذا الكلام اضطرب وخاف وبادر في الحال الى المركب وهو يتعجب كيف ان الملك العظيم جاء الى تلك القلعة وما ذلك الا لسبب عظيم ولما وصل بين يديهِ سجد وقبل الارض بين يديهِ وقبل قدميهِ ووقف مطرقًا الى الارض ينتظر امره وهو ماخوذ مما شاهد عليهِ من الحلى والجواهر كانهُ الشمس المضيئة في رابعة النهار . ثم قال لهُ ماذا تريد من عبدك ياسيدي . قال اريد ان اسالك عن الحرب مع العرب هل تعرف شيئًا عنها . قال لا اعرف الا ان الحرب واقعة بين قومنا والعرب وقد اسروا سيد العرب وبعثوه الى القلعة وهو اسير عندي . قال قبح الله فرهود فلا بد من قصاصهِ ومجازاتهِ على عدم اعتباري كيف يحارب العرب دون ان يبعث اليَّ ويسالني وقد اهلك كثيرًا من السودان ولما بلغني الخبر حضرت بنفسي لطرده وحبسهِ في هذه القلعة الى ان يموت واما انت فاني اعرف صدق خدمتك وطاعتك لي وانهُ يليق بك ان تكون ملكًا وسيدًا فقد اقمتك حاكمًا بدلاً من فرهود منذ هذه الساعة ولكن اكتم هذا الامر وابقهِ في قلبك الى ان يتم وارى ماذا يكون من امر العرب . فلما سمع الامير هداد سيد القلعة كلام القابض بن مخلص فرح فرحًا لا يوصف وامل بالخير الكثير وانهُ بعد قليل يصير حاكمًا على السودان عوضًا عن فرهود فزاد في اكرام مولاه وتعظيمهِ وتبجيلهِ ودعاه الى القلعة ليتناول الطعام عنده . قال سافعل ذلك واتنازل اليهِ اكرامًا لخاطرك ولكن اخبرني كم عدد الحرس المحافظين على القلعة . فقال اعلم ياسيدي ان فرهود اعهد اليَّ برئاسة خمسة عشر نفرًا من الحراس وهولاء جميعهم عندي في هذه القلعة . فاظهر عمر كدرًا وغيظًا وقال قبح الله هذا الخائن فانهُ يريد ان يخرب بلادنا ويجعل مطمع الفاتحين نافذًا فيها فانهم اذا علموا بان لا نفر بالقلعة الاَّ خمسة عشر فقط طمعوا فيها وجاءوا اليها وملكوها وهو

مشغل بقتال العرب لا يرسل اليَّ بالإخبار. ولا يقدر ان يدافع عن السواحل وسوف ترى ما يحل به واجازيه على عدم اعتباري واحترام شاني . فهلمّ بنا الى القلعة . ثم امر العيارين ان ينقلوا السلاح الى القلعة وامر حاكم القلعة ان يامر جماعته بنقل السلاح وقال ابقها في القلعة الى حين يصل الينا باقي العساكر والرجال الاتين على المراكب فيتسلحون و ينزلون الى الشاطي . فاجاب امره طوعًا وقلبه يكاد يطير من الفرح ويعد نفسه بكل جميل ونجاح

ومن ثم صعد الامير عمر وجماعته العيارون الى القلعة فلاقاهم الحرس وسجدوا للملكهم الاكبر وقبلوا يديه فتبسم في وجوههم فاندهشوا وظنوا بانفسهم انهم ملكوا الدنيا بما فيها . ولما جلسوا قال الامير هداد اذا شئت ياسيدي اتيتك بالامير حمزة العرب الذي اخبرتك عنه بانه اسير في القلعة . قال ما من حاجة لي به الان وسوف انظر ما افعل به واما انت فاصعد الى اعالي القلعة وانظر لي في واسع البحار هل اقبلت المراكب ام لا تزال بعيدة فاني على انتظارها . فصعد الجميع الى فوق وراوا مركبًا بعيدة جدًا تكاد لا تظهر فعادوا اليه واخبروه بما راوا فقال لا ريب هذه طليعة المراكب وابدى الفرح والاستبشار وكان بمدة تفريقهم عنه الى اعالي القلعة ارسل كبير جماعته ليضع البنج بالطعام الذي كانوا يصلحونه في الاوعية . وبعد قليل احضر الطعام على الموائد وصف امام عمر وجماعته فقال لهداد ان هذا الطعام هو لكم واما انا فلا ارى ان اكل الا من الطعام الذي اعتدت عليه واحضرته معي ثم امر ان يؤتى بالطعام فاسرع العيارون وجاءوه به فوضعوه امامه واخذ في ان ياكل وامر حاكم القلعة ان يجلس على صفرة الطعام مع جماعته فامتنع تادبًا منه وقال حاشاي ان اتطرف بمثل هذا امام سيدي الاكبر . فقال له اني اريد ذلك فانك صرت منذ الان من عظماء رجال السودان وسيد عليهم ومثل ذلك هولاء الرجال فساقيم كلاً منهم على مقاطعة واخص بهم السيادة والتعظم على البلاد . فلم يمكنهم المخالفة وجلسوا جميعهم باحترام وابتدأوا ياكلون ويتعجبون من كرامة اخلاق مثلك ملوك السودان صاحب القدر الرفيع الشان الا انهم ما لبثوا ان وقعوا الى الارض كالاموات فامر عمر العيار ان يذبحوا عن اخرهم ما عدا الامير هداد فذبحهم العيارون ودخل هو الى غرف القلعة وفتش بها واحدة فواحدة حتى راى الامير حمزة في حجرة في اسفل القلعة مظلمة فدنا منه وفك قيوده وعرفه بنفسه ففرح فرحًا عظيمًا وشكر منه وصعدوا في الحال الى العيارين وتركوا القلعة واخذوا معهم الامير هداد ولما صاروا في الخارج اضرموا النار بها وركبوا المركب وساروا عليها يتقدمون الى الشط الذي خرجوا منه وعمر يخبر الامير حمزة بما كان من امره مع عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وكيف قد شوه وجهيهما وقد سعى الى خلاصه بعد ان قاتل العرب قتالاً عجيبًا وارعبوا السودان وفرهود فسرَّ الامير من ذلك وقال لله سبحانه وتعالى لا قد اجاب طلبنا ونظر غربتنا فلم يقبل

بذلنا والا لو فقدت انت واما وتمكن منا الاعداء لتفرق العرب وانقرضت هذه الدولة. فقال لهُ عمر اني اشور عليك شورًا بهِ الخير للعرب وهو ان تضمهم جميعًا الى ملك واحد تقيمهُ عليهم منهم فيكون للعرب ما للعجم من العظمة وعلو المنزلة فيصيرون اكثر من الان انتظامًا وترتيبًا لانهم يميلون الى ذلك وعندك علم بيكار الاشتهار فيجتمعون تحتهُ فهم افضل من قوم كسرى واعظم واشد بسالة. قال هذا يكون عند ما يروق صافي عيشنا ويطلب الفرسان ذلك واما انا فلا اسالهم فيهِ ولا اريدهُ والا يظنون ان غايتي ان ابقيهم عندي على ذلك الى الابد فيتركون بلادهم واوطانهم مع انهم مختلفو الاجناس وربما كان اكثرهم يرغب في الرجوع الى اهلهِ وملكهِ ويخجلهُ مني جعلهُ ان ينضم الينا ويبقى برفقتنا في وقت القتال

وما زالوا حتى وصلوا الى الشاطي فخرجوا الى البر وساروا من هناك على اليابسة حتى وصلوا الى معسكر العرب وبما عرف الفرسان بوصول اميرهم كادوا يطيروا فرحًا وسرورًا وتقدموا منهُ وسلموا عليهِ وهناوهُ بالسلامة ودارت الافراح فيما بينهم وعمت الكبير والصغير والرفيع والوضيع ودخل الامير بعد ذلك على زوجتهِ مهردكار فوجدها منفردة تنتظرهُ ولما راتهُ دنت منهُ وقبلت يديهِ وهنأتهُ بالسلامة فشكرها وقال لها ان الله لم يسمح بذلي وايصال الاذى اليَّ. قالت هو يعرف ذلي وتغربي فلا يريد ان يضرُّ بي قط فاساله تعالى ان يفصم هذه الحال ويريحنا من شر الحروب والعذاب ويرجعنا الى مكة لنقيم على الراحة ايامنا الاخيرة. قال اني اعرف جيدًا ان اباك وقومهُ ولا سيما بختك لا ينفكون عن عداوتي الى ان ينقرضوا او اموت انا وتنقرض العرب ولو كنت اعرف انهُ يسر برد الشيء الذي اخذتهُ وغصبتهُ اياه ويترك عداوتنا لفعلت فكل ما نحن بهِ من اعمال بختك الوزير لانهُ هو الذي دس الينا سم هذه الفتنة وبعث بالعيارين عمر بن شداد وصقلان الرومي. قالت اني اظن ان ابي يرضى عنك اذا ارجعت اليهِ علم بيكار الاشتهار. قال اني ارضى ذلك ولكني اعرف ان فرساني يتكدرون منهُ لانهُ هو الذي يجمعهم ولو كنت اعرف اكيدًا انهُ يرضي بهِ لفعلت ولو اغظت قومي وتفرقوا عني حيث يعودون الى بلادهم واعود الى بلادي ويطيب لي ولهم الوقت ولو كنت اعرف ايضًا ان اباك يحسم النزاع بيني وبينهُ اذا ارجعتك اليهِ لفعلت وما ذلك الاَّ حفظًا لراحتك لانك تتعذبين بسببي كثيرًا ولم تري سنة واحدة وافتك براحة وامان. فشعرت مهردكار ان قلبها قد نزع من جسدها عند سماعها كلامهُ وكانت لا تنتظر ان تسمع منهُ مثل هذا الكلام القاسي غير ان حبها لهُ جعلها ان تبسم في وجههِ وقالت لهُ وان كان يرضي ابي ذهابي اليهِ لكني اعرف موكدًا انك تفضل ان ترى الدنيا قاعًا صفصفًا وان ترى الارض خاوية خالية وروح الله يرف على وجه المياه من ان تراني بعيدة عنك وانا ارى ان كل ما اتهمهُ هو هين وسهل عليَّ وجل غايتي ان اراك تاركًا الحرب كارهًا في

سفك الادمية وقتل النفوس التي حرمها الله . وقطعت بعد ذلك الحديث معهُ . ولما انفردت بنفسها جعلت تبكي على حالها وعلى ما اصابها وخافت من ان يتم ما قالهُ من انهُ يرسلها الى ابيها وجعلت تتردد في صدق مودتهِ وقالت في نفسها امثل هذا الكلام يخرج من فم الامير حمزة وانا اعهد بهِ الامانة وحفظ العهد . نعم لا اظن انهُ كغيره من الرجال الذين اذا طال زمن زواجهم كرهوا نساءهم او بالحري اخذوا في ان يكرهوهن شيئًا فشيئًا ولا سيما اذا لم يلدن اولادًا وكان قلبها وضميرها يتنازعان في هل ان حمزة يفعل ما يقول او انهُ حكى ذلك ليمتحن محبتها وليعرف هل باقية على حالها او انها ضجرت لكثرت ما لاقت من الاهوال والعذاب والاسفار الطويلة واخيرًا سلمت بامرها الى الله سبحانهُ وتعالى واضحت تترقب الاحوال وتلاحظ اعمال الامير لتعرف ما هو عليهِ من قبلها ومع كل ذلك فانها كانت لا تفتر عن البكاء قطعًا في كل فرصة والامير يلحظ منها ذلك ولا يريد ان يمنعها عنهُ وقد ظن ان هذا من جرى الغربة والوحدة وطول العذاب وصار في بعض الاحيان يعرض عنها وفي البعض الاخر يسليها وبقيت على ذلك مدة كما سياتي معنا في غير هذا المكان

ولنرجع الى ما كنا عليهِ وقد بات الامير حمزة في تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني نهض من نومهِ فسمع طبول السودان تضرب والعساكر تتهيأ فامر ان تضرب طبول العرب وتركب فرسانها وابطالها . وباقل من ساعة انتشبت نيران الوغى بين الفريقين . ولعبت بنحورهم اسنة البين . واحتاط بهم جيش الهلاك ولم يرغب بالتخلي عنهم والانفكاك . وباتت الارواح عرضة للفناء . والاجساد محطًا للتعب والعناء . فكان ذاك اليوم عظيم الاهوال . فيهِ طال حمزة واستطال . وطرح باجساد الرجال . الى حفر الوبال . وشك بصدور الابطال . عوامل الرماح الطوال . ومددهم على بساط الرمال . وفعل مثلهُ باقي رجالهِ . وابطالهِ واقيالهِ . وكذلك فرهود فانهُ قاتل وما قصر في ذاك النهار . وانزل على العرب شهب الخراب والدمار . واذاقهم مرَّ العذاب والبوار . لانهُ كان كما تقدم معنا من الفرسان الذين اشتهروا في ذاك الزمان . وعند المساء ضربت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والقتال . ونزلوا في الخيام وكلهم من التعب على جانب عظيم وقد ملئت الارض من القتلى والجرحى فلم يكن يسمع الا اصوات انين وبكاء وتشكيًا ولا سيما عساكر السودان . فاظهر فرهود من ذلك غيظهُ وكدرهُ وقال لمن حولهُ من رجالهِ اني اتعجب من ثبات العرب واقدامهم فقد اهلكوا منا كثيرًا ولا يزالون على حالهم وهذا يودي بنا الى الخراب والدمار فقال لهُ عمر بن شداد الحبشي لقد اعرضت لك قبل الان ان العرب قوم صناديد وجلّ غايتهم القتال فيساعد بعضهم بعضًا ويتسع عليهم المجال ومن اللازم ان تبارزهم واحدًا فواحدًا ومتى قتلت رؤوسهم هانت عليك الاذناب . قال اني في الغد لا بد

ان افعل ذلك وكان في نيتي ان اطلب البراز في هذا اليوم غير ان الكبر منعني وعزة نفسي اوقفتني عن ذلك فانتظرت ان يكون منهم اولاً فلم يفعلوا واما الان فقد نويت كل النية ان اباكر الى طلب ابطالهم وفرسانهم ولي ثقة كبرى ان افنيهم عن اخرهم ولا ابقي منهم من يخبر بخبر . وبات فرهود على هذه النية

وفي صباح اليوم التالي نهض من فراشهِ فركب فرسهُ وتقلد بسلاحهِ وسبق الجميع الى ساحة القتال وكانت العرب قد ركبت وتقدمت وفي نيتها الهجوم الاَّ انها توقفت عندما رأت الامير فرهود يصول ويجول ويطلب مبارزة العرب وفي الحال صدمهُ الامير حمزة صدمة جبار صنديد واخذ معهُ في الحرب والقتال . والطعن بالسمر الطوال . وقد اتسع عليهما المجال . فانتقلا من مكان الى مكان فتارة في اليمين وطوراً في الشمال . حتى تعجبت منهما الابطال . وتحيرت من قتالها الرجال . وهما لا يتمكنان من بعضهم البعض . وقد جوفا بارجل جواديهما جنبات تلك الارض . وما زالا على مثل ذلك الى ان خيم الظلام فافترقا على سلام . ورجع العسكران الى الخيام . وباتوا الى الصباح . فتقدموا يطلبون الحرب والكفاح . واذ ذاك توسط فرهود الميدان ولعب على الاربعة اركان واراد حمزة ان ينزل اليهِ واذا بهِ راى الامير سعد اليوناني قد صار امامهُ ولما راهُ فرهود تعجب من صغر سنهِ وقال لهُ اني اسمح عنك ايها الغلام فارجع الى امك ولا تخاطر بنفسك فما انت من رجال سيد السودان . فقال لهُ سوف ترى مني ما تتحدث بهِ الفرسان جيلاً بعد جيل كيف لا وجدي الامير حمزة البهلوان وابي الامير عمر اليوناني عروس الميدان . ثم صاح بهِ وارتمى عليهِ فالتقاه فرهود بقلب اشد من الجلمود وهو يتعجب من عملهِ وصغر سنهِ مع انهُ ولد امرد بديع الصورة جميل الخلقة فغاصا تحت القسطل . والتحما كانهما من امتن التلل . هذا والامير حمزة في حيرة عظيمة من وقوع ابن ابنهِ بين يدي الامير فرهود وقد خاف كل الخوف وكاد يطير صوابهُ فتقدم قليلاً ينتظر ما يكون من امره يلاحظ حركات القتال وقد عزم على ان يخلصهُ اذا راه وقع بين يدي خصمهِ او لاحظ منهُ التعب والانحلال ولو كان بذلك عليهِ عار وشنار الا انهُ كان يرى منهُ ما يدهشهُ لانهُ كان ينقض على فرهود انقضاض الصواعق ويدور من حواليهِ كقضاء الله المنزل ولا يترك باباً من ابواب الحرب مفتوحاً وما زالا على مثل ذلك الى ان انقرض النهار ومضى بانواره وتقدم الليل ونشر ظلامهُ على العباد وحينئذٍ افترق

انتهى الجزء العاشر من قصة حمزة العرب ويليهِ

الجزء الحادي عشر عن قريب ان شاء الله

الجزء الحادي عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

المتقاتلان على سلام ورجع الامير سعد فاخذهُ جدهُ وقبلهُ بين عينيهِ وجاء بهِ الى صيوانهِ وهناك قال لهُ اني اشكرك على ثباتك واقدامك ولكني الومك على نزولك الى فرهود وهو مجرب من الدهر وبطل عظيم وانت لا تزال صغير السن وقد خفت عليك كثيرًا وصرفت النهار على مقالي النار قال اني بعنايتك ودعاك لم يلحق بي ضرٌ وقد امرتني امي ان ابرز اليهِ ولولا انها تعلم اني كفوءًا لهُ لما سلمت معي بذلك فارسل الامير في الحال الى طوربان فحضرت بين يديهِ . فقال لها كيف تلقين بولدك الى الخطر وتسلمين معهُ بقتال فرهود وليس لك سواهُ فما ذلك الاَّ جنون وبغض منك لهُ . فقالت كلاَّ ياسيدي فاني خرَّجت ولدي وربيتهُ بيدي وبارزتهُ كثيرًا واعرف مقدار شجاعتهِ واقدامهِ . قال كيف كان الحال فهو دون فرهود الان لانهُ صغير السن وهذه المرة الاولى التي دخل بها ساحة القتال وكان من الواجب ان يتطرق على الحرب شيئًا فشيئًا وليس من الاصابة ان يقاتل اول مرة مثل فرهود . قالت اني ارغب في ان يكون بطلاً عظيمًا اي لا يكون دونك في ساحة القتال ومن يقاتل في اول مرة مثل فرهود وهو بهذا السن لا يصعب عليهِ فيما بعد ان يزيح الجبال وجل غايتي ان يكون لهُ اعظم اسم بين العرب فاما ان ينال ذلك واما يموت و يندثر فخير لهُ من ان يكون جبانًا او يخاف مبارزة فارسٍ او بطلٍ ان كان كفرهود او كغيره . فقال سعد لا تخف عليَّ يا جداه فالعمر محدود واني اعرف صغر سني واني لست اعد الان من الابطال ولو كان عظمي اشد مما هو لما تركت خصمي ينتل العنان ومع كل هذا فلا بد لي من قتلهِ وارجوك ان تسمح لي في الغد بقتالهِ ثانية لاريك ماذا افعل فيهِ . فقال هذا لا اريدهُ ولا اسمح بهِ فانا اعرف ان فرهودًا قليل المثال ولا اريد ان يبرز اليهِ سواي . واما انت فاني اقيمك اميرًا على قبيلة الكراد فتكون رئيس قوم منذ الان

فهذا ما كان من الامير وحفيدهِ واما ما كان من فرهود فانهُ رجع الى صيوانهِ وهو كثير الغضب والغيظ ولما اجتمع بهِ قومهُ وجاء اليهِ عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي سالوهُ عن حالهِ في النهار . فقال اني اعرف واعترف بان العرب قوم جبابرة فكل من فيهم يقاتل كالاسد وقد رايتم ان الذي قاتلني في هذا اليوم لا يبلغ الحادية عشرة من العمر ومع ذلك فليس هو دون الامير حمزة في الجولان والاخذ والعطاء واني اقول الصدق ان حالنا مع العرب في تاخير ولا بد

لهم من أن يذلونا وقد مال قلبي اليهم ومن عادة الشجاع ان يحب الشجاع . فلم يكن عمر بن شداد ورفيقة ان يجيبا بشيء ولما اجتمعا ببعضهما قال الواحد للاخر على ما يظهر لي ان العرب ستفوز على فرهود ولا بد لهم بعد ذلك من القبض علينا ولذلك ارى من الواجب ان نستعد للسفر والرحيل حتى اذا رأينا الغلبة على السودان غطسنا تحت الظلام وتعمقنا في جنبات الارض فلا تصل الينا العرب وانا اعرف ان حمزة يطلبنا ولا يتخلى عنا واذا وقعنا بيديه اهلكنا لا محالة . فاجابة رفيقة الى كلامه واعتمدا على السفر والهرب . هذا وقد سرت طوربان بما نالة ابنها من علو الشان مع صغر سنه وقالت قد صرت الان اميرًا على ثلاثين الف فارس واذا اشتد ساعدك لا بد ان يزيد جيشك و يعظم امرك وتصير واحدًا بين العرب . قال لها سوف ترين ما يكون من امري واني لا انفك عن طلب المجد و بعد الصيت حتى انالها

ولما كان الصباح خرج العسكران الى ساحة القتال واصطفا من اليمين والشمال وترتبا احسن ترتيب واذ ذاك سقط الامير فرهود الى ساحة الميدان وطلب المبارزة وان تتقدم اليه الفرسان فصدمة الامير حمزة وقال له هذا اليوم اخر ايامك وقد عولت ان لا اتركك اما لي واما لك . ثم هجما على بعضهما هجوم اسود البطاح . وتطاعنا باسنة الرماح . واظهرا من براعة الحرب ما يعجز عنة كل فارس حجحاج . وقرم نطاح . وقد حجبهما الغبار . عن اعين النظار . وهما مشتبكان اي اشتباك . غير خائفين من الدمار والهلاك . و بقيا على هذا الشان . نحو ساعتين من الزمان . حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح . فالقياها الى بساط البطاح . وعمدا الى البيض الصفاح . لانهم اقرب الى اختطاف الارواح فوقعت على الطوارق . كوقوع الصواعق وتطاير منها الشرار . كما يتطاير من اتون النار . الى ان قرب العصر . وهما على مثل ذلك الامر . وقد استقتلا وهان عليهما شرب كاس الحمام . ولا يرجعان من ساحة الحرب بسلام . ولا سيما الامير حمزة فانة راى ان المطاولة تضر به ولا ينال المراد الا بالجد والاجتهاد . فرمى سيفة باسرع من لمح البصر . وقبض على خصمه بيديه وعول ان يقتلعة من بحر السرج و يرمي به الى الارض ففعل فرهود كفعله وتقابضا على ظهور الخيول ووقعا الى الارض وهما كاسدين درغامين و بطلين عظيمين حتى قرب الزوال فطال الامير حمزة على خصمه واستطال . وقد اتعبة والحق به الكلل والملال . فاخذهُ اسيرًا وسلمة الى اخيه عمر فشد وثاقة ورجع من ساحة القتال . بعد ان ضربت طبول الانفصال . وهو متعجب من شدة باس فرهود وعظم ثباته . ولما راى عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ما حل بفرهود ايقنا بالهلاك وعولا على اتخاذ الوسائل للهرب والفرار فطلبا الى عساكر السودان ان ترجع الى المدينة ونبقى فيها لبينما يريان طريقة لخلاص فرهود فرجعوا جميعًا تحت ظلام الاعتكار ودخلوا البلد وهم بحزن عظيم على ما حل بسيدهم فرهود . ورجع حمزة

الى معسكره ودخل الصيوان وطلب الطعام فاكل حتى اكتفى واجتمع حواليهِ فرسانهُ وابطالهُ وجلسوا في مراكزهم حسب العادة . وحينئذٍ امر بان يقدموا منهُ فرهود فجاءوا بهِ اليهِ وهو مقيد بسلاسل من الحديد . ولما رآه الامير قال لهُ ويلك يافرهود لقد تعديت واطلت العناد على حين لم يكن بيني وبينك عداوة ولا سبب موجب لاهراق دماء العباد وقد غششت بخداع عمر بن شداد وصقلان حتى القيت بنفسك الى حفر الذل والاهانة فكيف ترى نفسك الان وقد وقعت في يدي وصرت قادرًا على هلاكك وان افعل بك ما اريد فاطرق فرهود براسهِ الى الارض حياء وسقط الدمع من عينيهِ لانهُ راى ان الموت اهون عليهِ كثيرًا من سماع هذا الكلام فعرف منهُ حمزة ذلك فقال لهُ وان كنت اعرف اني لو بقيت بيدك لما عفوت عني بل قتلتني او ارسلتني الى بلاد العجم الى عدوي كسرى انوشروان فاني ارغب في خلاصك والعفو عنك لانك من الفرسان الاشداء ونفسي تأنف ان تهين بطلاً استحق العظمة والفخار فاذا امنت بالله تعالى وتركت الحقد من قلبك حللتك من قيدك واطلقتك . فلما سمع فرهود هذا الكلام من الامير حمزة زادهُ خجلاً فوق خجل وعلم انهُ صادر عن نفس كريمة ولذلك قال لهُ اني لا الام ايها الامير على قتالك فقد دفعت اليهِ بكتابة من كسرى انوشروان جاء بها الخبيثان الحنالان ولم اكن اعرف ما انت عليهِ من كرامة الاخلاق وحسن الطوية وسلامة الباطن واني الان لا اعرف بما اجيبك وقد حملني الخجل ما لا يطاق فاما انك تقتلني فتجعلك واكون قد لاقيت شرّ عملي وجوزيت على طيشي وتعديَّ عليك واما انك تقبلني في خدمتك كواحد من رجالك الامناء ومساعديك الذين في خدمتك واقاتل بين يديك الى ان اموت وادفن تحت التراب . وما تطلبهُ اليَّ من ان اعبد الله فهذا لا امتنع عنهُ قط بل افعل كل ما تامرني واكد ان لا دين ولا دنيا تفصلني عنك منذ الان فقد وقعت محبتك من قلبي وما عدت اقدر ان افارقك ولا دقيقة . وساسلمك عمر بن شداد وصقلان الرومي حال وصولي الى المدينة لانهما بدون شك يستحقان القتل والصلب والرمي بالحجارة . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتاكد انهُ صادر عن نية سليمة وقلب صادق تقدم منهُ واعتذر اليهِ وحل وثاقهُ وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ انت مخير بالبقاء معنا او الذهاب الى بلدك ومعسكرك ولا ابخل بان اقدم لك احسن مقام عندي . قال اني لا ادخل المدينة الا وانت معي لانها اصبحت ملكك وصرت انا تحت طاعتك

ثم ان فرهودًا جلس على كرسي بقرب الامير حمزة وقدم اليهِ الشراب ونهض فرسان العرب واحدًا فواحدًا وصافحوهُ وسلموا عليهِ وترحبوا بهِ وقد ارتاحت اليهِ ضمائرهم ورغبوا في مصاحبتهِ ولاح لهم من معنى كلامهِ انهُ صادق في كل ما قال . ثم ان حمزة سال فرهود عن اليقظان وهل احسن معاملتهُ وكيف لم يركبهُ ويحارب عليهِ فقال اعلم ايها الامير العظيم ان قلبي مال كثيرًا

الى هذا الجواد ونويت ان اضحي بلادي وملكي في سبيل وجوده على الدوام عندي وحالما وصل اليّ وشئت ان اركبهُ فامتنع عليَّ وكان يظهر العجائب فاخذتني الدهشة من اعمالهِ وزادت رغبتي فيهِ وعلمت انهُ يحفظ مودة صاحبهُ ومن رباهُ فلا يدع غيره يعلو ظهرهُ وقلت لا بد على طول الايام ان يساك فوضعتهُ في مكان منفرد ووكلت بخدمتهِ جماعة من العبيد يقدمون لهُ العلف جيدًا ويحسنون سياستهُ ويعاملونهُ بلطف. ومع كل ذلك فاني حاولت مرارًا ان اقرب منهُ فيضرب بقوائمهِ كل من يقرب منهُ وقتل جماعة من خدمي. وعليهِ فاني اعدك ان هذا الجواد يحفظ كرامة صاحبهِ فلا يعلوهُ غيرك. فبشراك بهِ وبشراه بك وقد حق لهُ ان يفعل اكثر من ذلك.

فاغرورقت عينا الامير شوقًا الى جواده وتمنى ان يراهُ وخاف من ان عمر بن شداد وصقلان الرومي يفعلان بالجواد شيئًا فقال لفرهود اطلب اليك الان ان ترجع الى المدينة وتقبض على الشقيين اللذين فيها قبل ان يقع منهما ما يكدره وفي الغد انزل انا المدينة مع اصحابي وفرساني ونرى ما يكون هناك. قال اريد ان تذهب معي يا سيدي. قال هذا لا يمكن ومن الواجب ان تذهب بنفسك اولاً وتعلم قومك بما كان بيننا وبينك وتعرض عليهم عبادة الله عزَّ وجلَّ فمن قبل كان صديقنا ومن امتنع كان عدونا واعظم من كل شيء ان تسرع بما امكن للقبض على عمر بن شداد وصقلان لاشفي غليل قلبي منهما. فاجاب فرهود في الحال وودع الامير حمزة وجماعتهُ بعد ان عزمهم الى ضيافتهِ وان يدخلوا في الصباح الى المدينة وسار الى ان جاء الابواب فوجدها مقفلة فطرقها واخبر قومهُ بوصولهِ ففرحوا الفرح العظيم وفتحوا لهُ فدخل واجتمعوا حواليهِ وهنأوهُ بالسلامة وسالوهُ عن سبب خلاصهِ فاخبر بحلم الامير حمزة وعرض عليهم ان يكونوا على محبتهِ ومحبة الله فاجابوهُ وقالوا كلنا بين يديك نتبع امرك وكل ما وقع عليك يقع علينا قال اني صرت من هذه الساعة من فرسان العرب وساسير اين ساروا واقاتل من يقاتلهم وساختار منكم من يمكنهُ المسير معنا وقد عاهدتهُ على ذلك الى اخر نسمة من حياتي. ولكني لا ارى بينكما عمر ابن شداد وصلان الرومي. قالوا اننا من حين دخولنا البلد ما رايناهما وفتشنا عليهما فلم نقف لهما على خبر فثبت لدينا انهما خافا من ان يقبض عليهما الامير حمزة فطلبا الفرار فلم نلتفت الى ذلك وعذرناهما لعلمنا انهُ يطلبهما دون غيرهما. فاغتاظ من ذلك وامر ان يعاد التفتيش والبحث في كل مكان ومن يراهما يقبض عليهما. فدار البحث والتفتيش في كل ناحية دون الحصول على جدوى فثبت عندهُ هربهم وكان يريد ان يرضي الامير بتسليمهما اليهِ ويقدم لهُ برهانًا على خلوصهِ. ثم افتقد الجواد اليقظان فوجدهُ في مكانهِ فسرَّ من عدم تمكنهما من اخذهِ وفي صباح اليوم التالي خرج فرهود واعيان قومهِ الى العرب فوجدوهم يستعدون للنزول الى المدينة فالتقوا ببعضهم ببعض ورجعوا امامهم وبالاختصار ان ذاك اليوم كان عظيمًا جدًا فرحت بهِ اهل المدينة فرحًا

لا يوصف وقد اخبر فرهود الامير بغياب اللصين فاغتاظ وقال اني لا ازال اترقبها ولا بد من ان الزمان يساعدني فانتقم لنفسي منها ولكني اريد اولاً ان ارى الجواد . وحين دخوله المدينة سار الى الاصطبل وامر ان يفتح له ففتح الباب ورمى الامير بنفسه عليه وعانقه وهو يبكي من الفرح واما الجواد فانه جعل يصهل ويمرغ راسه عليه وكانا كعاشقين متحابين التقيا بعد فراق طويل حتى تعجب منهما كل من راهما . ثم فك الامير قيوده واخرجه الى الخارج وسلمه الى سايسه الذي كان قد اعتاد عليه وقد هنأ الجميع اميرهم بجواده ورجعوا الى دار الضيافة وهم على الولائم والافراح وقد سروا بنهاية الحرب وقرب رجوعهم الى الاوطان

وبعد ان انقضت مدة الولائم والدعوات قال الامير لفرهود انه لم يبقَ في وسعنا ان نبقى في هذه البلاد اكثر من خمسة ايام ومن ثم نرحل الى حلب قال اني بانتظار امرك وسادبر نفسي في هذه المدة . واخذ منذ تلك الساعة في ان يجمع العساكر التي يريد ان ياخذها معه واقام مكانه وكيلاً على بلاد السودان من ابناء عمه واوصاه بالعدل والحلم وان يكتب له على الدوام عما يحصل في بلاده وفي نهاية الخمسة ايام ودع قومه وداعًا اخيرًا وقد بكوا على فراقه وبعده واخذ عياله وجميع ما يحتاج اليه من المؤن فحمل الاحمال وكذلك العرب فانهم حملوا باحمالهم وودعوا اعيان المدينة وقد سار مع فرهود من قومه نحو ثمانين الف مقاتل وانضموا جميعًا الى علم بيكار الاشتهار ورفع فوق روسهم ونقلوا عن تلك الارض ومشوا في طريق مصر كل سيد على قبيلته يتاثرون ذاك العلم الكبير الذي كان يجمعهم وداوموا المسير الى ان وصلوا الى اراضي مصر فضربوا الخيام هناك ونزلوا للراحة وبلغ اسمندار حاكم مصر رجوع العرب منصورين ونزولهم في ضواحي المدينة فخرج في الحال مع اعيان قومه وسلموا عليهم وترحبوا بهم كل الترحيب وعملوا لهم الولائم والافراح وذبحوا الذبائح وكانت ايام اقامتهم هناك على الحظ والانشراح والفرح والمسرة ياكلون ويلهون وما من امر يكدرهم وقد مضى عليهم نحو عشرة ايام على مثل ما تقدم وفي اليوم الحادي عشر اجتمع جميع فرسان العرب في صيوان اليون شاه واخذ كل مركزهُ بعد ان استقرّ بهم الجلوس ودار الحديث في مسائل الملوك والسلطان واحوال الشعوب ومن منهم الفائز ومن المذلول وحينئذٍ نهض المعتدي حامي السواحل وقال للامير حمزة اعلم ايها الامير اننا اتفقنا على امر ونريد ان نعرضهُ عليك ولا اظن الاَّ انك تستحسنهُ وتوافقنا عليهِ وتسعى بهِ معنا في الحال اذ كان لا بد لنا منهُ . قال قل فاني ارغب على الدوام في كل ما بهِ الخير والنجاح لكم ولي ولقومي اجمعين . قال انت تعلم اننا لا بد ان نرجع الى حلب ونقيم هناك نترقب احوال كسرى انوشروان ونعرف ايضًا ان الحرب لا بد ان تعود الى الانتشاب بيننا وبينهُ ما دام بختك بن قرقيش حيًّا لانهُ يستغنم الفرصة المناسبة ليحملهُ على الانتقام منا وان كان كسرى لا يرغب في ان يذكر لهُ احد

العرب غير ان هذه الحالة لا تدوم معهٔ ولا بد من انهٔ ينهض ذات يوم بهمة اشد من الماضي
وهو سلطان عظيم وملكه واسع جداً حتى انهٔ ولو ما قصدنا لحرب فلا بد ان نقصدهُ نحن لننهي
واقعة الحال ولا يمكننا ان نتفرق الاَّ بعد انقراض الدولة الكسروية او وقوع المصالحة وارتياح
الفكر من جهة الحرب وانقطاعها بيننا . ومن حيث ان الحرب لابد منها ونحن حتى الساعة متفرقين
الكلمة ولم ينتظم لنا حال كالواجب تارة يتفرق بعضنا وطوراً يغيب اميرنا وعليهِ فقد
اعتمدنا ان يكون لنا من السلطة والعظمة ما لغيرنا ونكون كلنا تحت سلطة واحدة ورأي واحد
وعلم واحد نجتمع تحتهُ ونسير اين سار قال اني لا امنعكم من ذلك فانظروا فيما يوافق . قال
المعتدي ان ما يوافق لبقاء ذلك هو ان نختار لنا واحداً نقيمهٔ ملكاً علينا ويكون لهٔ السلطان
المطلق فينا برضانا واختيارنا ويكون على الدوام تحت العلم الاكبر ويختار لهٔ مدبرين ومشيرين
ووزراء وكما للعجم ملك عظيم واسع السلطة عند العجم يكون للعرب كذلك . قال ان هذا
يوافق حالتنا فاختاروا لكم ملكاً وافعلوا ما اردتم بذلك فانا كواحد منكم ارغب في اتساع سلطتنا
وعلو شان العرب وان لا يكون كسرى ارفع مقاماً بل ربما نقلنا العظمة والسلطان الذي لهٔ الينا
قال المعتدي اننا اتفقنا واخترنا ان يكون صاحب هذا العلم انت ونحن باجمعنا من اتباعك
وفرسانك . قال هذا لا يمكن ان يكون ولا اقبلهٔ قط واذا كنت انا الملك انقرضت دولة العرب
في الحال ووقعنا في مضايق كثيرة لان من الواجب على الملك ان لا يباشر بنفسهِ حرباً ولا قتالاً
بل يبقى على الدوام تحت الاعلام ليعطي الاوامر ويدبر الملك الى غير ذلك واما انا فاني رجل
حرب ولا يمكن اذا وقع قتال بيننا وبين احد الاَّ اكون بالاول وعليهِ فمن يقوم تحت العلم
ومن حولهِ الفرسان والابطال فضلاً عن اني لا ارغب ذلك ولا ارضاهُ . فرأى الجميع كلامهٔ
حقاً ونظروا الى بعضهم وتكلموا بهذا الشان الى ان قرَّ رايهم وحينئذٍ قال المعتدي اعلم ياسيدي
ان كلامك هذا هو الصواب وقد اتفقنا ان يكون الحاكم علينا ابنك عمر اليوناني . فرفض عمر
هذا الامر وقال اني كابي ارغب في كبح اعدائي وان لا ارى الحرب قائمة واتفرج عليها فاختاروا
لكم ملكاً غيري . فعادوا الى التفكر واخيراً اتفقوا وقالوا للامير اعلم ايها السيد اننا اتفقنا اتفاقاً
باتاً وما من عذر فيهِ لك وهو من اوفق ما يمكن ان نعتمد عليهِ وذلك ان ابنك قباط هو
ابن مهردكار ومهردكار هي بنت كسرى انوشروان فقد اخترناه علينا ملكاً لانهٔ من نسل ملكي
اصلي وابوه ابن امير مكة المطهرة وفارس العرب واشرفهم وعليهِ فيكون اختيارنا في محلهِ وما ذلك
الا من توفيق الباري . فلما سمع الامير كلامهم عرف انهم اصابوا الا انهٔ خاف من ان يقع تحت
لوم مهردكار اذا اصيب ابنها بمصيبة فهي لا ترغب ان تفارقهٔ ولا تريد ان يكون الا امام اعينها
بعيداً عن الحكم والقتال ولهذا السبب منعتهٔ من ركوب الخيل ومباشرة علم القتال مكتفية بان

علمة العلوم الادبية والسياسية . ولذلك قال لهم ان ابني قباط ولن كان يوافق ان يكون ملكًا فهو صغير السن لا يحسن القيام بمثل هذه الادارة وتدبير شعب عظيم كالعرب . قالوا اننا نعرف صغره لكننا نؤكد ايضًا انه اكثر ادراكًا واوسع عقلاً واعظم سياسة من اكبر ملوك العالم وافضلهم لا سيا وانه تحت وصايتك فما يفوته تبعثه اليه وتحمله عليه فلم يرَ بدًّا من ان يظهر لهم غايته فقال لهم اني اعرف موكدًا انكم مصيبون كل الاصابة غير اني لا ارغب في ان اقع تحت لوم مهردكار وتعنيفها فاذا وقع على قباط امر مكروه تصرف كل حياتها بالبكاء وتقول لي لولاك لما وقع على ابني ما هو كذا وكذا فاذا كان ولا بد من ذلك فاذهبوا انتم اليها واعرضوا عليها طلبكم فان اجابت كان خيرًا والا انا فلا اخابرها بمثل هكذا امر . فقالوا لا بد من الذهاب اليها ثم اجتمع سادات العرب جميعًا وساروا الى صيوان مهردكار فدخلوه وسلموا عليها وجلسوا بين يديها فترحبت بهم واكرمتهم واحتارت في سبب مجيئهم جميعًا دون ان يكون معهم الامير حمزة وسألتهم عن ذلك . فقالوا لها اننا جئنا اليك بامر يتعلق بك وحدك ونريد ان نعرضه عليك وتوافقينا في الحال وبه الخير لنا ولابنك قباط . قالت اخبروا ماذا تطلبون . فاخذوا في ان يشرحوا لها بالتفصيل كل ما ارادوا وما دار بينهم وبين الامير حمزة من الكلام وكيف ان امر قباط منوط لخاطرها فاذا لم تقبل لا يوافق الامير . فقالت اني اعرف ان هذا الراي موافق للعرب ولا بد لهم منه الا انه لا اخفاكم انه حتى الساعة لم ياتني غير هذا الولد فهو عندي بمنزلة عظيمة واخاف ان يصاب بمصيبة فاقع مع زوجي بالقال والقيل لاني كارهة الدنيا واطلب الموت لا محالة فهو احب لديّ من ان يبعد عني يومًا واحدًا او اسبوعًا ومع كل ذلك كيف لم يات الامير معكم اليّ وهو ابنه وشريك الراي فيه . قالوا انا عرضنا هذا الراي عليه فاجاب انه يوافق كثيرًا الا انه قال لنا ان مهردكار لا توافق عليه فاخذنا على انفسنا العهدة بان ناتي اليك ونسالك في ذلك ونطلب اليك قبوله اكرامًا لخاطرنا ولا ريب اذا قبلتِ انت التماسنا ورجانا سرّ هو ايضًا . قالت وكيف ايضًا لم يحضر الامير عمر العيار قالوا لم نعرض عليه امر مجيئنا لعلمنا ان الامير حمزة هو اخوه وانه لا يرضى الا اذا رضيت انت فرضاك هو في اول الجميع فانظري في طلبنا نظر حسن الصالح فان العرب باحتياج الى ذلك فاطرقت الى الارض برهة صامتة وقد خجلت من سادات العرب واخيرًا رفعت راسها وقالت لهم انتم تعلمون ان ابني اذا اجبتكم سيصير راسًا عليكم ويلتزم ان يحمل اثقال العرب جميعها ولو كنا بسلام لكان ذلك موافقًا له لكننا في حروب واهوال وابوه لا ينفك عن القتال وعدوكم هو من اقوى العالم واكثر ملوك الارض رجالاً وابطالاً فلو حاربناه الى اخر الزمان وفي كل يوم شتتنا له جيشًا لقدر على الاتيان بغيره وتجديد القتال ولا سيا ان عنده رجل خبيث ماكر وهو بختك بن قرقيش فاذا

عرفوا ان العرب اتخذوا لهم ملكًا مطلقًا وسلطانًا عظيمًا ليقيموهُ في مقام كسرى هاجوا وماجوا وجددوا الحرب والقتال وربما احتالوا على قتل ملككم او اسره او ابعاده عن اعيني فاقع في حزن وانزل الى قبري كئيبة ومع هذا فانا اجيب طلبكم لكن بشرط ان ياتي معكم اما الامير حمزة واما عمر العيار وتحلفون لي اليمين على محبة الملك وتكفلون السهر على راحته فهذا جلّ ما اريده منكم وارجوكم بان لا تتكدروا والسلام

فلما سمع الفرسان والملوك كلامها سكتوا ولم يجيبوا بشيء وقد علموا انها اصابت في طلبها هذا لان ولدها وحيد عندها وتحبهُ كثيرًا ولا تريد ان تسلم به ولا سيما لانها غريبة وما من سلوة لها غيره وساروا من هناك وجاءوا صيوان اليون شاه ودخلوا على الامير حمزة فوجدوه بانتظارهم فقال لهم ماذا فعلتم قالوا انا عرضنا الامر لمهردكار فاجابت تحت شرط ان تكون انت معنا او اخوك الامير عمر فتسلمنا قباط فنكفلهُ لها ولذلك نريد منك ان تذهب معنا اليها . قال هذا لا يكن ولا اريد ان اكلم مهردكار بمثل هذا الشان فطلبوا الى عمر وسالوه ان يذهب معهم فقال لاخيهِ اتريد ان اذهب واكفل لها ابنها . قال لا تسالني بهذا الشان فاذا شئت ان تذهب فاذهب من نفسك فوقف عمر العيار وقال هلموا ياسادات فاني اسير معكم لعند مهردكار واجيب الى كل ما تطلبهُ ولو بعت في ذلك حياتي . ثم انهم ساروا جميعًا حتى دخلوا صيوان مهردكار وجلسوا عندها وقالوا لها ها قد جاء معنا عمر العيار وهو يجيب الى كل ما تطلبينهُ منهُ فالتفتت اليهِ وقالت لهُ انت تعلم بان لا ولاد لي غير قباط ولم يشأ الله ان يرزقني غيرهُ فاحبهُ كثيرًا لكني لا اريد ان امنعهُ عنكم بل ارى من الواجب عليهِ ان يكون معكم وفيما بينكم غير انهُ لم يكن رجل حرب ليدافع عن نفسهِ فهل تكفل لي حياتهُ من الاعداء وان تحامي عنهُ مع الفرسان والابطال فقال كيف وهو ابن اخي واحبهُ كروحي فاذا اصيب بنائبة كنت لهُ الفداء . قالت اصبروا حتى اتيكم بهِ . ثم دخلت داخل الصيوان وجاءت بالامير قباط وقالت هوذا سلطانكم فاقربوا مني لاسلمكم اياه فجاءوا اليها جميعهم فاخذت اليد الواحدة وسلمتها لسادات العرب جميعًا واليد الثانية سلمتها لعمر العيار وقالت اني اقسم عليكم بالله العظيم رب زمزم والحطيم واستحلفكم بكل نبي عظيم هل تخدمون ولدي خدمة امين وتحامون عنهُ من اعدائهِ وتسهرون على حياتهِ كما يريد الله سبحانهُ وتعالى فاقسموا لها جميعهم وشدد الامير عمر الاقسام ودنا من ابن اخيهِ فقبلهُ وقبلوا بعضهما وبكيا . وحينئذٍ سلمتهم اياه فاخذوه وساروا الى صيوان اليون شاه وسلموه الى ابيهِ فقبلهُ وقال هذا ملككم فارفعوه عليكم وهذا الذي اخترتموه فلا امنعكم منهُ فدعوا باسفندار وسادات مصر وقاموا بالولائم والافراح من اجل ذلك مدة سبعة ايام وقد زينت المدينة ابهى زينة اكرامًا لسلطانهم الجديد وفي اخر الايام جاءوا بصولجان الملك الذي اعدوهُ لهُ فسلموه اليهِ

والبسوهُ تاج سلطان وثوبه ووقفوا بين يديه ودعوا له بالسطوة والجاه وكان قباط ذو زكاء مفرط فخطب على العرب بوجوب حبهم لبعضهم البعض وبالحكم وبذلك يسودون على العالم اجمع فضجوا بالدعاء له وسالوه ان يختار له وزيرًا من الامراء ليكون مدبرًا له . فقال اني اخترت عمي الامير عمر العيار وغيره لا اريد مدبرًا ولا مشيرًا ولا وزيرًا فاستحسن الجميع هذا الراي وقالوا لقد نظرت موضع النظر ورأيت الراي الحسن فقال عمر هذا لا اريدهُ ولا احب ان اكون وزيرًا فاني لا افارق حمزة ولا ارغب مثل هذه الرتبة . فقال السلطان قباط اني احب ان لا تفارقني فاستمد رأيك واكون على الدوام تحت رعايتك وما من وسيلة للامتناع فانتم اخترتموني سلطانًا وصار من الواجب عليكم طاعتي فاذا امتنعت تكون هذه اول عصاوة وقعت منك . فالتزم عمر العيار ان يقبل ذلك بالرغم عنهُ وفي الحال رفعوهُ الى كرسي بجانب السلطان قباط وافرغوا عليه ثياب الوزراء المزركشة وباركوا له بهذه الخطة المهمة وقد اشرط على ابن اخيه امام الجميع ان يكون على الدوام مطلق الحرية بالذهاب والاياب في الليل او في النهار حيث لا يستغني عن محافظة المعسكر والنظر في احوالهم ومراقبة جواسيس الاعداء . فاستحسن الجميع طلبهُ ووافق عليه سلطانهم وهكذا اقيم على العرب رئيس عام بصفة ملك عظيم ووزير اول وكتبت الرسائل وبعثت الى كل البلدان التي دخلت في يد الامير حمزة بان الملك الاكبر هو قباط ابن الامير حمزة وان الوزير الاكبر هو عمر العيار

وصرف العرب بعد ذلك مدة شهرين في مصروهم بالفرح الزائد وكلما يقع بين العرب يؤتى به امام الملك الاكبر فيحكم وينهي بالعدل والانصاف وكل ما يأمر به يجرى في الحال وقد طاع العرب امر ملكهم واحبوهُ حبًا زائدًا وسروا من فصاحته وبراعته وزكائه مع صغر سنه وفي اليوم الاول من الشهر الثالث اخذوا يفكرون في امر السفر وقد استشاروا ملكهم في ذلك فقال هذا لا بد منهُ وساعين يومًا مخصوصًا للرحيل وفيما هم على مثل ذلك واذا دخل عليهم رسول وبيده كتاب وهو من الاعجام فنظر في الجميع ثم تقدم من الملك الجالس على الكرسي الكبير فدفعهُ اليه بعد ان قدم لهُ شروط الخدمة فنظر فيه واذا به من كسرى انوشروان ففضهُ ودفعهُ الى الوزير عمر ليقرأهُ فقرأهُ علنًا واذا به

من كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة وعلو الشان وحاكم الدنيا بما فيها من بني الانسان وكل ما عليها من الشجر والنبت والحيوان . وناشر على البر والبحر سلطان الراحة والامان . الى جماعة العربان وسكان البادية الذين تعدوا حقوق سطوتي . وخرقوا شان سلطاني وحرمتي

لقد فعلتم معي الافعال القبيحة وتعديتم عليّ واخذتم بنتي بالرغم عني وسلبتم اموال مملكتي

واهلكم قسماً من جيوشي وبالاخير تعدت عبيدكم عليَّ فقتلوا مرزباني واحطوا من قدري واذلوني فخفضت الطرف عنكم وعولت ان لا يذكرلي اسمكم الى آخر الايام فاتركّكم وشانكم وفي ظني انكم ترجعون عن غيكم وتذهبون الى بلادكم ويتركون عنكم كل هذا التعدي وترجعون فتنفرقون . فبلغني انهُ كان من امركم ان تعاظمتم واتخذتم سكوتي من باب العجز والضعف واجتمعتم وانتم لكم سلطاناً عظيماً انبتموهُ بالسلطان الاكبر وبعثتم الى البلاد التي هي في ملكي وتحت حكمي تعلمون ذلك وتدعوهم الى طاعتكم فعرفت وتاكدت من وزيري بختك ان قصدكم نقل عظمة العجم الى العرب ونويتم على عزلي من تختي وانحطاطي وقرض الدولة الكسروية القديمة العهد ولذلك اخطركم اني منذ الان سائر في اثركم وافني اخباركم واحاربكم الحروب الهائلة حتى تفنون ولا يبقى منكم انسان ولي القدرة الكافية على ذلك وانتم تعلمون عظم سلطاني وعلو شاني واقسم بتربة اجدادي الاكاسرة ان افعل اعظم مما اقول الاَّ اذا رجعتم عن خطاكم ونزعتم التاج عن ملككم الجديد وتفرقتم وكل واحد سار الى بلده فتحفظون بذلك حياتكم وينحسم الشر والخصام وكفاكم ما فعلتم والخير والنجاح لمن نظر موضع النظر والويل والهوان لمن كابر وعمل على العصيان

ولما سمع العرب هذا الكتاب سكتوا منتظرين ماذا يجيب السلطان قباط وما فهم قبل ان يتقدم او يبتدي الى ان قال اسمعتم ايها السادات ماذا يطلب الينا كسرى فماذا تريدون ان تجيبوا . قالوا انت الآمر فينا والملك علينا فاجب بما تختار فامر ان يكتب الجواب كما ياتي

بسم الله الواحد القهار والصلاة والسلام على انبيائهِ ورسلهِ الاطهار

من السلطان قباط بن الامير حمزة فارس برية الحجاز سلطان العرب والمصريين والاحباش ومن جاراهم الى جده كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

لقد وصلتني كتابتك واطلعت على كل ما تضمنتهُ فاذا بها ما يدل على عتوك وتفاخرك وقد تعجبت من ذلك مع انك تعلم ان العرب اصحاب سلطان ولهم الكلمة النافذة في كل مكان وفخرهم مثبوت منذ قديم الازمان والاعجب من ذلك انك تعرف يقيناً اننا اعداؤك الالداء خربنا في بلادك وقللنا من سلطانك فانزلنا من قدرك ولا نزال حتى نبيد شوكتك ونمحو عظمتك فلا يقال فيما بعد كسرى انوشروان وتطلب الينا ترك سلطاننا كأنك لا تزال الحاكم فينا او كأننا ما برحنا في حوزتك وتحت امرك وفعلنا شيئاً مخالفاً لغايتك . والحاصل فليكن عندك اكبر علم اننا ما فعلنا ذلك الا لننقل الفخر الذي كان للعجم الى العرب ونهدم الايوان ونقيم في المدائن حاكماً عليها من قبلنا ولا تندهش من ذلك لاننا عبيد لله نأمن بهِ ونسأل منهُ التوفيق وهو قادر على اغاثتنا ومعونتنا واجابتنا الى كل ما نسألهُ ولو كنت تعبده لما فعلنا بك شراً فكن

على حذر وعما قليل ترانا حول مدينتك وفرساننا تصيح بفرسانك فتشردهم والسلام لمن احب العدل وكره في الاسراف واطاع امر الله بلا تشكك ولا خلاف

وعندما قرأ الكتاب سرّ منهُ العرب باجمعهم ففرحوا الفرح العظيم ومن ثم دفعوا الكتاب الى الرسول فاخذه وسار يطلب المدائن وبعد مسيره قال السلطان قباط اعلموا ايها السادات ان كسرى ما كتب من هذه الكتابة الا وفي عزمهِ ان يحاربنا ولا ريب انهُ جمع القوات اللازمة وصار يعزم على حربنا واتباع آثارنا ونخاف ان يأتي حلب او يذهب الى مكة فيدكها قبل ان نعرف شيئاً من اخباره ونحن بعيدين من ديارنا وارى من المناسب ان نرحل من هذه الارض ونترقب حركات كسرى واعماله فاستعدوا للسفر حتى اننا بعد ايام قليلة نكون بعيدين عن هذه الديار . فقال الجميع اننا على حضر ولا بد من مسيرنا وعلى كل فاننا ننتظر اشارة منك . ثم نظروا الى الامير حمزة فوجدوهُ يبكي وقد نزل الدمع من عينيهِ وبلّ شعر ذقنهِ فاحتاروا في امره وقالوا له لما هذا العمل ونحن الان في فرح لا يوصف وكل شيء لدينا حسن ومن ولدك يخرج الفخر للعرب وربما للعالم اجمع . قال اني اعرف عظم الفرح التي نحن فيهِ ولكني على الدوام اتذكر شيئاً وانا اعد نفسي بهِ وقد عولتم على الرحيل قبل الحصول عليهِ واطمئنان بالي من جهتهِ . فقالوا ماذا تطلب واي شيء تتذكر ولا نعلمهُ نحن . قال انتم تعلمون جيداً اني في هذه الارض فارقت اخي اندهوق بن سعدون وكان بعهدي ان لا تطول غيبتهُ وان لا ابارح هذه الارض قبل عودتهِ وحتى الساعة لا اعرف شيئاً عنهُ ولهذا تروني ابكي ومن منكم لا يعرف فضل هذا الامير وحبهِ لنا وقد صرف قسماً من حياتهِ بجد واجتهاد في خدمتنا ولولاه لما اقام شان العرب في حال غيابي . فقال الجميع لقد اصبت واننا متأثرون من بعده مثلك ولا نعرف في اي يوم يرجع الينا ولا ماذا صار بهِ وربما سار الى حلب او الى مكة . قال هو لا يزال في بلده فلو جاء لتبعنا الى التكرور واني اقسم بالله لا ابرح من هنا الا عندما يرجع اليّ اندهوق بن سعدون . ولا بد لي من الاستطلاع على اخباره والاستكشاف عن احوالهِ واطلب الى اخي عمران يسرع الى سرنديب الهند ويطفئ من قلوبنا هذه الجمرة وكان عمر العيار يرغب في ان يعرف ماذا وقع على اندهوق لانهُ كان يحبهُ كثيراً . فاجاب طلب اخيهِ وقال لهُ ابشر ايها الامير فالذي تطلبهُ انت ارغب بهِ قبلك وسوف اعود اليك بالخبر المفرح ان شاء الله ثم التفت الى السلطان واستأذنهُ بالمسير فاذن لهُ وسار من هناك بعد ان ودعهم جميعاً ولا زال في مسيره الى ان قرب من سرنديب الهند فنظر الى بعد عن وادٍ قريب واقع بين آكام تلك الجهة فعرج اليهِ وكان لابساً ملابس الدراويش حتى من رآه لا يمكن ان يعرفهُ ولو كان اخوه حمزة فتقدم من احد الحراس وسألهُ لمن هذا المعسكر . قال لاندهوق بن سعدون

يديه من كرمه لانه يكرم الضيف ويحب الدراويش وينعم عليهم بالبركة . ففرح عمر عند سماعه هذا الكلام وايقن بنجاح سفرته من اولها وتقدم الى صيوان كبير مفتوح الابواب من الحرير المعصفر ولما قرب من الباب وقف فيه فوجد اندهوق جالسًا ومن حوله ثلاثة ملوك من ملوك الاركان فدنا عمر الى بين يديه وسلم عليه ثم طلب احسانهُ ومدحهُ واثنى على كرمه فاعجب من فصاحته وامر ان يدفعوا له ستمائة دينار فدفعوها فاخذها على يديه وجعل ينظر فيها كأنه غير راضٍ بها . فقال له اندهوق كأن لم يعجبك هذا المقدار من المال . فقال كلا فانهُ لم يرضني وارى من العيب على رجل عظيم مثلك ان يعطني مثل هذا العطاء القليل . فتكدر اندهوق وقال غير هذا العطاء لا اعطي فاذا قبلته خذه والا فاتركهُ وتكون قد تركت نصيبك . قال اني لا اذهب من هنا ولا اقبل هذا العطاء . وانا رجل طماع احب المال وعندي من مثلي كثيرون ينتظرون ان اجيئهم بالمال . فادفع لي حالاً ما يرضيني قال وما هو المبلغ الذي يرضيك . قال اخبرني اولاً عن قيمة المال الموجود في خزينتك حتى اعرف ماذا اطلب والا اخاف ان اطلب مبلغًا ويكون في يدك اكثر فيفوتني فزادت حيرة اندهوق ولعبت نار الغضب في قلبه منهُ الاَّ انهُ لم يرضَ ان يكسر بخاطره لانهُ فقير ودرويش من رجال الله وفيما هو على مثل ذلك واذا بشيحان كبير عياري عمر وقف في الباب وقال لا تكن طماعًا ايها الدرويش فتحرم نفسك من نصيبك فخذ هذا المال فيكفي لاصحابك واذا امتنعت ضررت بهم . فالتفت عمر وراهُ وعرف انهُ لحق به غير انهُ لم يندهش من ذلك بل قال كلا لا ابرح من هنا حتى يرضيني هذا الامير او يذهب معي الى حيث اقول له . واما اندهوق فانهُ عرف شيحان واندهش من وجوده وقال له من هذا وقد اشتبه فيه ربما يكون عمر العيار قال هو فخر العرب ودليلهم وبراسهم في ظلامهم الحالك . فنهض اندهوق واقفًا وسقط عن كرسيه ورمى بنفسه على عمر وسلما على بعضهما وقد ترحب اندهوق بضيفه مزيد الترحاب وابدى من المسرة ما ادهش الجميع . فقال له ايكون عطاء اندهوق الى عمر هكذا مبلغًا قليلاً قال اني ورب الكعبة لا امنع عنك شيئًا وكل ما هو لي تحت امرك خذ منهُ ما شئت واتِ ما شئت فشكر منهُ عمر ونزع عنهُ ثوب الدراويش وتقدم من الحاضرين فسلم عليهم جميعًا واخبر اندهوق عن كل ما وقع مع العرب في بلاد السودان من الاول الى الآخر فتعجب من ذلك وقال لا ريب ان الامير حمزة موفق جدًا وان الله سيعطيه اضعاف ما اعطاه وقد عملتم خيرًا وحسنًا بانتخاب الامير قباط سلطانًا عليكم فالان تمت سعادة العرب ونالوا من المجد ما لم ينلهُ كسرى لان في معسكرهم من الفرسان ما لم يوجد في اقطار الدنيا نظيرهم ومن ثم اخذ اندهوق يخبر عمرًا بكل ما كان من امره بعد مفارقتهم

وهو انهُ ما زال سائرًا بجماعته يجدون الليل والنهار حتى قربوا من سرنديب ولم يبقَ بينهُ

وبينها الا مسافة يوم فنزلت العساكر في تلك الارض وباتوا الى الصباح وفي الصباح نهض
وركب على ظهر جواده وامر جماعته ان يتبعوه وسار مسرعًا لوحده على امل ان يسيروا خلفه
عند اتمام ركوبهم وبعد مضي ثلاث ساعات اقبل على المدينة فوجدها محصورة من كل الجهات
وحولها ثلاثة ملوك التركمان. فقال والله من مثل هذا كنت اخاف ولم ياخذه صبر ولا تهاون لانه
يعرف ان هولاء الملوك ما جاءوا بعساكرهم الا عندما تاكدوا غيابه فاراد ان يباديهم باسمه
ويرعبهم بعمله فصاح فيهم وحمل عليهم وهو ينادي ويلكم اوغاد غير انجاد قد جاءكم قضاء الله
الذي لا يرد ولا يدفع صاحب هذه البلاد اندهوق بن سعدون ساقي الاعداء كاس المنون وهز
الرمح بيده وانحدف على التركمان فاضطربوا وارتاعوا وهم يعلمون بعظم بطشه ومقدرته وربما يكون
ان وراءه جيوشه الجرارة وخافوا من ان يخرج رجال المدينة اذا عرفوا بوصوله اليهم فقاتلوه
بخوف واضطراب ثم انهزموا امامه الى جهة الشمال وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم حتى
بعدوا عن المدينة نحو عشرة اميال وهناك تاكدوا ان لا احد غيره من الفرسان في اثرهم فعادوا
اليه واحتاطوا به وقوموا اسنتهم وصوبوا نحوه نبالهم وهو يضرب فيهم ويمدد الرجال على الرمال
وقد ترك القتلى كومًا اشبه بالجبال وما زال على مثل هذه الحالة حتى لعب به التعب والملال
لانه كان يقاتل الوفًا ومئات الوف وهو وحيد منفرد بنفسه وقد بعد عن المدينة وعن قومه
واذ ذاك تمكن منه اعداؤه فقبضوا عليه واسروه وكبلوه بالحديد وساروا به الى بلادهم وهم فرحون
غاية الفرح مسرورون بما وصلوا اليه وثبت لديهم انهم بعد ان يرجعوا الى بلادهم يجمعون ما
قدروا على جمعه ويجددون الحمل على سرنديب فيفتحونها او انه لابد لجماعته وعمه ان يقصدوهم
الى بلادهم فيبددون شملهم ويخلو لهم الجو

فهذا ما كان منه ومنهم واما ما كان جماعته وعساكره فانهم بعد ان انتهى انتظامهم ساروا
في اثره بترتيب حتى اقبلوا على المدينة فلم يروا حولها احدًا فتقدموا من الابواب فوجدوها
مقفلة فطرقوها وعرفوا بهم اهل البلد فخرجوا الى ملتقاهم وجاء عم اندهوق اليهم وسلم عليهم
وسالهم عن ابن اخيه فقالوا له انه سار امامنا وفي ظننا انه دخل المدينة. فقال لا ريب انه
يحارب الاعداء وقد اجلاهم عن البلد وسار في اثرهم ولا بد انهم يجتمعون عليه ويضايقونه
وياسرونه قالوا لا بد لنا من الاستطلاع على خبره لنعرف اين راح وكيف ذهب وان كان
اسيرًا الى اي مدينة اخذ لان بلاد التركمان واسعة جدًا ونحن لا يمكننا ان نتفرق فيها ونخاطر
بانفسنا قبل ان نتحقق باننا قادرون على خلاصه. فتوافقوا على ذلك وبعثوا بالجواسيس يكشفون
لهم الاخبار

فهذا ما كان منهم واما ما كان من ملوك التركمان فانهم اخذوا اندهوق وساروا به الى بلادهم

في قصر مولاي الشيخ، ووكلوا به الحرس والعيارين وكان الشيخ في قصرهم يزورنه في كل يوم ليتأكدوا بقاءه واخذوا يدبرون في جمع العساكر ليجددوا الحملة على بلاده ويفتحوها ومضت عليهم الايام على مثل ذلك والناس ترد افواجاً افواجاً تتفرج على اندهوق بن سعدون وتتعجب من كبر جثته وعظم هيكله ويتحدثون باعماله وبسالته وصارت النساء تاتي اليه اكثر من الرجال

قال وكان لهؤلاء الملوك الثلاثة عدو قوي يقال له الامير ماجد بن سالم وهو كثير الاعوان وفي كل مدة يسطو على بلادهم وينهب ما تصل اليه يده منها فتقوم الحروب بينهم فتارة يفوزون عليه بالنجاح وينهبون امواله وطوراً يفوز هو ولا يدع لهم راحة الى ان كان تلك الايام بلغ الملوك ان الامير ماجد يستعد لياتي اليهم فهاجوا وماجوا واتفقوا ان يجمعوا بعساكرهم ويذهبوا الى بلاده ويفاجئونه بغتة ولما اعتمدوا على ذلك دعوا اليهم ببناتهم وكان لكل واحد منهم بنت فقط وعند غيابه يعهد اليها بتدبير الاحكام عنه اذ كان لا يامن لغيرها ولما وقفن بين ايديهم قالوا لهن اننا سائرون الان الى بلاد الامير ماجد ولا بد لنا من الفوز عليه في هذه المرة تماماً ولا نرجع عنه حتى نهلكه ونخرب بلاده وسناخذ معنا العساكر والرجال ونقفل عليكن باب المدينة فلا تدعن احداً يدخل او يخرج قبل ان نعود نحن الى المدينة خوفاً من ان ياتي العدو الى المدينة او ربما جاء جماعة اندهوق لاجل خلاصه واياكن من ان تدعن احداً يقرب منه او يسعى في خلاصه فوعدنهم بكل خير وانهن يحافظن على الاحكام حق المحافظة ولا يفعلن الا ما يرضيهن الى ان يعودوا الى المدينة . واذ ذاك رحل الملوك بعساكرهم يقصدون بلاد الامير ماجد وهم يوملون بالسلب والنهب والحصول على الخيرات العظيمة في هذه المرة وبعد ذهابهم صار الثلاث بنات ياتين الديوان وينظرن في امر الدولة ويقمن مقام ابائهن الى ان كان ذات يوم طلبت احداهن ان ياتوا باندهوق الى الديوان فوافقتها الثنتان الباقيتان وفي الحال احضر مقيداً الى بين ايديهن فنظرن اليه وتفرجن عليه وكن يسمعن بذكره وعظم قدره فتاكد لديهن ذلك وجعلن يسالنه عن بلاده وقومه وهو يخبرهن بكل ما كان من امره ويحدثهن بحديث العرب مع كسرى ووقع في قلوبهن بمركز عالٍ وكل واحدة رغبت في ان تسعى في خلاصه لتاخذه لنفسها وتسير به الى بلاده وما من واحدة اظهرت غايتها للاخرة لكن كن لحظن على بعضهن ذلك وبعد ان ابقينه عندهن في الديوان نحو ساعة ارجعنه الى سجنه حياء من الناس الى ان كان المساء رجعن الى قصورهن وامرن ان يوتى به اليهن وصرن يمزحن ويلعبن معه ويسالنه اذا كان يرغب بالرجوع الى بلاده وهو يجيبهن عما بفكره غير انهن كن لا يعرفن كيف يصرفن في امره . وفي ثاني الايام اخبرن بان الامير ماجد وصل الى ضواحي المدينة وقد خالف في الطريق فلم يلتقي باباءهن فتكدرن وعظم عليهن الامر وخفن ان يفتح البلد قبل ان تصل

العساكر وتشفعة ولم يكن الا القليل حتى حاصر البلد وجعل يرمي عليها السهام والنبال واحتاط
بها برجاله من كل الجهات . الى ان كاد يفتحها وحينئذٍ اجتمع البنات الى بعضهن وقالت
الواحدة انتم تعلمون ان الامير اندهوق هو فارس عظيم وبطل جسيم وما منا ولا واحدة الا
احبته وتمنته وعليه فلكي ننصف بعضنا ارى من الواجب ان نتفق نحن الثلاث ونعرض عليه
انفسنا ونسالة ان يتزوجنا ويكون لنا جميعًا وحينئذٍ نطلقة ونرد اليه سلاحة وناخذ عليه العهد
بان يرد عنا الامير ماجد ويستلم البلد . فاتفقن على مثل هذا الراي ودعينة اليهن وعرضن عليه
ما تقدم فاجاب اني لا ارغب في الامتناع اذا كنتن على دين الله سبحانة وتعالى وما من مانع يمنعني
من الزواج او يمنعكن . فقلن لة اننا على دين الواحد القهار ثم تقدمن اليه وفككن قيوده وسلمنة
سلاحة واخبرنة بامر الامير ماجد فوعدهن بكل جميل ونزل الى فيله فركبة واخذ جماعة من
اهل البلد ومن العساكر المتخلفة للمحافظة وسار حتى وصل الابواب فامرهم ان يفتحوها وكان
عندها جماعة من الاعداء فلما فتحت قصدوا الهجوم فصدهم اندهوق بفيلهِ وصاح فيهم وردهم الى
الوراء وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم ولما سمعوا صياحة وانة على ظهر الفيل تفرقوا عنة الى
ان خرج بمن معهُ وجعل يضرب فيهم بصمصامتهِ ويدحرج الرؤوس كالاكر على الارض
حتى التقى بالامير ماجد فتجاول واياه ساعة من الزمان ثم القاه قتيلاً على بساط الارض وهجم
على جماعتهِ ومن خلفهِ رجال التركمان حتى فرقوا الجميع واجلوهم عن المدينة ورجعوا كاسبين
غانمين وقد ملوا العدد والخيول وكل ما كان للعدو وحينئذٍ جمع البنات كبار اهل البلد وقلن
لهن اننا باتفاق مع اندهوق وقد سلمنا اليهِ البلد وعاهدناه على ان يتزوج بنا ونكون لة فمن
منكم يقبل ذلك كان لة الخير العظيم ومن امتنع جازاه بالهلاك والاعدام . فقالوا اننا باجمعنا
نرضى ذلك ونتمناه لان مثل اندهوق من سعدون يحب ويخدم ويفدى بالنفوس . وتقدموا منة
وسلموا عليهِ وابدوا طاعتهم بين يديهِ فمدحهم ووعدهم بكل نجاح وعقد لة على البنات الثلاث
وتزوج منهن واحدة بعد الثانية وصار ياتي الديوان وينهي ويامر واصلح شان الاحكام . وبعد
نحو خمسة ايام رجع ملوك التركمان الى البلد وكانوا وصلوا الى بلاد الامير ماجد فلم يروا احدًا
وعرفوا انهم خالفوه في الطريق فانحطوا على بلادهِ ونهبوها وما تركوا بها عقالاً ورجعوا على اعقابهم
قبل ان يفعل هو كذلك في بلاده وداموا المسير حتى وصلوا الى قرب البلد فوجدوا القتلى
ممددة وما راوا ولا واحدًا من الاعداء فتعجبوا كل العجب وقربوا من الابواب وارادوا الدخول
وكان اندهوق عرف بذلك فبعث اليهم باعيان المدينة يخبرونهم بالواقع فاذا اجابوا سمح لهم
بالدخول واذا امتنعوا خرج اليهم وجازاهم بالهلاك لانة غير مسرور منهم . فخرج الشيوخ واوقفوهم
عند الابواب وقالوا ان حاكمنا لا يسمح لكم بالدخول . فتعجبوا من كلامهم وظنوا بان الامير

شاهدوا فعل البلد فارتاعوا وسألوا من هو حاكمكم وهل لكم حكام غيرنا . قالوا نعم انه لما جاءنا الامير ماجد وحاصر المدينة اتفقنا مع اندهوق بن سعدون وسلمناه الحكم واز وجناه ببناتكم فخلص المدينة وقتل الامير ماجد وحكم فينا بالعدل والانصاف وهو كذلك يعاملكم ولا يريد ان يجازيكم على اعمالكم معه الا بالخير والحسنى فاذا قبلتم بما فعل ورضيتم بزواجه من بناتكم . فنظروا الى بعضهم وتخابروا مليًا وقالوا ان الامر قد وقع وصار اندهوق صهرنا وهو رجل شريف الحسب عالي النسب صاحب كرامة نادر المثال في زمانه وصار كواحد منا ولا يمكن ان نرى لبناتنا زوجًا نظيرهُ . ثم انهم اظهروا قبولهم ورضاهم من عمل بناتهم واندهوق فرجع الشيوخ واخبروه بما كان فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وسلموا عليه وشكروهُ على فعله وعلى قتله للامير ماجد وخلاص بلادهم وقالوا كان في ظننا انك اذا ملكت قيادك تعاملنا خلاف هذه المعاملة لاننا اسأنا اليك وتعدينا عليك مع انك لم تكن قد فعلت معنا شيئًا قبيحًا فعذرهم على ذلك وقال ان ما مضى مضى وقد صرتم الان انسبائي واقاربي وبلادي وبلادكم واحدة

وبعد ذلك عملوا الولائم واقاموا الافراح وذبحوا الذبائح ودعوا الدعوات وجددوا عرس بناتهم وتمكنت محبة اندهوق من قلوبهم وصاروا لا يفارقونهُ ولا يفارقهم مدة شهر تمام وبعد ذلك اخبرهم بما كان من امره مع الامير حمزة وكيف انهُ تركهُ ذاهبًا الى بلاد السودان وقال اني ارغب الان في المسير اليه فاني لا ارغب في ان ابعد عنهُ او افارقهُ فهو سيد هذا الزمان وبطله ولهُ عليَّ الجميل والايادي البيضاء . فقالوا اننا نسمع بذكر هذا الامير وانهُ عدو كسرى انوشروان وقد بدد رجالهُ عدة مرات واهلك منهم كثيرًا فاذا شئت سرنا معك الى خدمته ورافقناك في سفرك ولا نرجع الا بعد ان ترجع انت الى بلادك فقال حسنًا تفعلون ثم انهم جمعوا رجالهم وفرسانهم ودبروا احوالهم واقاموا الوكلاء على البلاد واوصاهم بالمحافظة على الامن والعدل واذا جاءهم عدو يدفعونهُ واذا ما قدروا عليه يستعينون بعم الامير اندهوق ويكون البلدان بلد واحد واذنا رأوا الغلبة بعثوا بالاخبار الى بلاد حلب وودعوا اهل البلد جميعًا وخرجوا بموكب عظيم يقصدون سرنديب الهند وكان اندهوق قد بعث الى عمه فاخبرهُ بخلاصه وانهُ سيعود اليه بعد ايام . فلما عرف بوصوله خرج لملاقاته مع قومه وترحبوا بملوك التركمان ودخلوا المدينة باحتفال عظيم وسلموا على بعضهم البعض واقاموا هناك مدة ايام الى ان ارتاحوا وبعد ذلك نهض اندهوق يطلب الرحيل وقد اصحب معهُ رجالهُ وابطالهُ وفرسانهُ وودع عمهُ وسار في طريق مصر اي على الطريق الذي جاء منها حتى اذا وصل الى ارض مصر يسال استمدار عن حمزة فاذا كان لا يزال في السودان سار في اثره واذا جاء حلب سار هو الى هناك واجتمع به وما سار الا القليل ووصل الى ذاك الوادي حتى جاء عمر العيار كما تقدم معنا الكلام واخبر كل واحد

الاخر ما جرى عليهِ وعلى قومهِ . وقال عمر اشكر الله يا ابن سعدون حيث رايتك بخير لان اخي يتالم كثيرًا لبعدك وهو يبكي على الدوام وكان يقصد سلطاننا السفر الى حلب فابى الامير واقسم انهُ لا يفارق مصر الا ان يعرف ماذا جرى عليك حتى اذا كنت بخير عدت اليهِ واذا كنت بضيق سار هو اليك فشكر اندهوق من محبة الامير وامر بالمسير في الحال

قال ولا زالوا سائرين بذاك الموكب وقد سدت جيوش الهند والتركمان الارض بالطول والعرض الى ان قربوا من مصر فنزلوا للراحة وسار عمر العيار ليبشر اخاهُ بقدوم صديقهِ واخيهِ اندهوق ولما اقبل على صيوان اليونان شاه ودخلهُ قطب وجههُ وعبس وسلم وهو مقطب فردوا عليهِ السلام وسالهُ السلطان عن امره وعن اندهوق فلم يجب بل بقي معبسًا فعرف الامير حمزة قصدهُ وان لهُ زمان طويل ما اخذ لعيارهِ شيئًا من المال . فقال لهُ اخبر بالخير ولك مني الف دينار . فقال السلطان واني ازيدك فوقها الفين فقال اسمندار ولك مني مثل ذلك وجعل كل واحد يكرمهُ بقدر مقدرتهِ . الى ان جمع مالًا كثيرًا وحينئذٍ قال للسلطان اني جئتكم بالامير اندهوق وقد تركتهُ في اثري وبعد ساعتين يكون في هذا المكان ففرحوا جميعًا ولا سيما الامير وخرجوا في الحال الى ملاقاتهِ واجتمعوا بهِ وقبلوا بعضهم البعض وكان لهم يومًا عظيمًا جدًّا ذبحوا بهِ الذبائح وضربوا بالدفوف واختلط المقيم بالآتي وعرف اندهوق ملوك التركمان بفرسان العرب وسلطانهم وترحب بهم الامير كثيرًا وعين لهم مقامًا بين الملوك في صيوان اليونان شاه وصاروا منذ ذلك الحين مع العرب كانهم منهم . واولم اسمندار وليمة فاخرة اكرامًا لاندهوق وللامير حمزة وزينت المدينة بالزين المرهجة الزاهرة . وكان عمر العيار قد دعا بجماعتهِ وقال لهم اتبعوني فقد جئت اليكم بغنيمة باردة فتبعوهُ فرحين بما سيغنمون ولما صار على اكمة عالية جعل ينثر الاموال وهم يلتقطونها حتى فرغ فتكدر وعاد حزينًا وقال لهم يا ليت اموال العالم كلها لي لكنت افعل بها كما ترون

وبعد ان صرفوا ايام الافراح في ذاك المكان ولم يعد من مانع يمنعهم عن الرحيل امر السلطان قباط بالركوب والمسير فركبوا جميعًا بحسب مراتبهم ورفع علم بيكار الاشتهار فوق راس السلطان وطاف بهِ الحراس من كل ناحية ومكان ومشت بعدهُ الطوائف على الترتيب طائفة طائفة وكل طائفة عليها اميرها وملكها وقد سدوا الفضاء شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا ومعهم من الاغنام والجمال والمؤن ما انتشر الى مسافة ثلاثة ايام ومن خلف الجميع الحماية بشير ومباشر وكان فرهود في موكبهِ ايضًا مسرورًا بمصالحة الامير حمزة وبمثل هذا السلطان العظيم وهو يتمنى ان يقع الحرب بينهم وبين كسرى ليقدم للعرب برهانًا على حبهِ وركب اسمندار لوداعهم كل ذاك النهار وعند المساء رجع الى بلاده وساروا وهم في طريقهم يتنقلون من مكان الى مكان ومن

بلد الى بلد حتى قربوا من حلب وعرف بوصولهم نصير الحلبي فخرج الى ملتقاهم بقومه وهناهم بالقدوم ورجعوا جميعاً الى المدينة وسلم الجميع على بعضهم البعض والتقى الاحباب بالاحباب والاصحاب بالاصحاب وفي اليوم الثاني اجتمع العرب بنصير الحلبي في الديوان فسالة الامير عن حالة كسرى وما سمع عنه من الاخبار . فقال جل ما نعلمه عنه انه مضطرب الافكار وانه الان يجمع الرجال والابطال بقصد الحرب والقتال وقد عاد الى المدائن عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي واخبرا هناك باسر فرهود وتملك بلاد السودان وبلغ هذا الخبر كسرى فاغتاظ وبلغه ايضاً انكم اقمتم سلطاناً عليكم فزاد غيظه ونوى ان يعود الى ما كان عليه اولاً ولا ريب ان الذي حمله على ذلك هو بختك بن قرقيش . فقال الامير فليفعل ما يشاء فاننا لا نخافه ولا بد من كيده . ثم امر ان تقام الافراح في المدينة ويتزوج من يريد الزواج من بنات البلد وضواحيها وكان الامير في كل مرة يفعل ذلك ليجعل حلب محطاً محبوباً من العرب ويزيد سلهم ويختلط الجميع ببعضهم بسبب الزواج فيصيرون اقارب واهلاً واحباباً فقامت الافراح وتزوج في تلك الايام نحو ثلاثين الف شاب بثلاثين الف بنت فكانت الاعراس قائمة في كل جهة والغناء والرقص غير منقطع من الكبير الى الصغير وصرفوا على الحظ والملاهي نحو ستة اشهر على التمام حتى غسلوا اقذار التعب والوصب والعذاب الذي لاقوه في سفرهم الى بلاد السودان ومعهم فرهود وقد راى لذة عظيمة في صحبة الامير والعرب ونسي بلاده ووطنه

وبعد ذلك قال الامير اننا نريد ان نعرف ماذا يفعل كسرى في هذه الايام وقد انقطعت عنا اخباره ونخاف ان يكون سكوته هذا لدسيسة يعملها او خداع اخر فنوخذ فيه بغتة . فقال عمر العيار اني اذهب انا بنفسي كالعادة لاني اشتقت كثيراً ان ارى بزرجمهر واقبل يديه وارى كيف صحته فزودوه السلام اليه والشكر وسار يقطع الفيافي والقفار ويخترق السهول والاوعار الى ان قرب من المدائن واذا به يرى الجيوش مجتمعة خارج المدينة والخيام منصوبة حولها والخيول تسرح كانها بعدد الكواكب . فقال في نفسه لا ريب ان كسرى يجمع العساكر لقتالنا وحربنا ونزالنا وقد اخذ بما راى من كثرة الجيوش والعساكر فاخترق الاقوام المذكورة ومر من بين الخيام وهو كواحد من الاعجام لا يعرفه احد منهم ولما وصل الى ديوان كسرى واختلط بين الحجاب نظر الى كسرى فوجده جالساً والى جانبه بختك واعيان العجم وملوك القبائل وكلهم يتخابرون بشان العرب ويتباحثون في شان حروبهم وبختك يزيد الطعن في العرب ويحرك من ضغائن كسرى ما استتر وعمر يسمع ويرى ويقول في نفسه لا بد من ان نريك كيف تفعل العرب . وبقي صابراً الى ان انقضى النهار وانصرف كل الى قصره وسار بزرجمهر الى بيته فتاثره حتى دخل خلفه ولما انفرد به تقدم منه وقبل يديه وبلغه سلام اخيه وسلطان العرب وقال له

اني انيب مخبرًا عن احوال كسري وبالاخا بجميع هذه العساكر . فقال له اني كنت بشوق الى ان اعرف مثل ما تفعل العرب واخاف ان يفاجئكم كسرى وانتم في غفلة ويقال غاية منكم وقد عزم في هذه المرة ان يجمع من العساكر ما تضيق الارض دونه ولا يعرف له اول من اخر ومنتهى ما عرفت من الذين سيسيرون الى حربكم ان عددهم ١٢ كرة وقد ابتنى كسرى في هذه الايام مدينة سماها نهروان وارسل اليها افلنطوش وزوبين مع خمسمائة الف فارس من فرسانه لينتظرونه هنالك وتعوق منتظرًا داهور الهندي لان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي اخبراه ان داهور هذا من اشد فرسان العالم بسالة واقداماً لا نظير له في هذا الزمان فعلق به كبير امله . قال عمر اني لا افارق هذا المكان حتى يصل داهور وانظره وامتحن بافكاري شجاعته ولكن اريد ان اسالك كيف ان كسرى بعد ان مع على اذنيه سماع ذكر العرب رجع الى عداوتنا وعمل المحاربة . قال انه كان اصرّ اولاً ان يترككم وشانكم لانه يعرف التعب الذي يلحق به من جرى تاثركم غير ان بختك عندما بلغه ما فعلتم في السودان تكدر جدًا وجعل يدس الدسائس ليهيض همة كسرى وقد وجد وسيلة كبرى عندما وصل اليه الخبر بانكم اخترتم سلطاناً كبيرًا عليكم وبلغه ذلك بواسطة نسائه فتكدر كسرى وتصور انكم ما عملتم ذلك الا وفي نيتكم نقل كرسي الاكاسرة الى مكة ونزع الملك منه فخاف على عظمته وشرف دولته فعاودت تحركت في نفسه دواعي الانتقام وعزم ان يفاجئكم في هذه المرة بقوة تفوق الحد واقسم انه لا يرجع عنكم اما بخرابكم واما بخرابه ولو جمع في كل يوم مليونًا من الانفس . فقال عمر اننا نستعين عليه بالله خالق الليل والنهار . ولكن اريد ان اسالك هل يوافق ان اخبر اخي بالذهاب الى نهروان قبل ان يصلها كسرى قال اني احب ذلك واذا وقع بايديكم زوبين وافلنطوش فاقتلوهما فقد طال امرهما لانهما من المكر على جانب عظيم فضلاً عن ان في نهروان مونة كسرى وعساكره وقد ارسلها الى هناك وقصد ان يجعل تلك المدينة محطاً لانتقاله فتكون جامعة لذخائره واحتياجات جيشه على الدوام

قال وبقي عمر في المداين مدة اربعة ايام وفي كل يوم يلاقي الديوان ويختلط بين الخدم والحجاب الذين كانوا كثيري العدد وعند المساء يعود الى قصر بزرجمهر ويبيت عنده يلتقط من كنوز جواهر معارفه ويتبرك من ادعيته ونقاوته . وفي اليوم الخامس وصل الخبر الى كسرى بقرب وصول داهور فامر بختك والاعيان ان يخرجوا الى ملاقاته فخرجوا جميعاً وخرج فيما بينهم عمر العيار ولا زالوا سائرين حتى راوا العساكر قد اقبلت افواجاً افواجاً وكلها من رجال الهند الطوال القامات واكثرهم بركب الافيال والخيول العالية ورجلاه تكاد تبلغ الارض . فتقدم عمر ليرى داهور الهندي فوجد بختك قد وصل اليه وسلم عليه وترجل الجميع للسلام فنظر فيه

وتمعنة فاعجبة جدًّا فاختبره بعقله وعرف انه من ابطال الحرب والقتال نادر المثال في زمانه وراه طويل القامة جدًّا يزيد عن اطول رجال قومه نصف ذراع عريض الاكتاف جدًّا واسع الصدر طويلة كبير الراس وعليه من السلاح المتين ما لا يقطع فيه السيف اليماني ولا تخترقه الصواعق الشداد . وبعد ان راى عمر ما راى قال في نفسه يلزم اولاً السعي وراء التدبير وما من الحسن ان ابقى في الديار بعد ان شاهدت ما شاهدت من صعوبة الامر ولا بد من الاسراع الى اخي لادعه ياتي نهروان قبل ان ياتيها كسرى حيث لا يزال مشغلاً بالاستعداد وبداهور . ثم اطلق ساقيه وضرب الارض برجليه فجرج يجري كانه فرخ النعام حتى وصل حلب بقليل من الايام ودخلها بسلام واذا به يرى العرب مضطربين عليه لانهم رأوه قد تعوق عن العادة فخافوا ان يكون قد وقع في ايدي الاعجام كون عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرمي من اكثر اهل الارض خداعًا فيمكنهما ان يتوصلا الى معرفته وكلهم بقلق زائد وكدر لانه اذا فقد لا تعود تقوم لهم قائمة ولا سيما ان كسرى انوشروان متكدر منه جدًّا ويرغب في هلاكه ولو بذل نصف ملكه . ولما رأوهُ فرحوا كثيرًا وسلموا عليه وسالوه عن سبب عاقته فاعاد عليهم كل ما راى وسمع من الوزير بزرجمهر واخبرهم عن داهور الهندي وعظم جثته فقال حمزة نحن لا نخاف عظام الهامات والاجسام واني اريد الان ان نذهب الى نهروان ونستولي على المهمات والذخائر وناسر افلنطوش وزوبين ونهلكهما مع الذين معهما قبل ان تصل عساكر كسرى اليهما . فمن منكم يوافق على ذلك فاجاب الجميع اننا تحت امرك وامر سلطاننا فاذا امرنا سرنا في الحال وما زال علم بيكار الاشهار يجمعنا فكيف مشى نمشي من حواليه . وحينئذٍ امر الملك قباط ان يستعد الجميع ليرحلوا على عجل في صباح اليوم التالي وعند الصباح ركب السلطان على جواده واحتاط به حراسة والى جانبه عمر العيار كوزير اعظم وبين يديه عبارونه وخدمة ورفع علم بيكار الاشهار فوق رؤوس الجميع ومشت المواكب والكتائب افواجًا افواجًا وكلهم كالبحور الزواخر من طوائف مختلفة وزمر متعددة بعضهم عرب بادية وبعضهم مصريون ومغاربة وهنود واحباش واكراد وتركمان الى غير ذلك . وداموا المسير الى المساء فنزلوا على بساط القفار وضربوا المضارب والخيام للمبيت وبعد ان اجتمعوا في صيوان السلطان حسب العادة لصرف السهرة نهض الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني وتقدم من عمه السلطان وقال له اريد منك ان تسمح لي بالذهاب في مقدمة الجيوش وان اتقدمكم اولاً لان من اللازم ان يسبقكم احد الفرسان ليشغل افلنطوش بالقتال قبل ان تاتوا حيث ان كثرة عددنا لا تدعنا نسير بالعجلة الواجبة فلما سمع ذلك الامير حمزة اعترضه قبل ان يجيبه السلطان وقال له لا يجب ان تنفصل عنا وتتركنا ولا اريد منك الاَّ الطاعة على الدوام واذا سرت وحدك لا يمكن ان تنال المراد واذا قسم الجيش الى شطرين لا يوافق ومن

الصواب ان نبقى كلنا الى بعضنا ولو تعوقنا بزيادة ثلاثة ايام. قال اني اطيعك ياسيدي بكل شيء الا في هذا الامر فلا لاني عزمت كل العزم ان لا ارجع الا بعد ان انال مرادي ولا بد لي من ان اسبقكم واسير في هذه الليلة لان لي ثارًا على زوبين الغدار وافلنطوش واريد ان اشفي قلبي منهما. فقال له اهل ان امك حملتك على هذا العمل واخبرتك بما كان من امر زوبين معها قال اني اعرف انه عدوها والحت عليّ ان اركب في مقدمتكم بجيشي واسير فوعدتها بذلك ولا يمكن ارجع مطلقًا ولو قطعت اربًا اربًا. فغضب الامير حمزة من عمل طوربان ودعاها اليه في الحال فجاءت وسلمت وسالته ماذا يريد. قال ان ابنك اخبرنا انك سالته الذهاب امامنا الى نهروان ليحارب زوبين الغدار ويلقي بنفسه في مواقف الاخطار. قالت نعم اني فعلت ذلك ولا انكره. قال كيف يهون عليك ان تخاطري به الى هذا الحد فاذا قتل تعدمينه وليس لك سواه فضلاً عن انك تريدين ان تحمليه على العصيان ومخالفة امرنا. قالت معاذ الله من ذلك وجلّ ما اريد ان يسعى خلف المعالي لينالها وانت تعلم ان زوبين اراد الغدر بي وفعل معي افعالاً لا يمكن ان انساها الى اخر الزمان ولا سيما عندما قصد حرقنا بالنار وحرق اولادنا وعليه فان ابني كان قد مات من تلك الايام فزيادة عمره كانت من الله وخير عندي ان يموت تحت ظل السيوف من ان اراه متقاعدًا عن اخذ ثاره ومتكلاً على غيره ولا اريد قط الا ان يذهب لوحده اولاً ويشفي غليل قلبه وقلبي. فلما سمع الامير حمزة كلامها تكدر منها وعنفها بالكلام وابى ان يسمح لابنها بالذهاب فخرجت غضبى ونويت كل النية على الذهاب والسفر في تلك الليلة

وبعد ان نام الامير حمزة بنحو ساعتين جاءهُ الامير عمر العيار وايقظه من نومه وقال له ان الامير سعدًا قد ركب بجماعة الاكراد وسار فطلبت اليه ان يرجع فابى فهو عنيد جدًّا لا يسمع ولا يصغي. فامر الامير ان يأتيه بابنه عمر فسار اليه ودعاهُ الى ابيه ولما جاء قال اريد منك ان تذهب الى ابنك وترجعه عن السفر. قال اني لا افعل ذلك وقد نهيته فما قبل لانه محب لامه فامه لا تقبل الا ان يسير في الاول وعندي ان ندعه وشانه ففي الصباح نسير في اثره ومهما سبقنا لا يسبقنا بكثير فلا يبعد عنا كثيرًا. فسكت الامير وهو غير راضٍ من الامير سعد ومن عناده وخائفًا عليه ان يرمي به جهلة في حفرة الخطر فيعدمه وهو من الابطال الاشداء. وعند الصباح امر العساكر ان ترحل والفرسان ان تركب فرفعت الاحمال وركبت الرجال وساروا يتقدمون خلف الامير سعد الى جهة نهروان. وكان الامير سعد بعد رجوعه الى معسكره امر الغضبان رئيس الاكراد ان يستعد للرحيل ويأمر الرجال بالمسير بعد قليل ففعل وبعد ان انتصف الليل ركب وركب الغضبان وطوربان وساروا فشعر الوزير عمر العيار به لانه كان

ساهرًا على المعسكر فاعترضة فلم يستفد شيئًا وبقي سائرًا بجد واجتهاد وهو يتمنى ان يصل الى نهروان ليأخذ لنفسهِ بالثار من زوبين الغدار وجده افلنطوش المكار ولما وصلوا الى قرب معسكر الاعجام كان الوقت ليلاً . فوقف سعد ونظر اليهم ثم قال لامه اعلمي اني لا اريد ان اضيع هذا الوقت عبثًا وفي نيتي ان اكبس الاعداء وارميهم بالفشل قبل اتيان الصباح قالت افعل ما انت فاعل قال اذًا ننقسم الى ثلاث فرق ونهجم عليهم بغتة فانا اتكنى بالامير حمزة وانت بالاندهوق بن سعدون والغضبان بالمعتدي حامي السواحل واذا رأى الاعداء ذلك ظنوا ان العرب اجمعهم كبستهم فوقعوا بالارتباك وتفرقوا فاستصوبت رأيه وانقسم الاكراد الى ثلاثة اقسام كل عشرة الاف في ناحية تحت امرة واحد . وبينما كان الاعجام نائمون وهم آمنون من حوادث الايام ولم يكن يخطر لهم قط ان العرب تصل اليهم او تعلم بهم واذا بالامير سعد قد انحط عليهم كأنه قضاء الله المنزل وانطبقت العرب من كل ناحية وعملوا في اعدائهم السيوف والصوارم واشغلوهم بالصياح والصراخ وارعبوهم رعبة عظيمة فاستيقظوا خائفين هائمين واسرعوا الى خيولهم فركبوها وجعلوا يدافعون عن انفسهم وهم بارتباك عظيم والامير سعد يفعل بهم كما تفعل النار بالقش اليابس وينادي انا الامير حمزة العربان فارس فرسان هذا الزمان فيقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وقد ترك القتلى كالتلول بين يديهِ وكل من وقع امامه كان جزاؤه الاعدام . ومثل ذلك فعلت طوربان والامير غضبان وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم الى ان اشرق النهار وبان العدو من الصديق وحينئذٍ نظر زوبين وافلنطوش ان عدد الآتين قليل جدًا وكانا قد ركبا جواديهما وتقدما للاختباء في جهة المدينة مع كثير من فوقهما ولما تحققا الخبر عند الصباح وعرفا ان لا حمزة هناك جمعا فرسانهما من كل ناح وقاتلا كل ذاك النهار الى المساء وقد قتل في الليل نحو خمسين الفًا من الاعجام وفي النهار ثبتوا ولم يقتل الا القليل وفي اليوم التالي اصطف الصفان وترتب الفريقان وكان عدد جماعة افلنطوش نحو اربعمائة وخمسين الفًا والاكراد ثلاثين كما تقدم فحملا على بعضهما البعض حملات اسود الغاب . واضرما نار الهلاك والعذاب . واشتد الدمار والوبال . وعظمت الاهوال وضاقت الاحوال . وكثر القيل والقال . ودارت عساكر الاعجام بالاكراد . وعملت فيهم بالسيوف الحداد ولولا الامير سعد وطوربان . لما ثبتوا ساعة من الزمان . لانهما كانا يفرقان الجيوش فيطرحانها على بعضها البعض ويمددانها على تلك الارض ثم يعودان الى جهة العساكر فيريانها قد اهتزت وتأخرت فيقويانها ويدافعان عنها الى ان يقوما في وسط الجموع وزوبين وافلنطوش يصرفان الجهد الى مسك طوربان وولدها ويصيحان بالعساكر ان تهجم عليهما حتى ضاقت من الاكراد الانفاس . ووقعوا بالقنوط واليأس . وايقنوا بالهلاك لا محال . اذا لم يطلب

النهار سرعة الارتحال . وقد خاب رجاء الامير سعد من قومهِ وعرف انهُ لا يبقى حيًّا الى المساء الا ان كان هو وامة طوربان فقط وقد تعبا كل التعب لانهما قاتلا جيشًا عرمرمًا كثيرًا واراداا ان ينالا المراد وكانت طوربان عالمة بانها هالكة فارادت ان تموت شريفة ولا تؤخذ اسيرة وجل غايتها ان تصل الى زوبين فتقتلهُ او يصل اليهِ ابنها فيعدمهُ الحياة وبعد ذلك اذا قتلت او قتل ابنها فلا اسف عليها وقد خافت كل الخوف من ان تعدم هذه الغاية ومن ان يحل بها مصاب قبل هلاك زوبين

وفيما هما على مثل ذلك وعساكر الاكراد ترجع الى الوراء والامير سعد وامهُ في وسط الاعداء وقد داروا حواليهما كالبناء المرصوص ووطدوا العزم ان لا يرجعوا الاَّ بهلاكهما او اسرهما وزوبين من افرح الناس بذلك وهو يتعجب من اعمال سعد ومن حملاته التي تزعزع الجبال . واذا بالاصوات قد خرجت من طرف البر وعساكر المدد قد اقبلت وهي مسرعة طالبة القتال وحملت باسرع من ريح الشمال وفي مقدمتها فارسها الاوحد وبطلها الامجد وقد حمل على الاعجام حملة الذئب الكاسر او الاسد الزائر وقد فرّق الجموع واباده بالويل والفناء وكساهم اثواب الفشل والضناء وهو ينادي ابشر ياسعد فقد جاءك الاندهوق بن سعدون يسقي الاعداء كاس المنون . وكان من خلفهِ فرسانهُ وملوك التركمان . فحملوا من كل ناحية ومكان . حتى ارتجت من حملهم الارض واتسع على الامير سعد وطوربان المجال مطالا واستطالا وضربا في الاعجام بالصارم الصمصام . واباداهم بالهلاك والاعدام . وصارا هما من ناح والاندهوق وملوك التركمان من ناح . حتى زاد الصراخ والصياح . ولحق بهم التأخر وعدم النجاح . فعولوا على الهرب والفرار . قبل الهلاك والبوار . غير ان الامير سعد وجماعتهُ سدوا عليهم الطرقات . واحاطوهم بجيوش الممات . وطوربان تخترق الصفوف . وتبدد الالوف . وتود ان تلتقي بزوبين الغدار لتسقيهُ كاس البوار . غير ان ابنها الامير سعد سبقها اليهِ وهو عامل على الهرب . وسد في وجههِ كل مذهب . وضربهُ برمحهِ فقلبهُ عن ظهر الجواد . فادركهُ بعض رجالهِ وشد كتافهُ وربطهُ بالحبال . وبعد ذلك التفت طوربان بابيها فعوّل ان يضربها بسيفهِ كيدًا وبغضًا لما رآها تفعل هذه الافعال فاخذت لنفسها الحذر منهُ ورمتهُ الى الارض واخذوهُ اسيرًا وقرنوهُ الى صاحبهِ وصديقهِ بالغدر والخيانة زوبين الغدار هذا والقتل عامل في الاعجام من كل ناح وقد سد الله في وجوههم طرق الهرب فلم يعرفوا كيف يسيرون . ولا في اي طريق ينجون . وسعد كالاسد الكاسر لا يقع نظرهُ على واحد الاَّ وانحط عليهِ واعدمهُ الحياة باقل من رمشة عين او اسرهُ وسلمهُ لاصحابهِ وكان من جملة الذين اسرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي

هذا وما جاء العصر من ذاك النهار وفي الاعجام من يقدر على الدفاع وقد فيلوا عن آخرهم

تقريباً ولم يبقَ منهم الا النزر القليل الذي لا يذكر ليوصل الخبر ومن ثم اخذ العرب في ان يجمعوا الاسلاب والغنائم والخيول وقد التقوا ببعضهم البعض وسلم الامير سعد على اندهوق ابن سعدون وشكر من غيرته وحبه وكذلك طور بان مدحة جداً وقالت له لولاك ايها البطل الاوحد لما نجينا قط بل كان لعب الحاق بنا وخسرتمونا فقال من مثل هذا كان يخاف الامير حمزة وقد بعثنا في اثرك في اليوم الثاني لاننا سرنا كل النهار وعند المساء امر السلطان بالنزول والمبيت في ارض على جانب الطريق فامتنعت انا واخبرت الامير بان في خاطري ان اسير في اثركم فاستحسن هذا الراي واذن لي بالمسير خلفكم وان لا اتهامل او اتعوق في طريقي بحيث لا يبقى بيني وبينكم الا مسافة يوم وفي هذا اليوم لا يقع عليكم التأخير ففعلت الى ان ادركتكم وانتم على تلك الحالة والحمد لله الان على سلامتكم وخلاصكم ونوال المراد من الاعداء الاوغاد ولا ريب ان الامير وسائر العرب سيسرّون جداً بالذين اسرناهم ويزول الهم عنهم وينتقمون منهم . فقال سعد كيف لا واني اريد بيدي ان اقتل زويين الغدار واجازية على فعله القبيح وكذلك جدي افلنطوش حيث لم يشفق على امي وعليّ بل اراد ان يحرقنا وينتقم منا ظلماً وعدواناً وبغضاً واما نحن فاذا قتلناهُ فبحق والستحقاق قصاصاً على عمله . وبعد ذلك رجع العرب الى الخيام . ونزلوا فيها للراحة والمنام . واكل الطعام . وكان الفرح عاماً شاملاً الجميع وهم بانتظار السلطان وكان الاعجام الذين نجوا من المعركة ساروا هرباً في طريق المدائن يقصدون كسرى انوشروان حتى وصلوا وهم متقطعون من عشرة وعشرين ينادون ويبكون ويولولون وقد عرف الجميع بما اصاب الاعجام في نهروان ولما وقفوا امام كسرى سألهم بالتفصيل عما حلّ بهم فاخبروه من الاول الى الآخر وان ابن عمه اسر وزويين الغدار وعمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسكاما وورقا وكثير غيرهم من الاعيان ولم يبقَ من الجيش احد فاضطرب واي اضطراب وقام وقعد وارغى وازبد وجعل يلوم بختك وقال له ما قدمت لي رأياً الا وكان به العذاب والهلاك فستطالبك النار بدم الذين قتلوا وهلكوا من قومنا ولا سيما ان العرب يقتلون ابن عمي في هذه المرة لانه وقع بايديهم فبرّد الله روح آبائك واجدادك بوادي الثلج وابعدهم عن لهيب النار . قال اني لا استحق ياسيدي لهذا الملام والتوبيخ فما دبرت الا حسناً ولم اكن اعرف من اين علم العرب بان عساكرنا في نهروان واني اعدك ان في هذه المرة سننقرض هذه الطائفة انقراضاً تاماً ولا يبقى منها انسان وذلك من سيوفنا وسيوف داهور الهندي وقد تجمع عندنا الان نحو ٢١ كرة وكل كرة مائة الف عنان وهذا العدد كافٍ لان يبيد فرسان الارض قاطبة واما خوفك على ابن عمك فهو من الاوهام لاني اعرف جيداً ان العرب لا تمد اليه يداً خوفاً منا ومن سطوتنا ولا يقدرون ان يرفعوا يداً على رجال الدولة الكسروية العظيمة . فامر ان

تستعد العساكر للرحيل حتى في مدة سبعة ايام تركب ونسير الى هلاك العرب وخلاص رجالنا ونزع علم بيكار الاشتهار منهم وان تجمع المؤن والذخائر مجدداً الان باستيلاء العرب على نهروان يستولون على كل ما فيها من المؤن والذخائر . فامر كسرى بذلك وان يكون الجميع على اهبة الرحيل والسفر في اليوم السابع .

قال هذا ما كان من كسرى ولنرجع الى العرب فان الامير سعد احضر في المساء جدة وزوبين وجعل يوبخها ويشتمها ويتوعدهما بالهلاك والموت وهما لا يفرهان بكلمة وزوبين يبكي ويتندم وهو لا يلين ولا يصغي . وقد قال لهما لو كان امركما بيدي لقتلتكما لا محالة ولكن امركما عائد الى جدي الامير حمزة وبعد قليل يكون هنا ولا ريب انه يقتلكما ويمحو من الارض ذكركما فقد تعديتما عليه كثيراً . وقد اذاقهما من العذاب اشده وجعل يراقبهما بنفسه شوقاً من الخلاص وبقي على ذلك مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لاح علم بيكار الاشتهار عن بعد واشرقت انواره تضيء في الفلا من تكسر نور الشمس على جوهرته الكبيرة الوهاجة وعلى عموده الذهبي المصقول الوضاح . فخرج اذ ذاك اندهوق والامير سعد وطوربان وملوك التركمان وتقدموا الى ملاقاة سلطان العرب ومن معه ولما وصلوا ترجلوا وسلموا فالتقاهم الامير حمزة واولاده ومن معهم وسألوهم عما اصاب الاعجام فاخبره اندهوق بالنصر وبالاستيلاء على كل ذخائر الاعداء وباسر زوبين وافلنطوش وعمر بن شداد وصقلان وسكاما فسرّ سروراً لا مزيد عليه وساروا جميعاً الى ضواحي نهروان . فنظر الوزير عمر في البر فاختار مكاناً عظيماً موافقاً لهم وامر ان تضرب الخيام فيه وتنزل العرب هناك ويسرحون انعامهم في مراعيه ففعلوا ولم يكن الا القليل حتى امتلأت تلك النواحي وضربت الخيام كل امير الى ناحية وكل ملك الى جهة وفي الوسط ضرب صيوان اليون شاه وهو اعلى من الجميع على اعمدة من الذهب متوجة بالجواهر الكبيرة التي لا يوجد مثلها بين عالم الانس الا جوهرة علم بيكار الاشتهار الذي ضرب عند بابه . وبعد ان استقربهم المقام عاد اندهوق فاخبر حمزة بما فعل الامير سعد وكيف بدد شمل الاعداء واسر زوبين . فقال سعد اننا كدنا نهلك لولا يدركنا اندهوق ويساعدنا وينشلنا من ايديهم . فقال الامير نحن نعرف ذلك ونعرف ان جهلك يلقيك بالمخاطر وان كنا نتأكد فيك الشجاعة والبسالة التي لا توجد بغيرك من فرسان هذا الزمان لكن يجب من الان فصاعداً ان تطيع اوامرنا ولا تعصاه والا فلا تكون منا . فقال له ياجداه انت تعرف ما فعل زوبين الغدار مع امي في قديم الزمان وكيف قصد اذلالها واهانتها ولو لم يخلصها ابي لكان فعل ما فعل وبعد ذلك غدر بها وبهردكار وبنا واخذونا هو وافلنطوش الى المدائن واعتمدوا على هلاكنا بالنار لو لم يسارع عمر العيار الى خلاصنا فكيف اسمع مثل هذه الاخبار واسكت عن اخذ الثار ولا سيما ان امي تدفعني

اليه وتحركي عليه ولا تريد ان احدًا ياخذ لها بثارها الا انا وهي لتشفي غليل قلبها من قتلها . وها قد انقضى الان الامر ولم يبق الا صدور امرك بقتلها لينا لا جزاء غدرها . فسكت الامير وعرف ان الحق بيده وان قتل زوبين ورفاقة لا بد منة ٠٠

ومن ثم امر السلطان ان تقدم الاسارى لبين يديه فجاءوا بهم مقيدين منلولين مهانين ولما رآهم الامير حمزة والعرب تحركت فيهم شهوة الانتقام وقال لهم الامير حمزة قد آن اوان قتلكم وستجازون على فعلكم . فقال لة زوبين وعلى اي شيء نستحق القتل وما فعلنا معكم شيئًا وقد خدمناكم مدة واخلصنا لكم الود وعبدنا عن صدق نية الحكم الذي لا اله الا هو فلم تقبلوا منا ذلك وكنتم تعاملوننا ببرود وعدم ركون وذهبتم وتركتمونا غير ملتفتين الينا كاننا من بعض العبيد على ان لو عاملتمونا كانفسكم لوجدتمونا صادقين معكم ولا اظن انكم تجازون الامناء بالقتل وانتم المتعدون على ما يريده الله سبحانة وتعالى ولا ريب انة يتكدر من اعمالكم ولا يعفو لكم هذه الخطيئة الا اذا اصلحتم معنا الماضي وصرتم تعتبروننا كاننا من امراء العرب ويركن الينا كبيركم وصغيركم ولا احد منكم ينكر اننا من اعدائه . فقال عمر العيار ان الزمن الاول قد مضى ولا طمع لكم بالخلاص قط . فقد عرفناكم وعرفنا انكم من الاشرار الاشقياء من جبلتكم الخيانة والخداع ولولا اخي حمزة لما تركناكم في ذاك الزمان لان كلامكم لا نصدقة ولا يمكن ان نصدق الكذب قط بل نعرفة واما الان فان امركم عائد الى خاطر السلطان قباط سلطان العرب ووليهم . فقال السلطان لا بد من محاكمتكم فاذا كنتم كما قلتم وكان الحق معكم عفونا عنكم والا حكمنا عليكم بالقتل او بالقصاص حسب ما استحقيتم ثم ان السلطان قباط اقام مجلسًا للحكم مركبًا من اسطون الحكيم والملك اسطفانوس جد عمر اليوناني وثلاث ملوك التركان والنجاشي وفرهود ملك السودان . وقال هولاء ملوك ولا يمكن ان يحكموا ظلمًا وعين في اليوم الثاني محاكمة المجرمين فمن كان لة دعوى عليهم فليدع في ذاك الوقت

ولما كان اليوم الثاني وجاء الوقت المعين جلس مجلس المحاكمة واحضر المجرمون مقيدين بارجلهم الى الحضرة وحينئذ تقدمت في الاول طوربان وادعت على ابيها وزوبين بانهما كانا في الاصل على وفاق عليها وان زوبين اخذها غدرًا وخيانة وقصد اغتصابها فجاء عمر اليوناني وخلصها وبعد ذلك لما غدروا بنا وقادونا الى المدائن ونووا كل النية على قتلنا وهلا كنا بعد ان اذاقونا مرّ العذاب . فقال زوبين اني ما غدرت بها قط وان كنت قد غدرت بها فقد سامحتني في المرة الاولى ولم تطلب الانتقام مني وحيث تركت حقها فلا حق لها من هذا الوجه واما من جهة الغدر فما غدرنا قط ولكن اغتظنا من عمل العرب معنا وكدرنا احتقارهم لنا ففعلنا ما فعلنا واما امر احراقهم في المدائن فهذا لا يعنينا لكن من خصائص كسرى الملك الاكبر لان

امر الهلاك والبقاء عائد اليه ولامره ولا علاقة لنا به ومثل ذلك قال افلنطوش ثم اخبر حمزة بما فعل معه سكاما وورقا وعمر بن شداد وصقلان . والحاصل ان في النهاية حكم المجلس بوجوب قتل الجميع لانهم خائنون وجزاء الخائن الاعدام وطلبوا الى السلطان ان يامر بقتلهم . فقال اني اوافق على ذلك لانهم يستحقون القتل لا محالة ولا اظن ان الله سبحانه وتعالى يحاسبنا على قتلهم ولو كانوا كما يدعون على دين الحق مع انهم يكذبون بذلك فما هم الا من الاشرار الكذابين غير اني لا اريد قتلهم الا بعد ان ياتي كسرى ويتحقق وقوع الحرب بيننا وبينهم وارغب في هذا ان اقتلهم على مرأى من كسرى والاعجام فيعرفون احتقارنا لهم وتحرق قلوبهم عليهم ولا سيما قلب كسرى على ابن عمه ليتاكد بختك اننا ما فعلنا ذلك الا لتريه انه اذا وقع بايدينا فعلنا معه ذلك . فلم يعترض عليه احد في ذلك واخذ المجرمون الى مواضعهم الى ان ياتي كسرى وبقي السلطان قباط وجماعته في ذلك المكان مدة سبعة ايام اخر بانتظار العجم الى ان ظهر لهم غبارهم وقد سد الفضاء وملأ الجو الاعلى فعرفوا بوصولهم وحينئذ امر السلطان ان يرافقه الفرسان الى اكمة عالية ليروا جيوش كسرى ويشاهدوا داهور الهدي الذي حكى لهم عنه عمر العيار فجاؤا مكانا عاليا مطلا على الطريق واذا بجيوش كسرى اخذت في ان تتقدم وتتوسع في تلك الارض وهي منتشرة كالجراد والاعلام تلوح من تحت الغبار ولا زالوا في تقدمهم حتى وصلوا من مكان متسع فضربوا خيامهم ونزلوا على جانب منهم وقد نظروا الى داهور وهو على ظهر الفيل وشاهدوا طوله وعرضه فتعجبوا منه وتاكدوا انه من الابطال الصناديد اصحاب البطش والقدرة العظيمة وصدقوا ما قاله عمر العيار وما منهم الا من حسب له حسابا . وقال الامير حمزة اني اقول ان في الدنيا كثير من الفرسان الذين امتازوا وفازوا ولا يقال ان هذا بطل الزمان فقد يوجد بدون شك اعظم منه ولا يعرف من هو الاول بينهم . ثم انهم رجعوا الى الخيام ينتظرون وقوع القتال

قال واما كسرى فانه نظر الى معسكر العرب وشاهد تلك الترتيب والعظمة التي هم عليها فقال لبختك انظر الى العرب فانهم يتظاهرون بالعظمة ويباهوننا كانهم من الاكاسرة واني لا انظر الى علم بيكار الاشتهار الا وينفطر قلبي ويتكدر خاطري ولا اعلم في اي زمان احصل عليه او انزعه من اعدائي . قال لا ريب اننا في هذه المرة نقلع اثار العرب ونبيدهم عن اخرهم ونرجع شرف الفرس وننصب العلم امام صيوانك . فاكتب الان كتابا وارسله اليهم واطلب ارجاع العلم المذكور ونهددهم بالفناء او يتفرقون ويسلمونك العلم ومهردكار وطوربان وحمزة واولادهم من نسائنا ولا ريب انهم شاهدوا كثرتنا وراوا ما اخافهم واضاع عقولهم واخبرهم انك تعفو عن كل من يطيع ويرجع عن مصاحبة العرب وتكافيه بالانعام الزائد . فاستحسن كسرى ذلك وكتب

كتاباً الى سلطان العرب يامره ان ينزع التاج عن راسهِ ويحضر الى ديوانهِ صاغراً فيعفو عنهُ وعن امهِ مهردكار واما ابوهِ حمزة فلا بد من قتلهِ وقتل عمر العيار ويطلب ان ياتيهُ ايضاً بعلم بيكار الاشتهار ويامر الفرسان المجتمعة ان تتفرق كل واحد الى بلاده فيتخلص من غضب الاعجام ومن الانتقام . وعند ما انتهى من كتابة هذا التحرير بعثهُ مع رسول الى السلطان قباط فاخذهُ الرسول وجاء معسكر العرب ودخل صيوان اليون شاه ووقف باحتشام بعد ان ناولهُ المكتوب فاخذه قباط وفضهُ ثم دفعهُ الى وزيرهِ ليقراه علناً ففعل حتى سمعهُ الجميع وحينئذٍ قال الملك للرسول اذهب الى مولاك وقل لهُ ان لا جواب عندنا الا الامر الهدام والصارم الصمصام واننا ما جئنا هذا المكان الا لاجل محاربتهِ وفي كل نيتنا ان ننزع منهُ الملك ونلبسهُ ثوب الذل والهوان وليكن موكداً عنده اننا سنجعل المدائن خراباً ونهدم على راسهِ الايوان ونبيد عن وجه الارض كل من لا يعبد الله العزيز الجبار

قال فرجع الرسول الى معسكر الاعجام ووقف بين يدي كسرى واعاد عليهِ كل ما سمعهُ وما راه من العرب وسلطانهم فغضب الغضب الزائد واقسم بالنار ذات الشرار ان لا يبقي من العرب دياراً ولا من ينفخ بالنار . وامر العساكر ان تستعد تلك الليلة وتبات على نية المباكرة الى القتال والطعن والنزال وكذلك العرب فانهم هيئوا نفوسهم للحرب ودبروا ان يقتلوا الاسارى في الصباح فنصبوا في وسط الميدان ايواناً من الخشب يظهر من كل الجهات ويعلو عن الارض نحو ذراعين . ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح فتقدم الصفان لياخذ كل واحد مقامهُ ومرتبتهُ . وقبل ان يتم الانتظام احضر عمر العيار وجماعة الاسارى باجمعهم ورفعوهم على ظهر الايوان وهم موثقين بالحبال واذ ذاك تقدم حمزة العربان وهو على ظهر جواده اليقظان ورفع صوتهُ ونادى بافصح لسان هيا فانظر يا كسرى انوشروان ماذا يجرى بفرسانك واعيانك وابناء عمك وسوف يحل بك ما يحل بهم عن قريب من الزمان . ثم جرد حسامهُ من غمدهِ وهجم على ذلك الايوان وقبل ان يصل اليهِ سبقتهُ طوربان وصاحت بالثارات الشرف والناموس من هذا الخائن المهان . وضربت زوبين الغدار بالصارم البتار . فقسمتهُ قسمين . والقتهُ الى الارض قطعتين . وجعلت تقطعهُ بحسامها قطعاً وهجم مثلها باقي ابطال العرب وكان حمزة قد قتل افلنطوش وقتلوا هم الباقين وقطعوهم ارباً ارباً . ولما راى كسرى ذلك طار الشرار من عينيهِ وكاد يغمى عليهِ وصاح من ملوء راسهِ بفرسانهِ ان تحمل على العرب وهو يلعن بختك ويذم الزمان بغيبتهِ عن صوابهِ من جرى قتل ابن عمهِ افلنطوش

هذا وقد حمل العرب على العجم والعجم على العرب . وهاج زاخر بحر المنايا واضطرب . وتحرك سلطان العذاب والكرب . ونادى منادي الويل والحرب . وانفتح ميزاب الهلاك وانسكب

واحتلط صحيح الراحة وانقلب . وثبت قوي الجنان ونادى وانتسب . وتأخر ضعيف القلب يبحث عن طريق الهرب . وكان ذاك اليوم من الايام المشهورة . وحربة من الحروب المعدودة المذكورة بها سطا الامير حمزة سطوة جبار . ورمى الاعداء بشهب الهلاك والبوار . وقد دخل من اليمين فخرج من اليسار . واهلك في طريقه نحوًا من الفين من الاعجام الاشرار . ثم عاد فدخل ثانيةً في عباب تلك البحار . وفعل مثله فرهود البطل المغوار . وقد قتل كثيرًا من ذلك الجيش الجرار . والقى بالوف من الفرسان على بساط القفار . واما اندهوق بن سعدون الاسد الكرار . فقد عمل عمل الاحرار . اصحاب العظمة والوقار . وارعب بفعله قلوب الكبار والصغار . والمعتدي حامي السواحل فانه انزل بالاعادي الاخطار . ورماهم بسهم الذل والعار . وعمر اليوناني ابن الاخيار . وولدهُ سعد صاحب البطش والاقتدار . فانهما صبغا من الدماء بالاحمرار . واشعلا في قلوب جماعة كسرى مواقد النار . وكشفا عن ضعفهم غطاء الاسرار . وتكللا باكليل المجد والفخار . ولم يفعل اقل من فعلهما عمر الاندلسي والملك النجاشي وبشير ومباشر فقد كشفوا الاستار وعززوا من العرب رايات الانتصار . وكذلك باقي فرسان العرب فقد خاضوا الغبار . وفعلوا افعالاً تحير الافكار وتدهش الانظار . وتورخ في صفحات التواريخ مدى الادهار . وتذكر في محافل الملوك باعظم اذكار . ودامت الحرب قائمة الانتشار . وكلما تقدمت ساعات النهار . وعلت الشمس ذات الانوار . كلما اشتدت افعال الحرب بالاضرار . وزاد اشتباك المتقاتلين طلبًا للاختصار . وتحرك حقد المحاربين الى الانتقام واخذ الثار . وطاف بهم عزرائيل الموت ودار . وحام فوق رؤوسهم غراب البين وطار . ونادى منادي الموت الا هبوا الى الرحيل عن هذه الديار . فقد فرغت الآجال والاعمار . وجاء يوم الحساب المسطور في دفتر الاقدار . وكانت الدماء تتدفق كالامطار . وتجري في اقنية الارض كالانهار . وتلتقي ببعضها فتضطرب كاضطراب البحر الزخار . فاكتست الارض لونًا بلون البهار . وتغطي وجهها فلم يعد يعرف لهُ من اثار . ولا زال القتال شديد الوقوع الى ان اكتست الشمس شعار الاصفرار . وعولت الى الاختفاء خلف حجاب الاعتكار . وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال . وترك المتقاتلان القتال . وهما لا يصدقان بالخلاص من جور ذاك اليوم الكثير الاهوال . العظيم الاحوال . ورجع داهور الهندي بعد ان قتل كثيرًا من العرب وانزل بهم العطب ولو وجد ثلاثة فرسان مثله في فرسان العجم لفازوا بالمطلوب ونالوا المرغب . لانهُ على ما يقال من طبقة الامير حمزة في القتال . واشد منهُ صبرًا عند النزال . الا انهُ لم يكن لهُ من التوفيق ما كان لذاك

وعندما رجع الى معسكره واجتمع في صيوان كسرى ودار بينهم حديث العرب قال بختك اني سررت اليوم فيما رأيت من عمل داهور الهندي والحق يقال انهُ اعظم بكثير من فرسان العرب

فما قصد كتيبة الا فرقها ولا طالب مركبا الا ومحقه. فقال كسرى انوشروان اني رايت ذلك وشاهدته الا اني ما رايت داهور قتل فارساً من العرب الا بعد مجاولة ومطاولة ولكن رايت من العرب ما ادهش النواظر وحير الخواطر . لانهم كلهم فرسان عظماء وملوك وابطال يندر وجود مثلهم فقد قتلوا كثيراً من فرساننا واوقعوا بنا التاخير والفناء وكنت اتحرق من عمل حمزة وقلبي يتكدر من صولاته وجولاته وكلما قتل فارساً احترق من اجله قلبي ولعب بي الغضب وتمنيت ان اكون واصلاً اليه لاعدمه الحياة واجعل اخر ايامه من هذه الدنيا غير اني كنت لا استفيد الا زيادة تحرق وتحرك . فقال داهور في هذا اليوم راى العرب افعالي ومع ذلك فاني ما اظهرت كل قوتي ولا فعلت كما اريد بل جعلت اختبر قتال العرب وانا في ساحة القتال ومع اني اعرف على ما رايت من فرسان العرب انهم نخبة ابطال هذا الزمان ويندر وجود مثلهم في الهند والصين والحبشة وكل مكان لكني اعدك بالفوز والنصر عليهم وقد اختبرت كبيرهم وصغيرهم وعرفت عيار شجاعتهم وزنتها بشجاعتي فعرفت بما ازيد عليهم . فسر كسرى منه وامل بالخير والنجاح وقال له اذا جئتني بالامير حمزة واخيه عمر العيار وهبتك نصف ملكي لان الاول اذلني واخذ بنتي واموالي بالرغم عني وبدد لي كثيراً من جنودي وخرق حرمتي واخيراً قتل ابن عمي واعز الناس عندي وعمر ايضاً فقد قتل مرزباني الاكبر ورفاقه وترك بلادي حتى اليوم بلا مرزبان وما من واحد يقدر ان يقوم بهذه الخدمة الا بعد ان يدرس قاعدة الدين عشرين سنة قال لا بد من قتل عمر العيار والامير حمزة وكل فارس وبطل من اعدائك ولا ادع احداً يخاصمك

فهذا ما كان من كسرى وقومه واما ما كان من العرب فانهم رجعوا في المساء فرحين وقد اشفوا قلوبهم في ذاك اليوم وتاملوا بالنصر والظفر ونوال المراد وقد دعا الامير حمزة اليه طوربان وقال لها حيث قد قضي غرضك ونلت مرادك من قتل عدوك فما من حاجة بعد الى ان تقاتلي معنا لاننا لا نرغب في ان يقال عنا اننا نستنجد نساءنا مع ان ما من ضرورة تدعونا الى ذلك وكلنا ابطال وفرسان وفينا الكفاءة الى الدفاع والهجوم . قالت اني اطيع امرك واصغي اليك اصغاء صحيحاً لاني كنت لا اطيق ان اذكر او ارى زوبين الغدار وكلما لاح في خاطري ما عمله معي وكيف غدر بي اخيراً واخذني للذبح والحرق يطير صوابي واتمنى ان اشرب جرعة من دمه وكنت اخاف ان يقتل من غيري ولذلك كنت احرك ولدي على عداوته وبينما ارضعه كنت احكي له خيانة هذا الغادر حتى اذا صار به الكفاءة قتله وفرّج كربي . ثم التفت حمزة الى ولده عمر اليوناني وقال له اني لا اذن لك بعد الان ان تدعها تباشر حرباً وقتالاً بل تبقى في خدرها كباقي النساء . قال اني اطيع امرك ولكني لا اريد ان اعارضها بشيء ومهما ترغب فيه

تنعلة لانها سيدة كريمة ذات تعقل وآداب وبسالة وحكمة ومن كان مثلها لا يملك بل يملك . فقال الامير سعد اني لا ادع امي تباشر حربًا ما زلت انا حيًا الا اذا دعتها الضرورة الى ذلك وحكم القضاء به . ورجعت طوربان الى خدرها ومعها ابنها الامير سعد وهي فرحة به وقد طفئت جمرة غضبها وخمد اضطراب افكارها . ونام المتقاتلان في ذاك المكان يحارسان تحت مشيئة الرحمان . الى ان اشرقت شمس اليوم الثاني وضربت طبول الحرب والقتال . فاصطف الصفان . وترتب الفريقان . واشار سلطان العرب بالهجوم فهجمت الفرسان . كانها اسود خفان والتقى الجيشان والتطما كانهما بحران زاخران . فقامت القيامة من كل ناح . ونادى منادي الموت وصاح وعملت في الصدور عوامل الرماح . وفي الرقاب البيض الصفاح . وانقضى ذلك النهار على مثل اليوم الاول بل اكثر . فيه ارتفع شان العرب اي ارتفاع . واتسع مجدهم اي اتساع

قال وباتوا تلك الليلة على مثل ما تقدم وعند الصباح عادوا الى القتال وداموا على مثل هذه الحال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن قاتلوا الى اخر النهار وفازوا فوزًا عظيمًا وقتلوا كثيرًا من الاعجام وفي المساء عادوا الى الخيام وقد تكلموا بقرب تشتيت الاعجام وانقراضهم الى اخر الايام . واما كسرى وقومه فانهم اجتمعوا في الصيوان الكبير . وقال كسرى اننا في كل هذه الايام ما فزنا بنجاح ولا نلنا بعض مرام . وعلى ما اظن اننا ستفرق كما في مثل غير مرة ولم ار داهور البطل المشهور يفعل ما كان ينتظر منه . فقال بختك انه فعل وما قصر وهو يريد ان يترك العرب الى ان يتعبوا ويسكروا بخمر فوزهم ثم يضربهم فيبددهم ولا بد من ذلك عاجلاً كان او آجلاً . فقال داهور ان سبب التاخير هو كون رجال العرب فرسان وجبابرة وما منهم الا من يحسن الضرب والطعن والجولان كاشد فارس عجمي وعليه فلو كان رجالك من الثابتين اثناء الحرب والقتال لفزنا بالمطلوب . وحيث قد وصل الكيل الى حده فاني في الغد سابرز بنفسي واطلب اليهم النزال وان تاتي اليّ فرسانهم ومن جاءني قتلته في الحال ولا ريب اني بذلك ابيدهم ويعلم العالم اجمع اني وحدي الذي كسرت شوكة العرب وانزلت سلطانهم فلا يجسر احد فيما بعد على مقاومتك ويعرف ان في خدمتك كثير من اعظم فرسان العرب . فقال له لا تطل مدة الحرب فان صبري قد فرغ وفرساني تقتل يومًا بعد يوم فوعده بختك عن داهور بكل ما يريد وانصرفت السهرة وذهب كل واحد الى صيوانه الى ان كان اليوم الثاني وفيه نهض العرب والعجم وتقدموا الى ساحة القتال وقبل ان يتم ترتيبهم وانتظامهم خرج داهور من بين رجاله وتقدم الى الساحة القتال وبين يديه موكب عظيم من الرجال والخدم وعندما صار في الوسط وقف وامر خدامه ان تتاخر والتفت هو الى جهة العرب واشار اليهم طالبًا براز ابطالهم وفرسانهم

وسادنًا الامير حمزة في اولهِ . ولم ينتهِ من كلامهِ حتى سقط اليهِ الاميرا وصدمهُ صدمة جبار عنيد وبعد ان تجاولا كثيرًا بالكلام اصطدما والتقيا والتحما وصاحا وهمها . وبربرا ودمدما . وتطاعنا بالرماح الطوال . وقد احدق بهما الرجال . ينظرون نهاية هذه الحال . وما منهم الا من قوم سنانهُ . واوقف جوادهُ موجهًا الى جهة العدو عنانهُ . حتى اذا اصاب فارسهُ منكرًا صاح وهجم . وحمزة وداهور في قتال عظيم . ونزال جسيم . احر من شهاب نار الجحيم . وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان . كانهما كفتا ميزان . وقد ارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن النظار . ووضعهما تحت حجاب الاخطار . وقد ضاقت منهما الانفاس . ووقعا بالقنوط والياس . حتى تقصفت في ايديهما الرماح . فاعتمدا على البيض الصفاح . وجرداها من الاغماد . وارسلاها تحيل لتغمد في الاوراد . فلله درهما من بطلين شديدين . وجبارين عنيدين . واسدين درغامين . وفارسين هامين . تعلمت منهما الفرسان . كيفية الحرب والطعان . وقد نظروهما يدخلان من اضيق الابواب او يخرجان . سالمين من نكبات الزمان ولم يقدر احدهما ان يرجح على الاخر في قتالهِ . او يزيد عليهِ مقدار ذرة في نزالهِ . وتحيرت منهما الالباب . واخذ الجميع الاعجاب . هذا وكسرى ناظر الى ما يقع بين الفارسين وقد علق املاً كبيرًا بفوز داهور لما راه شديد الباس امام حمزة لا يميل ولا يتزعزع وقد قال لبختك الان يظهر فعل داهور واذا قتل حمزة انتهينا من حرب العرب واذللناهم الى اخر الايام . قال سوف ترى ما يرضيك الا تراه شديد البطش والاقتدار قد شغل حمزة واوقعهُ بالارتباك ولم يبقَ لهُ من بين يديهِ خلاص . ولا نجاة ولا مناص . وكذلك سلطان العرب والفرسان فانهم راوا ما لم يكن لهم في حساب . واضحوا في شدة قلق وارتياب . ينتظرون النهاية وانقضاء النهار ليرجع الامير بسلام لانهم خافوا عليهِ كل الخوف لما شاهدوهُ من شدة قتال داهور واما الامير حمزة فانهُ بذل جهدهُ في قتال خصمهِ وابدى كل ما عنده من الشجاعة والاقدام وتاكد ان داهور من اشد الفرسان الذين لاقوهم في زمانهِ . وانهُ يرجح عليهِ بالثبات والصبر على القتال . واشتد الضرب حتى لم يعد يرى بينهما الا شرارًا يتطاير الى الجو الاعلى من وقع السيوف على الطوارق . وتلهثا وتنهدا وتنفسا . وقد اخذهما التعب والملال . وضعفت منهما الاوصال . وفيما هما على مثل هذه الحال . راى الامير ان فيل داهور قد نفخ بخرطومهِ في الارض فاطار ترابها بكثافة ثم لاحهُ وقصد ان يضرب بهِ اليقظان . فاسرع بضربة سيف من يدهِ على ذلك الخرطوم الذي لا تعمل بهِ الصوارم ولا تخرقهُ الصواعق فقطعهُ نصفين وفي اثناء ذلك رفع داهور يدهُ بالحسام وتمكن من ان ضرب بهِ حمزة باسرع من ريح الشمال فوقع على راسهِ وقطع الخوذة واصاب الدماغ وشعر الامير كان راسهُ قد طار . وراَت فرسان العرب ما حلَّ باميرها فصاحت وارتمت باسرع من لمح البصر وفعلت مثل ذلك فرسان الاعجام وقد امرها كسرى ان

لا تخلى عن داهور الذي رجع في الحال فقدم له قومه فيلاً آخر فركبه وعاد الى الحرب والتقى بالامير سعد فصدمه واخذ معه في القتال والطعن والنزال . واما الامير فانه رجع الى الوراء واخذه عمر الى صيوان مهردكار ودعا له في الحال باسطون الحكيم ليضمد له جرحه فنزع الخوذة عن راسه وشاهد ان الجرح بليغاً فجعل يضع له الماء البارد والامير يتوجع ويتالم ويتحرق وقد ايقن بالهلاك وقرب الاجل لان الجرح كان في مكان مميت والضربة شديدة

هذا وفرسان العرب والعجم في قتال شديد وحرب تفك الزرد النضيد . وقد اشغل سعد داهور والباقون اشغلوا قلوبهم من الاعجام وانزلوا عليهم سلطان الفناء والاعدام . وما منهم الا من يتمنى ان ياخذ بثار الامير في ذاك النهار ويشفي فواده من الاعداء الاشرار . غير ان قصر الوقت حال دون المطلوب . والشمس مالت الى جهة الغروب . وطلبت الاحتجاب والاختباء . غضبة مما وقع في ذاك النهار من الهلاك والفناء . وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع العرب والعجم عن القتال والعرب لا يصدقون بان يروا اميرهم حياً وقد شغلت افكارهم واضطربت قلوبهم ولما وصلوا اليه وجدوهُ يتالم ويتوجع وراوا الجرح بليغاً جداً فخافوا من قرب اجله وجعلوا يبكون وينوحون عليه ويتوجعون لاجله . ولذلك عقدوا شورًا فيما بينهم . واجتمعوا عند السلطان فقال لهم اعلموا اننا اذا بقينا على القتال اما نفوز واما نتاخر لان داهور يريد ان يديم البراز فيصطاد واحدًا بعد واحد ولا بد من النظر في امرنا وان كنا نكفل النجاح ونقول ان لا بد من ان واحدًا من فرساننا تساعدهُ العناية عليه لكن بعد ان نخسر غيره وجلّ ما يهمنا ان ننظر في حال ابي الى ان يشفى ومن الصواب ان نترك هذه الارض ونرحل الى حلب او الى مكة فاذا اصاب ابي مصاب لا نفرح ولو ملكنا المدائن وقتلنا الف رجل مثل داهور وكسرى وبختك . فقال سعد اني ارغب في البقاء ودوام الحرب ولا بد لي من قتل داهور واخذ ثار جدي منه . وجعل كل واحد من الامراء والملوك يبدي رأياً واختلفوا في ذلك وحينئذٍ قال عمر العيار ان الراي في ذلك للسلطان ولا نعرف ماذا يكون لنا في الاستقبال ومن الصواب ان اذهب الى الوزير بزرجمهر واعرض عليه امرنا واستشيرهُ في ذلك لانه رجل خبير وحكيم عاقل ينظر في الامور محل النظر ويعرف بذكائه وخبرته كيفية المصير فاستصوبوا رايه وتركوا الحكم لبزرجمهر ولسلطانهم . وفي الحال غير عمر زيه وسار الى ان وصل الى صيوان كسرى فوجد اعيان الفرس بحظ زائد وكسرى يضحك من داهور ويقدمه اليه ويقول له اني اعترف بانك فارس فرسان هذا الزمان ولا يوجد مثلك قط لان ما من فارس او بطل قدر ان يجرح حمزة وجهاً لوجه في ساحة النزال الاك وقد اشفيت لي فوادي في ضربتك هذه . قال سوف ترى ما ابدي لك في عساكر الاعجام وفرسانهم وان حمزة والحق يقال من الفرسان الاشداء لم تر عيني

اقدر منهُ او اشد باعًا من باعهِ لانهُ ضرب فيلي ضربت قطع لهُ خرطومهُ واذا لم يكن ضرب في زمانهِ الا هذه الضربة فاني اعترف لهُ بوحدانية الشجاعة لان جلد الفيل لا تقطع فيهِ الصوارم ولا السهام فهو اشد من الحديد صلابة . فقال بختك ان حمزة لا بد ان يموت من هذه الضربة لان الجرح في راسهِ وجرح الراس بعيد الشفاء . قال كسرى اذا مات وهبت داهور نصف مالي وملكتهُ في ملكي وفي كل ما يريد من بلادي

ودام الحديث بين الاعجام الى ان انقضت السهرة وانصرف كل الى صيوانهِ وسار بزرجمهر الى صيوانهِ وهو متكدر الخاطر حزين القلب تكاد الدنيا ان لا تسعهُ وفي ظنهِ ان عمرًا لا بد ان يقصدهُ في تلك الليلة ولما دخل الصيوان دخل خلفهُ عمر وقبل يديهِ وعرض عليهِ واقعة الحال وما هو جارٍ على الامير من الوجع والالم . فقال لهُ اني اشور عليكم بالرحيل من هذه الديار وان تقيموا في مكة المطهرة الى ان يشفى الامير وما من نفع في بقائكم في هذه الارض فقد قتلتم كثيرًا من رجال الاعجام غير انكم لا تقدرون على قتل داهور فهو بطل لا نظير لهُ في زمانهِ ولا بد من ان ياتيكم الفرج وانتم في مكة المطهرة ويظهر لي ان العناية لم تشاء الان ان تسعدكم بل بدأ الطالع نحسًا . ثم دفع اليهِ قارورة دواء وقال لهُ خذ هذا الدواء وادفعهُ الى اسطون الطبيب فهو يعرف كيف يستعملهُ وما من باس على اميركم فسوف يشفى ويعود الى الحرب كما كان . فمدحهُ عمر وقبل يديهِ وودعهُ وكرَّ راجعًا وجاء صيوان العرب فوجدهم بانتظاره . فاعاد عليهم ما كان من امر الوزير بزرجمهر وانهُ يشور عليهم بالسفر والرحيل الى مكة المطهرة في نفس تلك الليلة فاجاب الجميع ونهض كل الى غرفتهِ وطائفتهِ ليسرعوا بالرحيل قبل الصباح وسار عمر الى صيوان اخيهِ حمزة فوجدهُ على حالهِ فدفع الدواء الى اسطون فاخذهُ وسكب منهُ على الجرح فارتاح الامير . وحينئذٍ حملهُ على هودج فوق ظهور البغال وهو ملقى على ظهره فوق فراشهِ وعنده مهردكار تلازمهُ وتخدمهُ واسطون يعالجهُ ويبرد من جروحاتهِ . وعند ذلك ركب السلطان وامر ان ترفع الاحمال على البغال وتسير العساكر بالعجل ففعلوا دون ان يخرج منهم صوت ويسمع لهم غوغاء وضجة ولم يكن الا القليل حتى اخلي معسكر العرب تلك الارض وسار في طريق مكة المطهرة كما اشار عليهم الوزير بزرجمهر . وعند الصباح نهض الاعجام ونظروا الى نحو العرب فلم يروا منهم واحدًا فاسرعوا الى كسرى واخبروهُ بذلك فعقد ديوانًا واجتمع عندهُ الاعيان والملوك وقال لهُ بختك ها قد صح ما كنا نرجوهُ فان العرب هربوا من هذه الارض لما رأوا ان لا نجاة لهم وان اميرهم قد مات او قارب الممات وعندي من الراي ان نرسل خلفهم الديادبة لتعرف الى اين يسيرون فنتأثرهم ونقاتلهم الى ان نفنيهم دفعة واحدة ما زال عندنا البطل داهور يزيل عنا الضيم ويقهر لنا الاعداء . ولا بد من ارجاع علم بيكار الاشهار واخذ طوربان

ومهردكار والاستيلاء على الاموال والغنائم وكل ما هو عندهم . فارسلوا الديادبة لكي تراقبهم فساروا وبعد يومين عادوا واخبروهم انهم رحلوا وا في طريق مكة ليقيموا هناك فقال بختك لقد صدق قولي فانهم لا يقصدون ذاك المكان الا بعد ان يقطعوا الرجاء واليأس ومن ثم اتفق رأي كسرى وجماعته على المسير الى ارض مكة وملاحقة العرب الى ان يفنوا عن آخرهم واخذوا يتهيئون ويستعدون للمسير خلفهم وفي آثارهم وكسرى يزيد من اكرام داهور المندي ومن تعظيمه واعتباره وبعده المواعد الحسنة

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من العرب فانهم داموا في مسيرهم مدة ايام حتى وصلوا الى مكة وعرف اهل المدينة بقدومهم فخرج الجميع الى ملتقاهم من الكبير الى الصغير مع الامير ابرهيم امير مكة وعند وصولهم الى العرب تقدموا من علم بيكار الاشتهار وسلموا على السلطان والفرسان وسألوا عن حمزة فاخبرهم عمر بانه مجروح في راسه وان الجرح عظيم الاهمية لكنه سليم العاقبة لا خوف منه . فتكدر الامير ابرهيم من ذلك الا انه كان من الاتقياء فشكر الله على كل حال وسأله ان يشفيه وعلق كل امله به . ومن ثم عادوا الى تلك الارض المقدسة فدخلوها وضربوا خيامهم فيها ومن خلفها وسرحوا بانعامهم واغنامهم . واقاموا للراحة ينتظرون شفاء الامير والفرج الموعود به من عالم العناية . وما مضى الا ايام قليلة حتى قدر الامير على الانتباه والتمييز فرأى امه واباه عنده وزوجاته وفرسانه فاحتار في ذلك وقال اين انا الان فقالوا له في مكة عند ابيك وامك . فاظهر الغيظ وقال كيف جئتم هذا المكان والبستمونا العار عند الاعجام ولا بد لكسرى ان يقول ان العرب هربوا خوفاً من داهور وان كنت قد جرحت انا فان بينكم مثلي كثير وكلكم تقدرون على قتال داهور فلما الخوف والهرب . فقالوا وحياتك ايها الامير ان الهرب لم يكن بخاطرنا وجل ما كنا نرغب ان نديم القتال الى ان نفني او تفنى الاعجام الا ان بزرجمهر اشار علينا ان نرحل عن نهروان ونأتي هذا المكان الى ان تشفى انت ويأتينا الفرج من العزيز الرحمن . فلما سمع ذلك قنع وعذرهم وقال لهم اخيرًا انتم تعلمون ان كسرى متقوٍ الان بداهور وقد رآه عمل ما عمل فزاد طمعه بنا ولذلك لا يتركنا ولا بد له من ان يأتي هذا المكان لمحاربتنا ونزع علم بيكار الاشتهار منا واخذ مهردكار وطوربان وتفريق سلطتنا وارجاع العرب الى الذل والهوان ولذلك اريد منكم ان تهتموا بانفسكم وتعتمدوا على بعضكم البعض لتلاقوه الى ان اكون قدرت على الحرب والقتال فوعدوه بانهم يفدون نفوسهم امامه الى ان يموتوا عن آخرهم

ومضى على ذلك شهر من الزمان والعرب في ذلك المكان وحينئذٍ جاءت اليهم الاخبار بان كسرى قريب من المدينة المنورة بجيوشه الجرارة ومعهم داهور المندي . فاهتم العرب واخذوا

في ان يتحصنوا الى ان وصل الاعجام ولاحت راياتهم واحتاطوا بالمدينة وضربوا خيامهم في ضواحيها واخذوا لانفسهم الراحة كل ذالك اليوم وفي اليوم الثاني جلس كسرى في صيوانه واجتمع اليه كل اعيانه ووزرائه واعوانه فامر بختك ان يكتب كتاباً الى العرب يغلظ عليهم بالكلام ويامرهم بالطاعة ونزع العصيان فاجاب طلبة وكتب في الحال

من الملك الاكبر كسرى انوشروان سلطان سلاطين هذا الزمان الى الامير قباط ابن الامير حمزة البهلوان

اعلم ايها الامير انكم قد اعتديتم وجرتم وظلمتم وتماديتم وقصد ابوك عنادي فتهاملت عنه وشفقت عليه ففكر ان ذلك عن عجز مني او ضعف في فرساني فصرف كل همته الى عنادي والتعدي عليَّ وفعل افعالاً قبيحة جداً لا مجال لذكرها الان حتى اخيراً لقي شرّ عمله وقتله داهور الهندي الذي لا يصطلى له بنار ولا مثيل له في هذه الايام . وعليه فاني اطلب اليك قبل كل شيء ان تسلمني علم بيكار الاشنهار وبنتي مهردكار وبنت ابن عمي طوربان التي قتلتم ابوها افلنطوش واحرقتم قلبي عليه وتردوا الي كل الاموال التي هي عندكم وفي يدكم وتدفعوا ليدي كل ما هو متاخر عليكم من الجزية منذ عشرين عام الى هذه الايام . وفي الاخير توثقون عمر العيار بالحبال وتسلموه عن طوع واختيار لاقتله واخذ لنفسي منه بالثار . وبعد كل شيء تتفرقون فيذهب كل ملك الى بلاده وقومه فاعفو عن الجميع واحسب ان لا عداوة بيننا فاذا فعلتم ذلك كان الخير والنجاح لكم وسلمتم من غضبي ونلتم رحمتي وشفقتي فاني اقسم بالنار ذات الشرار وبكل نجم دوار انه قبل ان تمضي ثلاثة ايام ازحف عليكم بجيشي وكل ابطالي وفرساني فافنيكم عن اخركم واسحقكم كالدقيق واخرب مدينتكم ولا ادع للعرب اسماً يذكر مدى الايام ولا يخفاكم ان عندي داهور الهندي وحيد عصره ونتيجة دهره وقد وعدني ان يفعل باجمعكم كما فعل باميركم فارسلوا اليَّ الجواب حالاً حالاً

وبعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب عرضه على كسرى فاعجبه وختمه بخاتمه وارسله مع رسوله الى السلطان قباط فسار به حتى دخل صيوان البون شاه وتقدم الى ان وقف امام السلطان فسلم بترتيب واحتشام ودفع اليه الكتاب . فلم يقبل السلطان ان ياخذهُ منه بل اراد ان يعرفه ان اباهُ حيًّا فقال له ادفع الكتاب الى ابي الامير حمزة فارس العرب واميرها فارتاع الرسول لانه كان يعلم ان حمزة قتل وكل الاعجام يتصورون ذلك ويتوهمونه فالتفت واذا به يراه بعينه جالساً في الديوان الا انه متغير الالوان بسبب مرضه حيث لم يكن قد شفي بعد الى النهاية . فتقدم منه وقبل يديه واعطاه الكتاب فاخذهُ منه وناوله الى ابنه قباط وقال للرسول الا يظن قومكم وملككم اني مت وانتهى عمري قال نعم ياسيدي ولذلك تحيرت وارتبت عند ما

سمعت باسمك . وبعد ان قرأ عمر العيار وزير العرب الكتاب وفهم الجميع معناه فما منهم الا من اغتاظ واضطرب من كلام كسرى وتهديده . وعليه قال الامير للرسول اذهب الى مولاك واخبره ان لا جواب عندنا الا القتال والحرب والنزال وسوف نبيد ملكه ونهلك سلطانه ونجازي داهور على عمله واخبره ان سلطان العرب لم يقبل ان يكتب اليه الجواب لما تضمنه كتابه من قباحة المعنى والتهديد والوعيد . فاجاب الرسول بالطاعة وقبل ان يخرج قال له حمزة اني عودتك في مثل هذه الزيارة ان اكرمك بالف دينار فخذها قبل ذهابك . ثم امر ان يعطى الف دينار فقبضها وسار حتى دخل على كسرى ووقف بين يديه . فقال له اين جواب الكتاب . قال اعلم ياسيدي ان الامير حمزة لم يقبل ان يكتب اليك كتابًا وقد قال لي ما هو كذا وكذا وان كتابك هو قبيح المعنى لا جواب له . فاعترض عليه بختك وقال له لا تقل حمزة فان حمزة قد مات وشرب كاس الاموات . قال كلا ياسيدي فاني اقول انه باقٍ في الحياة على حسب عادته وقد شاهدته عيانًا وكلمته شفاهًا واما اعرفه جيدًا وفي كل كتاب اسير اليه فاضطرب كسرى وارتاع وقال يا بختك اننا ما عملنا شيئًا وظننت اننا قطعنا راس الحية ومن السهل سحق ذنبها فجاء الامر بالعكس وها ان حمزة قد شفي ورجع كما كان ولا بد ان يعود الى حرب داهور في هذه المرة لياخذ لنفسه بالثار منه . فقال داهور لا تخف من ذلك فاني ساقتله ولو قام من الموت الف مرة ففي كل مرة اقدر على ارجاعه فكن براحة من هذا القبيل ومتى خرج العرب الى قتالنا رايت ما يسرك . ولكن اريد منك انه اذا اجتمع الجمعان لا تهجم عساكرنا بل ابرز بنفسي . قال لا يمكن ان نقاتل العرب وهم داخل المدينة لانهم حتى الساعة لم يخرجوا لقتالنا وعندي ان من اللازم قطع الطرقات والتضييق على من هم في الداخل حتى نرى ما يكون من امرنا وامرهم . واكتفى الاعجام اذ ذاك بالتضييق على اهالي مكة وحصروهم في الداخل ليفاً يلتزموا ان يخرجوا من المدينة لقتالهم ومحاربتهم . واما العرب فانهم كانوا بانتظار الامير حمزة الى ان يشفى تمامًا ويمكنهم ان يحاربوا وهو معهم وكان عندهم من المؤن والذخائر ما يكفيهم الى سنين واعوام

هذا والامير حمزة يتقدم ويتعافى يومًا فيومًا وهو مع زوجاته يزورهُ جميعهن في كل يوم واما مهردكار فانها كانت لا تفارقهُ قط ولا تبعد عنهُ لانهُ كما تقدم معنا في بداية هذه القصة انها كانت مخلصة لهُ الود كثيرًا ومتعشقته بوجه لا يمكن ان يكون اشد منهُ ولا افضل واشرف وقد احتملت كل عذاب وكدر وتعب من اجلهِ وبعد ان كانت لا تخرج من قصرها في بيت ابيها وهي عائشة على الترفه والتنعم يخدمها الجوار والعبيد وكل اسباب الراحة بين يديها اصبحت مقيمة في صيوان كواحد من العرب تنتقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب متحملة صبارة

البرد وحرارة الشمس ومرارة السفر والعذاب فضلاً عما لحق بها من الهم والبكاء والنوح من دواعي الحروب المتواصلة ومصائب الامير وعذابه وكانت تتمنى راحته ورجوعه عن عداوة ابيها . كل هذا كانت تلاقيه مفضلة رضاءهُ على كل شيء ومع كل ذلك فانها كانت ترى منهُ بعض الاحيان بروداً وفتوراً وكلما راى فتاة جميلة يميل اليها ويطلب زواجها غير ملتفت الى خاطرها ولا مراعٍ مودتها ومحبتها ومن الواجب عليهِ لكونهِ اميراً ذا قوة ومروءة وبسالة وآداب ان لا ينظر الى غيرها قط ولا يميل الى سواها ليقدر حبها حق قدره وان يحفظ نفسهُ لها كما حفظت نفسها لهُ ويعهد باتكالهِ عليها كما تعهد باتكالها عليهِ . ولكن لم تكن كل القلوب كبعضها وقد اعتاد العرب ان ياخذوا اكثر من زوجة ولذلك لم يرَ ان من شرط المحافظة على ادبهِ ان لا ينظر الى غير مهردكار على ان الايام والحوادث التي قلبته لم تدع قلبهُ على حالهِ بل غيرت منهُ كثيراً ففسى وعصى وخصوصاً ان الله سبحانهُ وتعالى يقصد امراً خفياً لتكثر اولاد الامير ويانوا الى مساعدتهِ ويقيموا في خدمتهِ حتى بعد قضاء المقدر عليهِ واثلال عرش كسرى تتسهل طرق النجاح للعرب وتنمو بامر الله مملكتهم وعليهِ فان مهردكار كانت تلاقي اشد الاخطار وترضى بان تتغاضى عن ذلك برضى الامير منهُ وكان زكاء عقلها وفرط تعقلها يحملانها على اظهار زيادة حبها لهُ مؤملة ان المعاملة الحسنة تزيد في اميالهِ نحوها مهما حال دون ذلك من الموانع والمصاعب ومهما اخذ من الزوجات وجاءه من البنين عالمة انها ارتبطت بهِ الارتباط الوحيد الذي تنتظرهُ البنت من حياتها وترجو من بعدهِ الراحة والهناء والانضمام الى مساعد معين يشترك معها في شدائها ورخائها وتعاستها وينقاسمها افراحها واحزانها وكانت مهردكار ترى نفسها مع ما عليهِ من عدم الراحة من اسعد نساء زمانها بسبب قربها من الامير وان ما يظهرهُ لها من عدم المبالاة لا بد ان يقضي عليهِ ذات يوم اما بشدة الحب فيعرف عظم ما تحملتهُ واما بالعكس فتميت نفسها وتتخلص من هذه الحياة لان الموت خير لها من ان ترى محبة الامير تنفر من صوبها او تقل او تكون اقل من محبتها كما هي . وكان كل ما يقع عليها من هذا الوجه تعلل لها عللاً واسباباً فتعذرهُ من اجلها فما تزوج بفتاة الاَّ وقالت في نفسها انهُ مضطر الى ذلك وان الظروف قضت عليهِ بهِ ولا حكى لها كلمة عن ضجرهِ من ابيها وندمهِ على زواجها الاَّ وفكرت ان الغيظ حملهُ على ذلك وان قلبهُ لا يمكن ان يتحد مع لسانهِ في هذا المعنى لانها تعرف انهُ حارب كثيراً وخاطر بحياتهِ كثيراً من اجلها . ولكن شتان بين وفاء الزوج ووفاء الزوجة لانهُ مهما اخلص الود واراد المحافظة على نفسهِ حباً بها لا يمكن ان يكون ذلك قرين الصحة الى الحد الاخير ما لم يكن الدين سبباً على العفة ومراعاة جانب زوجتهِ حق المراعاة لكنما الزوجة اذا ارادت فعلاً اخلاص الود لزوجها ووطدت العزم على تخصيص نفسها بهِ قامت بذلك حق

القيام وذلك لانهُ بقدر ما يكون القلب رقيقاً يكون عشقهُ شديداً وحبهُ خالصاً وكلما قسا تقسو بهِ الفواعل الحبية ومن المقرر الثابت ان قلوب النساء ارق بكثير من قلوب الرجال وانهن اكثر شفقة ومودة وان الغش لا يتولد بهن من نفسهِ اذا لم يكتسبنهُ من غيرهن هذا اذا كان كلاً منها صحيح العقل ولا ريب ان القاري سيطلع على ما يكون من الامير حمزة مع مهردكار بعد زمان ليس بطويل من تلك الايام

ولما شفي الامير ورجع الى عادتهِ واصبح كانهُ لا جرح ولا اصيب بنكبة من نكبات الحروب والايام واراد ان يعود الى الحرب والقتال والطعن والنزال على حسب عادتهِ وهو يرغب في ان يلتقي بداهور المندي لياخذ لنفسهِ منهُ بالثار ويعدمهُ الحياة وحينئذٍ سال ابنة السلطان قباط ان يامر العساكر بالخروج الى ضواحي المدينة لمحاربة الاعجام ففعل وفي الحال خرج القبائل الذين في المدينة المنورة وقد ضربوا طبول القتال واصطفوا بقصد الحرب والنزال فعمل الاعجام كاعمالهم وباقل من ساعة حمل الطائفتان على بعضهم البعض وارتجت لحملها جنبات تلك الارض . ووقع قتال عظيم لم يسبق لهُ نظير قبل تلك الايام اسودت بهِ السماء وحجبت عن الارض بغبار المتقاتلين وما برحوا على ذلك الى المساء وعند المساء رجع الجميع الى الخيام وباكروا في اليوم الثاني الى الحرب وكانت اعظم من اليوم الاول . وفي اليوم الثالث كذلك الى ان مضى نحو خمسة عشر يوماً على مثل هذه الحالة وفي اليوم السادس عشر برز داهور على ظهر فيلهِ وطلب الامير حمزة فبرز اليهِ في الحال وصدمهُ صدمة الابطال واخذ معهُ في الطعن والضرب . والاخذ والرد والكر والفر حتى تعب كل التعب ولم ياخذ احدهما من الاخر لا حقاً ولا باطلاً وعند المساء رجعا عن القتال وفي قلب كل منهما نيران الاشتعال كيف لم ينل من خصمهِ ما يطلبهُ ويرجوهُ ويرغبهُ وفي اليوم التابع عادا الى مثل ذلك وفي المساء انفصلا وداما في قتال مدة عشرة ايام دون ان ينال الواحد من الاخر مراماً او يلوح لهُ فيهِ وجه مطمع وفي اليوم العاشر رجع الامير حمزة غضباناً جداً ومتكدراً من ثبات داهور دون ان يقدر على اخذ ثاره منهُ وعرف انهُ اشد باساً من فرسان العرب باجمهم . ولما اجتمعوا عند المساء في صيوان اليون شاه دار الحديث فيما بينهم بشان داهور فقال الامير اني والحق يقال اكاد اعجز عن قتالهِ وحربهِ ونزالهِ وما قاتلت في زماني فارساً مثلهُ ولا اظن اني الاتي ولا اعرف كيف اقدر ان اتخلص منهُ واخلص ثاري ولا اعرف هل ان النصر يكون في الاخر لي او لهُ . وحينئذٍ نهض اندهوق بن سعدون وقال اعلم ايها الامير اني كنت احب قبل الان ان استأذن منك بقتالهِ غير اني كنت اخشى من ذلك ولا سيما اني اعرف موكداً ان داهور اشد مني باساً ولولا ذلك لما قدر ان يثبت امامك يوماً واحداً والان حيث اني اريد ان افديك بنفسي ارجوك السماح لي والاذن

بقتالهِ فاما يقتلني واما اقتلهُ واريح الدنيا من شرهِ ومن بعدهِ يتفرق العجم واذا قتلت انا فعندك مثلي فرسان وابطال كثيرون ولكن اذا قتلت انت فما عندنا مثلك قط . فقال الامير ان ذلك رابع المستحيل فقد عرفت ان داهور بطل نادر المثال ولا اريد ان اخاطر باحد من فرساني لاجلهِ فكل واحد عندي منكم يساوي الف داهور لانكم تعبدون الله سبحانهُ وتعالى وتخدمون مكة المطهرة . ولا بد لي من مداومة القتال بنفسي ولو ان الله سبحانهُ وتعالى يريد لي مكروهاً لما شفاني من تلك الضربة المميتة . وحينئذٍ قال الامير سعد اني كنت احب ان اجرب نفسي مع داهور باجداه فاتعلم منهُ ما ينفعني فارتاع الامير من ذلك لانهُ يعرف عناد سعد وقال لهُ اياك من ان تفكر بمثل هذا الامر فما من احد يقاتلهُ غيري لان لي ثاراً عليهِ . قال اسمح لي ولو يوماً واحداً فاذا نجوت لا اعود الى قتالهِ واذا قتلت يكون بمساعدة من الله وبدعائك . قال هذا لا يكون قط ولا تفعل ما لا نريده . فقال عمر العيار ان امر قتال داهور مفوض لخاطر الوزير بزرجمهر فاريد ان اذهب اليهِ واستشيرهُ في هذا الامر واعرض عليهِ واقعة الحال ولا بد لهُ من فكر يبديهِ ولو كان داهور يموت عن يد اخي حمزة لما بقي الى اليوم واخاف ان نقع في مصيبة جديدة وكان عمر قد قال ذلك ليقلل من امل سعد ببراز داهور ويمنع اخاهُ عن برازه لانهُ خاف عليهِ وربما فكر بعمل حيلة لخلاص العرب . فاجاب الجميع طلبهُ وشكروهُ على رايهِ . وحينئذٍ نهض عمر وتزيا بزي واحد من حجاب كسرى وخرج في الحال باسرع من ريح الشمال واختلط بين الاعجام وباقل من ربع ساعة وقف بين يدي كسرى كواحد من حجابهِ وصغى الى ما يقولون وسمع كسرى وقومهُ يتباحثون بشان العرب وقد قال لهُ داهور اني تعبت جداً من قتال حمزة وانا اعترف انهُ بطل عظيم فهو خصمي في الميدان ولو صرفت الدهر في قتالهِ لما قدرت ان اصل اليهِ او قدر ان يصل اليَّ لاننا كلانا متساويان واريد ان نترك الحرب مدة ايام الى ان ارتاح مما لاقيت لان ليس في الاعجام واحداً اخر يحمل عني الاثقال او يحميهم من ضربات الاعداء بخلاف العرب فانهم كلهم فرسان وابطال فاذا قتل الواحد قام الاخر مقامهُ واذا مرض احدهم سد غيره مسدهُ . فقال بختك اننا سنحمل في الغد بالعساكر فيمكنك ان ترتاح ولا تقاتل معنا يوماً او يومين ومن ثم اطلب البراز فياتيك حمزة ويكون في هذا القتال غير مرتاح لانهُ يكون قاتل وناضل . فاستصوب كسرى كلامهُ واجاب طلبهُ وانهُ في الصباح اذا نهض العرب الى القتال يباكرهم رجالهُ ويقاتلونهم الى المساء

وبعد انقضاء السهرة سار عمر العيار في اثر بزرجمهر حتى دخل صيوانهُ فدخل خلفهُ واجتمع بهِ على انفراد وقبل يديهِ وبلغهُ سلام العرب واخبرهُ عن صحة اخيهِ واستشارهُ في امر القتال وانهُ جاء مخصصاً اليهِ بهذا الشان . قال لو جئتم اليَّ وسالتموني في الاول لما تركتكم تقاتلون ابداً

لتاكدي انكم لا تاتون بالمطلوب وما من امل بالنجاح لكم في هذه الايام وما من فارس منكم يقدر على قتل داهور لان منيتهُ عن يد فارس شاب اشقر اللون طويل القامة وهذا وحده الذي يقدر على خلاص العرب ويكون لهُ بينكم شان عظيم جدًا وتفتخر بهِ العربان جيلاً بعد جيل لان الزمان لم ينشا مثلهُ والان متى ذهبت الى اخيك وسلطانكم فبلغهم سلامي ودعهم ينزلون الى المدينة الى حين ياتي الفرج الذي هو عن قريب من الزمان يصل الى هذا المكان والا لو قاتلتم الى اخر الاجيال لما نلتم من داهور غرضًا ولا مرامًا . قال لقد احسنت ياسيدي وما من العرب من يقدر ان يخالف لك قولاً فهم يعتبرون كلامك وياخذونهُ دستورًا لاعمالهم فلو امرتهم ان يسلموا الى كسرى في هذه الساعة لفعلوا ولو كان في ذلك ذلهم وهلاكهم جميعًا . ثم ان عمرًا قبل يد الوزير بزرجمهر وخرج من صيوانهِ وجاء العرب ودخل على السلطان وعندهُ الفرسان باجمعهم ينتظرون عودتهُ فلما استقر بهِ الجلوس اعاد عليهم كل ما سمعهُ من بزرجمهر وحرم عليهم القتال الان وقال ان من يقتل في هذه الحرب يكون ظلمًا وغدرًا لان الله لم يقض بعد بقتل داهور فتربصوا وادخلوا المدينة واقيموا فيها للراحة واعاد عليهم ما سمعهُ من داهور وانهُ يريد الراحة وقد اتفق مع الملك وبختك ان لا يحارب في مدة يومين . فقال حمزة لولا امر بزرجمهر وشوره لما تركت القتال فاذا تخلى داهور عن الاعجام مدة يومين بددت شملهم بفرساني وما ابقيت منهم احدًا ولو كانوا بعدد الرمال . ثم ان السلطان امر الفرسان بان تحمل وتدخل المدينة الى ان ياتي الله بالفرج ففعلوا ودخلوا المدينة ولم يبقَ في الخارج احدًا وعند الصباح نهض كسرى وقومهُ فلم يروا احدًا من العرب قط فقالوا انهم عرفوا بعجزهم وتقصيرهم عن قتالنا فما ارادوا ان يخاطروا بانفسهم وقال بختك اننا اذا ثبتنا على عزمنا في هذه المرة اهلكنا هذه الطائفة وفرقنا كل الجموع المتجمعة معها ويمكننا ان نقيم في محلنا الى ما شاء الله حتى تفنيهم الايام ويحتاجون الطعام فيموتون جوعًا وهذه اشد الميتات ونبعث الى بلادنا فناتي بكل ما يلزمنا من طعام وخمرة وملابس ونحو ذلك

واما العرب فانهم بقيوا في المدينة مدة ثلاثة ايام ينظرون الفرج وفي اليوم الرابع خرج الامير عمر الى البراري والقفار وصعد تلة عالية ووضع المرآة في وجههِ وجعل ينظر فيها الى البر عساه يرى الفارس الذي اشار اليهِ بزرجمهر وفيما هو ينظر راى عن طريق مكة فارسًا ابيض اللون اسود العينين اشقر الشعر طويل القامة مسربلاً بالحديد والزرد النضيد وهو كانهُ الليث في عرينهِ يخب الارض بجوادهِ وبين يديهِ غلام اسمر اللون دقيق القوائم مدجج بالسلاح مضيق اللباس والرباط كانهُ عفريت من عفاريت السيد سليمان ينطلق في الطريق فيرتفع الغبار الى ما فوق راسهِ حتى يغيب عن الفارس ثم ينعكف راجعًا ركضًا كانهُ السهم اذا انطلق

من يد الفارس الجبار حتى يجتاز مولاه ويفعل ذلك باسرع من لمح البصر ثم يعود فيدور حول الجواد وهو مداوم على ذلك لا يأخذه هدو ولا توان ولا تعب ولا ملال حتى تعجب عمر من ذلك واحتار بامر هذا الفارس وعياره وقال لا بد لي من الاستطلاع على خبرها ومن يكونان. ثم ادخل المرآة في عبه وتقدم في الطريق حتى المساء فتبين الفارس والعيار يتقدمان بسرعة عن بعد في تلك الطريق فاكمن في جب من الشوك ينتظر ما يكون منهما وهل يداومان على المسير او ينزلان للمبيت في تلك الارض. وبقي كامنًا الى ان قرب الفارس منه وعول ان يجتازهُ فتحرك في الجب وحينئذٍ تاخر فرس الفارس ووقف وشخر فصاح الفارس بالعيار ويلك ياسيار انظر لي ما في الطريق امام فرسي سلي فاذا كان اسدًا فاقتله في الحال او عفريتًا فاخبرني لانزل اليه واعدمه الحياة او انسان فانصحه ان لا يتعرض لرستم فرخ بن الامير حمزة البهلوان ثم نخس الفرس واراد ان ينط به الجب الى الناحية الثانية وعمر يتخايل له تحت الظلام وهو بلون الليل الدامس وفيما هو كذلك لم يشعر الا وسيار العيار قد قبض عليه من اكتافه ورماه الى بعيد امام الجواد. فصاح به الفارس وقال له من يكون هذا قال عفريت اسود من عفاريت البراري يريد ان يوهمنا في الليل الحالك ولكنني قد عولت ان اقتله في الحال كي لا يعيقنا من الوصول الى مكة قبل الصباح. قال اياك من ان تمد اليه يدًا قبل ان اراه وانظره ثم انه قفز عن الفرس الى الارض كانه الغزال في الخفة والسرعة فراى سيار واقفًا امام عمر وبيده خنجره يتهدده بالقتل اذا هرب او فرّ وعمر يضحك غير مكترث بما يفعل فلما راهُ الفارس صاح به وقال له ويلك ماذا تعمل هنا في هذا الوقت فما انت من الجان بل من بني الانسان فاخبرني الصحيح تنجو وتنال العفو والامان والا قتلتك في الحال. قال اني لا اخاف منك ولا من الف فارس مثلك ومثل عيارك هذا الغلام ولكن ما وقفت بهذا المكان الا لغاية ساخبرك بها الان بل اشرط عليك ان تجيبني الى ما اسالك اياهُ وهو ان تخبرني عن اسمك وابن من انت. قال اسمي رستم فرخ علامة شامي الرومي مكيد الفرسان في يوم الطعان ابن الامير حمزة البهلوان. قال واسم امك من هي وبنت من. قال ان امي هي مريم بنت الملك قيصر. قال وهذا الغلام من يكون قال هو عياري سيار ابن الامير عمر العيار الذي لا يوجد اخف منه في هذا الزمان لانه يسبق الريح في الجري ومهما بالغت فيه لا اقدر ان اذكر لك شطارته وعيارته فليس هو الا افة من افات الزمان. قال اني اراه كما تقول غير انه قليل التربية عدم الاداب. قال ولما ذلك ومن اين عرفته. قال حيث انه يمد يده الى ابيه ويجسر ان يشهر عليه السلاح واني اعرفه الان بنفسي فانا عمر العيار وزير سلطان العرب وابو سيار وقد جئت بانتظار الفرج للعرب وهو انت فتوفقت من اقرب طريق. فلما سمع رستم فرخ هذا الكلام تقدم من عمر وسلم عليه وكذلك سيار قبل يديه واعتذر

اليهِ عن عملهِ

ثم سال رستم عمرًا عن ابيهِ وعن سبب قيامهِ في تلك الجهة فاعاد عليهِ القصة من اولها الى اخرها واطلعهُ على كل ما هو واقع على العرب من داهور الهندي والفرس وان فرسان العرب مقيمين في مكة على الياس فهاج وماج وارغى وازبد واقسم بابيهِ انهُ لا يمكن ان يدخل . المدينة قبل ان يقتل داهور الهندي ويلقي على الاعجام الويل والهوان وقال لعمر سر انت الى مكة المطهرة واعرض على ابي ما رايتهُ واخبره بقدومي واما انا فاني ساسير من راسًا الى معسكر الاعجام واباكر معهم الحرب والقتال واقتل داهور وكسرى وبختك وكل نفر كبيرًا كان او صغيرًا من الاعداء فقال لهُ ان اباك لما جرحهُ داهور قتل ولو كان حيًّا لما كان العرب بضيق فزاد غضب رستم ونزلت الدموع من عينيهِ وصاح بصوت مالت لهُ الجبال من مراكزها واخذ الصوت في ان يردده من كل ناحية ومكان تارة من الشرق وطورًا من الغرب وجفل كل وحش في برية الحجاز رعبًا وخوفًا ونهض في الحال الى ظهر جوادهِ وقال اذا كان الزمان لم يسمح لي ان ارى وجه ابي قبل ان يموت فقد سمح لي ان لا اترك ثارهُ وسار مسرعًا وهو يبكي والدموع تحدر على خديهِ وبين يديهِ عيارهُ سيار يقطعان الارض نهبًا وركضًا . ورجع عمر العيار متاثرًا مما شاهد وراى من الامير رستم وقد عرف انهُ من صناديد زمانهِ وما قال لهُ ان اباك مات الا ليتحرق داخلهُ الى اخذ الثار فيقتل داهور حالاً وبقي مسرعًا الى ان جاء مكة وكان الوقت قبل الصباح فدخل على اخيهِ الامير حمزة وانهضهُ من فراشهِ وسالهُ ان يجمعوا الى صيوان اليون شاه فجاء الصيوان واجتمع جميع الفرسان ينتظرون ما يكون من امر عمر وعاد ولما دعاهم في مثل تلك الساعة مع انهُ لم يبق للنهار الا نحو ساعة ولما تم انتظامهم قال اعلموا ايها السادات اننا مقيمين في هذه المدينة على انتظار الفرج منهُ تعالى لتبديد شمل كسرى ورجالهِ . والان قد عرفت كل المعرفة وثبت لدي ان الفرج قد أذن بهِ الله سبحانهُ وتعالى ولم يرضَ بان تبقى تحت الحصار والكفار طامعة بنا فليذهب كل واحد الى خيامهِ ويستعد للقتال بعد ساعتين من الزمان فاخرجوا برجالكم وعساكركم الى ضواحي المدينة واصطفوا كالعادة وترون النصر بدون شك فيوم الغد هو اليوم الفاصل ولا ريب بمعونتهِ تعالى تندفع عنا قبائل الاعجام ويهرب كسرى ويقتل داهور العاتي المتكبر . فصغى الجميع الى كلامهِ وانصرفوا الى قومهم واخذ كل سلاحهُ ودعا رجالهُ اليهِ وعند اشراق نور الصباح رفع علم بيكار الاشتهار فوق راس السلطان وتحركت ركابهُ من المدينة الى الخارج وسار من حواليهِ حراسهُ وابطالهُ ولما صاروا في الخارج امر ان تضرب طبول الحرب والكفاح فسمع كسرى ذلك وقال لبختك ها ان العرب قد خرجوا للحرب ولا أعلم السبب الذي دعاهم الى ذلك مع انهم هربوا من ساحة القتال عن عجزهم وضعفهم

قال لا ريب ان الزاد قد فرغ منهم فيطلبون الحرب ليهلكوا بها افضل من ان يهلكوا جوعًا .
وعندي اننا نسال داهور البراز فيميت ابطالهم ومن يحمل على الباقين فنبيدهم وندخل المدينة ونجعلها معابد للنار وندعو العرب الى السجود لها فمن اطاع عفونا عنه ومن ابى احرقناه بها .
وكان داهور حاضرًا فقال اني سابرز الى حمزة في هذا النهار عسى ان النار تساعدني عليه فاقتله وإذا قتل هان علينا كل شيء

وبعد ذلك امر كسرى بان تضرب طبول الحرب والكفاح وترفع رايات الشمس والاسد وتتقدم الجيوش الى وسط المجال ولم يكن الا القليل حتى اصطف الصفان وترتب الفريقان ووقف كل فارس في مركزه وقد استعد لصدور الاوامر بمشاجرة القتال وإذا بداهور الهندي قد تقدم الى وسط الساحة وهو على ظهر فيله كانه البرج المشيد فكان لطوله وارتفاع الفيل يبان من كل مكان وعلى راسه خوذة من الفولاذ كبيرة فوقها بيضة من الفولاذ مصقولة تضيء من تكسير الشمس عليها كانها جوهرة لامعة . وعليه صدرية من الحديد مزردة لا تعمل فيها الصوارم الحداد . وبعد ان استقر في الوسط امر جماعته ومن حواليه من العبيد والخدم ان ترجع الى الوراء وتقف باحتشام فرجعوا وحينئذٍ اشار بيديه الى العربان وطلب اليهم ان يبعثوا باميرهم ليعدمه الحياة وينهي عمره في ذاك اليوم . وكان حمزة على اليقظان فاراد ان يسقط اليه وياخذ معه في القتال الاَّ انه سمع صوتًا اشبه بالرعد القاصف قد خرج من اطراف جيوش العجم ثم انحدر من هناك فارس على فرس ادهم كانه الليل الحالك عالي القوائم واسع الكفل عريض الظهر اصبح الوجه . ونظر اليه فراهُ ابيض اللون اشبه بالبدر التمام وشعره يميل الى الشقرة وهو مدجج بالسلاح وعيناه تقدحان شرار النار . فمال جميع الفرسان الى ذاك الفارس وهم متعجبون منه ولا سيما عندما راوهُ غريب عن المعسكرين وعليه ثياب الملوك القياصرة . ثم اطلق ذاك الفارس عنان جواده فخرج كانه البرق الخاطف وبين يديه سيار العيار المتقدم ذكرهُ يسبق الجواد على الدوام باميال حتى حير عقول الرجال وبقي تاركًا لجوادهِ العنان حتى جاء اخر الميدان . وكان عمر العيار قد عرفها حق المعرفة فترك مقامه وانطلق يجري الى ان وقف امام الامير حمزة وجعل ينظر الى رستم حتى راهُ قد عاد من جولانه ووقف امام داهور وامتشق من وسطه الحسام واراد ان يهجم عليه فقال له داهور كيف تقاتلني وانت لم تعرفني ولا اخبرتني من انت ومع انك صغير السن اراك قوي الجنان فتخاطر بنفسك عن غير هدى ولا قياس ولا تعرف معيار نفسك . قال اما انا فاني اعرفك بنفسي انا الملك قيصر ملك الرومان واسمي رستم فرتم علامة شامي الرومي واسم ابي الامير حمزة البهلوان واما قولك باني صغير السن فهذا هو الفخر العظيم والمجد الذى يشهد به كل جبار كريم لاني بدون شك ساقتلك واثال بقتلك غايتي واخذ بثاري على قتل

ابي . قال ان اباك الامير حمزة وهو مشهور بالحرب والبسالة في رجال هذا الزمان ومع ذلك فقد جرحتهُ واهنتهُ ولم يكن في العرب من يقدر على الثبات امامي فهربوا وتخبوا داخل المدينة فكيف تقدر انت على قتالي والثبات امامي . قال سوف ترى مني ما تتعجب منهُ وتتذكر تفاوت الفرسان . ثم انهُ هجم عليهِ وصدمهُ بقلب كانهُ فصل من حجر الصوان لا يخاف من طوارق الحدثان ولا يرتاب كثرت او قلت الشجعان . فالتقى داهور وحمل عليهِ كانهُ قضاء الله المقدور . وقد قوما السمر الطوال . ولعبا بها على ما تعلما من فنون القتال وهما يصيحان كالذئاب الكاسرة . ويهمهمان كالاسود الزائرة . وقد ابهرا النواظر . وحيرا الخواطر . حتى غابا عن الابصار . واختفيا تحت الغبار . وقد اعجب الامير حمزة قتال هذا الفارس الاشقر وتحير عند ما راى سرعة طعانهِ وقوة ضربهِ وجولانهِ وقد مال قلبهُ اليهِ كل الميل فالتفت الى من حواليهِ من الفرسان وقال هل رايتم الى قتال هذا الفارس وتحققتم انهُ اشد باسًا من داهور وانهُ لا يلبث ان يلقيهُ قتيلاً تحت اقدام جوادهِ لانهُ يزيدهُ الدرهم قنطارًا وما رات عيناي شبيهًا لهُ قط زماني بطولهِ واريد ان اعرف من هو ومن اين جاء لانهُ على ما يظهر غريب الزي ولم يكن بيننا واحد مثلهُ . ثم التفت الى عمر وقال اصدقني الخبر فانك عارف بهِ عالم بحالهِ ولولاه لما اخرجتنا من مكة فلم يبقَ لي صبر عن معرفة اسمهِ وحالهِ . قال اعلم ان هذا ابنك رستم فرخ ابن مريم بنت الملك قيصر التي تزوجت بها اثناء جمع الميرة وانت في بلاد قيصر والذي تراهُ امامهُ يدور من حواليهِ كانهُ الشيطان الرجيم هو سيار ابن عمر العيار من الجارية التي تزوج بها هناك . فلما سمع حمزة ذلك كاد يطير من الفرح وتساقطت الدموع من عينيهِ ولهف قلبهُ الى معانقة ولدهِ وفطرة كبدهِ واراد ان يلقي بنفسهِ عليهِ وهو مع خصمهِ في القتال ويقبلهُ ويبل رؤياهُ منهُ . فقال لهُ عمر اصبر وانظر فان ابنك لا بد ان يقتل خصمهُ بوقت قريب لانهُ بين يديهِ كالشاة امام الذئب وحينئذ تحمل العجم فنلتزم ان نحمل نحن ايضًا الحملة الاخيرة . وكان الفرسان يسمعون كلام عمر وما منهم الا من تعجب وتحير من سعادة الامير ولا يعلمون ما كان من قصتهِ مع مريم في بلاد قيصر الا القليل منهم كاندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل والملك النعمان ومن كان معهُ في ذلك الزمان غير انهم كانوا لا يعرفون ما جرى لمريم بعد زواجها بالامير وسفره عنها وما كان من قصة ابنها

قال اننا كنا قد ذكرنا هذه القصة بوقتها عند ما تزوج الامير من مريم واقام عندها مدة ايام ثم رحل من هناك وبقيت هي الحاكمة على البلاد القيصرية الرومانية وقد ظهر عليها الحمل بعد اشهر قليلة وانتهت اشهر حملها فوضعت غلامًا كانهُ القمر عند تمامهِ وتبين من يومهِ انهُ سعيد الطالع موفق الاعمال وبعد نحو خمسة عشر يومًا البستهُ المعضد الذي اخذتهُ من الامير حمزة

ودعت اليها كل رجال مملكتها واعيان دولتها وقالت لهم انتم تعلمون ان زوجي الامير حمزة قتل والدي واقامني مكانهُ فهو حاكم هذه البلاد وكان لولا حروبهُ مع كسرى انوشروان والعداوة التي بينهما اخذني معهُ ولا ريب اذا عرف ابني هذا ان اباهُ حمزة تركنا وسار اليهِ ومن الموافق ان نكتم عليهِ خبر ابيهِ ولا يذكر لهُ احد اسم حمزة بل نقول لهُ ان اباه كان الملك قيصر فمات واقمت انا مكانهُ والا عدمناهُ ولحق باهلهِ فوعدوها بذلك وما عاد ولا واحد من قومها يذكر امامهُ اسم ابيهِ ودعت اسمهُ رستم وهو يكبر وينمى فوضعت لهُ المربين والاساتذة وكان قوي العصب شديد القوى والحيل اذا رفس حائطًا قائمًا هدمهُ او مسك قضيبًا من الحديد قصفهُ وامهُ تتعجب من قوتهِ وتعرف انهُ سيخرج مثل ابيهِ لا بل اشد بسالة واقدامًا . ولما كبر صار يتعلم ركوب الخيل وفن الحرب والقتال حتى اتقنها غاية الاتقان وصار يخرج الى البراري والقفار .

وكان كما تقدم ايضًا ان عمر العيار قد تزوج بجارية من جواري مريم فحملت منهُ وجاءت بولد دعتهُ سيار احمر اللون ما بين السمرة والبياض الا ان تركيب جسمهِ كتركيب جسم ابيهِ دقيق الرجلين واليدين رفيعها صغير الراس كبير الوسط والجسم ومع ان اشتداد قواه كان لا عظم فيهِ فتربى وكبر مع رستم بن الامير حمزة وصار يرافقهُ في كل وقتهِ ولا يفارقهُ دقيقة لا في النهار ولا عند المنام ولما صار عمر الامير رستم نحو ١٤ سنة دعتهُ امهُ اليها وقالت لهُ اعلم يا ابني اني اريد ان اترك الملك فتحكم انت على كرسي القياصرة ويكون مرجع الامر اليك فاجابها الى طلبها وحينئذٍ دعت اكابر قومها واعرضت عليهم ما نوتهُ ففرحوا جدًّا لانهم كانوا يحبون رستم محبة عظيمة جدًّا ويتمنون ان يكون المالك عليهم فنادوا باسمهِ واجلسوهُ على كرسي القيصرية والبسوهُ التاج وصار منذ ذلك اليوم ملكًا الا انهُ كان يحب الحروب والغارات فصار يركب في اكثر الاحيان ويقصد الفرسان والابطال وكل بلد او مدينة كانت عاصية من قديم الزمان او امتنعت عن دفع الجزية لاسباب سار اليها واذلها واعادها الى طاعتهِ واعظم شيء كان مولعًا بهِ ملاقاة الفرسان فكان كلما سمع بان فارسًا اشتهر وامكنهُ الوصول اليهِ سار في الحال وحاربهُ فاما يقتلهُ واما يذلهُ وكان في نواحي دمشق الشام بطل من الابطال المشهورين اسمهُ الصيصان قد انتشر صيتهُ وفاق على اقرانهِ ولم يقدر فارس في كل ايامهِ ان يذلهُ او يقهرهُ فسمع بذكرهِ رستم فقصد ان يسير الى بلاده فدعا بامهِ واقامها مكانهُ وجمع جيشًا يبلغ عددهُ الاربعين الفًا وسافر يقصد مدينة الشام وجبال حوران وكل تلك النواحي ليلتقي بالامير صيصان فيذلهُ ويتفرج على تلك الجهات ولا يترك عاصٍ قط ولا خارج عن طاعتهِ

وبلغ الخبر الصيصان هذا فجمع جيشهُ وسار على طريق قيصرية على امل ان يلتقي بهِ في الطريق وفي نيتهِ انهُ ياسرهُ او يقتلهُ ومن ثم يسير الى بلادهِ فيملكها ويجلس مكانهُ وقبل منتصف

الطريق التقى الفارسان فضربا الخيام في تلك الناحية وفي اليوم التالي نهضا وتبارزا في ساحة القتال على مرأى من الجيشين وكان الصيصان يعد بالف فارس من الفرسان الشداد الاّ انهُ لم يكن من درجة رستم ولا يعد من رجالهِ فذل بين يديهِ وسلم نفسهُ اليهِ وطلب ان يكون في خدمتهِ كل عمرهِ فاجابهُ طلبهُ ووعدهُ بكل خير وجميل وقربهُ منهُ جدًّا وتصالحا وعاد رستم الى بلاده ومعهُ الصيصان فجعلهُ وكيلاً عنهُ في دولتهِ وصار اذا غاب هو قام مقامهُ واذا حضر جلس بين يديهِ والناس فرحة بهِ تتحدث بافعالهِ وما من واحد منهم اخبرهُ بان اباهُ الامير حمزة بل كان يعرف ان اباه قيصر وامهُ مريم . وذات يوم قصد الخروج للصيد حسب العادة فوكل مكانهُ صديقهُ الصيصان واوسع في البر يطارد الاسود والذئاب والنمور والفهود وما وقعت عينهُ على واحد منها الاّ وطارده وضيق عليهِ المذاهب ثم اصطاده وجاء بهِ الى خدمهِ وفيما هو على مثل تلك الحالة وقد انفرد في جهة مفترق عن قومهِ واذا بامرأة قد اعترضتهُ وكانت هذه الامرأة اسما بري زوجة الامير حمزة وقالت لهُ اني بك مستجيرة ايها الامير فاجرني يجازيك الله . فقال وبما اجيرك قالت اعلم اني اسما بري حاكمة في جبال قاف ففي هذه الايام طمع في بلادي الشاه ياقوت الازرق حاكم المقاطعة الثالثة فجردت جيوشي ومردتي ففرقهم وتقوى عليّ فدعوت بكهاني وارهاطي واستشرتهم في امره لانهُ ملك اكثر بلادي وكاد يطردني من ملكي فقال لي احد الكهان ان الشاه ياقوت الازرق قوي لا يقتل الاّ من يد فارس ظهر في بلاد الانس اسمهُ رستم فرتم وحكى لي عن ابيك فقصدتك في الحال لاخذك معي لتقتل لي هذا العدو واذا فعلت ذلك اخبرتك عن ابيك واطلعتك على قصة امك معهُ وعلى قصتهِ معي ايضًا . قال ان ابي مات واي شيء تهمني قصتهُ وانا لا اعرفهُ ومات قبل ان ولدت . فقالت لهُ ان اباك لا يزال حيًّا وهو فارس فرسان هذا الزمان وسيدها وهذا الذي تقول انهُ ابوك هو جدك ابو امك . فغضب من ذلك وقال لها كانك تريدين ان تقولي ان امي اخذت واحدًا بالحرام فجاءت بي منهُ ولذلك اخفت اسمهُ عني . قالت كلا بل تزوجت بهِ حلالاً وحكت لهُ قصة امهِ مع الامير حمزة العرب من الى الاخر وقالت لهُ ان اباك هو الامير حمزة فارس برية الحجاز الذي اشتهر صيتهُ في كل مكان وناح وقد ذل بين يديهِ كل جبار عنيد وفارس صنديد وكاد يهلك دولة الاكاسرة وقد نزع منهم علمهم الاكبر واذلهم الى اخر الايام ولا ينفك عنهم الا ليبيدهم وهو زوجي ايضًا وحكت لهُ قصتهُ معها وكيف تزوجت بهِ وجاءت منهُ ببنت واعادت عليهِ كل قصتهِ مع مهردكار وكيف تزوج بها اخيرًا ففطن رستم الى هذا الكلام وخطر لهُ الصحيح وفكر ان امهُ كانت على الدوام تبكي وكلما جاء اليها راها باكية فيسالها عن السبب فتقول لهُ اني اتذكر ابوك واتمنى ان يكون حيًا وعارفًا بك فكم كان يفرح لذلك فيبكي هو ايضًا . ثم قالت لهُ ولكي تصدق مني ما اقولهُ

فانظر في المعضد الذي بيدك فهو منهُ وقد اهداهُ الى امك وعليهِ اسمهُ فنظر فيهِ وتحقق ذلك وقال لها وكيف لا تذهبين انت الى ابي وتستنجدين معونتهُ حتى جئتِ اليَّ قالت ان الكهين قال لي انك انت وحدك الذي تقدر على قتل الشاه ياقوت الازرق فلو جئت بالف واحد كابيك لما قدر على ذلك . فقال اني كنت لا ارغب في ان اذهب معك بل اريد ان اذهب الى ابي لكن حيث الامر كما قلتِ فاذهب معك لارى اختي قريشة واقتل لك الشاه ياقوت الازرق واعود في الحال . فرفعتهُ على عاتقها وجاءت بهِ جبال قاف ودخلت بهِ المقاطعة الثالثة فاوقفتهُ هناك واحضرت له سيفًا من الفولاذ مكتوب عليهِ اسماء وطلاسم من صنعة حكماء اليونان اذا ضرب بهِ الصخر قطعهُ او الحديد ابراه وقالت له خذ هذا السيف فانهُ ينفلق بهِ وجاءت بهِ حتى اوصلتهُ الى المكان المقيم بهِ ياقوت الازرق واشارت اليهِ واختفت فيتقدم رستم وهو كانهُ الاسد الكاسر غير خائف من كثرة المردة والارهاط التي كانت تحيط بهِ ولما قرب منهُ صاح بهِ وقال له ويلك ياشاه ياقوت لقد جئت لاقتلك واخذ روحك من جسدك واخلص اسما بري منك . فصاح بهِ الشاه ياقوت ويلك يا انسي من ادخلك بلادي فلا بد من قتلك ثم انحدف عليهِ ورماه بعمد من الحديد لو سقط على جبل لدكهُ فمال عنهُ باسرع من البرق وتمكن منهُ بضربة من حسامهِ جاءت في صدره خرق السيف فيهِ وخرج من ظهره فصاح من الالم ووقع الى الارض ماتًا فصاحت الارهاط واحتاطت بهِ من كل مكان وقصدت ان تفاجئهُ لتاخذ بثار سيدها منهُ فاشهر بيدهِ الحسام وعول على المدافعة وقتالهم واذا باسما بريّ ظهرت وصاحت ويلكم خلوا عنهُ والا هلكتكم عن اخركم وما عاد احد منكم يقدر ان يعصى لي امرًا ومن خالف اهلكتهُ واحرقتهُ بالنار فلما سمعوا صوتها تفرقوا واستجاروا وطلبوا الامان فامنتهم على ارواحهم وادخلتهم في طاعتها وامرتهم ان يحرقوا جثة ملكهم

ثم ان الارهاط دنوا منها وقبلوا يديها وتقدموا من الامير رستم فخدموه واحترموه وبعد ذلك اخذتهُ الى قصورها الشامخة واولمت له الولائم واجتمع باختهِ قريشة وسلم عليها وسلمت عليهِ واحبتهُ حبًا زائدًا وقالت له ان هيئتك كهيئة ابي قال وهل رايتهِ انت فاخبرتهُ بقصة ابيها وكيف ان امها كانت ترغب في ان تبقيهُ عندها فخلصتهُ وارسلتهُ الى بلاده وهو يقاتل الاعجام فقال لها اني احب ان ارجع الى بلادي حالاً لاخذ عساكري واسير اليهِ واقيم عندهُ ولا اعرف

انتهى الجزء الحادي عشر من قصة حمزة العرب ويليهِ
الجزء الثاني عشر عما قريب ان شاء الله

الجزء الثاني عشر

من قصة الامير حمزة البهلوان

كيف ان امي اخفت عني امرها وماذا تقصد بذلك قالت لا ريب انها تخاف من ان تترك بلادك وتذهب اليهِ وهو في عداوة عظيمة مع كسرى ملك الانس الاكبر ولهُ اكثر من عشرين سنة وقد لاقى اموراً كثيرة فطارة خاسراً وطوراً فائزاً ولكن اخبرك انهُ اشد العالم بسالةً ونشاطاً وكرامة واني اتمنى ان اكون عندهُ لو كان يمكني ذلك لان امي لا تفارق ملكها ولا تترك بلادها وليس لها غيري فالتزمت ان ابقى عندها . وبعد ذلك جاءت اسيا برّي بسيف الشاه يافوت الازرق ودفعتهُ الى رستم فرتم وقالت لهُ ان هذا السيف لا يثمن شمن فهو اعجوبة بين سيوف الانس والجان . قال لها حسناً فعلتِ واشكرك على ذلك ثم جاءتهُ بفرس ادهم وقالت لهُ ان هذا اسمهُ سلى الدهماء وهو اشبه بفرس ابيك اليقظان فلما راهُ زاد فرحهُ بهِ وسرَّ سروراً عظيماً وقال لها جزاك الله خيراً فاني بحاجة الى مثل هذا السيف والجواد . ثم انها اخذتهُ ودارت بهِ في كل النواحي حتى تفرج على كل ممالكها وصرف نحو اربعين يوماً وبعد ذلك طلب اليها ان ترجع بهِ الى بلادهِ . فاجابت الى ذلك وامرت خادمها كندك المارد ان يطير بهِ الى بلادهِ فحملهُ وحمل الجواد وطار بهما في الجوّ الاعلى حتى وصل الى قيصرية فانزلهُ في الخارج وودعهُ ورجع الى جبال قاف فركب الجواد وهو من تحتهِ كالبرج المشيد ونزل الى البلد فوجد قومهُ وجماعتهُ باضطراب عظيم وقلقٍ زائد ولما راوهُ انحدروا اليهِ وسلموا عليهِ وهم يتعجبون من فرسهِ وحالهِ وسالوهُ في اي مكان كان فاعاد عليهم القصة من اولها الى اخرها ومن ثم انصرف الى امهِ فوجدها باكية نائحة . فقال لها لما هذا البكاء قالت لهُ من اجل فرقتك فاني كنت مشغلة الفكر بسببك قال اني جئت ولا لزوم للبكاء بل للفرح وكثيراً ما رايتك على مثل هذه الحالة فاسالك فتقولين لي تذكرت اباك الى غير ذلك من التقولات الفارغة مع انك تخفين الحقيقة وتزعمين ان ابي مائتاً فاخبريني من هو ابي وكيف كانت قصتك معهُ لارى هل ان ما سمعتهُ صحيحاً . فتاكدت انهُ اطلع على حالة ابيهِ وعرفهُ . فقالت لم يبقَ من وجهٍ للاخفاء واني اريد ان اطلعك على حال ابيك ولو ما اطلعك احد عليهِ لان الوقت حكم بذلك فابوك هو الامير حمزة العرب ابن الامير ابراهيم امير مكة وقد جاء هذه البلاد وتزوج بي وحكت لهُ القصة من اولها الى اخرها وقالت لهُ اني كنت ناوية كل النية ان لا اخبرك بامر ابيك خوفاً من ان

تترك بلادك وتذهب اليهِ لانهُ في غنى عنك وهو رجل يحب الحروب والغارات وقد عادى اكبر ملوك هذا العالم وسيدهم الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان واخذ منهُ بنتهُ بالرغم عنهُ وتركهُ ذليلاً حقيرًا الى اخر الازمان . ولما غبت في هذه الايام وشغل فكرنا من اجلك خفت ان تكون اطلعت على سر المسألة وعرفت ما هو مخفٍ عليك فذهبت الى هناك ولم تعلم احدًا بذلك فارسلت رسولاً الى حلب فغاب اكثر من شهر ثم عاد اليَّ واخبرني ان العرب ذهبوا الى نهروان فقتلوا ابن عم كسرى وجماعتهُ ثم جمع عليهم كسرى ٢١ كرة من العساكر فحاربوهم عدة ايام وكادوا يبددون شملهم غير ان في الاخير تبارز ابوك مع فارس من الهنود يركب الافيال فجرحهُ وبعد ان جرحهُ رحل العرب كلهم الى مكة ولم ياتوا حلب مع ان نساءهم واولادهم هناك . ولا يعلم احد ماذا صار بهِ ولذلك تراني ابكي وانوح واندب حظي كيف اني لم اكن عندهُ لاخدمهُ واداري جرحهُ واكون قادرةً على الحصول على رضاه كغيري وربما يكون هذا الجرح مميتًا فيموت ولا اراهُ ولا يرى ولده رستم ويسر بهِ وندمت كثيرًا على ما سبق مني . فلما سمع رستم هذا الكلام قال لقد صح ما سمعتهُ يا اماه من ان ابي هو الامير حمزة واعتب عليك كيف اخفيت عني امرهُ وكيف تقبلين وانا اجلس هنا براحة وحظ وهو يقاتل الفرسان الكبار الذين اتمنى ان اقاتلهم في الميدان وخصوصًا ركبة الافيال الا تعلمين ان مثلي اذا كان عند ابي يفوز بهِ على العجم ولا ريب اني اعضدهُ واساعده . فقالت لهُ اني اعرف ذلك ولكن عند ابيك نحو ثلاثين فارس مثلك من نخبة الفرسان وابطالها كل واحد يتكفل بمائة الف فارس عند القتال بعضهم يقاتلون على الافيال وبعضهم على الخيول ولا سيما ان عندهم عمر العيار ابو عيارك سيار فانهُ آفة العرب ومدبرهم ومنجيهم من الشدائد والاخطار لا نظير لهُ في العالم قاطبة الا اذا كان ابنهُ سيار فاذا تعلم منهُ فن العيارة نفع العرب كثيرًا ثم اطلعتهُ على ان عمرًا تزوج باحدى جواريها فجاءت بهذا الولد فاختصهُ لخدمتهِ كما اختص ابوهُ اباهُ فقال لها كوني حاضرة فان لا صبر لي على فراق ابي واني بعد ثلاثة ايام سأسير الى مكة المطهرة وارى ابي هناك فان كان حيًّا اجتمعت بهِ واقمت عنده كل الايام واي شيء ارتجي في هذه البلاد واذا كان قد مات سرت الى بلاد كسرى وقتلتهُ ونزعتهُ عن الايوان وعدت فجمعت العرب من جديد ولا ارجع ما لم اخذ بثار ابي من قاتلهِ

وفي اليوم الثاني جاء الى سرايته واجتمع بالامير صيصان وقال لهُ نبه على رجالك ان تستعد الى السفر فاني قد عزمت على الرحيل الى مكة المشرفة . قال ماذا تريد ان تفعل هناك قال مرادي ان اذهب الى ابي الامير حمزة البهلوان فاقيم عندهُ حياتي بطولها ولا افارقهُ . فقال لهُ من ابن حمزة البهلوان والدك وهو فارس الحجاز وبطل هذا الزمان ومذل كسرى انوشروان

وعندهُ من الابطال والفرسان ما لا يوجد مثلهم في هذه الاكوان . قال وهل تعرفهُ قال كيف لا وقد مرَّ من بلادنا مرارًا فاضفناه وترحبنا بهِ خوفًا من سطوتهِ لانهُ جبار لا يصطلي لهُ بنار ولا يقف امامهُ لا صنديد ولا جبار وعنده فارس اسمهُ اندهوق بن سهلدون من الهنود يقاتل على الافيال وعنده ايضًا المعتدي حامي السواحل وهو نادرة هذا الزمان وقد تزوج باخته سلوى وعنده بشير ومباشر وقاهر الخيل ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وانضم الى خدمته الملك النجاشي ملك الحبش وعمر الاندلسي امير المغاربة وفارس الغرب وملوك التركمان والاكراد . وعندهُ ابنهُ عمر اليوناني ابن بنت ملك اليونان وابنهُ الامير سعد فارس هذا الزمان من طوربان بنت ابن عم كسرى الذي لا يلقاها فارس في ساحة الميدان وعنده ملك القسطنطينية وملك اليونان وغيرهم من الملوك العظام وفي الاخير انضم الى خدمتهِ وتحت رايتهِ فرهود صاحب التكرور وملك السودان وهو من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام . ولو كنت اعرف بان اباك الامير حمزة لاخبرتك عنهُ من زمان ولا تركتك تبقى هنا ولا يومًا واحدًا وانا على الدوام استقصي اخبارهُ واسال السياح والسعاة عما جرى بينهُ وبين كسرى لان هذه العداوة تهم العالم اجمع واصبح كل الناس من الشرق الى الغرب ينتظرون نتيجتها ليعرفوا نهايتها ولم يسمع ان حربًا اتصلت الى اكثر من عشرين سنة وكم هو جميل ان تكون مع ابيك واخوتك . فزاد شوق رستم الى ذلك وقال لا بد من المسير فهل سمعت ان ابي مجروحًا قال سمعت ذلك وانهُ اخذ الى مكة وسمعت ان الجرح غير مخطر وانا انتظر ان اسمع ماذا جرى بعد جرحه قال سنسعى نحن خلف ذلك . واشتهر في المدينة ان الملك ووكيلهُ الصيصان سيسيران الى مكة وقد اخبر بابيهِ الامير حمزة فاخذ كثيرون منهم ان يستعدوا للسفر معهُ الى مكة المطهرة وبعد ثلاثة ايام ركب فرسهُ وتقلد بسلاحهِ ورفع امهُ وجاريتها ام سيار على هودج من الحرير وسار عن قيصرية بعد ان اقام عليها حاكمًا من قبلهِ واوصاهُ بالعدل والانصاف وسار في ركابهِ نحو ثمانين الف فارس ما عدا العبيد والخدم وسار بين يديهِ سيار العيار كانهُ السهم الطيار وركب العساكر وما برحوا في مسيرهم ورستم يتمنى ان يطير ليصل الى مكة ويشاهد اباهُ واخوتهُ واهلهُ وهو يتصور كيف يجتمع بابيهِ اذا راه حيًّا وكم يفرح بهِ اذا راه وشاهد منهُ انهُ فارس عظيم ثقيل العيار وهو يسال الله ان يكون اباه في قيد الحياة ولما بقي بينهُ وبين مكة نحو يومين واستلموا الطريق القويم قال رستم للصيصان سر انت على مسير العساكر واعتني بوالدتي وانا ارغب في ان اسبقكم واجتمع بابي واعرفهُ بنفسي فلم يقدر على مخالفتهِ وسار كما تقدم معنا وبين يديهِ سيار العيار الى ان التقى بهِ عمر وجرى ما جرى واخبر بان اباه قد مات فزادهُ حسرة وضاعت كل امالهِ ولم يبقَ همهُ الا ان يأخذ لنفسهِ بالثار

فهذا ما كان من قصة رستم فرتم ولنرجع الى سياق الحديث فانه بقي في قتال داهور وهو يصول ويجول من حواليه كانه القضاء المنزل حتى اتعبه واكربه وضيع منه صوابه وشاهد تقصيره وعرف انه ما عاد يقدر على الثبات واذ ذاك سد عليه طرقه وطرائقه وصاح بصوت اشبه بالرعود القواصف رن في اذان تلك الجموع الغزيرة التي كانت مع كثرتها ساكنة لا تبدي حركة منتظرة نهاية القتال ماخوذة من افعال الامير رستم الذي لم يخلق على وجه البسيطة في ذاك الزمان اقدر منه بالجولان وسرعة الضرب والطعان فكان من هذا الصوت ان استدعى انتباه الجميع وسمعه البعيد والقريب من جيوش مملكتي الفرس والعرب وقال في صياحه هلموا ايها العرب اصحاب الشرف والحسب وكل من اليهم انتسب وانظروا فعل ابن الامير حمزة البهلوان في عدوه داهور الهندي القرنان وتذكروا هذه الضربة الى اخر الزمان وتناقلوها لسانًا عن لسان . وانسانًا عن انسان . ثم رفع يده بالحسام حتى بان ما تحت ابطه وصاح يالثارات الامير حمزة يا لثارات الامير حمزة ونزل بالسيف يهوي كانه الرعد القاصف وراى داهور ذلك فارتبك ولم يعد يعرف يمينه من شماله ورأى الموت عيانًا ومد يده بالطارقة ليلتقي سيف الامير رستم وهو سيف الشاه ياقوت الازرق فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين واصاب الخوذة فابراها واصاب راس داهور من اعلاه ففلقه ونزل السيف باسرع من لمح البصر حتى اصاب ظهر الفيل فنزل به نحو شبرين فوقع داهور قطعتين وضرب الفيل بخرطومه الارض من شدة الالم واراد ان يضرب رستم به وينتقم لنفسه منه فاسرع بان ضربه ضربة ثانية القاه ماتًا وسمع صوتًا من عموم العرب لا شلت يداك يانسل الاخيار وبالعكس صاحت رجال الاعجام وتمنت قطع يداه ووقع كسرى وبخنك بالغيظ والكدر وفي تلك الدقيقة صاح الامير حمزة بفرسان العرب ان تحمل من كل ناحية ومكان وحمل هو في مقدمتها كانه الاسد الريبال فارتمت العربان على الاعجام واشغلوا فيهم ضرب الحسام وقد ترجح لهم الفوز والنجاح في ذاك اليوم العظيم الاخطار الكثير الزحام فدافع العجم دفاعًا قويًا وقاتلوا قتالاً شديدًا على امل الثبوت الى اخر النهار ومن ثم يطلبون الهرب تحت ظلام الاعتكار فقامت القيامة وقلت السلامة واخذ الجبان الندامة فاندفقت الادمية كالسواقي من كل ناحية ومكان وتجدولت في حفر الارض كالغدران ولم يسبق أن سمع بمثل ذاك اليوم منذ قديم الازمان لان رستم فرتم فعل افعال الجان . فافنى جموع كسرى وشردها . واضاعها وبددها . وفعل مثله الامير حمزة البهلوان وهو مسرور القلب فرحان . باعمال ابنه عروس الميدان . وبطل الدهر والاوان . وكذلك عمر اليوناني فانه من فرحه ياخيه طال واستطال . واجهد نفسه في القتال وفرق الجموع من اليمين ومن الشمال . وتركهم عبرة لمن ياتي بعده في الاجيال . وهكذا الامير سعد فقد اكثر الكر والفر والقرب والبعد وهو يمدد بالرجال على

بساط الوهاد . ويضرب فيهم ضربًا يذهب بهم الى راحة الرقاد . اما اندهوق والمعتدي وباقي الفرسان الاقيال فقد فعلوا افعال أسود الدحال . ووطدوا العزم بان لا يرجعوا عن ساحة القتال الاّ بعد تفريق الاعجام الارذال . وفيما الحرب قائمة على ساق وقدم وقد اختلطت ببعضها تلك الامم مسلمة بارواحها الى سلطان العدم . واذا بالامير صيصان قد وصل ورای المعركة مشتبكة فحمل وحملت من خلفه فرسان الرومان من خلف الاعجام وعملوا في اقفيتهم بالصارم الصمصام . فتوهموا ان الارض كلها رجال وخاف كسرى من ان يقع في ايديهم او يصاب بمصاب فامر حراسة ان تسرع به من ذاك المكان وكرّ راجعًا بركض ومن خلفه بختك و بزرجمهر وباقي اعيان الفرس ولما راى قومه ان ملكهم قد هرب الووا اعنة خيولهم وطلبوا الفرار واملوا بالخلاص من العرب فلم يمكنهم منه حق التمكن بل داوموا القتل في اقفيتهم الى الظلام وقد قتلوا منهم كثيرًا ومن ثم رجعوا الى المدينة سالمين غانمين فرحين الاّ الامير رستم فانه جعل يبكي وقد تقدم منه الامير حمزة وقال له ياولداهُ هلمّ اليّ لاسلم عليك . فقال له قبل كل شيء وقبل ان اسلم على احد منكم دلوني على قبر ابي الامير حمزة لانزل عليه وابكي هنالك فلا اكون عرفت احدًا قبله لاني محروق الفواد على ان اراهُ ولم يسمح لي الزمان ان اقبل يديه واريد ان ابشر تراب ضريحه باني اخذت له بالثار من عدوه الغدار واعدهُ اني لا ارجع حتى افني الاكاسرة والاعجام ولا ادع واحدًا من عبدة النار واذا كان ذلك لا يكفي لحقت بني الانسان الذين لا يعبدون الواحد الديان فلما سمع حمزة كلامه تاكد انه يظنه ماتًا فرمى بنفسه عليه وقال له ابشر يا ولدي فقد نلت من زمانك ما تمنيته فانا هو ابوك حمزة وجعل يقبله فقبل يديه وهو يتعجب ويكاد لا يصدق انه ابوه بعد ان تحقق موته وحينئذٍ وصلت مريم بنت قيصر فنزلت عن الهودج وسلمت عليه باحتشام وقالت لابنها هوذا ابوك يا اماه . فقال اني اعجب من ذلك لان عمي عمرًا اخبرني انه قتل وان الذي قتله هو داهور الهندي . فقال عمر لا تصدق ذلك فهذا ابوك وما قلت لك ذلك الا لازيدك ميلاً للانتقام والحمد لله فقد قضيت الغرض وشفيت المرض

قال ومن ثم تقدم اليه جده الامير ابرهيم وسلم عليه فقبل يديه وتبرك من بركته وسلم عليه اخوه عمر اليوناني والملك النجاشي وباقي فرسان العرب وملوكها وساروا به الى صيوان اليون شاه والتقى باخيه السلطان قباط فقبل كل منهما الاخر وسلم عليه وجلس بقربه وهو ماخوذ من كثرة فرسان العرب وجعل كل واحد يهنيه بدوره ويسلم عليه وقد عاد فقبل يدي ابيه ثانيًا وقال له لا تلمني يا ابتاه على تقاعدي عن خدمتك الى هذا اليوم فاني كنت لا اعرف انك ابي وقد كتمت امي عني حديثكم ولو عرفته منذ الاول لكنت من زمان هنا واي شيء احب لديّ من اكون مع ابي واخوتي واهلي . فقال له ان امك معذورة في ذلك لانك وحيد عندها وحيث

كنت صغيرًا كان لا يسعها ان تشغل فكرك بغير ما يفيدك فاخفت عنك خبرنا واما عندما رات انك صرت كافيًا وافيًا بالمطلوب جاءت بك . واقام الامير رستم هناك باقي السهرة وقد اعاد عليهم قصته من الاول الى الاخر وبعد ذلك ساروا الى صيوان ضرب له بين قومه الرومان وفي اليوم الثاني عملوا له الولائم والدعوات وذبحوا الاغنام واصبحت المدينة المنورة زينة في الوجود ترهج وتبتهج باولئك الابطال والفرسان وسادات ذاك الزمان وصرفوا نحوًا من شهرين على مثل هذه الحال وقد غنم الكبير والصغير من احوال الاعجام وغنائمهم التي تركوها وصار صغيرهم وخادمهم يحوى على خيول وجمال وبغال واغنام وعدد الى غير ذلك كانه من الاغنياء وبعد مضي شهرين . جمع السلطان سادات وملوكهم وقال لهم انتم تعلمون ان كسرى لا يستخف به ولا يهمل فاذا تركناهُ على حالهِ عاد فجمع العساكر والابطال اكثر من الاول باضعاف وعاد الينا لان ما دام الوزير بختك عندهُ لا يتركهُ ان يسكت عن قتالنا . ومن الموافق ان نسير باجمعنا من هذا المكان وننزل في ضواحي المدائن ونطلب الى كسرى ان يسلمنا بختك وان يصالحنا على شروط نطلبها اليه فان اجاب قتلنا بختك وعدنا من هناك والا حاصرنا المدائن وهدمنا الايوان ونزعنا ملك كسرى الى اخر الايام . فاستصوب الجميع كلامهُ ورايهُ وعولوا عليهِ الى ان كان بعد عشرة ايام ركب الملك العربي وهو قباط ابن الامير حمزة بن ابرهيم ورفع فوق راسهِ علم بيكار الاشتهار ومشى بين يديهِ الخدم والعيارون واحتاط بهِ الحرس من كل ناح ومشت الفرسان كل قبيلة تحت امرة سيدها وتحت علمها المخصوص فمن مصريين واحباش وروماني ويونان ومغاربة وسودان وسوريين وهنود واكراد وتركمان غير الى ذلك من كثرة الاجناس وتنوعها وما زالوا في مسيرهم عدة ايام وليالٍ حتى وصلوا الى المدائن وهناك ضربوا خيامهم وسرحوا بانعامهم ووصل الخبر الى كسرى في الحال فخاف من ان يهجموا على المدينة فيدخلوا اليها ويملكوها وامر بان تقفل الابواب جيدًا ولا تفتح فيما بعد وجاصر في الداخل ينتظر الفرج وملاقاة امرهِ مع العرب وهو حزين جدًا على ما لحق بهِ من الفشل والخسارة والذل والعار وقد قلت قيمته وضعفت سلطته وكسرت شوكته . وبعد ان استقر بالعرب الجلوس اخذ الملك قباط فكتب كتابًا الى كسرى يقول له فيهِ

بسم الله الواحد القهار العزيز الجبار . خالق الليل والنهار لا اله الا هو رحيم رحمن له وحدهُ الملك والعظمة والسلطان

من الملك قباط ابن الامير حمزة ملك ملوك العربان الى الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

اعلم ايها الملك الاكبر اننا وان كنا قد فزنا عليك واستظهرنا ونلنا ما نتمناهُ الآ اننا ما

زلنا نعتبرك ونحترم قدرك لانك سلطان جليل القدر عظيم الشان وجدي ابو امي وابي هو صهرك ولذلك لا نرغب في اخراق حرمتك ونحب ان تستئصل هذا الشر والعناد من بيننا وذلك لا يمكن ولا يرتفع القتال وتعود الحال الى مجاريها الا بعد قتل بختك الوزير الذي كان السبب في كل ما جرى حتى قتل الوف والوف الوف بسببهِ منذ اول يوم دخل ابي المدائن الى هذا اليوم ولذلك نريد منك ان تسلمنا اياهُ لنقتلهُ بايدينا و بعد ذلك نعترف بسلطنة العرب واستقلالهم التام وان لا يكون للفرس عليهم فيما بعد لا جزية ولا ضريبة وان الملوك والبلدان التي دخلت في ايدينا تكون لنا مع ملحقاتها وتوابعها ومن شاء من الامراء والملوك ان يترك سلطة الفرس ويدخل تحت سلطة العرب يكون لهُ الخيار فلا احد يعترضهُ في ذلك ومن شاء من الذين مع العرب ان يخرج عن طاعتهم الان وينضم اليكم فلا نمنعهُ فاذا تم ذلك رحلنا عنك وتركنا لك بلادك وسالمناك الى الابد ونحن نامن على ذلك ما دام بختك لا يوجد في ديوانك والاَّ ما زال حيًّا فانهُ لا يلبث ان يعود الى الافساد فسلمنا اياهُ تسلم بلادك والا زحفنا عليك وخربنا ملكك واهلكناك ونزعنا تاج الاكاسرة منك وحملناهُ الى العرب ونقلنا الدولة الكسروية الى العربية وابدنا كل عبدة النار الى اخر الادهار فاذا اجبت كان خيرًا وسلامًا . والا فتلاقي ضيرًا وانتقامًا

وبعد ان فرغ من هذا الكتاب طواهُ وبعثهُ مع رسول الى كسرى فاخذه وسار بهِ الى الايوان فصعده وتقدم من كسرى وهو في ديوانهِ وسلمهُ التحرير فقراه وعرف رموزهُ ومعناهُ والتفت الى بختك وقال لهُ ماذا اجيب عنهُ والعرب يطلبون الينا ان نسلمهم اياك ليقتلوك ويعدموك الحياة وقد اصابوا في ذلك لانهم كانوا عبيدي وتحت طاعتي فعملت على هلاكهم حتى خرجوا عن طاعتي وعملوا على عداوتي وساعدهم الزمان واذا لم اجبهم هلكت الى الابد وخسرت الاعجام السلطة ابدًا قال اصبر ياسيدي عليَّ بعض ايام وانا اتعهد لك بارجاع العرب عن بلادك ريثما انظر في طريقة ترجع باللك وتحفظ حياتي وحياتك ولا تصدق ان العرب يرضون بي لانهم كذابون ويعلمون اني بتدبيري اقدر على انقراضهم وكبحهم فرغبوا في قتلي وبعد ذلك يسهل عليهم كل ما يطلبون وربما بعد قتلي طلبوا قتلك وحينئذٍ لا يعود يقف احد في طريقهم فاصرف الرسول الان الى ان نرى ما هو حسن . فسمع كسرى الى كلامهِ وخاف من ان يسلمهُ اليهم فيفقد تدبيره ومشورتهُ ويعدم من فطانتهِ وزكائهِ . والتفت الى الرسول وقال لهُ اننا سنرسل الجواب الى مولاك في غير هذا اليوم بحيث نكون قد فكرنا في طلبهِ فرجع الرسول واخذ بختك في التدبير والتفكر مدة ثلاثة ايام وهو يجهد نفسهُ ليرى طريقة يتخلص بها من العرب ويخلص المدائن و في اليوم الرابع جاء ديوان الملك كسرى وهو باسم الوجه مسرور الخاطر فقال لهُ في

ما فكرت فان الوقت حرج ونحن تحت الحصار. قال اني صرفت الجهد ولم ارَ الا طريقة واحدة وهي ان تبعث بوزيرك بزرجمهر الى سلطان العرب ويكون الواسطة لصرفهم عن المدينة لانهم يعتبرونه ويحبونه كواحد منهم ولما كان الامير حمزة يحضر في ديواننا كان لا يخالف ابدًا بزرجمهر ولا ريب انه اذا سالهم الانصراف انصرفوا واذا بقوا فيكون هو قد حملهم على ذلك وهذا اعتقادي ويقيني. فلما سمع كسرى هذا الكلام تمسك به وقال لبزرجمهر اي وزيري اني افوض اليك هذه المهمة واسالك دفع العرب عن المدينة واذا قصدت ذلك فانك تقدر عليه لا محالة. قال سابذل جهدي فيه وانت تعلم اني ارغب في حسم النزاع بينك وبينهم وكلما اجتهدت في اطفاء جمرة العدو وان اجتهد غيري في اشعالها ولذلك لا اظن ان العرب يصغون اليّ اذا لم يوافقهم كلامي قال لا بد من مسيرك اليهم فانت امين على بلادي فدبر ما شئت من هذا الوجه واصرف الغاية الى اقناعهم. فنهض بزرجمهر وركب بغلته ومشى خدامه في ركابه وخرج من المدينة وبقي سائرًا حتى وصل الى معسكر العرب. وهناك وصل الخبر الى الامير بقدومه فاسرع في الحال الى ملاقاته مع فرسان العرب اجمع ولما وصلوا اليه ترجل وسلم عليهم فسلموا عليه وقبلوا يديه ومشوا امامه باحتشام واحترام حتى دخل صيوان اليون شاه فلاقاه السلطان الى الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه وامر ان يؤتى له بالشراب وقال له الامير لم تاتنا ياسيدي الا لغاية مهمة لا نعلمها فافدنا عنها هل ان كسرى قبل ان يسلمنا بختك ويقبل الشروط التي اشار بها ولدي قباط سلطان العرب. قال اعلم ان بختك طلب الى كسرى ان يرسلني اليكم بشان الصلح وادفعكم عن المدينة وكنت احب ان لا اجيئكم في ذلك لكنه الحّ عليّ به. فقال السلطان قباط انظر ايها الوزير الحكيم في كل شيء تريده فاننا باجمعنا طوع امرك وتحت ارادتك ولا نعصى لك امرًا قط فاذا امرتنا بالرحيل رحلنا واذا امرتنا بالبقاء بقينا. قال اني مرتاب في هذا الامر لان بختك اذا رحلتم يعود الى اضرام نار البغض في قلب كسرى فيعيده الى الحرب والقتال ويجمع ضدكم الفرسان والابطال وربما اكثر من الاول باضعاف ولا اعلم ماذا تنتهي اليه فيما بعد احوالكم مع انكم الان قادرون على اجباره على كل ما تريدون وجل غايتي ان تقرضوا الدولة الكسروية لا لقلة امانتي لها ولا بغضًا بها بل لانها تبغض كل من يعبد الله سبحانه وتعالى وعاملة على عبادة النار في المساء والصباح وباقي الاوقات واي شيء احب لديّ من ان ارى الاعجام باجمعهم يسجدون لله ويوحدونه ويسبحونه ويسمعون كلمته ويهدمون معابد النيران. ومن وجه اخر اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل ويشتبه كسرى في امانتي ويظن اني اتفقت معكم على دوام العناد

فحينئذٍ قال له الامير حمزة اننا نحترم قدومك علينا فلا نعيدك بالخيبة فاخبر كسرى انا

صالحناه ولا نريد منهُ شرطاً غير اننا لا نرحل عن بلاده بل نبتعد نحو شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة فيمكن لرجالنا ان يدخلوا المدينة ولرجال الاعجام ان ياتوا معسكرنا دون ان يكون بيننا من العداوة ما يمنع ذلك ومن ثم نرى ما يكون من امره وهل ان باطنهُ صفى الى الغاية ويمكن في هذه المدة ان نرتاح نحن ايضاً من اتعاب السفر. واسارك ايضاً ان بختك لا يمكن ان يرانا بالقرب من المدينة و يسكت عن عداوتنا فاذا بدأ منهُ شيء جديد يكون الحق عليهِ ونحتج امام كسرى بانهُ ماعمل على الوفاء بل يقصد لنا الشر. فاستصوب بزرجمهر ذلك واقام عندهم نحو ساعتين وقد تناول الطعام وشرب الشراب و ودعهم وعاد الى المدينة ففتحت لهُ الابواب ودخل وسار الى الديوان. فقال لهُ كسرى اخبرا يها الوزير العاقل هل قبل العرب واجابوا الى الصلح. قال اني صرفت وقتاً بالمخابرة معهم وجل ما قدرت ان اجريهُ هو انهم قبلوا بالصلح وان لا يطلبوا لذلك شروطاً ولكن لم يقبلوا بالرحيل لخوفهم ان بختك يعيد اليك جرثومة الانتقام فتجمع العساكر بقصد حربهم فاعتمدوا ان يقيموا مدة شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة وما من مانع يمنع اختلاط العسكرين اذ لا يكون بينهما لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وكل ما مضى يكون منسياً من الطرفين فقط لا يحضرون الى ديوانك ولا يحضر احد من قومنا الى ديوانهم فلما سمع كسرى ذلك سرَّ سروراً لا مزيد عليهِ وقال لا بد من ان في هذه المدة نرى طريقة الى مرضاة العرب وحيث وعدوا بعدم القتال فانهم يقومون بوعدهم وكذلك بختك فانهُ رأى ان العرب قد تنازلوا عن قتلهِ فلم يعد يهتم الا بهلاكهم وامن على نفسهِ من الموت والهلاك

واجلى العرب عن المدينة و بعدوا قليلاً عنها وانتشر خبر السلام بين العرب والعجم فس[ر]
لهُ جميع سكان المدينة وفكروا ان الحرب ستنقضي بعد مدة ولا يكون من ثم عداوة بين الف[ريقين] في
وصار اهل البلد يخرجون الى معسكر العرب و يبيعونهم من فاكهتهم واثمارهم ولم يبق ستعاد
يمنعهم عن بعضهم البعض ودامت هذه الحال الى مدة سبعة ايام. غير ان في كا بيوفي الغد
كان لهيب العدوان يشتعل في قلب بختك الوزير حتى كاد يقتلهُ واعمي ـولك واجابك
صوابهُ ففضل الموت على هذه الحالة واخذ يبحث عن طريقة تكدر العر شبهة ولا ارتياب.
حرق قلب الامير حمزة و يتركهُ بلا راحة طول حياتهِ و يضعف
ذلك الا السعي الى قتل اولادهِ واحداً بعد واحدٍ اما بالحيا رستم وهو باكي العين مظهر
ولما تقرر في ذهنهِ هذا الامر جعل يفكر في اتمامهِ وكا ـد ظلمك وانت بدون شك لا
اليوناني يمات الامير حمزة حزناً عليهما وكانت اخرتهُ لم يصدق كلامي ولا يزال مصرّاً ان
ذلك الى ان لاح لهُ وجه الحيلة. وحينئذٍ اجتم ـي تعبده اني لا اقصد شرّاً وانت صرت منذ

اطلعك على امر لك فيهِ الخير والنجاح ولكن قبل كل شيء ارغب في ان تقسم لي بكتمان الامر وعدم اظهاره امام احد من كبير وصغير قبل اتمامهِ . فاقسم لهُ بذلك وشد الاقسام . فقال اعلم ايها السيد العظيم اني في هذا اليوم اجتمعت بابيك ودار بيني وبينهُ الكلام بشان الملك فقال لقد سئمت نفسي وارى ان ايام حياتي الاخيرة لم تكن ايام راحة وهناء ولذلك اريد التنازل عن الملك لولدي خرسف لانهُ حكيم عاقل وصاحب تدبير وهمة ونشاط . فاعترضت عليهِ في ذلك وقلت لهُ اذا كنت قد نويت كل النية على التنازل فسلم الملك الى ابنك فرمزتاج لانهُ ذو همة ونشاط واشد ادراكًا من اخيهِ خرسف فقال لي ان فرمزتاج محب للعرب وفي كل يوم يذهب الى ما بينهم واني حتى اليوم ما رايت منهُ عملاً يذكر يستحق بهِ ان يكون ملكًا على بلاد الاعجام وطال بيني وبينهُ الجدال ولم اوافقهُ عليهِ وحاولت ان اترك المخابرة بهذا الشان الى يوم اخر بينما اكون قد اجتمعت بك ودبرنا طريقة ترضي ابيك ويظهر بها فضلك على العجم . فلما سمع فرمزتاج ذلك انعطف اليهِ قلبهُ وقال لبختك انت ابي فدبر امري وانظر في ان لا ياخذ الملك اخي خرسف فاني لا اطيق ذلك ولو خسرت روحي واذا ساعدتني عليهِ شاركتك في الحكم وجعلت لك الارزاق زيادة عما لك الان . قال اني فكرت في ذلك كثيرًا فلم ارَ الاَّ طريقة واحدة وهي اقدر بها ان امنع ابوك واقوده وازيل من راسهِ الحجة التي يحتج بها ويلزمك لذلك ان تكون حكيماً خبيرًا الى حين ينفذ الامر . قال قل ما تشاء فاني اخاطر بروحي لاجل غايتي . قال انت تعلم الان ان السلام واقع بيننا وبين العرب الى مدة شهرين وبعد ذلك لا بد من عودتهم الى الحرب فينزعون الملك منا وقد رايت رأيًا حسنًا وهو ان تتوصل الى اسر احد اولاد الامير حمزة وتخفي امرهِ ثم تاسر غيره حتى نضعف العرب فاذهب اولاً الى قطر اليوناني وكل الطعام عندهُ وابسط مودتك اليهِ وفي اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث بختك ادلهِ قصرك واحذر من ان يعلم احد بذلك ومن ثم نقبض عليهِ ونسلمهُ الى ابيك واقول لهُ ضدكم الفرسان يهتم بامر الملك ويظهر بان اعمالهُ ناجحة ثم ارى ما يكون وعليَّ فيما بعد تدبير الاحوال احوالكم مع انكم الاآل فرمزتاج سوف انهي لك ما اشرت وافعل ما اردت فكن مطمئنًا ولا ادع الكسرويةلا لقلة اماتيكون ابي راضيًا عليهِ اكثر مني

عبادة النار في المساء والصباح واوصاه بالمحافظة على هذا السر كثيرًا وان لا يدع العرب يدركون يسجدون لله ويوحدونهُ ويسجونه سف ابن كسرى الثاني وقال لهُ نفس الكلام الذي قالهُ لاخيهِ اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل اليهِ وقد دافع في ذلك وعاندهُ كثيرًا فارتاع خرسف وسلم دوام العناد يي فمن غيرك لا اروم نجاحًا . قال اني رايت من

فحينئذٍ قال لهُ الامير حمزة اننا نحترم قدومكم فرتم بن الامير حمزة ونصادقهُ ونضيفهُ ثلاثة ايام

سرًّا ثم تعزمهُ الى قصرك ليتناول الطعام عندك وحينئذٍ نقبض عليهِ ونسلمهُ الى ابيك فيعرف
فضلك على اخيك واهتمامك بامر نجاح الدولة . قال سوف ترى مني ما يرضيك ولا بد من
اسر رستم فرتم بالحيلة التي دبرناها وبذلك اكون مستحقًا الملك وممتازًا بالاعمال على اخي .
وسرَّ الوزير بختك لما راى ان الاثنين انقادا اليهِ ولاح لهُ ان اولاد الامير سيقعا في يديهِ قريبًا
فيعدمهما الحياة ومن ثم يدبر في هلاك غيرهما . وفي الصباح خرج قرمزتاج من المدينة وسار حتى
جاء صيوان عمر اليوناني فدخل وسلم عليهِ فترحب بهِ كل الترحيب ولاقاه احترامًا لزيارتهِ
وقال ابن كسرى اني رايت من العار علينا ان يكون السلام بيننا ونحن نتقاعد عن خدمتكم
وزيارتكم اولاً لانكم ضيوفنا وفي بلادنا وثانيًا لاننا نرغب في ان نمكن المودة بين العرب والعجم
ونقلع الشر ونزيل الاسباب ونعطي العرب حقهم ولو اطاعني ابي الان لقتل بختك بن قرقيش
ورضي على ابيك وارتاح باقي عمره لكنهُ يحبهُ كثيرًا ويعتبر كلامهُ ويخاف نفوذهُ وانا اصبحت
مغتاظًا من ذلك ولا بد من ان نصطحب نحن ونجعل حدًّا لهذا العدوان مع اننا كلنا من الجنس
البشري وعبادة الحكم هي اصح بكثير من عبادة النار الموجعة . فقال لهُ عمر ان الشر لا ينقلع من
بيننا الا بعد ان تسلمونا بختك قال اني لا اقبل بالحرب بعد ذلك فكن شاهدًا عليَّ . وحينئذٍ
امر عمر بان يوتى بالطعام والشراب ووقع بينهما الاصطحاب والتوداد واقام كل ذاك اليوم هناك
وعند المساء عاد الى المدينة واطلع بختك على ما كان فمدح منهُ كثيرًا وسرَّ من اعمالهِ وحينئذٍ
جاء خرسف فصرف قرمزتاج وقال لهُ لا تظهر امام اخيك شيئًا من هذا لانهُ ربما يكون ادرك
غاية ابيك فجاء اليَّ لاقر اليهِ الملك وادعهُ يسلمهُ اياه وهذا لا يمكن ابدًا فودعهُ وخرج فرحًا
ثم دخل خرسف وقال لهُ اني ذهبت في هذا اليوم الى الامير واقمت عنده كل النهار وقد اكرمني
مزيد الاكرام واضافني الضيافة الحسنة واعاد عليَّ مرارًا الرجاء باستئناف الزيارة فوعدتهُ
ورجوتهُ زيارة فاجاب اني عندما ادعوهِ ياتي وانهُ يريد الفرجة على المدينة حيث لا يعرفها في الغد
ولا بد لهُ من المساعدة في حسم النزاع بين الدولتين اذا سلمناك اليهم وقد وعدتهُ بنوالك واجابك
تممت النار مسعاك فاذا فعلت ذلك نلت السعادة والاقبال ووقفت على اخيك بلا شبهة ولا ارتياب .
في التملك على البلاد باجمعها وقد رايت اخاك الان عندي وهو يريد م
على تسليم الملك ليدهِ لانهُ ادرك ذلك وعرفهُ وربما كان ابوك رستم وهو باكي العين مظهرًا
بذلك فصدق خرسف هذا الكلام وعزم كل العزم على اتخاذ ظلمك وانت بدون شك لا
اليوم الثالث لا بد من ان ياتي بالامير رستم الى المدينة وهو لم يصدق كلامي ولا يزال مصرًّا ان
ومن ثم فارقهُ وذهب الى قصره مشغل البال خوفًا
اخوهُ قرمزتاج وفي اليوم الثاني ذهب كل واحد منهما في تعبده اني لا اقصد شرًّا وانت صرت منذ

بيتهما وعند المساء رجعا واخبرا بختك بكل ما كان في ذلك اليوم وفي اليوم الثالث فعلا كالاول وقبل انصراف النهار بقليل دعى قرمزتاج عمرًا ان يزوره والحّ عليهِ وانهُ قد اعد لهُ الضيافة الى مدة ثلاثة ايام ليقابل زيارتهُ بالمثل وانهُ يذهب واياه الى قصرهِ ويعرف جميع الفرس بهذا الحب ويؤملون النجاح ورجوع المحبة بين الجميع الى الابد فوعدهُ بكل خير وقال لهُ اني اذهب واياك منذ الان وفي الحال سارا وبعد نحو دقائق قليلة سار ايضًا رستم وخرسف وهما لا يعلمان شيئًا من امر عمر وقرمزتاج ومشيا في طريق المدائن فهذا ما كان منهم واما ما كان من عمر العيار فانهُ كان قد راى اولاد كسرى يخرجان من المدينة وكل واحد يسير الى صيوان واحد من اولاد حمزة فقال في نفسهِ لا بد من دسيسة يدسها الان بختك ولا بد من كبح عملهِ ومنع غايتهِ وجعل يراقب الحركات في الليل والنهار الى ان راى في ذلك اليوم عمر اليوناني سائرًا مع قرمزتاج الى جهة المدينة فقال قد تمت الحيلة ولا بد من اخبار حمزة قبل بلوغها ابواب المدينة وانطلق راكضًا وقبل ان يصل الى صيوان الامير حمزة راى الامير رستم وخرسف ايضًا سائرين فعرف باطن المسئلة واسرع حتى جاء صيوان اليونشاه وقال لحمزة انهض وانظر فعل العجم لتتاكد لك الخيانة فقد احتالوا على ابنيك وسحبوهما وهما الان سائرين الى المدينة ليقبضوا عليهما ويقتلوهما فركض حمزة في الحال الى جوادهِ فركبه وسار بهِ عمر كالبرق الخاطف حتى اوصلهُ من اقرب طريق الى باب المدينة واوقفهُ هناك وجوادهُ يكاد يهلك من كثرة الجرى والعرق يتدفق من مسام جلدهِ واذ ذاك وصل اليهِ عمر اليوناني ومعهُ ابن كسرى الاكبر ولما وصلا اليهِ حياه قرمزتاج وهو متكدر الخاطر وقد خفق قلبهُ وخاف من ان يكون حمزة قد لحظ الى هذه الدسيسة فلم يجب الامير الا باللوم والتعنيف ولعن ابن كسرى وشتمهُ وقال لهُ لولا وعد الوزير بزرجمهر عمرينة والسلام لقتلتك الان وخربت المدينة قال وما هو ذنبي يا سيدي ونحن الان اصدقاء اعزمهُ اخي ثلاثة ايام عند ابنك وما خفت على نفسي وكيف اغدر بهِ وهو صار كاخي قال لا هوذا ولدك يجد الخيانة والا لما قصدت ان تدعوهُ الى الضيافة الى قصرك دون ان يكون لنا ونهاية العمل . فعرفة ولو تمت حيلتك لتعذر علينا معرفة مكانهِ وفي الحال وصل الامير رستم اخي ياخذ الملك ويكونا كالاول وقد ارجع اولاده وطرد اولاد كسرى وجاء الصيوان وهو

ثم ان بختك فارق قرمزتاج كل واحد في مقامهِ استعاد حمزة القصة من ولدهِ فاخبره كل ما هي غايتهُ واجتمع بالامير خرزضيفهِ وقال لهُ رستم انك تظلم خرسف لانهُ لا يقصد شرًّا ولا من ان اباه يرغب في تسليم الملك ايار ان كل الشر في قلبهِ والمقصد الوحيد هو القبض عليكما بكل ارادتهِ الى بختك وقال لهُ دبر في امرلم يدع ان يعرف احدكما بالاخر . قال وما ذلك الصواب ارضاء لخاطر ابيك ان نسعى الى رسيلاد ملك عظيم ومن شرفاء الفرس ونحن ايضًا في

مقامها ولنا الحق بالاجتماع مع بعضنا وجل غايتي ان اتفرج على المدينة واذا قصدوا الشر لنا لا يصادفون نجاحًا لاننا نقدر على الدفاع عن انفسنا حتى هلاكهم جميعًا فكونوا براحة على انفسنا فقال الامير حمزة اني اعرف جيدًا مكرهم وخداعهم فلا اريد بعد الان ان يخاطر احد من اولادي بنفسهِ واني احرم دخول المدينة على كل واحد من فرساني بدون علمي وعلم السلطان قباط . وكان عمر اليوناني قد ادرك هذه الغاية وعرف الحيلة فقال لابيهِ كن براحة يا ابي فاننا نعدك بان لا نفعل شيئًا فيما بعد الا بشورك ومعرفتك ولولا عمي عمر لنفذ فينا المقدر وتمت حيلة الفرس فالحمد لله على ما انعم علينا بهِ فهو لا يريد لنا شرًا

وكان رستم لا يزال متصورًا في عقلهِ ان ابن كسرى لا يقصد لهُ شرًا وان من غايتهِ ان يجازيهُ بالجميل على اكرامهِ اياه ولذلك كان قلبهُ لا يزال منعطفًا الى جهة خرسف ولكنهُ سكت احترامًا لابيهِ ووعده كاخيهِ . وكان بختك في ذاك اليوم ينتظر رجوع اولاد كسرى ناجحًا وهو يعد نفسهُ بالقبض على ابني حمزة العظيمين وعند المساء ذهب الى قصر قرمزتاج وقد راهُ تعوّق ولم يحضر اليهِ فدخل عليهِ وسالهُ عما كان من امره فقال لهُ قد ادرك الامير حمزة غايتنا واهاننا وطردنا فتكدرت من ذلك وندمت على كل ما جرى مني قال لا باس من ذلك فيجب ان تكون ثابت العزم قوي الجنان ويمكنك ان تقنع عمرًا ان لا غاية لك في دعوتهِ الا محبة وصداقة وان اباه قد ظلمك . قال هذا لا اريدهُ ولا افعلهُ ولا يمكن ان يصدق عمرًا كلامي ولا يصغي الى قولي فدع اخي ياخذ الملك وحده وقد ادركت غايتهُ لانهُ يفعل كفعلي وقد احتال الى ان جاء بالامير رستم الى باب البلد . قال لا تلوِ عزمك بل شده ولا بد من النجاح . قال لا مطمع لك باقناعي فاذهب الى اخي ودعهُ ينفذ غاية ابي وياخذ الملك وحده لاني لا انكر فضل حمزة وقد اطلق سبيلي بالوقت الذي كان يقدر فيهِ على هلاكي وانا اسير عنده واكرمني الاكرام الزائد وقد خجلت منهُ كثيرًا في الامس . ولما يئس منهُ تركهُ وجاء الى خرسف واستعاد منهُ الحديث فاخبره بهِ . قال لا بد ان رستم يقبل عذرك ويصدق اقسامك فاذهب اليهِ في الغد واقسم لهُ ان ما من شر نقصد وان جل غايتك اكرامهُ واحترامهُ واذا صدق قولك واجابك ونزل معك فتذلل بين يديهِ وتصنع كل التصنع حتى لا يبقى عنده وجه للشبهة ولا ارتياب . فوعده بكل نجاح

وفي اليوم الثاني خرج خرسف حسب عادتهِ وجاء صيوان رستم وهو باكي العين مظهرًا الحزن فلاقاه الامير رستم واظهر لهُ خجلة منهُ وقال لهُ ان ابي قد ظلمك وانت بدون شك لا تقصد لي ضيرًا وقد اطلعتهُ على ذلك وبينت لهُ غلطهُ فلم يصدق كلامي ولا يزال مصرًا ان غايتك رديئة فقال لهُ اني اقسم لك بالمعبود الذي نعبده اني لا اقصد شرًا وانت صرت منذ

الان اني وما سعيت هذا المسعى ودعوتك لضيافتنا الا املاً بان تزورنا وترى حسن مقامك عندنا وتتفرج على بلادنا وقصورنا وفي الاخير تتسهل طرق المصالحة بين العرب والعجم . وهذا الطلبة منك لاني ساكون بعد ابي الحاكم في الامة الفارسية فاذاً بقيت سالمة كان من خيري ونجاحي وفي كل نيتي ان احتال على بختك واقبض عليهِ واسلمك اياه فتسلمهُ الى ابيك ومن بعد ذلك يعود السلام بيننا وبينكم وانا لا الوم اباك على فعلهِ وعلى عدم ركونهِ انا لاننا طالما غدرنا بكم وهو يخاف من بختك لانهُ خبيث لا يامن قط للعرب ويرغب في هلاككم وبسبب اعمالهِ سيقود بلادنا الى حفر الخراب اذا لم نتدارك الامر ونرتاح من شره . قال صدقت ان كل خوف ابي من غدر وزيركم الاول فهو مشهور بالخبث ولا بد من ان نقدمهُ لهُ ليقتلهُ ويصدق صدق نيتك . ثم امر ان يقدم اليهِ الطعام والشراب وصرف النهار على الحظ وشرب العقار وعند المساء اراد خرسف ان يعود الى المدينة فلم يدعهُ رستم وقال لهُ بل من الواجب ان تنام هنا هذه الليلة قال لا اقدر على ذلك واذا نمت الليلة فيلزمني ان اذهب في الصباح ليرتاح فكر ابي لانهُ يعلم اني عند العرب وربما اشغل بالهُ بختك وقال لهُ ان الاعداء مسكوا ابنك وقتلوهُ . قال نم الليلة هنا وفي الصباح اذهب واياك الى المدينة وابقى عندك كل النهار والمساء . قال اذا وعدتني بذلك صبرت الى الصباح وسرنا معاً فاقسم لهُ انهُ يذهب معهُ . فنام خرسف تلك الليلة عند رستم وتعجب من سلامة قلبهِ وكاد يطير من الفرح وامل انهُ في صباح اليوم القادم يبكر الى الذهاب وياخذه معهُ ولا يمكن ان يصادفهُ عمر العيار او الامير حمزة او غيرهما ولكن عينا عمر لا تناماني فانهُ كان راقبهُ كل المراقبة وعرف انهُ سينام هناك تلك الليلة فجاء وسهر عليهِ خوفاً من ان يغدر بهِ وصرف الليل ساهراً ولما لم يرهُ قد فعل شيئاً وتاكد انهُ لا يقصد او بالحري لا يجسر ان يفعل شيئاً هناك خرج قبل الصباح واقام خلف الصيوان حتى راى الامير رستم وخرسف قد نهضا وركبا جواديهما وعولا على الذهاب وحينئذٍ تاثرهما وارسل ابنهُ سياراً ان يسرع الى الامير حمزة ويخبره بقصد رستم من الدخول الى المدائن فلما سمع الامير ذلك طار صوابهُ ونهض الى اليقظان فركبهُ واطلق لهُ العنان حتى ادرك ولده وخرسف فاشهر السيف وقال لابن كسرى انك لا تزال مصراً على الخبث والخداع حتى تحرمني ولدي فاني ارى في قتلك خيراً وسلامة لاولادي فاعترض رستم في طريقهِ وقال لهُ ما من حق عليهِ يا ابي فانهُ كان لا يريد ان انزل معهُ المدينة خيفة منك وها انا راجع الان حسب امرك فاعفُ عنهُ . ثم امر خرسف ان ينطلق مسرعاً الى المدينة من وجه ابيهِ . ففعل ورجع الامير وابنهُ الى صيوان اليون شاه واجلسهُ بقرب اخيهِ الى ان ارتاح وحينئذٍ قال لولده قباط ولجميع الحضور انتم تعلمون ايها الفرسان اني اوصيت ولدي بعدم النزول الى البلد ووعدني بذلك وها اليوم قد

عصاني وعاد فانقاد الى خرسف وهم ينصبون له شراك الهلاك والعذاب فاذا وقع فيها يقع الهم والحزن عليّ فانصفوني منه وكونوا انتم الحكم

وحينئذٍ التفت السلطان قباط الى اخيه وقال انا نعذرك على سلامة قلبك وحسن طويتك وما ذلك الاّ كونك تجهل حالة الفرس ونظن انهم اهل زمام والصحيح انهم من الاوباش الادنياء ينصبون لك حبائل الخداع ليصطادوك وانت تعلم ان اباك يحب صالحك ويرضى في سلامتك وهم يسعون في قتلك ليحرقوا قلب ابيك عليك واخيرًا يعتذرون او يتظاهرون بالانكار ونحن لا نعرف كيف ذهبت او قتلت والاّ لو اننا نتاكد شرف الفرس ومحافظتهم على الامانة وكرههم في الخيانة لتركناك تذهب وما في ذهابك من مانع عندنا وقد غدروا بنا قبل الان وكدت انا وامي وطوربان وابنها الامير سعد جميعنا نقتل ونحرق بالنار لو لم يسرع الى خلاصنا وزيري عمر العيار قال اني لا احب ان اخالف ابي واقسم لكم بالله العظيم اني ما عدت انزل البلد الا بامر ابي ولكني لا ازال اتردد في سلامة قلب ابن كسرى لانه يخلص الود لي كثيرًا ولا يحب الا ان يضيفني لهذه الغاية . فلما اطمئن قلب حمزة من قبل ابنه رستم وتاكد انه ما عاد يسير مع خرسف الى البلد ارتاح باله وصار ينتظر نهاية المدة المضروبة للهدنة ليرى بعد ذلك ما يكون من امرهم وامر الاعجام

فهذا ما كان من حمزة واما ما كان من بختك فانه عندما عرف برجوع خرسف وحده جاء اليه وقال له اظنك لم تفز بالمطلوب في هذا اليوم فحكى له ما كان من امره مع رستم وكيف تخلص من شركه باتباع ابيه في اثره وان كل ذلك كان من عمر العيار لانه راه يتاثرهما . فقال له اني اعرف انه خبيث محتال وقد راكما في الطريق فظن السوء وادرك معنى الامر فلم يبقَ لنا من مطمع فيه وانا اعرف واتاكد ان رستم يحبك كثيرًا ولا بد من مداومة الخروج اليه وتمكين الالفة . قال دعني من ذلك فاني متاكد انه ما عاد يصدقني ولا يمكن ان ياتي المدينة معي واذا وقع حمزة بي مرة اخرى اهلكني لا محالة قال اني لا اريد في هذه المرة ان تطلب اليه الاتيان الى المدينة بل بالعكس اظهر عدم رغبتك في ذلك وبعد يومين او ثلاثة ايام اذهب واياه الى الصيد واعمل ما هو كذا وكذا وعلمه ما ينبغي عمله واوصاه بالحرص . فاجاب طلبه وبقي ذاك اليوم في البلد وفي اليوم الثاني جاء الى رستم وسلم عليه فارتاب وقال لو لم يقصد الشرّ لما فعل ما فعل وعاد بعد ان لحق به من الاهانة ما لحق فاظهر البرود والنفور في ملاقاته فلم يعتنِ في ذلك بل قال لي لقد اقسمت يا اخي اني ما زلت حيًّا لا اقبل بدخولك معي المدينة الاّ اذا كان ابوك وعمك عمر العيار معك وباقي الفرسان لانه لا يصدق بصدق نيتي وفي الاخير كادَ يقتلني وحيث لم يبقَ لي صبر عنك فاريد منك ان تقبلني في كل يوم عندك فيكون

ابوك امينًا واكون انا ايضًا امينًا على نفسي لان الحياة عندي عزيزة جدًا فلا اخاطر بنفسي قط فلما سمع كلامهُ اعتقد انهُ لا يريد الشر . فقال لهُ انك وإن كنت سليم النية لكنك ابن أكبر عدو لابي فلا يمكن ان يركن لكم وقد غدرتم بهِ كثيرا وانا لا اريد أن اخالف ابي فما عدت اريد الدخول الى المدينة الا بامره فابقَ انت عندي في كل يوم الى حين ينتهي امرنا . قال ارغب ان أتعلم منك بعض فنون الحرب وصيد الوحوش وإنسلى بك ولا افارق ركابك واعتقد كل الاعتقاد انك ستساعدني الى الحصول على عرش الفرس وطرد كسرى ابي وبختك ونزع هذا الشر لان لولاهم لما كان يغضب ابوك عليَّ ولا يخاف عليك ومعظم خوفهِ من بختك الخبيث اللعين ولا ريب انهُ اذا عرف بوجودك في قصري ربما تسبب الى اغاظتي او فعل ما لم يكن لنا في حساب وفي الاخير اقع انا وينسب لي الغدر والخيانة . فقال الامير رستم حبًا وكرامة فاني اريدك في كل يوم ان ترافقني في الصيد والتنزه ولا سيما انك تعرف مكان الغزلان والوحوش فتدلني عليها وتذهب بي الى مرابضها لان هذه البلاد هي بلادك ومعتاد كل العادة عليها وتعرف داخلها وخارجها

وعلى ذلك اتفقا وكان رستم في كل يوم يذهب الى الصيد من الصباح الى المساء ويعود ومعهُ خرسف فيفترقان قبل نصف الطريق ويأتي الاول الى قبيلتهِ والثاني يسير الى مدينتهِ الى ان كان ذات يوم خرج رستم الى الصيد وبين يديهِ سيار والى جانبهِ خرسف ولما سار بهِ في أكمة عالية تحدر الى لحف جبل فيهِ من الوحوش شيءٌ كثير ودار بهِ حول وادٍ عظيم في طريق صعبة المسلك لا يمكن المرور منها الا في وسط النهار وقبل العصر اوصلهُ الى سهل كثير الاشجار ترعى بهِ الغزلان في كل مكان وتسير اسرابًا فسرَّ رستم من ذلك وجعل يرمي منها كيف مال وهي تنفر بين يديهِ وسرَّ كثيرًا من اتيانهِ الى ذلك السهل ولا زال حتى غابت الشمس وهو مسرور مزيد السرور وقد اصطاد كثيرًا واراد الرجوع فتوقف خرسف وقال لهُ في اي طريق نسير الان لان الليل شديد الظلام ولا يمكن الصعود عليها لانها متشعبة الصخور وهي على شفير يصعب جدًا المرور منهُ في هذا الوقت . قال الا يوجد طريق نسير عليهِ غير الذي سلكناها في هذا النهار . قال يوجد ذلك لكن بعيد جدًا فلا نصل منهُ الى المدائن الا بعد عشرة ايام . قال الا يوجد في هذه الارض مكانًا نبيت فيهِ قال يوجد لان كثيرًا من الملوك وبنات الملوك والامراء يقصدون التنزه في هذه الجهات فيقيمون اشهرًا برمتها وفي اطرافهِ عدة قصور لاولئك الامراء وكلهم من رعايانا واتباع ابي ولا سيما انهُ يوجد بالقرب من هذا المكان قرية صغيرة مبنية في مكان مطل على السهل جميلة الموقع جدًا فيمكننا ان نذهب اليها ونبيت عند شيخها الى الصباح ونامره ان يسوي لنا من لحوم هذه الغزلان الكثيرة وما بقي نحملهُ معنا في الصباح فوافقهُ

رستم ومعهما سيار وكلاب الصيد واحمال الوحوش والغزلان بمقدار ساعتين حتى اقبلا على تلك القرية وجاءا الى شيخها فترحب بهما وقبل ايادي خرسف وانزلة في مكانهِ وذبح لهُ الذبائح واكرم رستم ايضاً وبعد ان اكلا الطعام وصرفا السهرة وعولا على المنام اخذ رستم الى غرفة صغيرة لينام فيها وقبل ان يدخل الى سريرهِ خطر في فكرهِ ان يتفقد سياراً وفرسهُ سلمى الدهماء فخرج وما اجتاز الباب حتى راى شبحاً لاح لهُ امامهُ وهو يتلصص ليقرب من الغرفة وقد سترهُ الظلام فاشهر في يدهِ الحسام حتى انار المكان وقصد ان يضرب بهِ ذاك الشبح واذا بهِ سمع صوت فتاة وقد قالت لا تفعل يارستم فما هذا جزاء من يريد لك الخلاص من الهلاك والسلامة من الموت فارتاع من ذلك وتعجب منها وقال اي شيء تقصدين وممن تخلصني ومن انت وبنت من تكونين قالت انا بنت شيخ هذه القرية وقد اتيت لاخبرك بامر فيهِ خلاصك من الموت . وذلك انهُ منذ ثلاثة ايام جاء ابي كتاب مع رسول الوزير بختك يقول لهُ فيهِ انهُ في ذلك ليلة من هذا الاسبوع سياتي قريتك في ظلام الليل الامير خرسف ابن ملكنا الاكبر كسرى انوشروان ومعهُ رستم ابن الامير حمزة البهلوان وغلام اسود اخر فاصبر عليهِ الى ان ينام ومن ثم احضر خمسين رجلاً بالسلاح يدخلون عليهِ وهو في سريرهِ فيميتونهُ ويميتون العبد واياك من ان ينجو احدهما والان خرسف بحنال ليسحبهُ اليك فلا بد من اتمام مسعاهُ فاياك ان تتاخر والاَّ اهلكك الملك الاكبر فاستعد ابي منذ ذلك الحين واستعان على قتلك برجال القرية وهم الان يتهياون بالسلاح الكامل ينتظرون وقوعك في ثبات النوم العميق لكي يقتلوك وحيث قد رايتك وشاهدت جمالك وكمالك حزنت على صباك فاردت ان تنجو بنفسك الان وتاخذني معك الى ابيك وقومك قبل ان يحل بك العطب . فلما سمع رستم هذا الكلام غاب عن صوابهِ وكاد يقع الى الارض من شدة الغيظ وجعل يصك على اسنانهِ وبعد مضي دقائق قليلة انتبه الى نفسهِ ووعي الى حالهِ فقال

... الى بيتك واستعدي فسوف اخذك معي ولكن سوف ترين ما افعل ثم عاد

تقلدهُ وخرج خارج الغرفة ودنا من الفرس فوجد سياراً ساهراً فام ... ما

... فقادهُ بعيداً عن المكان نحو مائة خطوة وعرج عن الطريق ، ... متك الهم

ام ينتظر تمام العمل وهو يعد نفسهُ بقتل خرسف اذا كان ما ... اما انك تجد

حتى راى الرجال مع شيخ القرية مقبلين تحت ظلام ... ان يظن لي سيدي

نائماً فيهِ بتانٍ وفتحوا بابهُ ثم اشهروا سيوفهم وهجموا علي... واسطة الى ذلك واذا

... وعولوا على الخروج واذا بالامير رستم قد ركب وصاح ... الى النار لا تحرمني من

رقابهم ولم يمض الاَّ نحو ساعة من الزمان حتى قتل اكثرهم وهرب رغب في موتك اذا تمكنت من

ذات الشرار وبقي رستم سائراً يضرب ويقتل من وقع امامهُ ... على قولهِ

خرسف فدخلهُ فوقف مرتعشاً متظاهرًا بالتجاهل وقال لهُ ماذا تريد ولما انت عليّ [illegible]
فلم يجبهُ الاّ بضربة حسام الفتنة الى الارض قتيلاً وقطع راسهُ فسلمهُ الى سيار وعاد [illegible]
وقصدا المسير واذا ببنت شيخ القرية قد عارضتهُ وقالت لهُ خذني معك ياسيدي وليس [illegible]
ان تتركني هنا قال كيف اتركك وانت علة حياتي وراحتي ولولاك لكنت الان من المائتين . ثم رفعها
وراءهُ وسار تحت ظلام الاعتكار الى ان وصل الى ذلك السهل عند انبثاق الفجر فقبض على راس
الطريق الذي جاء فيهِ مع خرسف وتدرج بهِ حتى جاء الوادي وادار حواليهِ ثم صعد الاكمة ونزل
منها عند العصر فراى فرسان قومهِ متفرقين في تلك النواحي ورأى اباهُ يتقدم في نفس الطريق
فاطلق لجوادهِ العنان ولما التقى بهِ سالهُ عن غيبتهِ قال كنت بالصيد وقد امسى عليّ المساء فبت
في مكان وتاخرت الى الان ولا بد ان اطلعك على ما وقع لي ثم دنا منهُ وقبل يدهُ وقال لي سامحني
على عدم انقيادي الى امرك فاني كنت اظن ان خرسف من الصادقين حتى وقع لي ما هو كذا
وكذا ولولا هذه الفتاة التي تراها لهلكت غير ان الله لا يضر باتقياء القلوب وانقياء الضمير

وكان باقي اخوتهِ والفرسان قد وصلوا وسمعوا القصة وما منهم الاّ من تعجب من رداءة
خرسف وتوفيق رستم وشكروا الله على سلامتهِ وهنوهُ بالرجوع وقال لهُ الامير حمزة اننا في مساء
الغد قد افتقدناك فما رايناك فظننا انك في المدينة فاردنا ان نرسل عمرًا فقال اذا لم ينزل
المدينة وانهُ في الصيد ومعهُ خرسف وسيار ولاخوف عليهِ لانهُ سار في الجهة الخلفية ولا يمكن ان
يصل الى المدينة الان ولا ممر لهُ الاّ من هذه الطريق واذا جاء من غيرها فينبغي لهُ عشرة ايام .
فصبرنا الى الصباح ولما لم تاتِ زاد انشغال بالنا فارسلنا بالعيارين الى البراري فقاموا عدة
ساعات وعادوا دون ان يقف احد على امرك فلم ارَ بدًّا من الركوب والمسير بنفسي وان اخذ
ثارك فسرت كما تراني ومعي عمر العيار ونهض اخوتك يريدون مرافقتي والحمد لله على رجوعك
قريباً [illegible] بالسلام ولا عدت تفعل مثل ما فعلت ولا تركن الى احد [illegible]
امانة ولا [illegible] يعرفون الحلال من الحرام ولا سيما ما دام بختك [illegible] دائمًا على
الانتقام قال [illegible] قد امتحنت وعرفت خبثهم فما عدت اركن الى كبير [illegible] كسرى
وبختك ان يقتل [illegible] احد اولادك غدرًا ليحرق قلبك عليهِ فما قد [illegible]
[illegible] من غيظهِ . ثم [illegible] رجعوا جميعًا الى صيوان البون شاه وجاء جميع [illegible]
[illegible] وسلموا على الامير رستم مظهرين فرحهم برجوعهِ سالمًا وخلاصهُ من كيد اعدائهِ وفي المساء
[illegible] رستم راس خرسف ووضعهُ بحلقة والصق عليهِ ورقة كتب فيها هذا جزاء من يقصد الخيانة
والغدر وبعث بعيارهِ سيار ان يعلق الراس في باب الايوان حتى يراهُ الاعجام في الصباح ومن
[illegible] امر الامير فرسانهُ وابطالهُ ان يتقدموا من المدينة وان يحصروها ويضايقوا الاعجام ولا يدعوا

احدًا يخرج منها او يدخل اليها وقال اننا اكرمناهم فليسوا من اهل الكرامة واردنا اكرامًا لخاطر بزرجمهر الافراج عنهم فاغتنموا هذه الفرصة للغدر بنا ولو تم عملهم لاماتوني قهرًا وحزنًا

وعند الصباح خرج كسرى من قصره وجاء الايوان فوجد الناس مجتمعون عند بابه وبعضهم يمزق ثيابه وبعضهم ينتف لحيته وكلهم يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون ويندبون ويولولون فارتاع وتقدم وبين يديه الحجاب ليكتشف الخبر واذا به يرى راس ابنه خرسف ففعل كفعلهم ومزق ثيابه ووقع مغشيًا عليه فرفعوهُ الى الديوان ورشوا على وجهه ماء الزهر الى ان وعي فلم يجسر احد ان يفوه بكلمة بل بقي الكل مطرقين الى الارض باكين ناحبين مضطربين فامر ان يوتى براس ابنه الى بين يديه ويضع في الارض وجعل يبكي وينوح ويندب كالنساء كل ذاك النهار وفي المساء اخذ الراس الى قصر الملك فاجتمع حوله النساء ودار الحزن في المدينة مقدار ثلاثة ايام وقد صبغت اسوار المدينة من كل الجهات وحزن الكبير والصغير وبختك خائف من ان يعرف الملك بدسيسته وانه كان السبب في وقوعه بيد العرب فيقتله لا محالة ولذلك كان يظهر من الحزن اشده ويتجاهل في سبب قتله ويلعن العرب ويشتمهم . وفي اليوم الرابع جاء كسرى الديوان وجلس حسب عادته وهو مغضب جدًا وقال ماذا عملنا مع العرب ياترى حتى قتلوا ابني مع اننا مساعدون لهم ووعدوا رزبري بزرجمهر بالحسني والتاخر ولا بد من ان يكون لذلك من سبب اجهله . فقال بختك ان العرب لا يصدقون ياسيدي ولا اعلم ما دبروا مع بزرجمهر حتى قتلوا ابنك واعدموك اياه وتركوننا بحزن عليه الى الابد . فقال بزرجمهر ان العرب وعدوني وعدًا صادقًا ولا ريب ان بختك دبر حيلة التي بها امن شيده في حفرة الهلاك وتركنا في حصار لا نعلم عاقبته ولولا ذلك من ابن للعرب وصول الى خرسف فانه كان يذهب اليهم في كل يوم وما ذهابه هذا الا لغاية اصلها الوزير بختك ولم يتركنا ان ندبر امرنا لندفع العرب عن بلادنا فحل هذا الكلام من كسرى محل القبول وقال لبختك لقد اصاب وزيري بزرجمهر فانت اصل الدسائس وعلة الاحزان فاني اقسم بالنار والنور انك اذا ما دبرت وسيلة تبعد بها العرب عن المدينة وتنهي امر هذا الخصام بيني وبينهم والا سلمتك اليهم وتركتهم يتمتعون بدمك وغيرك لا يطلبون وقد امهلتك الى ذلك مدة ايام فاما انك تجد الطريقة في رجوع الاعداء واما اصالح العرب بك . فبكي بختك وقال يمكن ان يظن بي سيدي الملك هذا الظن مع علمه باماتني واني اعدهُ بابعاد العرب ولا احرم من واسطة الى ذلك واذا كان يرى ان باهراق دمي البريء راحته وسلامة بلاده فليفعل وحسبي الى النار لا تحرمني من الثواب ومجازاة الذين يوشون بي عند سيدي الملك . قال لا ارغب في موتك اذا تمكنت من دفع الاعداء وغير هذا لا اريد وقد رق كسرى لبختك ولكنه بقي مصرًا على قوله

وبقي العرب على حصار المدينة عدة ايام لا يتركون الطير يدخل اليها وهم بفرح زائد وعدوهم بالويل والحرب الى ان كان ذات يوم تذكر الامير رستم فرتم حسن ذاك السهل الذي اصطاد به الغزلان عندما كان معهُ ابن كسرى وكم اصطاد من الغزلان في ذاك اليوم وقد تركها محلها ولم يأتي بواحدة منها فاشتاق الى مطاردة الوحوش والنمور والسباع والغزلان فحدثته نفسهُ وحبهُ للصيد بالمسير الى السهل المذكور وقرر الفكر على ذلك وفي صباح اليوم الثاني نهض الى جوادهِ فركبهُ وخرج من بين قومهِ واستلم الطريق وسار عليهِ حتى وصل بعد الظهر فرأى المياه جارية من كل ناح تتاخر تارة وترد الى المياه اخرى فجعل يرمي منها بسهامهِ وسيار يتناولها وما زال على ذلك حتى اصطاد شيئًا كثيرًا ثم نزل على جانب الماء وامر سيارًا ان يضرم النار ويشوي له فيأكل ففعل وشوى له فاكل وشرب وغسل يديهِ واكل سيار ايضًا ثم قال هلمّ بنا ياسيدي الى الرجوع قال اني استطيبت مناخ هذه الارض فلا ابرح منها الى الصباح فانام الليلة هنا وفي الصباح اصطاد ما تصل اليهِ يدي وارجع فاصل عند المساء وفيما هو على مثل ذلك واذا به يرى غزالة نظرت اليهِ بانس ودنت من الماء فشربت فنظر اليها واذا به يراها ظريفة التركيب ذهبية الجلد كبيرة العينين طويلة العنق جذابة المنظر فقام اليها واراد ان يلتقطها فنفرت قليلاً ولم تقبل ان تسلم نفسها اليهِ بل استغربتهُ فزاد شوقًا الى مسكها بيده وبقي يتأثرها حتى غاب عن نظر سيار فاخذ الجواد وتبعهُ خوفًا عليهِ حتى ادركهُ وهو يركض خلف الغزالة حتى وصلت الى قصر قائم بين تلك الاشجار فدخلت في حوشهِ واختفت بين حيطانهِ فوقف متحيرًا واخيرًا خطر لهُ ان يطرق الباب ليرى من داخل القصر فدنا منهُ وضرب المطرقة واذا بطاقة القصر قد فتحت ووقفت فيها صبية كأَنها البدر في الاشراق معتدلة القد ذات بياض باهر متشرب بحمرة نقية وعنق متوسط الطول شديد البياض ايضًا وصدر واسع نافر النهدين مرتفعين كحقق من لجين . وخصر سقيم رفيق وقد وضعت يديها على مصراعي الطاقة وقالت من الطارق فنظر الى الفوق وانعقد لسانهُ عن الجواب وقد اخذ قلبهُ من اول وهلةٍ وصبر نحوًا من ربع ساعة عن الجواب وهو محدق بها لا يدري بماذا يجيب وهي تفعل كفعلهِ لانها رأت فيه من الحسن العجيب ودلائل الشجاعة ما لم ترهُ في انسان مع انهُ شاب لم يبلغ اشدهُ وبقيت ناظرة اليهِ الى ان اجاب وقال لها اعلمي ياست الملاح اني كنت اطارد غزالة فقادتني الى هنا واختفت عني وقد اختفت في هذا القصر فهل لي ان اراها قالت ان الغزالة في حمانا فاذا شئت سلمناك اياها وان شئت فاقبل فيها رجانا فجمع حواسهُ ثانيًا وقال لها ما كان من امر اميرك قط ان يترك صيدتهُ الاّ ليعتاض بسواها احب لديهِ منها فاما ان تعاد اليّ واما ادخل في حماكم مثلها قالت ما اردنا ان نحميها منك الاّ ونحن فداها فهل لك ان تقبل ظبية شعورة انيسة بدلاً من

ظبينك النافرة الخائفة . قال ياحبذا ان تم ذلك فمن انتِ ومن عندكِ في القصر . قالت انا قمرشاه بنت حاكم بلاد خوارزم وعندي في هذا القصر بنت عمي ياقوت شاه لا غير فمن انت ولمن تنسب . قال انا رستم بن الامير حمزة البهلوان . فلما سمعت كلامهُ صفقت من الفرح وكادت ترمي بنفسها من الطاقة وصاحت مرحبًا بك ايها الامير والسيد الخطير فادخل الينا فانت المطلوب والمرغوب لاننا كنا نحسد مهردكار وطوربان حتى اوشك ان يساوينا بهما الزمان وكان سيار خلفة فربط الجواد وسار وراءهُ وفتش في القصر فلم يرَ غير خدم والفتاتين فارتاح ضميرهُ على مولاه واطمأن باله وعاد فاراح الجواد ونزع سرجهُ واخذ لنفسهِ مكانًا حصينًا يبات فيهِ تلك الليلة ويبقى محافظًا على حياة رستم وراحتهِ

ولما وصل رستم فرتم الى الداخل لاقتهُ قمرشاه وبنت عمها ياقوت شاه وهما من اجمل النساء جمالاً وكل واحدة تفوق الثانية جمالاً وكمالاً وبهاء واشراقًا وكانت قمرشاه لابسة ثوبًا من الديباج الابيض وعليهِ من الجواهر واعلى ما يعجز القلم عن وصفهِ والثانية ثوبًا من الحرير الازرق وعلى دوائره من النسيج الاحمر الشامي وفي كل مقدار قيراط ياقوتة حمراء ترتج وتلمع كأنها الكواكب تضيء في فلك ذاك الثوب وكلها تكتسب انوارها من نور شمس ياقوت المذكورة التي هي ابهر من الشمس والقمر وكل نور ساطع وسلمت كل واحدة عليهِ بدورها وقد اخذ من حسن الفتاتين وتمناها لنفسهِ معًا وقد مشت كل واحدة من جهة وهو بينهما الى ان ادخلاهُ قاعة الجلوس فجلس على كرسي من الابنوس مجللة بالاطلس الاحمر وريش النعام . ولما استقرَّ بهِ المقام احضرنَ لهُ من الشراب الممزوج بماء الورد والسكر واحسنتا معاملتهُ كل الاحسان وبعد ذلك احضرتا الطعام الفاخر واكلوا معًا ولما رفعت صفرة الطعام احضرت بواطي المدام وصفت النقولات من كل الانواع الطيبة والزهور من ازكى المشمومات وابهى الالوان وكل الاواني من الفضة المحلاة بالذهب فنهض وجلس الى بين الصبيتين وكل واحدة تسكب الخمر في جام وتسقيهِ وهو يفعل كفعلها ويكثروا من التقبيل والمزاح ولما اشتد الغرام بقمرشاه اخذت كأسًا فملأتها وانشدت

بروحي بل بآبائي الكرامِ　　رشًا لعبت بهِ ايدي المدامِ
اذا ما افترَّ عن بردٍ طوينا　　حشايانا على حرّ الاوامِ
ولولا عارضاهُ لما علمنا　　بان البدر يطلع في اللثامِ
لعوب باصطبار اخي شجونٍ　　طليح الدمع مأ ثور الهيامِ
تذكر بالحمى ان شام برقًا　　زمان اللهو منتسق النظامِ
وقصر واسع الاكناف رحبًا　　يجرر فيهِ اذيال الغرامِ

وقد نظمت لنا كف التصابي ... عقود الوصل في كل المرامِ
وقد سقى وصلنا موصول دمعي ... وحيا عهدنا عهد الغمامِ

ثم شربت الكاس الى اخره وقبلته وقبلها وتعانقا ثم تناول الكاس وشرب بعد ان انشد

قفا نتشاكا ما نشاكاهُ وامق ... وقد ظعنت بالغانيات الايانقُ
كثير سهاد العين نزر هجوعه ... يواصلُ طيفًا منهمُ ويفارقُ
تملك حب العامرية قلبهُ ... وما عاقهُ عنها من الحي عائقُ
غزالية تغشى العيون جلالة ... مغاربها احشاؤنا والمشارقُ
فان خطرت زهوًا فغصن منعمٌ ... وان عبقت ريًا فثمّ حدائقُ
وان يكُ في ثغر الحسان عذوبة ... ففي ثغر من اهوى عذيب وبارقُ
وبي حالة العشاق في كل حالةٍ ... ولكنني لم ادرِ من انا عاشقُ
يشير باطراف البنان ويشتكي ... اليم الجوى منا مشوق وشائقُ

وبعد ان شرب الكاس قبل قمرشاه وانشد

لحظات ترمي الحشا بنبالِ ... قاتلات ولات حين قتالِ
وخدود كالورد لونًا وطيبًا ... صقلتها صبا البها والجمالِ
وثنايا كاللؤلؤ الرطب تذري ... حسن نظم لها بعقد اللآلي
وقوام يحكي العوالي ولكن ... فعله في القلوب فعل العوالي
من نصيري على الحبيب المفدى ... بنفوس منا كرامٍ عوالي
قمر يخجل الشموس ضياء ... وقضيب يسقى بماء الدلالِ
وغزال المسك في الفم منه ... نفحات تفوق مسك الغزالِ
راح يشدو بذكر خمرة وعد ... عند سمعي فاسكرت آمالي
خمرة صورت عصارة جمرٍ ... لظنون في اكؤس من آلِ
غادرتني ابدي هواهُ بجسمٍ ... ناحلٍ ماحلٍ كربع بالي
اتمنى خياله وبعيد ... ان يزور الخيال طيف الخيالِ

ومن ثم اخذت ياقوت شاه الكاس وشربت وسقته وانشدت

اجرني بالتواصل بعد بعدك ... لعلي اجتني ثمرات وعدك
واسأل لك القليل من التلاقي ... ولكن خشيتي من سوء ردك
سقى الرحمن ايامًا لقبنا ... بها راحًا على وردات خدك
ونلثم اقحوان الثغر طورًا ... على جزع ونهصر غصن قدك

ونقتبل السعود لنا بصرحٍ بدت ببدرٍ وجهها اقبالٍ سعدك
نجرر فيهِ اذيال التصابي ونشنق عرفهُ من طيب ندك
الا ان النعيم لدون يومٍ نواصل والجحيم لدون صدك

فمال اليها وسقاها وشرب وتصور معنى جمالها وكمالها وبهائها وهي تشرق نورًا بذاك الثوب الازرق وانشد

صاد الاسود بمقلةٍ وسناء وسبا العقول بطلعة وسناء
واتى بازرق ثوبهِ متوشحًا فكأنهُ بدر بدا بسماء
خجلت شموس الافق منهُ عندما وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقطب خرّت سجدًا لما بدا متخطرًا بالقامة الهيفاء
وبليل طرتهِ ضللت وانني من صبح غرتهِ وجدت هدائي
فتبارك الرحمن ما احلاهُ من رشاء غدا مرعاهُ في الاحشاء
ما كنت احسب قبل صيد الظبي لي ان الاسود فرائس لظباء
حتى طعنت باسمر من قدهِ وقتلت من الحاظهِ بظباء
فاذا انثنى وانا رناوتذ كرلي بيض الظبا مع صعدةٍ سمراء
سلطان حسن في الملاحة قدهُ قد خصهُ من شعرهِ بلواء
وبوجنتيهِ عجائب من بعضها نار يشب ضرامها بالماء
كم رمت منهُ قربة فيجيبني الحاظهُ اللاتي سفكن دمائي
من رام يحيى فليمت في حبهِ حتى يعدُ غدًا من الاحياء

وصرفوا اكثر الليل على مثل تلك الحالة بين شرب مدام ومناشدة اشعار وتقبيل ومكاشفة اسرار الى ان اخذت الخمرة حدها وحينئذٍ قالت لهُ قمرشاه هلمّ بنا الى المنام. فقال انكما على دين النار ولا يمكن ان اقرب منكما الاّ اذا كنتما تعبدا الواحد القهار فتكونا من نسائي ويكون لي بكما الخيار فامنت قمرشاه بالله العزيز الجبار فاخذها لنفسهِ زوجة واتاها وسرّ منها سرورًا عظيماً . وهذه تأتي منهُ بولد ذكر يدعى بالامير قاسم ويكون كسوسة في معسكر العرب بالبيت ما ولدتهُ امهُ . وبعد ذلك امنت ياقوت شاه واعتنقت الشريعة الالهية فسرّ منها كثيرًا وتزوجها وهذه لم تلد منهُ قط لا بذكر ولا انثى

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير رسم فرتم وجاء نساؤهُ اليهِ وقبلت كل واحدة بدورها يدهُ فقال لهما ماذا تقصدان بالقيام في هذا المكان وانتما منفردين عن بلادكما وقومكما فقالت قمرشاه ان هذا المكان مشهور بالنزهة وطيب المناخ فطلبنا الى ابي ان يبني لنا قصرًا فيهِ

جميلاً ففعل وصرنا في كل عام نحضر ونقيم فيهِ اشهر وعندنا كل ما نحتاجهُ فضلاً عن الخدم والعبيد ويزورنا في كل مدة اهلنا وهم في امان علينا لعلمهم ان لا احد يجسر على الدنوّ من بنات الملوك ولاسيما ان ما من غريب في هذه الارض وكل البلاد تعرف ابي قال ان وجود كما هنا كان من حسن حظي لانال السعادة والحظ بكما

قال وكان في نفس ذاك الليل قد اغتاظ خدم القصر من فعل الامير والبنات فخرجوا وانطلقوا حتى جاءوا المدينة واخبروا حاكم مدينة خوارزم واخاه بما فعل بنتاهما . فغضبا الغضب الزائد وقالا لا بد من هلاكهما وهلاك رستم معًا لانهما نجستا دين النار واخذا شرذمة من العساكر وساروا جميعًا الى القصر وكان رستم غارقًا بالملذات مع زوجتيهِ فوصل الخبر الى قمرشاه فلم تتركهُ يعرف شيئًا من ذلك بل اسرعت الى باب القصر وكان من الحديد فاقفلتهُ واخذت المفاتيح وجلست تنتظر ما يكون من امر ابيها وعمها وقد خافت كل الخوف على حياة رستم حبيبها وحينئذٍ وصلت العساكر وطرق حاكم خوارزم الباب ونادى بنتهُ ان تفتح فلم تجب وشعر رستم بازدحام الرجال حول القصر فاسرع الى الطاقة وشاهد ما شاهد من اعمال ابي قمرشاه فتاقت نفسهُ الى القتال واراد ان يركب جواده وينزل اليهم وصاح بسيار ان يفتح باب القلعة فقال لهُ ان قمرشاه قد اقفلتهُ واخذت المفتاح فنزل الى الباب وعالج فتحهُ فراه متينًا فعاد اليها وطلب منها ان تدفع اليهِ المفاتيح فقالت لا تتعب عبثًا فاني لا ادفعها اليك ولو قطعني اربًا اربًا . قال لها ويلك انك بعملك هذا تقصدين هلاكنا لاننا اذا بقينا داخل القصر كسر ابوك الابواب ودخل الينا وانا وحيد هنا والمجال ضيق عليَّ جدًّا ولا يمكنني ان اقاتل وانا في سريري ولكن اذا خرجت اليهم وانا على ظهر جوادي بددت شملهم شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا ولو كانوا بعدد رمل البحار . قالت هذا لا يمكن ابدًا لان الباب متينًا ولا اظن انهم يقوون على فتحهِ ولكن اذا نزلت انت اخاف ان يلحق بك ضربة من احد او كنت غير قادر على الثبات فيلحق بك ضرٌّ . قال لا تخافي عليَّ بل قفِ وانظري ماذا افعل بهم وسوف تريني وقد بددتهم جميعًا ولا بد من خروجي والاَّ اخذت سيفي ورميت نفسي من الطاقة فقالت لهُ ياقوت اذا كان ولا بد لك فعندي راي حسن جدًّا بهِ الخير والنجاح . قال وما هو قالت ان ابي وعمي ورجال المدينة كلهم هنا فمن الموافق ان نخرج من دهليز القصر وننسحب تحت الظلام الى المدينة وندخل بغتة فنلتجي نحن الى امينا وهما تخلصاننا من ابوينا فقال رستم وهل في المدينة عسكر كثير قالت كلا فان اكثر العساكر مع ابوينا فاستحسن هذا الراي وخطر لهُ ان يذهب اولاً الى المدينة ويقفل ابوابها واذا جاء ابو قمرشاه وابو ياقوت شاه طردهما عنها الاَّ اذا قبلا بتزويجهِ من بنتيهما وحينئذٍ وافق على راي ياقوت شاه واعتمدوا عليهِ جميعًا وعند اسوداد الليل انسحبوا الى المدينة وجاءوا

ابوابها ودخلوها واتت قمرشاه وابنة عمها الى امهما واخبرتاها بما كان من امرهما مع رستم ابن الامير حمزة البهلوان وانهما تزوجتا به وانسرتا منه كثيرًا ولما كان من طبع الامهات ان يسررن لبناتهن ويفرحن لفرحهن لم تتكدرا من ذلك وكل واحدة وعدت بنتها بمراضاة ابيها عند عودته ولا سيما عندما راوا رستم فرتم بديعًا في الصورة واللطافة واما رستم فانه في الصباح تقلد سلاحه ودخل ديوان حاكم خوارزم واشهر حسامه وصاح في من هناك ويلكم انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة العربان قاهر الانس والجان وقاتل داهور الهندي القرنان وقد ملكت هذه بنفسي فمن منكم اطاع عفوت عنه ومن عصى اهلكته فصاح الجميع بالامان لما سمعوا بذكر حمزة البهلوان وقالوا اننا كلنا عبيد للعرب فجلس على تخت المدينة ونشر خبر تسلطه عليها في كل النواحي وهابه الجميع واخلصوا له الود وانقادوا لامره فامر ان تقفل الابواب وتقام عليها الحراس واذا جاء حاكم خوارزم واخوه والعساكر الذين معهم يمنعونهم عن الدخول ويعلمونهم بان رستم اصبح الحاكم على البلد

فهذا ما كان منه واما ما كان امر حاكم خوارزم فانه لا زال مع قومه يعالجون كسر باب القصر حتى فتح ودخلوا وفتشوا فيه فلم يروا احدًا وعرفوا انهم هربوا منه فنزلوا واذ ذاك وصل اليهم الخبر بان رستم سار الى المدينة وملكها مع نسائه فكروا راجعين ومعهم العساكر ولما وصلوا من الابواب وجدوها مقفلة فسالوا الحراس فتحها فابوا وقالوا لا نقدر على ذلك واذا فتحنا الابواب اهلكنا الامير رستم لانه اصبح الحاكم على المدينة وطاعة الكبير والصغير وقد خلعوا طاعتكم واوصانا ان لا نفتح لكم الا اذا كنتم تقسمون له الايمان العظيم بانكم تقبلون به زوجًا لبناتكم وتنفون الغيظ من قلوبكم . فلما سمع حاكم المدينة خاف كل الخوف وتشاور مع اخيه ورجاله واعتمدوا على التسليم وقال له احد اعيانه اننا اذا عملنا على العناد ادركنا العرب مع الامير حمزة واهلكونا عن اخرنا ومن الراي الحسن ان نتفق مع رستم وننقاد اليه ونتخذه سندًا لنا وغوثًا واي سند ترجونه لكم اعظم من هذا السند واي زوج يكون اعظم من رستم وافضل وهو ابن الامير حمزة العرب فارس فرسان هذا الزمان وقاهر كسرى انوشروان وامة بنت الملك قيصر ملك الطوائف النصرانية والامة المسيحية فراوا ذلك من الصواب وتقدموا من الابواب وقالوا للحراس اذهبوا الى صهرنا واخبروه باننا عبيد له ورغب فيه من كل خاطرنا فاذا قبل دخلنا المدينة واقمنا بين يديه واذا ابى رحلنا عنه ولا نشهر في وجهه حسامًا بل نبقى راضين عنه واننا كنا في جهل ووعينا الى انفسنا فسار اولئك الحراس الى ان جاءوا الديوان واخبروا رستم بما كان من امر حاكم خوارزم وقومه فقال لهم افتحوا الابواب فاني سائر على اثركم الى ملاقاتهم ونهض في الحال وسار وبين يديه رجال الديوان والعظماء والاعيان ولما وصلوا من الابواب كانت قد فتحت فالتقوا

ببعضهم البعض وتصالحوا واعتذر وا اليهِ ورضوا منهُ وفرحوا بهِ وقد راوه بطلاً من الابطال وسيداً كريمًا باهر المنظر حلو الخصائل . ومن بعد ذلك رجع الجميع الى دار الاحكام وقامت الافراح والولائم وجددوا عرس الامير رستم على زوجتيهِ قمرشاه و ياقوت شاه وعقدوا لهُ عليهما وصار بفرح زائد وحظ عظيم مدة ايام يصرف اكثر اوقاته في قصره مع زوجتيهِ والباقي في الصيد والقنص وقد ركن الى اهل المدينة كل الركون لانهم كانوا قد امنوا بالله تعالى وتركوا عبادة النار

ففي ذات يوم خرج حسب عادتهِ الى الصيد فصرف اكثر النهار ورجع بعد ان اصطاد شيئًا كثيرًا من الغزلان والارانب والنمورة وفي اثناء عودتهِ مرَّ من ناحية دار الحكومة فراى خيلاً غريبة مربوطة عند الابواب فدخل الديوان ونظر من هناك فوجد رجلاً عظيماً جالسًا في الديوان وهو يتفاخر و يتعاظم و يتهدد من هناك ولا احد منهم يقدر ان يجيب بكلمة وهم اذلاء بين يديهِ وسمعهُ يقول لهم حيث قد تركتم عبادة النار ودخلتم في غير دين فلا بد من ارجاعكم واذلالكم فادفعوا الجزية وارجعوا الى ما كنتم عليهِ فاغتاظ الامير رستم من هذا الامير واستل سيفهُ وضربهُ فالقاه قتيلاً وامر سيار العيار ان يسحبهُ الى الخارج و يلقيهِ الى الكلاب . ولما راى عماهُ هذا الامر خافا واضطربا وقالا لهُ ما كان لازم ان تعجل في ذلك وترمينا بالويل والخراب وتجلب لنا الهم والعذاب . فقال لهم واي عذاب تخافون وانا حاميكم ومن يكون هذا الرجل الذي تخافونهُ فلو كان كسرى انوشروان او ابي الامير حمزة البهلوان لما طاعتني النفس ان اصبر عليهِ بعد أن سمعتهُ يهينكما . فقال لهُ عمهُ ان هذا وزير الملك هندام صاحب بلاد الجزر فقد وصل اليهِ الخبر بتركنا دين النار فغاظهُ ذلك وارسلهُ اليهِ لنكون في طاعتهِ وتحت امره و يخلصنا منك والاَّ فانهُ يهدم بلادنا من اساسها و يقلع منا الاثار الى اخر الادهار وحيث قد قتلت هذا الوزير واصليت نار غضب سيده فلا بد من ركوبه علينا واننا نرى ان من الموافق ان نجمع اموالنا ونساءنا ونسير في الحال الى معسكر العرب ونضم الى ابيك وقومك قبل ان يدركنا و يلقينا بالمصائب والبلاء . فقال لهم لا يمكن ان اذهب الى ابي هربًا من الملك هندام ولا بد من ان اذهب اليهِ بثلثمائة فارس واخرب بلادهُ واهلك قومهُ واريكم ما افعل بهِ فابقوا انتم في المدينة الى ان اعود اليكم . فقالوا انك لا تقدر ان تثبت وحدك امام جيوشهِ لانهُ كثير الارهاط والاعوان . قال اني اعرف نفسي ولا بد لي من ذلك . ثم انهُ قال لخدم الوزير سيروا الى سيدكم هندام وقولوا لهُ ان هذه البلاد صارت في قبضة العرب وتحت طاعتهم وسلطانهم واني انا الامير رستم فرخ ابن الامير حمزة البهلوان مطيع الانس والجان قد قتلت وزيره وساسير اليهِ لاقتلهُ واعدمهُ الحياة

وبعد ان سار الخدم انتخب رستم ثلثمائة فارس من اشد فرسان خوارزم وسار يقطع بهم القفار قاصدًا بلاد الجزر . ووصل العبيد الى الملك واخبروه بما سمعوا وراوا ونعوا الوزير بين يديه فغضب من ذلك غضبًا عظيمًا واقسم بالنار والنور انه لا بد ان يبيد العرب عن اخرهم وياخذ بثار وزيره ويهدم مدينة خوارزم الى الارض ولا يترك منها لا ديار ولا نافخ نار وكان لهذا الملك بنت اسمها حسانة بديعة الحسن والجمال ذات قدٍ معتدل وخصر رشيق وخد ناعم يندر وجود مثلها في زمانها وهي تدعي بنفسها انها افرس فارس وابسل من ركب الجواد ونقل الحسام فتقدمت من ابيها وقالت له لا ينبغي ان تغضب وتتكدر من عمل بدوي تجاسر لقلة عقله على اخراق هيبتك ولا يلزم الامر ان تزعج نفسك بالمسير الى قتاله لا انت ولا رجالك بل اسير انا واقتل لك الامير رستم واخرب بلاد خوارزم فيعرفون عظم سطوتك ونفوذ شانك قال اني اخاف عليك من الامير رستم لانه فارس عظيم وقد وصل اليَّ صيته بانه قهر كسرى وقتل داهور الهندي . فقالت لا تخف عليَّ فلو لم اقدر على ذلك لما طلبت اليك الاذن به فاني اعرف مقدرتي واوكد ان لا فارس في هذا الزمان يقدر على الثبات امامي في ساحة القتال . فقال اليك ما تريدين واذا رايت من نفسك العجز والتقصير فارسلي اليَّ بالخبر في الحال لاسير اليك بالعساكر والابطال . ثم ان حسانة جمعت البنات وكان لها جيشًا منهنَّ وفرقت عليهن السلاح وركبت بهن تقصد ملاقاة الامير رستم فسارت النهار بطوله الى المساء وفي المساء نزلت وضربت الخيام ونامت في تلك الارض الى الصباح فعولت على الركوب والمسير واذا بالامير رستم قد وصل الى تلك الناحية وشاهد حسانة وجيشها وقد ظنهنَّ من الرجال فارسل سيارًا يسال عن امرهم فقالت له اننا فرسان الملك هندام وقد ارسلنا الى قتال الامير رستم لنعدمه الحياة وننزل به الهلاك والهوان . قال لها هوذا رستم قد وصل وسوف ترون منه حربًا شديدة وتشاهدون الموت عيانًا . فعاد سيار واخبر مولاه بانهم فرسان الملك هندام سائرين اليه فركب في الحال وقصد ساحة القتال ومن خلفه من صحبة من الرجال وركبت الاميرة حسانة وبناتها ولما التقيا تنافرا بالكلام وتجادلا بالتعنيف والملام . ثم هجما هجوم اسود الاجام وتصادما واي صدام والتحما واي التحام . واكثرا من الاخذ والرد والقرب والبعد والطعن بالرماح والضرب بالصفاح مقدار ثلاث ساعات من الزمان وحينئذٍ نظرت حسانة الى نفسها بانها مغلوبة لا محالة وذلت بين يدي الامير رستم لانها لم تكن من رجاله ولا هي من ابطاله وخافت على نفسها كل الخوف ولذلك صاحت تمهل يا فارس الزمان ولا تعجل عليَّ بالهلاك لاني متضايقة غاية الضيق واحب ان اتنسم الهواء واريك نفسي من انا فكف عنها القتال ورجع قليلاً الى الوراء وقال اني انصف خصمي بالحرب ولا اضايق عليه ولا احب الاسراف فافعلي ما انت فاعل

بوها اني امهلك وقتًا من الزمان فاذا رغبت في السلامة سلم نفسك اليّ فاكرمك واحسن معاملتك ومن ثم اعيدك الى وطنك عزيزًا واذا بقيت مصرًّا على العناد كان جزاؤك الاعدام فلم يجب حسانة بشيءٍ الا انها اظهرت الضجر من التعب والحر فنزعت عن راسها الخوذة وارخت شعرها على اكتافها وازاحت لثامها وبان وجهها البديع الجميل الذي يخجل كل بدر منير واخذت في ان تفك ازرارها عن صدرها وتتنشق نسم الهواء البارد

ولما رأى الامير رستم اليها وتاكد انها من البنات ربات الخدور كاد يغيب صوابه ويضيع رشده ويقع الى الارض من شدة الحياء والخجل وعندما شاهد بدر محياها مشرقًا بتلك الانوار الساطعة زاد به الوسواس والخبل اي الخبال وبقي صامتًا ناظرًا اليها متأملاً في حسنها ومعانيها وقد القى بطرف رمحه الى الارض واسند رأسه على الطرف الآخر وبقي متأملاً وهي تشاهد منه ذلك وتؤمل الفوز والنجاح ولما رأى بياض صدرها بعد ان فكت ازرارها وابرزت نهودها زادت به الحال وغاب عن صوابه لانه رأى حسنًا لم يرَ مثله قط لا في العرب ولا في العجم وارتخت منه المفاصل وحينئذٍ استغنمت تلك الفرصة وتناولت رمحًا باسرع من لمح البصر وقلبته في يدها وارسلته الى صدره فالقته طريحًا الى الارض ونزلت اليه وشدت اكتافه واوثقته بالحبال وقادته كالبعير ولم يعِ على نفسه الا وهو بين يديها تقوده وراءها وقد اعادت لباسها كما كان وسترت نفسها تحت ملابس الفرسان . وحينئذٍ جعل يعض على يديه ندمًا وقد تكدر مزيد الكدر وكاد يقتل نفسه من الحنق كيف ان بنتًا من بنات الاعداء تاسره . وكانت حسانة قد اشارت الى جماعتها البنات ان يهجمن على قوم الامير رستم ففعلن وفي اقل من ساعة هربوا متكدرين مما اصاب الامير وحينئذٍ اخذت الامير ورجعت الى المدينة الى ابيها مفتخرة بنفسها تباهي على ابناء جنسها ولا زالت في مسيرها الى ان وصلت الى المدينة وارسلت فاخبرت ابيها بانها قد انهت العمل وجاءته بعدوه الذي قتل الوزير ففرح مزيد الفرح وتعجب من شجاعتها وبسالتها واقدامها ولما وصلت اليه قبلت يديه فقبلها بين عينيها ومدح من شجاعتها واجتمع اليها اعيان المدينة وسلموا عليها وهنأوها بالنصر وما منهم الا من تعجب من عملها كيف قدرت على اسر رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان . ولما استقرت في الديوان قدمت رستم الى ابيها وقالت له خذ هذا عدوك فاقتله في الحال وانزل به النكال ولا تبقِ عليه ساعة ولا بد لي من ان اسير الى ابيه فافعل به وبفرسانه كما فعلت بهذا وافرج عن كسرى ثقل الحرب التي اتصلت شرارتها من الشرق الى الغرب فاصابت البعيد والقريب . فقال لها حبًّا وكرامة ساقتله في هذا النهار واريح الدنيا من شره واخذ بثار وزيري في الحال ثم قدم رستم وجعل يلويه ويعنفه وهو لا يبدي كلمة ولا يظهر حركة بل كان لا يعي من شدة الغيظ كيف غدرت به تلك الخبيثة

الحنالة وانفذت فيهِ سهام غرام ما فذهب اسير اللواحظ لا اسير القتال

قال وكان عند الملك هندام وزير . مسن قد حنكتهُ الليالي والايام خبيرًا باحوال الزمان
يعرف تقلباتهِ ويدرك معنى الاحوال وقد ر . إي من حالة رستم غبطة وكدرهُ فثبت عندهُ انها
ما اسرتهُ في القتال وانها احتالت عليهِ الى ان رمتهُ في شراك هواها واحب ان يخلص رستم من
القتل الى ان يصل الخبر الى ابيهِ لانهُ كان يعبد الله العزيز . الجبار وينكر عبادة النار ولذلك قال
لحسانة اليوم علمت كل اهل المدينة ما لكِ من الفضل ر م الشجاعة التي لم يسبقكِ الى مثلها
فارس صنديد وبطل مجيد كيف لا وقد قهرتِ الامير رستم قرتم . ن الامير حمزة العرب الذي
قتل داهور الهندي وارعب جيش كسرى وطار صيتهُ وصيت ابيهِ في ا د ٧ فاق غير انى لا اريد
ان تعجلي في قتلهِ بل ارغب ان ترسلي بهذه الاخبار الى كل العمال واعيان البلاد وتدعيهم الى
الحضور والفرجة على مصرع اسيركِ فيزيد بذلك قدركِ ويرتفع شأنكِ ويعرف البعيد
والقريب انكِ اخذتِ بثار وزير دولة ابيكِ وايضًا من الواجب ان ترسلي خبرًا الى الملك
الاكبر كسرى انوشروان واعلميهِ بواقعة الحال فيتمركِ بالعطايا والانعام ويزيد في ممالك ابيكِ
ويدعوكِ اليهِ . فاي فخر لكِ اعظم من هذا الفخر الذي لم ينلهُ قط احد سواكِ . فلما سمعت كلام
الوزير هب في رأسها خمر العظمة والفخار ورأت ان كلامهُ عين الاصابة . فقالت لا بد لي من
انفاذ ما اشرت اليهِ ولا اقتل رستم ما لم تجتمع روساء الطوائف وحكام الاقضية والبلدان فيرونهُ
اسيرًا بين يدي ومن تم اقتلهُ بيدي واشفي غليل ابي من قتلهِ فاستحسن ابوها ذلك وقال افعلي
ما ترغبين واكتبي الى كسرى وبشريهِ بذلك وادعي كل عمالنا لان بذلك رفعة مقامنا وبهِ
ايضًا تزيد هيبتنا في قلوب الجميع فيخافنا البعيد والقريب . واما الوزير فانهُ سقط عن قلبهِ
الهم والكدر وتأمل خلاصهُ من اقرب طريق . هذا ورستم لا يعي على احدٍ لكنهُ ادرك ان
خلاصهُ كان بواسطة الوزير فاخذهُ الى السجن حقيرًا اسيرًا مهانًا وقد صبر على نفسهِ وامل
الخلاص باقرب وقت ومع كل ذلك فانهُ كان لا يزال يتصور محاسن حسانة ويميل قلبهُ اليها
ويعجب من جمالها الباهر ويتمناها لنفسهِ لانهُ كان كابيهِ في بداية حياتهِ يميل الى مغازلة النساء
ويسلم نفسهُ الى اهوائهِا ويؤخذ بمعاني الجمال . ولما انفرد بذاتهِ جعل يفكر بما وقع عليهِ وقد
وعى الى ذاتهِ واخذ يتأمل فيما كان من امرهِ مع حسانة وهو تارة يعض على اصابعهِ كمدًا
وغيظًا من تسليم نفسهِ الى غرامهِ ويفكر انهُ لو كان اسرها لسهل عليهِ جدًّا الاستيلاء عليها
والتزوج بها وطورًا يشرد بهِ هواهُ الى ان يتصور معنى حسنها وما رأى منها من استهلال جبينها
الوضاح وكيف قد كشفت لهُ عن ذاك الصدر اليقق وذينك النهدين البارزين اللذين القيا بهِ
الى السجن والاسر واذلاهُ واي اذلال . فكان الحب يتغلب عليهِ والجمال يشغل افكارهُ ويؤمل

ان تأتي العرب فتخلصه ومن ثم يعود الى حسانة فيأخذها زوجة بالرغم عليها ويذلها ويملك زمامها وتصبح في اسره الى طول حياتها

قال فهذا ما كان من رستم والملك هندام وابنته واما ما كان من الرجال الذين هربوا من وجه حسانة بقيوا مجدبن في سيرهم وامامهم سيار العيار حتى جاءوا خوارزم ودخلوا على حاكمها واخبروه بما وقع على الامير رستم فطار صوابة فاجتمع باخيه ورجال قومه وتشاوروا في ماذا يفعلون واخيرًا قرّ رايهم ان يسيروا الى الامير حمزة ويطلعونه على ما جرى على ابنه لكي يسرع الى خلاصه وفي الحال ركبوا خيولهم وساروا مجدين الى جهة المدائن حيث يعلمون ان العرب نازلين هناك وما بعدوا عن المدينة الا القليل حتى التقوا بعمر العيار لانه كان يفتش على الامير رستم ويستقصي اخباره من كل الجهات وذلك لان الامير حمزة كان قد اعتراه الحزن لغيابه وضاق صدره وهو لا يعلم في اي جهة سار وخاف ان يكون كسرى قد احتال عليه والقاه في حفرة الهلاك دون ان يعلم به احد ومثله كان جميع العرب وفرسانهم لان ما من واحد منهم الا ويحب الامير رستم محبة عظيمة فوعدهم عمر العيار بالمسير اليه واستكشاف اخباره وسار الى خارج البلد وعرف انه سار في تلك الطريق فجعل يسير فيه ويفحص عن مكان وجوده ومسيره ويومل انه ان كان حيًّا لا بد ان يراه بوقت قريب ولا زال سائرًا الى ان التقى بحاكم خوارزم فتقدم منهم واذا به يرى بينهم ابنه سيار فطار من الفرح ودنا منه وقال له لما هذا التقاعد والتباعد واين سيدك فجعل يبكي واخبره بانه اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام فوبخه ولامه وقال له كيف تتقاعد عن المسير الينا والرجوع علينا . قال اننا سائرون الى الامير حمزة وهولاء هم حاكم خوارزم واخوه ورجاله وقد تزوج رستم ببنتين منهم . ثم اعاد عليه القصة من اولها الى اخرها فتقدم عمر وسلم عليهم وسلموا عليه واخبروه انهم ذاهبون الى العرب ليطلعوا الامير حمزة على خبر ابنه ليسعى في خلاصه قبل ان يلحق به ضرر . فقال لا باس ارجعوا انتم الى المدينة وبعد قليل من الايام تكون عندكم سائر فرسان العرب ولا بد لنا من قتل الملك هندام وخراب بلاده الى حد اساساتها ليعرف كيف يخاصم العرب ويجسر على اسر سيد عظيم منهم . ثم ودعهم وكرّ راجعًا كانه السهم اذا انطلق حتى وصل الى المدائن ودخل على اخيه وهو في صيوان اليون شاه واخبره بامر ابنه وانه اسير في مدينة الدبران عند الملك هندام صاحب الجزر وشرح له القصة بتمامها . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابه وغاب هداه وصاح من ملء راسه هلموا ايها الفرسان واتركوا هذه الاراضي واسرعوا الى خلاص ابني قبل ان يقع به الضرر او يقتله الاعداء وما اتم كلامه حتى اسرع كل واحد الى جواده ولم يقبل احد منهم ان يتعوق الى الغد وباقل من ساعة ركبوا باجمعهم ورفعوا احمالهم وتركوا تلك الارض واقلعوا عنها مسرعين في

طريق خوارزم كأنهم الجراد المنتشر وفي ايام قليلة وصلوا اليها فخرج اهلها الى ملتقاهم وترحبوا بهم وسلموا عليهم وجاءت زوجنا رستم وقبلنا يديه وبكينا على بُعد زوجها فطيب بخاطرها ووعدها بخلاصه باقرب آن ومن ثم رحل من ذاك المكان يقصد الملك هندام ومن خلفه الفرسان والابطال وفي وسطهم السلطان قباط وفوق راسه علم بيكار الاشتهار وبين يديه الحراس والخدم

قال ولما رحل العرب عن المدائن تعجب الاعجام وارتابوا من هذا الامر واخبروا به ملكهم فقال لا بد من سبب لذلك قال اذا شئت ارسلنا خلفهم من يفحص لنا عن احوالهم وياتينا باخبارهم قال دعهم يرحلون ولا تتعرض لهم ولا تفعل شيئاً تلقينا به بالوبل والخراب . فاذا رحلوا ولم يرجعوا كان احسن وهذا الذي اريده ولا اريد ان اسمعك بعد الان تذكر لي حديثهم فسكت بختك في الحال لكنه في ثاني الايام بعث في استقصاء اخبارهم وارسل بالرسل والمكاتيب الى كل الجهات يستدعي العساكر ويجمع الابطال وفي نيته ان لا يرجع عن العرب حتى يبيدهم عن اخرهم واخذ يفكر في الطرق التي تبيدهم وتقرضهم عن اخرهم وسنرجع الى ما صار من العجم في غير هذا المقام

ولما وصل الامير حمزة الى بلاد الملك هندام انتشر خبرهُ في كل البلاد فجفل الاهالي وهرب الكبير والصغير الى جهة المدينة وهم يتعجبون من كثرة العساكر وعظم ذلك الموكب الجسيم مع اختلاف اجناسه ووصل الخبر الى الملك هندام فجفل وارتاع وخاف على بلاده من الخراب وجمع اليه قومه واستشارهم في ماذا يفعل فاشاروا عليه بالطاعة فلم تقبل حسانة وقالت لابيها سوف ترى ما افعل لك بالامير حمزة وفرسان العرب ولا بد ان اقيدهم الى بين يديك واحداً فواحداً . فقال لها اني اخاف عليك في هذه المرة لان فرسان العرب كثيرون . قالت لا تخف وقد امتحنتني في غير هذه المرة وعلمت ببسالتي وسوف اريك ما يكون من حمزة ولا بد ان ارمي راسه امامك في هذا المحل فيشهد جميع العالم ببسالتي . قال افعلي ما بدا لك وها ان فرساني بين يديك فخذيهم وقاومي العرب واذا رايتِ العجز فاخبريني لاذهب بنفسي . قالت لا يلزم هذا الامر فاني سأباشر الحرب بنفسي واطلب براز فرسان العرب وابطالهم واصطادهم كالعصافير واحداً بعد واحد

و بعد ذلك اخذت مائة بنت والبستهنّ ملابس الجنود وخرجت من المدينة قاصدة معسكر العرب وكان نازلاً بالقرب من هناك ولما وصلت اليه نزلت وضربت لها خيمة في تلك النواحي مع جماعتها وقد راى ذلك العرب وفرسانهم فتعجبوا واخذوا يضحكون من هذا العمل وقد قال سيار لحمزة ان هذا الفارس الذي اسر سيدي رستم فعزم على مبارزته . ولما كان الصباح نهضت

حسانة ولبست ثيابها وتقلدت بسلاحها وبرزت الى ساحة القتال وصالت وجالت من اليمين والشمال . ثم وقفت في الوسط وطلبت مبارزة الامير حمزة البهلوان وفي الحال صار الامير حمزة امامها وهو كانه الاسد الكاسر وبدون سؤال ولا جواب حمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الضراب والطعان . وقد احدقت اليهما الفرسان . تنظر ما يكون بينهما من هذا الشان ومضى عليهما مقدار ساعة وقد راى الامير حسانة ضعيفة الثبات فاحتار في امرها وتعجب كيف تمكنت من رستم وهو اشد فرسان العرب بسالة واقداماً وثباتاً واخذ في ان يزيد عليها ويضايقها من كل مكان حتى تاكدت انها هالكة لا محالة ولذلك صاحت بالامير مستجيرة وعولت على الحيلة فتوقف عن القتال فقالت له اصبر عليّ قليلاً وانصفني فانا بين يديك لا اهرب قط . فاجاب طلبها وهو لا يعلم انها بنت الى ان نزعت الخوذة عن راسها وارسلت بشعرها الحالك على اكتافها فغطى ظهر الجواد وازاحت اللثام عن وجهها الوضاح فبان كانه البدر بتمامه وقد زاد التعب وضيق النفس في احمرار خديها والعرق يسيل الى ذقنها ويسقط من هناك كحبات من اللؤلؤ الصافي . ومن ثم فكت ازرارها وارخت نهودها الى الهواء واخرجت منديلاً لتمسحها من العرق ونظر اليها الامير حمزة وهما كحقق من الفضة ياخذان بعقل الشيوخ فضلاً عن الشباب وحينئذ خطر في ذهنه انها ما اخذت ابنه اسيراً الاَّ بمثل هذه الحيلة ومع انه كان يميل الى جمال النساء جداً لكن نفسه كانت قد شبعت منهن واصبح لا يؤخذ بحبائلهن ولو كان في اول امره للحق به ما لحق بولده لكنه ثبت جاشه وقاوم امياله ولم يرسل بافكاره الى التمعن بما يراه من حسنها وجمالها بل صاح بها صيحات الاسود وقال لها لقد صار من العار عليّ ان اشهر عليك حساماً ولا بد لي من اسرك . ثم رفس جوادها برجله فالقاها الى الارض مطروحة فانقض عليها عمر العيار واخذها اسيرة وهي على تلك الحالة . وحينئذ رجع البنات الى المدينة فلم يلحق بهن الامير ولا قاومهن بل رجع الى الخيام وهو يقول لابد من زواجها برستم لانها اخذته اسيراً واضاعت عقله وهي جميلة للغاية وهو شاب يلعب براسه الجهل من اوله

قال ولما وصل البنات الى الملك هندام واخبرنه بما جرى على بنته وقع الرعب في قلبه وعول ان ينهض لمحاربة العرب فاوقفه الوزير وقال له لا ترم بنفسك في بحر الجهالة فتهلك انت وقومك ولو كانوا بعدد رمل البحار وما منعتكم عن قتل رستم الاَّ خوفاً من هذا الامر الا تعلم ما جرى على الملك الاكبر كسرى انوشروان منهم وكم بذلوا له جيشاً وكم اهلكوا فارساً صنديداً وقد جمعوا الرجال من مشرق الارض الى مغربها فانظر موضع النظر وارجع الى نفسك قال ماذا افعل هل اترك بنتي في قبضة الاعداء واتقاعد عن خلاصها . قال له نقدر على خلاصها بقوة السلاح وعندي ان تستدعي اليك رستم ابن الامير حمزة وتعرض عليه امر الصلح

وتعتذر اليه وتزوجه بنتك وهو يجهل ما بينك و بين العرب فيعدك بالامان واذ ذاك تطلعه على امرك وامر ابيه . فاستصوب هذا الراي ودعا اليه رستم وامر بحلهِ واجلسه بالقرب منه واكرمه مزيد الاكرام واعتذر اليه وقال له قل تسمح لي بذنبي في اسرك وانا لا اعرف قدرك ولما عرفت من انت اردت ان ازوجك من بنتي واتخذك عوناً لي وتسامحني على ما سبق مني . قال اني تركت لك حقي بذلك وقبلت ان اتزوج بنتك ولا لوم عليها في اسري لانها جاهلة وما قصدت قتلي الاَّ بغضاً منها ولكن متى صارت زوجتي تلتزم الى محبتي . فاين هي الان . قال ان جهلها دفعها الى قبضة ابيك ولذلك اريد منك صرف هذا الامر ومراضاته وانا اسامحك بدم وزيري الذي قتلته . ثم قال الوزير اني اعرف ياسيدي رستم انكم من القوم الكرام لا تأخذون المذنب بجريته ولا تصرون على الانتقام ولذلك ارجوك ان تجيب الملك هندام الى طلبه وتتزوج من بنته ولك بذلك الفضل والجميل . قال اني اجبت الى ذلك ووعدت ولا بد من ارجاع ابي عن غايته اكراماً لك وللملك هندام لانك فعلت معي الجميل من الاول واحييتني بعد ان كانت حسانة ترغب في قتلي . واذ ذاك نهض الوزير فقبلهُ وفعل مثل ذلك الملك هندام فقبل ايديهِ وشكر منه وفيما هم على تلك الحال واذا برسول الامير حمزة قد دخل على الملك هندام واعطاهُ رسالة منه يطلب اليهِ الخروج من المدينة للحرب والقتال وان يطلق سبيل رستم في الحال . ولما قرأ رستم هذا الكتاب قال للرسول اذهب الى ابي وقل له اننا قد اصطلحنا ووقع بيننا الامان والسلام ولا بد لنا من الذهاب اليه في هذه الساعة فرجع الرسول الى الامير واخبرهُ بانهُ رأى ابنه مطلق السراح في ديوان الملك هندام ففرح وحينئذٍ وصل رستم ومعه الملك والوزير واعيان المدينة فخرج الامير الى ملتقاهم خارج الصيوان وقبل ابنه وسلم عليهِ وهناهُ بالسلامة وترحب بالوزير وهندام وادخلهم جميعاً الى الصيوان واحسن مثواهم واطلق سبيل حسانة فجاءت الصيوان وقبلت يدي ابيها وبكت امام الامير حمزة واعتذرت عما وقع منها . ثم قال حمزة لهندام اريد ان اقوم بزفاف ابني على بنتك باقرب وقت . قال افعل ما بدا لك فهي جاريتكم منذ هذه الساعة ففرحت حسانة بذلك ولم يكن يخطر لها قبلاً ببال . وهيأَت نفسها واصلحت شأْنها ودارت الافراح بالمدينة وبين العرب مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن زف رستم على حسانة ودخل بها وسرَّ منها وسرَّت منه ووقع الحب بينهما بعد ان كانت ترغب في هلاكهِ وهذه تروح منه حامل بذكر يدعى الخان المطان

واقام العرب في تلك النواحي مقدار شهرين تمام وهم على سرور وافراح وبسط وانشراح وقد ظن الامير حمزة ان الملك هندام صافي السريرة حسن الطوية فاراد ان يودعهُ ويرحل الى بلادهِ فاظهر كدرهُ من ذلك وقال له اني كنت احب ان تبقوا الزمان عندنا لابقى انظر

الى بنتي لانها عزيزة جداً عندي . قال ان شئت ابقيت بنتك عندك الى ان يسمح الزمان لنا بالراحة فنرسل ونأخذها فاستصوب هذا الراي وكاد لا يصدقه وكذلك حسانة قبلت ان تبقى عند ابيها الى ان يأذن لها الزمان . وبعد ذلك تشاور العرب في بعضهم هل يذهبون الى مكة او يسيرون الى حلب او يرجعون الى المدائن . فقال الامير حمزة لسلطان العرب اني ارغب في الرجوع الى المدائن لاعلم ماذا فعل كسرى وبختك قال لا نرجع الان الى هناك بل نرحل الى حلب ونقيم فيها اياماً نراقب ما تفعل الاعجام . وباتوا تلك الليلة الى الصباح وفيه نهضوا وحملوا باحمالهم ورفعوا باموالهم واقلعوا عن تلك الارض يقصدون حلب وقد ودعوا الملك هندام وسكان تلك الاراضي ورحلوا مدة ايام حتى جاءوا مدينة حلب ونصبوا خيامهم في ضواحيها وسرحوا بانعامهم وعرف نصير الحلبي بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وسلم عليهم وكذلك رجال المدينة واهلها وكان اكثر نساء العرب في المدينة وقد جئن باولادهن الى آبائهن واجتمع المقيم بالغائب والغائب بالحاضر وهم فرحون بهذا الاجتماع

وسأل الامير حمزة صاحب حلب عن كسرى وعن اخباره هل سمع شيئاً جديداً قال جلّ ما سمعته في هذه الايام انه يجمع العساكر والرجال حول المدينة ويريد الحمل على العرب وغير ذلك لا اعرف . فقال حمزة لعمر العيار اذهب الى المدائن وانظر لنا في هذا الامر عساك تعرف غاية كسرى والى اي جهة يريد ان يسير فانظر لنا من الذي اجتمع عنده من الفرسان والابطال ومن الذي يعول عليه في هذه المرة . فاجاب عمر الى ذلك وسار الى المدائن بكل سرعة حتى وصلها ودخل الديوان وقد شاهد عساكر كثيرة حول المدينة ورأى كسرى بانهماك مع بختك فصبر الى المساء حتى انفض الديوان فتتبع بزرجمهر الى ان دخل خلفة القصر وهناك تقدم منه وقبل يديه وسلم عليه واخبره بكل ما كان من امرهم وسأله عن قصد كسرى أهل ينوي تجديد الحمل على العرب . قال ان هذا لا ينتهي ما زال بختك في قيد الحياة لانه ظن ان ذهابكم عن المدينة كان لسبب خوفكم وضعفكم في البداية ثم عرف بسيركم الى حلب فتاكد له انكم لا ترجعون فاشعل قلب كسرى واوغر صدره حتى حمله على جمع العساكر والمسير خلفكم وقال له ان ترك العرب مضرّ بالعجم ولا بد من اخذ الثار ودوام الحرب الى ان تساعدهم النار ومن جملة من كتب اليهم في هذه المرة فارس صنديد مشهور في مدينة حكم صند اي في بلاد العجائب اسمه رعد المنفش ويقال عنه انه من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام وجاء الجواب بانه عن قريب يصل الى هذه الديار . قال هل ترى ان من اللازم الرجوع الى المدائن ومحاصرتها ام البقاء في حلب او المسير الى مكة . قال ان بقاءكم الان في حلب اوفق من الرجوع الى هنا وان كان هذا رعد المنفش لا يقاس بفرسانكم العظام لكن الايام عليكم اخذت في ان

تجور ولا بد من مرور نحوس وهموم لان الدهر لا يستقيم على حالة فاذا اضحكك اليوم ابكاك في الغد ومتى رأيته مقبلاً فتأكد انه سيدبر واذا شاهدته ادبر فتيقن انه سيقبل وحيث ان لا بد من وقوع الحرب بينكم وبين الاعجام فاذا قصدكم كسرى الى حلب افضل بكثير من انكم تقصدونه انتم الى هنا لان يوم المدائن لم يأتِ بعد

فمكث الامير عمر العيار في المدينة ثلاثة ايام وفي كل يوم يخرج الى ديوان الملك كسرى ويسمع ما يدار هناك من الكلام وفي المساء يأتي قصر بزرجمهر الى ان رأى الاعجام قد خرجت الى ملاقاة رعد المنقش فسرّ لذلك واختلط بينهم وخرج معهم حتى بعدوا عن البلد مقدار ثلاث ساعات والتقوا بالعساكر وكان عددهم نحو مائتي الف فارس وفي مقدمتهم رعد المنقش وهو قصير القامة عريض الاكتاف كبير الدماغ يكاد يستوي طوله بعرضه وسمكه وسمة الشجاعة تلوح على وجهه وبالحقيقة انه كان يحب سفك الدماء كثيرًا حتى انه اليوم الذي لا يهرق فيه دمًا لا يلتذ بعيشه ولا ينام مرتاحًا فيلتزم في كل يوم وهو في بلاده ان يأتي بالاغنام والفصلان فينحرها ويهرق دمها على الارض ويتركها الى قومه فيفرح وتنفرج كربته فسلم عليه بختك واعيان كسرى وترحبوا به ورجعوا جميعًا الى الايوان وبختك يزيد في تعظيمه وتكريمه ويمدح منه ومن شجاعته حتى دخل على كسرى فسلم عليه وقدم له احترامه فترحب به ببرود وقد امعن فيه النظر فلم يتصور فيه الثبات ولا حدثته نفسه بانه يقدر على مقاومة العرب وفرسانهم ولاحظ الوزير بختك ذلك فاراد ان ينزع من راس كسرى هذا الفكر ويحمله على الاعتقاد بانه افرس فرسان هذا الزمان . فقال له هذا ياسيدي رعد المنقش صاحب الغارات المشهورة في كل مكان والوقائع المشكورة المعروفة التي اكسبته الرفعة وعلو الشان وسوف ترى بعينيك ما يفعل لك بالاعداء ولا يمكن ان يعرف الانسان بمجرد النظر الى وجهه لان الابطال مستترة تحت اثوابها ولا بد ان تكشف لك الايام صدق قولي . فقال كسرى اني ارغب ذلك لكني اعرف ان لا فارس يقدر ان يقاوم فرسان العرب فاذا كان داهور الهندي هلك منهم فهل يقدر غيرهُ على هلاكهم . قال لا بد لرعد هذا البطل العظيم ان يبيدهم عن اخرهم لان الشجاعة ليست بكبر الجثة وعظم الهيكل بل بقوة الذراع وثبات الجنان وعن قليل تقع الحرب فترى افعاله وتشاهد حملاته وتتأكد صدق قولي . فقال كسرى ان كان الامر كما تقول فاني افضله على ملوك دولتي واشاركه في نعمتي ومن هذه الساعة اشدهُ بهلوان تختي وغضنفر مملكتي وامر ان يلبس ثوبًا من الارجوان ويشد وسطه بمنطقة من الذهب مخصوصة بمن يكون غضنفر بلاد الفرس وبعد ان رأى الامير عمر العيار ما رأى وسمع كلام بختك ودع الوزير بزرجمهر وسار يقصد مدينة حلب ولما وصلها وجد الامير والعرب بانتظاره وسألوهُ عما رأى فاخبرهم بكل شيء وبما شاهد من

رعد المنقش وسمع من بختك الوزير وقال له ايضًا ان من راي بزرجمهر ان تبقوا في حلب الى ان ياذن الله بالفرج ولا تذهبوا الى المدائن ولا بد للملك كسرى ان يقصدكم الى هذه البلاد . فقال الامير لا بد من البقاء هنا وانا في هذه المرة لا نخالف امر الوزير وفي كل مرة خالفناه كان علينا وبالاً . واقام العربان بانتظار الاعجام

قال وكان بختك قد استخبر وعرف ان العرب مقيمين في حلب فاخبر كسرى به فامر بركوب العساكر والمسير الى تلك المدينة وهو متيقن كل التيقن انه لا بد من الانتصار في هذه المرة وعلى امر كسرى انهوا الاستعداد وفي الصباح خرج هو وجماعته والاعيان وعلوا ظهور خيولهم وساروا على طريق حلب كالجراد المنتشر وعددهم ١٧ كرة ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا على سهل حلب وشاهدوا معسكر العرب فضربوا المضارب والخيام تجاههم وسرحوا بانعامهم خلفهم وقال رعد المنقش وقد استصغر جيش العرب ان الاعداء قليلو العدد ولا بد لنا من هلاكهم فلا يبلغون نصف عددنا قال ان العدد لا يقوم مقام الشجاعة فكلهم ابطال وفرسان . قال اني اتكفل لك بهلاك فرسانهم جميعًا وسترى عن قريب . فقال كسرى انه يخطر لي ان ارسل اليهم رسالة وادعوهم الى الطاعة وان يسلموني علم بيكار الاشتهار ويتفرقوا كل واحد الى بلاده عساهم يصغون ويسمعون وبذلك يهون علينا الامر كثيرًا . فقال بختك ان هذا غير الاصابة كون العرب عصاة لا يعرفون مقامك ولا يصغون الى كلامك وكلما بعثت اليهم بكتاب زادوا وطمعوا وظنوا ان ذلك منك عن عجز وضعف لا عن رحمة وكرامة وشفقة واري من الصواب ان نفاجئهم في الصباح ونحمل عليهم حملة واحدة من الاربع جهات ولا نرجع عنهم حتى ندخلهم المدينة ومن بقي حيًا منهم تركناه يموت جوعا في داخل المدينة ولا نبارح هذا المكان سنينًا وايامًا حتى ننال الفوز الى الحد الاخير واتفقوا على هذا الراي وصبروا الى اليوم الثاني وفي الصباح نهض العربان بعد ان ضربت طبول الحرب والطعان . وركبت الابطال والفرسان . وتقدمت الى اطراف الميدان . وقد خفقت الاعلام ولاح لكل فارس من فرسان ذلك المقام . ان ذاك اليوم كثير الاهوال عظيم الاحوال . وكان في مقدمة الاعجام رعد المنقش وفي مقدمة العربان الامير حمزة البهلوان وفي الجناح الايمن الامير رستم فرتم والاندهوق وجماعة من الفرسان وفي الجناح الايسر سعد اليوناني وابوه عمر والمعتدي . وحالما وقعت العين على العين كثر الصياح من الطرفين وصاح الامير رستم وحمل كانه قضاء الله المنزل ومثله فعل الامير حمزة والاندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وعمر اليوناني وابنه سعد والملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر وملوك التركمان وامراء الاكراد واصفران الدربندي ومعقل البهلوان والامير عقيل وارتجت لحملاتهم جنبات تلك الارض بالطول والعرض . وباقل من

نصف ساعة قامت القيامة . وقلت السلامة . ووقعت الندامة . وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وكان يوماً عظيم الشان . لم يسمع بمثله في سالف الازمان فيه تدفقت الادمية كالغدران . وبذل ملك الموت ما يملكه من القوة والسلطان . فطرحت الجثث الى بساط الصحصحان بعد ان لاقت اشد العذاب والويل . واندثرت تحت حوافر الخيل . ولم يكن يسمع الا تالم وتوجع وتشك وانين وهمهمة ودمدمة وتوعد وتهديد واصوات وقوع سيوف على درق او اسنة على زرد ولم يكن يوم الحشر اشد هولاً عن ذاك اليوم ولا رات ولا سمعت اذن اعظم اضطراباً منه فلله در الامير حمزة صاحب هذه السيرة فانه اباد الرجال . واهلك الابطال . واعظم من عمله كان عمل ابنه رستم فرتم فانه اخترق صفوف الاعجام وانزل عليهم ميازيب الغضب والانتقام . ففرق الكتائب وبدد المواكب . وترك القتول بين يديه كالتلول . وكلما راى جيشاً من الاعداء متجمعاً عليه كانه قضاء الله المنزل ففرقه باسرع من لمح البصر ولم يكن اشد فرسان الاعجام قادراً ان يثبت بين يديه او يرضى ان يقف في وجهه بعد ان يرى عجائب حملاته وسرعة ضرباته وطعناته ويشاهد منه انه يحمل من اول العسكر وباقل من لمح البصر يصير في الاخر وصوته يرن في اذن كل من المتقاتلين . وكذلك كانت تفعل باقي الفرسان وعمل رعد المنقش اعمالاً عجيبة في ذلك اليوم ولولا محاولة فرسان العرب ودفعه لكان اهلك كثيراً منهم لانه كان اذا التقى بواحد لا يقدر ان يقتله الا بعد دفاع ونزال ومعاركة كثيرة ومع كل ذلك فانه قتل كثيراً من العرب وكانت فرسان الاعجام قد طرقتها كثرة الوقائع والحروب وعلمها التكرار والثبات في الدفاع والهجوم ففعلت فعلاً جسيماً ولا زالت الحرب قائمة على ساق وقدم ونفوس الرجال تقدم ضحايا على مذابح العدم الى ان اقبل الظلام واسرع النهار بالانهزام . فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلون الى الخيام وما منهم الا ومن صبغ بالدماء وتلطخت ثيابه واسود وجهه وما صدق ان ذهب النهار حتى رجع لاخذ الراحة ومناولة الطعام ورجع رعد المنقش وهو كانه شقيقة الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان . فسر كسرى من بسالته واقدامه وتامل فيه النجاح والتوفيق وقال له اذا انتهى لي النصر على يديك كنت انت الحاكم في بلادي والسيد عليها ولا احد يعلو عليك . قال اني القيت الرعب في هذا اليوم في قلوب اعداك ولا بد انهم يتفرقون قريباً ويفرون من هذه الديار ولكن اقسم لك بالنار وبتربة اجدادك انهم لو ساروا داخل البحار لتاثرتهم واهلكت منهم الكبير والصغير لتتاكدوا ان في خدمتك فرسان لا ينتج مثلهم الزمان ولا تاتي بنظيرهم الايام . وقال بختك اعلم ياسيدي اني نظرت موضع النظر ولو كان في جيوشنا اثنان مثل رعد المنقش لانتهت الحرب في هذا النهار ووقع لنا النصر الذي نريده ومع كل هذا فاذا تعوقنا الى شهر او شهرين فلا باس فانه يفنيهم في الاخر ويجعلهم عبرة لمن اعتبر

فهذا ما كان منهم وإما ما كان من العرب فانهم رجعوا كذلك فائزين من جهة ومتكدرين من اخرى وقد رأوا انهُ قد قُتل من جيشهم جانب غير قليل ولذلك امر حمزة ان تتأخر العساكر ولا ينزل الى القتال الاّ ربعها فقط والباقون لا يحملون الاّ في آخر النهار بحيث تكون قد تعبت عساكر الاعجام . واختار منهم القواد والشجعان وقال اننا وجدنا مع مائة الف نفس نكتفي لرد الاعداء وفي اليوم الثاني تجدد القتال وعظمت الاهوال . وزاد القيل والقال . وقتل كثير من الفريقين الى ان جاء المساء فرجعوا الجميع وفي الصباح عادوا الى مثل ما كانوا عليهِ وداموا على هذه الحالة مدة خمسة عشر يوماً حتى وقع النقص في عساكر الاعجام لان الراي الذي دبرهُ الامير حمزة كان موافقاً لهم وكان لا يحارب الاّ بالابطال المعدودين ويترك الباقين الى قرب المساء فيحملون وهم براحة على الاعداء المتعبين فيقتلون كثيرين منهم . وفي اليوم الاخير رجع رعد المنقش الى صيوان كسرى وهو متعب جدًّا وقد التقى في ذاك اليوم بالامير سعد اليوناني فاشغلهُ كل النهار ورجع دون ان يقتل احدًا فتكدر وقال للملك كسرى ان رجالك جبناء ضعفاء فما منهم من يسد عوزًا وانا وحدي التزم ان ادفع اعظم فرسان القتال كفرسان العرب واري ان عساكرنا على نقص متواصل ولا بد ان يفنوا بعد ايام اذا دامت الحال على مثل هذا المنوال ومن الراي الحسن ان تكفهم في الغد عن القتال حتى اذا افنيت الاوائل هان علينا هولاء الاواخر . قال اني كنت ارغب في ذلك وعندي ان تقتل لي الامير رستم والامير حمزة في الاول فاذا قتلت هذين الفارسين تفرّق الجميع وخافوا واركنوا الى الفرار . قال اني ساقتل الاثنين بيوم واحد اذا شاءت النار وكانت راضية علينا . وباتوا تلك الليلة على مثل تلك الحال الى ان كان اليوم الثاني نهض المعسكران وتقدموا الى ساحة الميدان وقبل ان يهجموا على بعضهم البعض برز رعد المنقش الى الوسط وصال وجال حتى حير عقول الرجال . ثم وقف في الوسط ونادى يطلب الابطال والفرسان وصناديد الشجعان وحينئذٍ سقط اليهِ فرهود صاحب التكرور وهو كأنهُ الغول وصدمهُ صدمة جبار صنديد وحمل الاثنان على بعضهما البعض واخذا في الطعن والضرب والكر والفر والمجاولة والمحاولة حتى سبح الجوادان بالعرق وضاقت منهما الانفاس وكانا بطلان عظيمان وفارسان جسيمان وقد احدقت بهما كل عين وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان وما زال القتال واقعاً بينهما الى بعد الظهر وهناك صاح رعد المنقش وهجم على فرهود واختلف بينهما ضربتان فاصلتان وقعت ضربة فرهود على طارقة رعد فاضاعها بمعرفتهِ ووقعت ضربة رعد على طارقة فرهود وسقطت على رقبة الجواد فابرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع في الارض لكنهُ جاء واقفاً وبقي الحسام في يدهِ يدافع عن نفسهِ فهجم عليهِ رعد وطعنهُ برمحهِ فمال عنهُ وفضل الثبات على الهرب ورأى حمزة صعب الموقع الذي

فيهِ فرهود فاراد خلاصهُ من بين يدي خصمهِ فهجم على رعد وصاح بهِ وحينئذٍ كان قد لحق بكسرى الفرح الزائد وسرَّ من عمل فارسهِ ولما رأى حمزة وقد هجم عليهِ خاف ان يبطش بهِ لانهُ تعبان فامر عساكرهُ بالحمل فحملت مدفعة واحدة على الامير فالتقاها بصدرهِ وهجم عليهِ و باسرع من لمح البصر انطرح الامير رستم على الاعداء وانطرحت من بعدهِ فرسان القبائل وملوك العربان من كل ناحية ومكان وقاتلوا قتال صناديد الابطال . وكان العيارون قد جاءوا الى فرهود بجواد فركبهُ وعاد الى القتال والتقى برعد المنقش وفي نيتهِ ان يأخذ لنفسهِ منهُ بالثار فلم يقدر بل انجرح من حسامهِ ولو لم يدركهُ الامير رستم في آخر النهار ويخلصهُ منهُ والاَّ كان قتلهُ واعدمهُ الحياة وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان عن ساحة القتال الى الخيام وكشف الامير حمزة على جرح فرهود فرآهُ غير بالغ فسلمهُ الى اسطون الطبيب ليعالجهُ واوصاهُ ان يعتني بهِ كل الاعتناء الى ان يشفى فاخذ في مداواتهِ

ثم ان الامير جمع اليهِ السادات وقال لهم انهُ لا بد في الغد ان يبرز رعد المنقش الى ساحة الميدان واريد ان ابرز اليهِ انا ولا اريد ان يسبقني احد منكم واخاف ان تصابون منهُ بسوء فقال لهُ الاندهوق اننا نخاف عليك نحن ولا نخاف على ارواحنا لانهُ اذا اصابك امر تفرقت الفرسان وانفرطت سبحة العرب واما اذا قتلنا كلنا فلا اسف علينا قال اني خائف من مثل هذا ولذلك لا اسمح لاحد بالبراز فاني اقدر على قتلهِ باقل من يوم . قالوا لا يمكن ابدًا لان كل واحد منا يريد ان يجرب نفسهُ معهُ وما نحن من جبناء الرجال ولا اقامتنا عندك الاَّ للحرب والقتال ولمثل هذا اليوم . وحينئذٍ قال الامير سعد اليوناني اني اقسمت بالله العظيم ياجداهُ اني لا ادع احدًا منكم يبرز اليهِ سواي وقد سألتني امي في ذلك وحركتني اليهِ منذ ايام وهي تقول لي لا تدع احدًا غيرك يبارز رعدًا فاذا قتلتهُ نلت الفخر العظيم . فزجرهُ وقال لهُ لا اسمح لك ولا لغيرك بذلك فاني اخبرت رعدًا وتأكدت ان لا احد يقتلهُ سواي واخاف ان يلحق بكم ما لحق بفرهود وجعل كل واحد يقول لا بد لي في الغد من مبارزتهِ واشتدت المكالمة والخصام حتى وقف الامير رستم في الوسط وقال لو سألتموني في هذا الامر لتركت كل واحد منكم يبراز اليهِ دون ابي وما ذلك الا حفظًا لمقامهِ لا خوفًا عليهِ لانهُ ليس من رجالهِ ولا هو ممن يقف قبالهِ وانا اقسم بالله العظيم وبالمسيح ابن مريم الذي احيى الاموات من العدم اني ابرز اليهِ بلا سلاح ولا عدة واكفل النصر والفوز عليهِ واسره بساعة من الزمان . وعند الصباح فنولوا امام السلطان قباط واسألوهُ ان يأذن منكم الفرسان الى البراز فمن المهتهُ العناية امرهُ بالبراز وما زال لنا ملك فهو الولي والحاكم يفعل ما يريد ويختار . فاستصوب الجميع هذا الراي وباتوا الى الصباح وفيهِ ركب رعد المنقش وبرز الى الميدان والملك كسرى يؤمل الفوز والنجاح على

يديهِ وقد سرَّ من عملهِ بفرهود وصار يضحك بعد ويقول لهُ في هذا اليوم لابد لحمزة من البراز فاذا التقى بهِ رعد قتلهُ وضربتهُ قومهُ

وفيما كان رعد في وسط الميدان يصول ويجول ويشتم فرسان العرب ويطلب اليهم النزال تقدم الامراء والسادات بين يدي الملك وسالوهُ ان يامر احدهم بالبراز وقبل ان اختار واحد منهم سمع صوتاً من بين جيوش الاعجام فمال بنظره الى هناك واذا بهِ راى جيش الاعجام قد انفتح وخرج منهُ غلام فوق جواد ادهم كانهُ الليل الحالك وعلى ذاك الغلام من العدد مايبهر النظر وبين يديهِ غلام اخر احمر اللون سريع الجري كانهُ السهم الطيار يدور حول الجواد . ثم ان ذاك الفارس اطلق لجوادهِ العنان فطار بهِ من اول الميدان الى اخرهِ ثم عاد في جريهِ من حيث اتى حتى حمي الجواد . ثم وقف في الوسط واشار الى عساكر العرب بالسلام وجميع الفرسان ناظرة اليهِ ومتعجبة من اعمالهِ ولا يعلمون من هو ولا يدركون مقصدهُ ومع انهُ خرج من بين العجم اشار بالسلام والتحية بسيفهِ اليهم وكان اكثر العجب من العيار الصغير الذي كان بركابهِ لانهُ كان يسبق الجواد في الجري فيفوتهُ كثيرًا ثم يدور حواليهِ ويضع يدهُ على ركابهِ ويسري بحسب سير الجواد . وبعد ان حمي العرب هجم على رعد هجوم الاسود دون ان يبدي كلمة او يفوه بجواب او سوال . وراى الامير حمزة الى هذا الغلام فانعطف قلبهُ اليهِ وراهُ ابيض الوجه لانبات بعارضيهِ فخاف من ان يقتلهُ رعد فتقدم الى اول الميدان والتفت الى عمر العيار ليبعث بهِ الى غلام الغلام ويسألهُ عنهُ فوجدهُ قد صار في وسط الميدان وكان عمر قد راى الغلام العيار وتعجب من اعمالهِ واحتار من امر الفارس الذي معهُ فقصد ان يكتشف الخبر فدنا من المذكور وقال لهُ من هذا الفارس والى من ينتسب من القبائل . فقال لهُ دعك من هذا السوال فلا اجيبك عليهِ ولا تشغلني عن سيدي ثم تركهُ وركض حول المتقاتلين فركض خلفهُ عمر وجعلا يدوران حولها الواحد يطارد الاخر وعمر يركض خلفهُ ولا يقدر ان يمسكهُ وكلما اراد ان يعدل عنهُ ويقف منتظرًا النهاية لا يطيعهُ قلبهُ فيدنو منهُ فيعود الى الجري حول الجوادين هذا والحرب شديدة بين الغلام ورعد المنقش وكل واحد منهما يبذل جهده ويظهر من الشجاعة ما عندهُ وقد تقصفت في ايديهما الرماح وعمدا الى البيض الصفاح وحجبهما الغبار وكاد يخفيهما عن الانظار . وهما تارة يفترقان وطورًا يجتمعان كانهما جبلان عظيمان . او اسدان درغامان . وقد حيرا بقتالهما النواظر واشغلا الخواطر . وكان حمزة بالاول خاف على الغلام الاَّ انهُ لما راه يصول ويجول ويطعن طعنات الجبابرة الفحول علم انهُ فارس صنديد فاطمأن بالهُ ولكنهُ مال شوقاً الى معرفة اصلهِ وفصلهِ وتقدم الى الامام ليقف قريباً منهُ وتقدمت معهُ فرسان العرب وعساكرها ورأى الاعجام الى ذلك فتقدموا هم ايضاً ولم يبقَ من المسافة بين الفريقين

الا مقدار رمحين وكل واحد ينتظر نتيجة هذا البراز ويتمنى لفارسهِ النصر والانجاز. والفارسان في صدام وعراك. وقتال وانهماك: حتى سبح من تحتهما العرق كالبحور الزاخرة. وتساقط من اعالي راسيهما كالغدران الماطرة. هذا وعمر العيار والغلام الاحمر في مشاحنة وجدال وعمر لا يقدر ان ياخذ منهُ لا حق ولا باطل ولا قدر ان يعرف من هو ولا من الفارس الذي كان يقاتل رعد المنفش. ولم يعد الامير حمزة ينظر الى اليمين او اليسار وحصر كل نظره بالغلام ولو لم يكن مع خصمهِ في القتال لرمى بنفسهِ اليهِ وقد اعجبهُ قتالهُ كثيرًا وتحير من اعمالهِ وبينما هو يحدق بهِ وجميع فرسان العرب تنظر اليهِ ومنعطفة القلب والخاطر لنحوهِ ولا سيما الامير رستم فانهُ اسند برمحهِ الى الارض والقى براسهِ عليهِ وجعل يمعن فيهِ ويتامل في احوالهِ. واذا بالغلام المذكور قد صاح بصوت عظيم ارتجت منهُ الجبال والوديان واضطرب لهُ العسكران واشهر بيده الحسام حتى بان ما تحت ابطهِ وضايق خصمهُ كل المضايقة وارسل اليهِ بضربة قاضية قاطعة وقال باعلى صوتهِ خذها ضربة فاصلة من يد سعد الطوقي ابن الامير حمزة البهلوان من لوعة القلوب جوهرة النسوان فوقع السيف على طارقة رعد المنفش فبراها كما يبري الكاتب القلم وسقط السيف على رقبة رعد فقطعها الى حد وسطهِ ومال الى الارض قتيلاً. ولما سمعت العرب هذا النداء وتاكدوا انهُ ابن الامير حمزة صنقفوا من الفرح والسرور ولا سيما الامير فانهُ طار قلبهُ شعاعًا وسقطت الدموع من عينيهِ فرحًا بابنهِ وعند سماعهِ بذكر لوعة القلوب بنت ملك قماصيا زوجتهِ التي فقدت منهُ واراد ان يرتمي على ولده ليقبلهُ فرآه قد خاض في عساكر الاعجام وحمل عليهم حملة الاسد الدرغام واما الامير رستم فانهُ طرح بنفسهِ امام اخيهِ وجعل يقاتل حولهُ خوفًا عليهِ لانهُ تعبان فبدد المواكب وفرق الكتائب وهو ينادي تمهل يا اخي سعد فقد جاءك اخوك رستم فرتم هذا والفرسان تطير بين يديهِ وهو يمددها على بساط الارض وكذلك العرب حملت باجمعها وقصدت نهاية العمل في ذاك اليوم. واخذ العجم في القتال والتاخر الى الوراء منتظرة المساء وقد وقع كسرى في الارتباك وايقن بالهلاك وفيما هم على مثل ذلك واذ سمعوا اصوات جيوش مقبلة قد هجمت على موخرة الفرس وحملت عليها واشغلت ضرب الحسام وصاروا هم في الوسط وحينئذٍ لم يرَ كسرى بدًّا من الهرب فامر حراسهُ ان تطير بهِ في جنبات الفلاة قبل ان يقع بيد الاعداء محمولًا وطاروا بهِ في الافاق وبعدوا عن الخطر ولحقت بهِ باقي الرجال والعساكر وقوم العرب تضرب في اقفيتهم من كل ناح وطاردوهم الى المساء حتى اهلكوا جانبًا عظيمًا وملأوا الارض من اجسادهم وبعد ذلك رجعوا مسرورين فرحين وقد التقى الامير بولده سعد الطوقي ابن لوعة القلوب فرمى نفسهُ عليهِ وجعل يقبلهُ وسلم عليهِ وكذلك فعل اخوتهُ وباقي العرب وحينئذٍ وصلت لوعة القلوب وجاريتها فانوس لانهما جاءتا مع العساكر

التي حملت في موخرة الاعجام . وعرف عمر العيار ان الغلام الاحمر هو ابنة من فانوس واسمة الشاه ذئب فدنا منة وقبل وجناتو وسلم عليو وقال لة كيف لم تقل لي انك ابني وعذبتني كثيرًا قال كنت لا اعرف انك ابي ولا اريد ان تعرفني العرب قبل ان تعرف سيدي سعدًا . وكان اسم هذا الغلام الشاه ذئب . وبعد ذلك عادوا الى الخيام وهم يضربون بالدفوف وينشدون نشائد الافراح ويلعبون ويمرحون وقد حكت لوعة القلوب للامير قصتها وما جرى عليها وما لاقت بعد فرقتهِ وقد اعد لها مكانًا بين نسائهِ وجاءت النساء فسلمن عليها وترحبن بها كما ان الامير رستم والامير عمر اليوناني وباقي الفرسان كانوا مسرورين من الامير سعد وهم يكثرون من السلام عليهِ والثناء على شجاعتهِ

قال وكان من قصة لوعة القلوب بعد ان كانت اسا ري خطفتها مع جاريتها فانوس ووضعتها بنتها قر يشة قرب القرية كما تقدم معنا في محلهِ فدخلتا القرية وهما لا يظهران امرهما وشعرت كل واحدة منهما بحملها ولم يكن معهما ما تقتاتان بهِ فاخذت لوعة القلوب في ان تبيع مصاغها لتصرف الثمن على نفسها وجاريتها لبينما يكون الله سبحانهُ وتعالى قد جاءها بالفرج واكترت لنفسها بيتًا واقامت فيهِ الى ان ولدت ولدًا ذكرًا عليهِ سمة البسالة والاقدام والشجاعة سمتهُ سعد الطوقي فدبرت امره والبستهُ ثيابًا ووضعت في يده معضد وكتبت عليهِ اسمهُ واسم ابيهِ وكذلك جاريتها فانوس وضعت ذكرًا ودعت اسمهُ الشاه ذئب واعتنتا بتربية الولدين وهما صابرتين على حكم القضاء والقدر لا يمكنهما التظاهر ولا البعد عن ذاك المكان حتى مضى عليهما نحو سنة من الزمان وصادف حينئذٍ ان احد الامراء المجاورين واسمهُ طوقاب غار بقومهِ على تلك القرى بقصد الكسب والنهب فقتل شيخ القرية واهلها ومن جملة من هرب لوعة القلوب وفانوس خوفًا من ان يسبيهما الاعداء ولم تتمكنا من اخذ ولديهما وقد خطر لهما انهما تعودان بعد جلاء الاعداء اذ انهم لا يمكن ان يضروا بالاطفال لكن كان بين قوم طوقاب رجل اسمهُ بيرم الحداد ولم يكن لهُ قط اولاد فدخل البيت الذي كانت فيهِ لوعة القلوب فوجد الولدين يبكيان وما من احد يغيثهما فحن قلبهُ وحدثتهُ نفسهُ بان ياخذهما معهُ ويذهب الى امرأتهِ فتربيهما وبعد ان انتهى الامير طوقاب من نهب القرية وقتل شيخها عاد الى بلده بالمكاسب والغنائم ودخل بيرم الحداد على امرأتهِ ودفع اليها الولدين واخبرها بقصتهما وقد راى الى المعضدين اللذين بيد كل منهما فعرفهما . وقال لامرأتهِ اعتني بهما واظهري امامهما انك امهما الى ان يكبرا فاذا قدرنا ان نصل الى الامير حمزة اعطيناه اياهما فينعم علينا ويكون لنا اعظم منة عليهِ فنحكم احدى المدن والعواصم والاَّ فانهما يبقيان عندنا كولدين لنا وعلى كل حال فاننا ننتفع منهما فهما سبب نجاحنا وتوفيقنا وسعادتنا كيف كان الحال . ففرحت بذلك واخذتهما وجعلت

أتتني بهما واحضرت لهما المراضع وهما يكبران ويترعرعان حتى صار عمر الواحد اربع سنوات وكان الامير سعد جميل الخلقة بديع المنظر حسن التركيب يظهر للراى انهُ من اولاد الملوك ولا تخفى حالتهُ على ذوي البصائر . ففي ذات يوم صادف ان الامير طوقاب كان مارًّا في احدى الطرقات فنظر هذين الغلامين يلعبان فتعجب منهما وقال لا بد ان يكونا من اولاد الامراء او الملوك وسأل الى الامير سعد كثيرًا وسال عنهما فقيل لهُ انهما اولاد بيرم الحداد فدعاه اليهِ وقال لهُ أصحيح ان هذين الغلامين لك قال نعم هما ولداي . قال لقد حان زمان تهذيبهما وتربيتهما واريد منك ان تسلمني اياهما لاضع لهما المعلمين وفي نيتي ان اجعل لهما شانًا واعلم الاميض فنون الحرب والقتال لانهُ على ما يظهر عليهِ انهُ يخرج من الابطال الصناديد فسمة الشجاعة مرسومة بين عينيهِ . فلم يسع بيرم المخالفة ولا الامتناع وتمنى ذلك وقال ان علم الحرب ضروري لهما لانهما من اولاد امراء هذا الزمان وفرسانهِ

ومن تلك الساعة اخذهما الامير طوقاب وعين لهما الاساتذة ورتب لهما الرواتب اللازمة فصادفتهما العناية وصانتهما حتى كبرا وصارا في سن الثالثة عشر وكل واحد منهما قد تعلم العلم والتهذيب وفن الحرب على حسب مشتهاهُ وكان الشاه ذئب سريع الجري جدًّا فمال الى العيارة مهنة ابيهِ . وفي تلك الايام كان ابن شيخ القرية التي اخذ منها الامير سعد قد كبر واشتد ساعدهُ وخرج فارسًا مجيدًا وعرف ان الامير طوقاب قد قتل اباهُ فجمع رجال قريتهِ ورجال القرى المجاورة والف جيشًا عظيماً وسار بهم قاصدًا اخذ الثار من طوقاب الى ان وصل الى بلده فحاربهُ وقتلهُ وحاصر المدينة حصارًا كاد يفتحها بهِ وخاف الاهالي من السلب والنهب وهم لا يجدون ملجأ لهم ولا مخلصًا . وحينئذٍ قال لهم الامير سعد هل اذا خلصتكم من الاعداء وافرجت عن المدينة تسلمون اليَّ الحكم عوضًا عن الامير طوقاب فوعدوهُ بذلك واخذ عليهم العهود والمواثيق ومن ثم ركب وسار وفتح ابواب المدينة وانتخب لهُ جماعة من اصحابهِ الذين كان يعرفهم ويعتمد عليهم . وبعد ان بارز ابن شيخ القرية قتلهُ واعدمهُ الحياة وهرب قومهُ ومن ذلك اليوم صار الحاكم على البلد واحبهُ الجميع وفرحوا بهِ الفرح الزائد وتوسموا الخير بسببهِ وجعل ... مع البلاد العاصية ويقتل كل عاتٍ وخارج حتى خافهُ كل اهالي البلاد وصار لهُ صيت عظيم ولم يعد احد يقدر على مقاومتهِ وصار يحكم بالعدل والانصاف وينظر في مصالح الناس بنفسهِ ويكرم الفقير والارملة ويحسن معاملة الغرباء واصبح بيرم الحداد هو صاحب القول والكلام لانهُ ابو الامير سعد

فهذا ما كان من الامير سعد واما ما كان من لوعة القلوب فانها بعد ان كانت قد هربت مع جاريتها عادت الى القرية وفتشت على ابنها فلم ترهُ فبكت كثيرًا وحزنت كثيرًا وكذلك

فانوس وظلتا كل الظن ان الاعداء قد داستهما او القوهما في الازقة او قطعوهما لعلمهم انهما من اولاد اعدائهم . ولبستا السواد وصرفتا اكثر الايام على البكاء والنواح وهما تبيعان من مصاغهما وتصرفان بحكمة وقد قطعت لوعة القلوب الرجاء من ملاقاة ولدها ومن ملاقاة زوجها واهلها ايضاً وثبت في عقلها انها ستموت غريبة فقنعت بالعيشة في تلك القرية تاركة كل اسباب التنعم والرفاهة صابرة على قضايا الله عالمة انه قدر عليها ذلك ولا بد من اتمام المقدر وصرفت عدة سنين الى ان ذهب ابن شيخ القرية الى الامير طوقاب وقتله وقتل هو من ابنها ورجع رجال القرية منهزمين مشتتين وصاروا يتكلمون بشان الامير سعد وبصغوته بالشجاعة وكيف انه وهو كالاسد الكاسر قدر على قتل قائدهم ومعه غلام احمر الوجه لا يفارقه على الدوام فكانت تسمع من الناس مثل هذا الكلام وقلبها يتحرك الى النظر اليه وهي لا تعلم ان كان ابنها ام لا . ولكنها كانت تتذكر باعمال ابيه وكيف انه كسر عجم الروم وفعل افعال الابطال . وفي ذات ليلة قالت لجاريتها ان قلبي يحدثني ان اسير الى مدينة طوقاب وانظر الى هذا الفارس الذي اسمع عنه القصص فما هو الا من العرب لان هذه الاعمال اعمال العرب عساي اقدر ان اتوصل الى ولدي او زوجي فقد سئمت نفسي من الانتظار . فقالت لها ياسيدتاه واني انا كذلك وكلما سمعت بذكر الغلام الاحمر الذي يرافق هذا الفارس نحن جوارحي واني من زمان اريد ان اعرض عليك السعي خلف الراحة واخاف عليك من العذاب واقول في نفسي ربما وقعت في مصاب جديد فاكون انا سببه واری اننا براحة من ذلك فاصبر منتظرة الفرج . والان ارى من اللازم السعي خلف الهناء فاذا سعينا ربما ساعدتنا العناية الالهية القادرة على كل شيء ووصلنا الى العرب واجتمعنا بالامير حمزة وعمر العيار فنقيم عندهما الى ان نموت . ولا نعرف ما يكون منه تعالى

وفي الحال حملتا ما يلزمهما من الثياب لوقايتهما وسارتا من مكان الى مكان ومن قرية الى قرية حتى وصلتا الى المدينة فدارتا في اسواقها تفتشان على مكان للمبيت فصادفت العناية ان مرّ الامير سعد وبين يديه الشاه ذئب ووراءه لوعة القلوب فلم تخفَ عليها حالته لانها ربته ابن سنة وثبتت هيئته في قلبها فضلاً عن ان كل قلبها وجوارحها قد حنت اليه ولم يسعها الصبر والسؤال بل صاحت من صميم قلبها صياح الفرح ووقعت الى الارض خائرة القوى والحيل وكذلك فانوس فانها تاكدت ولدها وعرفته فجعلت تصيح على غير وعي وتنادي وولداهُ قد عادك اليّ الزمان . فارتاع لذلك الامير سعد واجتمع الناس حول المرأتين ووقف صاغياً ينظر اليهما وقد اندهش وامر ان ترش الماء على وجه والدته ليعلم ما سبب اغمائها واخذ في ان يلاطفها والناس تجتمع افواجاً افواجاً حتى وعت الى نفسها ورأته امامها فصاحت كالاول ورمت بنفسها عليه

حيرة واستفى من الحاضرين الا انه كان حكيماً رائق الفكر لايعجل في الامور ولم يرد ان
ر بخاطرها وكان في قلبه شعور من شعورها . واخيرًا قال لها هدئي روعك واحكي قصتك
م رفيقتك ومن انت لانك تنادين بالابني وتزعمين اني ابنك واراك تغلطين في ذلك ولا
الي ان افتش لك على ابنك وابن رفيقتك اين كانا وانا حاكم المدينة وابي يبرم الحداد وامي
وجنة ولم اخرج قط من هذه المدينة . قالت من اين يكون ليبرم الحداد او لغيره ولد مثلك
لست ابني وانا لوعة القلوب بنت حاكم قاصيا وابوك هو فارس فرسان الزمان ومذل الجبابرة
الشجعان . وخصم كسرى انوشروان . الامير حمزة البهلوان الذي شاع صيته في كل ناحية
مكان . وخافته طوائف الانس ومردة الجان . فلما سمع الحاضرون هذا الكلام . ما منهم الا من
شك وارتاب . وكان ذكر الامير حمزة قد ملأ الدنيا وعرف به البعيد والقريب ولم يبق تقريبًا
لا رجل في الدنيا الا وعرف به وهابه وحكى بقصته وخافه وكذلك فانوس قالت للامير سعد
ن هذا الغلام هو ابني ايضًا من زوجي عمر العيار عيار الامير حمزة . وكان بعض الحاضرين
نون انهما مجنونتين غير ان سعدًا اراد البحث في ذلك ولم يرَ في هيئتهما ما يدل على الارتياب
انه كان يتاكد من نفسه انه ابن يبرم الحداد اراد ان يمتحن لوعة القلوب فقال لها يا
ام يا اماه اني ادرك قوة لوعة الوالدة على ولدها واريد ان اكون عونك في الوصول الى
ن . اما انا فاني لا ادعي على نفسي الا في هذه المدينة منذ ١٢ سنة فمن اين عرفتِ اني ابنك ولم
ريني قط ولا رايتك . قالت انك سليت مني وانت ابن سنة وفي يدك معضد مكتوب به اسم
بك قال صدقت ان في يدي معضد ولكن ما قرأت قط ما عليه وترجح له بعض الفوز والنجاح
كشف على زنده ونظر الى المعضد فراى مكتوبًا عليه اسم الامير حمزة ابن الامير ابرهيم حاكم
ة المشرفة فطار صوابه من ذلك وتعجب من امره وصاح باحد خدمه الا فادعُ لي يبرم
لحداد فجاء اليه . فقال له ان هذه الامرأة تدعي بانها والدتي وان والدي هو الامير حمزة قاهر
كسرى انوشروان . وانت تقول انك ابي . فقال له اني لست اباك عن حق واني اخذتك من
بدك مع هذا الغلام واعاد عليه القصة بتمامها حتى تاكد الجميع ان الامير سعد هو ابن الامير
مزة وحينئذٍ زاد فرحهم وصاروا يصفقون من شدة الفرح وما منهم الا من قال من اين ليبرم
لد كهذا وهو رجل حداد فقد صح ان هذا الشبل من ذلك الاسد . واما الامير سعد فانه رمى
فسه على والدته وقال لها ثبت لي عن حق انك والدتي وجعل يقبل يديها وهي تقبله وتبكي
كذلك فانوس والشاه ذئب ثم سار بهما الى سرايته والاعيان يسيرون خلفهما ولما دخل القصر
باؤه بذلك وبوالدته وطلب الى والدته ان تعيد عليه قصتها من الاول فاخبرته بكل شيء
البداية الى النهاية وهو والحاضرون يتعجبون من قصتها . وبعد ذلك قال الامير سعد حينئذ

قد عرفت الان ابي وهو الامير حمزة سيد السادات واعلم من الناس انه على الدوام مع كسر
في حروب واهوال فلا بد لي من ان اذهب اليه واقيم مع قومه ولا اعلم ابن هو الان . ف
ذلك تقدم اليه احد الحاضرين . وقال له ان اباك هو الان في حلب او في المدائن
كسرى وعنده من الفرسان كثيرون منهم الاندهوق بن سعدون صاحب سرنديب الهند و
ثلاثة ملوك التركمان وعنده ايضًا المهتدي حامي السواحل نادر المثال ومن ابطاله ا
فرهود صاحب التكرير وقاهر الجبلي وبشير ومباشر واصفران الدربندي ومعقل البهلوان
صاحب قلعة تيزان والامير الغضبان والصيصان وعمر الاندلسي امير الغرب والملك النجاشي
سلطان الحبشة فضلاً عن ان من اولاده كل واحد يلقى جيشًا وحده فاخوك الاكبر اسمه
اليوناني وقد تزوج بطوربان بنت عم كسرى انوشروان وهي من اصحاب الشجاعة والبس
وقد جاءه ولد منها اسمه سعد اليوناني آفة من الافات وبلوة من البلوات واعظم فارس
العرب هو اخوك رستم فرتم ابن بنت الملك قيصر وقد قتل داهور الهندي فهو اشد من ابي
باسًا واقدامًا ولا يمكن ان يثبت بين يديه فارس في هذا الزمان لا من الانس ولا من الجان و
اخوك قباط من مهردكار بنت كسرى فهو سلطان العرب وحاكمهم وسيدهم وصاحب الا
والنهي فيهم وفيهم عمر العيار الذي لا يصطلى له بنار فخر العرب وعلة نجاحهم وعدد جيش العر
يبلغ العشر كرات ومن الواجب ان تركب الان بنا ونسير الى حلب نفتش على ابيك ونقيم ع
وبين يديه لتقاتل اعاديه والحمد لله الذي ظهر وثبت انك ابن اشرف رجل في عالم هذا الزم
لان جدك حاكم مكة المطهرة وهي بيت الله الحرام

فلما سمع كلام الرجل زاد ولوعًا الى روية ابيه واخوته وقومه وفي الحال جمع من المد
والقرى التي حولها نحو ثلاثين الفًا من الابطال وحمل امه على هودج وفانوس على هودج و
عن المدينة بعد ان اقام حاكمًا عليها بيرم الحداد واوصاه بالعدل والانصاف ورفع على الاسو
راية العرب ولازال يقطع البراري والقفار مدة ايام حتى وصل الى ضواحي حلب فسبق العسا
وسار بعيارة الشاه ذيب حتى راى العساكر قائمة للحرب والقتال وعرف الاعجام فاختلط ب
لانه صادف وصوله من خلفهم ولا احد منهم يعرفه وتقدم الى وسط الميدان وشاهد رعد الهند
فسقط اليه في الحال وقتله ورجع الى قومه كما تقدم معنا الكلام وقد سلم على ابيه واخوته وفر
به كل الفرح واجتمع الامير حمزة بروجته لوعة القلوب وطيب بخاطرها بعد ان سمع قص
بتمامها وما لاقته من المصائب والاهوال . وكذلك عمر العيار فقد اجتمع بفانوس واقام م
على طيبة نفس وراحة

قال وبعد ذلك بايام اجتمع فرسان العرب عند السلطان قباط في صيوان الديون ف

ـ وماذا يفعلون به وهل يبقون في حلب او يذهبون الى المدائن
ـن ومحاصرة المدينة الى النهاية وركبوا في الحال من تلك
ـنى وصلوا الى المدائن فنزلوا وضربوا خيامهم مقابل المدينة
، يطلبون اليهم ان يسلمهم بختك الوزير ومن ثم يعقد الصلح
ـحد الى بلاده . ولما وصلت الرسالة الى كسرى وقراها له
ـتعلم ما جرى بيني وبين العرب من الاسباب والعدوان
عليّ ونزعوا مني علم بيكار الاشتهار وقتلوا ابن عمي
ـي وحشاشة كبدي كل ذلك بسببك وبدسائسك
المدينة في راسي والان حاصروا المصيبة وربما نزعوا
ـت بك تنصرف العرب ويقع السلام بيننا . قال اعلم
يا سيـ ـية عنك وعن البلاد لكن اخاف اذا سلمتني الى
اعدائك وسوني تندم فيـ . بعد ان يقتلوني يعودون الى اعظم ما كانوا عليه
ولا ريب انهم يقتلونك وينزلونك عن سلطنتك . ما طلبوا قتلي الا لا ليسهلوا لهم طريق نوال
غايتهم ولا يعود في وجههم من يسعى في كبح مقاصدهم ولولا هذه الغاية لما طلبوا بالحاح تسليمي
ومن انا عند العجم يا ترى هل انا ذو بطش واقتدار وصاحب سيف احارب انا الذي يخشون
سطوتي كلاّ بل انا الذي ادبر على هلاكهم بعقلي وحكمتي واقف في طريق سعيهم وامنعهم من
الوصول الى ثل عرش الاعجام ونقله الى العرب . قال كسرى انك لا تزال تدبر على هلاكهم
فيعود تدبيرك علينا شرًّا ووبالاً فهل ترى الان في طريقة حسنة تخلصنا من العرب ونحفظ
بها انفسنا من الهلاك ونمتنع عن تسليمك الى الاعداء فقال اعلم ياسيدي اني ارجوك ان تامر
وزيرك بزرجمهر ان يهادن لنا العرب مدة اربعين يومًا ومن بعد ذلك عليّ تدبير الامر وسوف
تراني وقد دبرت في هذه المرة ما يسرك ويرضيك وقد خطر في خاطري امر كنت اود لو خطر
لي من الاول لفزنا الفوز العظيم ونلنا الغاية القصوى . قال لا تزال تعد هذا الوعد ولا تفي .
قال سوف ترى شيئًا عجيبًا وتنظر في صحة امري فعند ذلك امر كسرى بزرجمهر ان يذهب الى
سلطان العرب ويطلب اليه عقد الصلح ان امكن او المهادنة الى اربعين يومًا وقال له اني اعرف
انك بحكمتك تقدر على اقناع العرب وارجاعهم فاذا لم يرضوا يكون ذلك منك . قال لا تظلمني
ياسيدي واي علاقة بيني وبين العرب وانا بحسب امرك اخرج الى العرب واجهد النفس في
مراضاتهم فاذا رضوا كان ذلك خيرًا لنا والاّ فما ذنبي يا ترى . نعم ان العرب يعرفون اني
لست بعدوهم كوني ما سعيت لديك لا في الاول ولا في الاخر لا نعمل على عداوتهم بل من

قد انتهى المجلد الثاني من قصة الامير حمزة البهلوان المعر...

الثاني عشر ولا بد ان يكون قد وقع القراء فيها على بعض هفوات ...

او التهاون عند الطبع ولذلك نلتمس اليهم العذر في ذلك ...

للانسان محطة للغلط والنسيان فضلاً عن ان في مثل هذه ...

كل عنايته واعتنائه الى ضبطها ضبطاً صحيحاً محكماً اذ لم تكه ...

الحوادث بترتيب ملذ للذوق وموافق لمال القصة على ط...

التطويل في طبع كل جزء بحيث يقيم نحو شهر ما ذلك ...

القصة موجودة لطبعناها وسلمناها الى المشتركين ماقل ...

الكتابة والانشاء يعترف بالصعوبة في ذلك فضلاً ...

هذه القصة فقط

ان الكتب المذكورة تباع في مكتبتنا وفي المطبعة ... كلفنا جرجي ... رزوزي

غروش عملة بيروت

١٥

١٥

٥ قصة فير[illegible]

٥٤ قصة حمزة ٤

٧٥ اشتراك الصفا في بيروت

٦٥ سلسلة الفكاهات

٦٠ قصة متيلدة مجلد ٣

٤٥ الحراس الثلاثة انتهى المجلد الاول والثاني قريب من النهاية

١٥ تاريخ بطرس الكبير وهو المجلد الاول من تاريخ روسيا الحديث

١٥ المجلد الثاني من تاريخ روسيا الحديث وهو من بعد تاريخ بطرس الكبير الى نصف حياة اسكندر الاول

١٥ المجلد الثالث من تاريخ روسيا الحديث ومن نصف حياة اسكندر الاول الى نهاية حرب سبستابول

ويوجد ايضاً كتب كثيرة غير هذه تطلب من كل من كاتبه وكاتبه

نخله قلفاط جرجي حنا غرزوزي

4951/51A